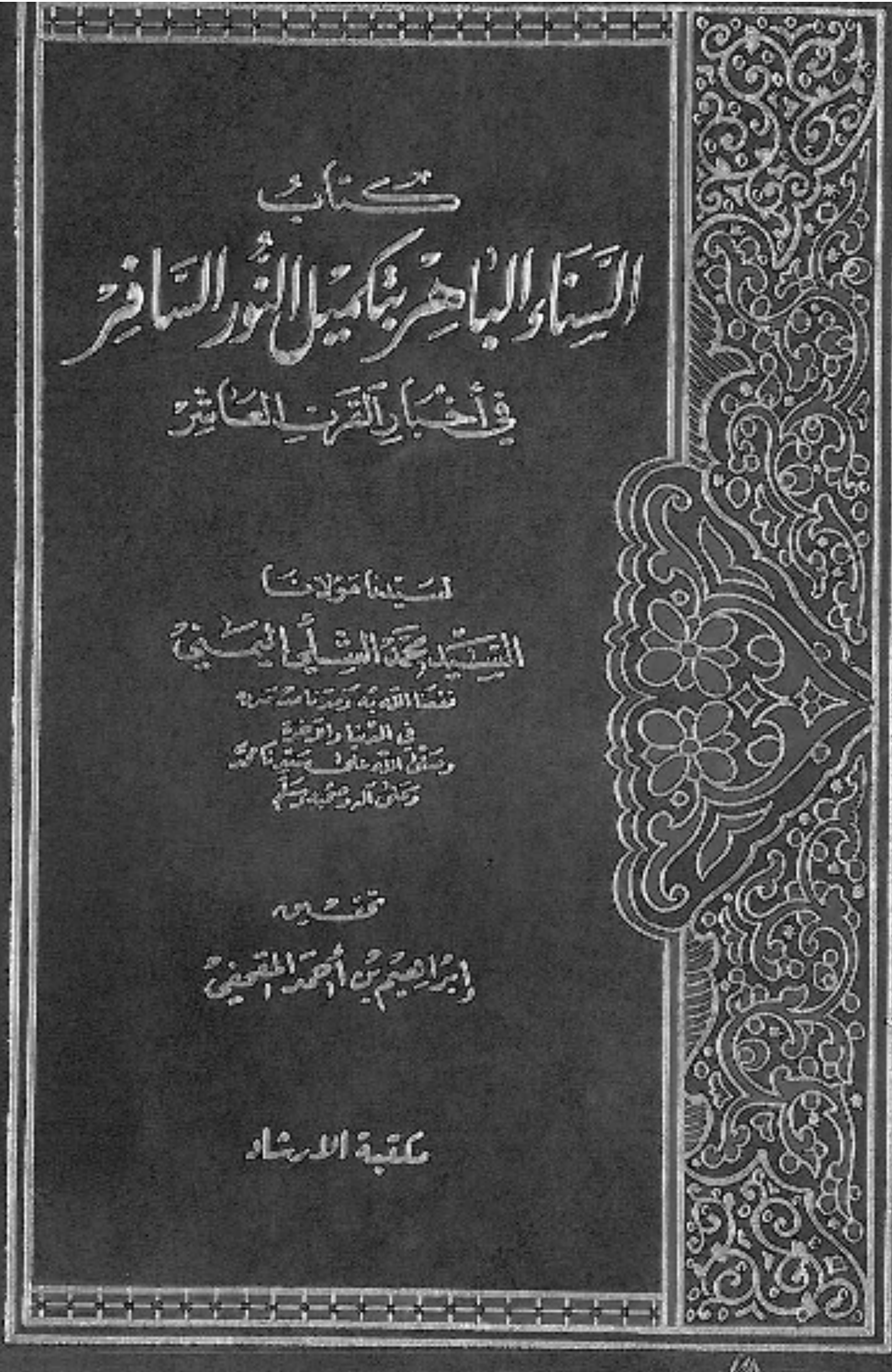


كتاب
السناء الباهر بتكميل النور السافر
في أخبار القرن العاشر
لسيدنا مولانا
السيد محمد الشلي اليمني
في الدنيا والآخرة
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
تحقيق
إبراهيم بن أحمد المقحفي
مكتبة الارشاد



ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م



مكتبة الارشاد
شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - الجمهورية اليمنية
☎ ٢٧٢١٩٠ / ٢٧١٦٢٢ / ٢٧٩٢٨٩ ص.ب ٣٠١٩

كتاب

النور السافر بتكميل السناء الباهر

في أخبار القرن العاشر

لسيدنا مولانا

السيد محمد الشلي اليمني

نفعنا الله به وعمرنا منه مدده
في الدنيا والآخرة
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

تحقيق

إبراهيم بن أحمد المقحفي

مكتبة الارشاد

كلمة

يأتي نشر هذا الكتاب ضمن الإهتمام بتراث العلامة المؤرخ محمد بن أبي بكر الشِلّي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ، وقد سبق أن أصدرنا كتابه «عقد الجواهر والدرر». وفي نيتنا أن نستكمل هذا الجهد بأصدار كتابه القيّم: «المَشْرع الرَّوِي» وذلك بتعاون مع الأستاذ عبد الرحمن بلفقيه صاحب «دار تريم» الذي يحرص على تزويدنا بالهام والنادر من مخطوطات التراث الفكري الحضرمي.

وكما هو معلوم فأن كتاب «السناء الباهر» قد جمعه الشِلّي ذيلاً على كتاب «النور السافر» للعيدروس، استكمل به تراجم أعلام القرن العاشر الهجري. بعد أن عالج في كتابه «عقد الجواهر» تراجم أعلام القرن التاسع.

وقد اعتمدنا في التحقيق على نسخةٍ مصورة أهداني إيأها الاستاذ عبد الرحمن بلفقيه، كانت المطابقة عليها مع نسخةٍ أخرىٰ مصورة عن نسخة المتحف البريطاني (برقم ١٦٦٤٨) زودني بها أبن أخي الأستاذ فضل بن علي المقحفي الذي يستكمل دراسته في لندن للحصول على الدكتوراه. كما كانت المقارنة مع كتاب «خلاصة الخبر» الذي تضمن جزءًا كبيرًا من هذا الكتاب.

وأنا لا أستهدف من نشر هذا الكتاب ـ وغيره ـ إلاّ إبتغاء مرضاة الله تعالىٰ ورضوانه. وليس لي من دافع مادي، بل ـ أنا ـ أصرف الكثير على جميع المطبوعات التي أصدرتها. مؤملاً أن يتقبّل ـ سبحانه وتعالى ـ مني هذا العمل وأن يجعله في حسناتي. وأن يعينني في قادم أعمالي.

ابراهيم المقحفي

صنعاء ـ يناير ٢٠٠٤

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسر يا كريم

الحمد لله الذي خضعت لعظمته الرقاب، وأودع في هذا العالم العجب العجاب، وجعل الموت موعظة لأولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده، لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب، وأشرف الشعاب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب. أما بعد، فإن علم التاريخ عظيم المقدار، ساطع الأنوار فيه عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لأهل النظر، وإطلاع على ما تولد من حركات الفلك وظهر، قال إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: مَنْ عَلِمَ التاريخ زاد عقله ولله درّ من قال وأحسن السبق في مضمار هذا المجال:

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى	تخيلته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره	إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فكن مثل أخبار من عاش و	وكن ذا نوال واغتنم أطول العمر

وقد أكثر العلماء الأخيار في كل عصر من الأمصار، من التقاط ما فيه من الفضائل والفوائد، وجَمْع ما يشتمل عليه من الدلائل والعوائد، منهم علم العلماء الأكابر الشيخ عبد القادر[1] في كتابه النور السافر، في أخبار أهل القرن العاشر، فجمع وأجاد المقصود وأفاد، بيد أنه أهمل ذكر جماعة من أكابر الفضلاء، وكثير من أماثل النبلاء. وعذره بُعد دياره عن ديارهم، ولم تأته الأسفار بأخبارهم، ولم تهب عليه رياح أسرارهم، وهو من أقوى الاعتذار لأنه لم يقتصر على قطر من

(١) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس.

الأقطار، ولا مصر من الأمصار، فجمعت هذا التاريخ السلف، ووصفته أحسن ترصيف، أثبت فيه ما وقفت عليه، وأورد كل ما انتهت قدرتي إليه من أخبار المائة العاشرة، وأحوالها الباهرة، وسميته بالسناء الباهر بتكميل النور السافر، وسلكت في جمعه طريق الاختصار، وحسن الطي والاقتصار، إذ الاعتبار بنفحات الأسرار لا بضخامة الأسفار، وتحبير اللطائف لا بتطويل الصحائف، والله أسأل أن يوفقني لإتمامه ويشفع حسن ابتدائه بحسن ختامه.

سنة إحدى وتسعمائة

معروف بن عبد الله باجَمَّال:

توفي الشيخ الكبير العلم الشهير معروف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد باجَمَّال[1]. أحد الأولياء العارفين والأكابر المحققين، له رياضات ومجاهدات وأربعينات متتابعات. قال الولي سالم باعامر: كنت أخدم الشيخ معروف، فدخل زاوية مسجد الجامع بالغرفة[2] احتجب فيها سبعين يوماً، لا يخرج منها لا ليلاً ولا نهاراً، وكنت آتيه كل ليلة وقت الإفطار برغيف أناوله إيّاه من وراء الباب، وكان كثير الصلاة، صلّى عند كل سارية من سواري جامع الغرفة ألف ركعة، وفيه اثنان وخمسون سارية، ورؤي مراراً يصلي في المسجد ورأسه في السقف، واستلقى يوماً، فعظم بطنه، وارتفع حتى وصل بطنه لسقف المسجد، وكان النور في حضرته يسطع، ويشاهده من يحضر، وكان كثير الحج وزيارة النبي ﷺ، وزيارة الأولياء، وأكثر أسفاره على أتان له، يحمل عليها زاده ويركبها ذهاباً وإياباً. وكشف له عن ليلة القدر سبع مرات، وكان مستجاب الدعاء، وكان شيخه العارف بالله تعالى عبد الله بن أبي بكر العيدروس يعظمه، ويثني عليه. وكذلك ولده أبو بكر بن العيدروس، وله كرامات كثيرة:

(١) انظر: (إدام القوت ٣٢٦).

(٢) الغرفة: بلدة في غربي مدينة سيؤن بمسافة خمسة كيلو مترات. وهي من ديار آل باجمال، سكنوها بعد خروجهم من بلدة بور حيث كانوا ولاتها لكن آل بانجّار أخرجوهم من بور فانتقلوا إلى شبام، ثم انتقل بعضهم إلى الغرفة ـ انظر كتاب: إدام القوت في بلدان حضرموت ص ٣٢٦.

منها: أنه كان مسافراً مع رفقة فعطشوا واجتازوا بئر ماء، فلما أرسلوا الدلو فيها، انقطع الرشا، فتعبوا واشتد بهم العطش، فدعا الله تعالى، وأرسل شيئاً بيده فلم يشعر إلا والدلو عنده في أعلى البئر.

ومنها: أنه حصل على بعض أصحابه شدة عظيمة في البحر، فاستغاث به، فرآه في النوم يمشي على الماء، وفسد المركب، فسد خلله فانتبه وقد صلح المركب.

ومنها أن بعض مريديه ابتلى بجراحة عِيْل منه علاجه فرآه في النوم يمسح بيده عليها، فلما أصبح عوفي من تلك الجراحة، ورآه غير واحد من الأولياء بعد موته عَيَاناً، وتوفي قافلاً من الحج في قرية من قرى بر العجم، يقال لها: بربرة[1] ودفن بها ووضعوا على قبره علامة ليعرفه من يزوره، فلما أصبحوا لم يجدوها ثم فعلوا في اليوم الثاني والثالث وإذا أصبحوا لم يجدوها. ورآه بعض خواصه وهو يقول له: إنا نؤثر الخمول، رحمه الله تعالى وإيانا.

[الشيخ علي المحلي]:

وفيها: توفي سنة [٩٠١]: الشيخ علي المحلي نزيل ثغر رشيد كان من أرباب الأحوال، ورحل إليه المشايخ الكبار، واشتهر في سائر الأقطار، وممن رحل إليه ابن عنان وأضرابه، وظهرت له كرامات كثيرة، وكان يخلط السمك المتبد والقمر والقثاء والورد والياسمين ويصيرها شيئاً واحداً ويبيسها، فلا يختلط طعم بطعم ولا ريح بريح، وسأله رجل أن يسافر معه إلى دمياط، لمحبة أهلها له فقال: في هذا الوقت يحضر عندهم، فلما نزلوا السفينة، قال: غمّض عينيك، ففعل فقال: افتحهما، ففتحهما فإذا هو بساحل دمياط. فشاع ذلك فأنكره قاضيها. وقال له: ما مذهبك؟ قال: حنشي، قال: قل حنفي. قال: حنشي، قال: كيف؟، قال: انفخ عليك فتموت، ففعل فمات حالاً، وأتاه تاجر يشكو ذهاب ماله، فقال: ائتني برصاص، ففعل، فإذا به ووضع عليه تراباً فصار ذهباً فقال له: خذه وأنفق ولا تسرف، رحمه الله ونفعنا به.

(١) بربرا: مرفأ صومالي على خليج عدن.

[أحمد البُرلُسي]:

وفيها [٩٠١]: سابع شوال توفي أحمد بن يوسف بن علي البرلسي نسبةً لقرية من قرى مصر، يعرف بـ (الأبيطع) المالكي[١]. الإمام الجليل، قرأ ببلده على الفقيه علي المطرح، وكان صالحاً وحفظ أصلي «ابن الحاجب» و«الألفية»، وأخذ عن الشيخ محمد الرياحي المغربي تلميذ ابن مرزوق وغيرهما ثم قَدِم (القاهرة) فأخذ عن عبادة وطاهر وغيرهما، وتصدّر للأقراء وانتفع به الطلبة، وتخرج به فضلاء، قال السخاوي. وأخبرني أنه جمع كتاباً في الوعظ سماه «نزهة النظار في المواعظ والأذكار» سفران، وشرح مقدمة العقائد للشيخ عبد العزيز الديريني والجرومية، وقواعد القاضي عياض، لكنه لم يكمل، وله قصيدة في الفرائض وشرحها، وكانت ولادته سنة تسعة عشر وثمانمائة رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد التكساري]:

وفيها: [٩٠١]: وفي محيي الدين، محمد بن إبراهيم بن حسن التكساري[٢]، العالم الكامل والفاضل الكامل. قرأ على الولي حسام الدين التوقاني، والمولى، يوسف بالي بن المولى محمد الفناري، ثم على المولى يكان، ثم درّس بمدرسة إسماعيل بيك ببلدة (قسطموني)، وبنى الأمير المذكور تلك المدرسة لأجله، ووقف عليها ثلاثمائة مجلد من تفسير وحديث وفقه وعربية ومعقول، وانتفع به كثيرون، وكان عارفاً بالتفسير والحديث وعلوم الشرع والمعقوليات والعلوم الرياضية، أخذها عن المولى فتح الله الشرواني من تلامذة المولى قاضي زاده الرومي، وكان يعظ الناس كل يوم جمعة ويفسر القرآن فعيَّن له السلطان بايزيد خان كل يوم خمسين درهماً لأجل التفسير، فكان يجلس تارة في جامع (آيا صوفيا)، وتارة في جامع السلطان محمد خان، وخص السلطان بيزيد يوماً بسماع تفسيره، ولما ختم التفسير في جامع آيا صوفيا، قال: أيها الناس إني

(١) انظر: (الضوء اللامع ٢/ ٢٤٨).

(٢) انظر: (الأعلام للزركلي ٥/ ٣٠١، معجم المؤلفين ٨/ ١٩٦، شذرات الذهب ٨/ ٣٩ـ ومنه: هدية العارفين ١/ ٢١٨، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٥٥، الكواكب السائرة للغزي ١/ ٢٣) ـ وقد ورد في الأصل: التشكاري.

سألت الله أن يختمني عقيب ذلك، فدعا الله تعالى بالختم، وآمنوا على دعائه فمرض وتوفي.

وصنف تفسير سورة (الدخان)، وأهداه لسلطان بايزيد خان واستحسنه علماء عصره، وكتب على حواشي تفسير القاضي فوائد حل بها المواضع المشكلة. وله حواشي على شرح الوقاية لصدر الشريعة، ومات بالقسطنطينية، ودفن عند الشيخ ابن أبي الوفا رحمهم الله وإيانا.

[المولى أمين]:

وفيها [٩٠١]: توفي المولى أمين، الطبيب القزويني، لازم مُلاّ حكيم الطبيب الهروي بـ (هراه) تسع سنين، فقرأ عليه الطب، إلى أن تميز فيه وفضل أقرانه، وكان سريع الكتابة حسنها بحيث يقال أنه كتب بخطه أحد وخمسين مصحفاً، وكتب كتباً كثيرة في كل فن، وشارك في الفضائل، واشتهر بالطب فقدّر الله أن سلطان ميسان أرسل إلى ملا حكيم يسأله المجيء إليه ليعالجه في مرض صعب وقع فيه، ووعده بأشياء كثيرة فاعتذر بكبر سنه، وأرسل إليه تلميذه ملا أمين وعالجه حتى برىء من مرضه في أدنى زمان، فحمل إليه عشرة أحمال من فاخر المتاع والقماش وغيرها، فجاء بذلك إلى أستاذه فقاسمه في نصفها، وقال له: حقنا عليك يقتضي ذلك، ورجع إلى بلاده، فاشتهر وتقرب من السلطان الطويل وتمول، وولد له عبد الفتاح على طريقة أبيه، وعبد الستار انتهى له علم الموسيقى، وعبد المنعم، وكان في نعمة وافرة إلى أن حصلت تلك الانقلابات في بلاد العجم، فأخذت أملاكهم وفشوا في البلاد.

[الأمير علي البعداني]

وفيها [٩٠١]: أوقع الأمير علي بن محمد البعداني[١] بأهل تَعِز فقتل منهم سبعين وأسر أربعين، ثم أغار عليهم ثانياً، وحاربوه فهزمهم هزيمة عظيمة، وقتل منهم نحو المائة، ونهب بلادهم وأموالهم، ثم قدم على السلطان الظافر وهو برداع

(١) هو وزير السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري الملقب الظافر. انظر عنه: (هجر العلم ١/ ٣٠٩، روح الروح، المدارس الإسلامية ٣٤٤، قرة العيون).

الغُزْس قدوماً عظيماً، فكسا السلطان الأسرى، ومَنَّ عليهم وأطلقهم، وأحسن إليهم.

[الغزو البرتغالي]

وفيها [٩٠١]: ظهر الإفرنج البرتغال[١] قال: خذلهم الله تعالى في الديار الهندية، وكانوا يركبون البحر من زقاق سبته إلى بحر الظلمات[٢]، ويمرون خلف جبال القمر ويصلون إلى المشرق، ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق أحد جانبيه جبل، والآخر بحر الظلمات وهو مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم فلا يكاد ينجو منهم أحد، واستمروا يعالجون مدة مديدة، ويقاسون شدة شديدة، ولم يخلص منهم أحد إلى بحر الهند، ولم يزالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم رجل ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الإفرنج، وكان يقال له ملندي، وعاشره في السكر فعلّمه الطريق في حال سكره، وأمرهم أن لا يقربوا الساحل من ذلك المضيق بل يتوغلوا في البحر فلا تنالهم الأمواج، فلما فعلوا ذلك سلم كثير من مراكبهم حتى كثروا في بحر الهند ومرائي من بنادر الدكن يسمى كوه والعامة تسميه جوه قلعة حصينة، واستقروا بها وكانت الامدادات والأموال تترادف عليهم من البرتغال، فأكثروا في المسلمين أسراً ونهباً، وأخذوا كل سفينة غصباً، وقطعوا طريق المسلمين، واشتد أذاهم على المسافرين، فكتب سلطان كجرات مظفر شاه إلى سلطان مصر قانصوه الغوري يستعين به على دفع أذى الإفرنج، لعدم معرفة أهل الهند إذ ذاك بالمدافع والبندقيات، وكذلك كتب صاحب اليمن الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب إلى صاحب مصر أيضاً يستنجده على حرب الإفرنج لكثرة فسادهم في بحر اليمن وبنادره[٣]، فجهز الغوري الأمير حسين الكردي في طائفة كثيرة من العساكر بما يحتاجونه من الآلات والمدافع كما سيأتي بيان بعض ذلك.

(١) في الأصل: البرتقال. وقد تمّ التصحيح في جميع المواضع.
(٢) بحر الظلمات: هو الاسم القديم للمحيط الأطلسي.
(٣) انظر عن هذا الموضوع كتاب: (المقتطف من تاريخ اليمن ص ١٤٣).

[قاسم البغدادي الكرماني]

وفيها [٩٠١]: توفي المولى قاسم الشهير بـ (البغدادي الكرماني)[١]. أخذ عن خاله المولى شيخي الشاعر ناظم قصة خسرو سيرين، وقرأ على غيره، واشتغل بالتحصيل، وأجيز بالتدريس، فدرّس في مدرسة أبي أيوب الأنصاري، وولي عدة مدارس بـ (القسطنطينية) و(أدرنة)، ثم صار مدرساً بإحدى المدارس الثمان، وكان يحقق الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق والأصول والمناظرة، وكان حسن التقرير للطلبة، يحقق المسألة تحقيقاً واضحاً حتى تصير مثل فلق الصبح، وإذا ذكر بعض الطلبة إشكالاً بعد ذلك وبّخه، ويقول له: ألم تحضر عندنا في تقرير المقام. وكان يوم التعطيل يذهب بالطلبة إلى بعض المتنزهات أيام الصيف، ويجمعهم في بيته أيام الشتاء، ويباحثهم ويحضر لهم الأطعمة النفيسة، وإن بعضهم يحل في أثناء المباحثة من المشكلات مالا ينحل في الدرس.

وله حواشٍ على إلّهيات شرح المواقف أورد فيها لطائف وتحقيقات غزار يتعجب منها النظار، ويعتبر بها أولو الأبصار. وله أجوبة عن السبع الشداد التي علقها المولى لطفي، وله أشعار لطيفة بلسان الفرس والترك. روّح الله روحه ونوّر ضريحه.

[مصطفى القسطلاني]

وفيها [٩٠١]: توفي مصلح الدين مصطفى القسطلاني[٢]. صحب المولى الفاضل خضر بيك، وكان المولى خواجه زاده والمولى الخيالي وقتئذ معيدين لدرسه ثم صار مدرساً بقصبة (أدرنه)[٣]، ولمّا بنى السلطان محمد خان المدارس الثمان، أعطاه واحدة منها. وكان لا يفتر من الاشتغال والدرس، وكان يقول: او أُعطيت المدارس الثماني لقدرت أن أدرّس كل يوم في كلٍ منها ثلاثة دروس. ثم

(١) انظر (شذرات الذهب ٨/ ٣٧، معجم المؤلفين ٨/ ٩٦ ومنه: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٧٠، الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ١/ ٢٩٤). وثمة تقدير وشكر للأستاذ زيد الفقيه ـ مدير دار الكتب ـ الذي مكّنني من استعارة الكتاب الأخير.
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٤٢، الكواكب السائرة ١/ ٣٠٦).
(٣) وردت في الأصل: مدرني.

أستدعي بكل من البلاد الثلاث ثلاث مرات، وهي مدينة بروسا و(أدرنة) و(قسطنطينية)، ثم جعله محمد خان قاضياً بالعسكر. وكان الوزير وقتئذ محمد باشا قرماني فخاف من المولى القسطلاني لأنه كان لا يُداري أحداً؛ فعرض للسلطان محمد وقال: إن الوزراء أربعة، ولو كان قاضي العسكر اثنين لكان أسهل في المصالح، فمال إلى ذلك وجعل المولى القسطلاني قاضي عسكر روم ايلي، والمولى الحاجي حسن قاضي عسكر (أناظولي)، فلم يقبل القسطلاني المشاركة، فذهب الوزير إليه وألان له الكلام حتى رضي. ولمّا توفي محمد خان ـ وولّي بايزيد الخلافة.. عَزَل القسطلاني وعيّن له كل يوم مائة درهم.

وكان إذا جلس للدرس تارة يتكلم في التواريخ ويورد منها الغرائب، وتارة يتكلم في القصائد العربية.. ويظهر فيها العجائب، وتارة يتكلم في الطب فيأتي بما لم يسمعه أحد، وحكي أنه اجتمع هو وجماعة فضلاء، وتذاكروا في الطب، وذكروا داءً غريباً، فقال القسطلاني: في هذا مرض كذا ذكره ابن سينا في فصل الداء من القانون. فقيل له: هل طالعت القانون جميعه؟ قال: نعم وطالعت الشفاء بتمامه سبع مرات، وكان المولى خواجه زاده إذا ذكره يصرح بلفظ: (المولى) دون مَن عَدَاه مِن أقرانه، وكان يقول: إنه يقدر على حل المشكلات. وأحاط بعلوم كثيرة، إلا أنه إذا أخطأ بحكم البشرية لا يرجع عن ذلك، وله رسالة ذكر فيها إشكالات سبعة على المواقف، وحواشي على المقدمات الأربع التي أبدعها صدر الشريعة. وبنى جامعاً بـ (القسطنطينية)، ودفن عند أبي أيوب الأنصاري. رحمه الله.

[محمد ابن الخُطيب]

وفيها [٩٠١]: توفي محيي الدين، محمد بن تاج الدين الشهير بابن الخطيب[1]. أخذ عن والده تاج الدين في صباه، وعن العلامة علي الطوسي، والمولى خضر بيك، ثم دَرّس بالمدرسة الصغيرة بـ (ازنيق) ثم إحدى الثمان، وجعله السلطان محمد معلماً لنفسه، وكان طلق اللسان جريء الجنان، فصيحاً عند المباحثة، قوياً على المناظرة، وغلب على كثيرين ممن ناظره، ثم عزله السلطان

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٩/ ١٢٥ـ ومنه: كشف الظنون ٨٦٩، ٨٨١، ٨٨٩).

وعيّن له كل يوم مائة درهم وكان المولى بن أفضل الدين مفتياً، فطلعا يوم عيد للسلطان. فلما مَرّا بالعسكر في الديوان سلّم المولى بن أفضل الدين عليهم، فضرب ابن الخطيب بظهر يده على صدره وقال: هتكنا عرض العلم وسلّمت عليهم أنت المخدوم وهم الخدم سيّما وأنت رجل شريف. فلما دخلا على السلطان تلقاهما سبع خطوات، فسلم عليه وصافحه وقال: بارك الله لك في هذه الأيام الشريفة، ولم يُقبّل يده ولم ينحن له، ثم سلم ورجع ثم قال له أصحابه: هذا سلطان الروم واللائق أن تنحني له وتُقبّل يده، فقال: يكفيه أن يذهب إليه عالم مثل ابن الخطيب، ثم إن السلطان بايزيد خان جمعه مع المولى علاء الدين العربي وجماعة من العلماء وجرى البحث بينهم، فانتهى المبحث إلى كلام أنكره السلطان عنه وتكدر خاطره عليه، فصنف ابن الخطيب رسالة في بحث الرؤية والكلام، وحقق ما ادعاه، وأرسلها للسلطان بايزيد على يد إبراهيم باشا، فلما عرضها على السلطان، قال: ما أكتفي بذلك الكلام الباطل باللسان حتى كتبه في الأوراق اضرب برسالته وجهه وقال له: يخرج من مملكتي، فتحير الوزير وكتم الأمر وابن الخطيب يرجو الجائزة من السلطان، وتألم من تأخيرها، وقال للوزير: استأذن لي في المجاورة بمكة، فأرسل الوزير له من ماله بأسم السلطان عشرة آلاف درهم، فاستقلها وعرف أنها من الوزير، ثم وصل كتاب من العلامة جلال الدين الدواني إلى المولى المفتي، وكتب في حاشيته: السلام على المولى بن الخطيب والمولى خواجه زاده، فأخذه ابن الخطيب وأرسله إلى الوزير وقال: تعتقدون فضل خواجه زاده عليّ وأنا مفضل عليه يدل على ذلك كتاب جلال الدين حيث قدمني عليه ذكراً، فقال الوزير هذا كلام دوري والتقديم في الذكر لا يستلزم التقديم في الفضل، وبعد مدة يسيرة توفي ابن الخطيب.

وله مصنفات، منها: حواشي على حاشية شرح التجريد للسيد الشريف، وحواشي على حاشية الكتاب للسيد الشريف أيضاً، وحواشي على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة كتبها بأمر السلطان بايزيد ولم يتمها لمانع هو أنه كان له ابن شاب فاضل حتى أن كثيراً يرجحونه على أبيه في الفضل، وكان مدرساً بمدرسة أبي أيوب الأنصاري، فقتله غلمانه فلهذا لم يتمها. وله حاشية على أوائل حاشية شرح المختصر للسيد الشريف، وحاشية على أوائل شرح المواقف، وحاشية على

المقدمات الأربع، ورسالة في فضل الجهاد، ورسالة في بحث الرؤية والكلام قد تقدم ذكرها.

[علاء الدين علي العربي]

وفيها [٩٠١]: توفي المولى علاء الدين، علي العربي[1]. ولد بحلب، وقرأ بها العلوم ثم رحل إلى الروم وأخذ عن المولى الكوراني ولازمه وقال له يوماً: أنت عندي بمنزلة السيد الشريف عند مبارك شاه المنطقي. وذلك أن السيد الشريف قرأ شرح المطالع ستة عشرة مرة، ثم قال: لا بد لي أن أقرأه على نفسه، فذهب إليه وهو بـ (هراة)، وكان شيخاً هرماً قد بلغ مائة وعشرين سنة، فرفع حاجبه عن عينيه ونظر إلى الشريف فإذا هو شاب، فقال: أنا لا أقدر على تدريسك؛ ولكن إذهب إلى مبارك شاه بـ (مصر) وهو يقرئك كما سمع عني. وكان مبارك شاه تربّى في حجر الشارح وعلّمه جميع ما لديه، فذهب الشريف إلى (مصر) ومعه كتاب الشارح، فلما قرأه قال: نعم. إلا أنك لا تستقل بالدرس ولا تتكلم بل تقنع بمجرد السماع فرضي. ثم إنه في بعض الليالي سمع السيد الشريف يقول: قال الشارح كذا. وقال الأستاذ كذا. وأنا أقول كذا. وقرّر كلاماً ومعاني عظيمة رقص لها مبارك شاه طرباً، فلما أصبح أذن للشريف أن يقرأ ويتكلم بما بدا له، وبعدها قص القصة، قال للمولى العربي: أنا في شدة الطرب والافتخار بك مثل طرب مبارك شاه وافتخاره بالشريف. وأخذ صاحب الترجمة أيضاً من خضر بيك بن جلال الدين علوماً كثيرة، ثم صار معيداً بمدرسة الحديث بـ (أدرنه)، وصنّف هناك شرح العقائد، ثم وُلّي تدريس مدرسة مراد بمدينة (بروسا)، واشتغل بعلم الصوفية وطريقهم، وله كرامات:

منها: أنه كان ساكناً فوق جبل أيام الصيف، فزاره رجل فقال له: إني أجد منك رائحة النجاسة، ففتش الرجل ثيابه فلم يجد شيئاً، وسقط من حضنه رسالة هي من واردات ابن قاضي (سماوه)، فنظرها المولى فوجد فيها ما يخالف

(١) تنظر: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ٣٦. ومنه: الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١١٤٦، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٩٢، هدية العارفين ١/ ٧٣٩).

الإجماع، فقال: كان الريح لهذه الرسالة، وأمره بحرقها، فامتنع، فقال له: احرقها فلا خير لك فيها، فبينما هما كذلك إذ ظهرت النار في قرية الرجل، فذهب ووجد بيته قد احترق، وندم على مخالفة المولى.

ومنها: أن بعض بنيه له ولد، مرض مرضاً شديداً، فذهب إلى والده وكان في الخلوة الأربعينية، فتضرع إليه جداً حتى ذهب معه إلى الولد، فمكث عنده ساعة مراقباً، ثم دعا له بالشفاء وأخذ بيده، وقام كأن لم يكن به بأس. ثم وُلّي المولى إحدى المدارس الثمان، وكان في كل جمعة يجلس للذكر مع المريدين، وكثيراً ما يغلب عليه الحال ويغيب عن حسه، وعيّن له السلطان محمد كل يوم ثمانين درهماً، فلما وُلّي السلطنة السلطان بايزيد زاده خمسين درهماً، ثم وُلّي إفتاء (القسطنطينية)، وعيّن له كل يوم مائة درهم، واستمر كذلك إلى أن مات بها. وكان عالماً بالعلوم العقلية والشرعية، واعتنى بعلم التفسير والحديث والأصول. وكان يحفظ التلويح، ويُدرِّس منه كل يوم ورقتين، وكان يمتحن الطلبة في المواضع المشكلة، ويثني على من أصاب. وكان له ذِكر قلبي يسمعه من بقربه، وربما غلب على ذِكر لسانه فيسكت ساعة حتى يدفعه، ثم يشرع في الكلام. وكان يُصلّي كل ليلة مائة ركعة قبل نومه، ويتهجد آخر الليل ثم يطالع إلى طلوع الفجر. وولد له من صلبه تسعة وعشرون ولداً، خلّف منهم خمسة عشر.

وله حواشي على المقدمات الأربع، وهو أول من كتب عليها، ثم كتب عليها المولى القسطلاني وردّ عليه في بعض المواضع. وكان لا يدخل الحمام، ولمّا مرض مرض الموت عاده الوزراء، وأخذ كل واحد منهم طرفاً من سريره، وأدخلوه الحمام. رحمه الله تعالى.

[أحمد العبادي]

وفيها [٩٠١]: توفي أحمد بن أبي بكر بن محمد الشهاب العبادي، نسبةً لبلدة (عباد) قرية من الغربية من أعمال (القاهرة)، الحنفي؛ تفقّه بالسراج الهندي، وفضل ودرس وشغل الناس وناب في الحكم، وكان يحسن إلى الطلبة، قَدِم (حلب) سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة صحبة الظاهر، ودرّس بجامعها. وكان فقيهاً نحوياً، وانتفع به كثيرون منهم الشهاب الشرحي، أخذ عنه النحو والفرائض وكتب

له تقريظاً على أرجوزة في الفرائض. مات بالقاهرة، رحمه الله تعالى.

[عبد الغني المحلي القاهري]

وفيها [٩٠١]: توفي الشيخ عبد الغني بن أحمد بن عمر المحلي، القاهري، الشرفي نسبة للشرف، بن قاسم ويعرف بابن شداد. وُلد سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بـ (المحلّه)، ورحل عنها وهو صغير إلى (القاهرة)، فقرأ «القرآن» و«الكنز»، ولازم دروس الزين قاسم، وحضر عند النجم بن حجي، وقرأ عليه ابن عقيل، ودخل (دمشق) وغيرها. ونظم وعُرِف بالظرافة واللطف، فمن نظمه في جارية سوداء:

سوداء أضحى ثغرها ... كالبرد المفلج
أو برق في جنح الدجى ... أو لؤلؤ في سَبَج

ودخل (زبيد) سنة تسعمائة، ونظم فيها قوله:

وإذا أراد الله أن يشقي امرءاً ... وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصرٍ بلا ... سببٍ وسكّنهُ بأرض زبيد

وقدّر الله موته فيها في جمادى الأولى، رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد بن الصَّيرفي]

وفيها [٩٠١]: توفى[1] الشيخ أحمد بن صدقة بن أحمد بن حسين الشهاب أبو الفضل بن فتح الله العسقلاني، المكي الأصل، القاهري الشافعي، ويُعرف بابن الصيرفي[2]. كان والده صيرفياً يُعرف بابن شهاب يسكن بحارة (زويلة)، وولد له هذا سنة (٨٢٩هـ) تسع وعشرين وثمانمائة، توأماً لآخر عاش سبعة أشهر. حفظ القرآن وهو ابن تسع، و«العمدة» و«الشاطبيتين» و«الجزرية» و«ألفية ابن مالك» و«ألفية العراقي» و«جمع الجوامع» و«تلخيص المفتاح» و«الخزرجية»[3] و«حاوي

(١) أورد صاحب «معجم المؤلفين» وفاته: سنة ٩٠٥هـ.
(٢) انظر: (معجم المؤلفين ١/ ٢٥٣، الضوء اللامع للسخاوي ٣١٦، وبدائع الزهور لابن إياس ٢/ ٣٦٥، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٦٩، وإيضاح المكنون للبغدادي).
(٣) القصيدة الخزرجية، لضياء الدين الأنصاري الخزرجي المالكي الأندلسي المتوفي سنة ٦٢٦ أو ٦٢٧هـ. (معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٨٢١).

الحساب» و«البردة»، و«بانت سعاد» .. حفظه ذلك كله سنة خمس وأربعين وثمانمائة، ثم أقبل على الفهم والأخذ عن العلماء.

وكان آية في سرعة الحفظ وجودة الفهم، وجدّ في التحصيل، وبرع في عدة فنون، وحصّل المعقول والمنقول في أسرع مدة، وأذن له العلماء بالإفتاء والتدريس، وكان المحلي - مع جلالة قدره، يعظمه كثيراً ويحضر ختومه، وشق ذلك على كثيرين لصغر سنّه وحرفة أبيه، ثم ناب في القضاء، واستمر في الاشتغال والأشغال مع تعاطي الأحكام إلى أن صار من أماثل النواب.

وله عدّة مصنفات، منها: شرح التبريزي في الفقه، وشرح الورقة لابن جماعة في أصول الفقه، وشرح الكافي لشيخه الخواص في العروض، ومقدمة في الفلك، وكتابة على ديوان ابن الفارض. وهو من رؤوس الذّابين عن كلامه الرافعين لأعلامه؛ قال له بعض الشعراء حين سمع قوله في البحث: لم أزل أنا وأبي وجدي وجده أن نعتقده نحن في واقعة لا ننتقل عنها إلى إثبات نسب[1]ج

وله نظم النخبة لشيخ الإسلام ابن حَجر، ونظم الإرشاد لابن المُقري، وله منظومة في الأصول، وأخرى في العروض، وله ديوان؛ ومن نظمه:

استار بيتك أمّن المستجير وقد ... علقتها طامعاً في العفو يا باري
وقد نزلت ببيتٍ قد أمرت بأن ... نأتيه للأمن في العقبى من النار
وإنني جار بيتٍ أنت حافظهُ ... فارحم جواري كما أوصيت بالجار[2]

[إبراهيم القُرشي]

وفيها [٩٠١]: توفي الشيخ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب بن المعتمد، الشيخ الإمام العالم العلامة القاضي برهان الدين القرشي الدمشقي الصالحي الشافعي[3]. وُلد ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، وحفظ «المنهاج» وعرضه على جماعة من

(١) انظر: (الضوء اللامع ١/ ٣١٨).
(٢) في الضوء اللامع: للبحار.
(٣) انظر: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي ١/ ١٢٣).

الأفاضل، ووُلّي القضاء سنة سبعين (٨٧٠هـ)، ودَرّس في المجاهدية والثانية الداخلانية والأتابكية[1]، وتصدّر بالجامع الأموي. وله حاشية سمّاها: «الدلالة على العجالة» في مجلدين.

وحج وجاور سنة اثنين وثمانين؛ ولازم النجم بن فهد، وسمع عليه وعلى غيره بمكة. وكان حسن الأخلاق والمحاضرة، جميل الذِكر، يحفظ نوادر كثيرة. وضع ذيلاً على «طبقات التاج السبكي»، وأكثر فيه من شعر البرهان العراقي.

وأخذ عنه برهان الدين القاضي، وتقي الدين القاري وغيرهم من الأكابر وكانت وفاته عشية الأحد ثالث شعبان، وخلّف دنيا عريضة، رحمه الله تعالى.

سنة اثنتين وتسعمائة

[أبو الجُود الأنصاري]

توفي الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم[2] العلامة (شمس الدين، أبو الجود) الأنصاري الخليلي الشافعي. وُلد في شعبان سنة خمس وأربعين وثمانمائة بمدينة (الخليل) عليه السلام، وحفظ «القرآن»، و«المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، و«الجزرية» وبعض «الشاطبية». واشتغل على والده شيخ الإسلام، ثم أخذ عن جماعة من علماء مصر، من أجلّهم: قاضي القضاة الشرف المناوي، والعلامة كمال الدين بن إمام الكاملية[3] الشافعيان، وأخذ عن التقي الشُمني.

وحصّل وتميّز وأُجيز بالافتاء والتدريس وأعاد بالصالحية. وله تصانيف، منها: شرح الآجرومية[4]، وشرح الجزرية، وشرح مقدمة الهداية في علم الرواية لابن الجوزي، ومعونة الطالبين في معرفة اصطلاح المعربين، وقطعة من تنقيح اللباب لشيخ الإسلام الولي العراقي وغير ذلك.

---

(١) في الضوء اللامع: ودرّس بالظاهرية الجوانية وبالمنداوية برغبة المحب بن قاضي عجلون، وبالمجاهدية الجوانية عن الزين عمر الطرابلسي.

(٢) وفي الأنس الجليل: عبد الرحمن. (معجم المؤلفين ٨/٢٠٦).

(٣) محمد إمام الكاملية. فقيه شافعي توفي سنة ٨٦٤هـ؛ له ترجمة في البدر الطالع ٢/٢٤٤.

(٤) أوردها: «الجرومية». وقد كرر ذلك لاحقاً في تراجم قادمة.

[حمزة البجائي]

وفيها [٩٠٢]: توفي حمزة بن محمد بن حسن بن علي بن عبد الحكيم البجائي ـ نزيل الشيخونية ـ المالكي. وُلد تقريباً سنة (٨٣٩هـ) تسع وثلاثين وثمانمائة بـ (بجاية)، وبها نشأ. وأخذ عن أبي القاسم المشذالي وولده الأصغر، وهو غير أبي الفضل. وقَدِم (تونس) سنة (٨٥٠هـ) ـ خمسين وثمانمائة ـ فأخذ بها عن إبراهيم الأخضري ولازمه وانتفع به، وتمهّر في الأصلين والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة، وقَدِم (القاهرة) في شعبان سنة (٨٧٧هـ) ـ وسبع وسبعين ـ وحج فيها، ثم رجع فقطن (الشيخونية) ثم حج ثانياً، وجاور بمكة وأقرأ بها يسيراً ثم رجع إلى (القاهرة)، ولازم بها درس التقي الحصني، وبحث معه، وكان التقي يثني عليه. واجتمع بالعلامتين الكافيجي والسيفي، وتكلّم معهما، وكان الكافيجي يجله.

وأقام منجمعاً عن الناس، متقشفاً قانعاً. واجتمع به الفضلاء، وكان من أعيان من اجتمع به ابن تقي والخطيب الوزيري، وطلبه السلطان واجتمع به وقرّر له معلوماً وقَبِل شفاعته في بعض الأمور، كل ذلك مع تقشف، وتواضع وزهد، وتوكل وانفراد عن الناس بحيث أنه لم يتزوج.

[حبيب القرماني]

وفيها [٩٠٢]: توفي الشيخ الإمام حبيب العُمَري القرماني النقشبندي الصوفي[1]، ترجمه عبد الرؤوف المُناوي[2]، فقال: الذي عماده مرفوع، وكلامه بين المريدين مقبول مسموع، ولفظه مُنقّح محرر، وفضله لدى أهل الطريق مقرر، وعقود نظمه مؤتلفة، وموارد وعظه مرتشفة.

وهو عُمَري من جهة الأب، بكري من جهة الأم. أصله من ولاية (قرمان) من قرية تُعرف بـ (الوسطى). واشتغل بالعلم الظاهر، ثم ارتحل إلى السيد

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٤٥ـ ومنها: الشقائق النعمانية ص ١٦١، الكواكب السائرة ١٧٧١).

(٢) عبد الرؤوف المناوي. انظر عنه: (معجم المؤلفين ٥/ ٢٢٠) والترجمة المذكورة لعلها في كتابه: الدُرّية في تراجم السادة الصوفية.

يحيى[1] فلقي جماعة من مريديه، فقال لهم: هل يقدر شيخكم على أن يريني الرب تعالى في يوم واحد، وكان فيهم حمزة، فلطمه لطمة شديدة خرّ مغشياً عليه؛ فبلغ ذلك الشيخ يحيى فاستدعاه وأخلاه، فوردت عليه تجليات الحق تعالى مرة بعد أخرى، ثم رجع بإجازته إلى الروم وطاف في طريقه بلاداً كثيرة، وأخذ عن مشايخ عديدة. وكان له إشراف على الخواطر من غير أن يخبره أحد.

[أحمد بن محمد السبكي]

وفيها [٩٠٢]: في يوم السبت لست مضين من ذي القعدة، توفي الشيخ الكبير، العلم الشهير: أحمد بن محمد بن حاتم بن عبد الله السبكي الصنهاجي - بفتح الصاد المهملة على ما اشتهر وضبطها ابن الأثير بضمها، والقاموس بكسرها - الجيسي، القاسي، نزيل القاهرة، المالكي، ويعرف بابن حاتم. وُلد في جمادى ثانية سنة (٨٥١هـ) إحدى وخمسين وثمانمائة، بـ (باب الجيسة) من فاس، ونشأ بها فحفظ «القرآن» و«الرسالة» و«الجرومية» و«ألفية ابن مالك» وغيرها. وأخذ بـ (تلمسان) عن يحيى بن أحمد بن قاسم العقباني، ومحمد بن الجلاب، وجماعة آخرين من (قسطنطينية) وعن أبي القاسم بن أبي حديد، وبتونس عن إبراهيم الأخضري وأبي عبد الله البرمكي. وبطرابلس عن حلولو وآخرين، وبالقاهرة عن إبراهيم بن محمد بن محمود الباجي الشافعي الفقه، والفرائض، وعن السنهوري والنور البنبيتي والتقي الحصني والسيف الحنفي والأمين الأقصرائي وغيرهم، وأجاز له السخاوي.

وحج غير مرة وزار بيت المقدس، ودخل (الشام)، وعاد إلى (القاهرة)، واختص بسلطانها وبالغ هو ووزراؤه في إكرامه، ثم عاد إلى (مكة) وتعددت أملاكه بها، ولم يزل يتردد بين مكة والقاهرة، وعمر بمكة عمارة كبيرة بقرب الباسطية، ثم وقف هذه الدور على أولاده. واشتهر بكثرة الزواج ثم اقتصر على السراري.

وكان له استحضار في الفقه وأحوال أئمة المغاربة، وإتقان فيما يبديه، وتميز في الطب مع مزيد عقل وخبرة زائدة بمداخلة الناس، وإستجلاب الخواطر، وله

(١) في شذرات الذهب: السيد يحيى ابن السيد بهاء الدين الشيرازي.

لسان محفوظ وعقل ملحوظ.

ومما كتبت إليه فاطمة بنت محمود بن سيرين نزيلة مكة:

يا سيدي وإمام الناس كلهم ... ومن حباه بعلم بارئ النسم
بل ان نطقكم أعيت بلاغته ... يا مفرداً جمعه قد شاع في الأمم
يكفي ابن حاتم ما حازت مكارمهُ ... فخراً وقد ساد في عربٍ وفي عُجم
وإن يكن حاسدٌ لا يقتديك إذاً[1] ... قد قيل ينكر طعم الماء من سقم
ها أنت في مكة تُحيي العلوم بها ... تُلقي دروساً وما بالعهد من قِدَم
وتعبد الله حقاً للعبادة في ... طواف بيتٍ وفي ركنٍ وملتزم
لم أنس ما [illegible] الذي مما علمت به ... وأنت تنجدني إذ ذاك من عدم
عسى تتم إحساناً بدأت به ... يا منيتي، وتداوي الكَلْم بالكَلِم

ولم يزل محمود الفعل والكلام حتى وافاه الحمام في هذا العام، وصُلّي عليه عند باب الكعبة، ودُفن بـ (المعلاة) عند الشيخ أبي الخَوْص بـ (شِعب النور)، رحمه الله وإيانا.

[داود القلتاوي]

وفيها [٩٠٢]: ليلة الجمعة لإثنتي عشرة خلت من رجب، توفي الشيخ داود بن محمد بن علي القلتاوي الأزهري المالكي[2]. وُلد بـ(قلتا) قرية من (المنوفية)، ونشأ بها، ثم بعد بلوغه قدِم (القاهرة) فقطن في الأزهر، فحفظ «القرآن»، و«ابن الحاجب» الأصلي والفرعي، و«الرسالة» و«ألفية ابن مالك». وأخذ الأصول والعقليات عن تقي الدين الشمني وتقي الدين الحصني والأقصرائي، وجدّ في الطلب، والتحصيل.

وكانت حافظته أشبه من فاهمته، وكتابته أحسن من عبارته. ومهرَ في العربية والفقه، وتصدّر للأقراء في البرقوقية فانتفع به الطلبة، وصار أحد شيوخ مذهبه، حتى أن قاضي مذهبه النقاني رد على قاضي الجماعة يوم مجلس الكنيسة[3]

(١) في الأصل: إذن.
(٢) انظر: (الضوء اللامع للسخاوي ٢/ ٢١٥).
(٣) في الأصل: الكناسة، والتصحيح من الضوء اللامع.

حين[1] ذكر ما ينقضه بقوله: بل هو بن مدرسي جامع الأزهر من نحو عشرين سنة، قاله السخاوي. وقال الراوردي: من أفراد الدهر علماً وديناً واعتزال الخلق وإقبالاً على أمر آخرته.

شرّح مختصر خليل، وفرعي ابن الحاجب، والرسالة. وعمّ النفع به جداً، وتنقيح العراقي، والخلاصة، والأجرومية، وإيساغوجي. وله مناسك وغيرها.

[محمد الكناني المقدسي]

وفيها [٩٠٢]: توفي محمد بن إبراهيم ـ برهان الدين ـ بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن سعد بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر[2]. الشيخ الإمام شيخ الإسلام، قاضي القضاة خطيب الخطباء، نجم الدين أبو البقاء الكناني المقدسي الشافعي، سبط قاضي القضاة سعد الدين الديري. وُلد أواخر صفر سنة (٨٨٣هـ) ـ ثلاث وثمانين وثمانمائة ـ بـ (القدس) ونشأ به واشتغل على جده وغيره، وأذن له قاضي القضاة ابن شهبة بالإفتاء والتدريس مشافهة حين قدم إلى (القدس)، ولما توفي جده كان أبوه قاضي القضاة، فتكلم له في تدريس الصلاحية؛ فأنعم له فباشره أحسن مباشرة وكان إذ ذاك الكمال والبرهان ابني أبي شريف والبرهان الأنصاري وأبو العباس المقدسي والشيخ ماهر المصري، ثم توفي والده في صفر سنة (٨٧٢هـ) ـ اثنتين وسبعين وثمانمائة ـ فجمع له بين قضاء القضاة والتدريس وخطابة الأقصى. ولم يلتمس على القضاء شيئاً، وتنزّه عن معالم الأقطار مما يستحقه شرعاً. ثم صُرف عن القضاء والتدريس بالعز بن عبد الله الكناني فانقطع يفتي ويدرس ويخطب بالأقصى ثم تولى الصلاحية الكمال بن أبي شريف سنة ست وسبعين وثمانمائة ـ فأعيدت لصاحب الترجمة سنة (٨٧٨هـ) ـ ثمان وسبعين ـ فافتتح التدريس بخطبة بليغة وتكلم على قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾[3] الآية. ثم تنزّه عن القضاء والخطابة وانجمع عن الناس. ومن مؤلفاته شرح «جمع الجوامع» لسبكي سمّاه (النجم اللامع)، وتعليق على «الروضة» إلى أثناء الحيض

---

(١) حين: حتى.

(٢) انظر: (الضوء اللامع ٤/ ٢٥٥).

(٣) سورة يوسف، الآية ٦٥.

في مجلدان، وآخر على «المنهاج» في مجلدان. و«الدر النظيم في أخبار موسى الكليم» وغير ذلك. رحمه الله.

[الجِبّه في حضرموت]

وفيها [٩٠٢]: كانت وقعة الجِبّة المعروفة بحضرموت قتل فيها خلق كثير، وهي بكسر الخاء المعجمة وفتح الموحدة المشددة.

سنة ثلاث وتسعمائة

[عبد الله بن علوي عوهج]

توفي السيد الكبير، العلم الشهير، عفيف الدين: عبد الله بن علوي عوهج ابن علي بن أبي بكر الفخر[1]، عُرِف جده بـ: (البيتي)[2] وعُرِف والده بـ: (عَوْهج)[3]. واشتهر بالفرضي؛ لإحكامه علم الفرائض؛ لأنه تفرد بهذا الفن النفيس في زمانه، وفاق فيه على أقرانه.

وُلد بـ (بندر عدن) المحروس، ونشأ في سوحة المأنوس، واشتغل بتحصيل العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وبرع في العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وراض نفسه في سلوك الطريقة، وأخذ عن جماعة من علماء الحقيقة، وأجازه غير واحد من الأكابر، وانتفع به الأعيان والأصاغر، وبث لهم ما عنده من الدرر والجواهر.

ولزم العمل والعبادة، والطريق الموصل لنيل السعادة. وكان كريماً سخياً، جواداً تقياً، كثير الصدقة والإحسان، والإكرام للضيفان، وكان يحب الفقراء

---

(١) ترجم له المؤلف في كتابه «المَشرع الرَّوِي» ج ٢ ص ١٨٠.

(٢) نسبةً إلى بيت مسلمة ـ بفتح الميمين واللام وسكون السين ـ لمّا سكنها، وهي قرية محفوفة بأشجار النخيل، تبعد عن (تريم) إلى الجنوب بنحو ١٠ كيلومترت، (المعجم اللطيف ٦٠، شمس الظهيرة ١/ ٢١٧).

(٣) قال العلامة الشاطري: عوهج ـ كما يقرأه الشيوخ ـ بفتح العين المهملة والهاء وسكون الواو، موضع باليمن (المعجم اللطيف ١٣٩). وكمال تدريج اسم المُترجَم لَهُ: عبد الله بن علوي عوهج بن علي بن أبي بكر الفخر بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه ـ (المَشرع الرّوي ٢/ ٩٩ و ١٨٠، شمس الظهيرة ٢/ ٥٢٣).

والمساكين، والعلماء والصالحين، ولم يزل على هذه الأحوال إلى وقت الإنتقال، ودُفن بمقبرة (عدن) بالقرب من قبر محيي النفوس، الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم.

[الحسين بن الصديق الأهدل]

وفي سلخ ذي القعدة [٩٠٣]: توفى العلامة: حسين بن الصديق بن حسين الأهدل[١]، ذكره في «النور السافر»[٢] باختصار ومما لم يذكره أنه: ولد في ربيع ثاني سنة خمس وثمانمائة بأبيات حسين[٣]، ونشأ بها، فحفظ القرآن، وبعض المتون، واشتغل بها في الفقه على الفقيهين أبي بكر بن قعيص وأبي القاسم بن عمر بن مُطَيْر وغيرهما، وفي النحو عن أبي بكر المذكور، ثم رحل إلى المراوعة[٤] وأخذ بها عن الشيخ إبراهيم بن أبي القاسم جَعْمان وغيره، ثم دخل مدينة زَبيد سنة ثمان وستين وأخذ الفقه عن الفقيه عمر الفتي[٥] وغيره والأدب عن الزين الشرجي[٦]، ثم حج سنة (٨٧٢هـ) - اثنين وسبعين - وجاور بـ (مكة) سنة، وحَضَر مجالس البرهان المجيوي قاضيها[٧] وأذن له البرهان وغيره، وزار النبي ﷺ وسمع بها من أبي الفرج المراغي، ثم عاد لبلاده وأخذ عن الإمام يحيى العامري وعرض عليه المنهاج.

قال السخاوي في ضوئه[٨]: ولازمني في مجاورتي الثالثة بمكة، فقرأ عليَّ أشياء من تصانيفي بعد أن كتبها بخطه، وكذا سمع من لفظي، وعليّ أشياء. قال: وهو فاضل بارع في فنون، ناظم مفيد حسن القراءة والضبط لطيف العشرة متودد

---

(١) انظر: (هجر العلم ١/ ٤٧، شذرات الذهب ٨/ ٢٠، الضوء اللامع ٣/ ١٤٤، روح الروح، القول الأعدل في تراجم بني الأهدل ١٠٩، نشر الثناء الحسن ١/ ٢٨٨).

(٢) ص ٢٧ - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) أبيات حُسين: قرية عامرة من قُرى بني جامع بمديرية اللُّحيّة وأعمال محافظة الحديدة.

(٤) المراوعة: مدينة ما بين الحُديدة وبَاجل، تبعد عن الحديدة شرقاً بمسافة ٣٠ كيلو متراً.

(٥) الفتي: (المفتي).

(٦) في الأصل غير منقوطة.

(٧) في النور السافر: «وحضر مجالس البرهان والمجيوي قاضيها» بإضافة (و) بعد البرهان.

(٨) الضوء اللامع: ٣/ ١٤٥.

قانع عفيف أقرأ الطلبة بناحيته، وقرأ الحديث على العامة سيّما القول البديع ونحوه. مدحني بقصيدة أنشدنيها بحضرة الجماعة وكتبت له إجازة عامة حافلة. ورأيت النجم بن فهد كتب عنه من نظمه كثيراً وترجمه. انتهى.

وله ديوان شعر أجاد فيه وأبدع، وأودع فيه من الإحسان ما أودع، ومن نظمه هذه القصيدة اليتيمة والوسيلة العظيمة:

يا رسول الله غوثاً ومدد[١] ... أنتم الوالد والعَبْد ولَدْ

يا رسول الله في جاهك ما ... يبلغُ القاصدُ أقصى ما قَصَدْ

يا رسولَ الله ما لي سندٌ[٢] ... غير حُبِّك ويا نعمَ السَّنَدْ[٣]

يا رسولَ الله قَوِّمْ أَوَدي ... فلكم قوَّمتَ بالدِّين أَوَدْ

يا رسولَ الله هل من نصرةٍ[٤] ... تُصْلِحُ القلبَ سريعاً والجَسَدْ

يا رسولَ الله هل من جَذْبة ... تجذبُ العبدَ إلى النهج الجَدَدْ

يا رسولَ الله هل من عَطْفةٍ ... تُسعفُ العبدَ إلى طُرُقِ الرَّشَدْ

يا رسولَ الله هَلْ من نَفْحة ... منك تأتي ومنَ الفَرْدِ الصَّمَدْ

يا رسولَ الله كُنْ لي شافِعاً ... أنت والله شفيعٌ لا تُرَدْ

يا رسولَ الله هل تَشْفَعُني ... أي وربي تسمع القول مقَدْ

أنا بالله وبالوجه الذي ... قال ذو العرش له اسْجُد فَسَجَدْ

سيِّد الرُّسل خِتام الأنبياء ... صاحب السَّجدة والقَول الأسدْ

أصل مبدأ الكونِ بل غايته ... حجّة الله على كلِّ أحدْ

رحمةُ الله التي عمّ بها ... كلَّ مَخلوق على مر الأبَدْ

صفوةُ الله من الخَلْقِ معاً ... فهو الجوهَر والخَلْقُ زَبَدْ

الذي قد خصّه الله بما ... يعجز العدّ فلا يُحصى عَدَدْ

كلما في الأنبياء من شَرَف ... ضُمَّ فيه بعد أن كان بَدَدْ

---

(١) في النور السافر: عوناً مَدَد.

(٢) في النور: مالي عضُدٌ.

(٣) في النور: العَضُد.

(٤) في النور: هل من نظرةٍ.

وَلَقَدْ زِيْدَ عليهم شَرَفاً ... واختصاصاتٌ بمعناها انْفَرَدْ
مَنْ ليومِ الجَمْعِ إلا أحمد ... يومَ لا والدٌ يُغني عن وَلَدْ
ينقذُ النّاس بسجداتٍ له ... من هُمومٍ وكُروبٍ وشِدَدْ
يا مجليَ الكرْبِ اجبر واعن[1] ... ما رآكَ الكَرب إلا وشَرَدْ
يا مليحَ الوجهِ يا خَيْرَ الوَرَىٰ ... أنت بَعْدَ الله نِعْمَ المُعْتَمَدْ
يا عظيمَ الجاهِ والفضلِ ويا ... أكرمَ الخَلْقِ إليك المُسْتَنَدْ
مدحتي نحوك قد أهديتها ... فأجرني بقبولٍ ومَدَدْ
واسأل الرّحمٰن لي من فضلهِ ... العَفْوَ والغُفران والرزق الرَّغَدْ
ربُّ جنِّبنا بجاه المُصْطَفىٰ ... كلَّ كدٍّ وبلاءٍ ونَكَد
واقضِ حاجاتي واصْلِحْ عمَلي ... واختُمِ العُمْرَ بخيرٍ إنْ نَفَدْ
وكذاك الآل والأصحاب من ... قَدْ دنا منهم إلينا وابتعَدْ
وصلاة الله مع تسليمه ... لرسول الله من غير أمَدْ
وكذاك الآل والأصحاب مَن ... قام للدِّين بنصرٍ واجْتَهَدْ
ببقاءِ الله تَبْقَىٰ دائماً ... وعلى الآل فهُمْ أهلُ الرَّشَدْ[2]

ووقع له ـ نفعنا الله به ـ أنه لما زار جده ﷺ وقف عند القبر الشريف وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

إن قيلَ زُرتُم بما رَجعتم ... يا سيِّدَ الرُّسْلِ ما نقولُ

فسمع الجواب من حجرته ﷺ:

قُولوا رَجعنا بكلِّ فَضْلٍ ... واجتمعَ الفَرعُ والأصولُ

وقد وقع مثل ذلك بجماعة أنهم سمعوا الجواب من الحجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، منهم: الإمام تاج العارفين محمد البكري كما يأتي. ومن نظمه رحمه الله:

(١) في النور: يا مجلي الكُرَب السود أغث.
(٢) ورد في النور السافر مكرراً مع شيء من التغيير، كالتالي:
ببقاء الله تبقى وعلى الآ ... ل والصَّحْبِ فهُمْ آل الرَّشَدْ
ببقاء الله تبقى دائماً ... وعلى الآل فهُمْ آل الرَّشَدْ

قد كان مِن سُنّة خير الوَرىٰ ... صلّىٰ عليه الله طول الزمن
أن لا يرد الطيبَ والمتكا ... والتمر واللحم كذا اللبن

وله مؤلفات فائقة ومجموعات رائقة، منها: مولد لطيف مشتمل على كل معنى ظريف، شرحه الشيخ عبد الرحمٰن بن زياد شرحاً حسناً، ومختصر الدرة، ومختصر قمع النفوس للحصني، واختصر «سفر السعادة» للمجد الفيروزأبادي.

وفي آخر عمره رحل إلىٰ (بندر عدن)، ولازم الشيخ الإمام العالم الهمام محيي النفوس: أبو بكر بن عبد الله العيدروس. ولم يزل يعلم الحقائق يتحقق إلىٰ أن مضىٰ إلىٰ دار البقاء والتحق، ودُفن بـ (عدن) في الرباط عند جدّيه، وهذا الرباط يقال له: (رباط الشاذلية) نسبةً للشيخ علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا[1]؛ فإنه الذي اتخذ هذا الرباط ورتّب فيه السيد الجليل أبا القاسم بن عبد الرحمٰن الأهدل وصنوه الشريف حسين بن عبد الرحمٰن، وتوفيا هناك ودفنا بالرباط المذكور، ودفن عندهما صاحب الترجمة. رحمهم الله تعالىٰ وإيانا.

[علي الفَنَاري]

وفيها [٩٠٣]: توفي المولىٰ علاء الدين: علي بن يوسف بن شمس الدين محمد بن محمد الرومي المعروف بالفناري[2] لُقّب بجده. نقل السيوطي عن شيخه الكافيَجي أن الفناري نِسبةً إلىٰ صنعة الفنار، ونُقِل عن غيره: أنه نسبةً إلىٰ قريةٍ تُسمّىٰ: فَنار.

وكان علاء الدين متقناً في عدة علوم ورحل إلىٰ (هراة) و (سمرقند) و (بخارى)، وأخذ عن كثيرين من علمائها ودرّس هناك، وعاد إلىٰ الروم، وكان المولىٰ الكوراني يقول للسلطان محمد خان: لا تتم سلطنتك إلا أن يكون عندك واحد من أولاد المؤلف الفناري، فلما عاد عيّن له مدرسة مناشير بمدينة (بروسا)، وعيّن له خمسين درهماً كل يوم، ثم أعطاه مدرسة والده وعيّن له ستين درهماً، ثم

(١) انظر ترجمته في: (النور السافر ٤٥٥).
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٥٠. ومنه: الكواكب السائرة ١/ ٢٧٨، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١١١).

وُلّي قضاء (بروسا)، ثم قضاء العسكر، واستمر فيه عشر سنين، وترقت العلماء بهمته إلى أوج الشرف، ولمّا وُلّي السلطان، أعطاه قضاء عسكر (روم إيلي) ـ، وكان منهمكاً في العلوم، وله مكان على جبل فوق (بروسا) يمكث فيه الفصول الثلاثة للاشتغال.

ولا ينام على فراش وإذا غلبه النوم استند إلى جدار. وكان ماهراً في العلوم الرياضية، وفي علم الكلام والأصول والفقه والنحو والبلاغة، وأخذ علم التصوف عن العارف الشيخ حاجي خليفة قُدِّس روحه، وأدخله الأربعينية، وله ذوق عظيم في ذلك. ولما عُزل قلّ ماله فقيل له: وليتم هذه المناصب فأين محصولها؟ قال: كنت سكراناً ـ يريد غرور الجاه ـ ولم يوجد عندي من يحفظه. وكان يغلب عليه الصمت إلا إذا ذكر صحبته مع السلطان فعند ذلك يورد الحكايات العجيبة واللطائف الغريبة. وكان يقرأ «المطول» في كل يوم سطراً أو سطرين، وكان يستشهد بالأبيات الكثيرة فسُئل عن ذلك قال: عادة الطلبة في بلاد العجم أنهم يجتمعون بعد العصر فيتذاكرون الشعر إلى المغرب. قال: وكنت أحفظ من الغزل عشرة آلاف.

وكان منصفاً رَجّاعاً إلى الحق إذا ظهر على خلاف ظنه، وقال يوماً لأصحابه: لم يبق من حوائجه إلا ثلاث: أن أكون أول من يموت من أهل بيتي، وأن لا يمتد بي مرض، وأن يختم لي بالإيمان. فكان هو أول ميت من أهله وصلى الظهر فمرض، وقضى عليه وقت العصر، والمرجو من فضل الله أن يستجيب له في الثالثة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الله المرشدي]:

وفيها [٩٠٣]: توفى عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب عفيف الدين بن الجمال المرشدي المكي. ولد ليلة عرفه بعد العشاء سنة (٨٢٢هـ) ـ اثنين وعشرين وثمانمائة ـ بـ (مكة المشرفة)، ونشأ بها، فحفظ «القرآن» و«القدوري»، وانتقل وسمع على ابن الحراري في سنة (٨٢٨هـ) ـ ثمان وعشرين ـ تصنيفه في «المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد»، وأجاز له في سنة مولده الولي العراقي حين حج، وكذا محمد بن حمزة بن العبادي، وغيرهما.

وعمّر حتى بلغ الثمانين وانجمع عن الناس، ومات ليلة الأربعاء لثمان بقين من شوال، ودفن بـ (المعلاء) بالقرب من الفضيل بن عياض. نفعنا الله بهم آمين.

[محمّد بن بَرَكَات]

وفيها [٩٠٣]: في يوم الثلاثاء حادي عشر محرم، توفي صاحب الحجاز وأميره الشريف: محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي بن أبي سعيد الحسن بن علي بن قتادة[1]. وُلد في رمضان سنة (٨٤٠هـ) ـ أربعين وثمانمائة ـ بـ (مكة)، ونشأ في كنف والده، ولما كبر والده وضعف أرسل إلى السلطان دانيال صاحب (مصر) أن يولّي ولده محمد، وتوفي والده بركات في التاسع عشر من شعبان سنة (٨٩٩هـ) ـ تسع وتسعين وثمانمائة ـ، وكان محمد غائباً ووصل تفويض السلطان له في عشرين شعبان.

وكان الشريف محمد حسن الصفات كثير الخيرات، عمّر بمكة عمائر لم يسبق إلى مثلها، منها: رباط كثير بأجياد، ومدرسة وسبيل بالمعلاة، وصهريج ببئر شميس، وسبيل بطريق وادي مر، وسبيل بجدة، وسبيل بالرعامة. ووقف ما له من الدور والأراضي على أولاده حياته.

وجملة أولاده يزيدون على ثلاثين. واستمر منفرداً بولاية (مكة) من غير شريك إلى أن أصابته حبة في رقبته تحت أذنه، واستمر يتألم بذلك إلى أن توفى خارج (مكة) بوادي الآبار، وحمل إلى مكة على أعناق الرجال، وصُلّي عليه عند الكعبة الشريفة، وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه بعد صلاة الصبح، ودفن أمام قبة أبيه بوصية منه، ثم بُني عليه قبة عظيمة. قال ابن فهد: ولما وصلوا (مكة) فتحت البلاد وغلقت الأسواق ستة أيام ووقفت الربعان بالمسجد الحرام والمعلاة صباحاً ومساء بحضرة الأشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم، وأنشد الشعراء المراثي الكثيرة، وأطنب الأدباء في مدحه، منهم: خراج بن حسن السليماني الجازاني، مدحه بقصيدة مطلعها:

قلب سكاب زرود وعميد ... ولوعة ما برحت في مزيد

(١) انظر: (الأعلام ٦/٥١) وفيه مصادر ترجمته.

وتولى بعده ولده بركات.

[المتوكل الثاني]

وفيها [٩٠٣]: توفي يوم الأربعاء سلخ محرم الخليفة المتوكل على الله تعالى أبو العز: عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله العباسي المصري(١). وُلد سنة (٨١٩هـ) ـ تسع عشرة وثمانمائة ـ وأمه بنت جندي اسمه حاج ملك، ولم يلِ الخلافة والده. ونشأ المتوكل معظماً محبوباً للخاصة والعامة، لخصاله الجميلة، ومناقبه الحميدة الجزيلة، وتواضعه وحسن سمته وبشاشته لكل أحد لكثرة أدبه.

وله اشتغال بالعلم، قرأ على أبي بكر السيوطي والد الجلال وغيره، وزوّجه عمه المستكفي بابنته فأولدها ولداً صالحاً فهو هاشمي ـ هاشميين ـ ولما طال مرض عمه عهد إليه المستنجد بالخلافة ـ والسلطان يومئذ الملك الأشرف، قايتباي ـ فلما مات المستنجد بويع بالخلافة يوم الإثنين سادس عشري المحرم(٢) بحضرة السلطان والقضاة والأعيان، ولُقّب بالمتوكل على الله. وركب من القلعة إلى منزله المعتاد، والقضاة والمباشرين والأعيان بين يديه، وكان يوماً مشهوداً، ثم عاد من آخر يومه إلى القلعة حيث كان المستنجد ساكنٌ بها، وذلك سنة (٨٨٤هـ) ـ أربع وثمانين وثمانمائة ـ وهي السنة التي سافر السلطان الملك الأشرف، فيها إلى الحجاز برسم الحج فحج وذلك إبرام بعهد الملك أكثر من مائة سنة وعهد بالخلافة لولده المستمسك بالله، وبه ختم الحافظ السيوطي تاريخ الخلفاء.

[محمد بن حسين القمّاط]

وفيها [٩٠٣]: توفي القاضي: محمد ابن حسين بن محمد بن حسين القمّاط الزبيدي(٣)، الإمام العلامة البحر الفهامة. وُلد ببلدة زبيد في شهر صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، ونشأ بها وحفظ «القرآن» وغيره، واشتغل بتحصيل العلوم، واعتنى بفن الفقه، ولازم العلامة القاضي الطيب الناشري مصنف «الإيضاح»،

(١) انظر: «الأعلام ٤/ ٢٩». وهو من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر.
(٢) الشهر ساقط من الأصل، وأثبتناه من كتاب: «الضوء اللامع ٤/ ٢٤٦».
(٣) انظر: «النور السافر ٣٧، شذرات الذهب ٨/ ٥٣».

والعلامة عمر المفتي، والفقيه كمال الدين موسى الضجاعي، وغيرهم من علماء عصره. وبرع في الفقه، وشارك في عدة فنون وأجازه غير واحد من مشايخه في الدرس والافتاء، فدرّس وأفتى.

وكان لا يمل من الاشتغال والتحصيل بالنهار والليل، وحصّل كتباً كثيرة بيده، وكتب إليه الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر ـ أول ملوك بني طاهر ـ يستدعيه من (زبيد) إلى مدينة (جُبَن)، فوصل إليه وأكرمه غاية الإكرام، واحترمه الاحترام التام، وولّاه قضاء (بندر عدن). ثم توفي الملك المجاهد يوم السبت لعشر خلون من ربيع الآخر سنة (٨٨٣هـ) ـ ثلاث وثمانين وثمانمائة ـ قبل مسيره إلى محل ولايته، واستمر قاضياً بـ (عدن) إلى سنة تسع وتسعين وثمانمائة، فَعُزل لالقاضي العلامة أحمد بن عمر المُزجَّد، ورجع إلى وطنه (زبيد)، وأقام بها على التدريس والإفتاء، ونشر العلم. وتخرّج به جماعة من الفضلاء، وانتفع بعلمه الناس، وكان كثير الاستحضار للفروع جيد الاستنباط. ولم يزل على هذه الحالات حتى وافاه وقت الممات، وانتقل إلى رحمة رب البريات، رحمه الله تعالى وإيانا.

[إبراهيم السجلماسي]

وفيها [٩٠٣]: توفي الشيخ: إبراهيم بن هلال الفلالي(١)، السجلماسي، المالكي، الفقيه الصالح. رحل إلى مدينة فاس، واشتغل على جماعة بها، منهم: العلامة ابن املاق والغوري وغيرهما. وألّف مناسك الحج، وله تعليق على مختصر خليل ولم يتم، واختصر «فتح الباري» للحافظ ابن حَجَر، وله فتاوى مجموعة مفيدة، وله نظم شهير ونثر كثير، وانتفع به جماعة من الطلبة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن عمر القيومي]

وفيها [٩٠٣]: توفي محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن أسد المكي، الأديب المعروف بأبي عبد الله القيومي(٢). نشأ

(١) انظر: «معجم المؤلفين ١/ ١٢٤».
(٢) انظر: «الضوء اللامع ٨/ ٢٤٦».

بـ (مكة)، واشتغل قليلاً، وتولّع بالأدب ونَظَم ونثر وهجا ومدح الأكابر، وحصلت له إهانة أنه هجا بعض أكابر بني ظهيرة[1] أُخْرِج بسببه من (مكة) وسافر إلىٰ (القاهرة) و (دمشق) وجال البلاد. وله ديوان شعر حافل علىٰ طريقة المتأخرين في الشعر من المثابرة علىٰ الرقة والنكت البديعية علىٰ طريقة شيخ الأدباء ابن نباتة، رحمهم الله وإيانا.

سنة أربع وتسعمائة

[يوسف الجبائي]

توفي الشيخ الإمام شيخ الإسلام: يوسف بن يونس بن يحيى المقرىء الجبائي[2] بمدينة (زَبيد).

و (جَبَاء) ناحية مشهورة غربي مدينة (تعز).

كان إماماً عالماً عاملاً محققاً كاملاً قوي الإدراك جيد الفطنة حسن الاستنباط، وتفقه بعلماء مصره وفضلاء عصره، ثم رحل إلىٰ مدينة (عدن) وأخذ عن إمامها العلامة القاضي: محمد بن سعيد كُبن، ولازمه حتى تخرج به، وبرع وتميز وساد الأقران، وجاد في التحصيل حتىٰ سار واحد الزمان.

ووُلّي قضاء الأقضية في قُطر اليمن، ولم يشغله القضاء عن التدريس والإفتاء، وارتحل إليه العباد من جميع البلاد، وانتفع به جمع غفير، وتخرج به كثير، منهم: العلامة موسى بن زين العابدين الرداد، والعلامة القاضي أحمد بن عمر المُزجَّد. وكانت له ثروة عظيمة وأتباع ورئاسة تشبه رئاسة الملوك، وكان عمدة علماء قُطره في الفتاوىٰ، ومن وَقَفَ علىٰ كلامه ورأى فيه من سعة اطلاعه، وحُسن استنباطه، واقتدر أمره علىٰ تحرير المواضع المشكلة وحلّها وتقريرها علىٰ أحسن الوجوه.. عَلِم جلالة الرجل وعلو مقامه في العلوم.

(١) أبي المكارم بن ظهيرة.

(٢) انظر (النور السافر ٣٨، هجر العلم ١/٣٠٠، الضوء اللامع ١٠/٣٣٨، المدارس الإسلامية ١٠١).

[الناصر ابن قايتباي]

وفيها [٩٠٤]: في يوم الأربعاء منتصف ربيع أول قُتِل أبو السعادات الملك الناصر محمد بن قايتباي[1]، ولمّا مرض والده واشتد مرضه.. اجتمع أمير المؤمنين المتوكل علىٰ الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب العبّاسي والقضاة وأركان الدولة من أهل الحل والعقد بقلعة الجبل وبايعوا الملك الناصر السلطنة بحضرة والده، وجلس علىٰ التخت يوم السبت لست خلون من ذي القعدة سنة (٩٠١هـ) ـ إحدى وتسعمائة ـ وسِنّه، يومئذ نحو خمس عشرة سنة، فقام بتدبير ملكه «كرتباي الأحمر» وفي عشية يوم الأحد توفي الملك الأشرف في قيتباي؛

وكان الناصر يغلب عليه السفه والدعة، ميالاً للعب واللهو والمبتدعة والحركات المستبشعة، علىٰ ضد ما كان عليه والده، فوثب عليه قانصوه خمسمائة وأثبت عجزه عن المُلك، وعزله وتسلطن هو مكانه آخر جمادى أولى سنة (٩٠٢هـ) ـ اثنتين وتسعمائة ـ فقامت عليه العسكر بعد ثلاثة أيام، فهرب إلىٰ (غزة)، وفُقِد في وقعة (خان يونس)، وجُدِّدت البيعة لمحمد بن قايتباي بعد ثبوت رشده، ثم شرع في مخالطة الأوباش وارتكاب الفواحش، ويُحكىٰ عنه أمور قبيحة، (منها) أنه إذا سمع بامرأة حسنة هجم عليها. وقطع رأس فرجها، ونظمهُ في سلك أعده لذلك.

(ومنها) أن والدته، وكانت من أعقل النساء وأجملهن، هيأت له جارية جميلة ووهبته إياها، وأعدت له بيتاً زينته بأنواع الزينة، فدخل بها وأغلق الباب وربطها، وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهي تصرخ بأعلىٰ صوتها، فلما سمعوها وأرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لكونه أحكم غلق الباب من داخل، واستمر إلىٰ أن سلخها وحشىٰ جلدها بالأثواب الحرير، وخرج يُظهرهم استاذيته في السلخ وأن الجلادين يعجزون عن كماله في هذه الصنعة.

(ومنها) أنه مر وهو في موكبه بدكان حلواني فأقامه من دكانه، وجلس هو مكانه يبيع الحلوى، ودار حوله عسكره يشترون منه وأخذ بيده الميزان، وصار يزن

(١) انظر: (النور السافر ٣٨، شذرات الذهب ٨/٥٥، الأعلام ٧/٩).

لهم الحلوى حتى فرغت.

وكانت له حركات من هذه الخرافات منها مضحكات ومنها مبكيات إلى أن سقط من عين العسكر، وعذبوه وقتلوه، ولَعَذاب الآخرة أكبر. فمن غروره أنه خرج مختفياً منفرداً عن عبيده وخدمه متباعداً عن خَوله وحشمه، وتوجه راكباً إلى (بر الجيزة) فكمن له جماعة من مماليك أبيه في مخيمه على طريقه، فلمّا مر بهم خرجوا عليه، وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه، وجاؤوا بجثته فدفنوها في تربة أبيه، وولّوا خاله أبا النصر قانصوه، ولَقَّبوه بالملك الظاهر، حضره الخليفة والقضاة بعد صلاة الجمعة سابع عشر ربيع أول، وعمره يومئذ نيف وعشرون سنة.

وكان ساذجاً أمياً لا يعرف إلا بلسان الجركس[1]، قريب العهد ببلده لأن السلطان قايتباي طلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة أخته خوانذام زوجة قايتباي أم ولده الناصر، وهي التي أقامته مقام ولدها، وبذلت له الأموال والخزائن. واستمر سنةً وسبعة أشهر، وأخرجوه من المُلك أواخر سنة خمس وتسعمائة، واختفى الملك الظاهر، واستمر مخفياً أزيد من نصف شهر، ثم حُبِس بالإسكندرية سبع عشرة سنة إلى أن قتله السلطان سنة (٩٢٣هـ) - ثلاث وعشرين وتسعمائة - وعمره نحواً من أربعين سنة. وفي ثاني الحجة وُلّي (جان بلاط)[2] ولُقِّب بالملك الأشرف، وهو من أعيان مماليك قايتباي، واستمر ستة أشهر وستة عشر يوماً وخُلِع، ثم تولّى بعده (طُومان باي)[3] ولُقِّب بالملك العادل، وهو من مماليك قايتباي أيضاً.

سنة خمس وتسعمائة

[عبد الرحمن بن عبد الله دويد باعلوي]

توفي السيد الجليل، ذو المجد الأثيل، والأصل الأصيل، السيد: عبد الرحمن بن عبد الله دويد[4] باعلوي الحسيني، أحد العلماء العاملين،

---

(١) قال مؤلف الأعلام (٤/ ١٨٧): لم يكن يعرف العربية لأنه لم يتهيأ له ما تهيأ للمماليك المولّدين بمصر.

(٢) انظر عنه: (الأعلام ٢/ ١٠٧).

(٣) انظر: (الأعلام ٣/ ٢٣٣).

(٤) انظر: (المشرع الروي ٢/ ١٢٩، شمس الظهيرة ١/ ٤٠١).

والأولياء الصالحين، وُلد بمدينة تريم وحفظ القرآن العظيم، وحفظ «منهاج النووي» و«الأربعين» و«العقيدة الغزالية» و«الملحة». وتفقّه على جماعة، منهم: شيخ الإسلام محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، وأخذ عن الشيخ علي والسيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء، وبرع في الحديث والتصوف والفقه، وشارك في غيرها من الفنون.

وكان زاهداً في الدنيا، قانعاً منها باليسير، متقشفاً في الملبس والمسكن والمطعم، متودداً إلى الناس، يحب الفقراء وطلبة العلم ويكرمهم، وإذا علم بجنازة شيعها وإن لم يعرف صاحبها. وكان حسن الخُلق قليل الغضب، متواضعاً، لا يرى لنفسه فضلاً على أحد، ومَن اعتدى عليه أحسن إليه. وكان كثير الصيام، كثير التهجد والقيام. ولم يزل على هذه الصفات إلى أن مات، ودفن بمقبرة (زَنبل) رحمه الله تعالى. وقد ذَكرت ترجمته في «المشرع الرَّوي» بأبسط مما هنا، رحمه الله ونفعنا به.

[أحمد بن محمد عُبَيه]

وفيها [٩٠٥]: توفي أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبية شهاب الدين. قاضي القدس الأثري الشافعي، نزيل دمشق، الشهير بابن عبيه[1]. وُلد ثاني عشر ربيع أول سنة (٨٣١هـ) - إحدى وثلاثين وثمانمائة - واشتغل بالقدس، وحصّل، ووُلّي قضاء (بيت المقدس)، وامتحن بسبب العمامة[2]، ثم رحل إلى (دمشق)، وقطن بها ووعظ، وذَكّر بالجامع الأموي؛ وله شعر لطيف، وخط حسن، وحُكي: أنه بات ببيت بعض أصحابه وكان بقربه ناعورة على النهر تدور وتئن فقال منشداً:

وناعورةٍ أنّت فقلت لها اقصري ... أنينك هذا زاد للقلب في الحزن

لقد حنّنتني النفس أنك راحل ... فزاد أنيني قلت ماكفيتاني[3]

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٥٨، الكواكب السائرة ١/ ١٢٤، متعة الأذهان من التمتّع بالأقران ق ١٧).

(٢) في الضوء اللامع: ووُلّي قضاء القدس وامتُحن في حين الترشّم على كنيسة اليهود - (الضوء ٢/ ١٨٥).

(٣) في «شذرات الذهب» بيت آخر قال فيه:

فقالت أنيني إذ ظننتك عاشقاً ... تُرِقّ لحال الصب قلت لها إني

قال النجم الغَزِّي: ولو قال: لقد صدقتِ لكان أولى. ومن شعر ابن عبية قوله من قصيدة:

بأبي أزج حواجبٌ وعيون   يسلب بصادٍ للقلوب ونون
فـفؤادي للعقل منه ناقص   بمثال ذاك الأجوف المقرون
يا نظرة قد أورثت قلبي الردى   بأبي جفونٌ مذنبٌ وجفونٌ
نظرت غزالاً ناعساً يرعى الكرى   فهي التي جلبت إليّ منوني
قال العذول في شرك الهوى   فأجبت هذا من مقال عيوني
يا قاتل الله العيون فإنها   حكمت علينا بالهوى والهون

إلى أن قال وأجاد:

خدعوا فؤادي بالوصال وعندما   نشب الهوى في أضلعي هجروني
هجروا ولو قد ذاقوا الذي قد ذقته   تركوا الصدود وربما وصلوني
لم يرحموني حين حان فراقهم   ما ضرّهم لو أنهم رحموني
ومن العجائب أنهم نسوا وُدِّي ومن   ودي لهم كل الورى عرفوني

وقال في مخلصها ما دحا لرسول الله ﷺ:

ما مخلصي في الحب من شرك الهوى   إلا بمدح المصطفى المأمون
زين الأعراب في القراع وفي القرى   زين الكتائب لم يخف بمنون
بدرٌ تبدّى في جبين لـموغى   فسقى عداه بصارم وحنين
في البأس ما في الناس مثل محمدٍ   كلا ولا في الحُسن والتمكين

وتوفي ليلة السبت ثالث جمادى أولى بـ (دمشق)، رحمه الله، ودفن شمالي ضريح الشيخ حمّاد في مقبرة باب الصغير.

[مقتل ابن محارش]

وفيها [٩٠٥]: لأربع خلون من صفر، أصبح ابن محارش ـ صاحب الجوف ـ مقتولاً في مخيم السلطان الظافر بـ (رداع العرش)، ولم يعلم قاتله ثم لمّا بلغه أن قاتله من بني عبد[١]، تجهز لغزوهم فلما علموا بذلك، لجؤوا إلى اليهودي

---

(١) أوردها محقق «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» بالياء (بني عيد) وهو خطأ والأصح=

الملعون الناقض للعهد الذي يبلد بَيْحان وخرج من طاعة السلطان، ونكث من بعد عهده الأيمان وطعنوا في دين أهل الإسلام والإيمان، وركب الخيل والفرسان ومعه خَلْق من اليهود خصوصاً مَنْ تَهوّد بعد إسلامه، فجهّز الظافر إلى (بَيْحان) في عساكر عظيمة، وتَيمّمهم قوماً بعد قوم موهماً أن لا غرض له سوى، صيد الغزلان والريم، فتقدم الأمير علي بن محمد البعداني في جماعةٍ من الأمراء إرسالاً إلى أن وصلوا إلى خلف (بيحان) من الربع[١] الذي هو غير مسكون، ثم تبعهم الظافر موهماً أن غرضه الاصطياد فما زال يقطع البلاد حتى دخل (بيحان) فلمّا علم به اليهودي تنحّى هو ومن معه من أولاده وأمواله ودوابه، وقبض بنو عبد ولزم قاتل ابن محارش في جمع كثير من قومه، ثم توجه الظافر إلى (بني أرض) فأخذ حصونها وأطاعه أهلها ثم عاد إلى (رداع) في ربيع أول.

[من أخبار الشريف بركات بن محمد]

وفيها [٩٠٥]: أرسل الشريف بركات بن محمد[٢] تجريدة إلى العرب من مولدي صاحب (حلي بن يعقوب)، فسبقت الخيل قبل الرجل وتلاقوا مع العرب، فقتل أحد عشر شريفاً، وجماعة من غيرهم بينهم واضح بن زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان ومحمد بن علي البوني وبشير عبد الشريف بركات، وتحاجز الفريقان، وأرسلوا للشريف بركات يطلبون النجدة منه، فَهمّ أن يخرج بنفسه ثم ترك وأرسل عسكراً كبيراً، فلما التقوا انهزمت عرب (حلي) وقُتل بعضهم وأسر بعضهم، وأسر قيس بن محمد بن دريب الذي وَلّوه عليهم، وأخذوا الخيل والسلاح ونقوا الأسارى إلى اليمن بدخالة المشايخ، وأمَر بالزينة سبعة أيام.

[صفي الدين الأَرْدَبيلي]

وفيها [٩٠٥]: ظهر في بلاد العُجم: شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر ابن

= أنها بالباء، قبيلة وبلد فيما بين حَريب وبلاد شَارع وعدادها من مديرية السَّوادية محافظة البيضاء.

(١) الربع الخالي.

(٢) انظر عنه: (الأعلام للزركلي ٤٩/٢) ـ وستأتي له ترجمة في حوادث عام ٩٣١هـ، وهي السنة التي توفي بها.

جُنيد بن إبراهيم بن سبهان خوجة شيخ علي بن صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي وإليه تنسب أولاده، فيقال لهم (الصفويون)[1]، وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في (أردبيل) وله سلسلة في المشايخ أخذها عن شيخ زاهد الكيلاني، وتنتهي بوسائط إلى شيخ الإسلام الشيخ أحمد الغزالي. وتوفي صفي الدين سنة (٧٣٥هـ) ـ خمس وثلاثين وسبعمائة ـ وهو أول من ظهر بالمشيخة، وبعده جلس ولده صدر الدين موسى. وكان مُعتقداً عند السلاطين مقبول الشفاعة، ولمّا عاد تيمور من الروم زاره والتمس بركته وسأله أن يطلبه شيئاً خاصاً، فطلب أن تُطلق كل مَن أخذته من بلاد الروم مشركاً، فأجابه وأطلقهم فصار أهل (بروه) يعتقدونه، وكذلك أولاده، فلما جلس الشيخ جنيد بالزاوية بـ (أردبيل) كثر مريدوه وأتباعه فتوهم منهم صاحب (أذربيجان) ـ يومئذ ـ وهو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركماني، فأخرجهم من (أردبيل) فتوجه إلى (ديار بكر)، وتبعه بعض مريديه، وتفرق عنه الباقون.

وكان من أمراء (ديار بكر) يومئذ عثمان بيك بن قتلق بيك بن علي بيق من طائفة القونيلق جد أوزون حسن بيك البايندري، وهو أول من تسلطن من طائفة آق قويونلو[2] وولي السلطنة منهم سبعة أنفس، ومدتهم اثنتان وأربعون سنة، وأخذوا ملك فارس من طائفة قرا قونيق وأول سلاطينهم: قرا يوسف بن قرا محمد التركماني، ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة (٨٧٣هـ) وانقرض ملكهم على يد أوزون حسن بيك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، وكان أوزون حسن بيك شجاعاً ميموناً مظفراً إلا أنه لما حارب السلطان محمد بن مراد خان انكسر، وقُتل ولده وعاد إلى أذربيجان، ولمّا التجأ الشيخ جنيد إلى طائفة آق قويونلو صاهره أوزون حسن بيك وزوجه على بنته، فولدت له الشيخ حيدر، ولمّا استولى أوزون حسن بيك على البلاد وطرد عنها ملوك قره قونيلق وأضعفهم عاد الشيخ جنيد إلى (أردبيل) وكثر مريدوه، فلما توفى أوزون حسن بيك ولّوا ولده

(١) هم أمراء الدولة الصفوية الشيعية في إيران.
(٢) في الأصل: آق ترنيلق. والتصحيح من المنجد للأعلام ص ٥٨. وقد أفاد أن معناها بالعربية: الخروف الأبيض.

خليل ثم ولده الثاني يعقوب فزوج بنته من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب سنة (٨٩٢هـ) ـ اثنتين وتسعين وثمانمائة، وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه، وقصد قتال كرجثان ليكون من المجاهدين في سبيل الله، فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل الله شروان شاه، فخرج لقتاله فانكسر الشيخ جنيد وقُتل، واجتمع أصحابه على الشيخ حيدر، وحسّنوا له الجهاد، وألبسهم الشيخ حيدر تيجاناً حمراء من الجوخ، فسماهم الناس قزل باش، واجتمع عليه خلق كثير، فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزون حسن بيك يخوفه من خروج الشيخ حيدر، فأرسل أميراً بأربعة آلاف، وأمره أن يمنعه من هذه الجمعية، فإن أبى قاتله، فلما أبى اتفق مع شروان فقاتلا فقتل الشيخ حيدر وأسر ولده شاه إسماعيل وهو طفل وأسر اخوته وجماعته، فحبسهم السلطان يعقوب في قلعة (اصطخر) واستمروا في الحبس إلى أن توفى السلطان يعقوب سنة (٨٧٦هـ) ـ ست وسبعين وثمانمائة ـ وولّي بعده رستم، ونازعه إخوته وتفرقت المملكة، فهرب أولاد الشيخ حيدر إلى (لاهجان) من بلاده (كيلان)، وخرج من اخوان شاه إسماعيل خواجه شاه علي ابن الشيخ حيدر، وجمع عسكراً من مريدي والده، وقاتل بهم فقتل في أيام رستم، وكان شاه إسماعيل مختفياً في بيت صانع يقال له نجم زركر، وبلاد (لاهجان) فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحروفية فتعلّم منهم شاه إسماعيل مذهب الرفض، وكان أبوه على مذهب أهل السنة، وكان يأتيه أصحاب أبيه عنده خفية إلى أن كثر داعية الفساد، واختلفت أحوال البلاد، فخرج من (لاهجان)، وأظهر الأخذ بثأر والده وجده في هذه السنة المذكورة وعمره يومئذ ثلاث عشر سنة، وقصد مملكة شروان، واجتمع عليه عسكر كثير، وخرج لمقاتلة شروان شاه بعسكره، فلما التقى العسكران، انهزم عسكر شروان وأسر شروان فأمر شاه إسماعيل أن يطبخ في قدور ويأكلوه، ففعلوا وتوجه إلى قتال لوند بيك، فانهزم واستولى على خزائنه وقسمها على عسكره، وصار يقتل كل من ظفر به ولا يمسك شيئاً من الأموال بل يفرقه، ثم قاتل مراد بيك بن السلطان يعقوب، فهزمه في الحال، وأخذ خزائنه وقسمها، واستمر كذلك حتى ملك (تبريز) و (أذربيجان) و (بغداد) والعراقين، وكان عسكره يسجدون له، وقتل ما نيف على ألف ألف نفس بحيث قيل لم يعهد في الجاهلية والإسلام من قُتِل من النفوس مقدار ما قتله

شاه إسماعيل، ولم يبق أحداً من أهل العلم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم، وإذا مر بقبر شيخ حفره، وأخرج عظامه وأحرقها، وإذا قتل أميراً أباح زوجاته وأمواله لشخص.

ومن جملة مضحكاته أنه اتخذ كلباً، وجعله أميراً ورتب له ترتيب الأمراء من الوكاف والفرش الحرير والسماط، ولمّا وصلت أخباره إلى السلطان الأعظم سليم خان، تعبأ لقتاله وقصده بخيله ورجاله، فالتقى العسكران صبح يوم الأربعاء ثاني شهر رجب سنة (٩٢٠هـ) ـ عشرين وتسعمائة ـ بموضع يقال له: (جالدران) بقرب (تبريز)، ونزل نصر الله العزيز، فانهزم شاه إسماعيل وولّى فراراً، ولم يجد له من الله أنصاراً، وقتل غالب جنوده وأمرائه، واغتنم السلطان سليم خزائنه.

[السلطان جعفر الكثيري]

وفيها [٩٠٥]: في أواخر الحجة، توفي السلطان جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري[1]، وكان متين الرأي عاقلاً حليماً فاضلاً، كان في (ظفار الحبوظي)، ثم قصد (بندر الشحر) ومعه ولده السلطان عبد الله، وأخذاها من سلطانها سعيد بن مبارك بادجانة، واستمرت ولاية آل كثير بها من يومئذ، وكان بادجانة أخذ الشحر من يد سلطانها بدر بن محمد الكثيري في سنة (٨٨٣هـ) ـ ثلاث وثمانين وثمانمائة.

[أحمد بن محمد الغمري]

وفيها [٩٠٥]: في رابع صفر، توفي السيد الجليل الشيخ العارف بالله تعالى أبو العباس: أحمد بن محمد بن عمر الغمري[2]، ودفن بجامعه المشهور بمصر المحروسة[3]. وكان رضي الله عنه جبلاً راسياً في العلوم والأعمال وحمل المحن والبلايا والأثقال، ذا هيبة وجمال، مقبول الشفاعة عند الملوك والوزراء، محترماً عند السلاطين والأمراء، محبباً للمساكين والضعفاء والفقراء إذا رآه أحد من

(١) راجع عنه: (أدوار التاريخ الحضرمي ص ٢٣٥).
(٢) انظر: (الضوء اللامع ٢/١٦٢).
(٣) المقصود مدينة القاهرة. والمصريون يُطلقون على القاهرة اسم (مصر).

الأعيان، وأرباب الدولة والأركان ارتعد من هيبته، وإذا رآه أحد من الضعفاء اطمأن لسكينته. وانتفع به جم غفير، ولازمه جمع كثير، وظفر كل منهم بأنواع البر والخير، وأتاه جمع يطلبون التلقين، فقال: حرروا نيتكم في طلب الطريق وإلا حصل عليكم المقت، فما تجرأ أحد منهم أن يتقدم إليه. وقال: من لعب بالطريق، لعبت به.

وله كرامات كثيرة عند أصحابه شهيرة، (منها): أنها وقعت صُرّة فضة من يد ولده أبي الحسن في بحر مائه أيام زيادة النيل، وما تذكرها إلا وهو بـ (المحلّة)، فأرسل الشيخ فقيراً من فقرائه بصنارة. وقال له: قف على الحرف الفلاني وأرم بالصنارة ففعل فطلع بالصُرّة كما هي.

وكان كثير العمارة للمساجد في قرى الريف يقال عمّر خمسين جامعاً، وكان يعاني في نقل العمد الرخام وغيرها من البلاد الكفرية فَعُمد جميع جوامعه يعجز السلطان عن نقلها، وحُكي أنه سافر إلى كرم خالي فصار يقيس في الأرض ويُعلّم علامة وقال لأصحابه: احفروا تحت العلامات فلم يخط في حفرة ووقع جميع الحفر على رؤوس العمد وهي واقفة.

ومن كراماته أنه أقام صف العمد التي تلي محراب جامعه بمصر كلها في ليلة واحدة بعد أن أمر المهندس المعلمين والشغال أن يبكروا ليقيموها في الغد، فلما أصبحوا وجد الصف الأول كله قائماً، فقال شخص ممن يدل عليه: وعزة ربي لو أنك قلت لجميع هذه العمد قوموا لم يتخلف منها واحد.

وعمّر جامعه من عثماني وضعه تحت سجادته، وجعل يأخذ منه ويصرف. قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الله الشعراوي: رأيته مرة واحدة في بلاد الريف سنة (٩٠٤هـ) ـ أربع وتسعمائة، فجمعني والدي عليه، فدعا لي ثم إني لما جئت إلى مصر لم تقسم لي الإقامة إلا في جامعه فأقمت فيه سبعة عشر سنة، وحفظت فيه العلم، وشرحت الكتب ورتبت فيه مجلس الصلاة على النبي ﷺ في سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وكنت إذا راق الليل وقلّت الجماعة.. أجد الشيخ جالساً عن يميني فيمكث حتى تستيقظ الجماعة الذين ناموا، فإذا كثروا إختفى عني. وحَصَل لي في جامعه الخير الكثير ببركته انتهى.

وهذا الجامع كان عَمّر غالب الإيوان الكبير أبوه الشيخ محمد. ومات قبل إتمامه، فأكمله ابنه صاحب الترجمة فنسب إليه. قال الحافظ بن حجر في أثنائه: لما عمر الشيخ محمد بن عمر الغمري جامعه عاب عليه أهل العلم ذلك، وأنا كنت من راسله بترك إقامة الجمعة فيه فلم يقبل واعتذر بأن الفقراء طلبوا منه ذلك، وعجّل بالصلاة فيه بمجرد فراغ الجهة القبلية، واتفق أن رجلاً من أهل السوق المذكور تبرع من ماله بعمارة المأذنة، ومات الشيخ وغالب الجامع لم تكمل عمارته. انتهى.

سنة ست وتسعمائة

[قطب الدين الخزرجي]

توفي مولانا قطب الدين، محمد أبو يزيد بن محيي الدين محمد بن نظام الدين محمود الأنصاري الخزرجي الشافعي. عالم المسلمين، وإمام المحققين. مولده سابع عشر ذي الحجة سنة خمس (٨٥٥هـ) - وخمسين وثمانمائة - وكانت له أحوال عجيبة وأمور غريبة في طريق القوم من الكرامات والمكاشفات حتى في سن الصغر، وذكاه يتعجب منه بحيث حصّل جميع العلوم وهو دون العشرين، وعقد له والده مجالس تكلم فيها على قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] حضره العلامة الجلال الدواني والسيد صدر الدين وجميع تلامذتهما، وسِنّهُ إذ ذاك ستة عشر سنة، فتكلم مما أبهر القوم، وأذعن له الحاضرون، وسأله الحاضرون عن علوم شتى، فأجاب بأحسن جواب وأبان فيها اليد الطولى. وشرع في إقراء «الكشاف». وكان يحضر درسه نحو المائة من الطلبة والعلماء، وأكثر اشتغاله على والده وعلى خاله شرف الدين حسن شاه البقال، وانتفع به خلائق لا يحصون، ثم ترك ذلك وانقطع إلى الله تعالى.

ودخل الأربعينيات ثم قصد الحج، فلما نزل في بعض المنازل دخل عليه شخص مهاب عليه السكينة والوقار من غير استئذان ففرش له سجادة، وقال: أجلسناك على هذه السجادة وأعطيناك هذا المقراض وأجزناك أن تدعو إلى طريق

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

الله وتُحيي شريعة رسول الله ﷺ، وأنت مجدد هذه المئة التاسعة، وخرج عنه فحص للشيخ حال من ذلك، فلما أفاق سأل الخدم الذين بالباب عن الشخص من أين دخل وإلى أين توجه، فأنكروا ذلك وتعجبوا.

واتفق أن بعض المجاذيب قال لخاله وهو في (شيراز): ولد أختك أجلسه الخضر على السجادة، وأجرى له لمقراض في هذا اليوم، فأرخه خاله، فلما عاد صاحب الترجمة من الحج، واجتمع بخاله ذكر له ما وقع له في الطريق، فراجع خاله ما أرخه فوجده في ذلك اليوم بعينه. فقال له: هذا إذنٌ لكم في الإرشاد.

فجلس للخاص والعام، وتفقّر على يديه أمراء (جهرم) كلهم وغالب المشايخ، وكان يقول لفقرائه الاخوان، ويقول هم الذين بُشّر بهم النبي ﷺ بقوله: واشوقاه إلى لقاء إخواني. ثم انعزل عن الناس وبنى له خارج (جهرم) موضعاً له ولفقرائه وسماه (أخوان آباد) وبنى مسجداً ولمّا أتاه، كتاب من بعض أصحابه بتعمير المسجد وبيوت العبادة، نظم هذه القصيدة:

أتاني كتاب فائحٌ بمحبةٍ ... كأن قام ظل مال أوراق دُرةٍ
يلوح صفاء الود من سكابها ... ويحكى قلوب الوامقين برقةٍ
أتاني من خليل لم يُدنس بريبةٍ ... متى ما كساه الله حلة خُلّةٍ
فهيّج شوقاً كان في القلب كامناً ... وذكّر أوطاناً عهدنا برنوةٍ
أرت اخوتي فيها وليست بها ثوت ... سوى قُربةٍ بالله أكْرِم بقربةٍ
ومسجدها الميمون لا زال عامراً ... بإخوان صدقٍ قائماً بعبادةٍ
وماؤهم الجاري يسرُّ لناظرٍ ... ويدعو لتجديد الوضوء برغبةٍ
مساكنهم تأبى سوى ذِكر ربهم ... وحيطانها تدعو إلى ترك ريبةٍ
بها سكنت قومٌ تخلّوا لربهم ... وداعياً لوجه الله إيثار عُزلةٍ
فقامت عداةٌ يعتدون عليهم ... ويرمون بالإفك من كل وجهةِ
يرومون بهتاناً ويبغُون فتنةً ... فلا رحم الرحمٰن باغي فتنةٍ
نعوذ بوجه الله منهم وحفظه ... ونجعله في نحرهم أي جنةِ
ومني على حُبي وسائر إخوتي ... سلامٌ وتسليمٌ وألف تحيةٍ

وله تفسير على مواضع من «القرآن»، وكتاب «مفاتيح الغيب» يتضمن رسائل

ومصالح ونوادر ونفائس، وحاشية على مبحث «الحمد» من حاشية «المطالع»، وحاشية على مواضع من شرح «المواقف»، وحاشية على شرح «الشمسية» وحاشيتها، وحاشية على أوائل شرح «التجريد» للعرسجي، وشرح «آداب البحث»، ورسالة في تحقيق معنى المعروف، ورسالة في علم الحساب، ورسالة في علم العروض، ورسالة في علم الخط، ورسالة في المعمي، ورسالة في الموسيقى، ورسالة في علم الوقت، ورسالة في الرمل، ورسالة في الكيمياء، ورسالة في أن البعد هل يتخلل السكنات، ورسالة في أن المُدرَك هل هو الصورة أو ذو الصورة، ورسالة في ترتيب الموجودات، ورسالة في أن العلم بارتسام الشيخ، ورسالة في أن النفس هل يمكن وجودها قبل البدن، ورسالة في تحقيق عالم المثال، ورسالة في قولهم: المجهول المطلق لا يحكم عليه، ورسالة في قولهم كل كلامي كاذب. ورسالة في بيان النفس الناطقة، ورسالة في الجمع بين الجبر والتفويض، ورسالة في القضاء والقدر، ورسالة في أن الجهل المركب مؤلم بعد الموت، ورسالة التكليف بالمحال جائز أم لا، ورسالة في وجوب اقتران العلة بالمعلول، ورسالة في تحقيق الوجود الذهني والخارجي، ورسالة في الصدق والكذب. وغيرها من الرسائل اللطائف، ومؤلفاته تفوق على المائتين. وكان يرى النبي ﷺ كل ليلة جمعة ويسأله عما يشكل عليه، وله مكاشفات كثيرة.

[محمد ابن عطية]

وفيها [٩٠٦]: ليلة الأحد ثامن عشر ذي الحجة، توفى الشيخ: محمد[١] بن محمد ابن علي ابن صالح بن عثمان بن أبي الفتح بن عمر بن عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن عبد الله بن عطيّة بن عبد الصمد بن علي بن عبد المعطى بن أحمد بن يحيى ابن موسى بن حمزة بن عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم بن محمود ابن محمد بن أبي إبراهيم ابن عبد الرحمٰن ابن عوف أحد العشرة رضي الله عنهم أجمعين. الشيخ الإمام العارف بالله، الفقيه اللغوي المحدث المسند، المعمّر المرشد، المربي القدوة: أبو الفتح شمس الدين الإسكندري المولد، الآفاقي

(١) انظر: (شذرات الذهب ٧/ ٦٣؛ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/ ١٤).

المنشأ، العاتكي، المزي، الشافعي المذهب، العوفي النسب[١]، العوفي المشرب.

وُلد في الإسكندرية في أول المحرم سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وقيل: سنة عشر، ولما حملت به أمه دخل والده بدر الدين على الإمام العارف بالله عبد الرحمٰن الشبريسي، وسأل لها الدعاء، فقال له: إن زوجتك آمنة معها ولدان أحدهما يموت بعد سبعة أيام والآخر يعيش زمناً طويلاً وسَمِّه بأبي الفتح، وسيكون له فتحٌ من الله تعالى وتوكلٌ على الله وسيرٌ إلى الله، يعيش سعيداً ويموت شهيداً، يخرج من الدنيا كيوم ولدته أمه، يضع قدمه على جبل قاف المحيط، يسوح زماناً وينال من الله تعالى أماناً. فاستوصِ به خيراً، واصبر عليه ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[٢].

فلمّا وضعته أمه كان الأمر على ما قال الشيخ عبد الرحمٰن، فصنع والده وليمة بعد تمام أربعين يوماً من ولادته، ودعا الشيخ عبد الرحمٰن وجماعة من الفقراء والصالحين وأضافهم، فلما رفعوا السِّماط حمله أبوه ووضعه بين أيديهم، فحنكه الشيخ عبد الرحمٰن بتمرة مضغها ووضعها في فيه، ثم طلب عسلاً فلعق منه ثلاث لعقات، ثم لعق المولود ثلاثاً، ثم لعق الفقراء منه، ثم قرأوا الفاتحة سبع مرات، ثم قال لأبيه: ادفعه لأمه لا يشاركها فيه أحد ولا تخشَ[٣] عليه، فوالله إني لأرى روحه تجول حول العرش. ذكر هذه الحكاية صاحب الترجمة في كتابه المسمّى «الحجة الراجحة»، قال: ثم رأيته - يعني الشيخ عبد الرحمٰن - بعد مدّة، فلما أقبلت عليه قبّل بين عينيّ، ونظر بعين لطفه إليّ ثم لقنني الذكر وأخذ عليّ العهد، وقال: عش في أمان الله، مؤيداً بالله، هائماً بالله، فانياً عمّا سواه، باقياً به، أنت إمام زمانك، وفريد أوانك، مُقدّماً على أقرانك، مباركاً على إخوانك، رعاك الله، حفظك الله، آواك الله ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٤] الآية. قال:

(١) قال صاحب «شذرات الذهب»: نِسبةً إلى عبد الرحمن بن عَوْف أحد العشرة المُبشّرين بالجنة.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٨.

(٣) بالأصل تخشى.

(٤) آل عمران، ١٧٠.

ثم ألبسني الخرقة الشريفة، ثم قال: أيامنا انقضت وساعاتنا انقرضت، قال: فلما تمّ لي سبع سنين لبستها من يد العالم الورع العارف أبي الحسن علي الدمنهوري، ومن يد الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الأتكاوي يوم عاشر المحرم[1] سنة (٨٢٥هـ) ـ خمس وعشرين وثمانمائة ـ بلباسهما من الشبريسي.

وتفقّه صاحب الترجمة بجماعة أولهم جدّه لأبيه[2] القاضي نور الدين أبو الحسن علي، وسمع من الحافظ ابن حَجر، والتقي الرسام، وعائشة بنت عبد الهادي، ومريم بنت أحمد بن محمد الأذرعي، والعز بن الفرات الحنفي، وغيرهم.

وقرأ «الصحيحين» على الحافظ الشمس المقدسي الحموي وغيرهما، وأخذ عنه التصوف. والسير وأجازه بجميع مروياته، وألبسه خرقة التصوف ولبسها من أحمد بن محمد الترابي، ومن أبيه القاضي بدر الدين وجده، وخاله أحمد بن القاسم التونسي، والحافظ بن ناصر الدين، وابن الجوزي، والشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الصالحي الحنبلي، والشيخ محمد بن أحمد الوفائي، وأبي بكر محمد بن محمد الحوفي، والشهاب بن أرسلان.

وممّن أخذ عن أبي الفتح: رضي الدين العامري، واستجازه لولده محمد بدر الدين وأحضره إليه وهو دون الستين فلقنه الذكر، وألبسه الخرقة، وأجازه بكل مروياته، والعلامة أبو المفاخر المحنوي النعيمي، وتلميذه الشمس بن طولون، والشمس الوفائي الواعظ وغيرهم.

وألف كتاباً في اللغة، وكتاباً سمّاه «الحجة الراجحة في سلوك المحجّة الواضحة»، وله مؤلف في «آداب اللباس والصحبة». ومن شعره ما كتبه في ختام الجزء الأول من كتاب الحجة:

يا ناظراً مُنعماً فيما جُمعت وقد   أضحى يردد في أثنائه النظرا
سألتك الله إن عاينت من خطإٍ   فاستر عليّ فخير الناس من سترا

(١) في نسخة يوم عاشوراء.
(٢) وردت في الأصل: جدّه لأمه. والتصحيح من: شذرات الذهب، والكواكب السائرة.

وقال أيضاً:

لم أنس مذ قالوا فلان لقد   أضحى كبير النفس ما أجهله
فقلت لا أصل لهذا وقا   ل الناس لم يكبر سوى المزبله

وقال أيضاً:

من كان حقاً مع الرحمٰن كان معه   نعم ومن ضرّ فيه نفسه نفعه
ومن تذلل للمولى فيرفعه   ومن تفرّق فيه شمله جمعه

وقال أيضاً:

يُربّي الخليل على ما كان صاحبه   يعتاده وعلى ما كان فيه رُبّي
وفي الحقيقة يعتاد الصغير بما   قد كان ينظر من أم له وأبِ
والعبد يُربّى بما ربّاه سيّدهُ   من كثرة الخير أو من قلّة الأدب
ومن تراه بضرب الدف مُلتهياً   يميل سامعه للرقص والطرب
كذا لسانك من نطق بفوه بما   عوّدته منك من صدقٍ ومن كذبِ
والشيخ إن كان ذا جهل فتتبعُه   فيه تلاميذه جهلاً بلا عجب
وطالب الخير غير الخير ليس يرى   وطالب الشرّ غير الشر لم يصب
ومَن مشى في طريق كان متهما   ما زال متهما بالعيب والريَب
ومن أسرّ لشيء كان يفعله   فسوف في وجهه يبدو لمرتقبِ
ومن يماشي[1] فتى بالقُبح متصفاً   فسوف يُرمى به في الحكم والسبب
ومن يملْ عن طريق الحق منحرفاً   كالكلب ما زال يلقى أعوج الذنب[2]
ومن له حسن وجه لا حياء به   فذاك برق بلا غيثٍ ولا سُحب
ومن له يا فتى علمٍ بلا عملٍ   فذاك نخلٌ بلا طلعٍ ولا رطب[3]

وحُكي أن بعض مشايخه خرج به بعد العشاء إلى المكان المعروف بـ (المنشار)، وتعلقا بسفح (قاسيون)، فلما أشرفا على الجبل، قال له الشيخ: عدّ هذه المشاعل، ثم سارا إلى مقام الخليل عليه السلام المعروف بقرية (برزة)، ثم

(١) بالأصل يماشي.
(٢) بالأصل لا يزال يلقى. والتصحيح من: الكواكب السائرة.
(٣) أورد الأبيات كاملة صاحب: الكواكب السائرة ج ١ ص ١٦.

قال له: كم عددت مشعلاً؟ قال: ثمانمائة، قال: تلك أرواح الأنبياء المدفونين هنا[١]. وذلك مصداق ما يقال: إن بين (أرزه) و(برزة) ثمانمائة نبي.

وكانت وفاة أبي الفتح بمحلة (قصر الجنيد) قرب (الشويكة)، ودفن بالجانب الغربي في الأرض التي جُعلت مقبرة وأضيفت لمقبرة (الحمرية). رحمه الله تعالى.

سنة سبع وتسعمائة

[عمر ابن بيسق]

في سابع محرم، توفى عمر بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز الدمشقي الأصل، ثم المكي شيخ الفراشين بـ (مكة)، ويعرف بابن بيسق. ولد سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بمكة المشرفة، ونشأ بها، وأخذ المشيخة عن والده، ولازم خدمة قاضي القضاة البرهان بن ظهيرة بحيث دخل معه القاهرة حين طلبه الأشرف قايتباي.

وكان أديباً متودداً للناس قائماً بوظيفة المسجد الحرام على ما ينبغي، وكان ذا مروءة وفتوة، مات ليلة السبت، ودفن بالمعلاة على أبيه[٢]، وخلّف في المشيخة ولده عبد الله. رحمه الله.

[محمد بن محمد الطبري]

وفيها [٩٠٧]: توفى الشيخ الإمام: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الرضي أبو السعادات بن المحب أبي المعالي الطبري الأصل، المكي الشافعي إمام المقام وابن إمامة وابن أئمته. ولد تاسع محرم سنة سبع(٨٣٧هـ) - وثلاثين وثمانمائة - بـ (مكة)، وحفظ «القرآن» و«المنهاج» و«العمدة» و«مختصر ابن الحاجب»، و«جَمْع الجوامع»، و«منظومة النزهة»، و«الشاطبيتين»، و«الكافية»، و«التعريف الزنجاني»، و«مختصر الشافية»، وغير ذلك. وعرضها على مشايخه، ولازم أبا القاسم النويري وعبد القادر

(١) في الشذرات: المدفونين بهذا السفح المبارك.

(٢) دُفن على أبيه: أي بذات القبر المدفون به والده.

المكي ووالده، ودخل (القاهرة) و (دمشق)، وأخذ عن البيتسي، والتقى الحصني والكوراني وغيرهم.

وتميز في الفضائل، وأذن له مشايخه في الإفتاء والإقراء، فجلس في المسجد الحرام، وأخذ عنه الغرباء والقاطنون. وبرع في التفسير والفقه، وصاهر التقي بن فهد من ابنته، وأراد السفر إلى (الهند) عام نهب (مكة) فرده القاضي صلاح الدين من(جدة) وتوفي بمكة ودفن بالمعلاة. رحمه الله تعالى.

[محمد الصاحبي]

وفيها [٩٠٧]: توفى محمد بن القاضي المجذوب الصاحبي. كان عجيب للكشف الصريح، يقف الإنسان عنده فيخبره بما في قلبه وبما جاء لأجله، وإذا خطر لبعضر بغي، أو غُرم عليه، يرسل له ويقول له: افعل ولا تفعل. ومن كلامه: إياكم والإنكار على الناس بسوء الظن، وإذا رأيتم من يأكل حشيشاً مثلاً فعظوه برفق ورحمة، وإن كان لكم حال مع الله تعالى فاسألوه يرفعه، وليس في الإنكار باللسان فائدة، فأحدكم معافى وذاك مبتلى وما عند أهل الجنة خير من أهل النار.

[محمد الخضري]

وفيها [٩٠٧]: توفي الشيخ محمد الخُضري. ذو الغرائب والعجائب والعطايا والمواهب، كان يتكلم في شأن الأكابر والعوارف من أهل السماء والأرض بما لا يستطاع سماعه. وكان من الإبدال ويلبس ملابس القضاة، ويمشي بقبقاب عال دائماً، وإذا غلبه الحال ضرب من لقيه. وكان السلطان قايتباي إذا رآه قادماً، قام من الديوان خوفاً من أن يضربه بحضرة الناس.

ومن كراماته أنه خطب وصلى الجمعة في ثلاثين بلداً في وقت واحد، وبيت في الليلة الواحدة في عدة بلاد، وأراد القطاع تبييت ثيابه فسمّر أيديهم في أجسادهم. وإذا خطب أتى بمواعظ تدهش العقول. وغلب عليه الحال يوماً وهو على المنبر فقال: أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه السلام، فصاح الناس: كفرت، فنزل لهم بالسيف، فهربوا ونام حتى سمع غطيطه، وصلى بالناس فهمّ بعضهم بالخروج من الصلاة، فأتاه وضربه، ودفن بـ (بهنسا). رحمه الله ونفعنا به.

[شهاب الدين الشعراوي]

وفيها [٩٠٧]: توفي الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين: أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراوي(١)، والد سيدي العارف بالله عبد الوهاب. كان شهاب الدين فقيهاً محدثاً، مقرئاً نحوياً، ورعاً زاهداً، جامعاً بين العلم والعمل. أخذ العلوم عن والده وغيره، وكان يعمل الدواير ويشد المناكيب، وله الباع الطويل في إنشاء الخطب والنظم، وكان ينشيء الخطبة حال صعوده للمنبر، وبلغه أن الإمام علي كرم ـ الله وجهه ـ خطب خطبة لا ألِفَ فيها حين تذاكر العرب عنده أن الألِفَ أدخل الحروف في الكلام.. فأنشأ خطبة ليس فيها حرف الألف. وجمع فيها الأركان، أولها: حمدت لله ربي ورب كل مخلوق بحمد عظيم، صَدَر من قلب مؤمن صدوق، سُبّح بحمده كل شجر وسدر ونجوم وغيوم وبروق وشمس وقمر وبحر وبر في غروب وشروق.

ومن جملة وعظه: عليكم بتطهير قلب مشغف بحب كل فسوق حسود من غل وحقد وحسد ودنس به مخلوق، فقد علمتم بسرعة سيركم للمحشر ودموعكم دلوق مع كل شخص منكم شهيد يشهد عليه وحسيب له يسوق، يومئذ تُعرضون ثم تميزون فمؤمن مع نبيه، ومجرم مع يغوث ويعوق. إلى آخر ما قال.

وكان إذا صلّى بالناس وقرأ القرآن يبكي الناس من الخشوع، وربما خرّ بعضهم إلى الأرض، صلى خلفه الشيخ كمال الدين فكاد يخر إلى الأرض فقال له: أنت لا تناسبك الإمامة إلا بجامع الأزهر لا بالريف. وكان له قيام طويل في الليل بثلث القرآن، وأكثر في كل ليلة وصيام كثير.

وكان له توجه صادق في قضاء حوائج الناس وشهادة بين الناس وضبط خراجهم احتساباً لوجه الله تعالى، ولا يأكل لأحد من الولاة وأعوانهم طعاماً، وهو مع ذلك لا يخل بأمر معاشه من حرث وحصاد ودباس.

وكان صبوراً حليماً، وصنّف عدة مؤلفات في الحديث والأصول والنحو

(١) انظر: (الأعلام للزركلي ١/١٧٩، شذرات الذهب ٨/٦٦، معجم المؤلفين ٢/٩، الكواكب السائرة ١/١٣٨).

والمعاني والبيان، فَنُهبت مؤلفاته كلها فلم يتغير، وقال: ألفناها لله فلا علينا أن لا ينسبها الناس إلينا.

وكان يقول: قد جمعت بحمد الله تعالى من العلوم ما لو اجتمع على علماء الجامع الأزهر لقطعهم: وأتاه رجل من الذين يقطعون الطريق، وقال له: اكتب لي ورقة بأن لي على فلان ثمن ثور، فقال: حتى يأتي من يشهد لك بذلك، فغضب ووعده بالقتل وصار يكمن له فقال له ولده عبد القادر: ادع الله عليه. فقال: يا ولدي في الله تعالى كفاية. ثم نام فرأى أن قائلاً يقول: بعد غد يقطع رأس عدوك، فكان الأمر كما قال.

وقال ولده عبد الوهاب: كنت اقرأ عليه سورة الصافات. فلما بلغت قوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝﴾(١) فبكى حتى اغمي عليه، وصار يتمرغ في الأرض كالطير المذبوح. وكان عمري ـ إذ ذاك ـ نحو ثمان سنين.

ولم يزل على أحسن الأحوال والأمور إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في التاريخ المذكور، ودفن بقبر والده بزاويته في ناحية (ساقية أبي شعرة)، رحمه الله تعالى وإيانا.

[الشريف هزّاع]

وفيها [٩٠٧]: خامس رجب، توفي شريف مكة وسلطانها الشريف: هزاع بن محمد بن بركات(٢)، وكان يلبس الخلعة الثانية مع أخيه بركات ثم نافر أخاه بركات سنة(٩٠٦هـ) ـ ست وتسعمائة ـ ولحق بـ (ينبع). وكان قد عامل الأمير قانصوه البرج فأرسل قانصوه لأمير الحج أن يخلع على هزاع ففعل، والتقى هو والشريف بركات بـ (وادي مر) وتخلّف الترك عنهم، ولما رأوا النهب في أطراف الناس وخافوا على أنفسهم، حملوا مع هزاع على بركات، وقُتل أبو القاسم بن الشريف بركات، وهرب بركات إلى(جُدّه) فنهبها، واستولى هزاع على (مكة) وحج

(١) سورة الصافات، الآيتان ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) انظر: (الأعلام ٨/٨٣) عن ما هنا.

بالناس، وهم خائفون من هجوم بركات. واتفقوا على أن يعطى هزاع أخاه بركات ألفي دينار، ولمّا سافر الأمراء.. رأى هزاع أنه لا قدرة له بملاقاة أخيه بركات، فلحق بـ (ينبع) وجمع عسكراً جراراً، وتلاقى مع بركات فانهزم بركات، واستقر هزاع بـ (مكة)، واستمر إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

[محمد بن ابراهيم أبو السعود]

وفيها [٩٠٧]: توفي الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي السعود(١) قاضي القضاة بمكة المشرفة. ولد ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة (٨٥٩ هـ) ـ تسع وخمسين وثمانمائة ـ ونشأ في كفالة والده في عز ورفاهية، وحفظ «القرآن»، وصلّى به سنة سبعة عشر، وحفظ «الأربعين»، و«المنهاج»، و«ألفيتي الحديث والنحو»، و«مختصر ابن الحاجب»، و«التلخيص»، و«الطوالع»، و«الشاطبية»، وعرضها على مشايخه سنة أثنتين وسبعين. ولازم والده في سائر العلوم الشرعية والعقلية؛ وأكثر من الأخذ على عمه الفخر أبي بكر في دروسه، وربما أخذ عن غيرهما، ورحل إلى (مصر) سنة اثنتين وثمانين، فأخذ عن الكافياجي والأمين الأقصرائي وشيخ الإسلام زكريا والسراج العبادي والبقاعي وغيرهم.

وكان له فهم عجيب وذكاء غريب وتميز بالفضل والأدب، وكان ينوب عن والده، ثم اشتغل بالقضاء عقب موته وعمل درساً في «الكشاف»، و«الروضة». وكان له استحضار للنكت والتواريخ والأدب، وله شرح على المنهاج وتذكرة كبيرة تدل على سعة اطلاعه وفضيلته. ثم قبض عليه الشريف وعلى جميع أملاكه لمّا بلغه أنه سعى في عزله ونصّب بعض أخوانه، ونفاه إلى (القنفذه)، ثم أمر بتغريقه فغرق بجانبها يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة وختمه بالشهادة، وأسف الناس على فقده. رحمه الله تعالى.

(١) أورده صاحب «شذرات الذهب» ضمن وفيات السنة التالية: ٩٠٨هـ ـ (شذرات الذهب ٨/ ٦٩).

[علي بن عمر الزيني]

وفيها [٩٠٧]: توفي علي بن عمر بن عمران بن موسى بن حمزة بن صالح بن عميرة، نور الدين أبو الحسن القاهري الشافعي ويعرف بالزيني. وُلد في شعبان سنة أثنتين وثلاثين وثمانمائة بمدينة (الزينة) من (الغربية) بين(سخا) و(سمهود)، وقدم (القاهرة) فعجب الشيخ مدين ولازم العبادي، وأذن له في الإفتاء والتدريس، وحضر دروس العلم البلقيني والمناوي وشيخ الإسلام الجوهري والنجم بن حجي والأبناسي، وتولّع بالأدب، فنظم وكتب، وله مدائح في البرهان بن ظهيرة وولده، وأقام بـ (مكة) حتى توفي ليلة الأحد رابع عشر ذي القعدة. رحمه الله.

[عجلان بن بركات]

وفيها [٧٠٩] في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال؛ توفي الشريف عجلان بن الشريف بركات بمكة وشيعه والده راكباً لتوعكه، وهو صابر محتسب والقضاة والفقهاء والأمراء والعساكر تمشي بين يديه. وهو أكبر أولاده. وكان نجيباً أديباً ترشح للمملكة بعد والده، وكان والده يحبه ويثني عليه، وأصابه وجع الدق وعالجوه، فلم يفد شيء. ودفن خارج قبة جده محمد. رحمهم الله.

سنة ثمان وتسعمائة

[عبد الله بن عبسين]

في ربيع ثاني، توفي الشيخ الجليل القاضي: عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبسين(١)، ذكره في «النور السافر» باختصار، وأنه توفي سنة سبع. كان ـ رحمه الله ـ عالماً جليلاً ورعاً زاهداً. بقية السلف، وعمدة الخَلف. وُلد بـ (بندر الشحر)، ونشأ بها في الطاعة والعبادة، وظهرت عليه من حينئذ لوائح السعادة. واشتغل بالعلم فبرع، وانتظم في حلبة السباق، وسلك طريق التحقيق والتدقيق فَلَحق مَن قبله وفاق، وتصدّر في (بندر الشحر) للفتوى والتدريس على

(١) انظر: (النور السافر ٤٣، الشهداء السبعة ٤٩، صفحات من تاريخ حضرموت ١٤٦، أدوار التاريخ الحضرمي ٢٤٠، إدام القوت ٩١).

مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس، وتخرّج به كثيرون، وانتفع به الطالبون. وكان كريماً، وصولاً للطلبة، كثير الإحسان إليهم، وكان يجتهد في جمعهم، ويرغبهم في الطلب، ويسعى لهم في الرزق؛ باذلاً لهم نفسه، حسن التعليم، لين الجانب، في غاية من التواضع، وإذا مرض بعضهم يأتي بنفسه إلى دار ذلك الطالب في الوقت الذي يعتاد فيه القراءة، فيقرئه حتى لا ينقطع اشتغاله. وكان كثير التفقد لأحوالهم، صبوراً على ما يسمع من أذى منهم أو من غيرهم، حتى إن بعضهم قال له يوماً بحضرة جماعة من الناس: أنت مرائي، قال: ذلك طبيعي - أو كما قال - ولم يغضب ولم يتغير عليه. وكان من عادته إذا وقع في نفس أحدٍ عليه.. كان هو الذي يتطلب رضاه كائناً من كان، ولا يَدع بينه وبين أحد سبيلاً للشيطان. وكان لا يحسد أحداً، ولا يحقد على أحد أبداً.

وكان متقشفاً في ملبسه، طارحاً للتكلف، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ينكر على الملوك والأمراء، ساعياً في قضاء الحوائج للمسلمين لا سيما الضعفاء والفقراء، ولا يتأثر على مَن رده، ولا يكون ذلك منفراً له عن الشفاعة مرة أخرى، حتى أنه طلع للسلطان في رفع بعض المظالم، فرده السلطان ولم يقبل شفاعته، فلما خرج وجد جماعة من الضعفاء يشكون مظلمة، فرجع إلى السلطان في الحال، وكلمه، وشفع لهم، ولم يكن الرد مانعاً له عن العود لمثل ذلك في وقته.

ومن فضائله المشهورة ومناقبه المذكورة: سعيه في استخراج وقف الجامع الذي على المدرّس والطلبة وغيرهم من يد الدولة، بعد أن استولوا عليه مدة، وكاد أن ينطمس ويندرس. ومن ذلك: أنه كان السبب في وصول العلامة الشيخ عبد الله بن الحاج بافضل إلى (الشحر)، وترتيبه مُدرساً في الجامع، وانتفاع الناس به.

وكان ينسخ المصاحف، ويجتهد في ضبطها وتصحيح رسمها، ووضع علامات الإدغام والغنة، والإظهار والإخفاء، والتحقيق والتسهيل، وغير ذلك من علوم القراءات، وبعض مصاحفه موضوع لقراءة نافع وأبي عمرو، ومنها القليل لقراءة السبع.

وله كلام في بعض أجوبته على الرسم العثماني، قال فيه بعد بسط: ومن

تتبع ما في المقدمة - يعني الجزري - وشرحها في ذلك أجزاء، ثم قال: وقد أعتنيت في مصاحفي بتتبع ما في الجزرية وشرحها، وانتشرت في أمكنة تبلغ نحو خمسين مصحفاً محررة بحمد الله تعالى، أرجو من الله تعالى بها أن يحفظ على الإسلام بحفظ كتابه. وكُتبت على الرسم العثماني مصحفين محررين من نحو عشرة كتب معتمدة؛ أرجو من الله تعالى أن لا يخيب سعيي فيها، إنه جواد كريم. انتهى.

وكان رحمه الله تعالى يُعلّم الصبيان القرآن، وحَفِظَهُ بتعليمه خلق كثير، ثم ولي قضاء الشحر بعد تمنع شديد. وكان من قضاة العدل المشكورين، وأئمة الفضل المشهورين، اشتهر بذلك عند المحققين من الرجال، وطار اسمه، وضُربت به الأمثال. ولم يكن يأخذ من معلوم القضاء شيئاً لنفسه، بل كان يخص به المحتاجين من الفقهاء والطلبة والصلحاء، ولم يغير لباسه، وقد لا يكون له إلا ثوب واحد يتزر ببعضه، ويجعل بعضه على عاتقه، ويمشي في السوق كذلك غير مكترث.

وحكى أن بعض التجار من أهل مصر والشام اختصموا، فآل أمرهم إلى رفع قصتهم إلى القاضي ليفصل بينهم، فاجتمعوا وذهبوا إليه، فوجدوه في الطريق في فرد ثوب متزراً ببعضه مرتدياً بباقيه، وهو في صورة مسكين. فلما رأوه نفرت منه نفوسهم، وتركوا المحاكمة عنده، فلما بلغه ذلك سجد شكراً لله تعالى.

وقصته مع السلطان عبد الله بن جعفر مشهورة، وذلك أن السلطان المذكور اشترى فرساً من رجل، ثم أراد أن يرده، وادعى أن فيه عيباً، وامتنع من تسليم الثمن للبائع، فطلب الحكم من القاضي، فكتب للسلطان أن أحضر للشرع الشريف، فجاء السلطان إلى موضع الحكم، وأمره القاضي أن يجلس مع خصمه، فامتثل وفصل القاضي بينهما بمقتضى الشرع الشريف، ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حاباه في حكمه. فلله دره، لقد أبقى فخراً، وغنم أجراً، وامتطى ذروة السماك، ورقي فوق أوج الأفلاك.

وله فتاوى كثيرة انتشرت في الجهات، وجمع بعض تلامذته بعض ما وقف عليه من أجوبته، ورتبه على أبواب الفقه، وفاتهم من ذلك شيء كثير. وله كتابات

على بعض الكتب، وكلامه وأبحاثه في فتاويه وحواشيه وغيرها دالة على عظيم فضله في العلم، وقوة فطنته، وغزارة مادته. وقصته مع العلامة محمد بن عمر بَحرق التي ذكرها في «النور السافر» وهي أنهما اختلفا في مسألة، وطال النزاع بينهما، وشاع ذلك بين الناس، فظفر صاحب الترجمة بالنقل من «الروضة»، فلما رآه العلامة بَحْرَق رجع إلى قوله، ورقى المنبر، واعتبر بأن الحق ما قاله القاضي عبد الله[1]. وبالجملة ففضائله كثيرة، ومناقبه شهيرة.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لا يسمح

ولم يزل في ولايته القضاء وغيرها مستمراً على جميع ما ذكرناه ـ من التعليم، ونسخ المصاحف، والسعي في قضاء حوائج المسلمين، والشفاعات لهم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم المداهنة والتقشف ـ إلى أن انقضت أيامه، ودنا منه حمامه، فتوفي في هذا العام[2]، وتعب الناس لفقده التعب التام. ودُفن في تربة الشيخ فضل بن عبد الله، وترجمه العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة ثم قال: ومع هذا فإني مقر بالتقصير عن الإتيان بما يجب له من الترجمة.

[الإفرنج في بحر الهند]

وفي هذه السنة [٩٠٨]: كثرت مراكب الإفرنج في بحر الهند وهرموز وتلك الجهات[3] وعظم أذاهم للمسلمين، وأخذوا سبعة مراكب، وقتلوا أهلها.

[حميد الدين الحسيني]

وفيها [٩٠٨]: توفي المولى حميد الدين بن أفضل الدين الحسيني[4]. أخذ عن والده وجماعة من العلماء، منهم: المولى يكان، ثم وُلِّي تدريس مدرسة مُراد خان ثم مر به السلطان محمد خان؟ وقال له: أنت ابن السيد أفضل الدين، فقال:

(١) انظر: (إدام القوت للعلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، المطبوع بتحقيقنا).

(٢) في «أ» زيادة: فتوفي في ربيع ثاني.

(٣) للتوسّع في هذا الجانب؛ انظر: (البرق اليماني في الفتح لعثماني، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني).

(٤) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٧٠. ومنه: الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي ٣/١٩٥، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٠٥).

نعم، فقال: احضر الديوان غداً، فأعطاه مدرسة والده بـ (بروسّا) وعيَّن له كل يوم خمسين درهماً، ومن الطعام ما يكفيه، ووصاه بالاشتغال بالعلم، واشتغل بتلك المدرسة وانتفع به جَمْع، وجَمَع فتاوى أخويه عن اعتراضات أكمل الدين في شرحه للهداية، ثم وُلِّي إحدى المدارس الثمان، وجدّ في استفادة الطلبة، فكان يُدرس كل يوم من أربعة كتب مع اهتمامه عظيم بحيث لا يمكن المزيد، ولما رجع السلطان محمد من الغزو وقال: بلغنا أنك تلازم الدرس من أربعة كتب فقد أديت ما عليك، وبقي ما لك علينا، وأهدى للعلماء هدايا وضاعف الهدية له، ثم ولاّه قضاء (قسطنطينية)، ثم افتاها. واستمر إلى أن مات بها.

وكان صبوراً ما عرف له غضب حتى أنه حكم يوماً على امرأة، فأطلقت لسانها عليه، وأساءت القول، وأطالت، فقال لها: لا تتعبي هذا حكم الله لا يتغير. قال تلميذه محيي الدين الفناري: لا تغيب مسألة عن حفظه ولو ضاعت الكتب المتداولة لأمكنه أن يكتبها من حفظه.

وله حواشٍ على «شرح المطالع» للأصبهاني، وحاشية على شرح «المختصر» للسيد الشريف، وكلها مقبولة متداولة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد بن عبد الرحيم العيني]

وفيها: [٩٠٨]: توفي أحمد بن عبد الرحيم بن محمود بن أحمد الشهاب بن الزين بن البدر العيني الأصل القاهري، وُلد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة[1] بمدرسة جده بالقاهرة، وقربه خشقدم ورقاه[2]، حتى صار من عدد الألوف في أدب عظمته مع لطف وذرق وفضيلة، وعقد غمده مجلس الحديث في الأشهر الثلاثة، وكان ينزل كل واحد منزلته، ولما استقر الأشرف صادره على أموال كثيرة، ثم تصلّح أمره معه، وحج سنة (٨٩٩هـ) ـ تسع وتسعين وثمانمائة ـ بأبهة زائدة، وأحسن إلى أهل (مكة) لا سيما أرباب الوظائف، ثم عاد إلى (القاهرة)، ورجع إلى (مكة) وجاور بها، واستأجر المدرسة المجاهدية بالحرم الشريف وعمرها مدرسة وأوقف

(١) في الضوء اللامع (١/ ٣٤٥): أن مولده سنة ٨٥٠.

(٢) خشقدم: أمير مصر. وأضاف السخاوي: قرّبه لكونه ابن ربيبه.

عليها بيوتاً أشتراها، وقرر فيها صوفية شيخها قاضي القضاة الجمال أبو المسعود بن ظهيرة، ثم قاسىٰ ـ بعد ذلك ـ شدائد في أيام الفتن بـ (مكة) ونهبت داره وصودر فتوجه إلىٰ (طيبة المنورة)؛ ومات بها. رحمه الله وإيّانا.

سنة تسع وتسعمائة

توفي إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن البردان[1].

[جازان بن بركات]

وفيها في صباح يوم الجمعة تاسع رجب، قُتل صاحب (مكة):

جازان بن محمد بن بركات عند باب الكعبة وهو يطوف، قتله الترك المقيمون بـ (مكة) لمّا لم يروا ما يعجبهم، وخافوا علىٰ أنفسهم منه؛ فتواطؤوا علىٰ قتله، وحُمِل إلىٰ (المعلاة)، ودُفن علىٰ أخيه هزاع[2] بإشارة أخيه حميضة. وبعد فراغ دفنه ألبس (الأمير لباش) السيد حميضة بن محمد الخلعة، وأقامه علىٰ الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر. وكانت ولايته للحجاز يوم مات أخيه هزاع خامس رجب سنة (٩٠٧هـ) ـ سبع وتسعمائة ـ عاهده القاضي أبو السعود بن إبراهيم بن ظهيرة، وكان تدبيره تدميره، ثم جاء الشريف بركات ودخل (مكة) في شعبان وخرج منها جازان، ثم جمع جازان عسكراً، وقصد (مكة)، ولما سمع به بركات، خرج إلىٰ جهة اليمن، ودخل جازان مكة وحصل بها الغلاء والخوف، وصودر جماعة وغرموا مالاً، وقطعت الطريق، ونهبت العربان من (جبل أبي قُبيس)، ثم قصد بركات (مكة) وصادمه جازان، والتقوا بـ (المنحنىٰ)، فهزم بركات ونهبوا أمواله وجماله.

وقصد بركات الأشراف آل أبي نمي الذين باليمن، وساعدوه وهجم بهم حلة جازان فنهبها، ودخل (مكة) وحفر خندقاً علىٰ (مكة)، ولما جاء جازان لم يجد وصولاً إلىٰ (مكة) فانهزم، ثم في رابع شوال هجم (مكة) علىٰ غفلة وانهزم بركات، واستولى جازان علىٰ (مكة)، وقتلوا خلقاً كثيراً، ونهبوا البيوت، وسبوا

(١) بياض بالأصل. ولكنه سيكتب ترجمة عن المذكور في أهل سنة ٩١٤هـ.

(٢) دُفن علىٰ أخيه: أي تم دفنه في ذات القبر المدفون به أخيه.

الأرقاء وأمهات الأولاد وكثيراً من أولاد الناس، وتوجهوا إلىٰ (ينبع)، واستفك جماعة أولادهم بمال كثير.

وفي القعدة وصلت التجريدة من مصر، وجعلوا لكبيرهم مالاً في تولية جازان، وقبض بركات، فلما وصلوا خلعوا علىٰ بركات، ولمّا وصلوا المدرسة قبضوا علىٰ السيد بركات وجماعة وطلبوا أخوانه فلم يجدوهم، ونهبوا دار الشريف بركات ودُور أصحابه، وأخذوا إبله، وأرسلوا للسيد جازان فألبسوه الخلع، والتزم للسلطان ستين ألف دينار، واستمر بـ (مكة) إلىٰ أن قُتل في التاريخ المذكور. رحمه الله وإيّانا.

[شرف الدين بن بركات]

وفيها [٩٠٩]: توفي السيد شرف الدين بن الشريف محمد بن بركات شقيق قايتباي في أول جمادى الأولىٰ، وكان رجلاً كاملاً صاحب تدبير، وسياسة وكان كثير العبادة والطاعة محبياً عند جماعته.

[علاء الدين علي البكائي]

وفيها [٩٠٩]: توفي علاء الدين علي البكائي[1]. العالم العامل، الفاضل الكامل، قرأ علىٰ علماء عصره في تلك البلاد وجد، واشتغل بعدة علوم وبرع فيها. ثم صار مدرساً بالمدرسة السلطانية بمدينة (بروسّا)، ثم صار مدرساً بإحدى المدارس الثمان، ووُلّي الإفتاء بالمدينة المذكورة، وعُيّن له كل يوم ثمانون درهماً.

وكان لطيف الطبع، كامل العقل، سليم الصدر، شريف الذكاء، وانتفع به كثيرون. واستمر مدرساً إلىٰ أن توفي في التاريخ المذكور، وقُتل في تاريخه. وقد مات مرحوماً سيداً.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٧٦، الكواكب السائرة ١/٢٨٠، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٦٩).

سنة عشر وتسعمائة

[محمد بن ظهيرة]

توفي القاضي نجم الدين: محمد أبو المعالي بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة[1] الشافعي، الإمام الكبير العالم الشهير. وُلد بـ (مكة) بعد وفاة أبيه بسبعة وثلاثين يوماً، فسمي باسمه وكنى بكنيته ولقب بلقبه، يوم السبت رابع شعبان سنة ست وأربعين وثمانمائة، وحفظ «القرآن»، و«أربعين» النووي»، و«المنهاج»، و«جمع الجوامع»، و«الألفية»، و«العوامل»، و«التلخيص»، و«التهذيب»، في المنطق، وغيرها. وعرضها على مشايخه، ولازم عبد القادر المالكي والشرواني وإمام الكاملية، وتلقن منه الذكر ولبس منه الخرقة، ولازم ابن نجم الدين البرهان في دروسه، ورحل معه إلى (القاهرة)، وأخذ عن علمائها، وأذن له غير واحد في الإفتاء والتدريس.

وكان متقناً لما يحفظه، حسن الإلقاء والتقرير، مُعظماً عند الملوك والأعيان فمن دونهم، متحرياً في جميع أموره، متعبداً، ودفن بالمعلاة عند الفضيل بن عياض، وخلّف عبد القادر وأبا السعادات. ووُلّي عبد القادر قضاء الحنابلة في حياته بـ (مكة). رحمهما الله تعالى.

[خير الدين ابن ظهيرة]

وفيها [٩١٠]: توفي خير الدين محمد أبو الخير بن الجمال أبي السعود محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود بن ظهيرة الشافعي. وُلد حين خسوف القمر ليلة الثلاثاء، رابع عشر شعبان سنة (٨٤٩هـ) - تسع وأربعين وثمانمائة - بمكة فحفظ «القرآن» و«المنهاج» و«الأربعين»، وعرض ولازم عبد القادر المالكي والجوجري وغيرهما، ورحل إلى (القاهرة)، واشتغل وحصّل، وأذن له في التدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى وصنّف شرحاً على «الأجرومية»، سمّاه: «رشف الشربات السنية من مزج ألفاظ الجرومية»، وعلى لامية الأفعال لابن مالك، وعلى الإيجاز للنووي، وصل فيهما إلى النصف، وأكمل «شرح التسهيل» للشيخ

(١) انظر: (الضوء اللامع ١٠/٥).

عبد القادر من باب التصغير. وتردد إلى (القاهرة) بعد النهب. وسعى في قضاء (مكة) فطعن بمصر، ومات بالطاعون سادس شوال، وصلي عليه بجامع الأزهر ودفن بالقرافة. وله نظم حسن ومنه قوله:

يا ذا الجفا يا ظبية الوعساء ... أضرمت نار الهجر في أحشائي
وأنا الذي أخلقت فيك محبتي ... ووقفت مختاراً عليك ولائي

[عبد العزيز السجلماسي]

وفيها [٩١٠]: توفي الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن هلال الفلالي[1] السجلماسي، أخذ عن والده المتقدم ذكره وعن غيره، وجد في الاشتغال إلى أن نال ما نال، وكان عالماً عاملاً بعلمه محافظاً لأوقاته مواظباً على عبادة الله وطاعاته.

[شهاب الدين الطرطوسي]

وفيها [٩١٠]: توفي الشيخ الإمام شهاب الدين: أحمد بن محمد الطرطوسي المالكي القاضي. كان عالماً بمذهب الإمام مالك، وتفنن في عدة فنون ودرّس وانتُفع به جمع. رحمه الله تعالى.

[محمد النشيلي]

وفيها [٩١٠]: توفي الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد الشمس المغربي الأصل، النشيلي ثم القاهري، الأزهري الشافعي نزيل مكة. وُلد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، بـ (نشيل) من الغربية، ودخل (القاهرة) فلازم شيخ الإسلام زكريا وغيره، وبرع في عدة علوم، وحج وجاور، وكان ماهراً في اللغة والفرائض والحساب، وعين لشهادة العمائر السلطانية والدمشقية وغيرها، وكان فاضلاً، ديناً، عاقلاً، أديباً، ورعاً، عالماً. ومات بـ (مكة) ثامن ربيع أول، ودفن بالمعلاة.

[محمد بن محمد الصالحي]

وفيها [٩١٠]: توفي محمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي ثم

(١) في الأصل: الفلاتي. والتصحيح من: معجم المؤلفين (١٢٤/١) حيث ترجم لوالده.

المصري، قاضي القضاة بها الزين الحنبلي[1]. وُلد في ربيع أول سنة ثلاثين وثمانمائة، واشتغل وبرع ودرّس وأفتى، ثم وُلّي قضاء الحنابلة بالشام، ولم تُحمد سيرته لكن كان عنده حشمة، وتوفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر، وصلى عليه بجامع الحنابلة بالسفح القاسيوني، ودفن به في (الروضة). رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة إحدى عشر وتسعمائة

[محمد المغربي الشاذلي]

عشية يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، توفي العارف بالله الشيخ: محمد المغربي الشاذلي المصري. كان في التصوف بارعاً ولاستحضار حكايات الصلحاء ونقلها مسارعاً، وهو من أولاد الأتراك وإنما اشتهر بالمغربي لكون أمه تزوجت مغربياً. أخذ عن جماعة، منهم: سيدي أبو العباس الشربيني تلميذ شمس الدين الحنفي، وتفنن في العلوم العقلية وعلوم الحقائق والصوفية، وكان علماء مصر قاطبة يُذعنون له في العلوم العقلية والوهبية. ويستفيدون منه العلم الذي لم يطرق سمعهم قط، وذكروا أنه أقام في القطبية ثلاث سنين. وكان الغالب عليه الاستغراق، وكان لا يطيل الكلام في الطريق لعدم أهلية غالب الناس لسماع كلام أهله، وسأله جماعة أن يصنع لهم رسالة في طريق القوم، فقال لهم: أصف الطريق لمن هاتوا صِدقاً في طلب الطريق.. إذا قلت له: أخرج عن مالك وبيتك في مرضاة الله يجيبني بسرعة.. وأنا أصف له الطريق، فسكتوا فقال لهم: والله لو كانت الدنيا بأسرها في يد شخص واحد، فقال له شيخه: أعطني جميع ما بيدك لأعلمك أدباً واحداً من آداب أهل الطريق، ودفعه له لكان قليلاً لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة.

وجاءه إبراهيم المواهبي يطلب منه التربية، فقال: تريد تربية بيتية أو سوقية؟ فقال: ما معنى ذلك؟ فقال: التربية السوقية هي أن أعلمك كلمات في الفناء والبقاء، وتخويفاً، وأجلسك على سجادة، وأقول لك: خذ كلاماً وأعط كلاماً من غير ذوق ولا انتفاع كما عليه مشايخ هذا الزمان الذين برزوا بغير إذن. وأما التربية

(1) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٨٢). ومنه: متعة الأذهان من التمتع بالأقران ق ٩٩).

البيتية فأن تجلس عندي ويفنى اختيارك في اختياري حتى لا تبقى لك شهوة من شهوات الدنيا والآخرة إلا وقد وضعتها تحت رجلك، وتشارك أهل البلاء في سائر الأقطار، وتسمع في حقك سائر ما يقال في القوم للفاسقين فلا تتغير منك شعرة اكتفاء بعلم الله، فقال: يا سيدي هذا مقام كبير، فقال: هو مقام إبليس، فإن الوجود العلوي والسفلي بلعنه ولا يتغير منه شعرة لعلمه أن ليس بيد الخلق حل ولا ربط مع الله تعالى، فكيف تستبعد مقاماً أعطيه إبليس. فقال إبراهيم: أطلب التربية البيتية، فقال: نعم. لكن لا يكون فطامك بعدي إلا على يد الشيخ أبي المواهب. فكان الأمر على ذلك ولم يشتهر إلا بالمواهبي.

وكان سيدي محمد المغربي يقول: السالكون على ثلاثة أصناف: جلالي وهو في الشريعة أميل، وجمالي وهو إلى الحقيقة أميل، وكمالي جامع بين المقامين وهو منهما أفضل وأكمل.

وكان يقول: يجمع آداب الطريق كلها لفظان: سكتة ولفتة، وقد وصل السالك إلى مقصوده وكان يقول: اطلب طريق السادات وإن قبوا، وإياك وطريق غيرهم وإن جلوا، وكفى شرفاً لعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[1]. وهذا من أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة، كما يجب طلب علم الشريعة لتلازمهما، وإن لم يستشعر بذلك حاملها. قال رضي الله عنه في معنى قول حجة الإسلام: ليس في الإمكان أبدع مما كان ـ أي لأن الله تعالى امتنّ علينا بنحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[2] الآيتين. ومعلوم أن الامتنان لا يقع إلا فيما هو غاية ونهاية وإلا فكيف يمتنّ الحق بمفضول، ولا يصدر عن الكامل إلا كامل من حيث الحكمة الإلهية. وكان يقول: أن الكلام في أهل الله سُم قاتل، كذلك هو في علماء الإسلام، سُم قاتل كُلٍ في دائرة على حق وهدىً من الله تعالى، ويتفاوتون في العلم والعمل على طبقات، ومن أكثر على أهل الله تعالى الرد، فهو من أهل الطرد، قال: إنما جُعل قتل الكلب المُعلَّم ذكاة لائتماره بأمر سيده وانتهائه بزجره، ولو كان مع نفسه وهواه حرم أكل صيده.

(1) سورة الكهف، الآية ٦٦.
(2) سورة الذاريات، الآية ٤٧.

وكان رضي الله عنه كريم النفس يعطي السائل الألف الدينار وكأنه أعطاه بعرة، وكان ينفق النفقة الواسعة من الغيب، ولا يأخذ من أحد شيئاً، وكثيراً ما يأتيه المديون، فيقول له: ارفع طرف ذلك الحصير وخذ ما تحته، فتارة يجد أكثر من دينه، فيقول له: توسع بالباقي. وكان مع سعة عطائه للناس يفت الرغيف بالماء ويأكله وينشد موالاً:

اقنع بلقمةٍ وشربة ماء ولبس الخيش   وقل لعقلك ملوك الأرض راحوا بيش

ولمّا دخل عليه الملك الأشرف قايتباي يزوره، رسم له بألف دينار، ردّها، وأنشد هذا البيت. فبكى السلطان حتى بل منديله، فقال له: فرّقها على المحبين، فقال: من تعب في تحصيلها فهو أولى بتفرقتها، ثم قال: من كانت الحقيقة تتصرف فيه فلا اختيار له مع الله تعالى فلا يقال ـ إذ أخذنا لها وتفرقتها ـ أنفع للفقراء.

[جلال الدين السيوطي]

وفيها [٩١١]: في تاسع عشر جمادى الأولى، وقت عصر يوم الجمعة توفي الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي. ذكره في «النور السافر»(١)، وقد أفرد له غير واحد من العلماء ترجمة(٢)، منهم: تلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي سمّاها: «نفحة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين»، ومنهم تلميذه الشيخ شمس الدين الداودي المالكي، أفرده بترجمة على نمط ترجمة السخاوي لشيخه ابن حَجر. وقد ألف الشيخ جلال الدين كتاباً سمّاه: التحدث بنعمة الله تعالى، ذَكر فيه وقائعه مع أهل عصره والرد عليهم والمؤلفات التي ألّفها ودعوىٰ الاجتهاد والتجديد، وذكر مشايخه، وبدأ بترجمة والده، وثنى بترجمة نفسه، وذكر ما وقع له إلى حين انقضاء أجله وما جُبل عليه من حسن العمل وغيره، قال: والتحدث بنعمة الله تعالى مطلوب شرعاً، وذَكَر ما دلّ عليه من الكتاب والسنة، قال: وما زالت العلماء قديماً وحديثاً يكتبون لأنفسهم تراجم ولهم

---

(١) ص ٥١.

(٢) انظر مصادر ترجمته في: (معجم المؤلفين ٥/ ١٢٩).

في ذلك مقاصد وذكرهم، قال: وقد اقتديت بهم فوضعت هذا الكتاب تحدثاً بنعمة الله تعالى لا رياء ولا سمعة. قال: ووالدي هو الإمام العلامة الفقيه الفرضي الحاسب الأصولي النحوي التصريفي البياني البديعي المنشيء كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين، وذكر نسبته ثم قال: الخُضيري ـ بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين مصغراً، نسبةً إلى الخضيرة محلة ببغداد ـ ثم ترجم بعض جدوده وذَكر ترجمة والده قال: وللوالد تعاليق منها: حواشي على شرح «الألفية» لابن المصنف، وحاشية على «العضُد» وحاشية في إعراب قول «المنهاج» وما ضُبِّبَ بذهبٍ وفضة فتنة كبيرة، وحواشي على «آداب القضاء» للغزي، وأجوبة «اعتراضات ابن المقري» على «الحاوي» وكتاب في «التصريف»، وآخر في «التوقيع». توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وكان يكتب (السيوطي)، وغيره يكتب: (الأسيوطي)، وقد تحرّر لي أن في أسيوط خمس لغات: أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثليث السين. وقد أفردت لها اقتداء بمن أفرد لبلده تاريخاً مع أني له ارها قال: وصنفت ـ سنة خمس وستين ـ شرح «الاستعاذة والبسملة»، وكتاب شرح «الحيعلة والحوقلة»، ووقف عليهما شيخنا علم الدين صالح البلقيني. فكتب عليهما تقريظاً، وهذان الكتابان لولا أن شيخنا شرفهما بخطه لغسلتهما في جملة ما غسلته. وأجازني في الافتاء والتدريس سنة ست وستين، واستأذنته في أن أباشر ما قرر باسمي مشيخة تدريس الفقه بالجامع مع الشيخوني، وأن يشرفني بالحضور، فأجاب، فرتبت كراسة في الكلام على أول سورة الفتح، وافتتحتها بخطبة الرسالة للشافعي، اقتداءً به وبوالده. وزرت الشافعي وتوسلت به. وفي تاسع القعدة حضر شيخنا، وحضر من الطلبة والفضلاء خلق كثير، فقال: هنا ربعه فقيل: لا، فقرأ سورة ﴿تبارك﴾ و﴿الإخلاص﴾ و﴿المعوذتين﴾ و﴿الفاتحة﴾ ودعا، وافتتحت بخطبة الشافعي، ثم سردت بكلام الذي رتبته. ولازمت دروسه، فأحضر عنده من الفجر وقرب الظهر، ثم ارجع إلى الشمني فأحضره إلى قرب العصر، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة: السبت والإثنين والخميس، وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي. ووقعت لي واقعة تحريم المنطق، فألّفت: «الغيث المُغدق في تحريم المنطق»، فقامت الغوغاء وثارت نار كبرى،

فعوّضني الله عنه علم الحديث.

ثم ذَكَر بعض من أجازه ومقروآته في كل العلوم قال: ثم ابتدأت في السماع، وتحصيل الاجازات فلم أكثر منه لأمور منها اشتغالي بالدراية تدريساً وتأليفاً وأخذا عن أئمتها المعتبرين. ثم سرد مسموعاته قال: وأجازني خلق من الديار المصرية والحجازية وحلب، وقد جمعت معجماً في أسماء من سمعت وأجازني فبلغوا نحو ستمائة، وشيوخ الرواية أربع طبقات، ثم ذكر شيوخه. قال: ووقع لي ثلاثة أحاديث بيني وبين النبي ﷺ فيها عشرة أنفس وهذا في غاية العز - وذكرها - ووقع لي من الأحاديث الصحيحة ما بيننا وبين النبي ﷺ فيه أحد عشر نفساً بإجازة في الطريق، وبالسماع المتصل.

اثنى عشر، وذلك كثير جداً. وذَكَر رحلته إلى (الحجاز) وألّف فيها: «النحلة الزكية في الرحلة المكية»، ثم أنشأ رحلة أخرى، وألف: «الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط»، وذكر بعض من سمع منه ومَنْ مدحه، قال: ثم انتصبت للتدريس سنة سبعين، فلم أرد طالباً ولا مبتدئاً ولا فاضلاً - وقرأ عليَّ في تصانيفي وغيرها فضلاء وذكرهم، قال: وتصديت للإفتاء سنة إحدى وسبعين، وقد جمعت غرائب الفتاوى دون الواضحات، وفتاوى خالفنا فيها أهل العصر، فاقتضينا لبيان الحق بالتأليف فألّفنا في كل مسألة مؤلفاً، وذلك أكثر من خمسين واحدة جعلناها في مجلدين على حدة، فمجموع الفتاوى ثلاثة مجلدات. ولما بلغت درجة الترجيح لم أخرج عن ترجيح النووي في الإفتاء، وإن كان الراجح عندي خلافه. ولمّا بلغت درجة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الشافعي، قال: والتي صنفتها سبعة أقسام:

الأول: ما ادعي فيه التفرد ومعناه لم يؤلف له نظير فيما علمت، وليس ذلك لعجز المتقدمين، ولكن لم يتفق أنهم تصدوا لمثله، وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله. وهو ثمانية عشر مؤلفاً.

الثاني: ما يناظره ويمكن العلامة يأتي بمثله، وذلك خمسون مصنفاً.

الثالث: ما تم من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم من كراسين إلى عشرة، وذلك سبعون.

الرابع: ما كان كُراساً ونحوه، وذلك مائة مؤلف.

الخامس: ما ألف في واقعات الفتاوى من كراس وفوقه ودونه، وذلك ثمانون.

السادس: مؤلفات لا اعتداد بها، لأنها على طريق البطالين الذين ليس لهم اعتناء إلا بالرواية المحضة ألّفتها زمن السماع، وذلك أربعون.

السابع: ما شرعت فيه وفتر العزم عنه، وذلك مائة مؤلف.

وذكر أسماء هذه الكتب المؤلفات، ثم ذكر بعض ما كتب على مؤلفاته تقريظاً ومدحاً ثم ذكر من قَدِم عليه لأخذ مؤلفاته وانتشارها في البلدان، قال: ومن نعمة الله عليَّ أن أقام لي عدواً يؤذيني، كما كان للسلف مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾[1] الآيات، ثم ذكر ما وقع للأنبياء والصحابة ومَنْ بعدهم وما حصل له مِنَ الضرر.

قال: ورزقت التبحر في سبعة علوم؛ التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة المتأخرين من العُجم والفسقه، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم لم يصل إليه أحد من مشايخي فضلاً عن غيرهم. وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظراً وأطول باعاً، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الفرائض والإنشاء والترسل؛ فلا أقول مرتبتي في الإنشاء والترسل تبلغ مرتبة الشهاب محمود ولا ابن عبد الظاهر، ولا ابن فضل الله، بل هي دون ذلك في حد التوسط. ولم أتبحر في الفرائض كتبحري في تلك؛ مع أن معرفتي به فوق معرفة الموجودين بأسرهم، ولقد ألّفت فيها مؤلفاً سميته: «الجامع»، لم يُسبق إلى مثله، جمعت فيه جميع مسائل الفن وما فيها من الخلاف حتى مذاهب الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، وهو في غاية الوجازة بحيث جاء في كراسين.

ودون ذلك في المعرفة القراءات ولم آخذها عن شيخ؛ فلذلك لم أُقرئها أحداً لأنها فن إسناد، وقد ألّفت فيها التأليف البديع.

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٢.

ودونها في المعرفة الطب، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ولكن يثقل عليّ النظر فيه، وتضيق أخلاقي. ومَنْ ظن أني قلت ذلك قصوراً عنه فذلك لجهله بمقصودي، وكم من مسألةٍ عُرِضت عليّ فيه نظماً ونثراً. فأجبت عنها في الحال، وإنما قصدي ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبيعتي، وقد قال إمام الحرمين: لا يصبر على الحساب إلا بليد، وقال ابن تيمية: الحساب وإن كان حقاً في نفسه إلا أنه من علوم الأوائل. وكان الصحابة يقسمون بما عندهم من العلم وبما ركز في طباعهم من غير اعتبار القواعد التي اصطلح عليها الحساب، قال: وقد كَمُلت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها. . لقدرت على ذلك من فضل الله ومنته، لا بحولي وقوتي. وقد بلغت رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي، وفي العربية، ورتبة الاجتهاد المطلق في هذه الأمور كانت مجتمعة في الشيخ تقي الدين السبكي، ولم تجتمع في أحد بعده إلا فيّ، ولا تظن أن من لازم المجتهد المطلق أن يكون مجتهداً في الحديث، مجتهداً في العربية، لأنهم نصّوا على أنه لا يشترط في الاجتهاد المطلق التبحر في العربية بل يُكتفى فيها بالتوسط ونصّوا في الحديث على ما يؤدي إلى ذلك.

والاجتهاد في الحديث هي المرتبة التي إذا بلغها الإنسان سُمي في عُرف المحدثين بالحافظ، وقد وصفوا بالاجتهاد خلقاً لم يصفهم المحدثون بالحفاظ، ولا ذكروهم في طبقاتهم. وممن وصف بالاجتهاد المطلق: الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وأبو نصر بن الصباغ. وإمام الحرمين، والغزالي، وكلٍ منهم لم يعد في الحفاظ. وكان ابن الصلاح يثبت وصف المذكورين ـ سوى ابن الصباغ ـ بالاجتهاد المقيد دون المُطلق، فكأنه يرى أن من شرط المُطلق أن يكون من الحفاظ. ولا شك أن الرأي قوي وإن كنت أخالفه في قَصْره هؤلاء على المقيد، وأوافق من وَصفهُم بالمُطلق. وقد بلغ أبو محمد الجويني رتبة المُطلق، وألّف كتابه «المحيط»، التزم فيه الوقوف مع الحديث وعدم التقيد بالمذهب، فتعقب البيهقي فيه أوهاماً حديثية، وأرسلها للجويني. وقال له في مسألة اختارها بخلاف ما نص عليه الشافعي للشيخ أهل أن يجتهد ويتخير ولكن يحتاج إلى ثبوت الحديث الذي

احتجّ به فإنه غير ثابت؛ فسلِّم له الاجتهاد مع خفاء أمر هذه الأحاديث عليه. وقد كان سراج الدين البلقيني مجتهداً مطلقاً، ووصفه تلميذه الحافظ بن حجر بالحفظ، وذكرته في «الطبقات»، ولكن لم يكن في الرتبة العليا؛ بل عصر به العراقي احفظ منه وأجل في الفن والنقد بكثير؛ وكانت عربية البلقيني وسطى، ولم يكن من المجتهدين بعد السبكي من يبلغ رتبة البلقيني في الحديث. وأما قبل السبكي فاجتمع الاجتهاد في الأحكام والحديث لخَلقٍ كثير، منهم: ابن تيمية، وقبله ابن دقيق العيد، وقبله النووي؛ وقبله أبو شامة، وقبله ابن الصلاح، وأما من قبله فكثير جداً. وأما الاجتهاد في العربية على انفراده، فما بعد ابن هشام من يصلح ـ لأن يوصف به غيري ـ إلا أن يكون الخماري، فإنه كان متفرداً بالنحو على رأس الثمانمائة.

قال: ولنتكلم على هذه الاجتهادات الثلاثة ليعرفها من لا يدري ما هي، أمّا في العربية فهو أن يحيط بنصوص أئمة الفن من سيبويه إلى زماننا، وأن يَطّلع على غالب دواوين شعراء العرب الذين يحتج بشعرهم وإن لم يحفظه عن ظهر قلب؛ ويكون مع ذلك محيطاً بالقواعد التي بنى النحاة تصرفاتهم عليها، وليس المراد بها المذكورة في واضحات كتب النحو بل قواعد أُخَر؛ هي كالأصول لتلك القواعد، وهذا شيء دَرّس الآن فلا يعرفه إلا متبحِّر في الفن، وقد ألّفت كتاباً في أصول النحو، بل هي بالنسبة إليه كأصول الفقه، ويكون مع ذلك حسن التصرف. . جيد الإدراك؛ له قدرة وملكة على الإستنباط والتخريج والترجيح بما رجح عنده من التبحُّر وسعة النظر والإحاطة. وأما الاجتهاد في الحديث فهي مَرْتبة الحفظ. ثم ذَكر ما قيل فيه. وأما الاجتهاد في الأحكام الشرعية، فقد ألّفت في تقريره كتاباً حافلاً، سميته: تقرير الإستناد إلى تيسير الإجتهاد ـ وبيّن ذلك. ثم ذَكَر المبعوثين على رأس كل مائة، قال: وقد ترَجّى الفقير من فضل الله أن يُنعم عليه بكونه هو المجدد على رأس المائة التاسعة، ثم ذكر اختياراته في الفقه وهي خمسة وثلاثون مسألة، واختياراته في الحديث والأصول. ثم ذكر نبذة من نظمه وإنشائه وإسناده في الفقه، ولبس الخرقة، وتلقين الذكر والصحبة. ثم ذَكر أسئلة سبعة أوردها على علماء عصره، فقال: يقول الفقير العاجز عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي منادياً بالملأ على رؤوس الأشهاد؛ مَنْ ادعى أنه في العلم والفهم مُقدَّم فليجب عمّا

استبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم.

السؤال الأول: ما هذه الأسماء: ألف با تا ثا إلىٰ آخرها، وما مسماها؟ وهل هي أسماء أجناس أو أسماء أعلام؟يعبد الله بن ، فإن كان الأول فمن أي نوع؟ وإن كان الثاني.. فهل هي شخصية أم جنسية. فإن كان الأول فهل هي منقولة أو مرتجلة، فإن كان الأول فمم نُقلت أمِن حروف أو أفعال أم أسماء أعيان أم مصادر أم صفات؟ وإن كانت جنسية فهل هي من أعلام الأعيان أو المعاني.

السؤال الثاني: من وضع هذه الحروف وفي أي زمان وُضِعت؟ وما مستند واضعها: هل هو العقل أو النقل؟.

السؤال الثالث: هل هذه الحروف مختصة باللغة العربية أو عامة في جميع اللغات؟.

السؤال الرابع: الألف والهمزة هل هما مترادفان أو مفترقان، وعلىٰ الثاني فما الفرق وأيهما الأصل؟.

السؤال الخامس: لم أجمع علماء اللغة وغيرهم من المتكلمين علىٰ المفردات.. علىٰ الإبتداء بحرف الهمزة، وهل هو أمر إتفاقي أو لحكمة؟.

السؤال السادس: كلمات: أبجد هوز إلىٰ آخرها.. هل هي مهملة أو مستعملة؟ وما عُني بها؟ وما أصلها؟ وكيف نُقلت إلىٰ المراد بها؟ وما ضَبْط ألفاظها؟.

السؤال السابع: ما حكمها في الابتداء والوقف والصرف والمنع والتذكير والتأنيث والإعراب والبناء واللفظ والرسم؟ وعند التسمية بها، وما حكمها شرعاً عند نقشها علىٰ ثوب ونحوه، وهل للحروف المجتمعة أو المفرقة حرمة.

فهذه سبعة.. فمن أجاب عنها فهو من الرجال، وإلا فلا مزية له علىٰ الأطفال.

وألّف رحمه الله تعالىٰ في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة ست رسائل، ووافقه فخر الدين الحافظ أبو عمر عثمان الديمي، وخالفهما الحافظ السخاوي. وسُئل عن محفوظ الحافظ ابن حجر؟ فقال: ما يزيد علىٰ مائتي ألف، وعن محفوظ الديمي؟ فقال: إنه يحفظ أنساب الرجال بلا مراجعة وأنا أحفظها بمراجعة، وسُئل عن

محفوظه؟ فقال: احفظ مائتي ألف حديث.. ولو وَجَدت أكثر لحفظته.

وكان يجتمع بالنبي ﷺ يقظةً ولكن ليست كالرؤية عند الناس، وإنما هي جمعية حالية، وحالة برزخية، وأمْر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره.

وكان ممن تُطوىٰ له الأرض كما أخبَر به العارف بالله عبد الوهاب الشعراوي، وقال: يبدو خراب (مصر) أول سنة (٩٢٣هـ) ـ ثلاث وعشرين وتسعمائة ـ وتنقرض بياضات (مصر) من ذوي البيوت سنة (٩٣٣هـ) ـ ثلاث وثلاثين ـ وتُخرب (مصر) خراباً وسطاً سنة (٩٥٧هـ) ـ سبع وخمسين ـ وخراباً كلياً سنة (٩٦٧هـ) ـ سبع وستين ـ حتىٰ يُضرب بها المثل في الخراب؛ وقال: من عاش إلىٰ سنة سبع وخمسين وتسعمائة يجد خراج (مصر) يقف.

ولمّا بلغ ـ رضي الله عنه ـ أربعين سنة، أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ، والزهد في الدنيا والإعراض عنها وعن أهلها حتىٰ عن وظائفه، واقتصر علىٰ تصحيح مؤلفاته، وامتنع من الافتاء والتدريس، وألف في ذلك: «التنفيس علىٰ ترك «افتاء والتدريس»، وأقام بـ (الروضة) إلىٰ أن مات. وكان لا يتردد إلىٰ أحد من أهل الدنيا وسلاطينها، وكانوا يأتون إلىٰ منزله، ويُعظّمونه ويعتقدونه، وذَكَر في تذكرته التي سماها «الفلك المشحون» أن الأشرف قايتباي رسم بطلوعه إليه، قال: فطلعت ودخلت طيلساني علىٰ العادة فقال: أنت مالكي ـ لأنه يظن أن الطيلسان مختص بالمالكية، فقلت: الطيلسان لا يختص بالمالكية، فقال: هذا تكبر وتجبر، وبالغ في تشديد البا‌ءين، فقلت: معاذ الله بل سنة رسول الله ﷺ؛ ثم بلغني أن إمامه إبراهيم بن الكركي قال له: لو كنت حاضراً لقلت له: سُنّة اليهود! فقلت: إن كان ابن الكركي قال ذلك فقد كفر، ولو قال ذلك لكفّرته بحضرته. ثم ألّفت مؤلفاً سميته «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان». ثم جاء قاصد يطلبني.. فامتنعت، فصرف معالم الجماعة ولم يصرف لي، وابن الكركي يبالغ في إغرائه عليّ ويوقد النيران، وكلما أوقد ناراً للحرب أطفأها الله. ثم أرسل إليّ وذكر تهويلاً عظيماً، فقلت: قل له: أنا أحبه وأدعو له.. فإن أقرني علىٰ التمسك بالسنة وسلوك طريق السلف فما عندي أعز منه؛ وإلا توجهت إلىٰ رسول الله ﷺ يحكم بيني وبينه ويرده عني فلمّا طلع إليه القضاة أول

الشهر استفتاهم عليّ بزعمه في امتناعي من الطلوع إليه، فما منهم من نصر الحق. فلمّا بلغني ذلك عزلت نفسي من المشيخة، وألّفت مؤلفاً سميته: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلىٰ السلاطين»، فلما بلغه ذلك شق عليه، ثم أرسل إلىٰ الأمير الكبير بما بلغه ما بيني وبينه من الصحبة، يكلمني في ذلك، فأمليت عليه كراسة سميتها: «الرسالة السلطانية»، فيها أحاديث مروية في نهي العلماء عن التردد إلىٰ السلاطين، وهي مختصرة من الكتاب المذكور، فلما قُرِئت عليه أحسَن الجواب. وقال: لو ضربني لم أعترضه. فساء ابن الكركي ذلك، وأخذ يغريه ويُحسِّن له السوء؛ فلما طلع القضاة أول الشهر؛ فتح لهم في شأني، فأرسل إليّ قاضي القضاة الشافعي يُعْلِمني أن الأمر شديد، ويحثني علىٰ تلافي خاطر السلطان، فقلت: لا أسأل إلا الله.. وأنا متمسك بقول الصادق المصدوق: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق.. منصورين، لا يضرهم من خذلهم». ثم توجّهت فيه إلىٰ رسول الله ﷺ فمرض ومات. انتهى.

واتفق اجتماع جلال الدين وابن الكركي وتكلما في مسألةٍ، فاحمّر وجه ابن الكركي، وقال: نحن سبقناك للاشتغال بالعلم علىٰ المشايخ، وأنت تأخذه بقوة الذكاء، فقال له الشيخ: العلم نور يقذفه الله تعالىٰ في قلب كل من شاء من عباده.

ولمّا تولّىٰ قانصوه سأله أن يكون شيخ مدرسته التي أنشأها فلم يقبل؛ فسأله أن يرتب له جوالي، فلم يقبل فسأله قبول مرتب كل شهر من وجه حل فلم يقبل؛ فسأله في إعادته إلىٰ مشيخة البيبرسية، فلم يقبل.

وكان إذا احتاج باع من كتبه، وكان يأكل ما أجمعت الأطباء علىٰ نفعه، وكان يعرف الطب وألّف فيه مؤلفات، وأنشأ فيه مقامات، وكان التكاورة[1] يعتقدونه ويعتنون بكتبه كتابةً وشراء، واتفق أن بغىٰ علىٰ سلطانهم باغ عجز عن دفعه، فشكوا للشيخ فكتب رسالة للباغي، فلما قُرِئت عليه نكص علىٰ عقبيه. وكذلك أهل الروم، وكانوا يهدون إليه، ويحتفلون بتصانيفه، ومما وقع له أن نقيب الجيش ـ ومعه جماعة ـ جاء علىٰ لسان السلطان قانصوه؛ بسبب شكوىٰ أهل

(١) هكذا.

(البيبرسية)، وقصته مع صوفيتها طويلة؛ تركتها اختصاراً، فدخل علىٰ الشيخ في قاعته التي في جامع طولون، ووقف علىٰ الباب وقال له أجب السلطان، فقال له الشيخ وهو متكىء بذراعه الأيمن علىٰ وسادته: ما لي وللسلطان، إن كان له عندي حاجة فليأت إلىٰ منزلي، فقال: أجب وليّ الأمر! فقال له الشيخ: اسكت وإلا أفتي بكفرك، وضرب عنقك نحن أولو الأمر، ولا زال يوبخه وينتهره وهو واقف والشيخ متكىء علىٰ وسادته. وله فيه رسالة سماها: «ما رواه السادة في الإتكاء علىٰ الوسادة»، فدخل نقيب الجيش متأدباً، وقبّل أقدام الشيخ واعتذر، فقبّله ودعا له.

وللحكايات التي أيده الله بها كثيرة، وكراماته شهيرة، ومن ذلك حكايته مع العادل وهي من تعلقات صوفية (برقوقية) التي أضربنا عن ذكرها، وهي أن أهل (البيبرسية) رموا بين الشيخ وبين العادل فتنة، فأضمر للشيخ القتل، والمُحرِّك لها عبد الخالق الميقاتي، فرَسم علىٰ الشيخ عند شيخ الإسلام، وقالوا له: احضر شهوداً أن السلطان قايتباي قررك شيخاً، فقال: ما جرت بذلك عادة، وخِلْعَة السلطان والشهرة تغني عن ذلك، فقال شيخ الإسلام: وأنا والخليفة، وخلق آخرون ممن ركبنا قدامه. فقال الشيخ: عندي ما يدل علىٰ ذلك، فأذنوا له أن يروح في الترسيم ويحضر به، وأرسل عبد الرزاق إلىٰ الشيخ وقال له: غِب عن الوجه حتى تخمد هذه النار، فغاب وقال: الهرب من سنن المرسلين، قال الله تعالىٰ حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ففرت منكم﴾ الآية. فشاع الخبر أن الشيخ غاب، واختفىٰ مدة. ثم أتىٰ إليه الشيخ شمس الداودي، وقال: طالت غيبتكم، فقال الشيخ في اليوم الفلاني.. يُقتَل العادل وأحضر عندكم؛ فما أخطأ الوقت الذي عيّنه.

ولم يدع علىٰ أحد ممن آذاه. وكان يقول إذا اشتد به الأذى: حسبنا الله ونعم الوكيل. وألّف تأليفاً سمّاه: «تأخير الظلامة إلىٰ يوم القيامة»، وقال في رسالةٍ سمّاها: «الإستيقاظ والتوبة»، وهي في تذكرته: أقول أن الله عز وجل جبلني علىٰ خصالٍ منها: حب الخير والعمل الصالح وكراهة ضدها، وعلىٰ حُسن الإعتقاد في الفقراء وأهل الصلاح، والزهد والتقشف والتعبد، وكل ما ينسب إلىٰ شيء من خصال الخير؛ ومنها: كثرة التأني في الأمور، وربما امكث السنين أتروّىٰ في

الأمر، ورب رجل يُذكّرني بسوء فلا أبادر إلى سوء الاعتقاد فيه حتى أجرّبه ويتواتر ما ينفرني، والأصل عندي في كل مسلم الخير والدّين حتى يثبت خلافه، وهذه مسألة فقهية؛ هل الأصل في الناس العدالة، أو الفسق؟ وأُلهمت حب السُّنّة والحديث، وبغض البدع وعلوم الأوائل، وألّفت في ذم المنطق ـ وأنا ابن ثمان عشر سنة ـ وكرهته كراهة تحريم.

وكتب لي أمير المؤمنين الخليفة عبد العزيز المتوكل على الله عهداً شريفاً، فوّض إليه القضاء بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية تفويضاً عاماً، والنظر في أمور القضاة، فمَن صلح منهم أقرّه ومن لم يصلح منهم عَزله. وكان كثير من علماء زمنه يتكلمون فيه، فلما رأوا كلامه وجدوه في غاية الكمال والتحرير، وأذعنوا له واعترفوا بفضله.

ألّف رسالة في أسماء كتبه، رتّبها على الفنون[1]، ففي التفسير ثمانية عشر مؤلفاً، وفي الحديث ومتعلقاته نحو مائة وسبعين، فيما يتعلق بمصطلح الحديث أربعة وعشرين، وفي الفقه نيف وسبعين، وفي أصول الفقه والدين والتصوف ثمانية عشر، وفي فن اللغة والنحو والتصريف ستة عشر، وفي المعاني والبيان والبديع ستة كتب، وعشرة كتب جامعة لفنون عديدة، وفي الأدب والنوادر والإنشاء والشعر ستة وثلاثين، وسبعة وثلاثين مقامة، وفي فن التاريخ ثلاثون مؤلفاً.

وتوفي وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، وقرأ عند احتضاره سورة ﴿يس﴾، ودُفن في قبر والده، وعمل له الأمير الكبير قرقاش صندوقاً من خشب، وستراً أسود خليفتي، مطرزاً بالأبيض آية الكرسي، وعَملت والدته على قبره بناء لطيفاً وصار ضريحه مقصوداً للزيارة والتبرك، وقد استنجد به جماعة بعد موته في حوائج مهمة فقضيت، ولقد قال لأهل بيته: إذا كانت لكم حاجة.. فأتوا إلى قبري واذكروها لي فإنها تُقضى. ووقع لجماعة مسائل لم يعرفوها فأخبرهم الشيخ بها وبمظانها في المنام.. فوجدوها كما قال. ولمّا مات لم يتعرض أحد في تركته، مع أن الزمن كان زمن

(1) استقصى الداودي مؤلفاته لنافت عدتها على خمسمائة مؤلف ـ (معجم المؤلفين ٥/ ١٢٨).

جور، قال الغوري: لم يقبل الشيخ منّا شيئاً في حياته.. فلا نتعرض لتركته.

[نور الدين السمهودي]

وفيها [٩١١]: في يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة، توفي الشيخ الإمام المحقق الهمام العلامة، نور الدين أبو الحسن[1]، علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي الروح عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي الطاهر الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن حسن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وابن البتول فاطمة ابنة الرسول ﷺ، السمهودي ثم القاهري. نزيل طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وعالمها ومفتيها ومدرّسها ومؤرخها، شيخ الإسلام والمسلمين وواحد علماء الدين، بقية المجتهدين المتقن.

ترجمه الحافظان العز بن فهد والشمس السخاوي، وساق أولهما نسبه كما ذكرنا، وقالا ما مختصره أنه: وُلد في صفر سنة (٨٤٤هـ) ـ أربع وأربعين وثمانمائة ـ بـ (سمهود)، ونشأ بها فحفظ «القرآن» و«المنهاج الفرعي»، وكُتباً أُخر، ولازم والده. فقرأ عليه ـ بحثاً ـ «المنهاج» وشرحه للجلال المحلي، وشرح «البهجة» نصفه سماعاً، و«جمع الجوامع» وغالب «ألفية ابن مالك»، وسمع عليه بعض كتب الحديث وقدِم (القاهرة) معه وبمفرده غير مرة؛ أولها سنة ثلاث وخمسين، ولازم أولاً الشمس الجوجري في الفقه وأصوله والعربية، وقرأ على الجلال المحلي بعض شرحيه على «المنهاج»، و«جَمْع الجوامع»، وسمع دروسه في الروضة بالمؤيدية. وأكثر من ملازمة الشرف المناوي. وخَتَم عليه «المنهاج» مرتين و«التنبيه»، و«الحاوي»، و«البهجة»، وجانباً من شرحها، وشرح «جمع الجوامع» مرتين كلاهما لشيخه الولي العراقي، وغيرهما من مؤلفاته ومؤلفات غيره في فنون عديدة، وألبسه خرقة التصوف. وقرأ على النجم بن قاضي عجلون

(1) انظر: (معجم المؤلفين ٧/ ١٢٩، النور السافر ٥٨، البدر الطالع ١/ ٤٧٠، شذرات الذهب ٨/ ٨٥، الأعلام ٤/ ٣٠٧ وذكر فيه مصادر أخرى).

«تصحيح المنهاج»، وعلى الشمس البامي[1] والشمس الشَّرْواني شرح «العقائد النفيسة»، وغالب شرح «الطوالع» للأصبهاني، وسمع عليه «الإلهيات» وقطعة من «الكشاف»، ومن «المختصر» و«المطول» و«العضد» و«شرح المنهاج الأصلي» للسحتري وغير ذلك.

وحضر عند العلم البلقيني والكامل إمام الكاملية، وألبسه الخرقة ولقنه الذكر، وقرأ على الإمام سعد الدين الديري قاضي الحنفية بالديار المصرية «عمدة الأحكام» بحثاً، وأذن له في التدريس هو والبامي والجوجري، وفيه وفي الإفتاء الشهاب الإبشيطي بعد امتحانه بمسائل، وفيهما الجلال المحلي وشيخ الإسلام زكريا والمناوي، وعظم اختصاصه بالمناوي وقرره في عدّة وظائف وعرض عليه النيابة فأباها مع قضاء بلدة، وكان يتوجه لزيارة أهله أحياناً، قال السخاوي: وسمع مني من مصنفي «الابتهاج» وغيره.

ثم رحل إلى (الحجاز) سنة سبعين وثمانمائة، وسمع بمكة على كمالية بنت النجم المرجاني وشقيقها الكمال أبي الفضل والنجم عمر بن فهد في آخرين، وجاور بالمدينة. ولازم فيها الإمام العلامة العارف بالله تعالى أبا المناقب أحمد الابشيطي، وقرأ عليه كتباً كثيرة في عدة فنون، وأذن له في التدريس، وأكثر هناك من السماع على أبي الفرج المراغي، وأخذ عن الشيخ عبد الله بن ناصر بن صالح، وألبسه خرقة التصوف بلباسه من عمر العرابي وغيرهم، وكان سكن بخلوة من مؤخر المسجد النبوي، ثم سعى بعضهم في إخراجه منها، فاكترى داراً بباب الرحمة مشهورة بدار تميم الداري، وأنشأ قصيدة مَدَح بها رسول الله ﷺ واستدفع ضيم الأعداء، واستنصر به عليهم، إذ لم يرعوا فيه حرمته مع ما بدا من بعضهم من الوقاحة، أولها:

أيُضَامُ بمَغْنِيكُم يا عُرب رامه	نزيلٌ أنتمُ صرتم مَرامه
ويعدو من أعاديه عليه	غُداةٌ صار قصدهمُ إهتضامه
وأنتم غربه يُنمى إليكم	ومن أبوابكم حاز احترامه

(1) محمد البامي الشافعي. انظر عنه: (معجم المؤلفين ٨/٣١٦).

ومنها:

ولم يرعوا جوارك يا ملاذي	ولا نسبي إليك ولا ذِمامه

في أبياتٍ تزيد على الستين، ووقعت له مكاشفاتٌ كثيرة من مشايخه المذكورين. ومشايخه كثيرون، وأجاز له جماعة منهم، والتمس من النجم عمر بن فهد أن يخرج له مشيخة ففعلها وعَظّمه، وأثنى عليه في خطبتها، ومات قبل إكمالها فتمها ولده العز عبد العزيز، وبيضها له فانتفع بها وحدث بما فيها.

وانتصب للتدريس في الحرمين، فانتفع به جماعة من الطلبة، وألف عدة تصانيف، منها: حاشية على «الإيضاح» مفيدة جداً سمّاها «الإفصاح»، وحاشية على «الروضة» سمّاها: «أمنية المعتنين»، وصل فيها إلى باب الربا، و«جواهر العقدين في فضل الشرفين»، و«العقد الفريد في أحكام التقليد»، ورسالة في «أحكام المسبوق» سمّاها: «مواهب الكريم الفتاح في المسبوق المشتغل بالاستفتاح»، وذَيَّل عليها بكتاب سمّاه: «فتح الرب الواهب بإكمال المواهب»، و«المحرر من الآراء بتعليق الطلاق بالإبراء» و«ضبب الكلام بفوائد السلام»، و«الموارد الهنية بمولد أشرف البرية»، و«شرح سنن أبي داود». ومؤلف في الصيام سمّاه: «مصابيح القيام»، و«كشف الجلباب والحجاب عن القدوة في الشباك والرحاب»، و«الأقوال المسفرة عن دلائل المغفرة»، و«شفاء الأشواق بحكم ما يكثر بيعه في الأسواق».، وله مؤلف في قول حجة الإسلام: ليس في الإمكان أبدع مما كان، و«النصيحة اللبيب في مراثي الحبيب»، وَورود السكينة على «بسط المدينة»، و«الانتصار لبسط روضة المختار»، و«اقتفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» ـ احترق قبل إكماله ومختصره: الوفاء ومختصره «خلاصة الوفاء لما يجب لحضرة المصطفى». وجَمَع فتاويه على أبواب الفقه فجاءت في مجلد وهي مفيدة.

وله فتاوى أخرى منثورة، وكان جَمع كتباً كثيرة نفيسة، ووقع الحريق في المسجد النبوي في سنة (٨٨٦هـ) ـ ست وثمانين وثمانمائة ـ وهو بـ (مكة)، فاحترقت جميعها، فسافر إلى (صعيد مصر) آخر العام لزيارة والدته، فأدرك من حياتها عشرة أيام ثم توفيت بـ (سمهود)، ورجع إلى (القاهرة)، واجتمع بسلطانها الأشرف قايتباي، فأحسن إليه ورتّب له مرتباً في الذخيرة، وأوقف كتباً بـ (المدينة)

وجعله ناظرها، وزار (بيت المقدس)، وعاد إلىٰ (المدينة) مستوطناً آخر سنة سبع، ووجد الدار التي كان بها المشهورة بدار تميم الداري تُباع فاشتراها وعمرها، وتزوج بها عدة زوجات ثم اقتصر علىٰ السراري، وتصدى لنفع الأنام الخاص منهم والعام، وانتفع به الناس، قال السخاوي: قل أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه، واستقر في النظر علىٰ المجمع بمدرسة الأشرف وما فيه من الكتب، وتقرّر في التدريس مع ما رتّبه ملك الروم، والصرف من الصدقات كالقضاة.

وانقاد له الملك داود بن عمر في صدقاته حين حج وبعدها، وكذا ابن نمير وغيره، لِمَا تقرر عندهم من علمه وتدينه والمعاملة الحسنة. وبالجملة فهو إمام فاضل مفتن، مهر في الأصلين والفقه والحديث مع التوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة، قوي الجلادة، طَلْق العبارة مع قوة نفس وربما أدى بالبحث إلىٰ المخاشنة مع المبحوث معه. وعلىٰ كل حال فهو فريد في مجموعه. انتهى.

ولم يزل علىٰ هذه الحالات ويترقىٰ في محاسن الصفات، إلىٰ أن وافاه القضاء المحتوم، وقَدِم علىٰ الحي القيوم، وصُلّي عليه بـ (الروضة الشريفة) بعد صلاة العصر، ودُفن بـ (البقيع) بين قبري السيد إبراهيم والإمام مالك؛ رحمه الله تعالىٰ رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح دار القرار.

[مصطفى اليار حصاري]

وفيها [٩١١]: توفي المولى مصلح الدين مصطفى بن أوحد الدين (اليار حصاري)[١]. كان عالماً صالحاً، شريف النفس عالي الهمة، كبير القدر عظيم الحرمة، أخذ عن علماء عصره، منهم: خواجه زاده. ودرّس بالمرادية بالقسطنطينية وغيرها، ثم وُلّي القضاء بالقسطنطينية، واستمر إلىٰ أن مات وذلك نحو عشر سنين، وحكي أنه امتنع من القضاء، فكتب إليه السلطان بايزيد بيده كتاباً، قال فيه: إني أعرف أنك تستحق القضاء المذكور واعرف أني إن ولّيت القضاء غيرك تعصت أمراء به[٢] وانضرع منك أن تقبل القضاء المزبور، فَقَبِل.

---

(١) انظر مصادر ترجمته في: (معجم المؤلفين ١٢/ ٢٤٣).

(٢) هكذا.

وكان فاضلاً في العلوم الشهيرة، واعترف له العلماء بفضله. وكانت سيرته في القضاء حسنة، وطريقته فيه مرضية، وكانت الظَّلَمةُ تهابه؛ ومع فضله لم يشتغل بالتصنيف ولم يكن له إلا رسائل صغيرة ورسالة في الفرار عن الطاعون[١].

[علي بن أحمد الجمّال]

وفيها [٩١١]: توفي علي بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف النور الأنصاري المكي الشافعي، ويعرف بابن الجمال المصري، حفظ القرآن وعدة متون، وسمع من جماعة، وتردد إلىٰ القاهرة، ورحل إلىٰ الشام واليمن، وكان أحد الشهود المقصودين لرؤية الهلال بمكة المشرفة[٢]. مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، ووفاته ليلة الخميس ثاني المحرم رحمه الله.

[محمد بن سلامة]

وفيها [٩١١]: توفي محمد بن سلامة، العارف بالله تعالىٰ، الزاهد الصوفي، الهمداني الشافعي، بسبب موته أنه تزوج الخنثى واضحة، ودخل بها وأزال بكارتها، وكان لها ابن عم أراد أن يتزوجها فلم تقبل، فشكاها إلىٰ الأمير طرباي فضربها وجرسها علىٰ ثورين وأشهرها في (القاهرة)، وأسف الناس عليه رحمه الله.

[أحمد بن دريب]

وفيها [٩١١]: في شوال انتقل أبو العوامر أحمد بن دريب صاحب جازان وتولىٰ بعده ولده عبد العزيز.

[محمد بن مصطفى]

وفيها [٩١١]: توفي المولى محمد بن مصطفى بن الحاج حسن[٣]. قرأ علىٰ جماعة من العلماء، وصحب المولى يكان؛ ثم وُلّي تدريس عدة مدارس، وقضاء (كليبولي) ثم قضاء (بروسا)، ثم قضاء (القسطنطينية)، ثم قضاء العسكر

---

(١) سمّاها: رسالة الوبا وجواز الفرار عنه. كما ذُكر له معجم المؤلفين ـ غير ذلك ـ حاشية علىٰ التوضيح، وحاشية علىٰ طوالع الأنوار.

(٢) عبارة السخاوي (الضوء اللامع ٥/ ١٦٨): وهو أحد شهود القسمة بمكة والمتصدين لرؤية الهلال بها.

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٩١، ومنه: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٩٧).

بـ (أناضولي)، ثم قضاء العسكر بـ (روم إيلي) إلى أن مات وقد جاوز التسعين.

وكان بحراً في العلوم يحب العلماء ويكرمهم، وله حاشية على تفسير سورة ﴿الأنعام﴾ للبيضاوي، وحاشية على «المقدمات الأربع في التوضيح»، وحاشية على المحاكمة بين الدواني وصدر الدين، ومؤلف في الصرف سمّاه «ميزان التصريف».

[يوسف الحميدي]

وفيها [٩١١]: توفي الشيخ الكامل العالم العامل المولى يوسف الحميدي الشهير بشيخ بستان[١]. اشتغل بالعلم على علماء عصره، وفضلاء دهره، وحصّل طرفاً صالحاً من سائر العلوم، ووُلّي عدة مدارس، وصحب المولى خواجه زاده، وكان يسكن ببعض الرباطات متجرداً عن العلائق الدنيوية، ولم يتزوج، قانعاً بأدنى العيش. وله حواشٍ على «شرح المفتاح» للسيد الشريف متداولة عند الطلبة، وحواشي على «شرح العقائد» للسعد التفتازاني. ولم يزل مقيماً ببلده إلى أن بلغ أقصى مدته. رحمه الله.

[أبو الفتح القلقشندي]

وفيها [٩١١]: توفي[٢] الشيخ إبراهيم بن علي بن أحمد بن إسماعيل الجمّال أبو الفتح القلقشندي القاهري، الشافعي، المحدث، الفقيه. مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، ولازم الجلال المحلي في جميع ما ألفه من تفسير وفقه، وقرأ على الشمني، وانفرد بعلو الإسناد، وخرج لنفسه أربعين حديثاً عشارية الإسناد، وبعض طلبته أربعين أخرى. وكان له معرفة بالعالي والنازل وأسماء الرواة، وُولّي قضاء الشافعية فَحُمِدت سيرته. رحمه الله.

[محمد الصّيداوي]

وفيها [٩١١]: توفي الشيخ محمد الصيداوي كان عين يعلم النغم وله فيها مصنفات[٣]. وله فيها ملكة تامة، وانتفع به جماعة كثيرون. توفي بدمشق رحمه الله.

---

(١) انظر: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ٩١، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي ١/ ٣١٧).

(٢) أورد معجم المؤلفين (١/ ٦١) وفاته سنة ٩٢٢هـ.

سنة اثنتي عشرة وتسعمائة

[أبو الخير الكليباتي]

توفي الشيخ أبو الخير الكليباتي، دُر المعارف والخوارق، إمام المغارب والمشارق. كان فريداً في سمعته، وحيداً في وقته، كان مجذوباً يصحو تارة ويغيب أخرى، وكانت الأمراء والأكابر تسعى إليه، ودفن في الدير الذي كان يجلس فيه تقريباً من زيادة جامع الحاكم بمصر المحروسة، وبنوا عليه فيه عمارة وزاوية، وأقيمت بها الشعائر.

وكان صاحب كشوفات ومعارف وأحوال وخوارق عجيبة، وكان لا تفارقه الكلاب في أي محل جلس في جامع الحاكم، وأنكر عليه بعض القضاة ذلك، فقال: هم أولى بالجلوس منك في المسجد، فإنهم لا يأكلون حراماً، ولا يشهدون زوراً، ولا يستغيبون أحداً، ولا يأخذون عندهم شيئاً من الدنيا، ويأكلون الرمم التي تضر رائحتها بالناس.

وأنكر عليه شخص من جامع الأزهر بمجالسة الكلاب في الجامع فقال: رح وإلا جرسوك على ثور، فشهد ذلك اليوم زوراً.. فجرسوه على ثور، ودارُوا به في مصر. قال سيدي علي الخوّاص: أنهم لم يكونوا كلاباً حقيقة، وإنما كانوا جناً سَخّرهم الله تعالى له يقضون حوائج الناس، فكان كل من راح له دابة أو جارية أو نحو ذلك، وحمل الشيخ الحملة يقول له: اشتر لهذا الكلب رطل لحم وهو يدلّك على متاعك، فإذا أكل ذلك.. ذهب وصاحب الحاجة وراءه حتى يقف على المكان الذي فيه الضائع، فيجده.

وكان دائماً يُخطي على نفسه، وربما جلس في بيت الخلاء من ميضأة جامع الحاكم الأيام المتابعة لا يرفع رأسه، ويقول لنفسه: تستاهلي يا خيثة.

وله مكاشفات غريبة مع أرباب الدولة، وكان صفته قصيراً، يعرج بإحدى رجليه، وله عصا فيها حلق وخشاخيش. توفي ثالث جمادى الآخرة في السنة المذكورة كما ذكره الشعراوي، قال في (الكواكب): والذي حرره الحمصي في

---

(١) لم يذكر معجم المؤلفين (١٠/ ٩٤) شيئاً من هذه المؤلفات واكتفى ـ كما فعل المؤلف ـ بالإشارة إلى ذلك فقط.

تاريخه أنه توفي سنة تسع وتسعمائة، وكان يومئذ بـ (مصر) وما قاله أصح لأنه يتقيد بالوقائع والحوادث يوماً يوماً، وأكثر ما أرخه الشعراوي تقريباً. رضي الله عنه، ونفعنا به.

[حمدي الرومي]

وفيها [٩١٢]: توفي العالم الفاضل سيدي الحمدي الرومي، اشتغل بطلب العلوم والفضائل، وأخذ عن علماء مصره الأفاضل، وصحب المولى علاء الدين الفناري، ثم وُلّي مدرسة السلطان مراد بمدينة(بروسا)، ثم لم يزل ينتقل من مدرسة إلى مدرسة، ومن بلد إلى بلد إلى أن وُلّي قضاء مدينة(قسطنطينية)، وكان كثير الاشتغال بالعلوم، وَجدّ في ذلك إلى أن فاق على أقرانه في الفضل، وله أسئلة على «شرح المفتاح» للسيد الشريف، وأسئلة على «شرح المواقف» للسيد أيضاً، وله نظم حسن بالعربية. ولم يزل قاضياً بالقسطنطينية إلى أن وافته المنية، ودفن بمقبرتها. رحمه الله تعالى وإيانا.

[نور الدين جلبي]

وفيها [٩١٢]: توفي المولى نور الدين حمزة الشهير بليس جلبي[1]. طلب العلم. وقرأ على علماء عصره، وصحب المولى خواجه زاده، ثم وُلّي دفتر بيت المال، ثم مدرسة السلطان مراد ووُلّي عدة مناصب، ثم ترك ذلك وتوطن مدينة (بروسا)، وبنى بها زاوية سكناً للصلحاء، ومات بها، ودفن بزاويته. رحمه الله[2].

سنة ثلاث عشرة وتسعمائة

[برهان الدين الحسيني]

توفي السيد إبراهيم بن محمد، نقيب الأشراف بدمشق، الحسني، برهان الدين[3]. وُلد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، وكان شجاعاً مقداماً على الملوك، ووقع له مع السلطان قايتباي وقائع يطول شرحها. مات بـ (القاهرة) وهو يومئذ

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٩٤، الكواكب السائرة ١/ ١٨١، الشقائق النعمانية ص ١٩١).
(٢) عقب هذه المادة يوجد فراغ بالأصل قَدْر صفحة كاملة، ثم تبدىء حوادث السنة التالية.
(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٩٧، الكواكب السائرة ١/ ١٠٠).

نقيب الأشراف بـ (دمشق) في يوم الخميس خامس محرم، وأسند الوصاية على أولاده لكاتب السر المحب بن أجا.

قال ابن طولون: وتقلد أموراً في حياته وبعد مماته[1]، رحمه الله.

[إبراهيم البرهاني]

وفيها [٩١٣]: توفي إبراهيم بن سطبة البرهاني ـ ناظر القلعة الدمشقية ـ بن القاضي محب الدين ـ كاتب الأسرار بدمشق. مات في أول جمادى الآخرة، وكان أبوه يومئذ غائباً بـ (القاهرة)، فلما عاد إلى (دمشق) بنى على قبره بنياناً بقرب ضريح الشيخ أرسلان، فأنكره بعض الأعيان، وقالوا: هذا بناه في مقبرة مسبية. واستفتى الكمال محمد بن حمزة في ذلك، فأفتى بالهدم، واستفتى شيخ الإسلام البغوي بن قاضي عجلون فأفتى بعدم الهدم لأنه أوجد عليه في السؤال أن البنيان كان قديماً وأُعيد. فركب القضاة الأربعة ونائب الشام فهدموه عملاً بفتوى الكمال، ثم طُلِبوا بسبب ذلك إلى (القاهرة) في قصةٍ يأتي شرحها في ترجمة الكمال ابن حمزة.

[محمد بن زرعه]

وفيها [٩١٣]: توفي الشيخ الصالح، ذو المكاشفات والأحوال، سيدي: محمد بن زرعة. كان من أكابر العارفين وأجلاء الأولياء الصالحين[2]، وهو من أجل أصحاب سيدي حسين أبي علي وسيدي الشيخ إبراهيم المتبولي، وكان مزمناً مقعداً، أقعده الفقراء في قنطرة قدبدار، فكان لم يزل قاعداً في الشباك الذي دفن فيه. وكان يتكلم على الخواطر، ويكاشف أصحابه بأمورهم، قال بعض العارفين: كان سيدي عبد القادر الدشطوطي من سُعاة سيدي محمد بن زرعة، وكان يطوف قدام روحه إذا جالت في الأرض.

وله كرامات كثيرة، قال سيدي عبد الوهاب الشعراوي: زرته مرات، ودعا لي بدعوات منها: اللهم اجعل هذا الولد من حزب محمد ﷺ.

(١) في الشذرات: وبعد موته.
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٥٠. وفيه أن وفاته سنة: ٩١٤هـ.

ولم يزل على الحال المشهور إلى أن انتقل في التاريخ المذكور، ودفن ببيته قريباً من قنطرة السيد في طريق مصر العتيقة. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[علي المجذوب]

وفيها [٩١٣]: توفي الشيخ الصالح سيدي علي المجذوب، كان صاحب مكاشفات، وكان يحلق رأسه، ولحيته وحواجبه، ويدخل الحمام كل يوم، وله كل يوم قميص يلبسه على أهل السوق، وإذا قال له أحد: زر قميصك مرخي أو ما هو مليح، يخلع القميص. ويأتون له بغيره. وإذا أمسك بأذنه، عض من بجنبه ولا يكلم الذي أمسك أذنه.

وله مع أهل وقته حكايات، ولهم فيه اعتقاد عظيم. وكان يجلس على باب سوق أمير الجيش وهو محلوق. ولم يزل كذلك إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، ودفن بالزوقة خارج باب النصر بمصر المحروسة، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد الدَّلجي]

وفيها [٩١٣]: توفي الشيخ العارف بالله تعالى، سيدي محمد الدلجي[1]، كان من أكابر العارفين الفقراء الصالحين، وكان مقيماً في تربة خارج باب القرافة، في الزقاق الأول على يمين الخارج من الباب، يجلس في دهليز التربة على سرير من جريد، وعلى رأسه قلنسوة خضراء بلا عمامة، وكان الناس يزورونه، ويَفِدون إليه من كل مكان يلتمسون بركته، ولما زاره العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عنان صار كالولد مع الوالد وأكبَّ سيدي محمد على رجله يقبلها، والشيخ محمد الباجي يقول له: آنست بلادنا يا محمد.

وله كرامات كثيرة ومكاشفات شهيرة، قال سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: زرته مع سيدي محمد بن عنان، وزرته وحدي مرات كثيرة، وحصل لي معه خير كثير، ودعا لي بدعوات، وكان مجاب الدعاء، دعا لجماعةٍ بمطالب نالوها.

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٧٩).

وانتقل إلى رحمة الله تعالى وقد طعن في السن، ودُفن بالقرب من قبور الجولانيين الذين حفروا قبورهم بأيديهم، وقبورهم على الشارع، وعليها لوح مكتوب فيه أسماؤهم وتواريخهم بالكوفي، وذلك بمصر المحروسة. رحمهم الله تعالى، ونفعنا بهم.

[محمد المحرقي]

وفيها [٩١٣]: توفي محمداً العلامة أبو الفضل، محب الدين بن المحرقي[1]، خطيب الجامع الأزهر بمصر. وهو أحد الخطباء الذين أمرهم السلطان الغوري أن يخطبوا بحضرته كل واحد في جمعة، وسبب ذلك أن بعض القضاة أراد أن يشارك قاضي القضاة يومئذ البرهان القلقشندي، وكان يستنيب في الخطابة الشهاب الحمصي، وكان السلطان يعجبه خطبة الحمصي، فانقطع عن الخطبة فخطب قاضي القضاة المذكور، فأرسل له الغوري أن لا يخطب إلا الحمصي فقيل: إنه مريض، فقال: يخطب الحنفي جمعة والمالكي جمعة، والحنبلي جمعة، وخطباء البلد كل جمعة إلى أن يبرأ الحمصي فخطب القاضي السري بن الشحنة الحنفي، فانْتُقِد عليه، ثم في الثانية خَطب البرهان الدميري المالكي بعد أن استعفى فلم يُقبل منه، فارتج وسقط من المنبر، ثم خطب في الثالثة الشهاب السبسي الحنبلي، وأجاد لكن أطال الثانية. ولما صلَّى شرع في السورة ونسي الفاتحة[2]، فَنُبِّه وعاد لقراءتها، ثم خطب في الرابعة العلامة كمال الدين الطويل الشافعي، ثم العلامة الشمس العمري في الخامسة، ثم الشرف البرديني الشافعي في السادسة، ونسي الجلوس بين الخطبتين، ثم الشيخ محب الدين المحرقي - صاحب الترجمة - خطيب الأزهر، ثم الشيخ يحيى الرشيدي خطيب الأزبكية، ثم فخر الدين الطويل نقيب الشافعي، ثم قاضي القضاة البرهان القلقشندي - صاحب الوظيفة، ثم استقر الحمصي يخطب نيابة عنه، ووقع رعب الغوري في قلب بعض بسبب ذلك، حتى كان سبباً لموت البرهان الدميري. واستمر صاحب الترجمة مريضاً حتى مات يوم الأربعاء سنة ثلاث عشرة وتسعمائة. رحمهم الله تعالى.

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٧٩).

(٢) في نسخة: فَنُبِّها عن الفاتحة.

سنة أربع عشرة وتسعمائة

[عبد الرحمن باهُرْمُز]

توفي الشيخ الإمام عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز - بضم الهاء، وسكون الراء وضم الميم آخره زاي - الشهير بـ(الأخضر)[1] الشيخ الأكبر، العارف بالله، العالم، السيف الصارم، شيخ الوقت، الذي تُجلىٰ به عن الزمان غياهب المقت. وُلد بـ(شبام) ونشأ بها، وحفظ «القرآن» وغيره، واشتغل علىٰ عمه الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز، وألبسه الخرقة الشريفة. وارتحل إلىٰ (بندر الشحر)، فأخذ به عن الفقيه الصوفي عوض بن سالم باهراوه، ولازمه، واحتفل بتربيته، وأشغله بفن الفقه، وحَفَّظه بعض المتون، ودَرَّبه علىٰ السهر والقناعة، وجَدّ في الاشتغال حتىٰ تخرج به. وأخذ أيضاً عن الشيخ الجليل حسين باهرواه.

وكان الشيخ حسين الغالب عليه الخمول، ولا يعرفه أكثر الناس. وكان يشار إليه بعلمي الكيمياء والأسماء والأوفاق، فلازمه صاحب الترجمة، وجَدَّ في الاشتغال عليه، وفي الرياضة لديه، وألبسه خرقة التصوف، وحكَّمه.

وكان الغالب علىٰ صاحب الترجمة - من صغره - الإنعزال عن الناس، حتىٰ أهله وأصحابه، والتخلّي عن كل ما يشغل القلب ويكدره، وتنقّل في البلدان لأجل ذلك، ولقطع العلائق. ويحب الإقامة في البلد التي لا يُعرف فيها. ثم حصل له التمكين التام، والتصريف العام.

وكان ترد عليه أحوال عظيمة، وتجليات جسيمة، وأنفاس صادقة، وكرامات خارقة. وانتفع به جمع كثير في عدة فنون، لا سيما في الفقه والتصوف. وتَخرّج به جماعة ظهرت عليهم بركاته وأسراره، ولاحت عليهم معارفه وأنواره، مِن أجلّهم: الإمام عَلَم العلماء الأعلام العارف بالله تعالىٰ عمر بن عبد الله بامخرمة[2]، والشيخ إبراهيم بن عبد الله باهُرمُز ابن أخيه.

(١) انظر: (إدام القوت ٢٦٤، معجم البلدان والقبائل اليمنية، النور السافر ٥٩).

(٢) في أ: العارف بالله تعالىٰ الشيخ معروف بن عبد الله باجمّال، والشيخ العارف بالله تعالىٰ عمر بن عبد الله بامخرمة.

ووردت عليه في آخر عمره أحوال غريبة، حتىٰ أنه إذا ورد عليه شيء منها، يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال والأصوات الحسنة، فيغنين بين يديه، ويرقصن لديه، وكان الفقهاء تنكر عليه في ذلك (ومنهم) الفقيه عمر بامخرمة، فإنه قصده لينكر عليه، وسافر من بلاده بهذا القصد، فلما وصل أثناء الطريق، رجع، ثم عزم علىٰ ذلك ثانياً، فسافر إليه، فلما دخل عليه كاشفه، وقال: يا عمر إلىٰ الآن لم يجيء وقتك، فرجع إلىٰ بلده ولم يحصل منه إنكار، ثم سافر إليه ثالثاً، فلما وقع بصره عليه، أمر بعض النساء الحسان أن تعتنقه، فلما اعتنقته خر مغشياً عليه، ثم أفاق، وطلب من الشيخ أن يحكِّمه، فقال له: صَلِّ ركعتين إلىٰ غير جهة القبلة، فامتثل، فلما أراد أن يحرم، رأى الكعبة تلقاء وجهه، ثم حكَّمه، وقال له: أنت الحاكم المحكَّم، فقال له: ألبسني خرقة التصوف، فامتنع، وقال: أنا خِرْقَتُك، وأنت نائب عني. فقال له الفقيه: لا تغفل عني، فقال: أنا معك صائب وغير صائب. ووقع لغير الفقيه عمر نحو ذلك.

ولصاحب الترجمة كرامات كثيرة:

(منها): أنه وقع بين السلطان عبد الله بن جعفر وصاحب (هينن) فتوسط الشيخ بينهما، وأراد الصلح، فامتثل صاحب هينن ما أَمَر به الشيخ. ولم يمتثل عبد الله بن جعفر، فأرسل إليه إلىٰ (الشحر) خادمه يتلطف به ويعدله، وقال لخادمه: إن لم يمتثل، التفتْ إليّ، وأخبرني وأنت مكانك. فجاء إليه الخادم وبلّغه ما قاله الشيخ، فأبىٰ، فالتفت الخادم إلىٰ جهة الشيخ، وقال: لم يمتثل السلطان عبد الله ما أمرت به، وكان الشيخ ببلده والسلطان عبد الله بالشحر، فأشار الشيخ في تلك الساعة بيده إلىٰ جهة السلطان، ووكزه، وقال للحاضرين: مات عبد الله بن جعفر في هذه الساعة، ونعاه في الحال في أبيات، منها قوله:

رحمة الله علىٰ من مات ... في حصن سمعون

رحمة واسعة والعفـ ... ـو مرجو ومسهون

فوَرَّخوا ذلك، فكان الأمر كما أَخْبَر الشيخ.

واختار الشيخ آخر عمره التوطن بمدينة(هينن)، واستمر بها إلىٰ أن مات ودفن بها، وقبره معروف مشهور، يقصده الناس لنجاح الأمور. رحمه الله ونفعنا به.

[ابراهيم المَواهِبي]

وفيها [٩١٤]: توفي[1] الشيخ القدوة، العارف بالله تعالى، إبراهيم بن أبي الطيب بن محمود بن أحمد بن حسن الاقصرائي، الشاذلي، الشهير بالمواهبي. أحد علماء الدين، وإمام المرشدين، وأوحد العارفين. صحب الشيخ سيدي محمد المغربي المشهور، وسيدي الشيخ أبا المواهب. وهو من أجّل تلامذتهما.

وأخبر ولده الشيخ صالح أن أباه أتى إلى سيدي الشيخ محمد المغربي الشاذلي ـ شيخ الجلال السيوطي ـ فقال له: يا ابراهيم، تريد تربية بيتية أو سوقية، فقال: بيتيةً تَقِفِ خادماً.. تخدم البيت والبغلة، وتحس الفرس، وتمهد تحتها الزبل، فقال: سمعاً وطاعة[2].

فلم يزل يخدم الشيخ إلى أن مات، فاجتمع بالشيخ سيدي أبي المواهب فكان التكميل على يديه، ولهذا نُسب إليه كما مر ذلك. ولازم خدمة الشيخ أبي المواهب ملازمةً تامة ولم يكن يجتمع مع الفقراء في قراءة الأحزاب ولا غيره حتى حضرت الوفاة أبا المواهب فتطاول تلامذته كالشيخ أحمد القسطنطيني وغيره من أكابر أصحابه، للإذن في الجلوس مكانه، فقال الشيخ: اطلبوا إبراهيم، فجاء، فقال: افرشوا له السجادة، وأمر له بالجلوس عليها، فجلس وقال له: تكلم على إخوانك في الطريق، فتكلم بلسانٍ طلق وأبدئ الغرائب والعجائب نظماً ونثراً وموشحات، فأذعنوا له كلهم، وأوصى بمخلفاته لأصحابه، منهم: سيدي عبد الوهاب الشعراوي أوصى له بالعبون التي كان ينظر بها.

وكان صاحب الترجمة ينفق نفقة الملوك، ويلبس ملابسهم، ولا يدري له أحد جهة معينة يأتيه منها شيء، فكان ينفق من الغيب. ولمّا سافر إلى (مكة) المشرفة كان يعمل كل ليلة سمطاً عظيماً، فعكفت عليه الناس، فما بقي له وقت يتفرغ فيه للطواف، فقال لبعض أصحابه: أريد أن تُنفِّر الناس عني بطريقة أعرفها،

(١) ذكر صاحب معجم المؤلفين أن وفاته سنة ٩٠٨، بينما أشار في الخطط التوفيقية أنّ وفاته ـ كما هو هنا ـ في سنة: ٩١٤هـ. وكذلك فعل ابن العماد.

(٢) أورد القصة صاحب «شذرات الذهب» بتوسع أكثر. انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٩٩).

فكتب قائمة وأعطاها النقيب: على فلان ألف دينار، وعلى فلان خمسمائة، وعلى فلان مائة، وقال لهم: كل من لا يأتي بعد صلاة الصبح بما طُلِب منه لا يجالس الشيخ، فلم يأت أحد منهم، فقال: الحمد لله، وتجرد للعبادة.

وله مؤلفاتٌ كثيرة، منها: شرح الحِكم، لكن ليس على طريقة الشروح، بل هو فوائد مجموعة وحكايات عن الصالحين، وكتاب: «كشف الخليل عن سر التنزيل»، و«بيان شاهد يا مولاي يا واحد»، وكتاب «البارق الأسنى بسر الكنى»، وكتاب «الأذكار والدعوات»، وكتاب «التقريب»، و«ضوابط صواعد التوحيد». وله نظم نفيس وموشحات كثيرة.

ولم يزل مواظباً على طاعة مولاه إلى أن حضرته الوفاة، وانتقل إلى رحمة الله ودفن بزاويته بالقرب من (قنطرة سنقر)، وقبره بها ظاهر يزار، رحمه الله رحمة الأبرار.

[علوي باجحدب]

وفيها [٩١٤]: توفي السيد الكبير، العلم الشهير، علوي بن محمد المعلّم بن علي باجحدب باعلوي[1]. الشيخ الإمام، قدوة الأنام. وُلد بمدينة تريم حضرموت، وحظي بعناية الحي الذي لا يموت، ورباه والده أحسن التربية، وأقرأه القرآن، وأداه أحسن تأدية، وقرأ عليه بعض المتون الفقهية، والكتب الأدبية، وعلوم الصوفية، وأضاف إلى علمه العمل، ولازم طريقة سلفه التي لا عوج فيها ولا خلل. ولزم الجد في الاشتغال، وحصّل له ما رام من الآمال. وأخذ عن جماعةٍ من مشايخ زمانه، وأكابر عصره وأوانه، ثم جلس لنفع الناس، العام منهم والخاص. وأخذ عنه جماعة كثيرون، عدة فنون، منهم: أولاده الأولياء العارفون: السيد أحمد، ومحمد حمدون، وعبد الله، وعلي، وسليمان، وغيرهم من طلبة ذلك الزمان. ولم يزل يرتقي في المقامات والأحوال، إلى أن آن أوان الانتقال، فانتقل إلى رحمة الله، ودفن بـ (زَنْبل).

(١) عن آل باجحدب، انظر: (المشرّع الروى ٢/ ٦٩و ١٠١، شمس الظهيرة ١/ ٣٤٩، المعجم اللطيف ٦٩).

[بدر الدين الفيّومي]

وفيها [٩١٤]: توفي محمد بن جمعة، بدر الدين، الفيّومي الحنفي[١]. أحد أعيان علماء مصر، رحل إلى الروم مرتين صحبة رسول السلطان قايتباي، وكتب عند جواره بدمشق في صفر سنة سبع وتسعمائة لغزاً إلى شيخ الإسلام رضي الدين الغزي؛ صورته:

يا من له أدب وفضل لا يحد … ومحاسن فوق الحساب فلا تعد
ويحل إن نفث البليغ معانياً … في مبهمات اللفظ فهو له عقد
ما اسم تركّب من حروفٍ مثلما … قد قامت الأركان منا بالجسد
فاعجب لها من أربع قد ركّبت … فردين مع زوجين في اللفظ العقد
فردٌ وزوج أوّلان اتصلا … كأن ذا وذاك روح وجسد
وآخران انفصلا بعدهما … كعاشق معشوقه عنه انفرد
فبين فردين أتى زوج كذا … ما بين زوجين لنا فرد ورد
والأول النصف لثان عدّه … والثالث النصف لرابع العدد
والثالث الثلث لأولٍ كما … رابعه ثلث لثانيه يُعَد
وعدّ حرف منه ساوى عدد الـ … باقي لمن قابل ذا بذا وعد
حرفٌ له نصف وحرف ثلث … وحرف السدس حساباً لن يرد
ذاك ثلاثة وهذا اثنان والـ … لآخر إن تطلبه واحد أحد
يلقى الذي يلقاه أو لم يلقه … جوى بقلب واجب طول الأبد[٢]
قد بان ما قد بان من لُغزٍ يرى … طرداً وعكساً في نظام اطّرد
فهاك لغزي إن ترد جوابه … تجده دونه بدا يا ذا الرشد
فأت به مبيناً مفصلاً … وحلّ ما في النظم حلّ وانعقد

فأجاب بقوله:

يا سيداً حاز الفضائل وانفرد … بمعارف قد جدّ فيها واجتهد

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٠٢، الكواكب السائرة ١/٣٦).

(٢) هذا البيت والذي قبله أثبتناهما من «شذرات الذهب» وقد أسقطهما الناسخ في هذا الكتاب. والأبيات كاملة أوردها صاحب (الكواكب السائرة ١/٣٦).

ما زلت تبدي كل حين تحفة … بعجائب من بحر عرفان تُمد
أرسلت لي لغزاً بديعاً وصفه … عقدته بنوادر لا تنتقد
في اسم تركّب من حروف أربع … معلومة مثل الطبائع في العدد
فردين مع زوجين فيها رُكّبا … مَن أول، مع آخرٍ أيضاً ورد
مع ما ذكرت به من الألغاز في … نظم ببحر كامل منه استمد
وطلبت فيه جواب ما ألغزته … مني بتفصيلٍ بحل ما انعقد
وجواب لغزك بيّنٍ أوضحته … بصريح لفظٍ فيه بالمعنى اتحد
النصف منه الربع أو إن شئت قل … نصفٌ وربعٌ نصفه من غير رد
والربع نصف ربعه أو ضعفه … من طرده أو عكسه حيث اطّرد
والربع نصف سدسه أو سدسه … هندسة ما ثم من لها جحد
والقلب واجباً إذا ابتديته … لذا وليس خافياً على أحد
وهو الصواب إن حذفت أولاً … عوّضته بسورة بلا فند
وهو الجواب بحذف آخر وإن … يبدل بدالٍ فجواد ذو مدد
وإنه المسؤول عنه ظاهراً … قدُم بجنة الرضا إلى الأبد[١]

وتوفي صاحب الترجمة يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة.

[أبو الفتح الغمري]

وفيها [٩١٤]: توفي الشيخ الإمام القدوة أبو الفتح الغمري المصري، وهو أخو الشيخ أبي الحسن المشهور، وكان على قدم عظيم ونفع جسيم، وحال مرضي كريم. له كرامات كثيرة ومكاشفات شهيرة، صحب جماعة في الطريق، منهم: الشيخ عبد الوهاب الشعراوي. وكان له التصريف التام لا سيما في الولاة والحكام، وأخبر جمع أنه قطب ثلاثة أيام، وكان مستوطناً في (المحلة الكبرى)، ومات بها، ودفن بجامع السد الذي بها، رحمه الله تعالى.

[شجاع الدين إلياس]

وفيها [٩١٤]: توفي الشيخ شجاع الدين إلياس، الشهير ببياري، وهو أخو

(١) انظر الأبيات في: (شذرات الذهب ٨/١٠٣، الكواكب السائرة ١/٣٧).

المولى الشهير بالمولى ولدان، اشتغل بالعلوم الشرعية، ووُلّي القضاء ثم تركه، وصحب الشيخ حاجي خليفة. وأخذ عنه طريق التصوف، وأذن له بالإرشاد، وكان متنسكاً عابداً ورعاً زاهداً، كثير الطاعات، سليم الصدر، ومات بمدينة (بروسا). رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن عمر الخزرجي]

وفيها [٩١٤]: توفي شمس الدين محمد بن عمر بن نظام الدين محمود الأنصاري الخزرجي الشافعي، من ذرية سعد بن عبادة سيد الخزرج. كان رحمه الله قاضي القضاة بـ (جهرم)، عالمها ومفتيها. وُلد بـ (جهرم)، عام خمسين وثمانمائة، واشتغل بفنون العلوم، وفاق أقرانه في مدة يسيرة، وغلب عليه العلوم الشرعية فولاّه السلطان يعقوب قاضياً في (جهرم)، وأعطى المنصب حقه من العفاف والدين والشهامة، وأمضى الحكم على الكبير والصغير إلى أن انقرضت تلك الدولة، فاختار العزلة وعدم الاختلاط مع الأكابر، واستمر يعبد الله تعالى في (أخون أباد)، ويفيد ويدرّس إلى أن أدركه الأجل، فتوفي إلى رحمة الله عز وجل. وهو جد الشيخ قطب الدين الحنفي لأمه، رحمهم الله تعالى.

[عنقاء بن أبي نُمَيّ]

وفيها [٩١٤]: توفي عنقاء بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني[١]: مولده سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة تقريباً، حفظ «القرآن العظيم»، ولازم تلاوته، وكان كثير العبادة، حَسَن التدبير، كامل الفراسة، وكان شريف (مكة) يرسله إلى السلاطين، وصار له وجاهة عند أركان الدولة والأعيان، ثم سخط عليه الشريف محمد فهرب إلى (القاهرة) خوفاً منه، وأقام بها إلى أن مات الشريف فعاد إلى (مكة) ومعه تقليد الأمر للشريف بركات سنة ثلاث وتسعمائة، واستمر في خدمته إلى أن توفي بالمشرق، ودُفن بمسجد الطائف. رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) انظر: (الضوء اللامع للسخاوي ٦/١٤٩).

سنة خمس عشرة وتسعمائة

[عبد الودود القلمي]

توفي الشيخ عبد الودود القلمي[١]. الصالح العابد الورع الزاهد، كان من أصحاب سيدي الشيخ محمد بن عنان، وكان يقصده بالزيارة إلى محله، وكان مقيماً بناحية قلعة الجبل، له فرن يخبز فيه بالبرية التي هو فيها، وينسج الصوف الأحمر وغيره، وكانت عمامته من شراميط الصوف الأحمر، وكان عازباً. وزاره الشيخ محمد بن عنان والشيخ عبد الوهاب الشعراوي ومعهما نحو عشرين فقيراً، فقال: لا بد أن أضيفكم، فعجن دقيقاً وخبزه في فرنه، وبسه بسمن وعسل، وأطعمهم حتى شبعوا أجمعون.

وله كرامات كثيرة، وكان إذا غضب على أحد غُلّب أو أصابه مرض. غضب مرةً على الأمير عبد الدائم بن بقر، فحبسه الغوري ثاني يوم، وصار الشيخ محمد بن عنان يترضّى خاطر الشيخ عبد الودود على الأمير عبد الدائم فيقول له: حتى يتوب عن ظلم الفقراء.

[أحمد التلمساني]

وفيها [٩١٥]: توفي الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي[٢]. الإمام الكبير العلم الشهير، الفقيه العلامة حامل لواء مذهب الإمام مالك، على رأس التاسع، أخذ بـ (تلمسان) عن الإمام قاسم العقباني، وولده إبراهيم، وحفيده العلامة محمد بن أحمد بن قاسم، والإمام أبي العباس، ومجد بن الجلاب وغيرهم، ثم حصلت له كائنة من جهة السلطنة، فانتهب داره، وفر إلى (فاس) في محرم سنة أربع وسبعين فوطنها. قال المنجور في فهرسته: ودرّس المدونة وفرعي ابن الحاجب، وكانت له مشاركة في الفنون إلا أنه لما لزم درس الفقه، ربما يتوهم أنه لا يعرف غيره. وكان فصيح القلم واللسان حتى قال بعض من يحضره: لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه. تخرّج به جمع كولده

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٠٨، الكواكب السائرة ١/٢٥٧).
(٢) انظر: (معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٥. وفيه مصادر ترجمته، وكذا قائمة مؤلفاته).

عبد الواحد، والفقيه ابن عباد اللمطي، ويحيى السوسي، ومحمد بن عبد الجبار، والقاضي ابن المرد التغلبي، وبخزانة هذا الأخير انتفع لجمعها تصانيف الفنون، وبها اشتهر فيما جمع من فتاوىٰ (فاس) و (الأندلس) في كتابه «المعيار». انتهى.

وأما فتاوى (أفريقية) و (تلمسان) فمن نوازل البرزلي والمازوني، أخذها كما يظهر لمن تأملها. قاله الشيخ أحمد بابا. وكتابه «المعيار»[1]. في ستة أسفار، جمع فيه فأوعى. وله تعليق علىٰ «مختصر ابن الحاجب» في ثلاثة أسفار، و«غنية المعاصر»، و«التالي في شرح وثائق الفشتالي»، وكتاب «القواعد في الفقه»، و«الفائق في الأحكام»، و«الوثائق»[2] لم يُكمل، وتأليف كبير في «الفروق»[3] في مسائل الفقه.

محمد الشيبي]

وفيها [٩١٥]: توفي محمد بن عمر بن علي الشيبي، فاتح بيت الله العتيق. وُلد سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، واشتغل قليلاً، وشارك في علم الأدب، وكان يحفظ كثيراً من الأشعار، وتولّىٰ السدانة بعد ابن عمه بركات بن يوسف، سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، واستمر إلىٰ أن توفي، ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالىٰ.

سنة ست عشرة وتسعمائة

[محمد القُوِي]

توفي أبو النجا محمد بن خلف بن محمد القوي، الصوفي النحوي الأصولي، الفقيه الشافعي، صاحب الوعظ العذب الرائق، والكلام الذي أصبح زاهراً علىٰ زهر الرياض فائق. نشأ ببلده (قوه)، فحفظ «القرآن» ثم سافر إلىٰ (القاهرة) فقطن بالجامع الأزهر، واشتغل بعلم القراءات والتفسير والفقه، وأخذ عن

(١) جاء في «معجم المؤلفين» باسم: «المعيار المُعرب عن فتاوىٰ علماء أفريقية والأندلس والمغرب». قال: هو في تسع مجلدات.

(٢) ذكره كحالة باسم: «المنهج الفائق في أحكام الوثائق».

(٣) أورده كحالة بعنوان: «عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق» ـ (معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٥).

جمع، منهم: العبادي والجلال البكري وابن قاسم، وبرع في الفقه والأصلين والعربية والمنطق والتصوف وغيرها، وأذن له ـ مشايخه المذكورون والتقي الحصني ـ في التدريس والإفتاء، وتصدّى لهما. ثم صار يجلس علىٰ الكرسي للوعظ، وعقد المجالس الحافلة لذلك بعد صلاة الجمعة بالأزهر، فأقبل الناس عليه. ثم أقبل علىٰ التصوف، وسَلَك سبيل التجرد، وجدّ واجتهد حتىٰ صار من أرباب الأحوال والكرامات والكشف الصريح، بحيث صار لا يخطر لجليسه خاطر سوء إلا قال له: ألزم الأدب، فلذلك نفر عنه الناس. وكان إذا سافر إلىٰ بلده (قوه) ثم عاد إلىٰ (مصر) ووصل مركبه إلىٰ (بولاق)، تلقاه الناس أفواجاً كأنه سلطان.

ومن كراماته، أنه إذا لَقّن إنساناً يصير يسمع نطق جميع الموجودات حتىٰ الجماد. وله تصانيف كثيرة، منها: نظم «الروضة»، و«المنهاج»، وشرح «مغني ابن هشام» في ست مجلدات، ونظمه وشرحه ونَظْم «ألفية» في العقائد وشَرْحها، ونظم «الشافية»، وشَرْح «تلخيص المفتاح»، وعمل حاشية علىٰ «شرح المنهاج» للمحلي، وشَرْحه لـ «جَمْع الجوامع»، تعَقّب فيها الكمال بن أبي شريف، وحاشية علىٰ «شرح الحاوي» للقونوي، وحاشية علىٰ «المطول»، واختصر «قواعد العلائي» ونَظْمها علىٰ طريقة الشاذلية. وشَرْحها، ونظم «منهاج الأصول». وله «موشحات» في ضمنها شطحات عظيمة علىٰ طريق القوم. وعمل كتاباً سمّاه: «تسهيل الإرشاد» في الفقه أخذ فيه علىٰ الجلال السيوطي في ديباجته منتصراً للجوجري في الواقعة التي بينهما، حيث قال: ومع هذا النظر والكمال فإنه ابتلىٰ ببعض ما ابتلى به الرجال، وذلك أن بعض الطلاب في زمانه ـ ممن أراد التصدر في غير أوانه، واستعجل الشيء فعوقب بحرمانه ـ أخذ يتتبع غلطاته ويرقب سقطاته. وصنّف رسالة سمّاها: «سماع اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري»، فحدا في ذلك علىٰ النظر في شرحه، فوجدت معظم ما برزه في قالب التصنيف في غاية الإحكام والترصيف، ولم أجد فيه إلا ما لا يخلو عنه كتاب ـ سيّما المطولات منه ـ في شيء يسير طغىٰ به القلم، فعلمت أن المعترض سواء والعدم، وأن الذي حمله علىٰ ذلك مجرد الحسد. وغايته أن يصير في عداد من تقدم فلم يعد. وذلك أن في عقله شيئاً أوجب له الحال، وذلك دعواه بلوغ رتبة الاجتهاد، وذلك عين المحال انتهى.

ولم يزل على تلك الشدة والقوة إلى أن مات ببلده (فوخ) عاشر الحجة، عن بضع وستين سنة، ويقال: إنه تَقَضَّب ليلة موته. ولهذا كان هجير أصحابه في طريق جنازته: «هذه جنازة عاشق ليلة ذو الكرامات». ولم يزالوا كذلك إلى أن دفن.

[عمر باجَمَّال]

وفيها [٩١٦]: توفي الشيخ القدوة، الفقيه المحقق، عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد باجمال[1]. أحد الأئمة المعدودين من أكابر الرجال، الشجاع الغالب عند تشاجر الأبطال، والفائز بالسبق في ميدان محاسن الأعمال، الجامع بين الشريعة والطريقة، والشارع في علوم الحقيقة. ولد ضحى يوم الأربعاء، سابع عشر جمادى الآخرة، سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وتربّىٰ في حجر أبيه على الطاعات، والتوقي عن الشبهات. ورُوي أن أمه أوجرته لبناً من لبن غيرها، فأوجره أبوه ماء حتى أخرج ذلك اللبن من جوفه، وقال: ربما أن صاحبة اللبن لا تتحاشى عن الشبهة، وتناول في صغره تمرة من تمر مشترك، فأخرجها والده من بطنه.

وظهرت عليه من صغره علامات السعادات وأشرقت عليه في كبره أنوار الولايات، واشتغل بتحصيل العلوم على علماء أئمة عصره، وأكابر دهره، منهم: الإمام العلامة محمد بن أحمد باجرفيل، والإمام شيخ الإسلام محمد بن أحمد بافضل، والعلامة المحقق عبد الله بن أحمد بامخرمة، قرأ على هؤلاء كتباً كثيرة في الفنون الشهيرة كالأصلين والفقه والتصوف، واعتنى بعلم الحديث دراية ورواية، وكان يعد من الحفاظ. وألبسه الخرقة الشريفة جماعة من أكابر عصره، وحكّمه، وأذن له غير واحد منهم في نفع الناس العام والخاص، وانتفع به خلق كثير بل جم غفير، منهم: إمام أهل الكمال الشيخ معروف باجمال. ومَنْ في طبقته، ومنهم: الفقيه المحقق القاضي عبد الرحمٰن بن مزروع صاحب الفتاوىٰ الشهيرة، وكان الفقيه لا يفتي ولا يحكم في مسألة مشكلة إلا بعد أن يعرضها عليه، وكان ملازماً له في غالب أوقاته ويحضر في أكثر حضراته.

---

(١) انظر: (الأعلام ٥/ ٢١٢، معجم المؤلفين ٧/ ٢٩٣).

وصنّف عدة مصنفات في فنها مفيدات، منها: «تحفة الزاهد وغنية العابد»، و«نوازع القلوب إلى لقاء المحبوب» في الحديث والرقائق، و«الكتاب الجامع في أحاديث الشافع» لم يكمل. وكتبه مشهورة بالبركة.

وكان كثير العبادة مواظباً على الاستفادة والإفادة بل أجمع أهل قطره أنه أكثرهم ورعاً وزهادة وعلماً وعبادة، وكان يتحاشى عن الشبهة في جميع أموره، حتى أن ضيعة موقوفة عليه وعلى جماعته، فحصل فيها شبهة ضعيفة، فترك نصيبه ووقفه على أصل وقفهم.

وكان ثبت الجنان لا سيما عند الامتحان، حكي أنه انهدمت دار وهو في أعلاها، فكان يهلل عند هوية جهراً لكمال تمكينه، ووصل إلى الأرض سالماً. وله كرامات كثيرة وكان لا يظهرها إلا عند ضرورة أو حاجة، وأكثر كراماته حصلت بعد مماته، حتى أن أصحابه إذا أصاب أحداً مرض أو علة وتوسّل به إلى الله تعالى، فيراه في المنام ويصبح سالماً من تلك البلية.

(ومنها) أن بعض أصحابه أصابته أمراض وعلل، فرآه في المنام، فشكا له ما به من ذلك فمسح بيده، فأصبح وقد أزال الله عنه تلك العلل.

ولم يزل على الحال المرضية حتى وافته المنية، وصَلَّى عليه الشيخ الفقيه عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله محرز باجمّال بوصيةٍ منه في ذلك، ودُفن بمقبرة (شبام)، وقبره فيها مشهور مقصود رحمه الله وإيانا.

وآل باجمّال ـ بفتح الجيم وتشديد الميم قبيلة مشهورة بحضرموت، اشتهر بالعلم والصلاح كثيرون، وكانوا[1] ولاة مدينة (بور) ـ بالموحدة والراء ـ فأخذها منهم آل باتجار، فرحلوا إلى (شبام). وجدهم الجامع لهم هو الشيخ أحمد بن إبراهيم ـ وهو معاصر للشيخ عبد الله القديم بن محمد باعباد، ونسبهم يرجع إلى كِندة، ولهم احترام تام عند الملوك فمن دونهم، وستأتي ترجمة من بلغنا أخباره منهم، وذكر الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن ابن سراج في كتابه «مواهب البر الرؤوف» كثيرين منهم، والشيخ أحمد بن محمد باجمال الأصبحي في كتابه «مطالع

---

(١) انظر: (تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٤٧، معجم البلدان والقبائل اليمنية).

الأنوار في بروج الجمال ببيان مناقب آل باجمال» ذكر نسبهم وشجرتهم[1].

[أحمد الوزيري]

وفيها [٩١٦]: توفي الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن سعيد الشيخ صفي الدين أبو اللطائف الوزيري. حفظ «الأربعين» للنووي «والكنز»، وعرضهما على الحافظ السخاوي سنة تسعين وثمانمائة، واشتغل بالفقه وسمع من السخاوي الحديث المسلسل بالأولية، وسمع على الشيخ محمد بن أبي الفرج المراغي. وكان هذا حاذقاً لبيباً، وكان ينوب في خطابة جده. مات ليلة الإثنين ثامن شعبان بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

[ابن عَوْن]

وفيها [٩١٦]: توفي الشيخ إبراهيم بن محمد بن سليمان[2] المعروف بابن عَوْن الطيبي، ثم الدمشقي[3]. وُلد سنة أربع وأربعين وثمانمائة بـ (دمشق)، واشتغل بها على علمائها، ورحل إلى (القاهرة)، وتصدّىٰ للاشتغال، وسمع من جماعة، وحدّث وعمل له تلميذه مُحدِّث (الشام) الشمس بن طولون مشيخة جامعة لمروياته، وتولّى إمامة الحنفية بجامع بني أمية إلى أن توفي.

[أحمد بن محمد الجوهري]

وفيها [٩١٦]: توفي الشيخ أحمد بن محمد عز الدين الجلال الجوهري خادم البرقوقية. وُلد سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بـ (درب اللؤلؤ)، ونشأ في خدمة العضدي الصيرامي وحضر دروسه، وناب في القضاء، وباشر بالنقابة عند ابن الشحنة، ثم لازم سالماً العبادي، وعظم اختصاصه به وساس الأمور بتودد وعقل وحشمة بحيث حمده غالب أصحابه، واستقر شيخ الصوفية بالجامع الأزبكي لتقربه

---

(١) كما ترجم لبعض أعلامهم: الفقيه محمد بن عبد الرحمن باجمّال المتوفي سنة ١٠٢٩هـ، في كتابه «الدر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر». (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٤٨٥، ٤٩٤).

(٢) وردت في الأصل: «بن سليم». والتصحيح من: (الأعلام، وشذرات الذهب).

(٣) انظر: (الأعلام ١/٦٦، شذرات الذهب ٨/ ١٠)ـ وفيهما مصادر ترجمته، كما ذكر له مؤلفات لم يُشر إليها الشلّي).

إلى أزبك، وحج معه سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، وسمع كثيراً على القاضي محب الدين بن الشحنة، والشيخ طاهر الموصلي في الفقه والحديث، وأجازه البدر العيني والسراج الرومي وغيرهما. ولم يزل يقرىء ويحدث إلى أن مات رحمه الله وإيانا.

[عبد الله بن أبي بكر السقاف]

وفيها[٩١٦]: توفي الشيخ الكبير ذو القدر الخطير، عفيف الدين، وإمام العارفين، السيد: عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمان السقاف، رضي الله عنهم. عُرِف والده بـ (باشميله) تصغير شملة[1].

كان السيد عبد الله هذا ممن جمع بين الفقه والحديث، ووضع أقدامه فوق الرؤوس مع سِنِّ حديث، وكان صدر المحافل إذا عُقِدت، وصيرفيّ المسائل إذا انتُقِدت. وُلد بمدينة (تريم) ونشأ في سرحها العظيم، وحفظ «القرآن الكريم» و«الحاوي الصغير» و«ألفية ابن مالك» وغيرها. وعرض محفوظاته على مشايخه، وأخذ بـ (تريم) عن جماعة من أكابر العارفين، منهم: والده السيد عبد الله ـ أخذ عنه التصوف، وألبسه الخرقة الشريفة، وحكَّمه، وأذن له في الإلباس والتحكيم. ورحل إلى (الشحر)، وأخذ عن العلامة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمان بلحاج بافضل، وبعض أولاده، ثم رحل إلى (عدن)، وأخذ بها عن الإمام شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن بافضل، وصاحِبَ العلاّمة المحقق عبد الله بن أحمد بامخرمة، والشيخ الجليل محمد بن أحمد باجرفيل، وغيرهم من العلماء المحققين، والأولياء العارفين.

وكان متقدماً في علم الأدب، متمسكاً منه بأقوى سبب، وله نظم كله

---

(١) ترجم لَهُ المؤلف في كتابه الآخر «المَشْرع الرّوي» ج ٢ ص ١٦٦. وذكر العلامة الشاطري في معجمه السبب في تلقيب والده بلقب (باشميلة) فقال: أنه حصلت له كرامة عند سفره للحج وكان متقشفاً زاهداً فوصل إلى إحدى الموانىء فوجد السفينة قد أبحرت فحصل له أسف شديد وخوف من أن يفوته الحج لضيق الوقت فما كان منه إلاّ أن فرش شميلته على سطح البحر والناس ينظرون وجرت به حتى أدرك السفينة فعرف بباشميلة ولُقِّب به. ومعلوم أن شميلة تصغير شملة وهي الكساء الغليظ الذي يشتمل به الإنسان (المعجم اللطيف ٦١٠).

جوهر، وإنشاء جميعه محرر، وديوانه معروف، وله قصيدة طويلة مرضية، على منوال الوترية، سمّاها: «العلوية في مدح خير البرية».

وكان له خُلُق عظيم، ألطف من النسيم، قد رفض الدنيا وراء ظهره، وعامل الله تعالىٰ في سره وجهره، متمسكاً بطريقه أهل الإيمان، الموصل إلىٰ رضى الرحمٰن. وأقام بـ (الحمراء) وهي قرية قريبة من لحج أبين. وكان شمساً لأهلها، وبدراً منيراً للوافدين إليها، وكان من الأسخياء المشهورين، والكرماء المعروفين، مُكْرِماً للوافدين، والضعفاء والمساكين. ولم يزل بها علىٰ أحسن حال، حتىٰ وافاه وقت الإنتقال، وقبره بها معروف، وباستجابة الدعاء موصوف.

[فارس بن سامان]

وفيها [٩١٦]: توفى فارس بن ساماں بن زهير بن سليمان الحسيني[١]. ابن خال الشريف محمد بن بركات[٢]، وزُوِّج بنته الشريفة خزيمة. مولده سنة تسع وخمسين وثمانمائة تقريباً، وولاه الشريف بركات ـ صاحب مكة ـ أمرة (المدينة) الشريفة عند تجرىء نائبها حسن بن زبيري علىٰ فتنتها، فوصلها في رجب سنة إحدى وتسعمائة، فاستخلص بعض الأموال وتأدب مع أهل السنة فطلب أهل (المدينة) أن يولّي عليهم نائب من ضيغم بن خسرو. فولاه عليهم سنة أربعد ثم وُلّي صاحب الترجمة الشريف بركات مرة أخرى سنة ثلاث عشرة، واستمر مولياً عليه إلىٰ أن توفى بها.

[علي بن عمر النبتيتي]

وفي ليلة الجمعة ليلة عرفة [٩١٦]:، توفي الشيخ الإمام العلم الهمام العارف بالله تعالىٰ، سيدي: علي بن عمر بن علي بن غنيم بن علي نور الدين أبو الحسن النبتيتي[٣]. الضرير، الأستاذ الكبير، القدوة الشهير. كان جبلاً في العلوم الباطنة والظاهرة، عالماً بأمور الدنيا والآخرة متحلياً بالعلوم الفاخرة إماماً في الأحكام

(١) انظر: (الأعلام ٥/ ١٢٧).
(٢) امير مكة.
(٣) انظر: (السخاوي: الضوء اللامع في أهل القرن التاسع ـ ج ٥ ص ٢٦٨).

الفقهية متقناً في العلوم الأدبية عارفاً بالعلوم الصوفية. ولد سنة أربع وثلاثين وثمانمائة تقريباً، وحفظ «القرآن» وجوّده علىٰ ابن أسد وسمع منه المسلسل بسورة ﴿الصّف﴾ و﴿الكوثر﴾، ولازم السنهوري وعلي الجبرتي وشيخ الإسلام زكريا وغيرهم، وكان مقيماً بناحية (نبتيت)، والناس يقصدونه للعلم والاستفتاء والتبرك من سائر الأفاق. وكانت الأسئلة في المشكلات تأتيه من سائر الجهات، من (مصر) و(الشام) و(الحجاز)، فيجيب عنها بتطويل أو إيجاز نظماً أو نثراً بأفصح جواب علىٰ نهج الصواب، وإذا دخل (مصر) ينزل عند شيخ الإسلام زكريا، ويقال إنه عاونه في شرحه للبهجة فلذلك سمّاه بعضهم: شرح الأعمى والبصير، وتفزع إليه العلماء والأكابر يزورونه ويتبركون به، وكان يجلس في الصفة التي علىٰ يسار الداخل للإيوان الذي فيه المحراب من المدرسة الكاملية لكونه كان مجلس شيخه الشيخ كمال الدين إمام الكاملية وكانت نصوص الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وأقوال مقلديه من المتقدمين والمتأخرين، كأنها نصب عينيه، وكان إذا سُئل عن مسألة يقول للطالب: افتح الكتاب الفلاني. وعد كذا وكذا سطراً من الورقة الفلانية، تجد المسألة، فيجدها الطالب كما قال. وكان له خوف وخشية من الله تعالىٰ حتىٰ كأن النار لم تُخْلَق إلا لأجله، وكان إذا نزل ببلده أو إقليمه بلاء يقول: هذا كله بذنب عليّ فلو أخرجتموني من بلادكم لخف عنكم البلاء، وإذا نزل بالمسلمين بَلاءٌ لا يأكل ولا ينام ولا يضحك، ويقول: هذا شرط المؤمن وكان بالليل يبكي ويفحص برجله في الأرض، ويتضرع إلىٰ الله عز وجل. ووقته كله معمور بالعبادات ليلاً ونهاراً، وكان يقول لأصحابه: إياكم أن تغتروا بكثرة طاعاتكم، وتقولون ما بقي لإبليس علينا سبيل.. فيغويكم، ويأخذكم إلىٰ النار وأنتم لا تشعرون. وكان يقول: لا يكمل الرجل في العقل إلا إن كان كاتب الشمال لا يجد شيئاً من أعماله يكتبه. وله نظم حسن، ومن نظمه رضي الله عنه:

رماني لا أنوح علىٰ خطائي	وقد بارزت جبّار السماء
قرأت كتابه وعصيت سرا	لعظم بليتي ولشؤم رائي
بلائي لا يقاس به بلاء	وأعمالي تدل علىٰ شقائي
فيا ذلي إذا ما قال ربي	إلىٰ النيران سوقوا ذا المرائي
فهذا كان يعصيني جهارا	ويزعم أنه من أوليائي

يَـضْـتُـع لـلـعـبـاد ولـم يـردنـي   وكـان يـريـد بـالـمـعـنـىٰ سـوائـي

وكانت يده لم تزل ممدودة إلىٰ السماء، إذا مشىٰ أو جلس أو اضطجع، فسُئِل عن ذلك، فقال: إن الحق عز وجل عطاؤه نيّاض في الليل والنهار علىٰ عباده، فأنا أتعرّض للذلك في كل الأوقات.. فكما لا يمل تعالىٰ من العطاء فكذلك العبد من شدة فاقته لا يمل من الأخذ.

وكان مخصوصاً في عصره بالاجتماع بالخضر عليه السلام من بين العلماء، وذلك من علامة كماله وتمكنه في مقام الولاية، فإن مشايخ الطريق أجمعوا ـ كما قال سيدي عبد الوهاب الشعراني وغيره ـ علىٰ أنه لا يقدر علىٰ صحبة الخضر في اليقظة إلاّ من حقق له مقام الولاية الكبرى لعزة اجتماعه وعزه شرائطه في صحة الاجتماع به؛ فأنّىٰ لأحد أن يصحبه، لكن يراه بعض المريدين في المنام لعجزهم عن مجالسته في اليقظة، وكان يقول ـ رضي الله عنه ـ: شروط الاجتماع بالخضر ـ عليه السلام ـ ثلاثة:

الأول: أن يكون علىٰ سنة في جميع أحواله.

الثاني: أن لا يكون له حرص علىٰ الدنيا ولا يبيت علىٰ دينار أو درهم إلا لِدَيْن.

الثالث: أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام، ليس في قلبه غل ولا حقد ولا حسد لأحد، فمن لم تجتمع فيه هذه الشروط، لا يجتمع به ولو كان علىٰ عبادة الثقلين. وحُكي أن صاحب الترجمة سأل الخضر ـ عليه السلام ـ عن حال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ فقال: نِعْم الرجل إلا أن عنده نفيسة تزول عنه إن شاء الله تعالىٰ، فلما أعلمه بذلك تكدر، وصار كل ناقصة وقع فيها يقول: لعل هذه مراد الخضر، ثم أرسل إلىٰ سيدي علي يسأله أن يسأل الخضر عن تلك النفيسة فرآه بعد سبعة أشهر؛ فقال: إنه يرسل قاصده إلىٰ الأمراء، ويقول لأحدهم قل له: يقول لكم الشيخ كذا وكذا، ويُسمّي نفسه شيخاً، فقال شيخ الإسلام: صدق عليه السلام. ومن يومئذ صار يقول: يقول لكم زكريا من غير لفظ شيخ. رضي الله تعالىٰ عن الجميع ونفعنا بهم.

ولم يزل علىٰ هذه الحالات إلىٰ وقت الممات، وتوفي والناس واقفون

بـ (عرفات)، ودفن ببلده (تبيت) وقبره بها ظاهر وعليه نور باهر.

سنة سبعة عشر بعد التسعمائة

[هلاك الناس بالطاعون]

وفيها [٩١٧]: وقع الطاعون الكبير بجياش الشهير، وانتقل فيه خلق كثير وجم غفير، أكثر من عشرة آلاف ومن السادة الأشراف نحو عشرين رجلاً منهم السيدان الجليلان عبد الرحمٰن وعمر ابنا حسن بن عمر بن محمد بروع[1]، وكانا شابين نشأ في طاعة الله عز وجل. وُلِدا بمدينة تريم وحفظا «القرآن العظيم»، وأخذا عن والدهما ثم رحلا يتنقّلان في البلدان لطلب العلوم والعرفان.

[محمد الأسقع بن عبد الرحمن بلفقيه]

وفيها [٩١٧]: في شوال توفي الشيخ الإمام الحبر التمام جمال الدين، محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه باعلوي. الشريف الحسيني، ذكره في «النور»[2] باختصار، ومما لم يذكره أنه أخذ عن شمس الشموس عبد الله العيدروس والركن الشديد السيد محمد بن علي صاحب (عيديد)، ثم رحل إلىٰ (عدن) وأخذ عن خاله محمد بن أحمد بافضل «الأمهات الست»، و«الأصلين»، و«العربية»، و«المعاني»، و«البيان»، و«التصوف»، وأخذ عن صاحبه العلامة عبد الله بن أحمد بامخرمة نحو ما أخذ عن خاله، وصافحاه وشابكاه، وأجازه كل منهما بأسانيدهما المتصلة بالمذكورات. وذكرتُ إجازته في «المَشْرع الرَّوِي»، وأخذ بزبيد عن العلامة محمد بن أحمد باحمس والعلامة محمد الطيب الناشري وغيرهما، وأخذ بـ (مكة) عن السيد العارف بالله تعالىٰ عبد الله بن محمد بلفقيه صاحب (الشبيكة) القديم، وأقام بالحرمين عدة سنين.

وعاد إلىٰ وطنه (تريم) وجلس للتدريس، وانتفع به خلق كثير، وتخرج به

---

(١) هكذا في الأصل، وهو تصحيف من الناسخ، وصوابه: (يرون). راجع «تعليقات السيد ضياء شهاب» ص ٣٠٤ علىٰ «شمس الظهيرة». وسيأتي لهما ذِكر.

(٢) النور السافر، ص ٩٠. وانظر عنه وعن أسرته: كتاب أعلام الطالب النبيه بشيء عن مناقب بعض أفذاذ السادة بلفقيه ـ خ.

جماعة منهم: ولداه، عبد الرحمٰن وعبد الله، وقاضي القضاة السيد أحمد شريف وأخوه المحدث محمد بن علي صاحب «الغرر»[1] والشيخ حسين بن عبد الله العيدروس، والسيد شهاب الدين بن عبد الرحمٰن بن علي، والشيخ عبد الله بن محمد بن سهل، والشيخ أحمد بن سهل باقشير، والشيخ علي بن عبد الرحمٰن باحرمي[2]، والفقيه بافضل، عبد الله باعبد الله والفقيه أحمد بامصباح وغيرهم. وكان يكتب كل يوم ورقة واحدة، وكان خطه حسناً، وحصّل بخطه ما ينيف على أربعين مجلداً، وعُدّ ذلك كرامة له.

وكان مواظباً على السنن الشرعية، والأذكار النبوية؛ متقيداً بالاستقامة؛ ولم يظهر منه إلا كرامة؛ وهي التي ذكرها في «النور السافر»[3]. ولم يدع على أحد آذاه، وجرت عادة الله تعالى معه أن من آذاه وعَطِبَ.

ووقع له كرامات بعد موته، ذُكرتُ بعضها في «المشرع الرَّوي»[4]؛ ولم يزل على الحال المرضي إلى أن دُعي، ودفن بمقبرة (تريم). رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[علي بن علوي خَرِد]

وفيها [٩١٧]: توفي السيد الجليل صاحب الفضل الجزيل نور الدين علي[5] بن علوي[6] بن محمد بن حسن بن عبد الرحمٰن بن محمد ابن الشيخ عبد الله باعلوي. وُلد بمدينة تريم وتربى تحت حَجر والده، وأخذ عنه. ورحل

(١) «غُرر البهاء الضوي، ودُرر الجمال البديع البهي، في ذِكر الأئمة الأمجاد، والعلماء العارفين النُقّاد، والفقهاء المبرزين الأسياد من بني الشيخ بصري وبني الشيخ جديد وبني الشيخ علوي، بني الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن عيسى الأشراف الحسينيين» ـ طبع سنة ١٤٠٥ هـ بمطابع المكتب المصري الحديث. وهو في نحو ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير.

(٢) في ب: «باجري» ـ تصحيف.

(٣) ص ٩٠ ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) انظر: (المشرع الروي ج ١ ص ١٨٠).

(٥) وردت في الأصل: «نور الدين بن علي» بزيادة ابن. وهو تصحيف.

(٦) هو المعروف بلقب (خَرِد). انظر: المعجم اللطيف ص ٨٥، شمس الظهيرة ١/٣٥١، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٤٢، المشرع الروي ١/١٩٦ و ٢/١٠٣.

إلى (الشحر) و(اليمن)، وصحب جماعة من أكابر العارفين، وصحبه أولاده المشهورون: القاضي أحمد شريف، والمحدث محمد صاحب «الغرر» وغيرهما. وكان كريماً سخياً، ورعاً، تقياً له أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة.

كان على طريقة السلف الصالح، ساعياً في المصالح، مواظباً على السنن النبوية والآداب الشرعية، متجرداً لعبادة الله تعالى، سالكاً للطريقة الموصلة إلى رضاه، متقشفاً في لباسه ومعاشه، قانعاً من الدنيا بالكفاف، موصوفاً بالزهد والعفاف. ولم يزل متصفاً بأحسن الأعمال والآداب، إلى أن ناده منادي الحق فأجاب، وتوفي بـ (بندر الشحر) المشهور في التاريخ المذكور. رحمه الله تعالى وإيانا.

[شمس الدين الحنفي]

وفيها توفي شمس الدين محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي بن قاسم بن محمد الحنفي. وُلد بـ (نهراولة) عام أربعين وثمانمائة، واشتغل على والده وعلى القاضي منهاج بن حيدر البناني، وناب في الإفتاء عن والده ثم استقل بها بعده، وعرض عليه قضاء (أحمد أباد)، فامتنع، وكان يغلب عليه التقوى والورع، وكان كثير التحري في الفتاوى، وكان الناس يتضجرون منه إلى أن تلقى علاء الدين الحنفي عنه الفتوى سنة أربع وتسعين، واشتغل بطريق القوم إلى أن توفي لسبع بقين من صفر بـ (نهراولة) رحمه الله.

[عبد الرزاق البقلي]

وفيها [٩١٧]: توفي الشيخ عبد الرزاق بن أحمد بن أبي بكر الزين أبو الصفاء البقلي ـ بالموحدة ـ لسكناه بزاوية (البقلي) بالقرب من (الفسات)[1] ـ القاهري، أحد صوفية الشيخونية. وُلد سنة أربع وأربعين وثمانمائة تقريباً، وحفظ «القرآن» وجوّده على سميّه الطرابلسي وجمع للسبع على ابن الحمصاني، وحفظ «الشاطبية»، و«العمدة» و«المجمع»، وقرأ في «الميقات» على حسن القيمري والعز الوفائي، واشتغل على الزين قاسم، ونظام وخير الدين الرومي، وسافر إلى

(١) هكذا في الأصل. وفي الضوء اللامع (ج ٤ ص ١٩٢): بالقرب من القبيبات.

(إسكندرية) فقرأ على الشمس المالقي، ودخل (دمياط)، وسافر إلى (الشام) و(حلب)، ودخل (عنتاب) وحج مراراً، وسمع البخاري في الكاملية بقراءة الحافظ الديمي، وسمع (الموطأ) على الشهاب الميدومي، وصار مؤذن السلطان وربما أمّ به، وعرضه عليه فتنصّل، وقُدِّم في تدريس القراءات بالبرقوقية، وعمل أجلاسه[1] في صفر سنة تسعين بحضرة مشايخه: نظام الدين وابن الحمصاني والصلاح الطرابلسي وآخرين. وكان له عقل كامل، وأدب وافر، وفضيلة تامة. وأُعطي - بعد ذلك[2] - مشيخة تربة قايتباي عوضاً عن أبي البقاء الشمني[3] وسكنها، وكان للسلطان قايتباي ميل كبير إليه بحيث يقضي حوائج كثير من الناس احتساباً لله، وأمّ به ومن بعده. ومات يوم الجمعة لخمس بقين من شوال، رحمه الله تعالى وإيانا.

[علي بن محمد المنوفي]

وفيها [٩١٧]: توفي علي بن محمد بن عبد الرحمن المنوفي[4]، ثم القاهري، ثم المكي، الشافعي، شيخ رباط ربيع، ويعرف ببلده بابن مصاص - بمهملتين بعد ميم مضمومة مخففاً. وُلد في شعبان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بـ (منوف)، ثم رحل عنها وهو صغير إلى (القاهرة) فنزل الأزهر، فحفظ «القرآن»، و«البهجة»، و«الخلاصة»، و«التلخيص»، وجوّد القرآن، وسمع على الديمي وغيره، ورحل (إلى مكة) ومعه كتب بالوصية عليه، فأنزله أبو اليمن النويري برباط (السدره)، وأقرأ بعض أولاد الخطيب أبي الفضل النويري، وتصدّى - بعد ذلك - لإقراء الأولاد بالمسجد الحرام، واستقر في مشيخة (رباط ربيع)، ولازم البرهان بن ظهيرة، وربما غسل الأموات، ويكتب بالشهادة.

وكان يغلب عليه الصلاح مع السذاجة والغفلة، فلما كبر انقطع في منزله، ونزل لولده الولوي أبي زرعة بمشيخة رباط ربيع، وتوفي في الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني، ودفن بـ (المعلاة). رحمه الله.

---

(١) وردت بهذا اللفظ في «الضوء اللامع». وفي الأصل بدون نقاط: أحلاسا.
(٢) «بعد ذلك». زيادة من «الضوء اللامع».
(٣) في الضوء اللامع: ابن التقي الشمني.
(٤) انظر: «الضوء اللامع ٥/ ٣١٢».

[وحيش المجذوب]

وفيها [٩١٧]: توفي الشيخ الصالح سيدي وحيش المجذوب الملحوظ النقرير كثير الدربة، ومات بالاسهال ليلة الخميس لتسع بقين من شعبان، وصلّى عليه الصلاح بن ظهيرة بعد العصر، ودُفن بالمعلاة. رحمه الله وإيانا.

[رستم خليفة]

وفيها [٩١٧]: توفي العارف بالله تعالى رستم خليفة البرسوي[1] أصله من (كونيك) من ولاية (أناظولي)[2] وكان مكتسباً ثم تركه وصار يُعلِّم الصبيان. وكان سخياً عابداً تقياً زاهداً تقياً، وكان فقيراً، وإذا أهدى إليه أحد هدية كافأه بأضعافها، ولا يتكلم إلا عن ضرورة، وصحب العارف بالله تعالى حاجي خليفة، وحصل له وجع في عينيه. ولم ينفع فيه دواء، فقال له رجل شاب: اقرأ المعوذتين في السنن المؤكدة الأخيرة، فداوم على ذلك فعوفي. وأصاب بعض أصحابه وجع في عينيه، فأخبره بهذه الحكاية، فسأله عن الشاب فقال: هو رجل مشهور، قال: فعلمت أنه الخضر عليه السلام، وداومت على ذلك فزال عني الوجع. ووقعت فتنة من بعض الخوارج فخاف أهل بلده، وأرادوا الهرب منها، فقال لهم: هؤلاء الجماعة لا يدخلون بلدنا، ولا يلحق أهلها منهم ضرر، فكان كما قال. رضي الله عنه.

[محمد بن عمر الرضي]

وفيها [٩١٧]: توفي محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد اللطيف بن سالم المكي، ويعرف بالرضى[3]. وُلد سنة تسع وخمسين وثمانمائة بـ (مكة)

---

(١) انظر: «شذرات الذهب ٨/ ١١٧»، والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢١٠، الكواكب السائرة ١/ ١٩٤). وفي الأصل أوردها: البروساوي.
(٢) وردت في جميع المواضع: «أناظولي» بالظاء.
(٣) في «الضوء اللامع - ٨/ ٢٤١»: «الرضى» - بدون نقط الياء. وترجم له محمد الحبيب الهيلة في كتابه «التاريخ والمؤرخون بمكة» ص ١٧٠ فأورده مع نقط الياء: الرضي. وأمّا «الأعلام ٦/ ٣١٥» فذكره بلقب: «ابن سالم»، وكذلك فعل صاحب (معجم المؤلفين - ١١/ ٧٨) الذي ذكره باسم: محمد بن سليم.

المشرفة، ونشأ بها فحفظ «القرآن»، و«الأربعين» للنووي، و«العمدة» لابن النقيب، وحدّث مع ملازمة الكتابة وتحصيل الفوائد. وكان يكتب الوقائع والوفيات، وجمع فيه كتاباً سمّاه: «إخبار الورى، بأخبار أم القرى»[1] في مجلدين ابتدأ فيه من سنة ثنتين وسبعين وثمانمائة إلى سنة وفاته. رحمه الله.

[محمد بن عبد الوهاب القوصوني]

وفيها [٩١٧]: توفي الشمس محمد بن عبد الوهاب بن صدقة القوصوني[2] الطبيب بن الطبيب. وُلد سنة أربع وثلاثين وثمانمائة؛ ومات أبوه في التي تليها، فنشأ وحفظ «القرآن» وغيره، وتدرّب في الصناعة، وتميز بها ودار على المرضى، وترقى إلى الرياسة، وحمد الناس أفعاله وحسن علاجه، وأدبه وعقله. ومات يوم الجمعة سابع عشر ربيع أول بالقاهرة، رحمه الله.

[علي بن الضياء]

وفيها [٩١٧]: توفي الشيخ علي بن محمد بن أحمد نور الدين أبو الحسن بن ضياء الدين أبي الليث الصاغاني الحنفي المكي، عُرف بابن الضياء. وُلد سنة سبعين وثمانمائة بـ (مكة)، ونشأ بها فحفظ «القرآن»، وصُلّي به في مقام الحنفية في رمضان سنة إحدى وثمانين؛ وحفظ «الأربعين»، و«ألفية الحديث»، و«العمدة»، و«المنار»، و«الجمع» لابن الساعاتي، و«ألفية النحو»، و«التلخيص»، و«تهذيب المنطق». وتفقه على أبيه والسراج معمر، وقَدِم (القاهرة) سنة خمس وتسعين، فقرأ على البرهان الكركي والشمس الغَزّي والصلاح الطرابلسي وابن الديري الفقه والعربية، وغيرها وسمع على الحافظ السخاوي، وقرأ عليه بعض مؤلفاته، وحضر عليه دروس شيخ الإسلام زكريا والشيخ عبد الحق السنباطي والنور البحيري وغيرهم، ووُلّي قضاء مكة عام ثلاثة وتسعمائة، ودرّس بالمسجد الحرام بالمسجد النبوي، وأفتى. وكان حسن التقرير، كثير الدربة، ومات بالإسهال ليلة الخميس

(١) قال صاحب «التاريخ والمؤرخون بمكة» : كتب فيه الوقائع والوفيات بداية من سنة ٨٧٢هـ، إلى ٩١٧هـ - وأضاف: أختصّ بذكره الشلّي في السنا الباهر.

(٢) انظر: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٨/ ١٣٤ - وفيه أن نقبه جاء نسبةً لجامع قوصون).

لتسع بقين عن شعبان، وصلّى عليه الصلاح بن ظهيرة بعد العصر، ودُفن بالمعلاة. رحمه الله وإيانا.

سنة ثمان عشرة وتسعمائة

[أبي يزيد خان]

توفي السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان بن مراد خان ابن السلطان بايزيد خان بن مراد خان الغازي بن أورخان ابن السلطان عثمان الغازي[1]. وجدهم الأعلى عثمان هذا أصله من التراكمة الرحالة النزالة من طائفة التتار، والسلطان عثمان أول من وُلّي منهم السلطنة في بلاد (الروم) - سنة تسع وتسعين وستمائة - وهو ابن أرطغول بن سليمان ويتصل نسبه إلى يافث بن نوح عليه السلام، وهو الجد الأربعون للسلطان سليم خان بن بايزيد خان، وثما كانت أسماؤهم بلغة الترك لم نذكرها لعسر ضبطها.

وكان سليمان في بلاد (ماهان) قرب (بلخ)، فلما ظهر جنكيز خان أخرب (بلخ)، وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه، وخرج سليمان إلى الروم، فغرق في (الفرات)، وخرج ولده أرطغول إلى سلطان (قرمان): علاء الدين السلجوقي، واستمر إلى أن مات سنة تسع وثمانين وستمائة.

وبعدما وسم علاء الدين السلطان عثمان باسم السلطنة، وأرسل له الراية والزمر والطبل، فلمّا سمع النوبة قام على قدميه تعظيماً لذلك، فصار ذلك قانوناً لآل عثمان، وجلس على تخت السلطنة سنة تسع وتسعين وستمائة، وافتتح عدة حصون، ومات سنة خمس وعشرين وسبعمائة عن ست وستين سنة.

ثم وُلّي بعده أورخان، ومات سنة إحدى وستين وسبعمائة، وعمره ثلاث وثمانون سنة، ووُلّي ولده مراد خان الغازي، واستشهد سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة، ووُلّي ولده يلدرم بايزيد خان وحارب تيمورلنك الذي أخرب البلاد وأكثر الفساد، فأمسك بايزيد وحبس ومات سنة خمس

(١) انظر: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ١٢٤، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٣٧، الكواكب السائرة - وفيه زيادة في تدريج نسبه).

وثمانمائة عن اثنين وأربعين عاماً. وحصل بين أولاده نزاع، واستقل بالولاية محمد خان سنة ست عشرة وثمانمائة وظهر في أيامه القاضي بدر الدين بن سماونه، وادّعى السلطنة، وجمع جموعاً من مريديه، فأرسل له محمد خان عسكراً قتلوا من مريديه نحو ثلاثة آلاف، وأمسكوا بدر الدين وكان يرمي بسوء العقيدة، وله رسائل تشير إلى شيء من ذلك. وقد جمع بين الفصول الاستروسنيه والفصول العمادية جمعاً ضيّق به العبارة وأخفى فيه الاشارة، وهو متداول بين العلماء ولا يؤخذ إلا بأصله وأما هو فلا يوثق بنقله لما يرمى به، وله في الفقه متن سماه: «لطائف الإشارات» وشرحه وسمّاه: «التسهيل»، وله في التصوف رسالة «الواردات»، ورسالة «مسرة القلوب». ولما أمسك قتل بافتاء حيدر العجمي، سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وسكنت الفتنة.

ومحمد خان أول من عمل (الصر)[1] لأهل الحرمين من آل عثمان، وتوفى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ووُلّي ولده مراد خان الثاني، ثم أجلس ولده محمد خان على التخت سنة ست وخمسين وثمانمائة، وافتتح (القسطنطينية) الكبرى سنة سبع وخمسين، ومات سنة ست وثمانين وثمانمائة، ثم وُلّي بعده السلطان بايزيد خان.

كان مولده[2] سنة ست وخمسين وثمانمائة؛ ووُلّي وعمره ثلاثون عاماً، وافتتح الفتوحات، وكان محباً لفعل الخيرات، مثابراً على الصدقات، محباً للعلماء والأولياء، ودخل الخلوة وجلس أربعين، وارتاض مثل السالكين، ودخل معه الخلوة محيي الدين أفندي - والد أبي السعود المفتي المُفَسِّر - وبنى المدارس والجوامع وعمل التكايا والزوايا، ورتب للعلماء والطلبة ومشايخ الطريق ما يكفيهم على قدر مراتبهم، وكسوة الصيف والشتاء.

وكان يجهز لأهل الحرمين كل سنة أربعة عشر ألف ديناراً ذهباً نصفها لأهل (مكة) ونصفها لأهل المدينة، وإذا ورد عليه أحد من أهل الحرمين، أنعم عليه. وممن ورد عليه خطيب (مكة) الشيخ محيي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمٰن

(١) ما يُصَر من مال.
(٢) الحديث عن صاحب الترجمة: بايزيد خان.

العراقي والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين العليف شاعر البطحاء وفاضلها، ونالا منه خيراً.

وألّف جمال الدين المبرد الحنبلي الصالحي الدمشقي[1] في مدحه، وبث مناقبه مؤلفاً مستقلاً، وصنّف ابن العليف[2] باسمه تاريخاً سمّاه: «الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الروم». ومما نظمه في مدحه من قصيدة رائية مطلعها:

خذوا من ثنائي موجب الحمدِ والشكر   ومن دُر لفظي طِيّب النظم والنثر

ومنها:

فيا راكباً يسرى على ظهر ضامر   إلى الروم يهدي نحوه طيب النشر
لك الخير إن وافيت بروسّاً فسر بها   رويداً لأستنبول سامية الذكر
إلى ملكٍ لا يبلغ الوصف كنهه   شريف المساعي نافذ النهي والأمر
إلى بايزيد الخير والملك الذي   حمى بيضة الإسلام بالبيض والسُمر
وجرّد للدِّين الحنيفي صارماً   أباد به جمع الـ[illegible]ـطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده   رجاء لِما يبغي من الفوز والأجر
له هيبة (ملء) الصدور وصولة   مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس   ودان له ما بين بصرى إلى مصر
هو البحر إلا أنه دائم العطا   وذلك لا يخلو من المد والجَزْر
هو البدر إلا أنه كامل الضيا   وذاك حليف النقص في معظم الشهر
هو الغيث إلا أن للغيث مسكة   وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف إلا أن للسيف نبوة   وفلّا وذا ماضي العزيمة في الأمر
سليل بني عثمان والسادة الأولى   علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوكٌ كرامُ الأصل طابت فروعهم   وهل يُنسب الدينار إلا إلى التبر
محوا أثر الكفار بالسيف فاغتدت   بهم حوزة الإسلام سامية القدر
فيا ملكاً فاق الملوك مكارماً   فكلٌ إلى أدنى مكارمه تجري

(١) هو يوسف بن الحِبْرو، المتوفى سنة ٩٠٩هـ، انظره في: (معجم المؤلفين ١٣/ ٢٨٩).
(٢) أحمد بن العُلَيْف، له ترجمة في كل من: (البدر الطالع ١/ ٥٤، النور السافر ١١٧- وفيات سنة ٩٢٦هـ، معجم المؤلفين ١/ ٢٠٨، شذرات الذهب ٨/ ١٨١).

لئن فقتهم في رتبة المُلك والعُلىٰ فإن الليالي بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الأرض طراً لأنها سواءٌ وأنت البدر في غرة الشهر
تعاليت عنهم رفعةً ومكانةً وذاتاً وأوصافاً تجلّ عن الحصر
شموت علواً إذ دنوت تواضعاً وقمت بحق الله في السر والجهر
غدت بك أرض الروم تزهو ملاحةً وترفل في ثوب الجلالة والفخر
ألست ابن عثمان الذي سار ذكره مسير ضياء الشمس في البر والبحر
يمينك تروي عن يسار ونائل ووجهك يروي في البشاشة عن بشر
وإني لصوّان لدي قلائدي عن المدح إلا فيك يا ملك العصر
فقابل رعاك الله شكري بمثله فإنك للمعروف من أعظم الذخر
فلا زلت محروس الجناب مؤيداً من الله بالتوفيق والعز والنصر

فلما وصلت إليه فرح بها، وأمر له بألف دينار جائزة، ورتّب له في دفتر الصر في كل عام مئة دينار.

ثم استولىٰ عليه[1] مرض النقرس - وهو أكثر مرض آل عثمان - فضعف وترك السفر، فأشار عليه وزراؤه أن يفرغ بالسلطنة لولده سليم بقلب سليم ويقعد في (أدرنة) في عز وتعظيم، فما رأىٰ بُدّاً من إجابتهم، فسلّم له التخت وتوجه بخواص خدمه إلىٰ (أدرنة)، ومات في صفر في التاريخ المذكور عن اثنين وستين سنة. ومدة سلطنته اثنان وثلاثون سنة.

[محمد بن بركات]

وفيها [٩١٨]: في يوم الأحد حادي عشر ربيع أول[2]، توفي سلطان (مكة) الشريف قايتباي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، وكانت ولايته ثالث صفر سنة عشر وتسعمائة برضاء أخيه بركات. وكان له الدعاء، وملاقاة الحاج والمعوّل علىٰ بركات في جميع الأمور.

(١) الضمير عائد إلى السلطان أبي يزيد خان.
(٢) ذكر صاحب كتاب «الأعلام» ج ٦ ص ٥١ أن وفاته سنة ٩٠٣هـ. مع أن كتاب النبلي هو أول مصادره. ولعل التصحيف من الناسخ. كما أن «النور السافر» ص ٣٧ أورده أيضاً - ضمن وفيات سنة ٩٠٣.

[عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل]

وفيها [٩١٨]: في رمضان توفي الشيخ الكبير العلم الشهير، عفيف الدين، عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج بافضل[1]، السعدي، المَذْحِجي نسبةً إلىٰ سعد العشيرة. الإمام الصحابي، ونسبةُ إلىٰ مَذْحِج - بفتح الميم وسكون الذال المعجمة، وكسر الحاء المهملة، آخره جيم - كمجلس، قبيلة باليمن. يجتمع مع النبي ﷺ في عابر بن شالخ[2]، وفي حديث: «أكثر القبائل في الجنة مذحج»[3].

وذكر في «النور السافر»[4] ترجمته، ومما لم يذكره أنه ولد بـ (تريم) سنة خمسين وثمانمائة، وهي السنة التي ولد فيها أبو بكر بن عبد الله العيدروس، فهُما تِرْبان، وحفظ «القرآن» وعدة متون في الفقه والعربية، واشتغل بعلم التجويد، واعتنى بالفقه والحديث.

وارتحل إلىٰ (الشحر) ثم إلىٰ (اليمن)، وقصد (بندر عدن) وأخذ عن الإمامين المحققين محمد بن أحمد بافضل وصاحبه العلامة عبد الله بامخرمة، ولازمهما حتىٰ برع في الفنين، وشارك في علم الأصلين والعربية، وأخذ التصوف عن السيد الجليل عمر بن عبد الرحمٰن - صاحب الحمراء - وألبسه، وحكّمه، ورحل إلىٰ (الحرمين)، وأدى النسكين. سنة خمس وثمانين. وأخذ بمكة عن برهان الدين القاضي إبراهيم بن علي بن ظهيرة، والإمام بالمقام محب الدين محمد بن محمد بن أحمد الطبري، وأخذ بـ (المدينة) عن العلامة محمد بن أبي الفرج بن أبي بكر الحسيني العثماني، وأبي الفتح المراغي. ثم عاد إلىٰ (حضرموت). وصحب الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز، وألبسه الخرقة، وحكّمه.

(١) انظر: (كتاب صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل ص ١٤٢، النور السافر ٩٨، معجم المؤلفين ٦/٦٨).
(٢) وردت في الأصل بدون تنقيط: «سالخ». والتصحيح من الأكليل ج ١ ص ٨٣.
(٣) رواه الطَّبَراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي، قال الذهبي: حمل عنه الناس وهو مقارب الحال، وقال النسائي: ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح، وقد رواه بنحوه بإسناد جيد عن شيخين آخرين.
(٤) ص ٩٢ـ دار الكتب العلمية بيروت.

وأذن له مشايخه في الإفتاء والتدريس، فنصّب نفسه لهما. وانتفع به جمع كثير، وتخرج به جماعة، منهم: الإمامان الشهيران القاضي أحمد شريف، وأخوه المحدث محمد، والعارف بالله شيخ ابن عبد الله العيدروس، والشيخ عبد الرحمٰن بن الشيخ علي، ومدحه بقصيدة مطلعها:

أقول بحمد الله في مدح مَن له   علوم وبركات ونور وبهجة
إمامي وأستاذي وشيخي وسيدي   حبيبي ومحبوبي وذخري وعمدتي
ملاذي وملجائي وغوثي لكربتي   مغيثي ومنقذي كذا عند شدتي
إذا جئته مكروباً في الدين والدُّنا   أزاح همومي من كروبي وغفلتي
فقد فاق أهل العصر علماً وحكمة   وفهماً عظيماً في معاني الشريعة
غريبُ معانٍ في جميع أموره   يغوص بسرٍّ في بحور عميقة
إذا قال لفظاً تلقاه جامعاً حوىٰ   غزيرَ معانٍ كملات عويصة
علوم به زانت لكل مليحة   وسارت بأنوار إلىٰ كل بلدة
أضاءت بأنوار تلألأ ضوءها   وجاءت بأسرار ورُتْبٌ غريبة[1]

وكانت الطلبة من الشرق والغرب ترحل إليه، والفتاوىٰ تُحمل إلىٰ ما بين يديه، وصار عمدة القطر، وانتهت إليه رئاسة الفقه في البر والبحر.

وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثير السعي في حوائج المسلمين ومصالحهم، وكانت له حرمة وافرة عند الملوك وغيرهم، كثير التوسط بين قبائل حضرموت وسلاطينها. وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب ـ صاحب اليمن ـ يحترمه، ويعظمه، ويقبل شفاعته، ويمتثل أمره، ومن ذلك: أنه أرسل إليه أن يعمر جامع (تريم) ويوسعه، ويعمر مسيل (وادي ثبي) المشهور، فأرسل السلطان مالاً جزيلاً للسيد محمد بن أحمد باساكوته لتعمير المذكورات، فعمروها أحسن عمارة، وذلك سنة ثلاث وتسعمائة. ثم جاء سيل، فأتلف مسيل الوادي، فكتب له بذلك، فأرسل للسيد مالاً لتعميره ثانياً. وجملة ما أرسله السلطان عامر أكثر من ثلاثة آلاف دينار، فعمروه سنة أربع عمارة أكيدة بالنُّورة والصخر.

(١) أورد مؤلف «صلة الأهل ص ١٤٣» أبياتاً أخرى زيادة عن هذه.

وله مؤلفات كثيرة[1]، منها: «المختصر» في الفقه، الشهير بأنْ كلُّ مَن قرأ فيه فتح الله عليه، وشرحه العلامة أحمد بن محمد بن حجر، ولم يكتب إلا ربع العبادات؛ ووجد في بعض النسخ أنه بلغ فيه إلىٰ باب الإجارة. وله مختصر صغير في ربع العبادات أيضاً شرحه الإمام شمس الدين محمد الرملي، ومؤلَّف يُسمّىٰ: «الحجج القواطع في الواصل والقاطع»، وله فتاوىٰ عظيمة مفيدة، وله رسالة في «أوراد المساء والصباح»، واختصر «أذكار النووي»، ومؤلَّف في أذكار المسافر سمّاه: «نزهة الخاطر»، ومؤلف في أذكار الحج والعمرة والزيارة سمّاه: «حلية البررة»، ومؤلَّف في «معرفة القبلة»، و«حِكَم مفيدة».

ولمّا سعىٰ قاضي (الشحر) الشيخ عبد الله بن محمد عيسىٰ في إخراج وقف الجامع الذي على المُدرِّس والطلبة من يد الدولة، وأخرجه منهم، سعىٰ في وصول صاحب الترجمة إلىٰ (بندر الشحر) وترتيبه مدرساً في الجامع، فرحل إلىٰ (الشحر)، وجلس للتدريس في الجامع، وعكفت عليه الطلبة.

وكان صبوراً علىٰ تعليم العلم، متواضعاً، شريف النفس، سخياً، مفضالاً، كثير الصدقة، وأثنىٰ عليه الأئمة المشهورون من مشايخه وغيرهم. ولعمري أنه كان بذلك حقيقاً، وبكل نعت حميد خليقاً. واستمر بـ (الشحر) علىٰ طاعة الله، وما يحبه ويرضاه، إلىٰ أن طلبه ودعاه، فأجابه ولبّاه، وانتقل إلىٰ رحمة الله وقت عصر يوم الأحد، لخمس مضت من رمضان المعظم، وشيّعه خلائق لا يحصون، ودفن ضحىٰ يوم الإثنين في موضعه المعروف ببندر الشحر المحروس، وكان يشير إلىٰ موضعه في حياته.

ولمّا فرغوا من دفنه، قام العلامة محمد بن عمر بحرق، والسلطان بدر والسلطان محمد وجندهما، وأهل البلد حاضرون، فحمد الله تعالىٰ، وخطب خطبة، وذكر فيها قوله ﷺ: «من رآني، فقد رآني حقاً»[2]. ثم قال: رأيت البارحة سيدنا رسول الله ﷺ فقال: «كل من صلىٰ علىٰ هذه الجنازة غداً غفر الله له». قال

(١) أعاد ذكرها صاحب كتاب «صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل» ـ ص ١٤٤.

(٢) رواه أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رأىٰ الحق، إن الشيطان لا يتشبه بي». ذكر «البيان» بأن قوله ﷺ: فقد رأىٰ الحق ـ أراد به: فكأنما رآه في اليقظة.

الشيخ العارف بالله تعالى عبد الرحمٰن بن سراج: فتعجبت من ذلك واستعظمته، وقلت: كيف يقع لهذا الجمع الكثير، وفيهم الظلمة والفُسّاق؟ فرأيت في الليلة الآتية رسول الله ﷺ وقال لي: استعظمت ما قاله الفقيه محمد بحرق؟ قلت: نعم، قال: هو كذلك.

ورثاه جماعة، منهم تلميذه الفقيه عبد الله بن محمد حَكَم باقشير، رثاه بقصيدة مطلعها:

يا عين جودي بالبكاه ولا إلى ... ذرّي الدموع على مآقي هطلا
واسجي الدُما بعد الدموع إذا انقضت ... فلقد دهاكِ من البَلا أقصى البلا
دهمتكِ غارات الزمان بنكبة ... ثقلت وحق لمثلها أن تثقلا
حلّت عليكِ من العَزا ثوبُ العَزا ... وأتتكِ بعد الوصل أيام القلى

وهي طويلة جداً[1].

[عبد القادر الفَيُومي]

وفيها [٩١٨]: توفي الشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد الملقب صحصاح - بمهملات - الابشيهي نسبةً لـ (أبشيه الرمان) من الفيوم، الخانكي، الأزهري[2]. وُلد سنة ست وأربعين وثمانمائة بالخانكة، وبرع في الفرائض والحساب والعربية، وانفرد بالخط الرفيع. وله اعتناء بالأدب، فمنه قوله:

تناسى شهاب الدين حق ذوي القُربى ... فلا وصلاً يبدي السلام ولا كتبا
أمذهبهُ من فارق العين مدة ... جرى قَدْر الباري بها فارَق القلبا
وكنت أرى لوماً على ناي صاحبٍ ... ولكن على حظي أرى اللّوم والعتبا
وما حيلتي في زاهدٍ ما زهدته ... ولم أرَ بي إلاّ محبته ذنبا
على أنه إن دام في ترك وده ... سرت فلا سِلْماً أكون ولاَ حربا
عجبت لمن يُبدي لأهليه جفوةً ... أيمكن جَفْن العين أن يهجر الهدبا

(١) أوردها كاملةً مؤلف «صلة الأهل»، قال - ص ١٤٥: «ولم يكملها مؤلف «النور السافر» ولا مؤلف «السناء الباهر» وهذا تمامها. وهي في نحو مائة بيت. وألحقها برسالة مختصرة في بعض أحوال صاحب الترجمة لحفيده الفقيه محمد بن أحمد.

(٢) انظر: (الضوء اللامع ٤/٢٩٦).

فديتك أيام الحياة قصيرة ... فليس جميلاً إن تُولّينا جنبا
لعمري لقد بالغت يا دهري بالأسى ... إذا ما انقضى خطبٌ تجدّد لي خطبا
فإن تتهمني الدهر ما ادعيته ... فابن الصبا والولد والعمر والقُربى
ولم أعتب الدنيا لسوءِ صنيعها ... ويا ليتها ترثى لعيني أو تعبا
فدع يا شهاب الدين من عينيك الذي ... يجدد أنكاداً وخطباً لنا صعبا
ولا تنسنا من دعوةٍ في عبادة ... فإن دعاء الحب أفضل ما يُحبى
وكل امرىءٍ أهدى من الخير ذرة ... أو الشر في الدنيا سيجزاه في العُقبى
رعى الله أرضاً أنت فيها لأنها ... يطيب بها عَرْف النسيم إذا هبّا
سقى الله مغناها وحيّا ديارها ... وأخصبها ينعاً وأينعها خصبا

مات في ربيع أول بالقاهرة، رحمه الله.

وفيها[1]:

سنة تسع عشرة وتسعمائة

[محمد بن حسن البيلوني]

يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة، توفي، محمد بن حسن بن محمد بن أبي بكر، الشيخ العالم، العامل الصالح، شمس الدين، أبو عبد الله، الحلبي، الشافعي، المعروف بابن البيلوني[2]. لزم الشيخ بدر الدين بن السيوفي، وحدّث عنه، وقرأ على الكمال محمد بن الناسخ بـ (حَلَب) من أول «البخاري» إلى تفسير سورة ﴿مريم﴾. وأجازه جماعة آخرون، منهم: الحافظ شمس الدين السخاوي وألبسه الطاقية، وصافحه، وأسمعه الحديث المسلسل بالمصافحة، ومنهم الكمال والبرهان ابنا أبي شريف. وُولّي إمامة السفاحية والحجازية بجامع حلب دهراً.

وكان متقشفاً، متورعاً عن فاخر الثياب، وأثوابه إلى أنصاف الساقين عملاً بالسنة، متواضعاً، يُعبر عن نفسه [بلفظ][3] عبيدكم كثيراً، وربما قال لغيره: كيف

(١) هكذا بدون مادة محررة. وقد تركها الناسخ بياضاً.. قدر نصف صفحة.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٣٣؛ الكواكب السائرة ١/٣٨). وقد ورد لقبه غير منقوط.

(٣) «بلفظ» - زيادة من «الشذرات» و «الكواكب».

وليدكم وعبيدكم، فناقشه بعضهم في ذلك فأجابه بأنه يقصد بالتصغير. . التعظيم كما هو مذهب الكوفيين.

[محمد المِكْناسي]

وفيها [٩١٩]: يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى[1]، توفي الشيخ العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازة العثماني المكناسي، ثم، الفاسي، المالكي. شيخ الجماعة، وخاتمه علماء المغرب، وآخر ممتنيهم، قال في «الروض الهتون»: العثماني نسبةً لبني عثمان قبيل بـ (مكناسه). انتهى.

وُلد سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وحفظ «القرآن» وعدة متون في الفقه والعربية والتجويد، واعتنى بعلم القراءات ووجوهها وعِللها، ثم طلب علم الحديث روايةً ودرايةً، وقرأ التفسير والعربية، وجدّ في الاشتغال حتى فاق أقرانه.

وكان إماماً في السِيَر والمغازي والتواريخ والأدب، وأحكم علم الفقه والحساب والعروض والفرائض، وكان مرجع أهل زمانه في الأحكام الشرعية والحديث والقراءات والعربية حافظاً للحديث، عدّه غير واحد من الحفاظ، وكان عالماً برجاله وطبقاتهم. وأنفق عمره في طلب العلم، ونشره، وانتفع به جماعة من الطلبة، وألّف عدة تصانيف فمن عيون تصانيفه: «شفاء الغليل» من أحسن حواشي خليل، عمّ نفعه في مذهب مالك غرباً وشرقاً، وله: «تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة»، كمّل به تقييد أبي الحسن الصغير، و«حلّ تعقيد ابن عرفة». وكان بعض معاصريه يقول: أما التقييد فكمّله وأما التعقيد فما حلله. وله حاشية على الألفية سمّاها «إتحاف ذوي الإستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق» و«منية الحُساب في علم الحساب» بديع النظم؛ وشرحها «بغية الطلاب»، و«ذيّل على الخزرجية»، ونظم «مشكلات الرسالة». وله حاشية على «البخاري»، و«إرشاد الشريد من ضوال القصيد»، و«التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل

---

(١) ذكر صاحب «معجم المؤلفين»، أن وفاته في السنة التي قبلها ـ ٩١٨هـ. (معجم المؤلفين ٨/ ٢٨٥).

والناده، و«الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون»، و«الجامع المستوفى لجداول الجوفي». واستنبط من حديث: يا أبا عُمَير.. ما فعل النُّغَير[1]؟! . مائتي فائدة، وترجمها في ورقتين، وغير ذلك.

وخطب بـ (مكناسه) و(فاس)، وليس في عصره أخطب منه، يُسْمِع ـ في كل شهر رمضان ـ «صحيح البخاري»، ومجلس إقرائه في غاية الاحتفال، لم يزل يُحرِّض الناس في خُطبه ومجالس تدريسه على الجهاد. وحضر بنفسه مواقف عديدة. ومن شعره قوله مادحاً بلده (مكناسة الزيتون):

حُيِّيتِ يا مكناسة الزيتون   قد صَحّ عُذر الناظر المفتون
طِيب الهَوا وصحة الماء الذي   يجري بها وسلامة المخزون
وكفاك شاهد حسنها وجمالها   أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبلٌ تضاحكهُ البروق بحبوه   وجرت عذاب مياهه بعيون
فكأنما هو بربري ناقذ   في لوحه والتين والزيتون

وقوله مفضلاً لها على فاس:

إن تفتخر فاس بما في طيها   لو أنها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة أرجاؤها   والأطيبان: هواؤها والماء

وخرج آخر عمره لقصد (مكناسة) للمحراسة، فمرض ورجع لفاس فتوفي بها، وحضر جنازته السلطان فَمَن دونه، وتبعه ثناء جميل، وكثر أسف الناس عليه. رحمه الله تعالى وإيانا.

[شهاب الدين الشيشني]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ الإمام العالم الهمام شهاب الدين الشيشني[2] الحنفي. كان عالماً إماماً في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وانتفع به فيه وفي غيره

---

(١) انظر هذا الحديث وقصته، في كتاب ابن الأثير: (أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ٦/ ٢٤٥ـ ٢٤٦).

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٣٠. وذكر المحقق من مصادر ترجمته: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص ٨١، النعت الأكمل لتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل للغزي ص ٩١).

من سائر العلوم جماعة من أكابر العلماء والفضلاء، وكان إماماً في تفسير كتاب الله تعالىٰ، وكان إذا دخل جامعاً وقت العصر، يجلس علىٰ الكرسي بعد الصلاة، ويتكلم علىٰ تفسير آية أو آيتين، كلاماً محرراً بالمواعظ والزواجر بلسانٍ طلق حتىٰ يبكي الناس، ثم يدعو ويذهب. وكان زاهداً في الدنيا وأهلها، قانعاً من أمورها بالقليل.

وكان لا يأكل من معالم المشيخة شيئاً، وكان يدور مواسير الغزل للحياكين في حارته ويتقوّت منها، وكان متواضعاً جداً لا يرىٰ له فضلاً علىٰ أحد أبداً، يلبس العلم علىٰ نخ خَلَق ليس فوقه شيء. رحمه الله تعالىٰ. ونفعنا به.

[عمر البجائي]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ العالم الرباني الشجاع عمر البجائي المغربي[١].

وُلد بالمغرب، وطلب العلم من صغره ثم قَدِم إلىٰ (مصر) في دولة سلطان الغوري، وضبط المدونة الكبرىٰ للإمام مالك وسمع الحديث الكثير، وكان يصوم الدهر، وكان وجهه كأنه كوكبٌ دُرّي من النور، وغالب قوته الزبيب. وكان طويلاً، جميل الصورة طيب الرائحة علىٰ الدوام، ولم يكن علىٰ رأسه عمامة، إنما كان له ملاءة عريضة يطرحها علىٰ رأسه وظهره، وكان له القبول التام عند الأكابر وغيرهم، وكان الشيخ محمد بن عنان يعظّمه ويجله ويذهب إلىٰ زيارته.

وكان أقام بجامع آل ملك بالحسينية مدة ثم أقام بجامع محمود بالقرافة قريباً من سيدي عمر بن الفارض، فانقلبت الأمراء والوزراء والأكابر علىٰ زيارته هناك، فغار منه بعض فقراء القرافة، فلما بلغه ذلك انتقل منه إلىٰ قبة الملك المنصور بين القصرين، فمكث بها إلىٰ أن مات. ولما أقام بجامع محمود أنشد فيه الشيخ شمس الدين الدمياطي قصيدة، من جملتها قوله:

سـألتني أيهـا المولىٰ مديح أبي ... حفص وما جُمعت أوصافُه الغُرر
مُكمّلٌ في معانيه وصورته ... كمالُ من لا به نقصٌ ولا قِصَرُ

---

(١) انظر: (شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب ٨/ ١٣١، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي ١/ ٢٨٦).

مُطَهَّرُ القلب لا غلٌّ يدنّسه ... ولا له قط في غير التُّقىٰ نظرُ[١]
فهنّ جامع محمودٍ بساكنه ... فإنه الآن محمودٌ ومفتخرُ
وقُلْ له فيك بحُر العِلْم ليس له ... حدٌّ فيا لك بحراً كُنْهُ درر
وللقرافة عادات بمثلك أن ... يحلّ فيها وأنت المنتظر المنضرُ

إلىٰ آخر ما قال. وكان ـ رضي الله عنه ـ كثير الكشف يخبر بالوقائع الآتية في المستقبل للولاة وغيرهم، فيقع الأمر كما خبّر، وقد أخبر بزوال ملك الجراكسة وقتالهم لأبي عثمان وأن الدولة للسلطان سليم، فكان كما قال. ومر علىٰ المعمار الذي يعمر القبة الزرقاء للغوري تجاه مدرسته فقال له: ليس هنا قبر الغوري، فقال له: وأين قبره؟ فقال: يُقتل في المعركة ولا يُعرَف له قبر، فكان الأمر كما قال.

واستمر مقيماً بين القصرين إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، ودفن بالقرافة في حوش عبد الله بن وهب بالقرب من قبر القاضي بكار، وصلىٰ عليه جماهير العلماء والأكابر، وكانت جنازته حافلة. رضي الله تعالىٰ عنه، ونفعنا به.

[صدر الدين البكري]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ العالم صدر الدين البكري. كان إماماً عالماً عاملاً زاهداً تقياً نقياً عفيفاً، صحب الشيخ إبراهيم المتولي والشيخ أبا العباس الغمري، ولازمهما حتىٰ صار من أجل أصحابهما. وكان كثير الصمت يجلس اليومين والثلاثة لا يتكلم، إلا إن احتاج لرد جواب من كلمة، وكان مطرق الرأس إلىٰ الأرض لا يكاد يرفع بصره إلىٰ السماء في ليل أو نهار، إلا فيما وردت به السُّنَّة.

وكان ورعاً ويوصي أصحابه به ويقول لهم: لا تأكلوا طعاماً للشرع فيه اعتراض ولو سقيتم التراب من الجوع. وحج بيت الله الحرام، وزار محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام، وحصل به نفع عام في الحرمين، ولمّا سلّم علىٰ النبي ﷺ سمع صوت رسول الله ﷺ يرد السلام، وسمعه أصحابه الذين بقربه، واستمر

---

(١) في نسخة: وطَرْ.
(٢) في نسخة: فيك بحرٌ ما لغايته.

بـ (المدينة) إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، ودفن بـ (البقيع)، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[أحمد ابن ظهيرة]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد الشهاب بن عالم ـ الحجاز ـ البرهان بن ظهيرة[١]. وُلد سنة أربع وسبعين وثمانمائة بـ (منى)، وحفظ «القرآن»، و«المنهاج»، و«الأربعين»، و«جمع الجوامع»، و«الألفية»، وعرض وسمع على أبيه، وحضر دروس أخيه الجمال أبي السعود، واشتغل بالعربية والأصول، واستنابه ابن أخيه الصلاح في القضاء بـ (مكة)، و(جدة)، وكان من شهامته ربما يخالفه ثم أعرض عن ذلك، وأقبل علىٰ المطالعة، وحصل الأملاك واقتصر علىٰ السرى، وانجمع عن الناس، ومات في صفر، ودفن بالمعلاة.

[أبي العمائم]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ ناصر الدين المعروف بأبي العمائم، كان خرقته أحمدية، وكان بينه وبين الشيخ نور الدين الشوني ودّ عظيم وإخاء من الصغر، وكان مقيماً بالنحارية، وبنىٰ له زاوية، وغرس فيها بستاناً، وقصده الناس من سائر الآفاق للزيارة. وكان لسانه لهجاً بذكر الله تعالىٰ، وتلاوة «القرآن»، وصحبه خلق كثيرٌ، منهم: سيدي عبد الوهاب الشعراوي، وحصل له منه نفحات، ودعا له بدعوات.

وسبب شهرته بأبي العمائم، أنه كان يتعمم بنحو ثلاث بُرَد صوف غليظة حُمر وسود حتىٰ أنه من قلة افتقادها.. ولد فيها فأر ولم يدرِ به حتى دبّ علىٰ أذنه، فنظروها فوجدوا فيها ثلاثة أولاد. ولم يزل بالنحارية حتى مات بها، وقبره بها معروف. رضي الله عنه، ونفعنا به.

[سويدان المجذوب]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ الصالح الولي سويدان المصري[٢]. كان مقيماً

(١) انظر: «الضوء اللامع ١/١٩٦».
(٢) انظر: «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/١٢٣».

بالخانقاه السرياقوسية، وبنوا له هناك زاوية ثم انتقل عنها أيام السلطان الغوري إلىٰ المدرسة الزمنية برصيف (بُولاق) عمارة الخواجا بن الزمن. وكان له علىٰ خوند زوجة السلطان قايتباي كل سنة جوخة حمراء، فيخلع العتيقة، فيأخذها النقيب ويلبسونه الجديدة. وكان كثير التحمل لحملات الناس وهمومهم من أركان الدولة وغيرهم، وكل من حمّله حملة يحط في فمه حمصة يتذكر لها حملته، فربما امتلأ فمه حبات حمص، ويمكث في فمه نحو شهر حتى تُقضىٰ تلك الحوائج.

وله مكاشفات عجيبة وخوارق غريبة، وكانوا يرونه تارة بمكة وتارة بمصر وتارة بغيرهما. وكان كثير التطور فكانوا يرونه إذا دخلوا عليه في بعض الأيام سَبُعاً، وتارةً فيلا وتارة أميراً وتارة فقيراً، وتارة يخبر بأشياء قبل وقوعها فتقع كما أخبر، ويُخبِر بالأمر الذي وقع بالبلاد البعيدة في وقت وقوعه فيجيء الخبر كما قال، وأخبر بموت أمه يوم ماتت بمصر وهو بمكة ودخل زمزم بكفنها.. فغسله منه ورماه لهم في (مصر) مبلولاً وهم يغسلونها، وما عرف الناس من رماه حتى جاء الخبر مع الحاج من (مكة)[١] وأخبر الناس بذلك.

وأكثر كلامه إشارات وتلويحات لا يفهمها إلا العارفون والصادقون من الفقراء، وانتقل بمصر، ودفن بزاويته بالخانقاه السرياقوسية. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[صفي الدين مصطفى]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ صفي الدين مصطفى، كان أصله من بلدة (كانقري)، وأخذ التصرف عن الشيخ حاجي خليفة ولازمه حتىٰ كمّله في الطريق، وأذن له في الإرشاد. وأخذ عنه جمع وصحبه كثيرون وانتفعوا به، وكان عاملاً عابداً راشداً مرشداً، واستمر كذلك إلىٰ أن توفي بمدينة (بروسّا)، ودفن عند شيخه الشيخ حاجي خليفة. نفعنا الله بهم.

[ابن الصوفي]

وفيها [٩١٩]: توفي الشيخ عبد الرحمٰن الشهير بابن الصوفي، واشتغل

(١) في نسخة: حتىٰ جاء الخادم من مكة.

بالعلم على المولى موسى حلبي بن المولى الفاضل أفضل زاده لمّا كان مدرساً بإحدى المدارس الثمان، ثم صحب العارف بالله تعالى السيد علي بن ميمون المغربي؛ وأكمل عنده الطريق في أقرب مدة، وكانت طريقتهم على الاشتكاء بالخواطر، ويتكلم الشيخ على ذلك الخاطر حتى يرفعه عن المريد. وقال له: يا سيدي إن نفسي الأمارة لم تصلح، فقال له الشيخ: الأمارة بالخبر؛ قال: يا سيدي الشيخ إنها أمارة بالسوء، فقال له: قم يا عبد الرحمٰن، فلما ذهب قال للحاضرين: تهت في بحر عبد الرحمٰن من حيث أنه لم يحسن الظن بنفسه لأن حسن الظن بها مكر عظيم عند أهل الطريقة. ولمّا ذهب الشيخ إلى الديار الشامية نصّبه خليفة بمدينة (بروسا)، وكان ملبسه على زي عوام الناس، وكان كثير العبادة، وكانت أنوارها على صفحات وجهه ظاهرة، وكان يعظم المشايخ والعلماء وأهل البيت. رحمه الله وإيانا.

[محيي الدين محمد]

وفيها توفي [٩١٩]: محيي الدين محمد الشهير بشيخ شاذ؛ واشتغل بالعلم على جماعة، ثم وُلّي مدرسة أحمد باشا وغيرها، وكان يصرف جميع أوقاته في العلم والعبادة، وحصّل طرفاً صالحاً في الفقه والتفسير والعربية؛ وكان متواضعاً ديناً تقياً، ولم يزل مدرساً بالمدرسة الحلبية بمدينة (أدرنة) إلى أن مات بها. رحمه الله.

سنة عشرين وتسعمائة

[أحمد بن عبد الله شنبل]

لست بقين من رجب، توفي السيد الجليل ذو المجد الأثيل؛ شهاب الدين، أحمد بن عبد الله بن علوي بن حسن بن الفقيه أحمد، اشتهر جدة بـ(شنبل)[1] ـ بفتح الشين المعجمة، وسكون النون، وفتح الموحدة. كان أحمد صاحب الترجمة أحد العلماء المشهورين والفضلاء المعروفين، «حفظ القرآن» العظيم وغيره في عدة فنون، وطلب العلم الشريف، وتفقه وتصوف، وقرأ كتباً كثيرة في علم الحديث.

(١) انظر: (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٤٧٦؛ المشرع الروي ٢/٦٧، شمس الظهيرة ٢/ ٤٥١، المعجم اللطيف ١١١).

ورحل إلى الأقاليم، ولكن مال إلى علم الأدب، وارتقى إلى أعلى الرتب، وجمع كتباً كثيرة. وصحب جماعة من أكابر العارفين، وألبسه الخرقة الشريفة جماعة منهم، ودَرّس وألّف وأفاد، وروى وأسمع وأجاد.

وكان من أحسن الناس ضبطاً للكتب وتحقيقها، وكان يحب طلبة العلم، ويحثهم على الاشتغال، ويبرهم. وكان جيد الفهم، فطناً، قوي الحافظة، وبرع في العلوم الأدبية والفنون العربية، وألف تاريخاً مفيداً[1] جمع فيه بين لطائف تاريخية، وأحكام شرعية، وفوائد بارعة، ومواعظ نافعة، وله رسائل دلّت على وفور علمه وعقله. وكان عرف بالسير النبوية، وأيام العرب وأنسابها. وكان مجلسه بستاناً غض الجنى، مع السرور والهنا. وكان عاملاً بعلمه، صابراً على الطاعات، مواظباً على الجماعات، كريماً سخياً، ورعاً تقياً، كثير التعظيم للعلماء الصالحين، كثير الإكرام للفقراء والمساكين.

[عمر بن يحيى]

وفيها [٩٢٠]: توفي الشيخ عمر بن يحيى بن أحمد بن الناصر، الرسول المكي الحنفي، ويعرف بابن سلطان اليمن، ولد بـ (مكة) سنة ثمان وستين وثمانمائة، واشتغل بالأدب، وكان متكلماً على مدارس الرسول بـ (مكة) وأجر المنصورية والمجاهدية والأفضلية وغيرها من مدارسهم، وسافر إلى (اليمن) فأكرمه سلطانه عامر بن عبد الوهاب، فاستطال عليه، وخرج من عنده إلى (مصر)، ومدح الغوري بقصيدة، يطلب منه عسكراً ليحارب به عامراً فلم يلتفت ثم افتقر وصار يسأل أهل الهيئات بالمديح وغيره إلى أن مات بـ (مكة). رحمه الله تعالى وإيانا.

[محيي الدين الأندلسي]

وفيها [٩٢٠]: توفي الشيخ محمد المدعو محيي الدين الأندلسي الأسكلسي. الإمام العالم العامل، الصوفي، الفقيه الكامل. له أحوال باهرة، ومناقب ظاهرة، وأخلاق رضية، وطريقة مرضية، وشيمة تدل على حسن الطوية. اشتغل أولاً بعلم الظاهر حتى برع فيه، ثم اتصل بخدمة المولى علاء الدين علي

(١) طُبع بتحقيق الأستاذ عبد الله الحبشي.

التوشجي وتسلّك على يديه، ثم على الشيخ مصلح الدين قوجوي وأجازه بالإرشاد، ثم بالشيخ إبراهيم القيصري، فجمع بين العلم والعمل والظاهر والباطن، وكانت العلماء تهابه لنهايته في العلم وجلالته فيه.

وكان له كرامات وخوارق للعادات، منها: أن بايزيد كان أميراً بـ (أماسيه)، فلما أراد الشيخ الحج لقيه، ودعا له وقال: بعد إيابي من الحج أجدك جالساً على تخت السلطنة، فكان الأمر كما قال، فأحبه السلطان حباً شديداً واعتقده، وبنى له زاوية، وأقبل عليه حتى اشتهر بشيخ السلطان. وكان الأكابر والأعيان يزدحمون على بابه، وتأتيه الوزراء والقضاة والعساكر، ومع ذلك لم يغير حالته ولا بدّل كسوته بل كان على ما كان عليه أولاً من الزهد والتقوى والورع والتقشف والقناعة.

ومنها: أنه كان لبعض أصحابه، ولد صدرت منه جريمة توجب عقوبة شديد في عرف السلطان فاستغاث والده بالشيخ ليخلصه من الوزراء، فقال له: أتوجه إلى من هو أعظم منهم، فلما أحضر الولد للعقوبة سبق لسان الوزراء إلى مدحه، والثناء عليه فأطلقوه، فتعجبوا من تحول نياتهم من العقوبة إلى العفو من غير سبب ظاهر.

ومنها: أن عبد الرحمن بن علي بن المؤيد عُزل عن قضاء العسكر في أوائل دولة سليم خان، فتشوش من العزل، وذهب إلى الشيخ ليدعو له فنفحه الشيخ ورغّبه في الزهد في هذا الجاه الفاني فلم يفد، فأمر الشيخ أن يفرض له فرش، وينصب له وسادة وأن يجلس على ذلك كما كان يفعله في مجلس القضاء، فجلس فقال الشيخ: بارك الله لك في المنصب، فلم يمض نحو أسبوعين إلا وقد أمر السلطان بإعادته إلى منصبه.

[عبد القادر ابن عنان]

وفيها [٩٢٠]: في آخر ذي الحجة توفي الشيخ عبد القادر ابن عنان أخو الشيخ الكبير محمد بن عنان الآتي ذكره ـ كان رضي الله عنه ـ إماماً عالماً عاملاً ورعاً زاهداً مواظباً على تلاوة القرآن ليلاً ونهاراً قائماً وقاعداً وماشياً، وإن حرث أو حصد، وكانت التلاوة وردهُ على الدوام، وهكذا أكابر العارفين أكثر أورادهم تلاوة القرآن ويحثون أصحابهم على أن تكون أورادهم من القرآن، ليجمعوا بين قراءته

والذكر فيثابون من جهتين. وكان الغالب على صاحب الترجمة الاستغراق عن أحوال الدنيا وأهلها لا يكاد يحدثه أحد بشيء منها إلا ويجده مشغولاً عنه لا يصغي إليه إبداً، وكان كثير الشفاعات عند الملوك ومشايخ العرب وكل من خالفه غضب، وكان يقول: كل فقير لا يقتل الله تعالى على يديه بشعر رأسه من الظلمة، فما هو فقير، فقيل له: الصفح من أخلاق الرجال، فقال: الصفح عمن يُرجّى خيره.. وهؤلاء شُداهم ولحمتهم أذى للناس. وكان أخوه الشيخ محمد يقول: أخي عبد القادر عمارة هذه البلاد. ومات ببلاده وقُبر بناحية (برهمتوش) وقبره ظاهر يزار، رحمه الله.

[ابن البركة]

وفيها [٩٢٠]: توفي المولى مصلح الدين مصطفى الشهير بابن البركة[1]، كان من أولاد بعض القضاة، واشتغل بالعلم، وأخذ عن الشيخ الفاضل قاسم الشهير بقاضي زاده ثم صار مُعيد المدرسة، ثم وُلّي تدريس إحدى المدارس الثمان، ثم جعله السلطان بايزيد خان معلماً لابنه أحمد حال إمارته بـ (أماسيه)، ثم أعطاه إحدى الثماني، ثم ولاّه قضاء (أدرنة). وكانت سيرته رضية وقضاياه مرضية. كان جريء الجنان، طلق اللسان، عظيم البيان. ثم عُزل عن القضاء في أوائل سلطنة السلطان سليم وعيّن له يوم مائة وثلاثون درهماً، واستمر في مدرسة (أدرنة) إلى أن مات بها. رحمه الله وإيانا.

[محمد الساميوني]

وفيها [٩٢٠]: توفي المولى محيي الدين: محمد بن المولى حسن الساميوني[2]. أخذ عن والده والشيخ علاء الدين العربي ثم وُلّي مدرسة مدينة (بروسا)، وصار يتنقّل من مدرسة إلى مدرسة إلى أن وُلّي إحدى المدارس الثمان ثم وُلّي قضاء (أدرنة). وكان يحب العلم مشتغلاً به ليلاً ونهاراً معرضاً عن الدنيا

---

(١) في الكواكب السائرة: الشهير بابن البركي ـ (الكواكب ١/ ٣٠٧).

(٢) أورده صاحب «معجم المؤلفين ج ١ ص ١٩٦» بلقب: «الشامسوني ـ كما ذكر وفاته في السنة السابقة: ٩١٩هـ ـ وكذلك فعل ـ ابن العماد في «شذرات الذهب» وذكره بلقب: الشامسوني ـ (شذرات الذهب ٨/ ١٣٣).

وزخارفها، يحب الفقراء ويؤثرهم على نفسه ويختار الجوع والعرى لأجلهم ويحب الصوفية.

وكانت له مجاهدات، وكان مواظباً على الطاعات، وله حواشٍ على حاشية «شرح التجريد» للسيد الشريف وحواشي على «التلويح» لسعد التفتازاني[1]، وحواشٍ على «شرح المفتاح» للسيد الشريف[2] ولم يزل قاضياً بـ (أدرنة) إلى أن توفي بها. رحمه الله وإيانا.

[إبراهيم ابن الخطيب]

وفيها [٩٢٠]: توفي المولى إبراهيم بن إبراهيم الشهير بابن الخطيب[3] أخذ عن جماعة، منهم: أخوه المولى خطيب زاده، وولّي عدة مدارس، وولي إحدى المدارس الثمان. وكان سليم الطبع، حليم النفس، يحب الانعزال، إلا أنه لم يشتغل بالتصنيف لضعف مزاجه. وما زال مدرساً بمدينة (بروسا) إلى أن مات بها. رحمه الله وإيانا.

[علي اليتيم]

وفيها [٩٢٠]: توفي الشيخ الفاضل، العالم العامل، علاء الدين علي الأيديني الملقب باليتيم، وإنما لُقّب بذلك لأنه وقع في زمان السلطان مراد خان وباء عظيم، ومات فيه جميع أقاربه وما سلم إلا صاحب الترجمة وهو صغير وعمةٌ له قريبته، ثم رحل إلى بلده (بيره)، وقرأ «القرآن» وحصّل مبادىء العلوم، ثم ارتحل إلى مدينته (بروسّا)، واشتغل بتحصيل العلوم هناك، ولمّا بنى السلطان محمد خان المدارس الثمان بـ (قسطنطينيه)، كان هو من الطلبة الذين سكنوها ابتداء ولازم قاضي زاده إلى أن وُلّي قضاء (بروسا)، وأراد قاضي زاده أن يرسله للسلطان لتحصل له المناصب العظيمة فأبى واشتغل بالتدريس في (بروسا)، ولم يكن له أهل ولا ولد ولم يرد أحداً، وربما يدرّس في يوم واحد عشرين درساً في حديث وفقه

(١) في أصول الفقه.

(٢) هي حواشٍ على شرح السيد لمفتاح العلوم للسكاكي.

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٣٥، الكواكب السائرة ١/ ١١١) وفيهما لم يتكرر اسم إبراهيم.

وعربية، ولم يقبل وظيفة ولا صدقة إلا الهدية. وكان خطه حسناً وكان يعرف كثيراً من الصنائع، وما فاته صلاة منذ بلغ وجاوز الثمانين ولم يسقط له سن. رحمه الله.

سنة إحدى وعشرين وتسعمائة

[محمد السمنودي]

توفي الشيخ شمس الدين، محمد بن عبد الرحمٰن بن يحيى بن موسى بن محمد العساسي ـ بمهملات ـ السمنودي الشافعي[1]، نزيل الأزهر، أحد العلماء المشهورين والأئمة المعدودين. وُلد ثالث ذي الحجة سنة خمس وأربعين وثمانمائة بـ (سمنود)، ونشأ بها فحفظ «القرآن العظيم» وغالب «منهاج الطالبين»، وأكثر «ألفية النحو» وغيرها من المتون، وأخذ عن خاله جلال الدين السمنودي «المحلي» والعز المناوي، وأكثر الأخذ عنه. ثم قدم (القاهرة)، فلازم الشيخ عبد الحق السنباطي، وانتفع به، وأخذ عن الكمال بن أبي شريف، وقرأ عليه غالب شرحه على «الإرشاد»، وأخذ عن الحافظ السخاوي، وقرأ عليه غالب شرحه على «الإرشاد»، وأخذ عن الحافظ السخاوي، وقرأ عليه «صحيح البخاري» وغيره، وقرأ عليه شرحه على «ألفية الحديث»، وأخذ عن الديمي الحافظ الشهير.

وتولى خطابة الجامع الأزهر وعدة وظائف فيه، وكان لا يأكل من معالم وظائفه المرتبة شيئاً إنما كان ينفقه على العيال، ومرض مرة فلم يحتسب في الحضور فرد معلوم ذلك الشهر حتى أتوه به، وقال: جهدت أن آكل من معلومي فلم يتيسر لي إنما آكل من حيث لا أحتسب. وأجازه غير واحد في الافتاء، والتدريس وأخذ عنه جماعة، وحدّث وسُمع، وانتهت إليه رئاسة الفتيا بمصر، واستمر مدة طويلة ثم رحل إلى المحلة الكبرى، فأقام بجامع سندفا إلى أن توفي، ودفن بمقبرة الشيخ الطريني، وكان لا يفتي في الطلاق ويقول: إنهم يتهونون في مسائل الطلاق غير الواقع فيعملون بفتياي بالباطل. وبرع في عدة علوم، ولكن كان الفقه أشهر علومه، وأكثر علومه وفتاواه مشهورة لكنها غير مجموعة.

(١) انظر: (الضوء اللامع ٨/ ٤٥).

[محمد الدِّيروطي]

وفيها [٩٢١]: توفي، الشيخ شمس الدين، محمد الديروطي[1] الدمياطي، صاحب البرج بدمياط. الشيخ الكبير، العلم الشهير، نشر ثنائه يفوق العنبر، وكان من أهل العناية والاختصاص، يعتقده العوام والخواص. وُلد بـ (دمياط)، ونشأ بها، وحفظ «القرآن العزيز»، واشتغل بطلب العلم الظاهر والباطن، وكان متواضعاً لمشايخه، ولو استفاد من رجل مسئلة واحدةً، عرف له حق المشيخة ولا يرى أنه كفأه عليها. ومر على رجلٍ رث الهيئة أعمى، وكان راكباً فنزل، عن دابته، وقبّل يد ذلك الرجل فسُئل؟ فقال: هذا أقرأني حزباً من القرآن وأنا صغير فلا أقدر أمر عليه وأنا راكب.

وألّف مؤلفات، منها: «شرح المنهاج» للنووي، وشرح «الستين مسألة» للسيد أحمد الزاهد، وكتاب «القاموس» في الفقه، وشرح «الإرشاد» لكنه لم يتم. وكان يعظ بجوامع الأزهر، وإذا تكلم في الوعظ يضج الناس بالبكاء والعويل كأنهم يشاهدون يوم القيامة وأهواله رأي عين، وكانت الأكابر والأمراء والأعيان يحضرونه ويهابونه، ولا يُرى يمشي وحده بل يتبعه الناس، ومن لم يحصّل جسمه يطلب ثوبه فيرميه إليه حتى يمسه ويمسح به وجهه، وإذا تكلم في علم ينصت العلماء له، ويقولون: ما سمعنا بهذا العلم قط، ويعترفون بفضله.

وكان زاهداً في الدنيا وما في أيدي الناس، لا يقبل من أحد شيئاً، وكان بعد الثلاثة الأشهر مرابطاً في سبيل الله تعالى بـ (ثغر دمياط) ليلاً ونهاراً، وسلاحه حاضر لديه على الدوام. وكان شجاعاً مقداماً في أمور المسلمين وتدبير مصالحهم، قوالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وكان سيدي الشيخ محمد بن عنان يحبه جداً، ويقيم عنده في البرج بـ (دمياط) الشهر وأكثر، وقَدِم (مصر) مرة فلم يجد مكاناً يسكنه إلا قاعة مهجورة معمورة بالجن، لا يمكن أحد أن يبيت بها. فلما صلّى بالجامع دخلها وقصد بيت الخلاء، فقال له شخص: أجِمْ، فقال: لا أجِمْ ولا غيره، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فلم يوجد بعد ذلك شيء.

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٨/ ٢٦٠، ومنه: هدية العارفين ٢/ ٢٢٧، إيضاح المكنون ٢/ ٢٠٥).

وعظ يوماً على السلطان الغوري في مجلس وعظه في تركه للجهاد، فأرسل إليه مُحْضِراً فجاء إليه، وسلّم عليه فلم يرد السلطان السلام عليه، فقال له: إن لم ترد فُسِقت وعُزِلت فقال: وعليكم السلام، ثم قال له: ما حملكَ على أن تذكرني بالنقائص بين العوام؟ فقال: حملني على ذلك نصرة الدين، فقال: ما عندنا مراكب معدة لذلك، فقال عمر لك مراكب أو أستأجر.. وأغلظَ عليه القول، فاصفرّ لون السلطان، وأمر له بعشرة آلاف دينار، فلم يقبلها، وقال: أنا رجل تاجر لا أحتاج إلى مالك، فقال: عمِّر بها في البرج فقال: لا أحتاج إلى أحد يساعدني فيه، ولكن إن كنت أنت محتاجاً لشيء تصرفه على الجهاد، أنا أقرضك وأصبر عليك، ثم طال بينهما الكلام فقال الشيخ للسلطان: أما تؤدي شكر بعض ما أنعم الله عليك، فقال: في ماذا؟ فقال: كنت كافراً فمنّ عليك بالإسلام، وكنت رقيقاً، فمنّ عليك بالعتق، ثم جعلك أميراً، ثم سلطاناً ثم عن قريب يميتك، ويجعلون أنفك في التراب، ثم يحاسبك الله تعالى على النقير والقطمير، ويُنادىٰ عليك يوم القيامة من له حق على الغوري فيا طول تعبك هناك. فبكى السلطان، وقال: لا تقطعنا، فقال لولا أن الله تعالى أمرنا بطاعتك.. ما طلعت لك.

وكان يتاجر في طبخ الأشربة والخيار شنبر، ولا يأكل من الصدقات، ويقول أنها تُسوِّد قلب الفقير. وله كرامات كثيرة: (منها): أنه كان يختفي إذا شاء في بيته أو غيره، فيكون يتحدث مع الناس فلا يجدونه، ثم يكونون وحدهم فيجدونه بينهم.

وحكى ولده السري عن جدته أم الشيخ أنها كانت كثيراً ما تصنع له طعاماً، تضعه في المحل الذي يجلس فيه فيأكله وهي لا تراه وإنما تسمع كلامه فقط.

وخرج عليه لصوص وهم في المراكب، فخاف أهل مركبه، فقال: لا تخافوا ثم أشار إليهم فوقف مركبهم عن المشي حتى بَعُد أصحاب الشيخ، ثم أشار إلى مركبهم.. فسار، ثم جاء اللصوص إلى الشيخ وتابوا من ذلك، وصاروا من أصحابه.

(١) ذكر له صاحب «معجم المؤلفين» ـ غير ذلك: قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنى المشهورة بالدمياطية، وكتاب «الفوائد الجلية في حل ألفاظ الأندلسية».

وأخبر زوجته أن ولدها حمزة يُقتل شهيداً بمدفع يطيِّر رأسه، فكان كما قال؛ أتاه مدفع من الإفرنج وهو في طاقة البيت مرابطاً، فطار رأسه.

ولمّا مرض أخبر والدته أنه يموت في تلك المرضة، فقالت له: من أين عرفت ذلك يا ولدي؟ فقال لها: أخبرني بذلك الخضر عليه السلام، فكان الأمر كما أخبر.

وأخبرت والدته أنها لما حملت به رأت النبي ﷺ، وأعطاها كتاباً فأولته بولد يولد لها، ورأت ولدها بعد موته، فقالت له: كيف حالك مع منكر ونكير؟ فقال: كلمونا بكلام مليح وأجبناهم بلسان فصيح.

ومات وله من العمر نيف وخمسون سنة، ودفن بزاويته بـ (دميط). رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[جمال الدين الزيلعي]

وفيها [٩٢١]: في يوم الجمعة منتصف شعبان، توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد المقبول ـ المشهور بصاحب القصب ـ بن الفقيه أحمد بن موسى بن أبكر صاحب الحال الزيلعي[1]. أحد الأولياء المشهورين والصلحاء المذكورين. له كرامات ظاهرة، ومكاشفات باهرة، وحصل له جذب رباني، فكان يخبر بالمغيبات ويخبر بما هو آت، وبما وقع في البلاد البعيدة. وكان مُعتقداً عند الخاص والعام وإذا طُلب منه أحد الدعاء بشيء حصل له ذلك بالتمام. وكان انتقاله باللُّحيّة وقُبر إلى جنب جده، وجُعل على قبره قبة. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[حسن بن إبريق المصري]

وفيها [٩٢١]: توفي الشيخ الصالح حسن بن إبريق المصري. وكان من الأولياء الصالحين والأكابر المشهورين، له كرامات خارقة، ومكاشفات صادقة وكان يملأ على البئر التي في حارة الحمصانيين خارج باب الفتوح. وكان سيدي علي الخوّاص، وسيدي محمود بن عنان وغيرهما من مشايخ عصره، يقصدونه بالزيارة

(١) عن نَسَبه ونسب جده انظر: (نشر الثناء الحسن ٣/ ٥٦) للعلامة إسماعيل الوشلي، المطبوع بتحقيقنا.

ويسألونه الدعاء، وكان كبير السن، على رأسه قلنسوة ملبدة، وعيناه حمر كالدم الأحمر، وكان سيدي علي الخوّاص يقول: إن الله تعالى، أعطى الشيخ حسن هذا معرفة أنساب الحيوان كلها، فكان يعرف آباء كل الحيوانات وأمهاتها. وكان مجاب الدعاء، فكل من دعى له بشيء ناله؛ وكان إذا وقع الدلو في البئر التي كان يملأ عليها يشير إلى الماء.. فيرتفع إلى الخرزة فيأخذ الدلو بيده، ويرجع الماء إلى محله؛ رضي الله عنه ونفعنا به.

[ابن العنبر]

وفيها [٩٢١]: توفي محمد بن محمد الخواجا سراج الدين العاتكي الشهير بابن العنبر. كان يحب أهل العلم والحديث، وعنده عدة كتب في الفقه للمطالعة وكان يلازم درس الشريف طولون وغيره. توفي في ربيع أول، وهو والد الخواجا عبد القادر بن العنبر.

[محمد الحصني الدمشقي]

وفيها [٩٢١]: توفي محمد بن محمد الشيخ العلامة شمس الدين بن الشيخ محب الدين الحسني الحصني الدمشقي الشافعي. توفي بدمشق يوم الأربعاء ثامن عشري شوال. رحمه الله.

سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة

[محمد ابن عِنان]

في شهر ربيع أول، توفي الإمام عَلَم العلماء الأعلام، العالم الهمام، العارف بالله تعالى، سيدي عظيم الشأن، محمد بن الحسن الشهير بابن عنان المصري[1]. إمام أهل الزمان ومجتهد الوقت والأوان، المتقدم في جامع الإيمان والمعارف الذي أشرقت بضوء شمسه الأكوان، عالي الرّتبة لا يقاس به غيره ولا شبهة، حفظ «القرآن» وهو كبير؛ قرأ النصف الأول على الشيخ ناصر الدين الأحطائي، والثاني على أخيه عبد القادر، واشتغل بتحصيل العلم الظاهر والباطن، وصحب أكابر

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٥٦، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة ١/ ٣٩).

العارفين والعلماء الوارثين لعلوم الأولين والآخرين، وتفقه بالشرف يحيى المناوي وهو ممن أخذ عنه التصوف. وجدّ وسلك طريق الهداية، وعني بالتصوف أتم عناية، وأمده الله بالإعانة، حتّىٰ صار إمام المرشدين، وأوحد علماء الدين.

وكان مواظباً علىٰ العبادات، فرادىٰ وجماعة، حريصاً علىٰ سلوك طريق أهل السنة والجماعة، ملازماً للقُرْبَة والعبادة والطاعة، لا يعرف من أوقاته ساعة في غير طاعة، محافظاً لأزمنته مقبلاً علىٰ شأنه، وكان إذا صلىٰ العصر لا يُكلّم أحداً حتّىٰ يُصلّي الوتر، وإذا قام للتهجد لا يتجرأ أحد أن يكلمه حتّىٰ يصلي الصبح وتطلع الشمس. قال سيدي علي الخوّاص: ما عرفت مقام سيدي محمد بن عنان إلا من سيدي الشيخ إبراهيم المتبولي[1]، كان قال: وعزة ربي ليحملن حملتي من بعدي سبعون رجلاً، ويعجزون عنها، فقيل له: ولمن تكون خدمة الحجرة النبوية من بعدك؟ قال لمحمد بن عنان، فقيل في أي البلاد؟ فقال: شاب يظهر من بلاد الشرقية، قال سيدي علي فلم أزل أسأل عنه حتّىٰ عرفته.

وكان يقول منذ دخلت طريق الفقراء لا أقدر أجلس علىٰ حدث قط بل وضوئي دائم ليلاً ونهاراً، قال: ولقد أصابتني جنابة في ليلة باردة، وكان علىٰ باب دارنا بركة جَمُد ظاهرها من البرد، فنزلت فيها، واغتسلت ووجدتها من شدة الهمّة كأنها مسخنة بالنار.

وكان إذا أحدث وأبطأ عليه ماء الوضوء ضرب بيده الحائط، وتيمم حتّىٰ يجد الماء ولا يجلس علىٰ حدث، ويقول: من ادّعىٰ مجالسة الله وهو علىٰ حدث فهو قليل الأدب.

وكان يستدل علىٰ هذا التيمم بأنه ﷺ سلّمْ عليه شخص، فضرب بيده علىٰ الأرض، ثم قال: وعليكم السلام، فقيل له في ذلك، فقال: السلام اسم من أسماء الله تعالىٰ، فكرهت أن أذكره وأنا محدث.

وكان يكره للفقيه أن يشتغل عرياناً ولو في خلوة، ويقول: ما بنيت الطريقة إلا علىٰ الأدب مع الله تعالىٰ، ورأى أبا العباس الحريثي يغتسل بمئزر في وسطه،

(١) صوفي. له كتاب «الوصية المتبولية». كانت وفاته سنة ٨٨٠هـ.

فأمر بالغسل في قميص خلف، وقال: بدن الفقير كله عورة.

وكان إذا نزل في مكان كأن الشمس حلّت ذلك المكان، وإذا أقام بـ (مصر) لا يكاد يُصلي الجمعة مرتين في جامع واحد بل كل جمعة في جامع، ويحب الإقامة في أسطحة المساجد، أقام في بدء أمره فوق سطوح جامع عمر ثلاث سنين، وجامع طولون سنة، لا ينزل إلا لصلاة الجماعة أو درس الشيخ يحيى المناوي. وسخّر الله تعالىٰ له الدنيا مدة إقامته بجامع عمرو في صورة عجوز، فكانت تأتيه بإناء فيه طعام وله غطاء، قال: وما خاطبتها ولا خاطبتني، ولكني كنت أعرف أنها الدنيا، وكان لا يصغي قط للشيء من اللغو وأخبار الناس، ولا يبالي بمن تولّى ولا من عزل، ويقول: كل نفس مقوم علىٰ سُنّه.

وإذا دعاه أحد إلىٰ طعامه وعرف أن فيه شبهة تجنبه، ويأخذ معه رغيفاً، يأكل منه علىٰ السماط، وكان يقول: ليس للفقير في هذه الدار رأس مال إلاّ قلبه؛ فكل من دخل علىٰ قلبه ما يكدره فما عليه من دينه، فقيل ما الذي يكدر الفقير؟ فقال: يكون في زاوية فيأتي شخص ينازعه فمن الأدب تركها له، وكذلك الرزق والبيت ونحوها.

ولما بلغ خبره الشيخ كمال الدين - إمام الكاملية - قصد زيارته، فأخذ عليه العهد وسافر به إلىٰ (المحلة)، فآخىٰ بينه وبين الشيخ أبي العباس الغمري وأعجب به عجباً شديداً. وكان يتكدر ممن يصحبه بشيء ولو من زرعه أو ليفرّقه علىٰ الفقراء، وأتاه ولد أخيه عبد الدائم يوماً بصُرّة فيها أربعون ديناراً بعد صلاة الصبح فزجره، وقال: تصحبنا بآلة، وكان المشايخ إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال بين يدي مربيهم.

وكان كثير القيام والتهجد بالليل، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: فكنا نراه ونحن شباب يقوم يتهجد في ليالي الشتاء الباردة فوق السطوح إلىٰ أن يصلي الصبح، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يده من شدة البرد، وكنا نحفظ ألواحنا في العلم ونقرأ ماضينا ونكتب وننام، ثم نقوم فنجده يُصلي، قال: وما رأينا في عصره مثله، وما كنت أمثله إلا بطاوس اليماني، ووالله أنه ليقع لي في الليلة الباردة أو الليلة القصيرة في الصيف، أني أكسل عن قيام الليل، فأنظر بعيني أهل عصري فلا

أجد حال أحد منهم ينشطني إلا حال الشيخ محمد فإني أقدّر في نفسي، لو كان الشيخ محمد في مثل هذا الوقت هل كان يعود إلىٰ النوم فلا أجده يرجع، فأنشط لوقتي. ومما وقع لي معه أنني أردت ليلةً مد رجلي للنوم فوجدت في كل ناحية قبر ولي من أولياء الله، فمددتها نحو باب البحر فرأيت قبر سيدي محمد، فضممت رجلي فمد يده وسحب رجلي نحوه، فاستيقظت ونعومة يده في رجلي.

وما نام رضي الله عنه علىٰ طرّاحة قط، ويقول: كل فقير ينام علىٰ طراحة لا يجيء منه شيء في الطريق، فقيل له: ما دليلكم في ذلك؟، فقال: ما رواه الترمذي عن أنس، قال: ثنّى بعض أزواج النبي ﷺ له عباءة كان ينام عليها أربع ثنيات، وقالت: هذا أوطأ لك يا رسول الله، فنام ﷺ تلك الليلة عن غالب وِرْده فقال: ردوها إلىٰ حالها الأول، فإن لينها منعني عن قيام ليلي.

وكان يقول: تهيؤ الفقير لقيام الليل مُتعيّن عليه ولا ينام علىٰ الطرّاحة إلا من عزم علىٰ النوم عن المواكب الإلهية. وكان سيدي محمد بن أبي الحمائل شيخ الشمس الشناوي يقول: ما رأت عيني أعبد من ابن عنان.

وقال الشيخ عبد القادر الدشطوطي: أن الشيخ محمد بن عنان يعرف طبقات السمٰوات وأزقتها وملائكتها، ولمّا زار الشيخ محمد الشيخ فرج، قال له أول مرة: مرحباً بالجنيد، والثانية قال: مرحباً بالأمير، والثالثة: مرحباً بالسلطان، والرابعة قال: مرحباً براعي الصهب، فكانت هذه آخر التحية، والشيخ فرج هذا بدوي أسود كان في دائرة من شوك في بريّة عنده الحيوانات التي بينها عداوة كالبِس والحمام والثعالب والدجاج والفأر والحيّات، فإذا جاءه ضيف قال: مرحباً بضيف الله ويأخذ ملء يديه حب شعيراً وحنطة فيطحنه، ثم يبلّه بماء ويحركه علىٰ النار، فإذا استوىٰ قدمه للضيف فمنهم من يأكل ومنهم من تنفر نفسه فيقول له: رح ما حصل لك شيء، وإذا جاء له أحد في حاجة، قال للثعابين: يا ملوك الله اقضوا حاجته، فتُقضى.

وكان يلتقط الساقط من الحب في الطرق، ولا يقدر أحد يقرب منه خوف من الحيّات! ولما زاره قايتباي قال له: ادع لي، فقال له: إيش تطلب؟ قال: عفو الله، قال: قد عفا الله عنك.

وكان صاحب الترجمة يزور الفقراء الصادقين، ويكره الفقراء المُستلقين علىٰ الطريق بالشعر والعذبة ولبس الصوف مع نومهم الليل، وإذا زار أحداً عكف الناس عليه، ويقولون: لولا أنه من الصادقين ما زاره الشيخ.

وكان يكره للفقير حب الشهوة وتعاطي أسبابها، وحضرت الصلاة وهو بقرب الأزهر، فلم يدخله، وقال: هذا مجمع للناس، وصلّىٰ في مسجد خارجه. وكان إذا سأله أحد عن شيء من أحكام الطريق يزجره، ويقول: تَلمْذْ للأشياخ، واقتدِ بهم يُطْلِعونك علىٰ الطريق ذوقاً، فإن الطريق ما هي كلام. وكان لا يُلقِّن أحداً الذكر إذا سأله ويقول: مَن لَقّن من لا يصلح للطريق كالمستهزىء بها. ودخل عليه أحمد النجدي علىٰ غفلة، وقال: سألتك بالله تعالىٰ أن تلقنني الذكر، فتغيّر وجهه، وقال: ما حملك علىٰ هذا لا تعد لمثله؟ ولقنه ولقن أيضاً جماعة قليلين. وقال له بعضهم: كم عدد الخواطر؟ فزجره وقال: ما كنا نظن أننا نعيش إلىٰ زمان يصير طريق الله تعالىٰ فيه كلام من غير عمل.

وكان يراعي ودّ أخيه حياً وميتاً، ودُعي إلىٰ وليمة، فسأل عمن دُعي فيها من الفقراء، فقال: سيدي علي المرصفي، فاعتذر وقال: كان بينه وبين أخي الشيخ نور الدين الحسني وقفة وصحبة متقدمة فأحببت الوفاء بحق أخي؛ وإلا أنا بحمد الله لا أكره أحداً إلا لغرض شرعي.

وكان يكره أن يتبعه أحد إذا ذهب مكاناً، وإذا ذهب لحاجة أخذ معه خبزاً وسعتراً وإبريقاً، ويقول من شرط الفقير خفة مؤنته. وكان يزور القرافة كل يوم جمعة ويختم زيارته بالشافعي رضي الله عنه، ويقول: الأدب مع الإمام.. ألاّ نزور أحداً بعده.

وكراماته رضي الله عنه كثيرة:

منها: أن طائفة من الفقراء وردوا عليه علىٰ غفلة وكانوا نحو خمسمائة، فغطّىٰ إناء العجين، وكان نصف ويبة، وقال لأمه اُرْصي منه ولا تكشفيه، فَخُبزت منه ما يكفيهم ثم كشفته فلم تجد فيه شيئاً.

ومنها: أن شخصاً كان مزمناً في جامع إسكندرية، وكان إذا غضب علىٰ أحدٍ قال للقمل: رُحْ إليه، فيمتلىء قملاً ويعجز عن تنقيته. ولا يكاد ينام، فمضىٰ إليه

صاحب الترجمة. وقال له: ما رأيت؟ ألا تحمل شيخ القمل، فأخذه بيده ورماه في الهواء فما يعرف أحد خبره.

ومنها: أنه كان في سفر مع أبي العباس الغمري، فاشتد الحر وعطش أبو العباس، فلم يجد ماء، فأخذ سيدي محمد طاسة. وغرف بها ماءً بارداً من الأرض الناشفة وقدمه لأبي العباس، فلم يشرب، وقال: يا شيخ محمد الظهور في هذه الأيام يقطع الظهور، فقال سيدي محمد: وعزّة الله لولا خوف الظهور لسألت الله تعالىٰ أن يجعلها بركة تشرب منها البهائم إلىٰ يوم القيامة.

ومنها: أن بعض أركان الدولة أرسل له ثمان جرار عسل لمطبخ الوقف فانصبت كلها علىٰ الأرض، وضاق الوقت عن شراء العسل من السوق، فخرج الشيخ محمد إلىٰ الخليج، وملأ الجرار كلها من الخليج، فوجدوها قطراً فطبخوا بها، وقال الشيخ: الحمد لله الذي حمانا من عسل الولاة.

ومنها: أنه ركب في مركب وكان فيه شخص أكول جداً فأخبر الشيخ فناداه وأطعمه رغيفاً صغيراً ألقمه له في فمه، فلم يزل ذلك أكله حتىٰ مات لا يأكل أكثر من رغيف.

ومنها: أن شخصاً كان يصيح في قبره كل ليلة، فأعلَمُوا الشيخ فمشىٰ إلىٰ قبره، وقرأ عليه سورة ﴿تبارك﴾ ودعا له، فمن تلك الليلة لم يسمع له صياح.

ومنها: أن الشريف بركات ابن محمد ـ سلطان الحجاز ـ جاءه، وقال له: أنا في جوارك من الغوري فإني عازم علىٰ الهروب والنوق تنتظرني في تربة العادل، وأخاف أن تلحقني جماعة الغوري، فقال الشيخ: يا شريف ما أحد منهم يلحقك، ثم دخل الشيخ الخلوة والشريف ينتظره، فما طال قال: انظروا إلىٰ الشيخ، ففتحوا الخلوة، فلم يجدوه ومكثوا قليلاً فخرج الشيخ من الخلوة وعيناه كالجمر، وقال: سافر الشريف الآن، فما علم به الغوري إلا بعد ثلاث. وكان علىٰ نوق عشاريات، فأرسل خلفه، فلم يظفروا به.

ودخل عليه ولد بنته أبي اللطف السنباطي، وهو صغير فوجد الشيخ جالساً، ورأسه في طوقه فحرّكه فلم يجد في ثيابه أحداً، وأخبر بذلك جده أمين الدين، فقال له: لا تعد إلىٰ مثل ذلك.

ومنها: أن شمس الدين اللقاني كان عنده وسواس عظيم فشكىٰ ذلك للشيخ محمد فقال: يقولون أن الملائكة ليس عندهم وسواس، فبمجرد قوله ذلك ذهب عنه الوسواس.

ومنها: أنه إذا دخل علىٰ مريض من أخوانه النافعين للناس، يتحمل عنه المرض، ويضطجع فيقوم ذلك المريض في الحال كأن لم يكن به مرض، فعل ذلك مع سيدي أبي العباس الغمري. ومرض سيدي محمد نحو أربعين يوماً، ولعلها المدة التي بقيت من مرض أخيه أبي العباس وكذا مع الشيخ علي البلبلي فتحمّل عنه. وقام البلبلي في الحال. وحمل مرة حملة مريض، فقام المريض، وحمل الشيخ علىٰ حماره إلىٰ الجامع الغمري فمكث مدة وهو مريض.

ومنها: أن شخصاً خطب زوجته بعد موته، فأجابته فبينما هو نائم تجاه قبره إذ خرج له من القبر وطعنه فاتنبه. وقال: احملوني، فمات في الطريق.

ومناقبه كثيرة، وأحواله شهيرة، ولمّا حضرته الوفاة فوق سطح جامع باب البحر مات نصفه الأسفل أولاً فصلّىٰ وهو جالس بالإيماء، فلما فرغ من الصلاة أشار أن أضجعوني فأضجعوه والسبحة بيده، حتىٰ كانت آخر حركة يده وشفتيه طلوع روحه، وذلك بحضرة جماعةٍ، منهم: الشيخ حسن الحديدي، والشيخ أمين الدين والشيخ أبي الحسن الغمري، والشيخ عبد الوهاب الشعراوي، ودخل عليه (طُومان باي) الذي تولّىٰ السلطنة بعد الغوري[1]، فصار يُقبّل أقدام الشيخ ويُمرّغ خده علىٰ بطونها، ويقول: طالما وقفتم بين يدي الله تعالىٰ في الظلام. وجرّده من ثيابه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي وحسن الحديدي، وعمره مائة وعشرون سنة، ودفن خلف محراب جامع المقسم، وبنىٰ عليه ولده الشيخ أبو الصفا قُبةً عظيمة وزاوية فيها فقراء مجاورون. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[محمد ابن رمضان]

وفيها [٩٢٢]: في تاسع ربيع آخر، توفي الشيخ، محمد بن رمضان[2] الإمام

---

(١) طومان باي: هو الملك الأشرف، آخر المماليك في مصر خلفاً لقانصوه الغوري.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٥٧، الكواكب السائرة ١/٤٩).

العلاّمة شمس الدين الدمشقي. مفتي الحنفيّة بدمشق، ثم انعزل عن الناس وتنصّل عن حرفة الفقهاء على يد الشيخ علي بن ميمون حين قَدِمَ (دمشق) سنة ثلاث عشرة وتسعمائة، قال الشيخ محمد بن عِراق في «السفينة العراقيّة»: أنه تجرّد عند الشيخ علي في قدمته الأخيرة إلى (دمشق) في السنة المذكورة، وتجرّد معه عنده جماعة، قال: فمن أصلحهم عشرة: سيّدي الشيخ عبد النبي مُفتي السادة المالكية، وسيدي محمد ابن رمضان مُفتي الحنفية، وسيّدي أحمد ابن سلطان كذلك، وسيّدي عبد الرحمٰن الحموي مُفتي الشافعيّة، وسيّدي إسماعيل الفَتاني خطيب جامع الحنابلة، وأبو عبد الرحمٰن قيّم الجامع، وسيّدي عيسى القباقبي المصري، وسيدي أحمد بن الشيخ حسن، وجاره حسن الصوّاف، والشيخ داود العجمي، قال: وكان هؤلاء المذكورون، إذا شكوا خواطرهم لسيدي الشيخ يتلوّن ويسترجع وينظر [إليّ] في غالب [الأوقات][١] ويقول لي وهم يستمعون: سر بنا يا ولدي عن هؤلاء الكذّابين، فيا ليت شعري إذا كان مثل هؤلاء يمدحهم سيدي من الكذابين، فمن يكون صادقاً، فاعتبروا يا أُولي الأبصار، قال: وإني ما وجدت بعدهم من أصحابه إلا القليل، بل أقل من القليل. انتهى.

قال الشيخ نجم الدين الغَزّي في «الكواكب السائرة»[٢]: وتسمية سيدي علي هؤلاء كذّابين لا يطعن في صلاحهم لأن ذلك على عادة شيوخ الصوفيّة في تربية مريديهم.. لا يثبتون لهم حالاً ولا مقاماً، ولا يخفى ما في كلام سيّدي محمد ابن عِراق من الثناء عليهم.

[بهاء الدين المجذوب]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ محمد بهاء الدين المجذوب المصري القادري. كان من أكابر العارفين والعلماء العاملين، حفظ «القرآن» وأكثر «البهجة» لابن الوردي وغير ذلك، وحصّل طرفاً صالحاً من سائر العلوم، وكان خطيباً بجامع ميدان القمح بـ (مصر) فحضر يوم الجمعة عقد تزويج. فسمع قائلاً يقول: هاتوا

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: الكواكب السائرة.

(٢) ج١ ص ٥٠ ـ المطبعة الأميركية ـ بيروت ـ سنة ١٩٤٥م حققه وضبط نصّه جبرائيل سليمان جبّور.

النار جاء الشهود فصاح وخرج هارباً، واستمر ثلاثة أيام في الجبل (المُقطَّم) وما حوله لا يذوق شيئاً، ثم زاد الحال عليه فمكث خمس سنين لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وكان يقرأ أبياتاً من «البهجة» لكونه جُذب وهو مشغول بها وكل شيء جذب عليه الشخص لا يزال يذكره؛ فكان الشيخ فرج المجذوب يقول: عندك إقطاع تبيعه عندك رز تبيعه بشرط أن يكون فيه ضيافة من دجاج، وأوز، وغنم، لكونه جذب وهو مشغول بذلك، والقاضي عبد الكافي يقول: لا حقاً ولا استحقاقاً ولا دعوىً.. لكونه جذب وهو قاضي، وابن البجائي لا يزال يقول: النكرة كل أمر شائع إلى آخره، لكونه جذب وهو يقرأ النحو، وآلاف السنين عند المجاذيب كلمحة في حضرة الله تعالى، لا يدرون بمضي الزمان.

ومن كرامات صاحب الترجمة أنه لما جذب لما يتجرأ أحد من القضاة أن يفسخ نكاح امرأته إلا واحد فسخ نكاحها وعقد عليها، فلما دخل عليها الزوج ماتا معاً لوقتهما، وعُزل القاضي، وحولت عنه النعمة التي كان عليها.

ومنها: أنه حضر وليمة، فأخذ جرة وضرب بها السقف، فقال بعض الحاضرين: كَسَر الجرّة، فقال صاحب الترجمة: تكذب، فنزلت الجرة صحيحة. ثم اجتمع به بعد سبع عشرة سنة، فقال له: أهلاً بشاهد الزور الذي شهد بغير علم، وكان إذا قال لأمير عزلنا وعزل في يومه أو قال لأحد: ولَّيناك كذا تولاه قريباً. ومكاشفاته مع الأكابر لا تحصى، وكراماته لا تستقصى. ومات بمصر ودفن بزاويته قريباً من باب الشعرية. رحمه الله ونفعنا به.

[تاج الدين الذاكر]

وفيها [٩٢٢]: توفي، الإمام العالم الهمام، قدوة الأنام، العارف بالله تعالى، الشيخ تاج الدين الذاكر[١]. إمام حَسُن تاجه، ورُفّع له من التصوف رتاجه، وأنار بدر درّ كلامه، وتبرج زهر نياره ونظامه. كان صوفياً مجيداً وواعظاً مفيداً عليه مهابة وخفر وجمال يَبْهَر، بحيث كان وجهه كأنه القمر. كان من العلماء الكاملين

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٥٠، الكواكب السائرة ١/ ٢٥٨. وأورده بلقب: عبد الوهاب المصري).

والأولياء العارفين، وكان زاهداً قانعاً، ويقول: ليس القناعة أن يرضى الإنسان بما وجد من الأكل واللباس، إنما القناعة أن يجد الأكل ولا يأكل إلا أكلة ثلاثة أيام أكثرها تسع لقيمات. وجلس خمساً وعشرين سنة لا ينام على طرّاحة إنما ينام على حصير. وانتفع به خلائق لا يحصون، وتخرّج به جماعة كثيرون، وكان تلامذته في غاية الجمال والكمال، وكان هو ذا سَمْت حَسَن وشيم محمدية، تكاد كل جارحة منه تنطق وتقول: صاحبي ولي الله عز وجل، وكان وجهه كالشمس والقمر من النور الذي يسطع من قلبه على وجهه من نور الأعمال المرضية، وكان يفرش زاويته باللبابيد السود، لئلا يسمع الفقراء الذين في الخلوة وَقْع أقدام الفقراء إذا مشوا، وكان يقول: حضرة الفقراء حضرة الحق لعلوق قلوبهم بحضرته، ولا ينبغي أن يكون في حضرة الحق علو صوت، ولا حركة قوية. وكان دائم الطهارة، ولا يتوضأ عن حدث إلا بعد سبعة أيام، وسائر طهارته تجديد، قال الشعراوي: وهذا أمر ما ظهر عن أحد من مشايخنا إلا أن يكون الجارحي فإنه بلغنا أنه كان يمكث رمضان بوضوء واحد. انتهى.

وصار صاحب الترجمة في آخر عمره، لا يتوضأ في كل اثني عشر يوماً إلا مرة واحدة حتى أن جماعة تنازعوا في ذلك، فأرادوا اختباره، فعزموا عليه في أيام الربيع في الجيزة، وصاروا يقدمون له الأكل الطيب. ويأكل معهم، فعلم بعد سبعة فقام راجعاً إلى (مصر) ودعا عليهم، فانقلب بهم الزورق، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: ما ثم غرق إنما هو تأديب، فكان كما قال، ثم قال: ما وقع لي قبل ذلك، ولكن لا بد من المؤاخذة، فمرض بسبب ذلك نحو خمسين يوماً.

وقال لبعض خواصه في مرض موته: أخبركم بشيء من أحوالي على سبيل التحدث بالنعمة، ولعل واحداً يقتدي بي في ذلك.. للفقير أربعون سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وقد طُويت سجادتي بعدي ولكن يحيى ابن أختي، والشيخ أحمد الوفائي، وإبراهيم وعبد القادر وعبد الباسط الطلحاوي وفلان - وفلان وعيّن عشرة أنفس - إذا حضر واحد مجلس الذِكر؛ فلهم أن يستفتحوا الذِكر؛ وإن اجتمع هؤلاء كان ابن أختي مقدماً عليهم بشرط أن لا يغير عمامته؛ وكانت كعمامة الجُند، وقيل له: من يعلمك في الطريق؟ فقال: يا أولادي الطريق تَعرف أهلها ولو

هربوا منها تبحثهم، وغير أهلها إذا تبعوها فرّت منهم. وكان يقول: لا يصلح لأحد الاتحاد بشيخه إلا أن جرى في جسم شيخه كجريان الدم في العروق.

ومناقبه كثيرة، وأحواله شهيرة، ومات بـ (مصر) ودفن بزاويته قريباً من حمام الدود.

ومن كراماته أن السلطان الغوري لمّا خرج لقتال ابن عثمان؛ وكان قد طلب من الشيخ ومن جميع أشياخ البلد أن يخرجوا معه، فأبوا فتوعدهم بالقتل؛ فقال الشيخ تاج الدين: ما بيننا وبينه اجتماع.. هو لا يرجع ونحن نموت، فكان الأمر كما قال. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[نصر المجذوب]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ نصر المجذوب المصري[١]، كان من الملامتيه يمشي في سراويل جلد وطرطور جلد، وكان زفر اللسان يسب السلطان فمن دونه، ويشتم من كلمه، يستر حاله ويتظاهر بالخطا في الكشف عمداً حتى لا يُعتقد، ويحلق لحيته، ومن أنكر عليه عُطِب، وكان يركب الفيل أيام الغوري؛ وله كرامات كثيرة. رحمه الله ونفعنا به.

[العز بن النجم بن فهد]

وفيها [٩٢٢]: توفي شيخ المحدثين ببلد الله الأمين، أبو الخير[٢]، محمد عز الدين، عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن جعفر بن محمد الشهير بابن الحنفية، ابن الإمام علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المكي الشافعي[٣]. أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين. وُلد

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/٣١١).

(٢) ترجم له الأستاذ محمد الحبيب الهيلة في كتابه «التاريخ والمؤرخون بمكة» ص ١٧٠، (وهو كتاب صادر عن مؤسسة الفرقان - مكة) - وذكر فيه مصادر ترجمته.

(٣) عنوان كتابه «بلوغ القِرى، في ذيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى». قال الأستاذ محمد الحبيب الهيلة: يُعتبر هذا الكتاب أهم الآثار التاريخية لهذا المؤلف. إذ هو يؤرخ للبلد =

بمكة ونشأ بها وأخذ عن والده وعمه وغيرهما، وبرع في علم الحديث والتاريخ والعربية، وأجيز بالتدريس والإفتاء فدرّس وأفتى، وانتفع به جماعة كثيرون.

وله مؤلفات كثيرة في الحديث والتواريخ، وله تاريخ مكة من أحسن تواريخها، وتمم المشيخة التي عملها والده للسيد السمهودي، وانتهت إليه الرئاسة في زمانه، وكان عارفاً بالعربية والفقه والنحو والحديث، حافظاً للتواريخ واللغة، كثير الاشتغال بها مشاركاً في جميع الفنون، وكتبه جملة كتب وصنف الكثير في أكثر الفنون وبعد صيته، وأخذ عنه أهل زمانه طبقة بعد أخرى، واستمر على النفع العام إلى أن وافاه الحِمَام رحمه الله وإيانا.

[عبد الرحمن الأماسي]

وفيها [٩٢٢]: في ليلة الجمعة منتصف شعبان، توفي المولى: عبد الرحمٰن بن علي بن مؤيد الاماسي[1]. أحد العلماء المشهورين بالديار الرومية. وُلد ببلده (أماسية) في صفر سنة ست وثمانمائة، ونشأ على تحصيل الفضل والكمال وصالح الأعمال، وصحب السلطان بايزيد خان - لمّا كان أميراً على أماسية - ووشىٰ به بعض المفسرين إلى السلطان محمد خان، فأمر بقتله. فلما علم بايزيد خان بذلك جهزه ليلاً إلى (حلب) وكانت في يد الجراكسة، وقرأ بها مدة على علمائها، ثم رحل إلى العلامة جلال الدين الدواني في (شيراز)، وأخذ عنه عدة علوم وأقام عنده سبع سنين، وكتب له إجازة، ولما وُلّي السلطنة بايزيد خان، رجع إلى بلده (أماسية) سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، ثم وُلّي مدرسة «قلندر خان» بقسطنطينية، وأعطاه السلطان إحدى المدارس الثمان، ثم أعطاه قضاء مدينة

= الحرام بداية من شهر رمضان سنة ٨٨٥هـ، وهو شهر وفاة والده النجم بن فهد. ونهاية كتابه إتحاف الورى، إلى شهر ربيع الثاني من سنة ٩٢٢هـ، قبل وفاة مؤلفه العز بن فهد بأيام حيث توفي رحمه الله بتاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ. أمّا أماكن تواجد الكتاب، فقد ذكر الهيلة (التاريخ والمؤرخين بمكة ص ١٧٤) أن منه نسختان في مكتبة الحرم المكي.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٤٩، الكواكب السائرة ١/ ٢٣٢، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٧٦، الفوائد البهية ص ٨٩، الطبقات السنية ٤/ ٢٩٢، الأعلام ٣/ ٣١٨).

(أدرنة)، ثم ولاّه قضاء العسكر، ثم نهبت داره لحادثة يطول شرحها، فعزل لذلك عن قضاء العسكر، وعيّن له كل يوم مائة وخمسون درهماً، فلم يقبل. ثم جلس السلطان سليم خان على سرير السلطنة، فأعيد إلى قضاء العسكر، وكان مع السلطان عند محاربته شاه إسماعيل الأردبيلي، ولمّا رجع عُزل عن قضاء العسكر بسبب اختلال في عقله، وعُيّن له كل يوم مائتي درهم.

وله رسالة في علم الكلام، أرسلها إلى السلطان قور قور، وضمّن خطبتها قصيدة مدحه بها في غاية اللطافة، وله رسالة في حل الشبهة العامة، ورسالة في تحقيق الكرة المدحرجة جمع فيها غرائبها من الكتب العربية وهي طويلة، وله رسائل أخرى كلها مسودة مَنعهُ عن تبييضها اشتغاله بأمور القضاء. واستمر بمدينة (قسطنطينية) إلى أن وافته المنية، ودفن عند مزار أبي أيوب الأنصاري، قال بعض المؤرخين في وفاته:

نفسي الفداء لِحُبْرٍ حلّ حين قضىٰ ... في روضة وهو في الجنات محبور
مقامه في علا الفردوس مسكنه ... أنيسه في الثرىٰ الولدان والحُور
قل للذي يبتغي تاريخ رحلته ... نجل المؤيد مرحوم ومغفُور[1]
وأتوا من بعده ذرية نجبا ... يزداد في قبره منهم له نورُ[2]

وجمع غرائب الكتب التي لم يسمع بها أحد فضلاً عن الاطلاع عليها، ويقال أنه مات عن تسعة آلاف مجلد غير المكرر.

[حسن العلوي]

وفيها [٩٢٢]: توفي حسن ابن عطية بن محمد بن محمد بن أبي الخير ابن فهد المكي الحنفي[3]. وُلد في صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة بـ (مكة)، ونشأ بها فحفظ «القرآن» وبعض المختصرات في الفقه، وأجاز له جماعة، منهم: الحافظ بن حجر المقريزي، والجمال الكازروني، والمحب الطبري، والبدر بن

(١) في نسخة: ومبرور.
(٢) بيت زائد هنا، لم يورده صاحب «الكواكب السائرة».
(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٤٨، الكواكب السائرة ١/ ١٧٧).

فرحون، والزين الزركشي. ودخل (القاهرة)، وسمع من الحافظ السخاوي وغيره، وجلس مع الشهود زماناً ثم ضعف بدنه، وانقطع بمنزله، وحدّث قليلاً. ومات ثامن ربيع ثاني بـ (مكة) المشرفة، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

[إبراهيم الطرابلسي]

وفيها [٩٢٢]: توفي إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن علي العلامة البرهان الطرابلسي[١]. وُلد سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة بـ (طرابلس)، وأخذ بـ (دمشق) عن الشرف بن عبد وغيره، وقَدِم (القاهرة)، ولازم الصلاح الطرابلسي، وأخذ عن الديمي والسنباطي والسخاوي وعلّق عنه بعض مؤلفاته. وله مؤلفات جليلة في الفقه وغيره، ووُلّي المؤيدية بسعي شيخه صلاح الدين، لما وُلّي مشيخة الأشرفية، واستمر إلى أن مات. رحمه الله وإيانا.

[إبراهيم المعتمر]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن المعتمر. وُلد سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة بـ (دمشق)، وحفظ «القرآن»، و«ألفية النحو»، و«المنهاج»، و«ألفية البرماوي» في الأصول، و«الخزرجية» في العروض، وتفقه بالبدر بن قاضي شهبة والنجم بن قاضي عجلون، وقرأ عليهما تصانيفهما، وأذنا له في الإفتاء والتدريس، فدرّس بأماكن كثيرة كالظاهرية، وكَتَب على المُجالة حاشيةً في ثلاث مجلدات وأشياء متفرقة من تاريخ ونظم وغير ذلك، ووقع فيه فطلب إلى (القاهرة)، ورسم عليه ثم فرج عنه، وتوفي بالصالحية، ودفن بالروضة فيها. رحمه الله تعالى.

[قانْصُوه الغُوريّ]

وفيها [٩٢٢]: لخمس بقين من رجب قُتِل سلطان مصر قانصوه أبو النصر سيف الدين الظاهري الأشرفي، الغوري نسبة إلى طبقة الغور، والظاهري نسبة إلى الظاهر خشقدم، والأشرفي نسبة إلى الأشرف قايتباي، فإنه كان من مماليك الظاهر

(١) انظر: «النور السافر ١٠٤، الأعلام للزركلي ١/ ٧٦، شذرات الذهب ٨/ ١٤٥، الكواكب السائرة ١/ ١٢٢».

خشقدم ثم انتقل إلى ملك الأشرف[١]. كانت ولادته في حدود الخمسين وثمانمائة تقريباً عمّا أخير، وبويع بالسلطنة سنة خمس وتسعمائة بـ (قلعة الجبل) بحضرة أمير المؤمنين والقضاة الأربعة. والأمراء وأصحاب الحل والعقد، وبنى مآثر بـ (مكة) و (مصر) وطريق الحجاج، منها: باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بناه بعقد كبير، وجعل علوّه قصراً ووقفه على جهات الخير، ولا يصح وقفه لأنه في هواء المسجد، وما أمكن العلماء أن ينكروا عليه لعدم إصغائه إلى كلامهم، وبنى بقربه ميضأة، وبركة في بدر، وعدة خانات وعدة مدارس.

وكان ذا ذوق ورأي وفطنة ودهاء ومعرفة بالموسيقا، وكان شاعراً أديباً رشيقاً، له ديوان شعر شرح بعض موشحاته حافظ عصره وعالم مصره: جلال الدين السيوطي، وسمّاه «النفح الظريف على الموشح الشريف». وكان الغوري ذا سيرة ذميمة ومظالم وخيمة:

منها: مصادرة الناس وأخذ أموالهم بالقهر والقياس وإبطاله للميراث واستئثاره عن الوارث، واغتصابه أماكن كثيرة وعمّرها وزخرفها في الصورة، وصارت هي وسائر أمواله بيد العِدا ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، وقال النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذ أخذه لم يفلته»، ثم تلا ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٣] فنفرت قلوب الخلق عليه، ورمت بسهام الأدعية الصالحة إليه من العلماء الأعلام والأولياء الكرام، ولقد أحسن من قال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطىء ولكن ... لها أمدٌ وللأمد انقضاء

قال بعضهم: قلت في نفسي كيف يزول هذا الملك مع قوة سلطانه وكثرة جنده؟ فرأيت في المنام ملائكة نزلوا من السماء بأيديهم مكانس يكنسون الجراكسة

(١) انظر: «النور السافر ١٠٠، البدر الطالع للشوكاني ٢/ ٥٥، الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٧، سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٢، الكواكب السائرة ١/ ٢٩٤، شذرات الذهب ٨/ ١٥٣».
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.
(٣) سورة هود، الآية ١٠٢.

من أرض (مصر) إلىٰ البحر، فاستيقظت وإذا بقارىء يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾[1]، ولما بلغ سلطان الروم سليم بن بايزيد[2] ظلم الغوري قصده بعسكره الجرار، وخرج قانصوه إلىٰ قتاله، فالتقىٰ الجمعان بقرب (حلب)[3]، وكان الغوري متوهماً من أمير الأمراء خير بيك ومرجان بردي بيك الغزالي، فأمرهما أن يتقدما إلىٰ القتال، وقد كانا أرسلا للسلطان سليم وطلبا منه الأمان، وتوثّقا منه بما يطيب خواطرهما، فلما التقىٰ العسكران فَرّ أحدهما من الميمنة والآخر من الميسرة، ودام الحرب من أول النهار إلىٰ تريب العصر، ثم انهزم عسكر الغوري وقُتِل هو[4]. وقد أفرد لهذه الواقعة محدث الديار المكّية، وابن محدثها الفهامة الشيخ جار الله محب الدين بن الحافظ عز الدين بن فهد الهاشمي المكي مؤلفاً مسجّعاً سمّاه: «بلوغ الأرب في تملّك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب»[5] نحو عشرة كراريس، وهو كتاب حسن.
ومهّد سليم خان أمور الشام، وأمر بعمارة قبة تربة الشيخ محيي الدين بن عربي ورتب له أوقاف كثيرة ومطبخاً لفقراء الشيخ لأنه ذكر في بعض كتبه صفة السلطان سليم وفتحه لبلدهم في وقت كذا، فكان كذلك. ثم توجه إلىٰ افتتاح إقليم (مصر)، ولمّا وصل إلىٰ (خان يونس) قتل فيه الوزير المعظم حسن باشا، وكان من أهل الخير له عمارة يخرج منها الطعام للمسافرين، ثم زار (القدس) بمفرده، وأحسن إلىٰ أهله. وفرّ بقية الجراكسة إلىٰ (مصر)، ووُلّي عليهم طُومان باي؛ ولُقِّب بالملك الأشرف[6]، وهو ابن أخي قانصوه الغوري.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.
(٢) هو سليم الأول: تاسع السلاطين العثمانيين ١٥١٢ـ ١٥٢٠م.
(٣) في منطقة مَرْج دابِق. وقد عرُفت الموقعة باسم الموضع، وفيها انتصر سليم الأول علىٰ المماليك ١٥١٦م فكان الفتح العثماني للشرق.
(٤) قيل أن جثته ضاعت تحت سنابك الخيل. وذكر بعض المؤرخين أنّ أحد أمراء الغلاين الذين ثبتوا معه، لمّا رأىٰ الغوري قد وقع علىٰ الأرض، أمر عبداً من عبيده فقطع رأسه وألقاه في جبّ، مخافة أن يقتله العدو ويطوف برأسه بلاد الروم ـ (الأعلام ج ٥ ص ١٨٧).
(٥) انظر عنه كتاب «التاريخ والمؤرخون بمكة» تأليف محمد الحبيب الهيلة ـ ص ١٩٨. وقد نبهني إلىٰ هذا الكتاب الباحث الأستاذ وضّاح بن عبد الباري طاهر، وهو باحث جاد يتجسد خطىٰ والده في موسوعيته المعرفية وحب إشاعة المعرفة بين الآخرين. وفعلاً لقد أفادني الكتاب المذكور في عملية تحقيق هذا الكتاب.
(٦) هو آخر المماليك في مصر ١٥١٦ـ ١٥١٧م. شنقه العثمانيون.

[أحمد الحسيني البخاري]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ الإمام أحمد البخاري، الحسيني[1]. العارف الكامل، العالم العامل، الفقيه الصوفي. صحب الشيخ عبيد الله السمرقندي، ثم صحب بأمره الشيخ الإلهي، ولما توجه الإلهي إلىٰ (الروم) ترك أهله وعياله وصحبه، وكان يُعظّمه جداً وعيّن له جهة عيشه، وكان لا يُقدّم عليه أحداً، وأخبر عنه أن البخاري صلّىٰ الصبح بوضوء العشاء ست سنين، وسُئل عن نومه في تلك المدة، قال: كنت آخذ بغلة الشيخ وحماره، وأصعد الجبل لنقل الحطب إلىٰ مطبخ الشيخ وكنت أرسلهما، ليرتقيا الجبل، واستند إلىٰ شجرة وأنام ساعة. ثم سافر بإذن الشيخ علىٰ التجرد والتوكل إلىٰ (الحجاز)، وأعطاه حماراً ورغيفاً، فاكتفىٰ بذلك مدة سفره، ولم يقبل من أحد شيئاً إلا ديناراً واحداً من الخواجه بهاء الدين؛ بإبرام منه. وسكن (مكة) نحو سنة، ونذر أن يطوف بالكعبة كل يوم سبع مرات، وأن يسعىٰ بين الميلين سبع مرات. ثم طلبه الشيخ الإلهي فرجع إليه ثم وقع في نفسه زيارة صالح (قسطنطينة)، فأذن له الشيخ ثم سافر إلىٰ (القسطنطينية)، ونزل بزاوية الشيخ أبي وفا فنزل الشيخ لصلاة العصر، ثم اشتغل هو وجماعته بالأوراد، فلما فرغ استقبله وعانقه وقال للحاضرين: هذا ضيفنا فأكرموه، فرأىٰ تلك الليلة سراجاً ضعيفاً في بعض زوايا الجامع، وكان بيده شمعة يريد أن يوقدها من السراج وقصد ذلك ثلاث مرات، وكل مرة يغيب السراج عن بصره، ثم انتبه فإذا إقامته ثلاثاً.

فلما مات الشيخ الإلهي، ظهرت خلافة الشيخ أحمد بالقسطنطينية، ورغب الناس في خدمته وتركوا المناصب، ولما كثر المريدون بنى مسجداً وزاوية وحجرات للطلبة، ووقف علىٰ ذلك ما يغنيهم في مناصبهم. وكان مجلسهم ذا أبهة ووقار والناس حوله بأدب وسكينة، كأنما علىٰ رؤوسهم الطير، وكان مشرفاً علىٰ الخواطر، فيأخذ الناس من كلامه جوابها من غير عرضها عليه، وكان لا يذكر في مجلسه الكلمات الدنيوية أصلاً، وطريقته العمل بالعزيمة وترك البدعة، واتباع السُّنة

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/١٥٢، شذرات الذهب ٨/١٤٦).

وترك الصورة، والانقطاع عن الناس والمداومة على الذكر الخفي وقلة الكلام والطعام وصومها النهار وإحياء الليل.

وله كرامات كثيرة، وأحوال شهيرة، منها: ما حكاه محمود جلبي، قال: لما غسلته ورجُل يصب عليّ الماء، وأخذ بيده المنشفة يمسح بها عرقي لأني عرقت من الحياء منه وقت الغسل ففتح عينيه ثلاث مرات ونظر إليّ كما كان ينظر في حال الحياة، ثم لما وضعته في القبر قام هو وتوجه بنفسه إلى جانب القبلة وصلى على المصطفى ﷺ، وعاين ذلك الحاضرون هناك فصاحوا وكبّروا رضي الله عنه ونفعنا به، ودفن عند مسجده.

[أسعد التاجي]

وفيها [٩٢٢]: توفي العالم الفاضل المولى سعدي بن تاجي بيك[١]. طلب العلوم وجدّ في تحصيلها، وقرأ على علماء عصره، منهم: المولى قاسم الشهير بقاضي زاده والمولى محمد بن الحاج حسن. وجدّ واجتهد حتى فاق، واشتهرت فضائله في الآفاق، ثم صار مدرساً بالاستحقاق، وولّي عدة مدارس، وأعطي تدريس إحدى المدارس الثمان، ثم حج وعين له كل يوم ثمانون درهماً.

وكان عالماً بفنون العربية صالحاً كريم النفس صادقاً في أقواله محسناً في أفعاله، قال بعض تلامذته لو قلت لم يكذب مدة عمره لم أكذب، وله قصائد طنانة بالعربية، وأنشاء بديع، وله حواشٍ على «شرح المفتاح» للسيد، وحاشية على «شرح الوقاية» لصدر الشريعة، ونَظْم «العقائد النسفية» بالعربية، وغير ذلك.

[علوان الحَموي]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ العارف بالله تعالى: علوان الحموي. اشتغل بالعلوم الشرعية والفنون الأدبية، وأخذ عن مشايخ كثيرين، وأجازوه بالافتاء والتدريس، وأفتى ودرّس على مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس، وانتفع به خلق كثير ثم ترك التدريس وصحب العارف بالله تعالى الشيخ المدني، ولازمه وأكمل عنده الطريقة وخاض بحار الحقيقة. وكان عاملاً بعلمه حافظاً للسانه وقلمه، وله

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٠. ومنه: الفوائد البهية تأليف اللكوندي ص ٤٥).

خُلُق حَسَن وجميع أوصافه مستحسن، ولازم الزهد والتقوى والنفع والفتوى، وألّف مؤلفات عديدة، منها: عقيدة حسنة شرحها جمع كثير من المتأخرين، ومنها شرح تائية ابن حبيب الصفدي في التصوف في مجلد ضخم وغير ذلك مما يطول ذكره، واستمر كذلك إلى أن انتقل إلى رحمة الله، رحمه الله تعالى وإيانا.

[عيد الخلوتي]

وفيها [٩٢٢هـ] توفي المولى عيد الخلوتي، أحد العلماء الأفاضل الأدباء الأماثل. وُلد بمدينة قسطموني، ثم اشتغل بالعلم، وصحب الشيخ علاء الدين المغربي، ثم ارتحل إلى الغرب، وأخذ عن جمع ورحل إلى الحرمين، وإلى العجم، ونزل عند مسح نعامي[١] شيخ المخدومي، ثم عاد إلى (الروم)، وأقام ببلده. وجعله سليم خان - قبل أن يلي السلطنة - إماماً له، ولما وُلّي السلطنة رفع منزلته، وحصل له الجاه العظيم وصحبه في غزواته، ولما رجع من مصر إلى الشام، توفى صاحب الترجمة بدمشق. وكان يحب الفقراء والعلماء، كثير الاحسان، حميد الأخلاق. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد البَذَخشي]

وفيها [٩٢٢]: توفي الشيخ محمد البَذَخشي الأندلسي بمحروس دمشق[٢]. كان عارفاً كاملاً صوفياً فاضلاً عالماً عاملاً، ذا صمت وسكون وميل إلى الخير وركون، صحب الشيخ الولي الأنواري، ولزم طريقته، وكان تاركاً للدنيا متجرداً عن علائقها ثم توطن دمشق، ولمّا فتحها السلطان سليم خان، وتوجه السلطان إلى بيت الشيخ مرتين:

الأولى: لم يجر بينهما كلام وجلسا بأدب وصمت، ثم تفرقا.

والثانية: قال الشيخ: كلانا عبد الله وإنما الفرق أن ظهرك ثقيل من أعباء الناس، وظهري خفيف فاجْتَهِد أن لا تُضيِّع أماناتهم. وسُئل عن اختياره الصمت؟ فقال: فتح الكلام ينبغي أن يكون من العالي ولا علوّ لي عليه، وحكى عن خواجه

(١) هكذا في الأصل.

(٢) انظر: (معجم المؤلفين ج ١ ص ٩٩ عن «كشف الظنون» تأليف حاجي خليفة).

محمد بن قاسم السمرقندي، قال: ذهبت إلىٰ المولى إسماعيل الشرواني، فرغّبني في مطالعة الكتب، فاعتذرت بعدم مساعدة الوقت، ثم ذهبت إلىٰ الشيخ محمد البدخشي، فقال: كنت عند إسماعيل ورغّبك في مطالعة الكتب، فلا تلتفت إلىٰ قوله، فإني قرأت علىٰ عمي من الفرقان إلىٰ العاديات، والآن ليس لي احتياج في العلم إلىٰ المولى إسماعيل، وإني لأتعجب من حالته تارة أراه في أعلىٰ عليين، وتارة في أسفل السافلين. ثم ذهبت إلىٰ المولى إسماعيل، فقال: كنت عند الشيخ محمد البدخشي ومنعك عن المطالعة إن لك فيها نفعاً عظيماً إن جدّك الأعلىٰ خواجا عبيد الله، كان في آخر عمره يطالع البيضاوي. قال: ولي مع الشيخ محمد البدخشي أحوال عجيبة إذا قصدت أن أصاحبه أرى نفسي في أعلىٰ عليين، وإذا قصدت ترك صحبته أراها في أسفل السافلين.

[شاهين الجمّالي]

وفيها [٩٢٢]: توفي شاهين الجمال، شيخ الحرم المدني. وُلد سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة تقريباً، وقَدِم سنة ثلاث وخمسين بالغاً وترقّى إلىٰ أن عمل شاداً[١] في مدة سنتين فَحُمدت سيرته ومباشرته مع إقباله علىٰ العلم ومواظبته للقراءة، وجَمْع الكتب وملازمة العلماء. قرأ علىٰ النجم بن قاضي عجلون الصرف والعربية، وعلىٰ البدر المارديني الفرائض والحساب، وقرأ علىٰ الحافظ الديمي البخاري والشفاء، وسمع من الحافظ السخاوي أشياء كثيرة، وكتب كثيراً من تصانيفه. واستقر به الأشرف قايتباي في مشيخة حرم المدينة، وفي أثناء ذلك رسم له نيابة جُدّة وعمارة المسجد الحرام كعلو زمزم ورفرف المقام وسقاية العباس وإجراء عين حنين. وله بالمدينة مآثر وتجديد أماكن وإحياء مواضع، وكانت أوقاته مستغرقة في العبادة والتلاوة، وسماع الحديث، ومطالعة الكتب العلمية. وأدبُه كثير وعقله شهير، مات بالمدينة وصلى عليه بالروضة الشريفة، ودفن بالبقيع بجانب سيدنا إبراهيم بن النبي ﷺ.

---

(١) في الضوء اللامع (ج ٢ ص ٢٩٣): ترقّىٰ إلىٰ أن عمل شادية جُدّة ستين.

سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة

[عبد الرحمن السقاف]

توفي الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[١]. صاحب العجائب والغرائب والخوارق والمواهب، ذُكر له في «النور السافر» ترجمة مختصرة، وقد بُسطت ترجمته في «المَشْرع الرَّوي في مناقب بني علوي».

[بركات الخيّاط]

وفيها في ربيع أول توفي الشيخ الكامل العالم العامل ذو الأحوال العجيبة والمكاشفات الغريبة، الشيخ بركات الخياط المصري[٢]، كان شيخاً صالحاً منجمعاً عمّن يراه طافحاً، له أبهة في الصدور، وعلىٰ وجهه مسحة من نور البدور. كان مقيماً بالدرب الأحمر خارج باب زويلة، وكان أستاذاً في تفصيل الثياب وخياطتها، وكان يرتزق من الخياطة وما يفتح عليه أنفقه علىٰ من يأتي دكانه أو رباطه. وكان الأكابر يقصدونه لذلك من سائر الحارات، وكان عليه جُبّة كأنها جبة سمّاك، ويقول لمن طلب منه أن يخيط له: هات لي فوطة أضعها علىٰ ركبتي حين أخيط ثيابك، وكان يتعمم بالشدود المخططة بالأزرق كعمامة النصارى، فيقول له من لا يعرفه: ظهرك حاشاك يا معلم. وكان له كلامٌ عالٍ في الطريق؛ لا يفهمه غالب فقراء مصره، وكان الشيخ أفضل الدين الشعراوي يحلف أن مشايخ مصر لا يصلحون أن يكونوا مريدين له، لأن شرط المريد أن يفهم كلام شيخه.

وكان يُعِدّ نهايات مشايخ زمانه؛ بدايات في الطريق، وكان غالب الناس لا يقدرون علىٰ صحبته. قال الشيخ عبد الواحد تابع الجارحي: قال لي جمال الدين الصابوني المفتي بجامع الأزهر: لا بد أن تجمعني بالشيخ بركات، وكان يوم جمعة، فجمعته به فمكث حتّىٰ أُذّن بالجمعة، فقال: يا سيدي أما تخرجون لصلاة الجمعة، فقال الشيخ بركات ما لي عادة بذلك، ولكن لأجلكم أصلي هذا اليوم،

---

(١) انظر: (المشرع الرّوي ٢/ ١٣٤؛ النور السافر ١٠٥؛ شذرات الذهب ٨/ ١٦٥).

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٦٧).

فقال جمال الدين: أنتم متوضئون؟ فقال: عمري ما توضأت فعلّمني، فأتوا بالماء وصار يعلمه، حتّىٰ فرغ ثم خرجوا فوجدوا بول حمار فأزاحه بيده، فقال جمال الدين: اغسلوا أيديكم فأدخلها في قعوة من قعاوى الكلاب، فأنكر جمال الدين عليه، وسب الشيخ عبد الواحد الذي أتى به إلىٰ مثل هذا، وصار بركات يسب عبد الواحد ويقول: ما وجدت إلا هذا المنكر تأتي به. ثم قال: ما تركت صلاة لجمعة قط، وإنما ورّيت له في الكلام، وبول الحمار هو صورة في اعتقاده وقعاوى الكلاب هو مشربها. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: ووقع لي معه أنني زرتهُ بعد موته، فأخرج لي الخادم طعاماً فيه أعضاء آدمي وذراعه ورجله فنفّرت نفسي من أكله، فقال لي الخادم: هو لحم ضاني وإنما يريد الشيخ يُباسطك، فصار النقيب يأكل من ذلك، فقلت لأخي أفضل الدين: ما هذا؟ فقال: هكذا كان الشيخ في حال حياته، كنا نأكل معه مرةً طيور حَمام فقلبها في الحال سمكاً ثم قلبها دجاجاً ونحن نرى، وربما ذبح خروفاً فوضعوه في الدست فصار علىٰ صورة كلب فيأكله وحده ولا يطعم أحداً منه شيئاً.

وحكي أن رجلاً من تجار طولون مر عليه راكباً علىٰ بغلة ومعه عبده فإذا بالشيخ بركات قد أمسكه من طوقه، وقال له: سرقت لي عشرة آلاف دينار، فما قدر أحد أن يطلقه منه حتّىٰ دخل به علىٰ الوالي، فادّعىٰ عليه بالعشرة آلاف، وقال: عاقبه وإن مات عليّ ديّته، فضرب التاجر حتّىٰ كاد أن يهلك وهو يقول: بحل من الله؟ فيقول الشيخ: نعم، فلما علم الشيخ أن العقوبة وصلت حدها نظر في وجه التاجر. وقال: إني غلطت ما هو الذي سرق فلوسي. فضرب الوالي الشيخ بالخيزران علىٰ رأسه، فنام الشيخ علىٰ عتبة باب الوالي. وقال: والله ما أقوم حتّىٰ يُعزل هذا الوالي فعزل في ساعته، فقال له الشيخ فضل الدين: ما هذا الحال؟ فقال: إن هذا التاجر ادّعىٰ علىٰ شخص باطلاً، فعاقبه الوالي ظلماً، فأخذت له حقه، وأما الوالي فالغالب عليه أنه يحكم وهو سكران فلا يصلح للولاية.

وكان فقراء مصر يحمّلونه الحملات حتّىٰ سيدي علي المرصفي حمّلهُ حملة ابن كاتب غريب لمّا كتبوا اسمه إلىٰ اسطنبول، وقال له سردي علي: أنا ما لي تصريف، ثم وضع حجراً علىٰ دكان الشيخ بركات فلما رآه قال: اش أكل بركات

حتّىٰ يحمل؟ قال له أفضل الدين: لا تخيّبوا ظن مريده فيه. قال: بسم الله. فنسيه جماعة السلطان. ومن كرامته أنه أخبر بأخذ السلطان سليم مصر وأخبر بالسنة واليوم الذي يأخذوها فيه فكان كما أخبره.

[إبراهيم المُرّي المقدسي]

وفيها [٩٢٣]: في يوم الجمعة ثاني محرم توفي الشيخ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أيوب[(١)] المُرّي - بضم الميم وتشديد الراء - المقدسي ثم المصري الشافعي المعروف بـ (البرهان بن أبي شريف). العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، مفتي الأنام، حسنة الليالي والأيام، شيخ مشايخ الإسلام، حجة الله علىٰ المسلمين، السيف الصارم في قطع رقاب المعاندين. كان جليل المقدار جميل الأخبار، ذا همة وافرة ومعارف رياضية ناضرة. وُلد ليلة الثلاثاء ثامن ذي القعدة سنة (٨٣٦هـ) ست وثلاثين وثمانمائة ببيت المقدس، ونشأ به فحفظ القرآن العظيم وعدة متون في عدة فنون، وأخذ عن أخيه الكمال[(٢)] الفقه والأصول وغيرهما، وعن الشيخ سراج الدين يعقوب الرومي العربية والمنطق والمعاني والبيان وغيرها، وقدم القاهرة فأخذ عن الأمين الأقصرايني وجلال الدين المحلي وابن الديري التفسير والأصلين، وأجازه الحافظ ابن حجر باستدعاء أخيه وأخذ عن شمس الدين القاياتي، ولازم العلم البلقيني في الفقه، وجل انتفاعه فيه به، وأخذ عن الشرف المناوي، ولازمه وصاهره علىٰ بنته التي كانت زوجاً لابن الطرابلسي، قال الشمس الرملي: قَدِم الشيخ كمال الدين والشيخ برهان الدين القاهرة، فحضرا درس العلم البلقيني، فحضر الكمال يوماً ولم يعد، وقال: هو رجل بعيد عن التحقيق، واستمر البرهان ملازماً له وبه كان جل انتفاعه، وأخذ الفرائض والحساب

---

(١) في البدر الطالع (ج ١ ص ٢٦) أورد: علي بن مسعود بن رضوان. وأكّد الشوكاني سنة وفاته فقال: توفي ٩٢٣هـ بينما: الكواكب السائرة ١٠٢/١، وشذرات الذهب ١١٨/٨، وفي نظم العقيان: أن وفاته سنة ٨٩٦هـ.

(٢) هو برهان الدين المعروف بابن أبي الشريف، انظر: معجم المؤلفين ج ١١ ص ٢٠٠ وفيه كثير من مصادر ترجمته، ومنها: النور السافر ٤٣، والبدر الطالع للشوكاني ٢: ٢٤٣، والضوء اللامع ٦٥ ٩.

عن الأبوتجي والأبشيطي، وأخذ التصوف عن جمع منهم الشرف المناوي. وبرع في جميع العلوم الشرعية والعربية والعقلية، وراض نفسه في سلوك الطريقة، وخاض في بحور الصوفية العميقة، وأجيز بالتدريس والافتاء، فدرس وأفتى وأقرأ وأفاد، وجاد بالعلم فأجاد. وكانت فتواه مسددة وأيامه ولياليه بالعدل مجددة، وهو آية في الحفظ الذي لا يحكيه فيه نظير، وكان ينشيء الخطبة البليغة وهو على المنبر ارتجالاً بغير تقديم ولا تأخير، وعظم أمره، واشتهر صيته وصار المعوّل عليه في الديار المصرية، وانتفع به خلق كثير، منهم: أبو الحسن البكري والشهاب الرملي وناصر الدين الطبلاوي، وترك الأقراء آخراً بالكلية، وامتنع حتى من الأفاضل ما عدا هؤلاء الثلاثة.

وله تصانيف كثيرة مفيدة في فنون عديدة، منها: شرح الحاوي في مجلدين، وشرح المنهاج في أربع مجلدات، وشرح التنبيه، وقطعة من البهجة، والعقائد لابن دقيق العيد، وشرح العقائد للسعد التفتازاني، وشرح قطعة من عقائد النسفي ونَظْمها ونظم السيرة النبوية، وشرع في نظم جامع المختصرات، ونَظْم النخبة للحافظ ابن حجر وشَرْحها وشرح التحفة القدسية في الفرائض لابن الهمام، وشرح القواعد لابن هشام، ونَظْم خمسمائة بيت في رواية أبي عمر، ونظم لقطة العجلان للزركشي، وتهذيب السعد في المنطق، والجمل في المنطق، والورقات لإمام الحرمين، وشذور الذهب، واختصر رسالة القشيري في نحو كراسين، واختصر طبقات الشافعية للتاج السبكي. وله عدة رسائل في التصوف، ورسالة في الآيات التي فيها الناسخ والمنسوخ، وأنشأ ديوان خطب في غاية البلاغة والفصاحة، وفسّر سورة الرحمٰن، والكوثر، والإخلاص، وغير ذلك، مما كمل وما لم يكمل، وقرّظ له الأعيان على كتبه.

وكان مهاباً جداً، فكان الكامل إذا عرض عليه محفوظاته، تلجلج من شدة هيبته، فيباسط الصغير حتى يسكن روعه. وكان مقبلاً على الله تعالى لا تسمع منه كلمة يكتبها صاحب الشمال، وكان ورعاً جداً، وكان له مصبنة[1] يعمل فيها

(١) في نسخة: وكان له صبانة.

الصابون، ويتقوّت منها، ولا يأكل من معالم مشيخة الإسلام.

وكان عالم مصر ورئيسها ومرجعها، ثم قدم إلى (بيت المقدس)، سنة (٨٩٨هـ) ثمان وتسعين وثمانمائة لزيارة والديه، ثم قَدِم سنة تسعمائة، وانتفع الناس به في الفتوى ووجه إليه من الكمال الفتوى، ثم رجع إلى (مصر) ثم ولّي قضاء عام (٩٠٦هـ) ست وتسعمائة ـ واستمر إلى سنة عشر وتسعمائة، فعزله الغوري بابن الفرفوري شهاب الدين[1] بعد أن خيره الغوري في القضاء ومشيخة مدرسته فاختار المشيخة، واستمر إلى أن وقعت تلك المحنة المعروفة وهي أن رجلاً وامرأة أقرا بالزنا ثم رجعا فحكم شافعي بصحة رجوعهما فحسّن بعض القضاة الفسدة للغوري برجمهما، وقال: هذا أمر لم يسبق إليه أحد قبلك، فاستفتى الغوري العلماء في ذلك، فأفتى برهان الدين بصحة رجوعهما وعدم جواز قتلهما، وأفتى بعضهم بعدم قبول رجوعهما، فأمر بعقد مجلس بحضرته. فاجتمع العلماء عنده، واختلفوا وأغلظ البرهان على السلطان وقال: من قتلهما يُقْتَل بهما، فقال: ائتني بالنقل، فقال شيخ الإسلام زكريا: هو مؤتمن على النقل ولا يلزمه ذلك وقوله حجة، وأشار بيده وكان مكفوفاً فأصابت يده عين السلطان فغضب الغوري وقام وأمر بصلبهما على باب دار البرهان، فلما أتوا بهما والجلاد ينادي عليهما ظن الشيخ أنه هو المقصود بالقتل، فاستعد للموت، وسلّم أمره إلى الله تعالى، فشنقوا الرجل والمرأة متقابلين قصد الشيخ ذلك الباب، وفتح باباً آخر، وأرسل الغوري يقول للبرهان: أخرج من بلدي فإنك مقدسي اذهب إلى بلدك، فأخذ في التأهب فدخل عليه رجل أشعث أغبر وكان الباب مغلقاً فقال له: يا إبراهيم أنت لا تخرج هو الذي يخرج، واختفى عنه فسأل البواب عن هذا الرجل الذي دخل فقال: لم يدخل أحد والباب مغلق فعلم الحال، ورأى الشافعي ـ رضي الله عنه ـ في تلك الليلة وهو يقول له: قد قلعنا الغوري بعروشه، فلم يلبث إلا مدة يسيرة وخرج بعساكره للقاء السلطان سليم، وانهزم الغوري وكان ما كان[2] ولما أراد السفر أرسل يستعطف الشيخ فأغلظ عليه، ولم

(١) في نبي الوطر: لمُزل بقاضي الشام الشهابي.

(٢) كان اختفاء جثة الغوري في اللقاء المذكور مع لسلطان سليم الثاني العثماني في مرج دبق بجوار حلب. كما سبق تفصيل ذلك في ترجمة الغوري المذكورة سابقاً.

يلتفت إليه، وكان بينه وبين شيخ الإسلام زكريا صحبة شديدة ومودة أكيدة، وحكىٰ بعض الثقات أنه قال: جاورت بـ (مكة) فسألت بعض أولياء الله تعالىٰ أن يريني القطب فمكث مدة ثم قال: إذا رأيت لا تكلمه، ثم رأيته فقبّلت يده ثم التفت، وقال: صاحب مصر رجل منكم معشر الفقهاء فخطر لي أن أسأله عنه. فلم يمكنّي، ثم اجتمعت به فقال: صاحب مصر الآن برهان الدين بن أبي شريف ثم يكون بعده الشيخ زكريا؛ قال الشيخ ابن حجر المكي: فتأمل هذه الشهادة لهذين الإمامين، ولقد كانا زينة مصر هما، بل زينة الدنيا، رحمهما الله ونفعنا بهما.

قال الشمس الرملي: رأيت برهان الدين وهو قاعد إلىٰ هيئة السجود أقرب من الهرم ورأيت الشيخ زكريا كالألف في الانتصاب ـ وقد قارب المائة ـ فسألت والدي ما بال الشيخ زكريا مع كونه أسنّ من الشيخ برهان الدين أصح جسماً ومنتصب القامة، فقال: كان الشيخ برهان الدين يكثر الجماع جداً، فأسرع إليه الهرم، وأما الشيخ زكريا كان مُعرِضاً عن ذلك بالكلية.

وكان صاحب الترجمة يميل إلىٰ التصوف جداً لكنه ينفر من كلام ابن عربي، بحيث كتب علىٰ «الفصوص» ما نصه: قال الفقير إبراهيم بن محمد بن أبي شريف حسبنا كتاب الله وما تضمنه هذا الكتاب لا أعلم ما هو، غير أن ظاهره في غاية من الإشكال، وما أوضح كتاب الله القرآن العربي المبين الهادي للطريق الواضح الذي لا خفاء به، وكذلك الأحاديث النبوية وكل منهما يشرح الخاطر ويُقرِّب من جناب الحق، وهل أفضل من كلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله ﷺ وأصحابه نجوم الهدىٰ، كيف يترك العاقل كلام المعصوم وما أُنزل عليه، ويشتغل بما فيه ريب وقلاقة وإشكال، ولست أنكر ما أخذه منهما للسادة الصوفية من أسرار لا تخرج عنهما في غاية الجلاء والوضوح ـ نوّر الله بصائرهم ـ فأطلعهم عليها وحجبها عمّن سواهم. انتهى.

وله نظم حسن فمن نظمه من قصيدة في ختم «صحيح البخاري»:

دموعي قد نمَّت بسر غرامي … وباح بوجدي للوشاة سقامي
فأضحىٰ حديثي بالصبابة مسنداً … ومرسل دمعي من جفوني هامي[1]

(1) في «الضوء اللامع»: من جفوني دامي.

وكتب لأخيه:

ما خلت برقاً بأرجاء الشآم بدا … إلاّ تنفست من أسقامي[1] الصعدا
ولا شممت عبيراً من نسيمكم … إلا قضيت بأن أقضي بكم كمدا[2]
ولا جرى ذكركم إلا جرت سحب … أودت لظى بفؤادٍ أورثته رَدَا
يا لوعة البين ما أبقيت من جلد … أيقنت والله أن الصبر قد نفدا
حشوت أحشائي نيراناً قد اتقدت … بأضلعي فأذابت مني الجسدا
كيف السبيل إلىٰ عود اللقاء وهل … هذا البعاد قضىٰ المولىٰ له أمدا
من يُبلغ الصحب أن الصبّ قد بلغت … أشواقه حالةً ما مثلها عهدا
لم أنس أُنس ليالٍ بالهنا وصفت … والنفس بالوصل أمسىٰ عيشها رغدا
أحادي العيس إن حاذيت حيّهم … فحيِّهم وصف الوجد الذي وجدا
وأشهد بما شهدت عيناك من حرق … يهدا السقام وما منها الفؤاد هدا
وإن حللت رُبىٰ[3] تلك الرباعِ فسل … عن جيرةٍ لهم روح المشوق فدا
فالروح ما برحت بالقدس مسكنها … والجسم في مصر للتبريح قد قعدا
هي البقاع التي شد الرحال لها … علىٰ لسان رسول الله قد وردا
من حلّ أرجاءها تُرجىٰ النجاة له … أكرم بها معبداً أعظم بها بلدا
صوب العهاد علىٰ تلك المعاهد لا … زالت سحائبه منهلة أبدا

ولم يزل مقيماً علىٰ الإرشاد، وأمره دائماً في ازدياد إلىٰ أن انتقل إلىٰ دار المعاد، ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي جعلهم الله في أعلىٰ عليين، ونفعنا بهم آمين.

[محمد العريان]

وفيها [٩٢٣]: توفي الشيخ محمد الرويجل العريان الشهير بالخوارق والرهان والكشف التام والأحوال العظام، ثم جذب فوثب من الثرى إلىٰ الثريا، وطوى شقة المشقة طياً، وكان ينام في النار الموقدة ولا تضره، وربما سهر الليل حتىٰ يطلع

(1) في «الكواكب السائرة»: إلاّ تنفست من أشواقي.
(2) في الكواكب والضوء: بأن أقضي «به» كمدا.
(3) بالأصل ربا.

فجره. وكانت دعواته مستجابة وحالاته مستطابة، قال الشهاب أحمد الرملي: أصل ما حصّل لي من الخير من دعوته دخل عليّ في وقت القائلة وقال لي: يفتح الله عليك، ففتح الله عليّ من حينئذ. وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: قال لي بعضهم هل تحس بالضرب؟ فلما اجتمعنا به التفت إلى ذلك الرجل وقال: علام تضربني وأخبر من نفسه بأنه يُقتل يوم كذا فلما دخل مصر عسكر سليم قتلوه من جملة القتلى وقُبر بمقبرة الجزيرة نفعنا الله به.

[إبراهيم بن عمر الدميري]

وفيها [٩٢٣]: في رمضان توفي الشيخ إبراهيم بن عمر بن شعيب المالكي الدميري[١] قاضي مصر. وُلد سنة (٨٤٠هـ) ـ أربعين وثمانمائة ـ وتفقه بالشمس البرموني الحنفي، وأخذ عدة علوم عن شيخ الإسلام زكريا والبدر التنيسي[٢]، وأخذ العربية عن البدر بن أبي السعادات البلقيني والشيخ عبد الحق السنباطي والمنطق عن العلاء الحصني، وناب في القضاء عن السراج بن حريز[٣] فمن بعده، وحج وجاور سنة خمس وثمانين، ولازم القاضي برهان الدين بن ظهيرة، ثم ولي القضاء، فسار أحسن سيرة، ثم ولي قضاء القاهرة سنة سبع وتسعمائة، فباشر بعفة وإحسان، وكان كثير التلاوة مع تواضع ومحبة الصالحين، واستمر حتى مات، وصلى عليه بالناس ولده يحيى بوصية في الأزهر.

[نور الدين السَنْهُوري]:

وفيها [٩٢٣]: توفي نور الدين السنهوري إمام جامع الأقمر، اشتغل بالعلوم وبرع في الحديث، والفقه والنحو، وانتفع به جماعة، وكان لا يفتر عن الدرس حتى أنه لم يجد وقتاً للأكل، وربما أكل وهو يدرس، ويدرس بالليل وألف عدة مؤلفات في علم القراءات والعربية، ونظم الأجرومية[٤] على روي الشاطبية

(١) زاد في الضوء اللامع (ج ١ ص ١١١): برهان الدميري ثم القاهري المالكي.
(٢) هكذا في الأصل. وورد اسمه في الضوء اللامع: نور الدين التنسي.
(٣) في الأصل «حرية» والتصحيح من الضوء اللامع؛ قال محقق الكتاب وقد تكرر اسمه في الكتاب، وهو مصغر حرز.
(٤) وردت: الجرومية.

وشرحه. وكان متقشفاً يلبس فروة صيفاً وشتاء مغشاة بثوب غليظ، وله عمامة من غليظ المحلاوي يغسلها في السنة مرة، ومن دخل بيته يذكر أحوال السلف ليس فيه شيء من أمتعة الدنيا سوى خسفة وقدح، وكان كثير الصمت والخشية لله تعالى لا تزال عيناه تدمعان، وكان يقول: ما للفقير في هذا الزمان أحسن من الوحدة، وما دام الناس غافلين عنه فهو بخير، والفتنة في الشهرة. وقيل له: لا تشتري لك كسوة؟ فقال: مالي وللدنيا، ولم يزل كذلك إلى أن توفي نفعنا الله تعالى به.

[أحمد الزواوي]

وفيها [٩٢٣]: توفي سيدي أحمد الزواوي[١] أحد الصالحين العباد الزاهدين، ذو الكشف التام، والإطلاع العام، والمعرفة التامة، والعبادة الدائمة. وهو أخو الشيخ علي الشرنوبي في الطريق، وكان كثير الأوراد، وكان ورده في اليوم والليلة عشرين ألف تسبيحة وأربعين ألفاً من الصلاة على النبي ﷺ، وكان يقول: طريقتنا أن نشتغل بالصلاة على النبي ﷺ حتى نصير من الجالسين على الكشف، والشهود ونسأله عن أحكام ديننا، ومن لم يبلغ هذه الدرجة فليس معدوداً من أهل طريقتنا، وليس لنا شيخ غير رسول الله ﷺ.

وانتفع به خلائق لا يحصون، وأخذ عنه الطريق كثيرون، وكان ـ رضي الله عنه ـ يأخذ على أصحابه العهد بكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، ولمّا سافر الغوري لقتال ابن عثمان جاء إلى مصر، وقال: جئت أرد السلطان سليم عن مصر، فعارضه أولياء مصر فلحقته حلية البطن، فأشرف على الموت، فقال: احملوني إلى دمنهور فحملوه، ومات في الطريق، ودفن بدمنهور الوحش بالبحيرة. رحمه الله ونفعنا به.

[دنكر المجذوب]

وفيها [٩٢٣]: توفي الشيخ دنكر المجذوب صاحب الكشف الجلي. كان يكاشف كل من مر عليه بما يفعله في سره وجهره، وكان يحلق شعر رأسه ولحيته، ويلبس الثياب بحاسية الحرير الفاخرة، ويركب الجريدة فيطوف الشرق

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/١٥٣).

والغرب في لحظة، ويرجع إلى محله. وكان يخبر بالمغيّبات وما هو آت، فيجيء الخبر كما أخبر. قتله جماعة السلطان سليم لما فتح مصر، وقتلوا معه عدة مجاذيب وغيرهم. ولذا قال الخواص: طاب الرحيل من هذه الديار.

[عبد الفتاح العجمي]

وفيها [٩٢٣]: توفي الشيخ عبد الفتاح بن أحمد ابن عادل، أحد العلماء المشهورين بالديار الرومية[1]. قرأ على محيي الدين الإسكليبي[2] والشيخ مؤيد زاده، ثم وُلّي عدة مدارس في عدة بلدان، ومات وهو مدرس بمدرسة الوزير إبراهيم باشا بـ (القسطنطينية)، وكان فاضلاً محققاً مشاركاً في كثير من العلوم، له اعتناء بالعلوم العقلية، وكان خطه حسناً، وكتب عدة كتب وانتفع به جماعة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري]

وفيها [٩٢٣]: لسبع بقين من ربيع الثاني قُتل سلطان اليمن الملك الظافر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي العُمري[3]، وبموته انتهت دولة بني طاهر خلفاء المجد والمفاخر. وكان أولهم الملك المجاهد شمس الدين (**علي بن طاهر**)، أخذها سنة (٨٥٨هـ) ثمان وخمسين وثمانمائة لسبع في رجب. وكان يحب الخير والفقراء والعلماء، محسناً إليهم على الدوام حتّى أنه تصدق سنة إحدى وستين وثمانمائة بزبيد بألف مد ومن النقدين بمال جسيم، وكان كثير التلاوة، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ومع ذلك لا يقرأ إلا بالمصحف، وكان يحضر مجلس الحديث بالجامع،

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٤٠).

(٢) في الكواكب: الإسكليبي.

(٣) هو آخر سلاطين اليمن من بني طاهر. وعن حياته ودوره السياسي يمكن الرجوع إلى عدد من المصادر، منها: المقتطف من تاريخ اليمن ١٤٠، تاريخ النور السافر ١١٠، اليمن الانسان والحضارة للقاضي الشامي ١٣٠، اليمن عبر التاريخ، هجر العلم ١/ ٣٠٩، روح الروح، المدارس الإسلامية ٣٣٧، قرة العيون ٢/ ١٧٩ ـ ٢٣٥، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، الفضل المزيد، الثناء الحسن على أهل اليمن ٢٦٧، التاريخ العام لليمن. وغير ذلك كثير.

وسمع جماعة كثيرين. وكان غالب أوقاته في قراءة التفسير والحديث، وفرح الناس بولايته، فإن العبيد والعربان أفسدوا في البلدان، فجاهدهم حتّى أبادهم، وكان ينفق على الأرامل والمنقطعين بما يكفيهم وبنى مدرسة وجامعاً بمدينة جُبَن وبمدينة تعز، وجدّد مدارس عدن، وأنشأ سبيلاً للمسلمين وهو الذي غرس النخل وقصب السكر في وادي زبيد وغيرها[1]، وكذا الأرز. وعهد بالخلافة لابن أخيه الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر، وكانت وفاته ببلده جُبَن ليلة السبت لعشر خلون من ربيع الآخر سنة (٨٨٣هـ) ثلاث وثمانين وثمانمائة، ووُلّي عبد الوهاب[2] بعده، وكان ذا رأي سديد، وجد سعيد، وبأس شديد، وكان حليماً كثير الصدقة عظيم الشفقة، حاكماً بأمر الشرع الشريف، وله اعتناء عظيم بالشريعة المطهرة، وبنى مدرسة المنصورية بزبيد[3] ومدرسة بـ (المقارنة)[4] وأخرى بحسار[5] وعدة سُبل وصاريج في بلاد متفرقة، وتوفي إلى رحمة الله عشية الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الأولى، سنة (٨٩٤هـ) أربع وتسعين وثمانمائة، وكانت ولادته في رمضان سنة (٨٦٦هـ) ست وستين وثمانمائة. ووُلّي بعده ابنه الملك الظافر عامر بعهد من والده الملك المنصور، فتقلّدها بالعهد الصحيح الشرعي وبإجماع أهل الحل والعقد، وكان فاضلاً شهماً يحب العدل ويكرم العلماء والصلحاء والفقراء،

---

(١) عن مآثر علي بن طاهر بن معوضه يمكن الرجوع إلى المصادر السابقة، ولكن يمكن النظر ـ بوجه خاص ـ إلى: هجر العلم ١/ ٣٠٦، الأعلام ج ٤/ ٢٩٦، المدارس الاسلامية في اليمن ٤٨٠.

(٢) عن عبد الوهاب انظر: (هجر العلم ج ١ ص ٣٠٩، الأعلام ج ٤ ص ١٨٢، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٠٠).

(٣) هي المعروفة بالوهّابية ـ انظر: (إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية ص ٣٢٨).

(٤) تُعرف باسم المدرسة المنصورية ـ (المدارس الإسلامية ص ٣٢٥).

(٥) هكذا في الأصل. قال القاضي إسماعيل الأكوع: لم يُعرف الاسم الصحيح للمدينة في المراجع كلها. وقد كتبها القاضي محمد بن علي الأكوع في تعليقه على قرة العيون ٢/ ١٧٨، خُبَان: مع أنه لا يوجد في خُبَان مدينة تحمل هذا الاسم، ولعلها قرية خُبَان بجوار النادرة، أو قرية خَبَان في ضواحي مدينة رداع، ولا أثر لوجود المدرسة في هاتين القريتين مع أن الديبع وصفها في بغية المستفيد بأنها مدرسة عظيمة. وفي لسنا البَاهر سمَاها جسار (المدارس الإسلامية ـ ص ٣٢٩).

واقتنى كتباً كثيرة، وكانت الكتب النفيسة تُهدى إليه، وتُجلَب عليه من الأقطار الشاسعة. ووفد إليه جماعة من العلماء من الحرمين والشام ومصر وغيرها، فأكرمهم وعظمهم وأحسن إليهم، ومن مآثره المخلدة الذكر على الدوام الموجبة لحلوله بدار السلام: عمارة مسجد الجامع بمدينة تريم وسيل واديها المسمى ثبي وغير ذلك من المساجد والصهاريج والسبل والآبار في الأماكن المحتاج إليها والمفاوز المنقطعة مما لا يحصى كثرة، وأنفق على ذلك أموالاً عديدة، ومنها أنه كان يصنع في رمضان طعاماً نفيساً لقوام المساجد بزبيد وغيرها، ويقوم بكفايتهم للإفطار والسجود، وكان شافعياً أشعرياً فاضلاً لم يكن فيه ما يشينه غير التعرض للأوقاف في آخر عمره[1]، فكان سبباً لزوال ملكه. ومن أسباب زوال ملكه أن الأمير حسين[2] الذي أرسله قانصوه الغوري لدفع أذى الإفرنج[3] عن المسلمين، فإنهم لما كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين، أرسل سلطان كجرات مظفر شاه بن محمود شاه إلى الغوري يستعين به عليهم، وكذلك أرسل السلطان عامر إلى الغوري يطلب النجدة منه على الإفرنج، فتوجه الأمير حسين إلى الهند وتحصّن الإفرنج بالقلعة المشهورة بكوة من أرض الدّكن، واجتمع بالسلطان مظفر شاه، وحصل له منه إمداد كثير. وعاد الأمير حسين إلى بندر كمران، من غير عمل، وأرسل إلى السلطان عامر يطلب منه الميْرة والإعانة مدلاً عليه بما سبق من المكاتبة إلى السلطان الغوري في طلب النجدة، فأراد عامر أن يمده بما طلب منه فمنعه وزيره، وقال: يصير ذلك عادة تطالب به كل سنة، وكلام

(١) جاء في كتاب «الفضل المزيد في أخبار مدينة زبيد» للقاضي عبد الرحمن الدَّيْبَع ما يأتي:
«لم يكن في الملك الظافر خصلة تُذَم سوى تعرّضه للوقف وأظن أن ذلك هو الذي كان سبباً لزوال دولته وما في يديه. وأنا ناصح لكل من يتولّى أمور المسلمين من الملوك والسلاطين وسائر المتصرفين ألاّ يتعرّض للوقف وأهله ولا يمنع من بذله. إلخ... وأنشد:

يا صاحبي لا تكلم ... في الوقف أولى وأصلح
فإننا ما رأينا ... شخصاً تولاّه أفلح

(المقتطف من تاريخ اليمن - ص ١٤٢).
(٢) الأمير حسين الجركسي.
(٣) المقصود هنا: ابناء البرتغال الذين جاؤوا لإخضاع الممالك الإسلامية لسيطرتهم.

الشيخ مطاع والإمساك مركون في الطباع، فاستصوب رأيه ومنع الميْرة من كمران، فغضب الأمير حسين، وعزم على أخذ اليمن، وساعده طائفة الزيدية فإنهم كانوا في ضيق عظيم مع عامر وصاحب جازان السيد عز الدين بن أحمد بن دُرَيْب مع أنه كان عند السلطان عامر بأعلى محل وأحسن مكان وله عليه جميل الصنائع والإحسان، فلم يرع حرمة ولا راقب فيه إلاً ولا ذمة، وساعده أيضاً صاحب اللُّحية الفقيه أبو بكر بن مقبول الزَّيْلعي. ووقع قتال عظيم قاتل عبد الملك بن عبد الوهاب قتالاً شديداً، وأنبأ عن شجاعة عظيمة ونفس كريمة، فقتل خلقاً كثيراً من الترك واجتز رؤوس أربعة عشر رجلاً، ومات تحته ثلاثة أفراس، ووقع بينهم عدة حروب، وأصيب عبد الوهاب بن السلطان عامر ببندقة فانكسر عسكر عامر، وكان عليهم عبد الملك أخو عامر وولده عبد الوهاب، فرجعوا به وحُمِل إلى تعز، ومات بها رابع عشر جمادى الآخرة، ودفن إلى جنب الشيخ أحمد بن محمد الجبرتي صاحب المداجر[1]، ومات بعده الشرف الموزعي مستوفي زبيد الذي كان سبباً لهذه القضية ولزوال الدولة الطاهرية بسوء الرأي والتدبير وعداوة الصغير والكبير[2]، ودخل عسكر الأمير حسين زبيد فنهبوها، وبأرض غير أرض أبدلوها، وسفكوا الدماء، وانتهكوا المحارم وفعلوا العظائم، وحصل على أهلها من الفضيحة وهتك الحجاب ما لم يكن لأحد في حساب، وبطلت الجمعة في ذلك اليوم، ودخلها الأمير حسين ونادى للناس بالأمان، فلم يمتثل أحد أمره، وأقاموا ينهبون المدينة ثلاثة أيام، واستولوا على ما فيها من الخبايا والدفائن، وسبوا النساء والأولاد، ثم صادر الأمير حسين تجار زبيد والمتسببين وعذّبهم وجعل في أعناقهم سلاسل وأغلالاً، وأمسك قاضي الشريعة وهو يومئذ شيخ الإسلام صفي الدين

(١) المداجر: حي من مدينة تعز بالغرب الجنوبي منها. وقد وردت في الأصل: «الداجرة». وأمّا العلاّمة الشيخ أحمد بن محمد الجبرتي القُرشي فقد كانت وفاته سنة ٨٦٨هـ (انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية ج ٢، ص ١٤٥٧).
(٢) هو أبو القاسم بن محمد الموزعي، ذكره صاحب «قرة العيون في أخبار اليمن الميمون - ص ٤٥٨» قال: إن السلطان عامر بن عبد الوهاب عيّنه مستوفياً في زبيد، وقلّده أمور الرعية، لكنه مع ذلك سعى إلى غرس بغض السلطان في قلوب الرعايا. وعادى كل إنسان حتى كان سبباً لزوال الدولة الطاهرية.

أحمد بن عمر المُزَجَّد مصنف «العباب»[1]، وأمر بطرح الزنجير في عنقه فاستسلم وصبر، وأحسن الله خلاصه بعد ثلاثة أيام، وتقرب رجلان من أهل مصر كانا نذيري زبيد بالنميمة إلى الأمير، وأرسل مُرَسَّماً للفقيه الصالح شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم جَغْمان[2] إلى بيت الفقيه بن عجيل، فقدم عليه مترسماً وطالبه بمال قيل: إنه عنده وديعة، ولا أصل له. فضربه وحبسه، ومات في الحبس رحمه الله[3] ثم صادر جماعةً نميمة ذينك، كتبا أسماءهم فعُذِّبوا وصُودروا وصبروا، ثم طالب العسكر الأمير بما وعدهم من المال إن أخذوا زبيد، وركبوا عليه فدافعهم بأن له مالاً في البحر، فخرج بسبب ذلك وركب البحر وتحصن، وولّى مملوكاً له يسمى بَرْسْبَاي، وجعل معه عز الدين صاحب جازان.

وتوجه الأمير حسين إلى زيلع فأخذها وتوجه إلى عدن فلم يقدر عليها، ورجع خائباً إلى جدة.

ولما بلغ الملك الظافر عامراً أخذ زبيد وما جرى فيها، وموت ولده وهو بـ (المقرانة) خرج ومعه أخوه عبد الملك وجَغْمان بعسكر، وحصّن البلاد، وقصد زَبيد فخاف المصريون منه، وأرسلوا له رسلاً صُحبة القاضي أحمد بن عمر المزجد يطلبون الصلح، فمال السلطان عامر إلى الصلح، فأشار بعض خواصه بعدمه، وأوقع في خاطره أن ذلك مكيدة فرد الرسل، وأمسك القاضي عنده فالتقى الجَغْمان

---

(١) أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن المُزَجَّد. فقيه، شاعر. ولد بجهة قرية الزيدية، ونشأ بها، وتوفي بزبيد سنة ٩٣٠هـ. من تصانيفه: العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب في الفقه ـ (معجم المؤلفين ج ٢، ص ٣٤. وستأتي له ترجمة في حوادث سنة ٩٣٠هـ).

(٢) وردت في الأصل: «جمعان» ـ تصحيف.

(٣) ذكر القاضي إسماعيل الأكوع تعريفً بالعلامة إسماعيل بن إبراهيم بن جغمان، فأشار أنه عالمٌ محققٌ في الفقه، استدعاه الأميرُ حسينُ الكردي قائدُ القوات المصرية (الجراكسة) في اليمن من بيت الفقيه إلى زبيد بعد أن وضع عليه ترسيماً، وطولب بمال قيل: إنه كان عنده للشريف العفيف ابن سفيان، ولا أصل لذلك، فسأله عن المال فأنكر فأمر بضربه فضُرب بحضرته يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة سنة ٩٢٢هـ وحُمل إلى الحبس. لتوفى ليلة الأحد السابع من الشهر المذكور متأثراً بالضرب ـ (هجر العلم ج ١ ص ٣٨٥).

وقاتل الظافر بنفسه في اليومين، ثم انكسر ورجع إلى محطته، فوجد العسكر المصري قد نهبوا جميع ما فيها، وسار إلى تعز فخرج بَرْسْبَاي ومن معه وصاحب جازان، والتقوا مع السلطان سادس عشر صفر في هذه السنة، فلما تراآى الجمعان أحس عامر بالغدر من بعض جماعته فولّى هارباً من غير قتال. فدخل الترك تعز، وفعلوا بأهلها أعظم مما فعلوا بأهل زبيد، وخرجوا لقتال بني عمّار[1] فلم ينالوا منهم شيئاً بل قتلوا جماعة كثيرين من الترك ومن أشراف جازان، وتوجه بَرْسْبَاي بعسكره لأخذ صنعاء، ولمّا علم السلطان عامر بانهزامه، استخفه الفرح فركب من فوره وسار سيراً حثيثاً، فلما علم به بَرْسْبَاي قصده قبل أن يحط الأحمال، وكان أصحاب عامر منذ ثلاثة أيام يطردون وقد تعبوا وكانت بينهم وقعة عظيمة يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الثاني، استشهد فيها عبد الملك بن الملك المنصور[2]، فأخذ السلطان عامر الذل لمصرع أخيه، فعدل إلى جهة جبل نُعَم[3]، فلاحقه عسكر برسباي فبات بالجبل ثم انحدر منه صبح يوم الجمعة متوجهاً إلى حصن ذي مَرْمر[4] ليتحصن به، فأدركوه في الطريق يمشي وقد عجز عن المسير، فلما تحققوه أخذوا رأسه وأتوا به وبرأس أخيه إلى صنعاء[5]، وأسروا أبا بكر بن

---

(١) في المقتطف: ثم تقدّم نحو بلاد آل عَمّار. ولكنه ـ أي الأمير بَرْسْبَاي ـ قُتِل بها. وعندئذٍ ولّى الجراكسة عليهم واحداً منهم اسمه الإسكندر. تقدم بهم إلى صنعاء (الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن ـ ص ١٤٤). وآل عَمّار هي التي تُسمّى اليوم: عمّار وهو مخلاف واسع من ذي رُعَيْن في الغرب الشمالي من المقرانة وفيه مشائق وعرة وقبائل ذات بأس وشدّة، تقع جنوب مدينة دُمار (هامش قرة العيون ـ ص ٤٦٨).

(٢) عبد الملك بن عبد الوهاب ابن داود. كان قائداً لأخيه عامر وعوناً له في إدارة شؤون البلاد. له مدرستان إحداهما في رداع، والأخرى في المقرانة ـ (الأكوع: هجر العلم ١/ ٣٠٩).

(٣) بيت نُعَم: قرية في أعلا وادي ظَهْر، شمال غرب صنعاء بمسافة نحو ١٢ كيلومتراً.

(٤) وَرَدَت في الأصل: «حصن ومرمر» ـ تصحيف من الناسخ. والمقصود (ذي مرمر) الحصن الشهير في وادي السِّر من بني حشيش، يبعد عن صنعاء شمالاً بشرق بمسافة ١٥ كيلومتراً.

(٥) قُتل عامر بن عبد الوهاب في اليوم التالي لمقتل أخيه عبد الملك. وثمّة رواية أخرى في قتل السلطان عامر بن عبد الوهاب حكاها صاحب «روح الروح» المطبوع بتحقيقنا ـ انظرها.

عامر وعامر بن عبد الملك، فلما رآهم الأمير علي بن محمد البعداني[1] استرجع وطلب الذمة فأعطوه، وفتح لهم صنعاء فلما استقروا قتلوا ونهبوا واستصفوا أموال علي البعداني وكانت لا تحصى كثرة، وصادروا التجار، وقتلوا علي البعداني وساروا متوجهين إلى زبيد، فأتتهم جموع بني حُبَيْش في مضيق[2]، قتلوا برسباي ومن معه وأخذوا الأموال من نقد وجواهر وغيرها، وكانت وقر نحو ثمانية آلاف جمل، واستنقذوا عامر بن عبد الملك، ودخل بقية عسكرهم وعز الدين[3] زبيد منهوبين ومعهم ولد السلطان أبي بكر أسيراً.

وبموت السلطان عامر انقرضت دولة بني طاهر ومدة ولايتهم نحو ثلاث وستين سنة، ثم وُلّي اليمن الجراكسة[4]، واستمروا نحو سنة، وأسف الناس على فقد عامر، ورثاه جماعة كثيرون من العلماء والفضلاء بمراثي كثيرة، وترجمه الحافظ الدَّيْبَع في آخر «كتابه الفضل المزيد في تاريخ زبيد» وفي تاريخه «بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد». وترجمه الحافظ السخاوي في ضوئه وأثنى عليه، وترجمه في «النور السافر» وأثنى عليه.

[سعيد القَرماني]

وفيها [٩٢٣]: توفي الشيخ الفاضل المولى سعيد القرماني. طلب العلم على مشايخ عصره، وصحب المولى علاء الدين علي العربي ثم جلس للتدريس ببلده توقات[5]، ثم وُلّي مدرسة بالقسطنطينية، ثم قضاء العسكر، ثم جُعل مدرساً بإحدى الثمان في أول سلطنة السلطان سليم خان، واستمر كذلك إلى أن مات، ودفن عند دار التعليم التي بناها بقسطنطينية، وكان ذا ذوق وذكاء وسمت وخُلُق حَسَن، وله رسالة في جواب إشكالات الحميدي.

---

(١) وزير السلطان عامر بن عبد الوهاب.

(٢) ذكر الديبع أنهم ساروا إلى زبيد على طريق يخار، وهو جبل عالٍ في يحصب العلو (قرة العيون ـ ص ٤٧٠).

(٣) الشريف عز الدين بن دريب صاحب جيزان.

(٤) عن دولة الجراكسة (المماليك) انظر: اليمن الإنسان والحضارة ص ١٣٢.

(٥) تُوقات: مدينة في شمال تركية ـ المنجد في الأعلام.

[عبد الرحيم العربي]

وفيها [٩٢٣]: توفي سيدي المولى عبد الرحيم بن علاء الدين العربي[1]، اشتهر أبوه بهذا اللقب لفصاحته في العربية. أخذ عن والده والمولى خطيب زاده، ووُلّي تدريس إحدى الثمان، ثم قضاء (القسطنطينية)، ثم أعيد إلى إحدى المدارس الثمان[2]، واستقر كذلك إلى أن مات. وكان عالماً بالعلوم وأصولها وفروعها منقولها ومعقولها، إلا أنه لقوة ذهنه لا يشتغل بالعلم إلا نادراً، وكان حسن المحاورة كثير النادرة، طلق اللسان جري الجنان. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محيي الدين زاده]

وفيها [٩٢٣]: توفي محيي الدين، محمد بن يعقوب[3] المشهور باجة زاده[4].

أخذ عن المولى خطيب زاده وغيره من علماء عصره، ثم وُلّي تدريس مدرسة أرس، ثم ولي القضاء في غير بلد، وكان فاضلاً ذكياً، سليم الطبع مبارك النفس مقبلاً إلى الخيرات، وكان متواضعاً كريماً، ذا أخلاق حميدة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[طومان باي]

وفيها [٩٢٣]: لإحدى عشر خلت من ربيع أول، قُتل سلطان مصر طومان باي الجركسي الأشرفي القايتباي، وهو ابن أخي قانصوه الغوري[5]، وذلك أن بقية الجراكسة بعد قتل قانصوه، اجتمعوا بمصر، وولّوا عليهم طومان باي المذكور ولُقّب بالملك الأشرف كعمه فسار عليهم السلطان سليم، والتقى الجمعان خارج مصر، وقاتل السلطان طومان باي ومن معه قتالاً شديداً، وأظهر طومان باي

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/٢٣٦، وفيه: عبد الرحيم ابن علي الرومي).

(٢) يوردها صاحب «الكواكب»: الثماني. وهي مدارس ثمان كانت بمدينة القسطنطينية.

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٦٧، الكواكب السائرة ١/٧٢).

(٤) وردت في الأصل: المشهور باخي زاده.

(٥) ذكر صاحب كتاب «الأعلام» ج ٣ ص ٢٣٣: أنه كان في البداية دراداراً كبيراً عند قانصوه الغوري ولم يكن ابن أخيه. ثم أنابه عن نفسه لمّا توجّه من مصر، لحرب العثمانيين في حلب، سنة ٩٢٢هـ.

شجاعة قوية عُرف بها وشهد له المصاف، وقُتل من وزراء السلطان سليم: سنان باشا، وتعب السلطان سليم عليه، ولمّا أخذ مصر قال: أي فائدة في مصر بلا يوسف وذلك أن يوسف، يلقب بسنان في عرفهم.

وانهزمت الجراكسة، وهرب طومان باي إلى البر، ونزل على شيخ عربان بني حرام عبد الكريم بن بقر. ودخلت العساكر العثمانية إلى مصر القاهرة، ونهبوا الأموال، وسفكوا الدماء وهتكوا الحريم، وسبوا الذراري، وسالت العيون بالدماء، وكان ذلك في سابق علم الله متقدماً. ثم إن شيخ العرب عبد الدائم بن بقر، سلّم طومان باي إلى السلطان سليم، فحبسه وأراد أن يجعله نائباً عنه بمصر، وصار يحضره ويستخبره، فأرجف في مصر أن طومان باي جمع عسكراً، ولا يقدر أحد على مسكه، ورأى السلطان أن الفتنة لا تسكن إلا بقتله، فأُركِب على بلغة وطيف به في البلد، وصلب على باب زويلة. وبه انقرضت دولة الجراكسة[1] وهو السادس والأربعون من ملوك الترك والعشرون من ملوك الجراكسة فدولة الأمراء مائتان وخمس وسبعون سنة إن كان أولهم المظفر أيبك، وأول ولايته بمصر سنة (٦٤٣هـ) ثلاث وأربعين وستمائة، ودولة الجراكسة مائتان وأربع عشرة سنة إن كان أولهم السلطان بيبرس الجاشنكير، وكانت ولايته في شوال سنة ثمان وسبعمائة، ومائة وثمان وثلاثون سنة إن كان أولهم سيف الدين برقوق وولايته في رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة. والجراكسة جنس من الترك لهم جمال ومزارع وغنم.

ولمّا استقر السلطان سليم في مصر ولّى كمال الدين الطويل قضاء الشافعية ونور الدين علي بن ياسين الطرابلسي قضاء الحنفية، وشرف الدين يحيى بن الدميري قضاء المالكية، وشهاب الدين أحمد بن النجار قضاء الحنابلة، وولّى خير بك على مصر، وولّى جان بردى الغزالي على الشام، كما وعدهما بذلك.

وقَدِم على السلطان سليم السيد الشريف أبو نمي محمد بن ملك الحجاز بركات بن محمد[2]، أرسله والده وعمره يومئذ اثنا عشر سنة فقوبل بالتبجيل

(١) بمقتله دخلت مصر في حكم الدولة العثمانية. وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر و١٤ يوماً.
(٢) محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، أبو نمي: شريف حسني من أمراء مكة.

والإكرام، وأعطاه جميع ما طلبه ورام، وكان معه السيد عرار بن عجل الشمري[1]. وعاد إلى والده معززاً مكرماً، ومعه أحكام بجميع ما طلبه. وأرسل مع السيد عرار أمراً بقتل الأمير حسين وهو الذي استخرجه[2]، لعداوة كانت بينهما، فأُخذ وأرسل مقيداً إلى جدة وغرّقوه في البحر، وكان كردياً دخيلاً في طائفة الجراكسة لا يعتبرونه بينهم، وكان الغوري معتنياً به فأعطاه بندر جدة وجهز معه عمارة لقتال الإفرنج الذين بالهند، فبنى لبندر جدة سوراً وهدم كثيراً من بيوت الناس ظلماً، واستخدم الناس في حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين. يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً، فأمر أن يبنى عليه، فاشترى نفسه بمال كثير.

وكانت له أسمطةٌ ممدودة في سائر الأيام، بذولاً للطعام، سمحاً في المؤاكلة والإطعام، يستوفي الخروف وحده مع عدة أرغفة ونفايس له مُعَدّة، وكان ظلوماً غشوماً يسفك الدماء، ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء. وطوى بساط الجراكسة، وحلل أساسهم، ومزّق وأحرق بنار المظلومين لباسهم، وخرق وطال ما رقص لحم الدهر وصفق. وكانت أرزاق مصر بيدهم وأهل مصر تتلاعب فيما بيدهم من الأرزاق، وكانوا يتخدمون، وكانت الرعية يعيشون معهم بحيث أن أسمطتهم تكفي لسائر جيرانهم، وكان خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس الدجاج والأوز والحمام وسائر النفايس، وكان لذلك سوق يباع فيه ما يفضل من طعامهم.

وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت والمدارس والجوامع والتُّرَب، وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية إلى أن نشأ فيهم الظلم والعدوان، وكثر منهم المصادرات، وعظم منهم المضرات، وغلبت سيئاتهم على الحسنات، وزادت مظالمهم على الخيرات، ودار الظالم خراب ولو بعد حين، والله لا يحب الظالمين والعاقبة للمتقين:

بنو الجراكس لما أن طغوا وبغوا ... على العباد ولم يرعوا بواطنهم
أتاهم ملك الله ظفّره ... فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

(١) أورده صاحب «الأعلام» باسم: عزاز بن عجلان.
(٢) الأمير حسين الكردي. من أمراء الجيش في أيام السلطان قانصوه الغوري.

سنة أربع وعشرين وتسعمائة

[عبد الله الشلّي]

توفي يوم الأربعاء لعشر بقين من شوال: السيد عبد الله بن بكر بن علوي الشيبة[1] باعلوي، أستاذ أهل زمانه وقدوة أهل عصره وأوانه، وهو جد سيدي الوالد، الحائز للمفاخر الخالد منها والتالد، والفائز من العلوم والمعارف بأعلى المراتب، والراقي إلى ذروة أسنى المناقب، المستعد لفيض ذي المواهب.

ولد بمدينة تريم، ونشأ بها، وشملته عناية ربها، ثم اشتغل بتحصيل الفضائل، وصحب العلماء الأماثل، واعتنى بطلب العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية. ومن مشايخه المشهورين: السيد محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، والشيخ محمد بن أحمد بافضل. وأخذ التصوف والحقائق عن العارف بالله تعالى محمد بن علي مولى عيديد، والشيخ عبد الرحمن بن علي، والشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس. ولبس الخرقة من جماعة كثيرين، منهم والده ومشايخه المذكورون. وأجازه مشايخه في التدريس والإلباس، وانتفع به جماعة من الفضلاء، وأماثل النبلاء، وأطال الله تعالى في فنون العلوم باعه، وزكّى بحسن اتّباعه أتباعَهُ، وأشرق أنوار بصيرته، وكريم سريرته.

وكان يُضرب المثل بفراسته وحسن سياسته، وقسم الله له الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، فألزم عبادة الله تعالى، فمنحهُ التملي بأنوار أُنسه، والتحلي بأسرار قدسه، وعمل بما ينفعه بعد حلول رمسه. ثم انعزل عن الناس، وتحصن من الوسواس الخناس، وترك الظهور، وآثر الخمول، وأنشد قول القائل الذي يقول:

أَنِستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... فطاب الأنس لي ونما السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي ... هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزور

وكان قانعاً بالكفاف، متدرعاً بثوب العفاف، متمسكاً بالعروة الوثقى من التقوى، ملازماً من الأعمال ما لا يطيقه أحد ولا يقوى. ولم يزل كذلك إلى أن انقضت أيامه، وقوضت من هذه الدنيا خيامه، ودنا منه حمامه، وانتقل إلى

(١) انظر: (المشرع الروي ٢/١٧٠، شمس الظهيرة ١٥/٣٤٥، المعجم اللطيف ١١٠).

رحمة الله، وحل بساحة مولاه، ودفن بمقبرة تريم المسماة زنبل، رحمه الله عز وجل.

[محمد بن علوي عيديد]

وفيها [٩٢٤]: توفي السيد الجليل ذو المجد الأثيل، الشريف محمد بن علوي ابن العارف بالله تعالى محمد صاحب عيديد[1]. ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وعدة متون وأخذ عن العلامة محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، وعن عبد الرحمن بن علي، وقرأ عليه الأحياء. وكان له فهم عظيم، حتى قال شيخه السيد عبد الرحمن بن علي: استفدت من قراءته فوائد غامضة، وجواب أسئلة مشكلة.

ثم رحل إلى اليمن، ودخل بندر عدن، وأخذ عن جماعة من العلماء، وتفنن في عدة من العلوم. وأخذ بعدن عن الشيخ يحيى بن أحمد رشيد، فحفظ عليه «الإرشاد» وعرضه عليه، وقرأ في شروحه، ولازمه في دروسه كلها، وتزوج بابنته، وولدت له أولاداً، وأجازه في جميع مروياته. وسمع الحديث من جماعة كثيرين، وبرع في الفروع، وناظر غيره فأفحمه.

وكان كريماً لا يقاس إلا بحاتم، ولا يخاف في الحق لومة لائم، وكان يحب الفقراء والمساكين. ويكره أرباب الدولة والسلاطين، وكان سالكاً سبيل المرشدين، مواظباً على سيرة سيد المرسلين، والخلفاء الراشدين. وانتفع به جماعة كثيرون، في عدة فنون.

وكان يحب الخمول ويكره الشهرة[2]، سليم الصدر، حسن الخلق، صبوراً ورعاً زاهداً.

ولم يزل على محاسن الصفات، مترقياً في الكمالات، إلى أن وافاه وقت الممات، وانتقل إلى رحمة الله ببندر عدن، ودفن بقبر ملاصق لقبر شيخه الفقيه يحيى بن أحمد رشيد[3] بالقرب من تربة محيي النفوس أبي بكر بن عبد الله

(١) انظر: (المعجم اللطيف ١٤١، شمس الظهيرة ٢/٥٣٦).

(٢) يحب الخمول: أي يميل إلى العزلة عن الناس رغبةً في عدم الظهور.

(٣) وردت في الأصل: «أحمد بن يحيى» ـ تصحيف من الناسخ.

العيدروس[1] بَرَّد الله مضاجعهم ونَوَّر ضرائحهم ونفعنا بهم.

[يوسف الحريثي]

وفيها [٩٢٤]: توفي المولى الصالح الشيخ: يوسف الحريثي الإمام العابد، المحمدي جامع أشتات الفضائل وحامل راية المجد والفواضل، المشهور بالديانة والخير المعروف بالاجتهاد في السرى والسير، حَسُن وصفه وسمته، وطال عمالاً يعنيه صمته. صحب إمام الزمان محمد بن عنان وتخرّج به، ولازمه في ليله ونهاره؛ ولما انتقل من الشرقية إلىٰ مصر شيخه انتقل معه وأقام في جامع باب البحر حتّىٰ مات شيخه فعمر له ابن الجيعان جامع البشيري ببركة الطلى ونقله إليه، وكان أكثر اشتغاله في تعليم الناس القرآن العظيم؛ وحفظهُ عليه خلائق لا يُحصون. وكان علىٰ قدم عظيم في اتباع السُنّة والعبادة كقيام الليل وصيام النهار، وكان يميل إلىٰ إخفاء العبادة، وأخبر أنه لمّا تزوج بأم ولده أبي العباس مكث عشر سنين يقرأ كل ليلة ختمة قال: وما أظن أنها شعرت بذلك.

وكانت الناس تقصده بالزيارة من سائر البلدان، ويلتمسون بركته ودعاءه، وكان يهضم نفسه ويقول: لو أقمنا الميزان علىٰ أنفسنا ما صح لنا مقام الإسلام فضلاً عن الإيمان فضلاً عن الولاية الخاصة، لأن في البخاري ومسلم مرفوعاً: «المُسلم من سَلِم المسلمون من يده ولسانه». والله لا سَلِم المسلمون من لساني ولا من يدي، وقال لبعض تلامذته في مرض موته: في قلبي غم من عدم معرفتي كيفية تخليل اللحية كما كان رسول الله ﷺ يخلل بحديث صحيح، وقد سألت الحافظ عثمان الديمي والحافظ الجلال السيوطي فما أَشْفَيا غليلي فقالوا: يكفي في ذلك ونحوه العمل بالحديث ولو ضعيفاً، فقال له: يا ولدي من قوي دليله قوي إيمانه وبالعكس، فقالوا له: أنت بخير. فقال: وما خير من انتقل من الدنيا وهو جاهل بكيفية الوضوء علىٰ وجه السُنّة. فانظر يا أخي في محافظته علىٰ السنة وإخباره بأن في قلبه غماً في مثل تخليل اللحية الذي هو مستحب لا واجب. **وله كرامات كثيرة:**

(١) انظر ترجمته في كتاب: «تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١، ص ١٠٥».

منها: أنه أمر تلميذه عبد الباسط بن الشيبة أن يخرج للعيال ما يكفيهم من نفقة، فمكث نحو شهرين يخرج منها ولما حصل الإذن لولده الشيخ أبي العباس من سيدي علي المرصفي بأنه يُلقِّن الذِّكر ويربي المريدين، شق عليه ذلك، وقال: يا ولدي ليس لنا حاجة بهذا الباب، ثم أمر تلميذه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي أن يشير عليه بترك ذلك فإن فتح الطريق في هذا الباب قليل النفع وكهيته للفقير وما معه رأس مال يحمي نفسه لا من أهل الظاهر ولا من أهل الباطن، فأشار الشيخ عبد الوهاب عليه بتركه فقال له: أنا عبد مأمور، وترك بلاد الغربية، فبينما هو في جامع ناحية اصطنها وإذا به قد حصل له غم وضيق حتّىٰ كاد يهلك فقال: ائتوني بوعاء لقاء فيه فيحاود ما حتّىٰ ملأه وما عرف هذا الأمر من أين أتاه، وإذا بفقير نائم في الجامع مغطى بملاءة من عفرة كشف عن وجهه، وقال: لولا أنك غريب لقطعت معاليق قلبك، تدخل بلاد الناس بغير دستور. فقبّل يده واستغفر؛ فلما بلغ والده يوسف قال له: ما قلت لك يا ولدي ما ثم حال يحمي من تظاهر بالطريق. ثم قال: يا ولدي لا أحسد إلاّ من كان خاملاً في الناس وهو علىٰ سُنّة حتّىٰ يأتيه أجله. ولم يزل بجامع البسيزي إلىٰ أن مات ودفن به وعمره نحو تسعين سنة، رحمه الله ونفعنا به.

[علي الدميري]

وفيها [٩٢٤]: توفي الصالح الولي الشيخ علي الدميري المجذوب[1]. كان من الأولياء الصالحين، كان مقيماً في دكان العجمي الذي يعمل الرقاق جالساً فيه ليلاً ونهاراً واستمر مدة ثلاثين سنة علىٰ ذلك؛ وكان لا يتكلم إلا نادراً بكلمات خفيفة مكشوف الرأس ملفوفاً في بردة، وكل من يراه يعتقد أنه أعجمي، وكان لا يدخل الخلاء[إلاّ] في كل ثلاثة أشهر مرة واحدة لقلة ما يأكله. ولا يقبل من أحد شيئاً، واستمر إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، ودفن في المسجد المقابل لباب ابن خاص بيك بمصر المحروسة، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٨٣).

[محمد المجذوب المصري]

وفيها [٩٢٤]: توفي الشيخ الصالح سيدي محمد قرقور المجذوب المصري، كان يحلق لحيته، ويلبس الثوب الأبيض النظيف، وكان بدنه نظيفاً، وله كلام ظريف لطيف، وكان يحمل الليمون في عبه ويبيع كل واحدة بفلس وكل من أكل من ليمونه وبه مرض عوفي منه لوقته. وكان له أخ يبيع الفجل على باب جامع الأزهر وكل من أكل من فجله ورقة وبه علة عوفي منها كائنة ما كانت. وحكى أن علقة نشبت في حلق شخص فكبرت حتى سدت حلقه. فقال له الشيخ علي الخوّاص: اذهب إلى عند الشيخ الذي يبيع الفجل على باب الأزهر. وخذ منه ورقة وكلها تقع العلقة ففعل فوقعت لوقتها ببركته نفعنا الله بهم.

[نصّوح الطوسوي]

وفيها [٩٢٤]: توفي الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ نصوح الطوسي[1]، حفظ القرآن العظيم وغيره، واشتغل بطلب العلوم على علماء عصره، وصحبه العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين القرماني، ولازمه حتى بلغ رتبة الإرشاد، وقعد على سجادته في زاوية بعد وفاة الشيخ صفي الدين، وانتفع به جماعة رحمه الله وإيانا.

[خضر بيك]

وفيها [٩٢٤]: توفي الشيخ الإمام خضر بيك ابن أحمد باشا بن خضر بيك[2]. أحد العلماء العاملين والأولياء الصالحين. تربى بأبيه وأخذ عنه العلم الظاهر، وولي مدرسة السلطان مراد بـ (بروسا)، وقصده الطلبة، وانتفع به كثيرون ثم صار إلى طريقة التصوف فصحب الشيخ السيد أحمد البخاري وهذبه.

وكان مراعياً للشريعة حافظاً لآداب الطريقة، ورعاً تقياً، كريماً سخياً، متواضعاً أديباً، ذو وفاء وهيبة وسكينة. رحمه الله تعالى وإيانا.

---

(١) وردت: «الطوسوي». والتصحيح من «الكواكب السائرة ـ ج ١ ص ٣١١».
(٢) انظر: (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/ ١٨٨).

سنة خمس وعشرين وتسعمائة

[بركات المجذوب]

توفي الشيخ الكبير سيدي بركات المجذوب المصري[1]، كان من الأولياء الصالحين، وكان يستر حاله على الناس، فكان يقيم في الأخلية وأكثر إقامته في ميضأة الكاملية وميضأة الحجازية. وصحبه جماعة، وانتفعوا بصحبته، وله كرامات كثيرة ويظهر الناس أشياء على خلاف حقائقها فربما رآه بعض الناس يتعاطى ما يُحرَّم تعاطيه، وهو في الحقيقة لا يُحرَّم. رآه رجل يأكل حشيشة فسلَّ عليه سيفاً، وقال تأكل الحشيشة وأنت شيخ كبير، فقال: ما هو حشيشة وأعطاه منه شيئاً فوجده نوعاً من الحلاوة، ولم يزل بمصر حتى توفي بها رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[النبهاني]

وفيها [٩٢٥]: توفي الفاضل الشهير نبهاني[2]، اشتهر بهذا اللقب ولم يُعرف له اسم، وكان عتيقاً لبعض الأكابر، وقرأ في صغره في مبادىء العلوم ثم صحب الشيخ محمد بن الحاج حسن فأخذ عنه عدة علوم ثم وُلّي عدة مدارس في كثير من البلدان، ثم سافر إلى الحجاز، وحج وحصل له مرض بعد الحج وأسف على ما مضى من عمره والمناصب وعاهد الله تعالى أنه إن صح من مرضه لا يتولى منصباً ولا تدريساً، فمات في مرضه ذلك بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة، وكان له مشاركة في كثير من العلوم وأكثر معلوماته الأصول والتفسير والعربية، وله نظم ونثر حسن بالعربية والفارسية والتركية. رحمه الله تعالى.

[محمد البازلي]

وفيها [٩٢٥]: توفي الشيخ محمد بن داود[3] الشيخ الإمام مفتي الأنام شمس

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٦٧).
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٨٠، الكواكب السائرة ١/ ٣١٢. وفيهما ورد لقبه: نبهاني ابن عبد الله).
(٣) انظر: (الأعلام للزركلي ٦/ ١٢٠، الضوء اللامع ٧/ ٢٤٠، شذرات الذهب ٨/ ١٧٨، الكواكب السائرة ١/ ٤٧، معجم المؤلفين ٩/ ٢٩٧).

الدِّين أبو عبد الله البازل[1] الكردي، ثم الحموي الشافعي. وُلد في يوم الجمعة سنة (٨٤٥هـ) ـ خمس وأربعين وثمانمائة ـ في جزيرة ابن عمر[2]، ونشأ بها وانتقل إلىٰ (أذربيجان) فحفظ كثيراً من الكتب منها «الحاوي الصغير»، و«عقائد النسفي» و«تصريف العزي»، و«عروض الأندلسي»، و«الشمسية» في المنطق، و«الكافية» في النحو لابن الحاجب، وأخذ المعقولات عن منلا ظهير ومنلا محمد القنجفاني[3] والمولى عثمان الباوي[4] والمنقولات عن والده ونجم الدين الأشلوبي[5]. وقَدِم (الشام) سنة (٨٧٠هـ) ـ سبعين وثمانمائة ـ وحج سنة خمس وسبعين، وعاد إلىٰ (حماة) فقطنها ولازم التدريس وصوم الدهر وكثرة العبادة مع الزهد والتقشف.

وألَّف عدة مؤلفات، منها: حاشية شرح جمع الجوامع للمحلي، وكتاب أسماء الرجال سمّاه: غاية المرام في رجال البخاري إلىٰ سيد الأنام، وكتاب: مقدمة العاجل لذخيرة الآجل، وله أجوبة شافية عن إشكالات وردت عليه وأسئلة. وتوفي بحماة، رحمه الله.

[عبد القادر الأدفوي]

وفيها [٩٢٥]: توفي الشيخ عبد القادر بن مهلب بن جعفر الأدفوي. كان صوفياً كاملاً، فقيهاً شافعياً، جواداً ذكياً، حسن الفهم والحفظ. وكان فلسفي التصوف، حفظ كتاب «زجر النفوس» وكتاب «النفاحة» المنسوب لارسطو وغير ذلك، وكان حسن العقيدة معتقداً وجوب الأركان الإسلامية ومؤمناً بالنبي ﷺ، معظماً له ظاهراً وباطناً، لكنه يرىٰ سقوط الأركان عمّن حصل له معرفة تامة بالأدلة التي يعتقدها. ومع ذلك كان مواظباً علىٰ العبادات وأنواع القربات ويقول: التكاليف الشرعية تقتضي زيادة الحبور وإن حصلت المعرفة.

---

(١) وردت في الأصل: أبو عبد الباذل.

(٢) وردت: في حريره ابن عمر.

(٣) وردت: القنحفافي.

(٤) في الأصل غير منقوطة.

(٥) وردت: «الأمثلوبي».

وكان زاهداً في الدنيا راغباً في أمور الآخرة، وله خوارق كثيرة، وكان إذا تعسر عليه قفل باب فَتَهم فَيُفتح، وإذا أراد حضور امرأة همهم بشفتيه لحظة فتحضر، فيُسأل عن ذلك، فيقول: حصل لي قلق عظيم فلم يمكنها الإقامة وحدي. ولم يزل سالكاً لهذه الأمور إلىٰ أن صار إلىٰ ساحة القبور، ووصل إلىٰ من يَعْلم خائنة الأعيُن وما تُخفي الصدور.

سنة ست وعشرين وتسعمائة

[حمزة بن عبد الله الناشري]

في يوم الخميس لاحدى عشر خلت من ذي القعدة، توفي الشيخ الإمام علم العلماء الأعلام حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري[1]. العالم العمل، الفقيه الفاضل، البارع الأديب، والعاقل الأديب. كان مولده ثلاثة عشرة خلت من شوال سنة (٨٣٣هـ) ـ ثلاث وثلاثين وثمانمائة ـ وأخذ الفقه والحديث عن العلامة قاضي القضاة الطيب الناشري مصنف «إيضاح الفتاوىٰ» وعن ولده قاضي القضاة عبد الله، والعلامة محمد بن أحمد حميش وغيرهم، وعني بالفقه والحديث، وبرع في العلوم العربية، والفنون الأدبية[2].

وكان عالي الهمة، عالماً بالأمور المهمة، معتنياً بما فيه صلاح الأمة، شريف النفس متواضعاً، زاهداً ورعاً، حسن الخلق. وأجازه غير واحد في الإفتاء والتدريس، وانتفع به جماعة من الفضلاء، وكان مبارك التدريس، وأفتىٰ وصنّف، ومصنّفاته حسنة مفيدة جداً، منها: الأربعون التهليلية، ومسالك التحبير في مسائل التكبير[3] وانتهاز الفرص في الصيد والقنص[4]، وكتاب البيان العظيم الشأن

---

(١) انظر: (النور السافر ١٢٠، البدر الطالع ١/ ٢٣٨، الضوء اللامع ٣/ ١٦٤، روح الروح، هجر العلم ٤/ ٢١٨٤، خلاصة الخير ٥٠٤، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٣١ و٣٦٩ و٤٧٧ و٥٥٩، شذرات الذهب ٨/ ١٨٣، معجم المؤلفين ٤/ ٧٩).

(٢) «والفنون الأدبية» زيادة من: «خلاصة الخبر».

(٣) اختصره في كتاب سمّاه: التحبير في التكبير.

(٤) طُبع بتحقيق الأستاذ عبد الله الحبشي.

المُسمّى حدائق الرياض وغوص الفياض[1]، وعجائب الغرائب وغرائب العجائب، ومن مؤلفاته: مجموع حسن مفيد في الفقه يُسمّى «مجموع حمزة» جمعه من فتاوى علماء اليمن وغالبه من فتيا أهل زبيد[2]، وله غير ذلك من المؤلفات المفيدة[3].

وله نظم حسن متداول عند أهل اليمن ومنه قصيدة التي جمع فيها منافع البن وهي:

كُلِ البُنَّ لا تعدل بِبُنّك تُنْبُلاً   لتعلو به بين الانام وتُنْبُلاً
ولا تعدلَنْ بالبن في النقل فستقاً   ولا بندقاً كَـلاً ولوزاً وفنفلا
فإن لأكل البن عندي منافعاً   رواها ثقات عن ثقات على الوِلاَ
فواظب عليه لا تخف شر بؤسه   فما فيه داء قد علمناه تمثّلا
وخذه دواءً في أمور عظيمة   تحل بجسم المرء لا تَكُ مهملا
وها هو حار يابس ثم بردُهُ   من الدرجات الكل في آخر الأُولى
بثالثة خذ يبسه ثم إنه   يكون به قبض لمن قد تأمّلا
وفيه زوال الهم والغم والكرى   ويُذهِب فكراً في العواقب مقبلا
ويشرح نفس المرء في كل حالة   بتفريحه حتّى يرى حزنه انجلى
وفيه بساط معقب أريحية   تُعين على الأعمال إن هو أُفضِلا
ويُذهِب أوصاب العظام بأسرها   ويبرئ عنك البلغم المتأصّلا
ويشفي سعالاً بلغمياً معتّقاً   ويدفعه حتّى الغليظَ المثقَّلا
ويقطع ماءً سائلاً كل ليلة   من الفم حين النوم بل يُسخِن الكِلى
وفي أكله دفءٌ مِن البرد فاعتمد   عليه لدفع البرد عن أن تُزَمَّلا
ويُصلح باءة قد تعطّل أمرُها   إذا أكثر العنين منه فأجزلا
ومهما ابتُليتم بالرطوبة إنه   لإفراط ترطيبٍ يكون مقلِّلا
ويقطع داء البطن إن كان أكله   ذريعاً فبالتحميم كُلْهُ لتقبلا

(1) وَرَدَ في الأصل «حدائق الرياض وغوصة المغتاض». والأصح ما أثبتناه. وهو في علم النبات والزراعة.

(2) منه قطعة بالأمبروزيانا ١٧٠، وهو غير كتابه الموسوم: المقالات السنية في الفتاوى الفقهية الموجود في جامع الغربية بصنعاء تحت رقم ٣٨٤ فقه.

(3) له أيضاً مما لم يذكره هنا: البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر، وألفية في غريب القرآن، والنعمة المشكورة في المسائل المنثورة، والسلسل الجاري في وصف الجواري.

ومن غشيان القلب كن أنت آكلاً   له ويُشهّي متخماً قد تعلّلا
ويهضم مأكولاً ثقيلاً ومخبثاً   ويُحدِره أيضاً سريعاً معجّلا
ويُذهِب ريح الثوم من فم آكلٍ   وكل كريه الريح كالخمر والطِّلا
ويجلو فماً أيضاً بتطييب نكهة   يزيل عن الثغر النكوهة والعَلا
ومهما شممت البن من فم غادة   يشوّقك منه ريحه أن تُقبّلا
ويقطع باسُور المقاعد أكلُه   كذا يقمع الصفراء قمعاً محللا
فكُلْه لصفراء الغداة ولم أرد   طبيعته إذ تلك بالحر تُصطَلى
وإن سد شيء منه بالماء إن غلى   به وجع العينين جاء معجلا
كذا قاله أبو اللطف مشرعا   بتأليفه في الطب جرّب فانجلى
ومهما أكلت البن في بكرةٍ   على الريق فاشرب بعده الماء منهلا
لأن بهذا الشرب قد صرت ظافراً   وأن لا يقول البن ظفرت أوّلا
كذا قاله الشُّرْجِيُّ زينُ الهدى لنا   جرى في حديث منه في البن فَضْلا
فتلك خواص البن ما قد خصصتها   وآدابه وافتك كالدر تُجتلى

[حسين الرُّومي]

وفيها [٩٢٦]: توفي حسام الدين، حسين بن عبد الرحمٰن الرومي[1]. أحد العلماء العاملين، والفضلاء الكاملين. أخذ عن المولى الفاضل أفضل زاده والمولى عبد الرحمٰن المؤيد والمولى الفاضل خواجه زاده، ثم وُلّي عدة مدارس بمدينة (بروسّا) وغيرها، ثم قضاء (أدرنة) ثم قضاء (بروسا)، وكان مواظباً على العلم وانتفع به كثيرون. وله مؤلفات، منها: حواشي على شرح التجريد، وكلمات تتعلق بشرح الوقاية لصدر الشريعة، ورسالة في جواز استخلاف الخطيب، ورسالة في جواز الذكر الجهري، وغير ذلك.

وكان حسن التقرير متين التحرير، حسن السمت، كثير الصمت، ذا فصاحة وملاحة ووقار، كثير العبادة بالليل والنهار. رحمه الله وإيانا.

(1) انظر: (الكواكب السائرة ١/١٨٦، معجم المؤلفين ٤/١٥، شذرات الذهب ٨/ ١٣٧ـ وأورده صاحب «الشذرات» ضمن وفيات سنة ٩٢٠هـ وكذلك فعل مؤلف «الكواكب»).

[محمد الفناري]

وفيها [٩٢٦]: في غرة ربيع أول، توفي زين الدين، محمد بن محمد شاه الفناري. أخذ عن ابن علاء الدين الفناري[1]، ثم صحب المولى ابن المقرب، ثم وُلّي قضاء بلدة تيرة ثم قضاء دمشق ثم قضاء حلب وتوفي وهو قاضي بها. وكانت سيرته بدمشق أحسن منه بحلب حتىٰ قال فيه الشيخ رضي الدين العامري أحد السادة الأروام لما أقاموا الشرع والحدود ديناً: وإن تسأل عن العباد منهم فقاضي الشام زين العابدين. ومن هفواته لمّا كان بـ (حَلَب) أنه مَنَع أن يُعقد عقد نكاح حتىٰ يستأذنوه ليأخذ علىٰ ذلك رسماً، فعقد بدر الدين بن المستوفي عقداً من غير استئذانه فحبسه فمات في الحبس قهراً ثم مات صاحب الترجمة بعده بمدة يسيرة. وكان عالماً فاضلاً ذكياً، صاحب فهم وقاد وذهن نقّاد، قوي الجنان، طَلْق اللسان، ذا مروءة تامة وفتوة كاملة، محباً للفقراء والعلماء، محمود الطريقة. رحمه الله وإيانا.

[الطيب الشيبي]

وفيها [٩٢٦]: توفي الشيخ محمد المعروف بالطيب بن عمر بن محمد بن علي الشيبي فاتح بيت الله العتيق. كان من الفضلاء والعقلاء، كثير التواضع والأدب لبيت الله، مشفقاً علىٰ الضعفاء، محباً للفقراء، كريماً سخياً. ولد سنة (٨٤٥هـ) ـ خمس وأربعين وثمانمائة ـ وتولى السدانة بعد أخيه محمد سنة (٩١٥هـ) ـ خمس عشرة وتسعمائة ـ واستمر كذلك إلىٰ أن توفي في جمادى ثانية بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أحمد الصّفدي]

وفيها [٩٢٦]: توفي أحمد بن بترس الصفدي[2]. العارف [بالله تعالىٰ][3]

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٨٧ـ وذكر محقق الكتاب: الشقائق النعمانية ص ٢٣٨).

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٣٢، شذرات الذهب ٨/ ١٨١، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٢٥).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من «الكواكب السائرة».

المكاشف بأسرار غيب الله، كان ظاهر الأحوال بـ (صَفَد) مسموع الكلمة عند حكامها، والناس يترددون عليه. فيشفع لهم ويقضي حوائجهم ويكرمهم، وإذا أراد أن يتكلم بكشف يطرق رأسه ثم يرفعه وعيناه كالجمرتين تلهب ثم يتكلم بالمغيبات.

وكان في بدايته ذا رياضة ومجاهدة، وكان له تخل[1] كثير، وكان قبل أن يطرقه الحال يمضي إلىٰ النخل ويجنيه ولا يأكل منه شيئاً ولا يلعق يده.

[سليم خان ابن عثمان]

وفيها [٩٢٦]: ليلة السبت لسبع مضين من شوال، توفي السلطان سليم خان بن أبي يزيد[2]، وكانت ولادته في (أماسية) سنة (٨٧٢هـ) ـ ثنتين وسبعين وثمانمائة ـ وجلس علي تخت السلطنة سنة (٩١٨هـ) ـ ثماني عشرة وتسعمائة ـ وعمره يومئذ ست وأربعون سنة.

وكان سلطاناً قهاراً ملكاً جباراً كثير السفك عظيم الفتك، ومن ثم لم تطل مدته وهذه عادة الله في ولاة الأمور. وكان كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه إلىٰ أهل النجدة والبأس، متعمقاً في التجسس عن أخبار الممالك، عارفاً بمسالك الطُرق والمسالك، بحيث كان يغير لباسه ويتجسس في الليل والنهار، ليتطلع علىٰ الأخبار ويستكشف علىٰ الأسرار، وله جماعة يدورون تحت القلعة وفي الأسواق والمحافل يأتون إليه بالأخبار.

وكان كثير المطالعة للتواريخ، متفرساً في اللغة الفارسية والرومية، وله فيها نظم فائق وشعر رائق، وكان عارفاً باللغة العربية ومن شعره العربي هذان البيتان:

المُلك لله من يزعم بأن له ... شيئاً مع الله فهو الحائز الدركا[3]

لو كان لي أو لغيري قَدْر أنملةٍ ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

ولمّا استولى علىٰ السلطنة جهّز لقتال أخيه أحمد حتىٰ ظفر به وخنقه،

---

(١) في «الكواكب السائرة»: له نحل.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٨٤، الكواكب السائرة ١/ ٢٠٨).

(٣) أورده صاحب «الكواكب السائرة» بالصيغة التالية:

المُلك لله من يظفر بنيل غنىً ... يسلبه قسراً ومن ذا يضمن الدركا

وكذلك فعل بمحمد بن شاهنشاه وعثمان بن عالم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود، وسبعة من أولادهم كلهم رُضّع في المهد خنقهم في ليلة واحدة، ويحكى أن لوالده السلطان بايزيد مُنَجِّماً، قال له إن هلاكه يكون على يد ولد يولد له، فطلب السلطان امرأة يعتمد عليها أمَّرها عرى حرمه وكانت من الصالحات، وقال: إن وَلَدت إحدى موطوآتي بابنٍ فاقتليه، وأكد عليه في ذلك، ثم وُلِد سليم فقالت لمن حولها: هذه بنت، وأُخبروا بايزيد بذلك، واستمر إلى أن كبر وظهر عليه سيما الغلبة والقهر، فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد، واحضرهن عنده وأعطاهن من أنواع الحلوى والفواكه والحلي، فشرع سليم في جرامته، وخطف ما معهن وهن خائفات منه، فتعجّب السلطان وكشف عنه فسأل المرأة عنه، فقالت: خفت الله وخلّصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم لا ذنب له، ففكر طويلاً ثم قال: ما قدّر ما لله فهو كائن. وأمر بالكف عنه وتربيته.

وكان كثير المحبة لأهل الحرمين وهو أول من أرسل لهم صدقة الحَبّ من بني عثمان، ومدحه العلماء والفضلاء بمدائح طنانة، ومنهم قاضي المسلمين محمد شمس الدين بن عبد الله الزبيري فقال:

تنفس الدهر عن عدلٍ وإحسان ... وعن أمان وتصديقٍ وإيمانِ
والعدل أقبل منصوراً عساكرهُ ... والجور أدبر مكسوراً بخسرانِ
فقلت: هل سر هذا العدل حلّ بكم ... قالوا: نعم وهو فينا خير سلطان
سليم شاه إمامٌ عادلٌ ولَـهُ ... عِلْمٌ يُزيِّنُهُ تحقيق عرفان
وخصّهُ بالنصر العزيز ومَن ... عداه خُصّوا بتدميرٍ وخذلان
من بيت مُلْكٍ عظيم وهو قد خَضَعت ... له السلاطين من إنسٍ ومن جان
والعقل والرأي والتدبير حليته ... فهو الرشيد وقد فاق ابن مروان
ذو سطوة لو رأتها الأسد لانهزمت ... وعزمه حين يبدو ما له ثاني
فيا مليك لو رقى شرفاً لك الـ ... ـمُلْك المُخلّد عن كشف وبرهان
إذ أنت بَرٌّ رحيمٌ راحم الضعفاء ... ومسعف الفقر من كل فقدان(1)

---

(1) خاتمة القصيدة غامضة في النسختين المتوفرتين عندي.

سنة سبع وعشرين وسبعمائة

[محمد الشربيني]

ثامن صفر، توفي الشيخ العارف بالله تعالى، سيدي: محمد الشربيني المصري. كان من أرباب الأحوال العظام، وأصحاب الخطوة وأهل الاختصاص والصفوة لم يلحقه أحد في زمانه ذلك، ولا سلك طريقه سالك. وله كرامات كثيرة ومجاهدات ومكاشفات، وكان لا ينام في الليل فيجلس مع خواص أصحابه، يتحدثون في الطريق ومقاماتها، وأحوال الفقراء المقيمين في أقطار الأرض إلى الفجر، ثم يدخل الخلوة ويغلقها، فلا يتجرأ أحد يتكلم. وربما مكث أربعين يوماً لا يخرج، وكانت خلوته كلها ثعابين وحيّات يدخلون تحت ثيابه ويخرجون. ورأى ولده أحمد حيّةً لها رأسان خارجة من قفاه، فقال: اسعيها فوجدها غُلْظ يديه، فوضع لها خبزاً، وقال: إلى الآن ما تغدت. قال سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: أخبرني بعض السياحين، أن له ذرية بأرض المغرب من بنت سلطان مراكش، وذريةً بالعجم وذرية في الهند، وذريةً في تكرور. فكان في ساعةً يطوف على عياله في هذه البلدان، ويقضي حوائجهم وكل أهل بلد يقول: إنه مقيم عندنا ليلاً ونهاراً. ولمّا خطب بنت سلطان مراكش وعليه مُرَقَّعةٌ، استعظم الناس ذلك، وقبِل السلطان وذهب به إلى بنته وأراه إياها، وقال: أعجبتك؟ قال: نعم. فقال: أعطنا المهر عشر جواهر كل جوهرة بألف دينار، فقال: أمهلني إلى العصر، فأتاه العصر بجراب فيه ثلاثون جوهرة، فأراد السلطان أن يغير ثيابه، فقال: إن رضيت بمرقعتي وإلا غيرتها بما يناسبها، فاختارت دخوله بالمرقعة، فحملت بولده إبراهيم. وأخبر بعض السياحين أن له زاوية عظيمة، وقبة عالية في هلالها جوهرة يراها المسافر في الليل من نحو ميل، وفقراء مقيمون وبيتر مُرصّع بالفصوص والمعادن على القبر مكتوب عليه: هذا ضريح محمد الشربيني المصري، ويُذبح في الزاوية كل يوم عشرة رؤوس من الغنم، ويعمل سماط عظيم، قال ولده أحمد: تركت والدي بـ (شِرْبين) وسافرت الحجاز فوجدت والدي بمكة والفقراء يخطون عليه ويضربونه وهو ساكت فأشار إليّ أن أسكت حتى فرغوا، فقال: يا أحمد مرّخ لي رقبتي فإني أحس بها ورمَى. ثم عقد والدي مجلساً، واتفق أصحاب الحديث

أن من جلس والخطيب يخطب ولم يحتج للخروج من الحرم فهو شيخ مكة، فجلس الفقير الذي تحزب على والدي والخطيب يخطب فرأى نفسه قد احتلم، فخرج ليغتسل، فقال فقراء البلد للشربيني. ووقع له مع خطيب مكة أنه أنكر عليه فأحدث حال الخطبة أو تذكر أنه محدث فمدّ يده للخطيب فوجد كُمّ الشيخ كالزقاق فدخله فوجد ماء، تطهر ورجع فاعتقده.

قال ولده أحمد: وجدت جراباً في طريق الحجاز فيه ذهب كثير فحملته ولم أفتحه إلى أن وصلت بلدي؛ فأرسل والدي إلى تاجر وقال له: كيف تخرج للفقراء عن ألف وترجع فيها؟ فقال: يا سيدي وقع مني مالي كله في طريق الحجاز، فقال: إن رجع لك تعطينا منه ألفاً؟ فقال: نعم. فقال: يا أحمد هات الجراب، فأخرجته فقال: هذا جرابي وفيه عشرة آلاف ذهب معدودة فعدوها فوجدوها كذلك، فأعطى الشيخ ألفاً منها وأخذ الباقي.

وأخبر ولده، أنه لما حج نام في الطريق من أول الليل إلى آخره، فما قام إلا وبينه وبين الحجاج مرحلة، فبينما هو حائراً وإذا بوالده تحت شجرة يقول له: يا أحمد هذه نومة طويلة، ثم أخرج له لحماً مشوياً ورقاقاً، وقال: تسلم عليك والدتك وذبحنا الخروف المسمن وقالت: ما يطيب خاطري إلا إن أكل ولدي منه؛ ثم أخرج له صُرّة وقال: أنفق هذه، ثم قال: اركب وغمض عينيك ثلاثين خطوة ثم افتحهما ففعل فإذا هو بالحجاج نازلين.

وتنازع اثنان عنده في حريزة فقال لهما: اقسماها نصفين فلم يرضيا فقال: أنا أنقلها من تلك الأرض ومد يده فلم يجدا لها أثراً.

وحُكي أن جماعة من الفقراء أنكروا عليه عدم صلاته الجمعة في شربين، وقالوا له: الجمعة فرض عين؛ فمن جحدها كفر. فقال لولده أحمد: تصلي عندهم الجمعة فبينما هو خارج للجامع، إذ قال: يا أحمد خذ هذه الخمسة الدنانير، وغمّض عينيك ولا تفتحهما حتى أقول لك. فمشى خطوات وقال: افتح عينيك، فإذا هم بمكة؛ فطافا وشربا من زمزم وصليا الجمعة، ثم غاب الشيخ وبقي ولده حائراً بمكة ثم رأى مبتلى والدود يتناثر من بدنه، فقال: اخرج لي الخمسة الدنانير التي في فمك وأنا أوصلك إلى أبيك هذا الوقت، فأعطاه إياها،

فقال: غمض عينك فدفعه فإذا هو بدارهم بشربين. فقال له أبوه: إياك أن تخبر فقيهك، فيشتد إنكاره ويضربك، فقال له الفقيه: كيف تترك الجمعة أنت وأبوك، فسكت فضربه وهو ساكت، وقال: لا شك أن والدك مرتد؛ وقال ولده: مرضت حتى أشرفت على الموت وعاينت عزرائيل، وذلك منذ ثلاثين سنة.

وكان له عصاً يقول لها: كوني صورة إنسان من الشجعان فتطور في الحال إنساناً، ويرسلها تقضي حوائجه، ثم تعود عصا على حالها، وكان يقول لأصحابه: يموت شخص من عباد الله تعالى في ثامن صفر سنة سبع وعشرين وتسعمائة فكل من أخذ من ماء غسله شيئاً ووضعه عنده في قنينة، ومسّ منه الأبرص أو الأجذم أو الأعمى أو غير ذلك من الأمراض عوفي من مرضه، وما عرفوا أنه يعني نفسه إلا يوم مات، فلم تقع من ماء غسله نقطة في الأرض.

ودُفن بزاويته بـ(شِرْبين) بمصر المحروسة رحمه الله ونفعنا به. وكان الغوري وأمراؤه يعتقدونه اعتقاداً زائداً، وكان إذا لم يقبل أحد شفاعته نفخه حتى يكاد بطنه يتمزق فيصيح ويقول: اقضو حاجة الشيخ، وأخبر بدخول ابن عثمان إلى مصر قبل دخوله بسنتين، وكان يقول: إياكم تحلقوا اللّحى فيضحك الناس منه لشدة تمكين الجراكسة، وسبب اعتقاد الأمير الكبير قرقاش فيه. أنه جلس في برج استام حتى أكله القمل والبق فقال يوماً: يا شربيني أنا فقيرك، فمد الشيخ يده فأخرجه من طاقة عالية فما شعر إلا وهو في مصر، وقد طيب الشيخ خاطر السلطان عليه، فبنى له الزاوية، وكان إذا أتى للمعدية يقول: أنا فقير؛ عديتا لله تعالى؛ فقال له المعدي يوماً نزقتنا بحمارتك فقال هالله وطأطأ الإبريق، فأخذ ماء البحر كله، ووقفت المعدية على الأرض، فبهتوا وتابوا واستغفروا فصب الإبريق فرجع الماء كما كان.

وكان لا يشتري شيرجاً للطعام؛ إنما يقول للنقيب: املأ الإبريق من البحر فيملأه فيجده شيرجاً، وتارة عسلاً وتارة لبناً، وكان يقول: اللهم اجعلنا ممن زهدت فيه الدنيا ولا تجعلنا ممن زهد هو في الدنيا، إلا إن سلمتنا يا رب من العلل. قال الشيخ محمد بن أبي الحمائل السروي: هرب مني فقير إلى الشربيني، ثم جاء فقلت: أين كنت؟ فقال: عند الشربيني، فقلت: لأضربنك حتى يجيء الشربيني على صياحك فعلّقته للضرب فإذا بالشربيني واقف على رأسه وقال شفاعة

فتركته واختفى. ووقائعه كثيرة وأحواله شهيرة بين أقرانه وأصحابه. رضي الله عنه ونفعنا به.

[المُسْتَمسِك بالله]

وفيها [٩٢٧]: لعشر بقين من ربيع ثاني، توفي الخليفة المستمسك بالله يعقوب بن المتوكل على الله أبي العز العباسي المصري[1]. كان والده عهد إليه بالخلافة كما مر ولُقِّب بالمستمسك بالله، واستمر إلى أن كبر سنه وكف بصره، ودخلت الدولة العثمانية مصر، والسلطان سليم القاهرة، وقهرَها، وأزال عنها المظالم وعمرها واجتمع بالسلطان سليم وأقره واستمر إلى أن توفي بمصر، فولّي بعده ولده أبو عبد الله محمد بن يعقوب. ولُقّب بالمتوكل على الله.

[نور الدين المراسوني]

وفيها [٩٢٧]: توفي المولى نور الدين الحراسوني الشهير بالديار الرومية، أخذ عن علماء عصره منهم المولى خطيب زاده، والمولى خواجه زاده ثم صحب المولى الفاضل سنان باشا ولم يفارقه حتى نفي من البلد، ولمّا عاد سنان باشا إلى تدريس الحديث بـ (أدرنه) صار المولى المذكور معيد المدْرسَه، ثم وُلّي تدريس مدرسة السلطان بايزيد. ولم يزل يتنقل من مدرسة إلى مدرسة إلى أن صار مدرساً بإحدى المدارس الثمان، ثم عُيّن له كل يوم ثمانون درهماً بطريق التقاعد ثم وُلّي قضاء (القسطنطينية)، ثم قضاء العسكر واستمر إلى أن مات. وكان فقيهاً قوالاً بالحق صاحب صولة وهيبة، وكان سيفاً من سيوف الله على الجبابرة والفساق، مواظباً على الطاعات والجمعة والجماعات، صنف رسالة متضمنة للأجوبة عن إشكالات المولى الحميدي، وكتاباً في الفقه ذكر فيه مختارات المسائل سمّاه «المرتضى». ولم يزل قاضياً بالقسطنطينية إلى أن خرمته المنية، ودفن عند مسجده بها. رحمه الله تعالى وإيانا.

[علاء الدين الأماسي]

وفيها [٩٢٧]: توفي المولى علاء الدين علي الأماسي، الإمام الفاضل العالم

(١) انظر: (الأعلام للزركلي ٨/ ٢٠٠).

العامل. أصله من نواحي (أماسية) من قصبة يقال لها (حورم)، وكان إماماً للسلطان بايزيد لمّا كان أميراً على (أماسية) ثم وُلّي مدرسة كومر، ولمّا ولي بايزيد السلطنة العظمى، أعطاه قضاء (أنقرة) والمدرسة البيضاء، ثم أرسله رسولاً من جهته إلى سلطان (مصر) قايتباي، وأصلح بينهما. ولما رجع إلى (قسطنطينية) عميت عيناه، قيل: إن السلطان قورقور دعا عليه بالعمى لعدم نقله كلامه إلى أبيه على ما أوصاه.

وكان طَلْق اللّسان، جريء الجنان، حسن الخلق، ذا رأي وعقل وتدبير. يحب الفقراء والفضلاء، كثير الخيرات، جزيل المبرات. رحمه الله تعالى.

[محمد البَرْدَعي]

وفيها [٩٢٧]: توفي محيي الدين محمد بن محمد بن محمد البردعي[1]. كان أبوه من العلماء، واشتغل عليه في صغره ثم ارتحل إلى شيراز وهراة وأخذ عن علمائها، وحصّل علوماً كثيرة ثم ارتحل إلى الروم، ووُلّي تدريس مدينة بروسا[2] وقسطنطينية وملية، ثم جعله سليم خان معلماً لعبيده في دار سعادته، ثم وُلّي تدريس أدرنة.

وكان له معرفة تامة بعلم الحديث والتفسير والأصول، وكان لطيف المحاضرة، حسن المعاشرة، له أخلاق رضية وسيرة مرضية، وكان حسن الخط سريع الكتابة، له حواشٍ على البيضاوي، وعلى شرح التجريد للسيد الجرجاني، وعلى التبريح[3]، وله شرح على أدب البحث للعَضُد[4]، وله إنشاء حسن بالعربية والفارسية، له معرفة تامة بالتواريخ. رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) انظر: (الأعلام ٢/ ٥٥، الكواكب السائرة ١/ ١٨، شذرات الذهب ٨/ ١٩٦، معجم المؤلفين ١١/ ٢٧٢).

(٢) وردت في الأصل: بروسيا. والمقصود هنا ما أثبتنا. وهي مدينة تركية في الأناضول، أما بروسيا فهي ـ ولاية ألمانية ـ انظر: المنجد في الأعلام ـ ص ١٢٤.

(٣) في الأصل: التبريح ـ تصحيف.

(٤) عَضُد الدين.

[أحمد باشا]

وفيها [٩٢٧]: توفي الفاضل أحمد باشا بن المولى خضر بيك(١)...

... وفي إحدى المدارس الثمان وعمره دون العشرين، وعُيِّن له كل يوم أربعون درهماً، ولما عُزل أخوه سنان عن الوزارة عُزِل هُوَ عن التدريس، وأعطي قضاء اسكوب وتدريسها، ثم لمّا وُلّي السلطان بايزيد رَقّاه وأعطاه مدارس كثيرة وعيّن له كل يوم مائة درهم وأعطاه إفتاء بروسا، واستمر إلى أن مات وقد جاوز التسعين.

[عمر النجار]

وفيها [٩٢٧]: استشهد عمر بن محمد بن سليمان المكي، عُرِف بابن النجار، كان في خدمة القاضي أبي السعود بن ظهيرة، فأثرى فلما نكّت أستاذه قبض عليه وصودر وبيعت أملاكه في ذلك، ثم أطلق فانتمى إلى السيد حميضة بن محمد، وأظهر علم الزيرجه وخيّل لهم أموراً وأوهاماً فنفر منه الشريف بركات، ثم تقرّب من السيد عرار بن عجل فقدّمه في مباشرة عمارة ربعه في المحناطة، فظهر منه خيانة. فصادف يوم غضب منه، فأمر بشنقه فشنق بالمدعا واستمر ساعة ثم نزل وجهز وصُلي عليه بالمسجد الحرام عند الكعبة، ودفن بالمعلاة وختم له بالشهادة. رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة ثمان وعشرين وتسعمائة

[أحمد البهلول]

توفي الشيخ العارف بالله تعالى أحمد البهلول المصري(٢)، له أحوال دلت على ولايته، وأذنت بإنارة الكوكب الدري الذي من ولايته، وهو من أخوة الزوايا في الطريق على الشيخ شعبان. وكان سيدي محمد بن عنان يزوره كثيراً، ويعظمه.

(١) بياض بالأصل. ومن المصادر التي كُتبت عنه: (الكواكب السائرة ١/ ١٣٤، شذرات الذهب ٨/ ١٨٩. وذكر محقق الشذرات: الفوائد البهية ص ٢٦، الطبقات السنية ١/ ٣٤٤، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٠٩).

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٥٤).

وكان يجلس في دكان في قنطرة باب الخرق وعنده دواة وورق، فتأتي إليه المرأة. وتقول له: اشهد على أني قد غلّقت نفقتي وكسوتي من زوجي فلان، فيكتب لها ذلك ويأخذ فلساً فإن أعطته أكثر لم يقبل. وكان له بنتان جالستان عنده في الدكان طول النهار ببراقع، أقرأهما القرآن وحفّظ كل واحدة كتاباً في العلم، واحدة شافعية وواحدة مالكية. قال العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعراوي: صحبته نحو سبعة أيام ومات، فأول ما اجتمعت به، فقال لي: مُشتغِل بأي علم؟ فقلت حفظت «الروض» مختصر «الروضة» إلى باب القضاء على الغائب، وحفظت قبله عدة كتب منها «المنهاج»، فقال: ما عَمَك دستور تحفظ شيئاً من «الروض».. وجهك ما هو وجه قاضي حتى تحفظ «الروض» يكفيك المنهاج فإن صاحبه من أولياء الله تعالى فمن يومئذ ما قدرت احفظ منه شيئاً، فكابرته فحصل لي رمي دم، ثم قال لي: تزوجت؟. فقلت: لا. فقال: تزوج، فقلت: ما معي شيء وأنا متجرد، فقال: تزوج ومَهْر الزوجة على الله، ثم دعا إنساناً، فقال: تشهد أن الله هو الرزاق؟ فقال: نعم، ثم آخر ثم آخر ثم آخر، فقال: هذه أربعة شهود وما بقي عذر، ثم قال: أزوجك زينب بنت خليل القصبي وأعطيك البيت وأقبضت عنك المهر ثلاثين ديناراً قُل: قَبِلت، فقلت قبلت، ثم قرأ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾(١)، ثم قال: عجل بطبخ الحلاو، فلعلي آكل منه قبل موتي فإن أجلي قد قرب، ففارقته فلمّا وصلت خلوتي فإذا برجل يدق الباب وقال: أنا خليل القصبي عندي ابنة اسمها زينب ولها بيت ومقصودي تأخذها وتمهرها ثلاثين دينار، فقلت: أنا رجل متجرد فقال: أشهد على نفسي أني قد قبضتها، فجاء شخص من أصحابي ومعه ثلاثون ديناراً، فاقبضها له. وشرعنا في الطعام ثاني يوم وكان واسعاً بسهولة فأرسلت للشيخ سطلاً من الحلو، فأرسل إليّ وقال: لا بد من الاجتماع قبل الموت فذهبت إليه فوجدته ضعيفاً، فقال لي: يا ولدي إن معي سنداً بتيسير الرزق أخذته عن أبي الخير الكليباتي، قال لي: إذا ضاق عليك الرزق، قم موجهاً إلى الله تعالى، فكل شيء طلبه العيال تجده عندك، وطالما أقوم من النوم وأجد السلة العنب والخبز والثياب، وقد خلّعت عليك ذلك ولكن أرجو من الله تعالى أن يتسع رزقك ولا تحتاج إلى توجه، وأوصيك إذا حدّثك فقير بشيء فصدّقه فإني رأيتك، وأنا أقبض عنك الثلاثين ديناراً في الهواء، تظن أن ذلك بشارة لا

(١) سورة آل عمران، ١٧٠.

حقيقة له؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما زوجتكها إلا بعد أن أطلعني الله تعالىٰ علىٰ جميع ما يتعلق بها، ولم يكن لي بها اجتماع، ولا أعرف أباها، وقد وقع لي نظير ذلك مع الشيخ أبي الخير الكليباتي، وذلك إني قلت لشيخي بدمنهور مرادي أحد أزوره إذا قدمت مصر، فنظر إليّ نظر غضب فسكت عن جوابي سنة، ثم قال: إذا قدمت مصر فاسأل عن الشيخ أبي الخير الكليباتي، واجتمع به، ومهما أعطاك فأقبله، وقال: إذا طلعت من المركب سوف تجد الشيخ خروف المجذوب والبول علىٰ أفخاذه وشواربه طويلة، فإياك والاعتراض. فوجدته كما قال، وخطر لي الاعتراض فمد يده إلىٰ قلبي وقال: هل أنا شيخٌ بلا مخاليب، لولا شيخك قطعت بها معاليق قلبك، فحصل لي رعب شديد، فسألت عن أبي الخير، فدلوني عليه في ميضأة جامع الحاكم فوجدته في بيت الخلاء، واضعاً وجهه داخل الملاني مدة ثلاثة أيام، فرفع رأسه وقال: ايش حال من وراءك؟ فقلت: يسلّم عليك، فأخذني وأتى إلىٰ دكان، وقال: أعطيتكه، وخلعت عليك الرزق الذي قسمه الله لك، فيأتيك بلا تعب تام وتقوم فتجد جميع ما تحتاج إليه، فما أخذت بكلامه، وقلت: هذا مجذوب، فإياك يا ولدي أن تُكذّب فقيراً قط، فإنهم لا يخبرون إلا بما يشهدون، بخلاف غيرهم يتكلم علىٰ الظن قال: ثم وقف علىٰ طباخ، وقال: اغرف لي طعاماً وحمّله هذا الفقيه فحمّلني الطعام، وتبعته لما زال يمشي إلىٰ كيمان الأزبكية، قبل أن يعمرها الأمير أزبك، فقال: ضعهُ، ونادى: يا جيعان، فجاءت الكلاب من كل جانب فقال: حلْقة عسكرية فحلّقت الكلاب، وأجلسني بينهم وصار يُفرّق لكل واحد علىٰ الأرض، وغرف لي كذلك فأكلت خوفاً من الشيخ إلىٰ أن فرغوا فقال: إنصرفوا. ولمّا انصرف الشيخ، نزلت بثيابي في بركة هناك وصرت أغطس سبعاً فرجع الشيخ وقال: يا ولدي، هؤلاء أخوانك الجن ما هم كلاب انتهى.

ومات الشيخ البهلول بعد ذلك بستة أيام، وكان أهل حارته طلبوا منه أن يكون قبره عندهم في جامع بـ (طيخه) فأبى، وقال: ادفنوني خارج باب القرافة، وأوصى أن لا يجعل علىٰ قبره بناء ولا تابوت، وقال: خلوا الدواب تمشي عليّ وأريحوني من التعب فإني ما خرجت من دار التعب وفي عيني قطرة، فإذا جعلتم تابوتاً فكل من دخل يخبط ذلك التابوت فلا يتركوني أستريح في قبري. ثم مات ولما أراد أن يذهبوا به إلىٰ جامع بطيخة عجزوا عنه، فلما عزموا إلىٰ القرافة خف عليهم، فدفنوه في وسط الشارع علىٰ يسار الخارج من باب القرافة.

[أحمد بن محمد الحرازي]

وفيها [٩٢٨]: ليلة الخميس لثمان بقين من رجب، توفي الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الفضل محمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال الحرازي الأصل المكي، سبط العلامة القاضي عبد القادر المالكي. وُلد ليلة السبت لتسع بقين من رجب سنة (٨٦٤هـ) ـ أربع وستين وثمانمائة ـ وحفظ «القرآن» و«المجمع»، و«المنار» و«الشاطبية»، و«ألفية ابن مالك». وعرضها علىٰ العلماء، وسمع علىٰ جده والحافظ السخاوي، ورحل إلىٰ القاهرة وأخذ عن علمائها، وقرأ في الفقه علىٰ والده وعلىٰ قاضي الحنفية بمكة الجمال محمد بن الضياء وعلىٰ البرهان الكركي والشيخ إسماعيل الأوغاني، وخير الدين بن ظهيرة، ويحيى العلمي، ودرّس في النحو والفقه. وكان حريصاً علىٰ الفوائد ملازماً لطريقة السلف في طرح الكلفة والتقلل من الدنيا. رحمه الله.

[عبد الله بن محمد الحرازي]

وفيها [٩٢٨]: في سابع عشر رمضان، توفي أخوه عبد الله بن محمد بن أحمد الحرازي الأصل المكي. وُلد يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الثاني سنة ست وستين وثمانمائة بمكة، ونشأ بها فحفظ «القرآن» وغيره، وأخذ علىٰ جده لأمه القاضي عبد القادر المالكي في الحديث وغيره، ولازم الحافظ السخاوي وغيره وواظب علىٰ الجماعة والأذكار وقراءة البُردة كل ليلة جمعة بالمسجد الحرام حتىٰ عُرف بشيخها، وكان صابراً متودداً إلىٰ الناس له فضيلة تامة. مات ليلة السبت سابع عشر رمضان، وصُلّي عليه عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

[عبد الغني المرشدي]

وفيها [٩٢٨]: ، توفي عبد الغني بن أبي بكر بن عبد الغني بن عبد الواحد، قاضي القضاة نسيم الدين أبو اللطف المرشدي المكي. وُلد بمكة سنة خمس وستين وثمانمائة، وحفظ القرآن والأربعين للنووي والفية الحديث والمجمع والتنقيح في الأصول والفية ابن مالك والتعريف للعمري والطوالع للبيضاوي وعقيدة الطحاوي والعمدة للنسفي، وعرضها علىٰ علماء مكة وأخذ عنهم الرواية والدراية، وأخذ العربية عن أبي العزم القرشي حين مجاورته، والفقه علىٰ القاضي جمال

الدين أبي البقاء بن الضياء الحنفي، ودخل القاهرة مراراً وأخذ عن علمائها، واشتغل بمكة على قاضي القضاة أبي السعود بن ظهيرة وأبي الليث بن الضياء، ثم تولى القضاء عوضا عن القاضي علي بن أبي الليث وصار يتغازل معه، ثم مع ابن القاضي بديع الزمان وله معه ماجريات كثيرة. وكان يستحضر فروع الفقه، وكان ديناً ورعاً مصمماً في الأمور الشرعية غير محاب أحداً. مات ظهر يوم الأحد لثمان بقين من محرم وصلى عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة رحمه الله تعالى، يقال: إن جنازته لمّا مروا بها على كتاب قايتباي اتفق قراءة الأطفال ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝﴾[1] الآية فحصل للناس خشوع وبكاء. رحمه الله ونفعنا به.

وفيها [٩٢٨]: توفي محمد بن محمد بن علي[2]، الشيخ الأجل العلامة، شيخ الإسلام تقي الدين القرشندي. توفي والده أبو اللطف عاشر جمادى الآخرة سنة(٨٥٩هـ) ـ تسع وخمسين وثمانمائة ـ وهو حمل؛ ثم نشأ واشتغل على علماء بيت المقدس، منهم: الكمال بن أبي شريف، ثم رحل إلى الديار المصرية وأخذ عن الشيخ الجوجري، وسمع وقرأ على جماعة، وأجيز بالافتاء والتدريس وصار من أعيان العلماء العاملين الموصوفين بالعلم والدين. وكان عنده مودة وتواضع ولين جانب وسخاء نفس وإكرام لمن يرد عليه، وأجمع الناس على محبته. وكانت وفاته ليلة السبت ثالث عشر القعدة وصلى عليه بجامع دمشق غائباً.

[زين الدين المليباري]

وفيها [٩٢٨]: في شهر شعبان ليلة الجمعة، توفي أبو يحيى: زين الدين بن علي بن أحمد المعبري الأصل المليباري[3]، الشيخ الكبير العلم الشهير، أحد العلماء المشهورين والأولياء الصالحين. ولد رحمه الله في كشى ـ بالكاف المفتوحة والشين المعجمة ـ إحدى مدن مليبار، في يوم الخميس الثني عشرة من شعبان

(١) سورة الفجر، الآية ٢٧.

(٢) انظر: (الضوء اللامع ٩/ ١٦٤، شذرات الذهب ٨/ ٢٠٢، الأعلام ٧/ ٥٥، الكواكب السائرة ١/ ١٧).

(٣) أورد مؤلف «معجم المؤلفين» تدريج اسمه كالتالي: زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري، الحنفي.

سنة(٨٧٢هـ) ـ ثنتين وسبعين وثمانمائة ـ ونشأ بها، ونقله عمه القاضي زين الدين بن أحمد المعبرى إلى (فنان) لمّا وُلّي قضاءها وبها قرأ القرآن وحفظه وحفظ عدة متون، واشتغل على عمه في الفقه والنحو والصرف وغيرها وأخذ عن غيره عدة علوم، منهم: الشيخ أحمد شهاب الدين بن عثمان بن أبي الخل اليمني[1] والشيخ الإمام القاضي أبو بكر فخر الدين بن القاضي رمضان السالياتي والقاضي عبد الرحمٰن الآدمي المصري، وأجازه جماعة من شيوخه، وجلس للتدريس وانتفع به جماعة كثيرون في كثير من الفنون، وأسلم على يديه خلائق لا يحصون من كفار تلك الجهة، وانتفع به أهلها في أمور عديدة.

وكان مقبول الشفاعة معظماً مُعْتَقداً، وكان عاملاً بعلمه، فائقاً في حفظه وفهمه، محققاً لما يقول، جامعاً بين المنقول والمعقول. وله عدة مصنفات في فنها مفيدات، منها: مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب وهو أكبر مصنفاته حجماً وأكثرها علماً وهو مفيد في فنه دال على تمام تمكّنه، وكتاب سراج القلوب، والمستعد في ذكر الموت[2]، وشمس الهدى وَصَل فيه إلى الظلم ولم يتمه، وتحفة الأحيا وحرفة الألبا في الأذكار والدعوات الواردة عن النبي ﷺ، وارشاد القاصدين في اختصار «منهاج العابدين» لحجة الإسلام الغزالي، وشُعَب الإيمان المعربة المختصرة من شُعَب الإيمان الفارسية للسيد الايجي، وكفاية الرائض في اختصار الكافي في الفرائض للإمام الصردفي، والصفا من الشفا مختصر الشفا للقاضي عياض وصلَ فيه إلى الفصل الخامس من الباب الثالث، وتسهيل الكافية لابن الحاجب، وحاشية على الكافية أيضاً سمّاها كفاية الطالب في حل كافية ابن الحاجب وصَل فيها إلى نون الوقاية، وحاشية على الألفية لابن مالك وصل فيها إلى الإضافة، وحاشيتان على التحفة لابن الوردي مختصرة ومقتصدة، وحاشية على الإرشاد لابن المقري وصل فيها إلى الحيض، وله مصنف في سيرة النبي ﷺ لم

(١) لم أجد له ترجمةً، وهو من أسرة أصلهم من مأرب ثم انتقلوا منها إلى وادي سُرْدُد بالقرن السابع الهجري. وظهر منهم عدد كبير من رجال الفقه والقضاء، ترجم لهم الجَنَدي والشرجي والأهدل. وإليهم تُنسب قرية «بيت ابي الخِلّ»، وهي قرية خاوية في وادي سردد.

(٢) مختصر في أحاديث ذكر الموت.

يتم، ومصنف في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصل فيه إلى قصة داود عليه السلام مع أحاديث ومواعظ مناسبة لذلك. وله نظم كثير حسن وقصائد طنانة، فمنها: القصيدة المُسمّاة بهداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء، والقصيدة الموسومة بتحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الأصنام، والصلبان كتبها لمّا دخل أهل البرتقال[1] ـ خذلهم الله تعالى ـ مليبار وتقلّبوا فيها وخربوا وأحرقوا. وله قصيدة فيما يورث البركة وينفي الفقر مأخوذة من كتاب البركة للشيخ الجبني، وله أشعار كثيرة ورسائل شهيرة نظماً ونثراً في الحث على الخيرات خصوصاً في الجهاد.

ولم يزل على أحسن الأحوال في الأقوال والأفعال إلى أن وافاه الانتقال ودفن بـ (فنان) قريةٍ من قُرى (مليبار) بين (كالاكوت) و(كشى). وأما (معبر) بالعين المهملة الساكنة والباء الموحدة المفتوحة فمدينة كبيرة بينها وبين (قابل) نحو مرحلتين.

[أحمد السنباطي]

وفيها [٩٢٨]: توفي الشيخ الكبير المعلم الشهير، شهاب الدين، أحمد بن العلامة المحدث عز الدين السنباطي[2] الشافعي، العالم المحقق، النحرير المدقق. مولده سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، وطلب العلوم في صغره وأخذ عن مشايخ عصره وفضلاء مصره، منهم: الشيخ أبو السعادات البلقيني، والشيخ الأبدي صاحب «الحدود» في النحو، والشريف النسابة. قال الحافظ نجم الدين الغيطي: سمع شيخنا المذكور «صحيح البخاري» على المشايخ المجتمعين في المدرسة الظاهرية بين القصرين بحارة البيمارستان المنصوري بالقاهرة وكانوا نحواً من أربعين شيخاً جميع لصحيح المذكور وغير ذلك انتهى. وأجازه جماعة من مشايخه، وانتفع به كثيرون، ودَرّس وأسمَع وأفاد، وأوصل الطلبة إلى جميع المراد. وكان أحد العدول بالقاهرة عاملاً بما عَلِم، قانعاً راضياً بما قُدِّر له وقُسِم. ولم يزل على هذه الصفات إلى وقت الممات، رحمه الله ونفعنا به.

(١) هكذا وَرَدت. يقصد البرتغال.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/١٩، الكواكب السائرة ١/ ١٣٧. وفيهما: أحمد بن عبد العزيز).

سنة تسع وعشرين وتسعمائة

[بالي الأيديني]

توفي المولى بالي الأيديني[1] أحد علماء الديار الرومية. اشتغل بالعلوم على علماء الروم، وصحب المولى خطيب زاده والمولى سنان، ثم وُلّي مدرسة سنان باشا بمدينة (قسطنطينية) ثم بإحدى المدارس الثمان، ثم عُيّن له كل يوم ثمانون درهماً بطريق التقاعد، ثم وُلّي قضاء مدينة (بروسّا)، ثم ولي إحدى المدارس الثمان واستمر إلى أن مات. وكان يصرف جميع أوقاته في الاشتغال بالعلم حتّى انه لمّا سقط عن فرسه وانكسرت رجله وصار مستلقياً على ظهره مدة شهرين ولم يترك الدرس في تلك الحالة، وكانت الطلبة تأتي إليه ويجدون عنده من التحقيقات مالا يجدونه عند غيره. وله يد في جميع العلوم، وله قدرة على حل غوامضها، قوي الحفظ جداً، وحصّل كتباً وقفها كلها. وله رسالة تتضمن الأجوبة عن مشكلات سيدي الحميدي، ودفن عند مسجده بالقسطنطينية، رحمه الله وإيانا.

[ولايه بن أحمد]

وفيها [٩٢٩]: في المحرم، توفي السيد العارف بالله، السيد، ولاية بن أحمد بن إسحاق بن علم الدين بن خليل بن أبي بكر بن محمد بن جناب الدين بن رضي الدين بن خليل بن موسى بن يحيى بن سليمان بن فضل بن محمد بن حسين بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين السبط. ولد سنة خمس وخمسين وثمانمائة بقصبة كرماسي في ولاية (أناطولي). واشتغل بتحصيل العلوم وأخذ عن الشيخ أحمد من أولاد عاشق باشا طريق القوم وأجازه في الإرشاد. وكان الشيخ أحمد من خلفاء الشيخ عبد اللطيف القرشي وهو من خلفاء الشيخ زين الدين قدس الله سرهم. وحجّ سنة ثمانين وثمانمائة، وأخذ بمصر عن الشيخ السيد ولقّنه

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٦٣، شذرات الذهب ٨/ ٢٠٥، الطبقات السنية في تراجم الحنفيّة، للغزي ٢/ ٢٢٧).

(٢) في «الكواكب السائرة» ـ ج ١ ص

الذكر وأجازه بالإرشاد، وأخذ بمكة عن الشيخ عبد الله وأجازه بقراءة أسماء الله الحسنى بمحضر جمع، ومشايخه كثيرون. وسمع الحديث من الكوراني، وقرأ عليه عدة كتب.

وله كرامات كثيرة، منها: منها أنه لمّا اجتمع بالسلطان سليم في حياة والده قال له السيد ولاية: ستصير سلطاناً ولا تطول مدتك، فكان كما قال. ولمّا حج قال له والده إن القطب يكون بيمين الإمام بعرفة، ولما رجع من الحج سأله رجل عمّن وقف عن يمين الإمام؟ فقال هو المولى إياس، فمرض تلك الليلة ولمّا أصبح ذهب لزيارة إياس فلما جلس قال له المولى إياس: لِمَ أفشيت سري ولقد قصدت أن أدعوا لله يقبض روحك ثلاث مرات فحال بيني وبين الدعاء روح رسول الله ﷺ فعلمت أنك صحيح النسب، واعتذر له شيخه الشيخ أحمد فقبل عذره وعفا عنه. وحكى أنه مرض مرضاً شديداً فقال إن عزرائيل عليه السلام دخل عليّ في صورة علاء الدين الجمالي فتوجهت مراقباً فقال عزرائيل إنما أتيت للزيارة، فعاش بعد ذلك نحو سنتين ومرض سنبل سنان وقيل: مات، فقال السيد: لا يموت إلا بعدي ويحضر جنازتي، فكان كما قال. ثم أصابه استسقاء واستمر به أربعين يوماً ومات، وصلى بالناس المولى علاء الدين، ودفن في بيت قرب داره ومسجده بوصية منه، وسنه نحو ثلاث وستين سنة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن أحمد الخُوْن]

وفيها [٩٢٩]: توفي السيد الشريف، ذو المجد الباذخ المنيف، العالم الفاضل، جامع أنواع الفضائل؛ جمال الدين، محمد بن أحمد بن علي الخُوْن ـ بالخاء المعجمة ـ أحد أشراف بني علوي المشهورين، العلماء العاملين الواصلين[1]. وُلد سنة (٨٩٤هـ) أربع وتسعين وثمانمائة بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن الكريم» وحفظ «الجزريّة»، و«الشاطبية»، و«الإرشاد» لابن المقري، و«ألفية ابن مالك» في النحو، وغيرها. وعرض محفوظاته على مشايخه، وحققها مع

(١) أورد له المؤلف ترجمةً أخرىٰ في كتابه «المشرع الروي» ج ١ ص ١٧٤، وعن أسباب لقبه، انظر: (المعجم اللطيف ٨٧، شمس الظهيرة ١/٣٤٩).

شروحها، وتفقه بالإمام القاضي أحمد شريف بن علي جُرد[1]. واعتنى بـ «المنهاج» وشروحه اعتناءً تاماً. وقرأ الحديث وأصوله علىٰ الإمام المحدث محمد بن علي المعلم جُرد أخي القاضي أحمد شريف[2]، وقرأ عليه كثيراً من الأمهات الست، وأجازه في التفقه. وقرأ البخاري علىٰ الإمام شيخ الإسلام علي بن عبد الرحمٰن باحرمي.

وشارك في الأصول والعربية، وبرع في التصوف. ثم رحل إلىٰ اليمن، ودخل زبيد وعدن، وأخذ بهما، فقرأ علىٰ الإمامين الشهيرين: محمد بن أحمد بافضل[3]، وصاحبه العلامة عبد الله بن أحمد بامخرمه[4]، وأخذ عن شمس الشموس الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس[5]. ثم سافر إلىٰ الحرمين الشريفين، وأدى النسكين العظيمين، وزار جده سيد الكونين، عليه أفضل صلوات المصلين. وجاور بهما عدة سنين، ووجد بهما جماعة من العلماء المحققين، والأولياء العارفين، وتمسك بحبل الله المتين، وكمال الاتباع لنبيّه سيد المرسلين، حتّىٰ بلغ الرتب العليّة، والمقامات والأحوال السنية.

وكان هو والسيد الجليل إبراهيم بن علي المعلّم أخو شيخيه المتقدمين في الطلب فرسي رهان، ورضيعي لِبان، وفيهما يقول شيخهما السيد المُحدِّث محمد بن علي المعلّم ـ المتقدم ذكره ـ في بعض قصائده:

أليفان في ذات الإله تحاببا ... إلىٰ الواحد المعبود خالقنا الأجلّ

(١) أحمد الشريف الفقيه، تولّى القضاء على غالب حضرموت، توفي بتريم سنة ٩٥٧هـ. (شمس الظهيرة ـ ج ١ ص ٣٥٢). وستأتي له ترجمة في سنة وفاته.

(٢) محمد القاضي المشهور المتوفى بتريم سنة ٩٧٣هـ. ترجمه العلاّمة المحقق محمد ضياء شهاب فقال: كان شيخاً للإسلام، مرجعاً للقضاة والحكّام، علاّمة داعية، تولّى القضاء بتريم وتوفي بها ـ (شمس الظهيرة ـ ج ١، ص ١٣٢).

(٣) سبقت ترجمته في سنة وفاته ـ عام ٩٠٣هـ. وقد ترجمه صاحب «النور السافر» وكذا مؤلف كتاب «صلة الأهل بتدوين ما تفرّق من مناقب بني فضل» ص ١٣٤ وغيرهما.

(٤) انظر ترجمته في: (النور السافر ـ ص ٣٠، والضوء اللامع ٨/٥ و٩، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٨).

(٥) انظر عنه (معجم المؤلفين ج ٣ ص ٦٥. وفيه مصادر ترجمته).

فضيلان حازا للفضائل والتُّقى ... وبالهمة ارتقيا إلى أشرف محلّ
فأعظِمْ بإبراهيمَ تجل عليهِمِ ... كذا وجمال الدين راقي على القُلَلْ

ولم يزل صاحب الترجمة في مكة المشرفة إلى أن قوّض أطناب الإقامة من (القسطاط)، وأعد للسفر من الحبل الرباط، وَوَجّهَ وجهته تلقاء ديار الأحباب، ودعاه داعي المنون فأجابه، فتوفى في التاريخ المذكور أعلاه، ودفن بالمعلا رحم الله مثواه، وبلّ بوابل الرحمة ثراه.

[أحمد بافضل]

وفيها [٩٢٩]: في يوم الجمعة، لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع ثاني، استشهد أحمد بن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج بافضل[1]. شهاب الدين، بقية السلف الصالحين، وأستاذ الخلف من أئمة الدِّين، الجامع بين أنواع العلوم، المنطوق منها والفهوم، المكاشف لحقائق أسرار الكتاب، المطّلع على مزايا دقائق الخطاب. ذكره في «النور السافر» باختصار، وذكر وفاته في تسع وأربعين، وهو غلط، والصواب أنها في سنة تسع وعشرين، كما ذكره جماعة من المؤرخين.

وُلد بمدينة (تريم)، ونشأ بها على أنواع النعيم، وحفظ القرآن العظيم، وقرأه بالتجويد، واستخرج من بحره جواهر الجيّد. واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، على والده، وعلى الشيخ الفقيه محمد بن أحمد بافضل[2]. ورحل مع والده إلى بندر الشحر، ولازم والده في دروسه حتى برع وفاق أقرانه؛ وتصدّى للتدريس في حياة والده، وتولّى إعادة درس الجامع في حياة والده، ثم خلفه في الجميع، وصار مرجعاً لحل المشكلات.

ذكره العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة[3]، وأثنى عليه، وقال: كان فقيهاً

---

(١) انظر: (النور السافر ١٣٥، شذرات الذهب ٨/ ١٦٢، معجم المؤلفين ١/ ٢٩٥، صلة الأهل ص ١٦٨).

(٢) هو نزيل عدن، والمتوفى سنة ٩٠٣هـ. وله تآليف حسنة، منها: العدّة والسلاح في أحكام النكاح ـ انظر كتاب «صلة الأهل» ص ١٣٥.

(٣) له كتاب في التراجم جعله تكميلاً لطبقات الأسنوي ـ (تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١، ص ١٦٠).

فاضلاً، حسن الاستنباط، قوي الذهن، فقيه النفس. وكان والده يعظمه ويثني عليه، وكذلك الشيخ القاضي عبد الله بن عبسين كان يبالغ في الثناء عليه، ويشير إليه في الفقه.

حجّ مراراً، واجتمع بالشيخ الصالح محمد بن عراق، وكان من رجال الطريق، ومشايخ التحقيق، وصحبه، ولازمه، وتسلّك على يده. وكان كثير المواصلة للصالحين، محباً لهم، حسن العقيدة فيهم.

وله تصانيف، منها: نكت على «رَوْض ابن المقري» ابن القرى في مجلدين لطيفين، ولم أقف عليه، ونكت على «الإرشاد» في مجلدين لطيفين أيضاً، وقفت عليه، وهو حسن في بابه، مفيد جداً، وله غير ذلك انتهى.

وذكره الشيخ محمد بن سراج وقال: إن له مصنفاً جامعاً في أوراد الليل والنهار، سمّاه «مشكاة الأنوار»، وإن له رسائل إلى الشيخ العارف بالله تعالى معروف باجمال، قال في بعضها: ثم المسؤول ـ يا سيدي ـ أن تلاحظوا محبّكم بنظرة إلٰهية، تنطبع بها فيه الأخلاق الجميلة، وتنمحي عنه الأخلاق الرذيلة، فإن لي نُفيسّة عجن فيها وبها أخلاق ذميمة عجزتُ عن معالجتها، ولعل نظرة تريح من العنا، أنال بها المُنى، ولعل دعوة صالحة، الله.. الله.. كان الله لكم، وجزاكم عن المسلمين خيراً، وما ذلك على الله بعزيز، زادكم الله من فضله وعطائه.

وكذلك له رسائل عظيمة لولده الشيخ معروف يثني بها على الشيخ معروف، وله «وداع رمضان» أجاد فيه، وأكثر فيه من الوعظ. وله خُطب نفيسة بليغة في بابها.

وكان على جانب عظيم من الخشية والخوف، موزعاً أوقاته في الطاعات، لا يخلو عن مطالعة أو كتابة، أو إفادة أو تدريس. وكان يحب الفقراء والمساكين ويكرمهم. وكان شديد المحبة لأهل بيت النبوة، لا سيما بني علوي.

ولم يزل ـ رضي الله عنه ـ على الحالات المرضية، من الاستقامة على الأمور الشرعية والآداب النبوية، إلى أن أكرمه الله تعالى بالشهادة العظمى، وذلك أن الإفرنج قصدوا (الشّحر) وعزموا على أخذه وقتل السلطان بدر، فقام صاحب الترجمة خطيباً في الناس، ووعظهم، وحثهم على القتال، فخرج وخرج الناس معه

لقتالهم، وحصل النصر للمسلمين، واستشهد الشيخ صاحب الترجمة وستةً غيره من المسلمين في حربهم[1]، ودُفن بجانب قبر والده. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا بهم.

[محمد ابن النجار الدمياطي]

وفيها [٩٢٩]: في القعدة، توفي الشيخ: محمد ـ أمين الدين أبو الجود ـ بن أحمد بن عيسى بن النجار البدراني[2]، ثم المصري الشافعي. العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الفقيه، المقرىء الأصولي، النحوي الصوفي. وُلد سنة خمس وأربعين وثمانمائة واشتغل في صغره، فأخذ عن شيخ الإسلام صالح البلقيني والتقي الشمني وزينب بنت الحافظ عبد الرحيم العراقي، وانتهت إليه رئاسة مصر في علو السنّة بالكتب الستة وغيرها، وأخذ عنه كثيرون، منهم: الحافظ نجم الدين الغيطي، ذكره في معجمه. وكان يقرأ بالأربعة عشرة[3] وروايات القرآن بصوت حسن، وأجمع أهل (مصر) علىٰ أنه ليس بمصر أحد يقرأ القرآن مثله، وكان الناس يأتون إليه من بولاق يصلون الصبح والعشاء خلفه، وكان يقرأ بالانغام المختلفة في الصلاة من غير تكلف لها ولا يخرج عن قواعد القرآن، وكان المنشدون يستمعون له قراءته فيتعلمون منه بعض الأنغام، ولمّا ورد (قرقط) أخو السلطان (سليم خان) أيام الغوري أقام بـ (بُولاق) فطلب من الغوري إماماً فقال: انظروا من يناسبه فلم يجدوا مثل الشيخ فكان يصلي به إلىٰ أن سافر، وسمع قراءته في صلاة الصبح نصراني من مباشري الغوري فرّق قلبه للإسلام من حسن صوته فأسلم وصار يُصلي خلفه إلىٰ أن مات.

ومكث إماماً بالجامع الغمري سبعاً وخمسين سنة ما ضبطوا عليه قط ان الوقت دخل وهو بلا وضوء، وما ضبطوا عليه انه نام عن قيام الليل في صيف ولا شتاء، يقوم والباقي من الليل نحو سبعين درجة إلىٰ الفجر ثم يصعد الكرسي بعد

(١) عن هؤلاء الشهداء ودورهم في مقاومة الوجود البرتغالي بمدينة الشِّحر، انظر كتاب: (الشهداء السبعة، تأليف الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف، الناشر دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية ـ بغداد ١٩٧٤م).

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/٣٣، شذرات الذهب ٨/٢٠٧).

(٣) في الأصل: بالأربعة عشر.

الصلاة فيتلو القرآن فتكاد القلوب تطير من حلاوة تلاوته ويصير الناس يبكون، وكان الشيخ أبو العباس الغمري يقول: جامعنا جنة وروحه الشيخ أمين الدين. وكان يخدم نفسه ويحمل الخبز علىٰ رأسه إلىٰ الفرن ويحمل حوائجه ولا يُمكّن أحداً من حمل ذلك، وكان لا يراه كثير من أركان الدولة إلا وينزل عن دابته يُقبّل يده، ولا يرد أحد من العلماء والأولياء مصر إلا وَيَرِد عليه ويجلّه ويكرمه. وكان له هيبة عظيمة يكاد من لا يعرفه يرعد من هيبته، وسخّر الله له تجار مصر في أخذ الزكاة فكان يجتمع عنده منها فيجعلها في صرر ويفرّقها علىٰ مستحقيها. وكان ملبسه الثياب الشمط الزرق وعمامته من قطن غير مقصورة، وكان يَفتّ الخبز ويسقيه بالشوربة ويجمع العميان والأيتام والعاجزين ويتغذّى معهم ولا يأكل وحده إلا لضرورة.

وكان يقول: بمجرد ما أرى الفقير لبس الثياب الرفيعة وحبك مشدة ودخل الحمام المترفة وجلس علىٰ باب الجامع ينظر الناس لا يبقىٰ بيني وبينه رابطة. وكان إذا مقت إنساناً لا يفلح بعدها، مَقَت نحو سبعة عشر نفساً لم يفلحوا لا في أعمال الدنيا ولا في أعمال الآخرة.

وكان لا يعلم أحداً إلا من رآه عازماً علىٰ العمل به تعظيماً له وإلا لم يعلمه وكان يقول: إن الله تعالىٰ لا يصطفي عبداً حتىٰ يُزَهِّده في حمد الناس جملة حتىٰ لا يركن اليهم، وكان يقول: ما كنا نظن أن نعيش إلىٰ زمان يقول العالم لطلبته اذهبوا فإني ما طالعت لكم فأنه يدل علىٰ أن العلم صار في لسانه دون قلبه يلقيه أثرمطالعته ثم ينساه عن قرب.

ووقعت له محنة أيام الغوري وهي أن بعض التجار أودع عنده مالاً كثيراً وقال له إذا بلغ ولدي أدفعه لهُ فجاءه الولد قبل بلوغه وطلب المال فقال هل تبلغ؟ فذهب إلىٰ السلطان وشكاه فطلبه السلطان وطالبه بالوديعة فأنكرها وحلف عليها ثم لمّا بلغ الولد دفعها له فعلم الغوري بذلك فطلبه وقال كيف تحلف ما عندك وديعة والآن قَرّيت بها؟ فقال له إن فقهاء الشافعية كالنووي في «الروضة» قالوا إن الظالم إذا طلب الوديعة وخاف منه عليها له أن يحلف علىٰ ذلك وأنت ظالم فرسّم عليه ثم شفع فيه فأطلقه.

وكان كثير التقشف جامعاً بين الطريقين، مُعتقداً عند الخاص والعام، وكان وقته محفوظاً لا يكاد يُرى قط في ليل ولا نهار إلاّ في طاعة.

وله كرامات كثيرة، (منها) ما حكاه تلميذه العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعراوي، قال: كنت أعارض معه شرح البخاري للقسطلاني في باب جزاء الصيد فمررت على قوله (وفي الثَيْتَل عنز) فقلت: ما صفة الثيتل؟ فقال: إن شاء الله تعالى تراه في هذا الوقت فما مضى نحو درجة إلاّ والثيتل خرج من حائط الجامع حتى وضع فمه على كتفي فرأيته ثم خرج والناس ينتظرون صلاة العصر فلمّا انقضت الصلاة قلت لبعض الحاضرين: أرأيتم الثيتل الذي خرج؟ فانكروا فقصصت عليهم القصة فقالوا هذه كرامة له.

قال: ورأيته بعد موته روى لي حديث بالسريانية ففهمت معناه وهو قوله ﷺ: من واظب على النوم بعد الصبح ابتلاه الله بوجع الجنب، وكان بي وجع الجنب قبل ذلك وما عرفت سببه فتركت النوم بعد الصبح فزال الوجع مع أني ما كنت أنام بعد الصبح إلاّ يوم الجمعة لكونها ليلة سهر من العشاء إلى الفجر.

قال ورأيته ليلة وجبهته تقطر دماً حتى ظهر لونه من الكفن فقلت لولد ابنته الشيخ أبي اللطف، فقال: رؤياك صحيحة فإنّا لمّا أنزلناه في القبر صدم جبهته حجر فخرج منها الدم وكان قبره بتربة خارج باب النصر بالقرب من زاوية سيدي إبراهيم الجعبري رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد بن علي الفناري]

وفيها [٩٢٩]: توفي الشيخ محيي الدين محمد شاه بن علي بن يوسف بالي بن شمس الدين الفناري[١]. ولد في أيام سلطنة محمد خان، وكان والده يومئذ قاضي العسكر وعيّن له السلطان يوم ولادته كل يوم ثلاثين درهماً، ونشأ في حجر العز والجاه ثم إشتغل بالعلم على والده ولازمه حتى مات، ثم قرأ على المولى خطيب زاده والمولى معروف بزاده، ثم وُلّي مدرسة بروسا ثم إحدى المدارس الثمان ثم قضاء بروسا ثم قضاء قسطنطينية، ثم تنقّل في مراتب القضاء

(١) انظر: (معجم المؤلفين ١١/٧٢، الكواكب السائرة ١/٢١، شذرات الذهب ٨/٢٠٩).

إلى أن وُلّي قضاء العسكر.

وانتفع به جمع كثيرون. وله حواشٍ على شرح المواقف للسيد[١]، وحواشٍ على شرح الفرائض[٢]، وحواشٍ على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة. ومات وهو شاب، ودفن عند قبر جده ببروسا. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الوهاب الكرماني]

وفيها [٩٢٩]: توفي عبد الوهاب بن محمود بن محمد بن عمر نزيل مكة ويعرف بملاّ علاء الدين الكرماني النقشبندي الشافعي. الجامع بين أنواع العلوم، البارع في طريق القوم، العالم بفروض الكتاب وسنته، والجاري فيه على المنهج القويم وسُنّته. وُلد تقريباً سنة (٨٣٨هـ) ـ ثمان وثلاثين وثمانمائة ـ بـ (كِرمان)[٣] ثم تحوّل إلى هراه فأخذ عن الشيخ مُلاّ حسين الخوافي الحنفي المحتسب، قرأ عليه العَضُد وحاشية المطالع وغيرهما، وأخذ عن المُلاّ علي القوشجي الحنفي العلوم الرياضية. وتقدم فيها وبرع، وقرأ عليه شرحه على التجريد للطوسي، ولازم الزين علي الكرماني في العربية والمنطق، وتميز في الفنون لا سيما الرياضيات. وكان له بحث دقيق بحيث أنه إذا طالع محلا لا يكاد يُلحق فيه.

زار بيت المقدس ودخل الشام ووصل إلى الهند فأقبل عليه الخواجا جهان إقبالاً عظيماً، ورحل إلى الحرمين واليمن. وبرع في علم الهيئة والكلام والتصوف والفلك وغيرها، وله تصانيف مفيدة في هذه العلوم المذكورة، منها: كتاب في التصوف خمس مجلدات نظماً فائقاً سمّاه «الخمس المحيرة» ومن نظمه:

برق اللمعات من سحاب الكرم ... قد أظهر في الخدر سيور القدم

لمّا مسح الوجود وجه العدم ... استشرق بالنور وجوه الظُّلَم

وشرحها في مجلد لطيف، وله أشياء في الأسطرلاب وغيره. واخترع آلات وألّف فيها رسائل، ولمّا رحل إلى اليمن اجتمع بالسلطان الملك الظافر عامر بن

(١) في علم الكلام.

(٢) هي حاشية على شرح الجرجاني للسراجية.

(٣) كِرمان: مدينة في إيران. قاعدة إقليم ـ (المنجد ـ ص ٤٦١).

عبد الوهاب وألّف بأسمه رسالة في التعبير وقدّمها إليه، فأنعمَ عليه بألف دينار ذهباً، وأجرى له النفقة الجسيمة، وأغدق عليه النعم العظيمة. ثم عاد من اليمن إلىٰ مكة المشرفة وجاور بها، وتصدر للإقراء بها، فأخذ عنه كثيرون، منهم: الشيخ قطب الدين الحنفي ومَنْ في طبقته.

وكان شيخاً مقعداً بصيراً، وله مكاشفات كثيرة وأحوال منيرة، وحُكي أن السلطان محمد التمس من الشيخ علي القوشجي أن يعمل له رصداً فقال: إن هذا الأمر يحتاج إلىٰ مهارة في علم الفلك ولا أعلم الآن أحدا أعرف بهذا الفن ـ من تلامذتي وغيرهم ـ من الشيخ علاء الدين الكرماني وهو الآن قد ترك العلوم الرسمية واشتغل بالتصوق وجاور بمكة منقطعاً إلىٰ الله تعالىٰ ولا يمكن مجيئه إلينا ليساعدنا في عمل الزيج، فأعرض السلطان عن ذلك. ولم يزل صاحب الترجمة بمكة المشرفة منقطعاً إلىٰ الله تعالىٰ إلىٰ أن دعاه إلىٰ حضرته فلبّاه، ودُفن بالمعلاة، وقبره بها مشهور بالبركات معروف باستجابة الدعاء.

[إلياس الرومي]

وفيها [٩٢٩]: توفي الشيخ الفاضل المولى شجاع الدين الياس الرومي[١] أصله من قصبة تُسمّى بـ (ديمة توقه) بقرب مدينة أدرنه، ثم طلب العلم فأخذ عن علماء عصره، أخذ عن المولى علي الطوسي، وتلميذه المولى محمد الأشرف وكان يفضله علىٰ الطوسي في حل الدقائق والمشكل ويفضل الطوسي عليه في كثرة المعلومات، ثم صحب المولىٰ سنان باشا فولّي مدرسة (ديمه توقه) ثم تنقّل من مدرسة إلىٰ أخرى، ثم وُلّي احدى المدارس الثمان، ثم صار قاضياً بمدينة (بروسّا). ولم يزل يتنقل في المناصب ثم عُزِل وعُيّن له مائة درهم بطريق التقاعد.

وكان عابداً صالحاً، زاهداً، راضياً بالكفاف، وانقطع إلىٰ الله تعالىٰ بعبادته، وصحب المشايخ الصوفية وصحبه آخرون. وله حواشٍ علىٰ حاشية شرح التجريد للسيد الشريف، وحاشية علىٰ حاشية شرح المطالع للسيد أيضاً، وحاشية علىٰ حاشية شرح الشمسية له أيضاً. وكان أكثر اشتغاله بالعلوم العقلية ولم يتدرب في

(١) قال الغزّي في كتابه «الكواكب السائرة»: له شريك في لقبه.

غيرها كتدربه فيها، وكان يفضل السيد الجرجاني علىٰ السيد التفتازاني وقال: التفتازاني بحر العلوم إلا أنه مكدر. وأثنى عليه الفاضل خواجة زاده، قال: ولم آخذ عنه لرضاء والدتي فإنها لا ترضى أن أسافر إلىٰ ولاية أناطولي، وذهبت مع والدي إلىٰ زيارته فعانق والدي وقبّله وأجلسه مكانه وبكى وقال إن هذا آخر الصحبة معكم وقد قرب موتي، فكان كما. قال رحمه الله وإيانا.

[علاء الدين الأسود]

وفيها [٩٢٩]: توفي الشيخ علاء الدين؛ علي الشهير بعلاء الدين الأسود[١]. اشتغل بالعلوم، وصحب العارف بالله تعالىٰ حاجي خليفة وأخذ عنه التصوف، وحُكي أنه قال: خدمت الشيخ منذ جلس في مقام الإرشاد إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، واشتغلت عنده بالطريقة حتّىٰ زال ما في بدني من اللحم ثلاث مرات، قال: ثم خدمت الشيخ محيي الدين الغوجري وكنت عنده كالطفل يتعلم الهجاء ولازمته إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، واجازه كل من الشيخين المذكورين. ثم انقطع في بيته متوجهاً إلىٰ الله تعالىٰ بكليته إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، رحمه الله ونفعنا به.

سنة ثلاثين وتسعمائة

[أحمد بن عمر المُزَجّد]

في يوم الأحد سلخ ربيع الثاني، توفي القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمٰن ابن العلامة القاضي نجم الدين أبي المحاسن ابن يوسف بن محمد المزجّد[٢]. السبيعي المرادي، صفي الدين أبو السرور، العالم الرباني، والعامل الصمداني، حامل لواء الشرع، ومؤسس قواعد الأصل والفرع، إمام الأئمة علىٰ الإطلاق، ورُحْلة الوفود من الآفاق، قرة الأبصار وزينة الأمصار، مَنْ قصّر المتون

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/٢٦٧، شذرات الذهب ٨/٢٠٦).

(٢) من المصادر التي ترجمت له: (النور السافر ١٢٧، شذرات الذهب ٨/١٦٩، الكواكب السائرة ٢/١١٣، إيضاح المكنون ١/٢٢٧، معجم المؤلفين ٢/٣٤، الدّرّ والياقوت لابن جندان ـ خ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مصادر الفكر الإسلامي ٢٣٢، عطيّة الله المجيد لتراجم أعيان القرن الرابع عشر الهجري من علماء زبيد، للغزي ـ خ).

عن بلوغ قدره، وإن أطنبوا وأطالوا في طول الكلام وقصره.

ولد بمدينة (زبيد) المحمية، ولاحظته عناية ربه الإلهية، واشتغل بتحصيل العلوم بهمة علية، فأخذ عن علمائها الأعلام، ومشايخ الإسلام، ولازم بها الإمامين عمر المفتي ويوسف المقري المشهورين، وتخرّج بهما في الفقه والعربية والأصلين، وسمع الحديث من كثيرين من المحدثين والحفاظ، واعتنىٰ بفهم المعاني والألفاظ، وقرأ علىٰ جماعة علمي المعاني والبيان، وأحكمهما حتىٰ كان يشار إليه فيهما بالبنان.

وشارك في المنطق والعروض، وبرع في علم الفرائض والحساب، وحل مشكلاتها الصعاب، وجدّ في الطلب حتىٰ صار سراج المذهب، وطراز حلة المذهب، ورفع لواء مذهب الإمام محمد بن إدريس، ورقىٰ في أصحابه محل التاج من الرئيس، وتصدّر للتدريس، فأدار علىٰ الطلبة من سلاف لفظه الرقيق، ما يقوم مقام سلاف الرحيق. وكانت الطلبة ترحل إليه، وتحمل الفتاوىٰ إلىٰ بين يديه، ثم تولّىٰ القضاء بـ (بندر عدن) المحروس في جمادىٰ أولىٰ سنة (٨٩٩هـ) تسع وتسعين وثمانمائة، ثم فصل عنه ووُلّي قضاء مدينة زبيد بعد وفاة قاضيها محمد بن عبد السلام سنة (٩٠٦هـ) ست وتسعمائة.

وصنف المصنفات التي جَرَّ بِهَا علىٰ علماء عصره ذيلَ المفاخر، وعقدت عليها الخناصر، منها: كتاب «العباب» الذي بهر به الألباب، وأتىٰ فيه بالعجب العجاب[1]، وكتاب «تجريد الفوائد وتقريب الزوائد»[2] في مجلدين، جمع فيه الفروع الزائدة علىٰ «الروضة» غالباً، و«مسائل التجريد» و«نَظْم الإرشاد» لابن المقري. وله فتاوىٰ مفيدة بهية تُسمّىٰ بـ «القلائد العسجدية»[3]، وغير ذلك مما

(١) من الكتب المهمة في مذهب الشافعي، وعنوانه الكامل: «العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب». له شروح كثيرة. منه نسخة في جامعة الرياض ١٤٩٤، وأخرى في جامع صنعاء تحت رقم ١٢٠٩.

(٢) أورده الحبشي بعنوان: تجريد الزوائد وتقريب الفوائد.

(٣) قال الحبشي: جمعها عنه ابنه حسين بن أحمد المزجد. خ بمكتبة الغُزي بمدينة زبيد ـ (مصادر الفكر ـ ص ٢٣٢).

قامت به سوق الفضائل علىٰ ساق، وجرىٰ في ميدانها فأحرز السباق، من الكتب المعتبرة، والرسائل المحررة، وله «النظم الرائق والنثر الفائق».

وكان له عند السلطان عامر بن عبد الوهاب مزيد المحبة والرعاية والاحترام وكان يُنعم عليه الإنعام التام، ويتم له ما طلبه لنفسه أو لغيره من المناصب، وكانت رتبته عنده أعلىٰ المراتب، وتخرّج به جماعة من الفضلاء الفخام، والعلماء العظام، منهم: شيخ الإسلام عبد الرحمـٰن بن عبد الكريم بن زياد، والإمام العظيم أبو العباس أحمد بن محمد الطنبداوي.

وكان يصدع بالحق لا يخاف في الله، ولا تأخذ رأفة في دين الله. وكان عاملاً بعلمه، عارفاً بمكائد الشيطان وحيله، ولم يزل منصب الشرع في مزيد، وأحكامه الشريفة مؤيدة بالتأييد، إلىٰ أن قدم علىٰ المبدىء المعيد، ودفن بمدينة زبيد. سقى الله ثراه بسحائب رضاه.

[محمد بن عمر بَحْرَق]

وفيها [٩٣٠]: لعشر بقين من شعبان، توفي محمد بن عمر[1] بن مبارك الحميري[2] الشهير بـ (بحرق)[3]. العَالِم الذي يمشي تحت علم فتياه العلماء الأعلام، وحملة الأقلام، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام، شيخ اللغة والنحو والإعراب، وعمدة الفقهاء في نصوص الشافعي والأصحاب، مَنْ جمع من سابق الاشتغال مستصحبه طارفاً وتليداً، ومَنْ قالت له العلوم ـ وقد مارسها من صغره ـ: ألم نُرَبِّكَ فينا وليداً.

وُلد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ سنة (٨٦٩هـ) ـ تسع وستين وثمانمائة ـ بـ (حضرموت)، ونشأ بها علىٰ أحسن الأوصاف والنعوت، وحفظ «القرآن العظيم»، و«الجزرية»، ومعظم «الحاوي الصغير»، و«الشاطبية»، و«منظومة البرماوي»

(١) وفي إيضاح المكنون: «محمد بن محمد بن عمر» ـ وليس دقيقاً.

(٢) وَرَدت في الأصل: «الحميرى» ـ تصحيف من الناسخ.

(٣) انظر عنه: (الأعلام ٦/٣١٥، معجم المؤلفين ١١/٨٩، شذرات الذهب ٨/١٧٦، النور السافر ١٤٣، كشف الظنون ١٥٣٦، إيضاح المكنون ١/٧٦، هدية العارفين ٢/٢٣٠، الضوء اللامع ٨/٢٥٣، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٢١).

الأصولية، و«ألفية ابن مالك» النحوية. ثم رحل إلىٰ (الشِّحر)، فأخذ عن العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل، ثم رحل إلىٰ (بندر عدن)، وأخذ به عن الشيخين المشهورين: عبد الله بن أحمد بامخرمة، وصاحبه الشيخ محمد بن أحمد بافضل، وأخذ عن الشيخ الجليل محمد بن أحمد باجرفيل، ولازم أولهم ملازمة تامة حتىٰ تخرّج به.

وبرع في علوم كثيرة، كالتفسير، والحديث، والفقه، والعربية. وأخذ التصوف عن شمس الشموس؛ الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس. ورحل إلىٰ زبيد، وأخذ العلوم الشرعية والفنون الأدبية عن جماعة بها، منهم: جمال الدين محمد بن أبي بكر ابن الصائغ، والشيخ الإمام الأكمل، الحسين بن عبد الرحمٰن الأهدل، وأخذ عنه التصوّف.

ورحل إلىٰ الحرمين، وأدّىٰ النسكين العظيمين، وسمع عن الحافظ السخاوي، وذكره في «الضوء اللامع»[1]. ورجع إلىٰ الديار اليمانية وأخذ عن الشيخ حمزة الناشري، وصاهره علىٰ ابنته، وسلك السلوك، إلىٰ ملك الملوك.

وحكى عنه أنه قال: دخلت الأربعينية في (زبيد)، فما أتممتها إلا وأنا أسمع جميع أعضائي تذكر الله تعالىٰ. ولبس الخرقة الشريفة من جمع كثير[2]، وأجازه جماعة في الدرس والتقرير، فتصدّر للنفع العام، وتدريس الأنام مذهب الإمام[3]، فانثالت عليه الطلبة من كل حدب، ونسج لهم برود الفضل بوشائع العلم والأدب، نَسْج السُّندس بالذهب. ولزم الجدّ والاجتهاد في العلم والعمل، وواظب علىٰ طاعة الله عز وجل. وصنّف في سائر أنواع العلوم من منثور ومنظوم كتباً دلت علىٰ وفور فهمه وعقله، وغزارة علمه وفضله، وتوغل في طرق البلاغة سالكاً مضيق شعابها، وتوقل قلل الفصاحة قارعاً طريق هضابها، **فمن مصنفاته الشهيرة ومؤلفاته المنيرة:** كتاب تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية[4]، وكتاب

(1) ج ٧ ص ٢٥٣.

(2) في ب: من خَلْق كثير.

(3) «مذهب الإمام» زيادة في ب.

(4) أورده مؤلف «تاريخ الشعراء الحضرميين» مختصراً: التبصرة الأحمدية في السيرة النبوية ـ تاريخ الشعراء ١/ ١٢٢.

ذخيرة الاخوان المختصرة من كتاب الاستغناء بالقرآن، وكتاب النبذة المختصرة من كتاب الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمؤخرة؛ ومختصر الترغيب والترهيب، وتجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد، ومختصر المقاصد الحسنة لشيخه الحافظ السخاوي، وكتاب حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين، وكتاب عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر[1]، وكتاب العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين، وله ثلاثة شروح علىٰ أبيات الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي[2] في العقيدة؛ بسيط يسمى «العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية»[3] ووسيط يسمى «الحواشي المفيدة علىٰ أبيات اليافعي في العقيدة»، وله مؤلف في الرد علىٰ أهل البدع سمّاه: الحسام المسلول علىٰ منتقصي أصحاب الرسول[4]، ورسالة في اثبات رسالة هارون أخي موسى وكفر فرعون، وله كتاب متعة الأسماع بأحكام السماع المختصر من الإمتاع، وكتاب العروة الوثيقة في شرح الشريعة والطريقة والحقيقة[5] ـ نَظَمها وشرحها شرحاً نفيساً سمّاه الحديقة الأنيقة، وكتاب ترتيب السلوك إلىٰ ملك الملوك، ومختصر نهاية الناشري في علم القراآت، وشرح الجزريه. وله شرحان علىٰ أبنية الأفعال نظم الإمام بن مالك ـ كبير وهو الذي رفع في هذا الفن الأستار عن وجوه إعجازه، وميّز فيه بين حقيقته ومجازه، وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى علىٰ اقصد سبيل وأقرب مأخذ ومبنى. وصغير يُسمى «فتح الاقفال بشرح أبنية الأفعال»، وشَرْح ملحة الإعراب للحريري، وله أرجوزة في الحروف وشرحها سمّاها «فتح الرؤوف في معاني الحروف»، واختصر الخلاصة لابن مالك في عدة أهل بدر وشرحه، وله رسالة في البحر مختصرة سمّاها «البهجة في تقويم اللهجة»، والنبذة المنتخبة من أوائل العسكري، وأرجوزة في الطب

(1) خ بمكتبة آل يحيى تريم، رقم ١٢٦٦ (مصادر الحبشي ـ ص ١٣٥).

(2) هو العلامة الفقيه الصوفي الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي؛ المتوفى سنة ٧٦٨هـ صاحب الكثير من المؤلف في التصوّف وغيره ـ انظر معجم المؤلفين ج ٦ ص ٣٤.

(3) خ ١٢٥ جامع تريم.

(4) خ مكتبة آل يحيى تريم، نشره الشيخ محمد حسين مخلوف.

(5) كتاب للعلامة عبد القادر بن شيخ العيدروس، صاحب «تاريخ النور السافر» والمتوفى بالهند سنة ١٠٣٨ هـ.

وشرحَها شرحاً مفيداً، وأرجوزة في علم الحساب وشرحها، وكتاب: مواهب القدوس في مناقب أبي بكر بن العيدوس[1]. وله شرح على لامية العجم، وشرح على منظومة الشيخ أبي الجيش الأندلسي في العروض، ورسالة في علم الميقات. وجميع مؤلفاته رائقة حسنة محررة منقحة مستحسنة، فلهذا تداولها أبناء الزمان وتناقلها المشاة والرُّكبان، وعُقِدت عليها الخناصر وانعطفت عليها الأواصر، وله نظم يُخجل عقود الدرر ويزري نظامه بسقاط حديث السمر في القمر، من لوامع غرر القصائد وروائع درر الفرائد.

وكان عمر بن عبد الوهاب سامي الذرى رفيع الجناب ـ سلطان الديار اليمانية، لا زالت بعناية الله محمية ـ يحبه وينعم عليه ويكرمه ويسدي إليه، وله فيه قصائد سارت بها الركبان وتستلذ بمعانيها العقول والأذهان، ولمّا بنى مدرسته في زبيد مدحه بقصيدة مطلعها:

أبى الله إلاّ أن تحوزَ المفاخرا فسماكَ من بين البريّة عامِرا

عُمِرت رُسُوم الدِّين بعد دروسها فأحييت آثار الإله الدوائرا

فأنت صلاحُ الدِّين لا شكَّ هذه شواهده تبدو عليك ظواهِرا

ومن مقاطعه:

أنا في سلوةٍ على كل حالٍ إذ أتاني الحبيبُ أو قد قلاني[2]

أغتنمُ الوصْلَ إن دنى في أمانٍ وإذا ما نأى أعِشْ بالأماني

ومنه:

لَئِنْ بلغَ الزّوار خِيفَ مُنىً منّا وأمناً برميِ الخمرِ من لَهَبِ الجمرِ

فبالمنحنى من أضلعي والعقيق من دموعي على التشريق شاركتُ في الأجرِ

وكتب بخطه مقروآته، وقال فيه: قرأت على النبي ﷺ خطبة الحلوى الصغير المشتملة على الاسم الأعظم وقبّلت قدمه الشريف وأجازني. وذكر العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة في ذيل طبقات الأسنوي[3] قال: وكان غاية في الكرم،

(١) خ منه نسخة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمٰن بلفقيه ـ تريم.

(٢) في «أ»: أو ان أباني.

(٣) ذيل على طبقات الشافعية للأسنوي ومؤلفه العلاّمة عبد الله بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢هـ ـ =

محسناً إلى الطلبة وغيرهم، كثير الإيثار، محسناً لأهل الخير، متصفاً بالإنصاف، رجّاعاً إلى الحق، مواظباً على أفعال الخير، مهيباً، محبوباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس، قليل الخوض إلاّ في علم. وله قدرة على إبداء ما في نفسه بعبارة حسنة، غالبها سجع.

وتولى القضاء بـ(الشّحر) فصدع بالحق وحُمِدت أحكامه، إلا أنه كانت فيه حدة أضرّت به في كثير من أموره، وعزَل نفسه من القضاء. ثم في آخر أمره ضاقت عليه المعيشة وتنكّرت عليه الأحوال لأن أميرها مطران[1] كان يبغضه وكان إذ ذاك صاحب الحل والعقد في الجهة الشحرية. فعزم إلى عدن وحصل له قبول وجاه عند أميرها مرجان. ولمّا مات مرجان سافر إلى الهند فقرّبه السلطان مظفر وعَظّمه، ولما خبر علمه وفضله وورعه زاد في تعظيمه وأنزله المنزلة التي تليق به. وله في الألفاظ التي يُطْلَق عليها لفظ العين:

أحفظ أخي الذي قد جاء مشتركا في العين لفظاً تكن ذا فطنة وحِجى

عين الطريق وميزان وباصرة شمسٌ وماء ونقدٌ ثم حرف هجا

وذكر الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن بن سراج في كتاب «الدر الفاخر» أن من كراماته: أن رجلاً كان يقصده الناس في يوم معلوم إلى سكنه في البرية، يخبرهم بالأغيبات إن السلطان حزأ على الخروج إليه فقال له الفقيه محمد بحرق: أنه كافر، فاستعظم السلطان ذلك فبينما هما يتحاوران في ذلك، وإذا بعض خدم ذلك الرجل داخل فقال: كنا عند الشيخ وقال لنا إن السلطان عازم إلينا فمنعه الفقيه الحضرمي، فقال السلطان: وهذه كرامة فأتياه، فلما جلسا قال له الفقيه محمد: كيف حالك في سلوكك وعقيدتك، في توحيدك والإيمان بالله وبرسوله؟ فقال: إني عرفت الله بغير واسطة، فليس لي حاجة بالرسول، فطال بينهما النزع والمحاورة حتى اتفقا على أن يصعدا بروحيهما ويخبر كل منهما عن حاله في اللوح المحفوظ، فغابا عن إحساسهما، ولم يبق لأحدهما شعور في نفسه، ثم تغير وجه

= انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٥٧، ومعجم المؤلفين ٦/ ٩٥.

(١) الأمير مطران بن منصور، وهو يومئذٍ أمير الشِحر مِن جهة السلطان محمد وبدر إبني السلطان عبد الله بن جعفر ـ تاريخ بافقيه.

الفقيه محمد يحرق وأحمر وأسوّد ساعةً ثم ابيضّ وانجلى وتبسم. وفاقاً، فسقط الهندي على قدم الفقيه يُقبّلها وأسلم على يديه، فَسُئل الفقيه عن ذلك، فقال: لمّا طارت روحي وروحه سبقني فاستغثت بالنبي ﷺ فدمغه ورده وأخذني وأوقفني على اللوح المحفوظ، فكان ما رأيتم وكان سبب طيران ذلك الرجل الهندي وإخباره بالمغيبات كثرة المجاهدة والرياضة وتهذيب النفس حتّىٰ زالت الكشوفات وخفّت الروح فطارت. وحينئذ ألقت إليه الأكابر السلطان فمن دونه بالمقاليد وعولّت على آرائه المنيرة بحسن التقليد، وأطاعه إطاعة المأمور، وفوّض إليه أمر الجمهور، وملك زمام الأمور. ثم حصل بينه وبين الأمير خداوند منافرة، وكذلك بينه وبين السلطان، فخرج مغضباً إلى (كنباية) بغير استئذان، فلم يلبث برهةً من الزمان حتّىٰ وافته المنية في ذلك المكان، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان. وللفضلاء من تلامذته وغيره فيه مدائح ومقاطيع ومراثٍ، وفيه يقول العلامة عبد الرحمٰن:

لأيِّ المعاني زيدت القاف في إسمكم	وما غيرت شيئاً إذا هي تذكرُ[1]
لأنّك بحرُ العلم والبحرُ شأنه	إذا زيدَ فيه الشيء لا يتغيّرُ

[محمد التتائي]

وفيها [٩٣٠]: توفي الشيخ محمد التتائي المصري، المالكي، شمس الدين، الشيخ الإمام. إمام بمدرسة الشيخونية، وشرح الرسالة شرحاً حافلاً، وعدة كتب[2]، وكان معمور الأوقات بالعلم والعبادة والأوراد، صوّاماً قوّاماً. مؤثراً للخمول، لا يتردد إلى الأكابر والأعيان، ولا يأكل طعام ولاة الأمور وأعوانهم، وكان محرراً لمنقول مذهبه متابطاً له، وكان قاضياً بمدينة طرابلس، ثم حضر

(١) لم يرد الشطر الأول من البيت، وأثبتناه من «النور السافر» ص ١٤٠. وذكر قول لآخر في مدحه وهو:

فأنت بحرٌ وقاف ما لهُ طَرَفٌ	محمّدٌ اسمك المعروف موصوفا
سَميُّ خيرِ الأنام الطاهر من مضىٰ	يهناك بهناك هذا الفخرُ تشريفا

(٢) يبدو أن هنا كلاماً ناقصاً. وجاء في «معجم المؤلفين ـ ج ٨ ص ١٩٤» ذكراً للفقيه الأصولي محمد بن إبراهيم التتائي المصري، قال إنه توفي سنة ٩٣٧هـ. وأورد له مجموعة مؤلّفات، ولعلّه غير هذا لأنه أشار أنه وُلّي القضاء بالديار المصرية بينما هذا تولّى قضاء طرابلس.

دمشق، فحصل له محنة سُجن بسببها، ثم حصل له ضعف، فنقل إلى البيمارستان النوري بدمشق، واستمر به إلى أن توفي يوم الأحد ثاني ربيع آخر.

[محمد الدباسي المغربي]

وفيها [٩٣٠]: توفي أحمد بن محمد أبو العباس المغربي المشهور بالتباسي ـ بفتح المثناة وتشديد الموحدة ـ ويقال الدباسي المالكي وهو شيخ سيدي علي بن ميمون. وكان والده من أهل الثروة والنعمة، فلم يلتفت إلى ذلك بل خرج عن ماله وبلاده وتوجه إلى سيدي أبي العباس أحمد بن مخلوف الشّابي ـ بالمعجمة والموحدة، الهذلي القيرواني ـ والد سيدي عرفة، فخدمه وأخذ عنه الطريق، وكان سيدي أحمد بن مخلوف من أكابر الأولياء، ومن مناقبه أن الشيخ أبا الفتح الهندي لمّا توجه إلى المغرب بقصد زيارة الشيخ أبي مدين كشف له في بلاد البلاد عن شجرة مكتوب على أوراقها: لا إله إلا الله محمد رسول الله الشابي ولي الله، ثم آل أمرهُ إلى صحبته وفتح للشابي على يديه، فلازم التباسي خدمته حتّىٰ فتح له، وصار من كبار العارفين. وكان ينفق من الطيب، ولم يقرأ من القرآن إلا سورة يوسف، ومع ذلك كان إذا تكلم في الطريق يستحضر من البقرة إلى الجنة والناس، وكان يستحضر نصوص المدونة للإمام مالك. قال سيدي علي بن ميمون: دخلت عليه فوجدته يقرأ رسالة ابن أبي زيد على مقتضى ظاهر الشرع وباطن الطريق، فقلت في نفسي: هذا هو التقرير، وكان إذا أشكلَ على علماء جهته من مسائل العلوم الظاهرة يرسلونها إليه فيوضّحها لهم، ويقررها أحسن تقرير. وحصل له مرض، فأراد أن يتحول إلى محل آخر، وكان على فراش فأمر أربعة من أصحابه، فلم يستطيعوا رفعه، فاستدعى أربعة معهم، فخفّ عليهم جداً، ونظر بعض أصحابه امرأة أجنبية، ودخل عليه فاستطرد الشيخ في الكلام ثم قال: ما بال أحدكم يدخل علينا وعينه تقطر من الزنا، فاعترف صاحب النظرة بعد وجل الباقين، وكتب على خديه بقلم نوراني: رحمه الله، فكان لفظ رحمه مكتوب على خده الأيمن والجلالة على خده الأيسر كتابةً واضحة، وذلك قرب موته. وتوفي بـ (نفزاوه) بالنون والفاء والزاي، في ذي القعدة رحمه الله.

[صلاح الدين القليوبي]

وفيها [٩٣٠]: توفي الشيخ صلاح الدين القليوبي المصري الشافعي، أحد العلماء العاملين، والفضلاء أعلام الدين، ممن جمع العلم والحلم والصلاح، وسلك مسلك الزهد وطريق النجاح. أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والكمال بن أبي شريف وكمال الدين الطويل، وبرع في فنون كثيرة، وجلس للتدريس والإفادة، وفاز بالحسنى وزيادة. وكان يباشر وظائفهُ من تدريس علم وغيره، ويتصدق بمعلومها على الفقراء والمساكين، ويحسب الأيام التي لم يباشر فيها يوفرها للوقف.

وانتفع به جماعة من الطلبة، وكان متواضعاً حسن الأخلاق كريم النفس، كثير الإحسان إلى الجيران، مكرماً للضيفان، يتفقد جيرانه كل ليلة بالطعام وأنواع الأدام، ويقوم بأيتام حارته وأراملها خارج باب النصر. ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوي وأثنى عليه، وذكر أنه قرأ عليه عدة كتب، وانتفع بصحبته. رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما.

[نور الدين المقدسي]

وفيها [٩٣٠]: في ذي القعدة توفي نور الدين المقدسي الشافعي، أحد العلماء الأعلام، المميزين بين الحلال والحرام، المكاشفين في كل عصر وأوان، القائمين بمصالح العباد في جميع الأزمان. أخذ عن كمال الدين الطويل وشهاب الدين المسيري وشمس الدين الدواخلي بجامع الغمري بالقاهرة وغيرهم، وأجيز بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى وأقام بالمجلس، وانتفع به جماعة كثيرون، وشرح عدة كتب في مذهب الإمام الشافعي. وكان يفرح إذا أدبر أحد عنه إلى الاشتغال على غيره، وهذا من علامة إخلاصه. وله توجه تام إلى الملك العلاّم، وتهجّد بالليل والناس نيام، وله أوراد كثيرة عظيمة. وكان ورعاً زاهداً عفيفاً قانعاً، ولم يزل بالمحلة، حتى انتقل إلى رحمة الله ودفن بمقبرتها، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[بدر الدين التوزي]

وفيها [٩٣٠]: في يوم الإثنين لخمسٍ خلون من ذي الحجة، توفي بدر التوزي، العالم الإلهي، والمكاشف بحقائق الأشياء كما هي، القائم لله بحجته،

والموضِح لعباده نهج مَحجّته. اشتغل بعبادة الله تعالى، واتّقى الله حق تقواه.

كان من أولياء الله المستورين الذين لا يكاد جليسهم يميزهم عن العامة، لأنه إذا جلس مع فقيه.. كان فقيهاً، أو مع فقير كان فقيراً، أو مع عارف كان عارفاً، أو مع عامي كان عامياً. وكان له خلوة فوق سطح جامع الحاكم لا يدخلها أحد غيره ولا ولده في الليل، وله فيها عمامة من شراميط ومرقعة بالية يلبسها إذا دخل، فلا يزال يتضرع ويبكي وهم يسمعونه حتى يطلع الفجر، ثم يلبس ثيابه الحسنة ويخرج للصلاة. وكان الأكابر من الدولة وغيرهم يعظّمونه ويبجلونه، ويكرمونه ويهدون إليه الهدايا، فيفرقها على المحتاجين، ولا يأكل منها شيئاً.

وكانوا يسمعون أن الشيخ يعرف الكيمياء الصحيحة، وكان يعرف منهم أنه لا يُعظّمونه إلا ليعلمهم الصنعة. وخدمه الأمير (تغر بردى) الأستاذ دار، خدمة طويلة، فقال له: يا تغر بردى لا يخلو الأمر إما أن يأذن الله تعالى في العمل فتصح معك فيقتلك السلطان، وإما أن لا تصح معك فيقتلك السلطان كذلك وتُسلب نعمتك. فرجع عن ذلك الخاطر، وتاب إلى الله تعالى.

وكان للشيخ صدقات عظيمة لا يقدر أحد من الأمراء يقوم بها فضلاً عن آحاد الناس، وكان يُغسِّل الموتى الأولياء فلا يموت وليّ إلا ويوصي بأن لا يغسله إلا الشيخ بدر الدين فيتبركون بيده، وكان يقول: من مدّ يده للأخذ من أموال الولاة قصرت يده عندهم في الشفاعات، وقال: لا تصطلح مع نفسك أبداً تبعد عن حضرة ربك قهراً عليك. ولم يزل قائماً بمنافع الأنام حتى انتهت مدة الأيام، وانتقل إلى حضرة الملك العلاّم، ودفن قريباً من تربة يشبك. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمود ابن كمال]

وفيها [٩٣٠]: توفي المولى محمود ابن كمال الملقب باخي عنان الشهير باخي جلبي[1]. كان أبوه كمال الدين من بلدة (تبريز) ثم أتى الروم. وكان طبيباً

---

(١) في «الكواكب السائرة» ـ ج ١ ص ٣٠٥: الملقب باخرجان المشتهر باخي جلبي.

حاذقاً، واتصل بالأمير الكبير إسماعيل بيك الأمير بولاية (قسطموني)[1] ولمّا سلّم الولاية المذكورة للسلطان محمد خان، رحل كمال الدين إلىٰ قسطنطينية. واشتهرت حذاقته في الطب ورغب الناس في طلبه، وحصّل أموالاً ودوراً، وبها توفي.

وكان طلبهُ السلطان محمد ليصير طبيباً في دار سلطنته فاعتذر، وقال: كيف أختار الرق بعد الحرية، ثم خدم ولده المذكور الحكيم قطب الدين والحكيم ابن المذهب، وحصل عندهما طبًا كثيراً، واشتهر بالحذاقة، فوُلّي رئاسة الطب في المارستان[2]، ثم جعله محمد خان طبيباً لدار سعادته وأميناً لمطبخه، ثم حسده الأمراء وسعوا في عزله، فعُزل ثم رده السلطان سليم، ثم سافر إلىٰ الحج فحجّ، وتوفي بعد رجوعه بمصر المحروسة ودفن عند قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، وعمره يومئذ ست وتسعون سنة ولم يسقط له سنّ، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد ابن عزّ]

وفيها [٩٣٠]: محمد بن عز المصري[3]، مات غريقاً في خليج نيل مصر قريباً من الزاوية الحمراء. كان من الأولياء العارفين المعتقدين المكاشفين، وكان يسكن الزاوية الحمراء ولا ينام من الليل إلا قليلاً، ففي بعض الليالي يبكي إلىٰ الفجر. وبعضها يضحك، وكان يلبس ثياب الجند، وله مقلب خلف ظهره وعمامته دوارية، ويمشي بالسلاح. وكان له اعتقاد تام في قلوب الناس، وأكابر مصر يحترمونه، وكان مجاب الدعوة إذا دعا لأحدٍ أو عليه، استجاب الله تعالىٰ دعاءه.

زَحَمهُ إنسان بين القصرين. فسقط علىٰ وجهه، فدعا عليه بالتوسط فوسطه الباشا آخر النهار. وله مكاشفات وكرامات كثيرة، وإذا أخبر بشيء لا يخطىء قوله، وإذا أخبر بولاية أحدٍ أو عزله في وقت، وقع ما قاله في ذلك الوقت. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: ودعا لي بدعوات فوجدت بركتها، رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به.

---

(١) قسطموني: مدينة تركية جنوبيّ البحر الأسود.

(٢) المارَسْتان: دار المرضىٰ (فارسية).

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢١٨، الكواكب السائرة ١/٥٧).

[يعقوب ابن علي]

وفيها [٩٣٠]: توفي المولى الكامل العالم العامل سيدي يعقوب ابن علي[1]. اشتغل بطلب العلم حتىٰ برع فيه، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس، منها: إحدىٰ المدارس الثمان، ثم عُيّن له مائة درهم كل يوم بطريق التقاعد. واشتغل بالتصنيف فصنّف شرحاً لطيفاً جامعاً لفوائد الشريعة لكتاب «شرعة الإسلام». وكان السلطان بايزيد خان لَقّبهُ «شارح الشرعة» لميله إلىٰ الشرح المذكور، وكتب حواشٍ[2] علىٰ «ديباجة المصباح» في النحو، وهي متداولة بين الطلبة، وله شرح علىٰ كتاب قلتان[3] للشيخ سعدي الشيرازي بالفارسية، وكتب الشرح بالعربية لتسهيل معرفة اللسان الفارسية علىٰ الطلبة. مات راجعاً من الحج، رحمه الله تعالىٰ.

[ابن القرطاس]

وفيها [٩٣٠]: توفي محيي الدين؛ محمد الشهير بابن القرطاس، كان أبوه من الفرس، ثم رحل إلىٰ الروم وولّي قضاء بلدةٍ بها، ونشأ ابنه في حجره وأخذ عنه، وعن الفاضل بن المؤيد والشيخ محمد بن الحاج حسن، وولّي عدة مدارس في بلدان كثيرة. وكان كثير العبادة، ملازماً لتلاوة القرآن والأوراد الشهيرة، وكان سليم الصدر حسن الذكر، مرضيّ السيرة، كثير المودة، محبوباً متواضعاً. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[عُبيد السلماني]

وفيها [٩٣٠]: وبيع أول توفي عبيد بن عبد الله بن محمد بن يونس بن حامد السلموني، ثم القاهري الأزهري الشافعي الشاعر. وُلد في رجب سنة (٨٥٤هـ) أربع وخمسين وثمانمائة بـ (سلمون) وقَدِم القاهرة، واشتغل قليلاً، ولا زال يتدرب بالشهاب حتىٰ أتصقل نظمه. وكان له فهم في كلام القوم، وكان كثير الهجو أهانه

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/٣١).

(٢) وردت: حواشي.

(٣) أورده مؤلف المنجد باسم: غلستان ـ المنجد في الأعلام ص ٣٠٠.

بسببه البدر بن ناظر الجيش، ثم استرضاه بعد الإنكار عليه من العقلاء، وأنابه وازداد في الجرأة على الأكابر إلى أن هجا قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة بقصيدة مطلعها:

فشا الزور في مصر وفي جنباتها ... ولِمْ لا وعبد البر قاضي قضاتها
فلو أمكنه كعبة الله باعها ... وأبطل منها الحج مع عمراتها
فإن كان في الأوقات ثُمّ بيّنة ... تكذبني فيما أقول فهاتها

وعقد له بسبب ذلك مجلس أدى إلى سجنه، ثم أُطلق وعُقِت بعد ذلك، واستمر إلى أن مات، ودفن بتربة المجاورين. رحمه الله تعالى وإيانا.

[سنقر البَعْلي]

وفيها [٩٣٠]: توفي الشيخ أبو سنقر، وقال بعضهم (سنقر) من غير (أبو)، البعلي الأصل الدمشقي، كان مجذوباً عارفاً، وكان حضر الشام، وكان مربوعاً أبيض اللون عليه جلابه بيضاء دائماً، وعنده كشتون كبير وعصا كبيرة، وإذا سأله أحد مسألة من المغيبات، ضرب بالكشتون على العصا ثم يتكلم بما يقتضيه الحال، ويقال إنه من الإبدال. وكان يتكلم بكلام فيه كشف، وله كرامات كثيرة، وتوفي يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة بالبيمارستان النوري بدمشق، ودفن بباب الصغير، ومات وهو في عشر السبعين، وقيل: توفي سنة إحدى وثلاثين رحمه الله تعالى.

[إسماعيل الصفوي]

وفيها [٩٣٠]: توفي شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي الأردبيلي[1]، وكان مولده سنة (٨٩٢هـ) ثنتين وتسعين وثمانمائة، وتقدم ذكر آبائه، وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب، وكان ظهوره سنة (٩٠٥هـ)

(١) هو مُؤسِّس الدولة الصفوية الشيعية في إيران ١٥٠١م. ابن حيدر بن جُنيد. وُلد في أردبيل. استعان بقبائل الأتراك واستولى على أذربيجان. قضى على ألْوَند سلطان الأق قيونلو. اتخذ تبريز عاصمة له وفرض المذهب الشيعي وتلقّب بالشاه. تابع فتوحاته فأخضع بغداد وبلغ إلى هَراة في أفغانستان شرقاً. هزمه سليم الأول في جالديران ١٥١٤م. خلفه ابنه طهماسب آ. (المنجد في الأعلام - ص ٤٧).

خمس وتسعمائة كما مر، وأظهر مذهب الرفض والإلحاد وغيّر اعتقاد أهل العجم إلى الانحلال والفساد، بعد الصلاح والسداد، وأخرب ممالك العُجم، وأزال من أهلها حُسْن الاعتقاد، والله تعالى يفعل ما أراد، وتلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع تلك البلاد.

وفي سنة (٩١٥هـ) خمس عشر ظهر من أتباعه شخص في بلاد الروم، يقال له (شيطان قولي) أهلك الحرث والنسل وهمّ بالفساد والقتل، وتبعه غواة لا تحصى، وقويت شوكته. وعظمت به البلوى، فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم (علي باشا) بعسكر كبير، فاستشهد علي باشا وانكسر (شيطان قولي)، وقُتل أكثر جماعته. ولم يزل شاه إسماعيل يزداد حتى ملك خراسان والعراقين وغيرها من البلاد، فتهيأ السلطان سليم خان لقتاله، وأقدم على جلاده وجداله، والتقى العسكران ونصر الله السلطان سليم خان كما سبق.

[فتنة في مصر]

وفيها [٩٣٠]: : حصل في مصر اختباط بسبب عصيان أحمد باشا، وذلك أن السلطان سليمان لمّا وُلّي السلطنة قدّم للوزارة العظمى مملوكه إبراهيم باشا، وكان أحمد باشا مملوك السلطان سليم خان مقدماً عليه في المرتبة، فأنفت نفسه من تقدم إبراهيم، فجلس فوقه في صدر الديوان، فطلب إبراهيم باشا من السلطان أن يولّي أحمد باشا مصر فولاه، وتوجه أحمد باشا إليها، وكتب إبراهيم باشا إلى الأمراء المحافظين في مصر أن يقتلوا أحمد باشا، فلما وصل الشاووش الذي معه هذا الأمر إلى الإسكندرية، وكان واليها مملوكاً لأحمد باشا، فأحب أن يطّلع على ما معه من الأمر، فأضاف الشاووش، وأسكره فلما أرسل الأمر، أوصل به إلى سيده أحمد باشا فغضب، وقتل الأمراء الذين أمروا بقتله، وخطب لنفسه وأظهر شعار السلطنة، وحصل حرب كبير وقتل كثير. ثم اجتمع جانم بيك الحمزاوي والأمير محمد بيك وجمعا العسكر، وكان أحمد باشا دخل الحمّام فهرب منه إلى البر، واستجار بشيخ العرب عبد الدائم بن بقر ثم طلبه العسكر حتى ظفروا به وقتلوه، ومن ألطف تاريخ قتله بيت بالفارسية وهو:

كشته شدخونكما وبنا مردى ... كشت تاريخ قتل أر قتلت

وقُتِل معه الشيخ ظهير الدين الأردبيلي الشهير بقاضي زاده، أصله من العجم واشتهر بالعلم هناك، ولما دخل السلطان سليم خان مدينة تبريز أخذه معه إلىٰ بلاد الروم، وعيّن له كل يوم ثمانين درهماً، وكان له مشاركة في كثير من الفنون لا سيما الإنشاء والشعر، وترجم تاريخ ابن خلكان بالفارسية. وكان له خط حسن وفصاحة عجيبة وأدب ووقار وسكينة. رحمه الله.

وكان سليمان الرئيس مقيماً في مصر في ابتداء الفتنة ففر إلىٰ جدة، وحسّن لأميرها حسين الرومي العود إلىٰ اليمن، وكانت الإفرنج تكمن في (كمران) يتخطفون المسلمين، فدفعوا ضررهم وقتلوا جماعة وأسروا آخرين، ونُظّف ساحل اليمن من الإفرنج. وقامت طائفة من عسكر اليمن تريد الاستبداد بالملك، فقتلوا (كمال بيك) أمير زبيد و(رمضان) أمير تعز وولّوا عليهم رجلاً منهم يسمى (إسكندر القرماني)، فلما بلغ ذلك سليمان الرئيس والأمير حسين أرسلا إلىٰ الإسكندر يطلبان منه الطاعة، فأراد أن يطيعهما فأبى العسكر فوافقهم ظاهراً؛ فأرسلا إلىٰ يافع ومن حولهم من العرب وإلىٰ صاحب جازان السيد عز الدين يستعينان بهم علىٰ عسكر إسكندر، فاجتمعوا ووقع حرب كبير فانهزم الإسكندر ومن معه إلىٰ زبيد، وطلبوا الأمان فآمنوهم، وقع بين سليمان والسيد عز الدين منافرة أدت إلىٰ حرب شديد قتل من كل نحو الأربعمائة[1]، وقتل السيد عز الدين في المعركة رحمه الله تعالىٰ.

[جمال الدين القرغاني]

وفيها [٩٣٠]: أو في التي تليها، توفي الشيخ جمال الدين القرغاني[2] المعروف بجمال خليفة، الإمام الصوفي الذي برق مجده لامع، والعابد الذي سحاب فضله ساطع. الشيخ السالك لأحسن طريق، والجهبذ الذي ببيت المعالي عريق. اشتغل أولاً بالعلم الظاهر، وشهد له أقرانه بالفضل الباهر. قرأ علىٰ قاضي زاده، وأخذ عن الشيخ مصلح الدين القسطلاني وصحبه ثم مال إلىٰ التصوف وترك

(١) تفاصيل هذه الوقائع تجدها في كتاب «درر نحور الحور العين» تأليف لطف الله جحّاف ـ المطبوع بتحقيقنا.

(٢) أورده صاحب «الكواكب السائرة ـ ج ١ ص ١٧٣» بلقب: القراماني.

صحبة القسطلاني وسببه أنه أتى لشيخه بمصحف بخط أرعون[1] الكاتب المشهور، فأعجبه وكان قاضياً بقسطنطينية؛ فقال: كم يريد صاحب المصحف؟ قال: ستة آلاف درهم، قال: كثير، ورده. ثم أتىٰ إليه بفرس عظيم فاشتراه بعشرة آلاف درهم، فقال صاحب الترجمة في نفسه: إذا كان هذا القسطلاني وهو من أكابر العلماء يفعل ذلك في آخر عمره، فكان ذلك سبب انقطاعه عنه، ثم صحب الشيخ حبيب[2] واشتغل عنده بالرياضة حتىٰ حظي بأوفر نصيب، وأذن له بالإرشاد ونفع العباد، وأقام مدة من الزمان ببلاد (قرامان) ثم تحوّل إلىٰ بلاد (القسطنطينية) الكبرى؛ فبنىٰ له الوزير بيري [باشا] زاويةً عُظمىٰ وتصدىٰ للنفع العام لجميع الأنام.

وكان يعظ الناس في غالب الأحوال، وكان يحصل له وجد وحال وربما صاح وألقىٰ نفسه عن منبر أو مكان عال، وكل من سمع وعظه أثّر فيه، وكم من فسق تاب وكافر أسلم علىٰ يديه.

وكان ذا أخلاق رضية وشمائل مرضية، زاهداً تقياً، ورعاً نقياً، متضرعاً إلىٰ الله، مبتهلاً خاشعاً، متواضعاً متبتلاً. يستوي عنده الغني والفقير، والكبير والصغير، يغسل ثيابه بيده وربما مرّ عليه في هذه الحالة الأمير في جنده.

وله كلام نفيس في التصوف وغيره، ومنه قوله: التوحيد والإلحاد يصعب التمييز بينهما، وربما لا يقدر عليه أحد فالوقوف علىٰ طريقتك أسلم. وقوله: إذا غلبك خاطر لياتي التصوف فاختر من المشايخ من كان ثابت القدم في الشريعة فإن رأيت فيه ما يخالف الشرع ولو قليلاً فاحترز منه فإن مبنى الطريقة علىٰ رعاية الأحكام الشرعية وآدابها.

[أحمد الكناني]

وفيها [٩٣٠]: توفي الشيخ أحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله الشهاب الكناني، الحوراني الأصل، الغزّي، المقرىء، نزيل مكة[3]. وُلد في حدود الستين

(١) في الكواكب: أرغون.

(٢) في الكواكب: حبيب القراماني الآتية ترجمته في حرف الحاء المهملة.

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢١٣، الضوء اللامع للسخاوي ١/٣٠٩، الطبقات السنية ـ

وثمانمائة بـ (غزّة) ونشأ بها، فحفظ القرآن والجمع وطيبة النشر وغير ذلك، واشتغل بالقراءات وتميّز فيها، وأتقن علم العربية، وشارك في الفقه وغيره، ونظم ونثر، وكان خيّراً ديناً منجمعاً عن الناس؛ لازم الحافظ السخاوي رواية ودراية. وقطن مكة ثم قدم القاهرة، وأخذ عن علمائها ثم سافر إلىٰ غزة وأقبل عليه أهلها، وكان يخطب ويعظ بجامع الأشرف قايتباي بغزة، ومن نظمه:

سلام علىٰ دار الغرور لأنها ... مكدرة لذاتها بالفجائع
فإن جمعت بين المحبين ساعة ... فعمّا قليلٍ أردفت بالموانع

وكان كثير الرحلة والتنقل، رحل إلىٰ (اليمن) وأخذ عن علمائها، وإلىٰ (زيلع)، وتردّد إلىٰ (طيبة) المشرفة، ومات بغزة رحمه الله تعالىٰ.

سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة

[محمد بن حسن باعمر]

توفي الشريف محمد بن حسن بن أحمد، اشتهر والده بـ (باعمر)[1]. أحد العلماء والصلحاء، والأدباء الفضلاء. وُلد بـ (تريم)، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل أولاً بعلم التجويد والقراءات حتىٰ اشتهر بالمجوِّد. وأخذ عن السيد العلامة محمد بن عبد الرحمٰن بلفقيه؛ والفقيه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، وجدَّ في الاشتغال، ونال ما نال. ثم غلبت عليه العبادة، وترك العادة: فلازم الصيام والقيام، والصلاة بالليل والناس نيام.

وكان يحب الفقراء، والعلماء والصلحاء، ملازماً لمجالس الصوفية، خالصاً لله في السر والعلانية. وكان كثير التلاوة ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، وكان كثير النفع

- في تراجم الحنفية للغزي ١/٣٥٧).

(١) كما اشتهر بلقب «قايه» ـ انظر: (شمس الظهيرة ج ١ ص ٣٧٢)، وتدريج نسبه كالتالي: محمد بن حسن بن أحمد قايه بن عمر بن علي بن عمر بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله ابن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

لأصحابه، جزيل الجدوىٰ لأحبابه. واستمر كذلك إلىٰ أن انتقل بالوفاة إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، ودفن بـ (زنبل). رحمه الله عز وجل.

[خواجا زاده]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ مصلح الدين مصطفى الشهير بـ (خواجا زاده). وكان رأساً من رؤوس الصوفية، صاحب مناقب علية، وأحوال بهية. مُكَاشفاً بحقائق أسرار الكتاب، مُطلعاً علىٰ مزايا الخطاب. اشتغل بالعلوم الشرعية، وتحلّى بالآداب النبوية، ثم أقبل علىٰ علوم الصوفية فأخذ عن العارف بالله تعالىٰ حاجي خليفة[1] وأجازه بالإرشاد وأقامه مقامه في الزاوية بعده بوصية منه، ثم ترك الزاوية لأجل الشيخ نصُوح واشتغل بنفسه، واعتزل عن أبناء جنسه واجتهد فيما ينفعه بعد حلول رمسه.

وكان ذا هيبة ووقار، وفشىٰ في صفحات وجهه الأنوار، وكان يقوم الليل ويصوم النهار. ثم ارتحل إلىٰ (بيت المقدس)، وتجرّد للعبادة مما يرجو به الحسنىٰ وزيادة، ولم يزل محافظاً علىٰ الأوقات متحلياً بمحاسن الصفات إلىٰ وقت الممات، وقَدِم علىٰ رب البريات، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[محمد البلبيسي]

وفيها [٩٣١]: توفي محمد المنير شمس الدين أبو عبد الله البلبيسي الأصل الخانكي، أحد أئمة الدِّين؛ وبقية السلف الصالحين. وهو من أجل أعلام المشايخ، ونحارير الفضلاء أُولي القدر الشامخ. حفظ «القرآن العظيم» وهو صغير، وحفظ كتاب «الروضة» للإمام النووي عن ظهر قلب، ومكث في أول سلوكه يقرأ بالنهار ختمة وبالليل ختمة؛ ويحج كل سنة ويزور بيت المقدس؛ استمر علىٰ ذلك أكثر من سبع وستين سنة متوالية. وصحب الشيخ إبراهيم المتبولي، وأخذ عن كمال الدين إمام الكاملية بمصر المحروسة، وكان يأتي كل يوم من محل زاويته إلىٰ

(١) هو رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية في أيام سلطنته. له مؤلفات منها: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ (سركيس: معجم المطبوعات العربية ج ١ ص ٧٣٢).

الكاملية، فيحضر درس الشيخ ويرجع لأجل السقاية، وذلك نحو مرحلتين ذهاباً وإياباً، مكث على ذلك ثلاث سنين، وكان مقيماً بـ (بلبيس) ثم بلغه أن امرأة معها ولدها فعطشا فمات ولدها من العطش، فجاء إلى ذلك المحل فحفر فيه بئراً وبنى زاوية فاجتمع عنده فقراء عمروا بيوتاً فصار قرية، ورتّب فيها طعاماً للواردين. وزاويته من أكثر الزوايا نفعاً لأنها على الطريق السلطاني، فكل من سافر إلى (القدس) أو (الشام) أو (غزة) أو رجع منها إلى (مصر) لا بد أن يأكل من سماط الشيخ ويشرب من زاويته غالباً، وكذا الأمراء يتباركون بها، ويأكلون ويشربون منها. قال بعض الأولياء: إن الشيخ وضع فيها اللقمة للفقراء، وقال: ما دامت اللقمة في هذه الزاوية، فالبلاء الجائي من الشرق مدفوع عن أهل مصر فإذا فرغ الطعام منها جاء أهل مصر البلاء، وهكذا كان سيدي الشيخ إبراهيم المتبولي يقول عن زاويته في بركة الحاج كما ذكرنا في ترجمته.

وحُكي أنه لما وقف ملك الأمراء (خاير بك) على زاويته الرزقة المعدة للسماط، رأى الشيخ محمد المنير النبي ﷺ، وقال له: لا يسعى أحد في إخراج هذه الرزقة عن زاويتك إلا أهلكه الله تعالى. وكان رضي الله عنه يعتكف في رمضان كل سنة في الجامع الأزهر، ويجتمع عنده الفقراء يقرؤون كل يوم ختمة بالنهار وختمة بالليل، ويحصل على يديه خير كبير، وصدقة للفقراء. وإذا حج يحج على التجريد، ولا يركب إلا نادراً، ويحمل الإداوة على كتفه يسقي العطشان، ولا يأكل في الحرمين إلا نحو ثلاث تمرات خوفاً من أن يحتاج إلى البراز في تلك الأماكن، ولا يحلق رأسه إلا في نسك، ويحمل لأهل الحرمين كل سنة غالب ما يحتاج إليه الفقراء من الزاد والثياب والصابون والخيط والإبر، ولكل فقير وفقيرة عنده نصيب ويبلغونه فقراء الحرمين نحو مرحلة، ويحمل الفقراء إذا انقطعوا على جِمَاله.

قال الشيخ محمد بن قفيقني أحد أصحاب سيدي حمد الغريف: هرب جمالي وأنا مسافر إلى (الحجاز)، فأعطاني خمسمائة دينار، فلما وصلت إلى (مكة) ذهبت بها إليه فلم يقبلها، وقال: ما أعطيتها إلا لله. وكان يلبس البشت المخطط الأحمر، ويقول: أنا أحمدي، وعمامته صوف أبيض، وله شعرة بيضاء، وكان

يكره الكلام في الطريق من غير سلوك ولا عمل ويقول: هذا كله بطالة. وكان سريع العطب لمن ينكر عليه، وما آذاه أحد إلا قصمه الله تعالى من غير دعاء، وهو الذي قتل الشيخ محمد بن عراق لمّا أنكر عليه قبول الصدقة للفقراء من الأمراء، وقال: هذا يحمل الشبهات للفقراء، فبلغه ذلك فمضى إليه حافياً وكشف رأسه وأخذ عمامته وجعلها تحت إبطه، ووقف على باب خلوة ابن عراق بالحرم النبوي، وقبّل العتبة ووقف غاضّاً طرفه، وقال: دستور يا سيدي محمد، ابن المنير يريد الاجتماع. فلم يخرج إليه، فرجع وشكاه للنبي ﷺ فمرض من ذلك الوقت، ومات بعد عشرين يوماً، ولمّا بلغت هذه الحكاية الشيخ علي الخوّاص البرلسي قال: هذه عادته ما كشف رأسه لأحد إلا قتله الله بسببه. قلت: ذكر هذه الحكاية سيدي عبد الوهاب الشعراوي لكن يخدشها أن الشيخ بن عراق توفي سنة (٩٣٣هـ) ـ ثلاث وثلاثين.

وابن المنير توفي سنة إحدى وثلاثين، وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي ترجمته، وقال: لما حضرته الوفاة سافرت إليه أيام الشتاء القصار على حمار أعرج، فوصلت ضحوة نهار وأقمت إلى وقت الظهر عنده، ورجعت إلى (مصر) قبل المغرب وهذه كرامة له. ولم يزل ـ رضي الله عنه ـ على هذه حالته إلى أن نقله الله تعالى إلى حضرته في يوم الخميس لتسع بقين من صفر الخير، ودفن بزاويته وقبره بها يزار وعلى مكانة الواردون كثير، وجعل الله تعالى في ذريته البركة لا يخلو موضعهم من فقير يكون ضيفاً فيقرون كل من ورد عليهم، ويعظمونه. رضي الله عنه عن الجميع ونفعنا بهم.

[أحمد أبو طاقيه]

وفيها [٩٣١]: توفي أحمد المنير أبو طاقية[١] والد الشيخ عتاب والشيخ عبد القادر، وصحب الشيخ عبد القادر الدشطوطي[٢]، وساح معه إلى العجم وغيرها مدة أربع وعشرين سنة، ولما عاد إلى مصر، لم يزل في صحبته حتى توفي الشيخ

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٥٥).
(٢) من كبار الصوفية، وستأتي له ترجمة في سنة وفاته: ٩٢٤هـ.

عبد القادر، وكان يقرىء الأطفال احتساباً لله تعالىٰ، وكان يأتي بهم إلىٰ شيخه كل يوم قبيل العصر، فيجتمعون عنده للقرآن، فيحصل للشيخ تواجد عظيم عند سماعهم، ولم يكن عند الشيخ عبد القادر أحد أمثل من الشيخ أحمد، كان موضع أسراره. وسبب تسميته بأبي طاقية: أنه كان لا يلبس عمامة بل يلبس طاقية بيضاء مضربة علىٰ شعر رأسه الطويل.

وكان مهيب المنظر كثير التواجد عند سماع القرآن، وكلام القوم ربما حمل الرجلين وأكثر ودار بهم في السماع، وسبب وفاته أنه حضر يوماً في جمع من الفقراء في زاوية الشيخ خارج باب الشعرية فقام فقير، وضرب رأس نفسه بطير حديد، فأنكر عليه الشيخ أحمد، فقال الشيخ بدر الدين السردي الأحمدي: لا تنكر يا شيخ أحمد، فقال: بل أنكر عليه ذلك، فوقع بينهما معارضة فوجّه كل منهما سهمه إلىٰ صاحبه فقتله بالحال، وذلك أن الشيخ بدر الدين سافر إلىٰ سيدي أحمد البدوي يشتكي الشيخ أحمد فمات في الطريق، ومات الشيخ أحمد ثالث يوم، ودفن بزاويته بخط المقسم بجوار زاوية سيدي مدين، وقبره بها ظاهر رضي الله عنهم ونفعنا لهم.

[علي المَرْصَفِي]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ نور الدين علي المرصفي[1] الجامع بين الشريعة والحقيقة، وقدوة أهل الطريقة، المسلك العارف بالله تعالىٰ. كان أبوه إسكافياً ونشأ هو تحته كذلك، ثم اجتمع بالشيخ مدين وهو ابن ثمان فلقنه الذكر، ثم أخذ عنه ولد أخيه محمد، وأذن له في التصدر للمشيخة، وأخذ العهد في جملة من أجازهم، فلم يشتهر منهم إلا هو، وأخذ عنه خلق كثير.

واشتغل بالعلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، وسمع عن جمع كثيرين. وصحب جماعة من العارفين، وأجازوه في الدرس والإفتاء، وانتفع به غير واحد من العلماء، منهم: الشيخ الشيرازي، ونجم الدين الغيطي ذكره في معجمه، وقال:

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٦٩، معجم المؤلفين ٧/ ٨٨ـ وفيه مصادر أخرى. كما أشار كحالة إلى أنّه قد يُقال له: المرصفاوي. وذكر له مؤلفات غير الواردة هنا.

أخذت عنه بعض رسائله في التصوف، وتلقنت منه الذكر.

وله مؤلفات كثيرة، منها: رسالة في الكلام علىٰ الآيات المتشابهات، ومختصر رسالة القشيري رحمه الله تعالىٰ، وعاش حتىٰ انقرض جميع أقرانه. ومن كلامه: أجمع أهل الطريق علىٰ أن الملتفت بغير شيخه لا يفلح، وقال: إذا ذكر المريد ربه بقوة طويت له مقامات الطريق بسرعة، وربما تطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر، وقال: أربع مراتب يتزاحم الناس عليها بغير حق: تلقين الذكر، وإلباس الخرقة، وإرخاء العذبة، وإدخال الخلوة. أما التلقين فشرط الشيخ كونه بقدرة الله تعالىٰ يفرغ علىٰ المريد حال تلقينه جميع ما قسم له من علوم الشرع، فلا يحتاج بعد إلىٰ مطالعة كتاب، وشرطه في الخرقة أن يلبسه جميع الأخلاق المرضية، وشرطه في إرخاء العذبة أن يخلع عليه سر الزيادة في كل ما نظر إليه أو مسّهُ حتىٰ لو مَسَّ حجراً أو خشبا امتد معه.

[محمود ميرم]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ الفاضل العالم الكامل محمود بن محمد ابن قاضي زاده الرومي[1]، الشهير بالمولى ميرم جلبي[2]، اشتغل بتحصيل العلوم علىٰ جماعة، منهم: الشيخ خواجه زاده والمولى سنان باشا، ثم وُلّي تدريس عشرة مدارس بـ (أدرنة) و(بروسّا)، ثم طلبه السلطان بايزيد، وقرأ عليه العلوم الرياضية لكونه أشتهر بها وفاق أقرانه فيها، ثم ولآه قضاء العسكر، ثم عزله، رحج بيت الله تعالىٰ الحرام، وعيّن له كل يوم مائة درهم وعاد إلىٰ بلاده (أدرنة)، واستمر بها إلىٰ أن مات. وكان سليم الصدر حليماً صبوراً صاحب مروءة عظيمة، وكان يعرف من كل علم ـ أصولاً وفروعاً ومنقولاً ومعقولاً ـ طرفاً صالحاً، وبرع في العربية وعلم الفلك والهيئة، وصنف عدة كتب، منها: تفسير القرآن من سورة الفتح إلىٰ آخر القرآن، وكتاب ربط السور والآيات، وله حواشٍ[3] علىٰ شرح العقائد العضدية للعلامة الدواني، وشرح إيساغوجي، وشرح الكافية، وشرح الموجز في الطب،

(١) انظر: (معجم المؤلفين ١٢/ ١٩٥. وفيه مصادر ترجمته).

(٢) وردت في الأصل: ميري حلبي.

(٣) وردت: حواشي.

وشرح الفتحية في الهيئة للعلاّمة علي بن محمد القوشجي، ورسالة في معرفة [سمت] القبلة. ولمّا وُلّي السلطنة سليم خان قرّبه وبلغ عنده الرتبة العالية، وله ترجمة حياة الحيوان بالفارسية، وغير ذلك. رحمه الله تعالى.

[محمد القوجوي]

وفيها [٩٣١]: توفي المولى محيي الدين: محمد بن القوجوي[1]، أحد مشاهير علماء الروم، أخذ عن والده عدة علوم، وقرأ على المولى بهاء الدين والمولى صدى المدرس بـ (أماسيه)[2] والشيخ حسن بن محمد شاه الفناوي، ثم وُلّي عدة مدارس ووُلّي إحدى المدارس الثمان، ثم وُلّي قضاء بـ (القسطنطينية) في زمن السلطان سليم ثم قضاء العسكر، ثم قضاء (مصر) المحروسة، ثم حج ورجع إلى (الروم).

وكان عالماً بالعلوم العربية والتفسير والحديث والأصول والفروع، وله معرفة بالعلوم العقلية، وكان صاحب بيان فصيح اللسان، له إنشاء بليغ في العربية، وصف نفسه في بعض رسائله بقوله:

نـزل الـتـلـويـح عـلـى هـامـتـي   حـتـى تـقـوّس بـهـا قـامـتـي

ولا يخفى ما في هذا من الاستعارة الحسنة والتوشيح البليغ، رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد الزقّاق]

وفيها [٩٣١]: توفي أحمد بن علي بن قاسم الزقاق ـ بزاي وقافين ـ أبو العباس المالكي[3] الإمام العالم الكامل محيي رباع العلوم والفضائل، علاّمة مصره وفهامة عصره، أخذ عن جماعة من أهل بلده منهم والده[4]، وسمع الحديث منه

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٢، شذرات الذهب ٨/ ٢٢٥، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٤٥). وقد ورد لقبه في الأصل: القوجي ـ تصحيف.

(٢) أماسيه: بلدة تركية.

(٣) أضاف صاحب «معجم المؤلفين» من صفاته: التجيبي، الفاسي. إلاّ أنه ذكر وفاته سنة ١٠٣١ـ تصحيف.

(٤) توفي والده سنة ٩١٢هـ وكان فقيهاً، ناظماً، مشاركاً في بعض العلوم. من أهل فاس. =

ومن غيره، واعتنى بهذين الفنين. رحل إلى مصر وإلى الحرمين، وأخذ بها عن جماعة، وأجيز بالتدريس وتفقه به كثير من أهل فاس وغيرهم، ولازمه ابن أخيه عبد الوهاب الزقاق. وله مصنفات، منها: شرح منظومة والده في القواعد[1] وشرح بعض الرسالة المدونة ومختصر خليل.

[عبد القادر الصائي]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ عبد القادر الصائي[2] الشافعي، جمال الدين. العلاّمة المحقق. أخذ عن الشيخ الشهاب الحجاري الأديب، والمسند أبي الخير الملتوتي الوفائي، وغيرهما. وتفقه وتصوف وسمع الحديث من جماعة من الحفاظ، وأجازه غير واحد. وانتفع به جماعة، وتخرج به غير واحد، منهم: الحافظ النجم الغَيْطي[3]، ذكره في معجمه. رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما.

[عابد جلبي]

وفيها [٩٣١]: توفي المولى عبد العزيز بن يوسف بن حسين الحسيني، الشهير بـ (عابد جلبي)[4]. قرأ على محيي الدين الباسومي، وقطب الدين حافظ المفاضل قاضي زاده الرومي، والمولى علي بن يوسف الفناوي، والمولى معرف زاده، ثم وُلّي مدرسة (كليبولي) ثم قضاء بعض النواحي. وكان صاحب ذكاء وفطنة وصاحب تدبير وتواضع للكبير والصغير، لطيف المعاشرة، حسن المذاكرة، كريماً

= من آثاره: لامية في علم القضاء، والمنهج المُنتخب إلى أصول المذهب ـ ط، منظومة في أصول المالكية ـ (الأعلام ج ٤ ص ٣٢٠، معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٦٩).

(١) سمّاها: المنهج المنتخب في قواعد المذهب، ولم يكمله ـ معجم المؤلفين ج ٢، ص ١٦.

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٥٢، شذرات الذهب ٨/ ٢٢٤) وقد ورد لقبه في الأصل: «الصابي» ـ تصحيف. وذكر الغزّي أن لقبه نسبةً إلى صائيه قرية داخل الشرقية من أعمال مصر.

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي الغَيْطي، السكندري، الشافعي (نجم الدين). مُحَدِّث، مسند، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة ٩٨٤هـ وله مصنفات ذكرها صاحب: معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢٩٣.

(٤) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٤٠، شذرات الذهب ٨/ ٢٢٤، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٣٥).

سخياً، ومات بمدينة (كفه). رحمه الله تعالى وإيانا.

[علي ابن الشحنة]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ علي بن محمد بن محمد بن محمود بن علوي أبو الحسن بن الكمال الحنفي ويعرف بابن الشحنة، أخو المحب. وُلد سنة ست وخمسين وثمانمائة وحفظ «القرآن»؛ و«المختارة»، وأخذ عن أبيه وأخيه المحب وناب عنهما، واشتغل بقضاء أعمال حلب. وكان فاضلاً مفتناً، ذا نظم ونثر وبراعة وفقه وأدب، ومن نظمه رحمه الله تعالى:

وقُطٌ كليث كامل الحسن صائد ... ففي عزمه واللون شبه عنترا
يفوق على قط الزباء تفضلاً ... وسميته من ستره المسك عنبرا

ومن عجيب أمره أنه لم يشتغل بالنحو، ومع ذلك ما لحن في نظم ونثر قط، وسببه أنه رأى النبي ﷺ في النوم، وسأله عن إصلاح لسانه فأطعمه حلوًى فكان لا يخطىء بعد ذلك في العربية، ونَظَم هذين البيتين وأمر بإلقائهما معه في لحده، ففعل وهما:

إلهي قد نزلت بضيق لحدي ... بأوزار ثقال مع عيوب
وعفوك واسع وحماك حصن ... وأنت الله غفار الذنوب

[عبد الكبير الجمّال]

وفيها [٩٣١]: توفي الشيخ عبد الكبير بن محمد بن أحمد العلاء أبو القاسم بن الجمال الحرازي المكي. ولد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، وحفظ «القرآن»، و«الكنز»، و«المنار»، و«الأربعين» للنووي، و«ألفيّة ابن مالك»، وعرض محفوظاته على مشايخه. وقرأ على والده «الألفية»، و«الكنز» إلى البيوع، وعلى قاضي الحنفية الجمال محمد بن الضياء ولازمه مع ولده أبي القاسم، وجدّد القاضي عبد القادر المالكي في الحديث والنحو، وسمع على قاضي الحنابلة السيد عبد القادر الفاسي بـ (طيبة) صحيح البخاري والشفاء، وعلى الشيخ خير الدين بن ظهيرة الشفا وغيره، ولازم الشهاب بن حاتم في الحديث. وكان خيّراً دَيِّناً متودداً، مات بمكة المشرفة ثاني شوال ودفن بالمعلاة. رحمه الله تعالى.

[بركات بن محمد]

وفيها [٩٣١]: لست بقين من ذي القعدة، توفي الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة[1]. سلطان الحرمين الشريفين، حامي حمى المحلين الشريفين، فرع الشجرة الزكية زان العصابة الهاشمية. وكان مولده سنة إحدى وستين وثمانمائة[2] بمكة المشرفة البهية، ونشأ في كفالة والده في رفاهية وشريف تربية، أشركه والده في الأمر، وصار يباهي به في السر والجهر، ثم تولى إمارة مكة مستقلاً بعد موت أبيه، واستقل بالأمر من غير مشارك له فيه إلى سنة ست وتسعمائة ـ فانتزعه أخوه هزاع وساعده قانصوه البرج وأمر الحج، وحج هزاع بالناس ولحق بينبع، واستولى بركات على مكة لثمان بقين من ذي الحجة، ثم في سنة سبع خرج هزاع بعسكر جزار والتقى مع الشريف بركات وقتل أخو بركات أبو دعيج وسبعة من آل أبي نمي ومن الفريقين خلق كثير، وانهزم بركات إلى جهة اليمن. واستمر هزاع إلى أن مات لخمس في رجب[3] وتولى بعده أخوه جازان، ووقع بينه وبين أخيه بركات حروب كثيرة كما سبق إلى أن وصل أمراء الحج ومعهم التجريدة، وخلعوا على بركات وأخيه قايتباي ثم قبضوا عليهما في المدرسة الأشرفية، وقبضوا على جماعة الشريف بركات، ونهبوا بيته وبيوتهم، وأخذوا إبلهم وخيلهم، وولّوا الشريف جازان التزم لهم في ذلك بستين ألف دينار، كما مر في ترجمة الشريف جازان، وسافر الأمراء ومعهم بركات وأخوه وجماعتهما مأسورين، ولمّا وصلوا (طيبة) أنشد الأديب أحمد بن حسين العليف قصيدة يمدح الشريف بركات ويسليه قوله:

عزيزٌ على بيت النبوة والملك ... مقام على ذل المهانة والفتك

ولمّا وصلوا إلى السلطان لم يرض بذلك وفرج عنهم ورتّب المؤنة اللائقة بهم كل يوم لهم، وكتبوا بنو إبراهيم للسلطان، وأطمعوه في السيد بركات، وقالوا: معه خزائن أبيه وأجداده. فاستعطف الشريف بركات السلطان بقصيدة من

(١) عن تاريخ آل أبي نُمَيّ، انظر: (تاريخ الدول الإسلامية، تأليف السيد دحلان ـ ص ١٤١).
(٢) جاء في كتاب «الأعلام» ـ ج ٢ ص ٤٩: أن مولده كان سنة ٨٥٨هـ.
(٣) سنة ٩٠٧هـ.

نظمه يقول فيها:

أيا قانصوه اسمع بحقك قصتي   فإني لشرح الحال نحوك رافع
بليت بجور من زمان أمضني   يقارعني بين الورى وأخادع[1]
وحقك ما أفنيت مالي، ومهجتي   سوى في رضا السلطان واللهُ سامع
فإن يك قد أرضى الدما قد لقيته   فإني به راضٍ بلاً ثم قانع
ولي أسوةٌ في الناس بالسادة الأولىٰ   فكم بذلوا أرواحهم ثم بايعوا
ستأتيك أخبار تسر سريعة   فإن البلا بالقوم لا شك واقع

ثم بلغه أن أخاه جازان قُتِل، وفهم من السلطان التهوين؛ فعزم على الهرب وزار الإمام الشافعي وأهل القرافة، وتوسّل بهم إلىٰ الله تعالىٰ، وزار سيدي العارف بالله تعالىٰ محمد بن عنان، واستجار به من السلطان، فقال له: سافر يا شريف ولا أحد يلحقك منهم، فهرب على مطايا إلىٰ بني عقبة، وفي يوم التروية هجم عرب بركات مكة ونهبوا، وأرسل الأمراء للشريف بركات وضمنوا له أن يأخذوا له من أخيه ألفي دينار؛ فقال حميضة: ما لي قدرة علىٰ ذلك، فأخذوا ذلك مما لأولا لأهل مكة من الضرّ.

وفي سنة عشر وتسعمائة وقع الاتفاق علىٰ ولاية الشريف قايتباي بن محمد، وكان له الدعاء وملاقاة الحج، والمعوّل علىٰ السيد بركات في جميع الأمور. واستمر قايتباي إلىٰ أن توفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة، فانفرد الشريف بركات بالولاية في ربيع أول، وأرسل السلطان قانصوه يطلب الشريف بركات بالوصول إليه، فاعتذر وأرسل ولده أبا نمي وعمره نحو عشرين سنة فأكرمه السلطان وأشركه مع والده بنصف مكة، فأرسل الشريف بركات إلىٰ السلطان قانصوه قصيدة طويلة من نظمه امتدحه بها وشكره علىٰ ما فعله لولده أبي نمي أولها:

لي من زماني ما يعطي وما يذيم   وقد شكرت فلا يأس ولا طمع
ولبسه كُرهاً علىٰ العلاّت محسناً   فالعيش شطران: ذا أمنٍ وذا نزع
إن الزمان جديرٌ إن طمعت به   حلاوة يقتنيها الصاب والسُّلع

(١) في ب وأفارغ.

إن أنكر المرء بالأيام معرفة   بعد التجارب فهو العاجز الضرع
تجري المقادير والآمال واقفة   والمرء بين الرجا والخوف مضطجع
إذا قضى الله أمراً في خليقته   لا الحزم يدفع ما يقضي ولا يزع
أو دبّر اللفظ مرادق م... لكه   فالخط يأخذ منه فوق ما يدع
ما المرء من كان غير الله ناصره   وذل من بسرى مولاه يحتنع

ثم أتى مرسوم السلطان إلىٰ الشريف بركات يتضمن أن أمور الحجاز منوطة به، وهو مشمول بنظرنا ولنا به غاية العناية وأوفر الرعاية، وهو أعظم المقربين وأخلص المخلصين، ولحظ الجناب العالي ما جهّزه من القصيدة، قُرِأت علىٰ مسامعنا الشريفة ووجدناها مشتملة علىٰ فنون من أنواع البديع، ووقعت من خواطرنا بموقع حسن، وشكرنا المقام العالي علىٰ مقاصده الجميلة، ومحبته لمقامنا الشريف، ورسمنا بالجواب نظماً. قال الشيخ عبد العزيز بن فهد ويقال أنه من نظم قاضي القضاة سري الدين عبد البر بن الشحنة الحنفي وهو:

الحمد لله فينا الحكم مجتمع   وليس فينا المخلوق يُرى طمع
الله سخر لي بحر الزمان فمن   أعلامي الغر ما يعطي وما يدع
فليس شكري على الأيام منقطع   ....[1]
بأمره من أراد الله رفعته   رفعته أو يرد توضيعه أضع

ومنها:

وبعد قد جاءنا من نظمكم غرر   نور البلاغة من معناه يلتمع
جزلٌ بليغٌ بديعٌ في فصاحته   علىٰ حلاوته الألباب تجتمع
أجدت فيه وما في ذاك من عجب   وما بدائعه من بيتكم بدع
بسطت عذراه بألفاظٍ مُهذبةٍ   وحملنا فيه للأعذار مُتّسِعُ

ومنها:

وأنت لم تأت من ذنب فنغفره   بل كل ما جئت فيه الحسن مجتمع
وما محلك فينا قط منخفضاً   بل أنت حقاً لدينا الدهر مرتفع

(١) بياض بالأصل.

إن كنت حاربت من دهرٍ حوادثه ... ونال ما نال منك الأزلم الجذع
فلم لله لا يحمد الله من مدد ... أصاب مجموعهم من رأسه ظلعُ
ولم يدع منهم رأساً لمرتفعٍ ... وكل قلب لهم والله منصدع
ونلت تأييدنا حتى استقام به ... لك المرام وما شاء شانئك الضبع

ومنها:

وقد بعثت ابنك المسعود معتذرا ... أبا نمي أتاه الجود والخلع
نعم[1]، يلام الفتى من خوف مالكه ... بعد الأمان وباب العتب مرتبع
وقد قبلنا اعتذاراً جاء منك لنا ... بحسن نظم بإذن القلب مستمع
فعش مُهَنّاً بثوب الأمن مرتدياً ... في طاعة الله ما تأتي وما تدع

ولمّا حج ابن السلطان قانصوه، أرسل للشريف بركات ولده أبا نمي لملاقاته إلى ينبع، وخرج هو لملاقاته إلى خليص[2]، وسافر معه بعد قضاء المناسك إلى مصر، وبالغ السلطان في إكرامه، وقال له: أنت عضو من أعضاء النبي ﷺ وجنتي قبل ذلك وما تجمّلت منك في الماضي لا يعاد. وعاد إلى مكة في رجب، وأنشد الشعراء قصائد التهاني، منهم: شاعر البطحاء أحمد بن الحسن بن العليف[3] أنشد قصيدة مطلعها:

حركت يوم آذنت بالفراق ... ساكناً بين أضلعي والتراقي

ومنها:

فلئن كنت سرت يا أبا زهير ... في أمان من الإله وواقي
قام فينا ولي عهدك بالعد ... ل قياماً بشدة وارتفاق
ذو المعالي أبو نمي الذي نو ... ر سناه كالنجم في الائتلاق
دبّر الأمر قبل أن يبلغ العشـ ... ـر وقام الجيوش الغساق

قال ابن فهد: والذي تفق لصاحب الترجمة السيد بركات. عامله الله بألطافه

(1) في ب: فعم.
(2) خُلَيْص: وادٍ فيه قرى كثيرة، من أعمال مكة. (المعجم الجغرافي - ج ١ ص ٤١٤).
(3) في البدر الطالع (ج ١ ص ٥١)، والنور السافر (ص ١١٧)، وجميع الكتب التي ترجمت له: أحمد بن الحسين.

الخفيات - من الوقائع المختلفة ثم الأحوال السّارة المؤتلفة، لم يتفق لأحد من أمراء مكة المشرفة، بحيث فقد في بعض الوقائع عدة من أولاده وأخوانه وجملة من أصحابه وغلمانه، وكان فيها أمر الحرب أن قامت على ساق، وبطلها الصنديد أن آذن الشجعان بالانطلاق، رزقه الله على ذلك الصبر والاحتمال، فعوّض عنهما السعد والإقبال. وصار بعد هذا عدوه مقهوراً، وطالبه مأسوراً، ومطالبه مخذولاً، ومحاربه مقتولاً. وآمن الله به البلاد والعباد، وحُسِم على يده أهل الظلم والفساد، مع ما خصه الله تعالى به من الحلم والوفا، وبذل العفو لمن زل أو هفا، كبير المقدار والهيبة، نيّر الوجه والشيبة، حسن الخلق، كامل الذات والخلق، عزيز الجود والكرم، متطول على شعراء الآفاق والحرم. ولم يزل يزداد من الصفات الفاخرة إلى أن انتقل إلى دار الآخرة.

سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

[محمد ابن أبي الحمائل]

توفي الشيخ العارف بالله تعالى محمد السروري الشهير بابن أبي الحمائل[1]. الحائز للفواضل والفضائل، وملحق الأواخر بالأوائل، العارف الكامل، الغيث السائل، الزاهد الذي قطف كروم الكرامات، ووصل إلى أعلى المقامات. وقَدِم مصر فسكن (الزاوية الحمراء)، واشتغل بتحصيل العلوم والمعارف، فورد من مناهلها عذباً زلالاً، وأوضح بدائعه فيها عقوداً محلاة، وكلماته سحراً حلالاً. وسهر في تحصيلها والعيون، وسنة حتى غُذّت أقلامه بما يرويه منها فصيح الألسنة. وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرج به جماعة كثيرون، منهم: الشيخ محمد الشناوي، والشيخ أبو بكر الحديدي، والشيخ علي الحديدي، والشيخ محمد العَدْل، والشيخ عبد الحكم، والشيخ عبد الوهاب الشعراوي، قال[2]: لقّنني الذكر وأنا طفل سنة اثنتي عشرة وتسعمائة.

وذكره شيخ الإسلام رضي الدين الغُزّي فيمن صحبهم من الأولياء، وكان لا

(1) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٠، الكواكب السائرة ١/ ٢٩).
(2) الضمير عائد إلى: الشعراوي.

يُقرّب أحداً إلا بعد اختباره، ولمّا قَدِم عليه الشيخ محمد الشناوي، لم يرد عليه السلام سوى أول قدومه ثم تنكر عليه ولم يره وجهاً مدة خمسة أشهر، فلمّا رأى إقباله وعدم مؤاخذة علىٰ نفسه لقّنه الذكر وصحبه مدة طويلة، ثم إنه أذن له أن يُلقّن الذكر فنزل بلاد الغربية وفتح باب التلقين، فانقلب أصحاب شيخه إليه وتلقنوا منه إلا واحداً سافر إلىٰ الشيخ فقال له الشيخ: كيف حالكم في البلاد؟ فقال: ما بقي لنا حال أنقلب الناس كلهم عنك، وتلقّنوا من ابن الشناوي، فقال: نأخذ وديعتنا منه، ومدّ يده فأعرض الناس عن محمد الشناوي من ذلك الوقت، فأتى الشيخ في الزاوية الحمراء حافياً مكشوف الرأس فمكث في زاوية منها أربعين يوماً، فشفعت زوجة الشيخ أم شهاب الدين، فأرسل خلفه وقال: يا محمد إنما امتحنتك بالإذن لأنظر أدبك معي، فقال: يا سيدي العفو، فعفىٰ عنه. ثم رجع تاركاً التلقين إلىٰ أن مات شيخه ولم يفلح أحد من الذين تلقّنوا عنه، بل سلبوا وأخذ الناس عنه بعد موت شيخه علىٰ القاعدة الصحيحة، وانتفع به الناس، وكان الشيخ يقول: لا ينبغي لفقير أن يجتمع بشيخ وعنده التفات إلىٰ فقير أو عالم آخر، ويقول: إذا لم يكن الفقير يرى أن شيخه يكفيه قَلّمَ تلمذ له، وقال: كل فقير اجتمع بغير شيخه لا يفلح لأن الذي يبتنيه شيخه يهدمه غيره، وكان يكره للمريدين أحزاب الشاذلية ويقول: ما ثم جلاء للقلوب مثل: لا إلّه إلاّ الله. وقال: مثال أحزاب الشاذلية مِثال زبّال خطب ابنة السلطان وهو علىٰ دناءة وصار يقول للسلطان: أعطني بنتك واجعلني جليسك، وهو لا يعرف شيئاً من آدب حضرة الملك. ويقول: ما رأينا مريداً وصل إلىٰ مقامات الرجال بقراءة الأحزاب، ودخل علىٰ جماعة الشيخ إبراهيم الشاذلي وهم يقرؤون الحزب فلم يتفرس في أحد منهم القبول لمّا طلب فزجرهم وأقامهم وصار يقول لأحدهم علىٰ وجه التوبيخ: اجعل لي.. وأعمل لي.. واصطفيني واجعلني من خواص حضرتك. ثم قال: والله إنكم لم تصلحوا لخدمة الخلق فكيف تصلحون لخدمة الحق، وسمع شخصاً منهم يقول: اللهم اجعلني من خيار أهل حضرتك فصفعه علىٰ قفاه وقال: خيار أهل الحضرة الأنبياء والملائكة، وكان يقول: كيف تلبسون علىٰ الله بلبس الصوف، والشعر وتنامون طول الليل؟ أنتم والله من المنافقين.

ولمّا حج اجتمع عليه الناس، ويتكلمون باللغو، فزجرهم فلم ينزجروا،

فأرسل خادمه يقول لكل واحد: الشيخ يطلب منك كذا تأتي به غداً، فانقطعوا كلهم فحمد الله. وقال رضي الله عنه: كنت جالساً عند الشيخ يحيى المناوي في خلوته بجامع عمرو، أقرأ عليه في الأصول، وإذا بشخص أسود كبير البطن جداً عليه خيشة وهو متحزم بحبل، وقف علىٰ رأس الشيخ فنظر إلىٰ الكتب التي عند الشيخ، وقال له: هل تحفظها؟ قال: لا، فقال: أنا أحفظها كلها، فقال الشيخ: كيف ذلك؟ فقال: أنا أعرف أن كل حرف منها يقول لي: كن رجلاً جيداً، ثم اختفى فلم يجده فسألنا الشيخ عن كبر بطنه فقال: هذا إشارة إلىٰ أن السيئة تضيع فيها لوسعها فلا يؤاخذ أحداً، بخلافنا يا ولدي بطوننا ضيقة أدنى شيء يظهر فيها.

وكان الشيخ مبتلى بالأذى مع زوجته أم شهاب الدين مع قدرته علىٰ هلاكها بعون الله، ولكنه يصبر عليها وربما أدخل الفقير الخلوة فتخرجه قبل تمام المدة، وتقول له: فلان أنا ما أعمل شيخاً، فلا يتكلم. وكان يغلب عليه الحال في الليل فيتكلم بالألسنة الغريبة من عجمية وهندية ونوبية وحبشية وتارة يقول: قاف قاف طول الليل، وتارة يخطرف[1] ويخاطب أناساً لا يراهم جليسه، وكان كثير الطيران من بلد إلىٰ بلد، وربما طار من بعد العشاء فلا يأتي إلا بعد الفجر. ودخل عليه الأمير، وهو جالس في البرج بدمياط، فحصل له حال فركب فرس الأمير ورمحها علىٰ ظهر البحر حتىٰ غاب ورجع وثيابه مخرقة ملطخة بالدم وفيه طعنات فسأل عن ذلك، فقال: شخص من التجار من إخواننا خرج عليه سبعة مراكب من الإفرنج، فأخذوا مركبه فذهبت فخلصته منهم، وضربت بحافر الفرس في مقادم المراكب فغرقت.

وخرج بعد العشاء من داره وترك ثيابه في دكة الباب وطار هو وجماعة، ثم رجع بعد الفجر فلبس ثيابه وامرأته تنظر فسألته عن ذلك، فقال: رأيت جماعة خرجوا علىٰ المسلمين في البحر، فاستغاثوا بنا فأغثناهم. وكان إذا قال قولاً في غلبة حال يُنفّذه الله. وجاءه ناس، فقالوا: أكل الفار القطن والسمسم والعصفر، فقال لصاحبه الحاج محمد القاصد: رُح معهم فناد معاشر الفيران حسبما رسم

(١) وردت: يقطرف.

محمد بن أبي الحمائل إنكم ترحلون من هذا الغيط، وكل من قعد بعد الليلة يشنق بلا معاودة، فخرجت الفيران كلها إلا سبعة فوجدوهم مشنوقين على عيدان العصفر.

ثم أتاه آخرون، وقالوا له: أرسل معنا من ينادي عليها، فأرسل شخصاً فنادى فلم يرحل منها شيء. وحكى أنه كان جالساً في الدور الأول من منارة جامع (كورة) وإذا بجماعة طيارة مرّوا عليه فطار معهم، فأعجبته نفسه فسقط في البحر المالح، فلولا لطف الله لغرق، ولذلك كان يقول: احذروا غوائل النفوس، فإن الفقير يؤخذ من مقامه إذا أعجبته نفسه.

وحضر مجلس ذكر يوماً، فأخذ رجلين بيد واحدة، وجرى بهما يميناً وشمالاً، ثم حمل السعار الذي يسع الماء الكثير على اليد الأخرى، وصار يتواجد، ولم ينكب من الماء شيء.

وعزم عليه الأمير يوماً وأجلسه في مقعده فنظر إلى سقفه وقال: هذا يصلح لزاويتنا، وكان إذ ذاك لم يشرع في عمارتها، فلمّا تمت عمارتها أرسل الشيخ من يشتري له سقفاً فوجدوا سقف ذلك المقعد بعينه فاشتروه.

وكان له وصلة بسيدي أحمد البدوي، وكان يخبر أن رسول الله ﷺ يحضر مولد سيدي أحمد البدوي وإذا فاته لمرض أو نحوه يقول: احملوني إلى طريق الذين حضروا لأتبرك بثيابهم فيمسح بها وجهه، ويقول: أراهم أو أرى من رآهم.

ونزل مرة للمولد فوقع خاتمه في البحر، فقال: يا أحمد ما أعرف خاتمي إلا منك، فلمّا دخلنا (طندتا) نفض كمه فوجد الخاتم.

ولم يزل يرشد الخلق بحاله ومقاله إلى أوان انتقاله، وتوفي بمصر المحروسة وصلى عليه في الجامع الأزهر، ودفن بزاويته بخط بين السورين، وقبره بها ظاهر يزار. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد الشناوي المحمدي]

وفيها [٩٣٢]: توفي الشيخ محمد الشناوي الأحمدي المحمدي. فريد زمانه، ووحيد عصره وأوانه، بل شيخ مشايخ الأعصار، وعميد أفاضل الإمصار، الذي باهت به الأيام، وتاهت في وصفه ألسنة الأقلام. العامل بعلمه، والداعي إلى

الله تعالى بلسانه وقلمه. أخذ عن الإمام العارف بالله تعالى محمد بن أبي الحمائل، ولازمه حتى تخرج به، وامتحنه مراراً عديدة، حتى أنه سلك مرة طريقاً وعرة فتبعه الشيخ محمد الشناوي زماناً ثم التفت، وقال: أحسنت يا محمد لا تهب شيئاً، فإن العارف لا يتوه في الطريق، وإنما أردت اختبارك. وكان يقول: لقّنت ثلاثين ألفاً، فما عرفني أحد منهم مثل معرفة ابن الشناوي، كان محافظاً لأوقاته موزعها في عبادة الله تعالى وطاعته، مواظباً على التلاوة والأذكار آناء الليل والنهار، كان إذا افتتح جلس الذكر بعد العشاء لا يختمه إلا مع الفجر، وإذا صلّى الفجر افتتحه إلى ضحوة، ثم يفتتح القرآن إلى العشاء، هذا أغلب أحواله.

ويمكث الفقراء عنده ثلاثة أيام فأكثر لا يمكنهم النوم بحضرته لا ليلاً ولا نهاراً، وكان يلقن الرجال والنساء والأطفال صباحاً ومساء كلمة: لا إله إلا الله، ويُرتّب مجالس الذكر لهم ويقول: يلا فلان اذكر ما جزاءك يا فلانة أذكري بأخواتك وجيرانك. وكان الناس يحضرون إليه من غير استجلاب، وكان كالشمس في بلاد الغربة، وكان يقول: اشعلنا في هذه البلاد نار التوحيد فلا تنطفي إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

ودخل مرة القصر لبنت الخليفة فلقّنها الذكر ولقّن جواريها وخدمها وفتح بهن مجلس الذكر حتى وقعت عصائبهن من كثرة الاضطراب في الذكر، فلمّا نزل قال: الحمد لله لم يحضر أحد من المنكرين على هذه الطائفة.

وأكثر تربيته بالنظر دون الكلام، فينظر إلى قاطع الطريق وهو مار فيتبعه في الحال، وكان يقول: من علامة ذوق الفقير الطريق، أن لا يزدري أحداً ممن انتسب إليها بل يجله ويكرمه، قال: ورأى سيدي عبد الرحيم القناوي خرقة صوف على كلب فقام إجلالاً لها، وقال: ما دخلت على فقير أو عالم إلا خرجت بفائدة، ومن كان كذلك فلا تحصى مشايخه، وقال: ما أدّعى أحد مقاماً دون النبوة وكذبته لأن غايته أنه ادعى ممكناً، وكان يقول: ينبغي للفقير أن لا يطلب الظهور في هذه الدار عند الأمراء والملوك، إلا إن كان يقدر على إظهار الكرامة لتدل على صدقه وإلا فالستر أولى، قال: ولمّا ظهر أمري في الغربية وكَثُرت شفاعتي عند الأمير حسام الدين بن بغداد، ردّ شفاعتي وقال: هل أنت متميز عنا بشيء؟ إن كنت تصلي

بالنيل وتصوم وتذكر الله فنحن نفعل ذلك. فتوجهت إلىٰ سيدي أحمد البدوي فقال: بين لك أثراً في ولده، فتوجهت إلىٰ الله تعالىٰ، فلحقه شيء في قلبه فوقع الصباح عليه، فأرسلوا خلفي يترضّون خاطري، فرقيته في ماء وصببته عليه فشفي، لم يرد شفاعتي بعد ذلك. وكان أقامه الله تعالىٰ في قضاء حوائج المسلمين ليلاً ونهاراً، وربما مكث نحو الشهر لا يمكنه الطلوع لبلده لكثرة السائلين منه في قضاء حوائجهم. وسعى في إبطال شجرة الشعير التي كانت في بلاد ابن يوسف، ونقشت بها حجارة ووضعت في كرسي البلاد، وكان يموت في تلك الشجرة خلق كثير من الجوع والعطش، وتنقطع الطرق حتّىٰ يفرغ قلع الشعير، وعزم علىٰ السفر إلىٰ اصطنبول بسببها، فقال له سيدي أحمد البدوي في المنام: لا يحوجك إلىٰ السفر فإن جميع أولياء الغربية معك، ولا يتوقف ذلك علىٰ العرض لابن عثمان. ففي تلك الليلة رأى السلطان الشيخ محمد الشناوي يقول له: أرسل في إبطال شجرة الشعير التي في بلاد السباخ، فأرسل السلطان في إبطالها من غير عرض، وأبطل البدع والفواحش التي كانت بالغربية، وكانت إشارة الشناوي إذا طلعوا المولد ينهبون أمتعة الناس، وتحصل مفاسد بذلك، ويعتقدون أن ذلك حلال لهم، ويقولون هذه في بلد سيدي أحمد البدوي ونحن فقراؤه، ويطنعون بالدف والمزامير والسنطير. فقام في إبطال ذلك حتّىٰ صاروا من أكثر الناس خشوعاً وبكاء.

وكان يكلم الشيخ أحمد المهدوي فيجيبه من القبر، وكان من أصحاب الخطوة، وكانوا يرونه كل سنة في عرفة، وكان لا يقبل هدايا العمال والمباشرين، ويقول: من شرط الداعي إلىٰ الله تعالىٰ أن يطعم الناس ولا يطعموه. وأهدى نائب مصر إليه أموالاً كثيرة فردها، وقال: لسنا محتاجين، والتفت إلىٰ الحاضرين، فقال: وعزة ربي أن عندي أكثر من هذه الهدية، وكانت أمواله كلها من بهائم وعقار علىٰ اسم المحاويج، ولا يختص منها بشيء. وإذا جلس إليه أبعد الناس لا يقوم حتّىٰ يعتقد أنه أعز الناس عنده لكثرة إقباله عليه، وكان يتأدب مع الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم، وكان يقول: الطريق كلها أخلاق لا أقوال ودعاوى، وإذا أذن لأحد في تلقين الذكر أخذ يده ثم أنشد:

أهيم بليلى ما حييت وإن أمت ... أوصي بليلى من يهيم بها بعدي

ولمّا دنت وفاته أذن لجماعةٍ بتلقين الذكر علىٰ سبيل التشبه بالقوم، منهم: الشيخ عبد الرحمٰن المناوي، وشهاب الدين السبكي، وأبو العباس الحريبي، وتاج الدين السقطي، وعبد القادر الشيرازي، والشيخ عبد الوهاب الشعراوي، وقال لهم: الطريق في كل قطر لواحد فإن اتسعت دائرة أحد منكم، فليترك له أخوه بلاده. ولمّا زار شيخه ابن أبي الحمائل، وكان ضعيفاً، فقبّل يده تلميذه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، فقال له: ليس هذا آخر الاجتماع. ولمّا حضرته الوفاة ورد علىٰ الشيخ عبد الوهاب وأرد أن يذهب إلىٰ محله ولم يستطع رده، فسافر إليه من غير حاجة ونسي قوله له: ليس هذا آخر الاجتماع، فلمّا دخل عليه وجده محتضراً ففتح الشيخ عينيه وقال: الحمد لله صدق القول. ثم دعا له بدعوات منها: اللهم إني أسألك أن لا تُخلي ولدي هذا من نظرك ولا من رعايتك، ثم قال له: ارجع إلىٰ مصر.

ولمّا توفي دفنوه علىٰ غفلة من الناس خوفاً أن يجتمع عليه أهل الغربية كلهم وغيرها من البلدان، فيعجز أهل بلده عن قراهم، فإنه لا يكاد من سمع بموته أن يتخلف عن تشييعه. وقد ازدحم الناس علىٰ حمل نعشه وحصل لكثيرين وجد شديد، وذهلت عقول جماعة من أصحابه. ودُفن بزاوية بمحلة (روح) وقبره بها ظاهر يزار كالشمس والنهار، رحمه الله ونفعنا به.

[حسين بن محمد بن علوي شنبل]

وفيها [٩٣٢]: : توفي السيد حسين بن محمد بن علوي[1] عُرف جدة بـ (شنبل) بفتح الشين المعجمة فنون ساكنة فموحدة مفتوحة آخره لام[2]. أحد

---

(١) تدرّج اسمه كالتالي: حسين بن محمد بن علوي بن حسن بن أحمد بن محمّد بن حسن بن علي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم محمّد بن علي الحسيني. فهو من أسرة علويّة معروفة بحضرموت. (شمس الظهيرة ج ٢ ص ٤٥١، مقدمة الأستاذ عبد الله الحبشي لتاريخ شنبل).

(٢) ذكر العلاّمة محمد الشاطري في معجمه أن سبب لتلقيب بشنبل من الشنبلة وهي بالعامية كالشنقلة بالقاف نوع من المصارعة كما في تاج العروس، وبالفصحى إخراجك النراهم عندما تُطالب بها. ولها معاني أخرى كالتقبيل والمثاغمة بالثاء والغين أي التقبيل من الطرفين خصوصاً بالنسبة للأطفال الصغار. وقد يكتفي العرب بشنبل كاسم لا لقب ومنهم شنبل =

السادة الأشراف، بني علوي المشهورين بوادي الأحقاف، أحد الأولياء الصالحين، والعلماء العاملين، أعلام الهدىٰ والدِّين، وأحد من جَمع بين العلم والحلم والصلاح، وسلك طريق الزهد والنجاح. أخذ عن جماعة من العارفين الأئمة المرشدين، وتفقه في الدِّين. ورحل في طلب العلم إلىٰ كثير من البلاد، وظفر بالنجح وسبيل الرشاد. ورحل إلىٰ الحرمين الشريفين، وأقام فيهما مدة من السنين، مواظباً علىٰ الطاعة، مشمِّراً في العبادة كل ساعة. وكان كثير الطواف والاعتمار، معتزلاً عن الناس لا سيما الولاة والتجار. وكان يتعاطى أمر التجارة، وسافر إلىٰ (زيلع) و(بر سعد الدين)، ثم ترك ذلك واعتزل وجاور بـ (مكة) (المشرفة) علىٰ عبادة مولاه، إلىٰ أن دعاه فلباه، ودفن بـ (المعلاة). رحمه الله تعالىٰ وأرضاه، وبرحمته تغشاه.

[علي بن أحمد الرومي]

وفيها [٩٣٢]: : توفي المولى علاء الدين علي بن أحمد بن محمد الجمالي[١]، أحد علماء الروم الجامعين من العلو. أخذ عن المولى حمزة القراماني، وحفظ عنده مختصر الإمام القدوري ومنظومة النسفي، ثم رحل إلىٰ (القسطنطينية)، وقرأ علىٰ العالم المولى خسرو، ثم أرسله المولى المذكور إلىٰ المولى مصلح الدين بن حسام الدين، وقال له: هو يهتم بتحصيلك أكثر مني لأني مشغول بالفتوىٰ، فذهب إليه وهو يدرس بسلطانية (بروسّا)، واشتغل عليه بالعلوم الشرعية والعقلية، ثم صار معيد المدرسة، وزوّجه المولى المذكور بابنته، ثم وُلِّي مدرسة (أدرنة) وعُيِّن له كل يوم ثلاثون درهماً، وأعطاه السلطان محمد خان خمسة آلاف درهم، ثم ترك التدريس واتصل بخدمة العارف بالله تعالىٰ مصلح الدين بن الوفا. ثم مات السلطان محمد خان وتولى بايزيد خان ودعاه إليه فلم يجب ثم أرسله جبراً إلىٰ بلدة (أماسيه) وعيِّن له كل يوم ثلاثين درهماً، وفوّض له أمر

= والد عبد الله بن شنبل المُحدّث الكبير.

وإذا استعرضنا هذه المعاني فسبب هذا اللّقب مأخوذ من إحناها، وربما حدث له في صباه واستمر معه إلىٰ أن كبر فلُقِّب به هو وعقبه من بعده ـ (المعجم اللطيف، ص ١١١).

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٦٧).

الفتوىٰ بها ثم أعطاه إحدى المدارس الثماني[١] ثم حج ولمّا رجع من الحج ولاّه منصب الفتوى، ثم حسده المولى سيدي الحميدي وجمع بعض فتاويه، وقال إنه أخطأ فيها، فأجاب عنها.

وكان يصرف جميع أوقاته في الدرس والعبادة والتلاوة والمجاهدة مواظباً علىٰ الجماعة. وكانت أنوار العبادة تتلألأ في صفحات وجهه، وكان يجلس في علو داره والزنبيل معلق فيلقي المستفتي ورقته ويحركه فيرفعه ويكتب الجواب ثم يدليه إليه. وحكى أن السلطان سليم خان أمر بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الجزائر، فذهب إلىٰ السلطان، وقال: سمعت أنك أمرت بقتل هؤلاء، ولا يجوز قتلهم شرعاً. فغضب السلطان، وقال: ليس هذا من وظيفتك فلا تتعرّض لأمر السلطنة، فقال: من وظيفتي الأمر بالمعروف والنصيحة لك، فسكن غضب السلطان، وعفىٰ عن الكل. ثم قال للسلطان: إن هؤلاء من عبيدك لا يليق أن يتكففوا الناس فقررهم علىٰ منصبهم. قال: نعم. إلا أني أريد أعزرهم لتقصيرهم في خدمتهم، قال المولى المذكور: هذا جائز، ثم أعطاه قضاء العسكر وجمع له بين الطرفين لِمَا علم من ورعه. فقال: إني ممتثل لأمرك إلا أن لي مع الله عهداً أن لا يصدر مني لفظة حكمت، فأحبه السلطان وأنعم عليه.

وله مصنف في الفقه سمّاه «المختارات» نافع جداً. وبالجملة كان آية كبرى في التقوى، ومن مفردات الدنيا في الفتوى، وكان كما قيل:

يدع الجواب ولا يراجع هيبة	والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى	وهو المطاع وليس ذا سلطان

[بيرم أحمد جلبي]

وفيها [٩٣٢]: توفي المولى بيرم أحمد جلبي الأيدي، اشتغل بالعلم وهو شاب علىٰ زوج أمه المولى قاضي زاده، ولازمه إلىٰ أن مات، ثم وُلِّي عدة مدارس بعدة بلدان، ووُلِّي دار الحديث بـ (أدرنه) وإحدى المدارس الثماني، وكان له مشاركة في جميع العلوم، وله تعليقات علىٰ كتب كثيرة لكنها فُقدت بعد موته.

---

(١) في الأصل: الثمان.

وكان سعيداً، صارفاً أوقاته في العلم والعبادة، ملازماً لبيته لعرج في رجله. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد الكَفَرْسُوسي]

وفيها [٩٣٢]: توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن الكفرسوسي[1]، الشافعي، أبو عبد الله، شمس الدين. تفقّه بالنجم بن قاضي عجلون وأخيه الشيخ التقي وغيرهما من الدمشقيّين، وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا. وكانٓ من العلماء العاملين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، نافذ الكلمة، مهيباً عند الحكام. ودَرّس وأفتى، واشتهر بذلك حتىٰ أنهم لا يستفتون غيره مع وجود أشياخه، متقللاً من الدنيا وجاهه بوفرة، متنزهاً عن الوظائف. رتّب له الباشا عشرين عثمانياً من الجوالي كل يوم، فلم يتناول منها شيئاً لِمَا في بيت المال من المظالم. وألّف شرحاً علىٰ فرائض المنهاج[2]، ومجالس وعظية. وانتفع به جمع من الطلبة، منهم: العلامة أحمد بن الطيبي الشافعي شيخ القراء بدمشق؛ وأشار إلىٰ ذلك في إجازته للشيخ أحمد العاموني في جماعة من شيوخه، فقال: ومنهم ولي الله شيخ محمد هو الكفرسوسيّ الإمام المخبر بعلم وإخلاص، تزين، ولم يزل معيناً لخلق الله للحق ينصر، وعن زكريا المقدم قد روى وعن غيره ممن له الفضل تغزر، وتوفى صاحب الترجمة ليلة السبت لليلتين بقيتا من ربيع أول، وصلى عليه في الجامع الأموي، ودفن قبل الظهر بمقبرة باب الفراديس، ورثاه سيدي علوان الحموي بقوله:

ومن الدليل علىٰ اقتراب قيامة ... موت الأماثل من خيار الناس
حتىٰ إذا ذهب البقايا كلّهم ... خلت البقاع بحلية الأبلاس
يا معشر الإسلام توبوا وارجعوا ... وكأننا بالموت جا[3] بالكاس
أوَمَا وعظتم بالفقيه بأرضكم ... مفتي الأنام وقدوة الأكياس

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٣٠، الكواكب السائرة ١/ ٥٤).

(٢) منهاج الطالبين للنووي، وسمّاه «إغاثة اللهاج» ـ معجم المؤلفين ج ١٠ ص ١٤٩، وذكر له أيضاً كتاب: تحفة الثقات بأسانيد ما لعمر الشماع من المسموعات.

(٣) وردت: جاءنا.

وهو الكفرسوسيُّ شيخ بلادكم ... كم قام فوق منابر وكراسي

ومنها قوله:

يا وحشتي لأولي العلوم وحسرتي ... مما أعاني من فؤادٍ قاسي
ذهب الأولى كنّا نعيش بظلّهم ... وبقيت في ناسٍ كما النسناسِ[1]

[محمد ابن صدقة]

وفيها [٩٣٢]: توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن صدقة[2]، الواعظ، أبو الفتح بن الشيخ المصري. كان يعظ بالأزهر وغيره، إلا أنه تزوج بامرأة فافتتن بها وباع فتح الباري والقاموس وغيرهما، وركبته الديون ثم خالعها وندم، وأراد المراجعة فأبت إلا أن يدفع لها خمسين ديناراً، فلم يقدر إلا علىٰ ثلاثين وبعث بها، وقال: إنْ لم تقبلي قتلت نفسي بالسم، فلم تقبلها فحسي السم فمات في ليلته، وذلك في ربيع أول.

[أحمد ابن إبراهيم الأقباعي]

وفيها [٩٣٢]: توفي الشيخ أحمد بن إبراهيم بن القطب أحمد القتاعي[3]، الدمشقي الشافعي. وُلد سنة سبعين تقريباً، واشتغل بالعلم علىٰ والده وابن عمته الشيخ رضي الدين، وأخذ الطريق عن أبيه، وقرأ علىٰ شيخ الإسلام نور الدين الغزي، وتولى مشيخة زاوية جده بعد أبيه. وكان علىٰ طريق حسنة، وتقدم بالصلاة عليه شيخه نور الدين الغزي ووقف علىٰ غسله، ودفن مع والده بمقبرة الشيخ رسلان. رحمه الله تعالىٰ.

(١) أورد أبياتها كاملة صاحب «الكواكب السائرة».

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٥٥. وفيه: محمد ابن عبد الرحيم).

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٢٦، الكواكب السائرة ١/ ١٣٠. وقد ورد فيهما لقبه: الأقباعي).

سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة

[محمد بن عِزاق]

لخمس بقين من صفر يوم الثلاثاء، توفي محمد بن علي بن عبد الرحمٰن بن عراق[1]. الشيخ الأستاذ على الإطلاق، وإمام العارفين بالاستحقاق، شمس الدين أبو علي الدمشقي شيخ مشايخ الإسلام، والبركة الشاملة لجميع الأنام. صدر العلماء العظام، وقدوة الفضلاء الفخام، شمس العلوم والمعارف، وبدر الفهوم واللطائف. إمام الحرمين الشريفين، وشيخ أهل الفريقين، قدوة أهل زمانه، وفارس ميدانه، الفائق على أقرانه.

وُلد سنة (٨٧٨هـ) ـ ثمان وسبعين وثمانمائة ـ بـ (دمشق) المحروسة. ونشأ بها معززاً مكرماً مهاباً، فارساً بطلاً شجاعاً، بحيث انفرد في البلاد الشامية بالفروسية[2]. وكان له أقطاع تغل في كل عام نحو ثلاثة آلاف دينار ذهباً، أنعم عليه بها السلطان، وكانت لأبيه من قبله. وكان ـ مع ذلك ـ يحفظ القرآن العظيم، قرأهُ على الشيخ عز الدارامي بالتجويد ثلاث ختمات، وعلى الشيخ إبراهيم المقدسي أياماً يسيرة. جوّد ختمة لابن كثير، وأفرد لروايته على الشيخ عمر الصهيوني، وجَوَّد عليه الخط وأخذ عنه علم الرماية، واشتغل في الحساب على زين الدين بن عرفة.

واشتغل بالفروسية، والرمي، والصيد، والشطرنج، والنرد، والتنعم بالمأكولات والملبوسات، لكنه أكثر من زيارة الأولياء والصالحين، والمواظبة على الصلوات، وبميل إلى مجالس العلماء والصوفية إلى أن اجتمع بالشيخ علي بن ميمون المغربي، فحل عليه نظره وبركته، وجذبه إلى الطريق قليلاً قليلاً إلى أن تغير أكثر أحواله إلى الخير. فلمّا توجه الشيخ إلى جهة بلاد الروم.. أراد السفر معه فمنعه، وقال: توجه إلى الشيخ عبد القادر بن حبيب في (صفد)، فلمّا رحل

(١) انظر: (معجم المؤلفين ١١/٢١، الكواكب السائرة ١/٥٩، شذرات الذهب ٨/٢٣٩، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٦٢، النور السافر ١٧٤).
(٢) اشتغل أول أمره بالصيد والشطرنج والنرد، ثم انقطع إلى العلم ... (معجم المؤلفين ج ١١ ص ٢١).

الشيخ.. اضطرب الشيخ محمد، وقلق، وحصل له جلبة، فخرج أثناء الليل ماشياً، وتوجه إلى (صفد)، واستمر إلى أن وصلها بلا زاد ولا ماء.

وكان من الترف[1] على جانب عظيم، بحيث إنه لم يتوجه إلى الحمام إلا راكباً، فلمّا طرق باب الشيخ عبد القادر.. أذن له، فدخل وسلّم عليه وجلس، فأسمعه الشبابة والكمانجة، فغاب عن حسه، وخدمه ثلاثة أيام، ثم قال له: امض إلى سبيلك.

وقال الشيخ عبد القادر يمدحه:

مَن كانَ مثلي خلفَ صبٍ عاشقٍ ... أمدادُ وصلٍ لا يخافُ أنالها
يا ابنَ العراقِ تَهَنَّ يا ولدي وطِبْ ... ما كُلُّ من طلبَ السعادةَ نالها

وأشار إليه بالرجوع إلى والدته، وسأله في الحج، فقال: إن تيسّرتْ لك الأسباب.. فلا بأس.

ودخل مصر سنة (٩٠٥هـ) ـ خمس وتسعمائة ـ فاجتمع بجماعة من أفضلهم شيخ الإسلام زكريا، والحافظ السيوطي، والدمياطي، وسيدي أحمد القسطيني، وسيدي عبد القادر الدشطوطي، وسيدي أبو المكارم الهتي، وغيرهم ممن يطول ذِكْرُهُم. ثم عاد إلى والدته، وأذنت له في الحج، فحج وعاد. وأقام بـ (بيروت) بنية المرابطة والجهاد وطلب العلم إلى سنة (٩١٠هـ) ـ عشر وتسعمائة ـ وخرج عن جميع أملاكه للفقراء، وباع جميع خيله، وجعل الاسطبل مسجداً، وكانت خيله أربعين فرساً، ورفض طريقة سلفه، وجدّ في الاجتهاد، وعمل بما علم؛ ابتغاء مرضاة رب العباد، وأرسل إلى السلطان الغوري يستعفي عن أقطاعه، فعجب السلطان، وقال: الفقراء يسألونا ويترددون إلينا، وهذا يرد علينا شيئاً كان له ولآبائه من قبله. وأمر أن يجعل باسم ولده سيدي علي، وكان سنة إذ ذاك نحو خمس سنين، فلمّا بلغه ذلك.. أبى، وقال: هذا شيء لا أرتضيه لنفسي لا أريد لولدي، وأنا بأي وجه أستحل بيت مال المسلمين، وليس لهم مني نفع ولا دفع ضرر؟

(١) وردت: الترافة.

ثم قَدِم سيدي علي بن ميمون[1] من الروم إلىٰ (حماه) سنة (٩١١هـ) ـ إحدىٰ عشرة ـ وبعث إليه كتاباً يدعوه فيه إلىٰ الله تعالىٰ، فامتثل وسافر إليه في الحال، واجتمع بالشيخ علي بن ميمون، فلازمهُ إلىٰ أن تخرج به وفتح الله عليه.

وظهرت له الكرامات الباهرة، والمكاشفات الظاهرة. ثم أذن له الشيخ علي بالمسير إلىٰ (بيروت)، فسار إليها وقعد يربي المريدين، وانتفع به جمع. وألّف أربعة عشر كتاباً في طريق القوم، فلمّا بلغ شيخه انقبض، وكتب إليه أن يلقاه بالكتب إلىٰ (دمشق)، فسار إليه، وتلقاه بالإكرام، ثم قال له: يا خائن.. يا كذاب.. عمّن أخذت هذا القيل والقال؟ فقال: فداك نفسي، قد أتيتك بالموبقات فافعل فيها. فغسلها ولم يبق إلا كتاب «القواعد والتأديب».. وقدّمه علىٰ بقية جماعته في الإمامة، وافتتاح الأوراد والذِكر والجماعة، وبقي عنده علىٰ قدم التجريد إلىٰ أن انتقل شيخه.

ثم عاد إلىٰ (بيروت) وبنى بها داراً ورباطاً، وعكف الناس عليه، وانتفع به الجمّ الغفير. ثم سافر إلىٰ (دمشق)، وأخذ عنه بها كثيرون علم القراءات والحديث والفقه والتفسير، ثم طلب منه نائب (الشام) أن يسافر معه للحج، فقال: بشرط أن يكون علىٰ الكتاب والسُنّة.

ثم قَدِم (مكة) وحج وزار النبي ﷺ، وجاور بالحرمين، ونصّب نفسه للانتفاع، ووقع علىٰ إمامته وتقدمه الإجماع، واشتهر في أقطار (الحجاز)، ولم يبلغ[2] أحد من أقرانه ما بلغ وحاز. وعمّ نفعه جميع الوجود، وشملت بركته كل موجود. وقد ذكرت[3] أحواله بأبسط مما ذكرته في كتابي المسمى بـ «السفينة

(١) هو علي بن ميمون الهاشمي، القُرشي، المغربي، الغماري، الفاسي. صوفي، مشارك في بعض العلوم. له تصانيف عديدة أوردها صاحب «معجم المؤلفين» ـ ج ٧ ص ٢٥١ وكانت وفاته سنة ٩١٧هـ.

(٢) وردت: ولا يَلغ أحد.

(٣) الكلام هنا بلسان صاحب الترجمة، لأن كتاب «السفينة العراقية» هو من تأليفه. ولكن سياق الحديث ورد في الأصل بصيغة ضمير المتحدث.

العراقية في إلباس خرقة الصوفية». وممن أخذ عنه: أولاده الثلاثة: سيدي علي، وسيدي عبد النافع، والنعمان. وقطب الدين عيسى الألمحي الصفدي، والعارف بالله تعالىٰ أحمد الدجاني المقدسي، وال...[1] موسى الكناوي.

وله كرامات كثيرة:

منها: أنه لمّا وقعت الفتنة في (مكة) بين العسكر والعرب سنة (٩٣٢هـ) ـ اثنتين وثلاثين وتسعمئة ـ ونهبت العساكر الأشراف في (جدة)، وسكنوا بيوت الناس، وسُلّطت العرب علىٰ طريق (جُدّة)، ونهبت أموال الترك، وقتلتهم حتّىٰ عفنت طريق (جدة) من القتلىٰ. وكان الشيخ بـ (طيبة) فرأى النبي ﷺ يأمره بالتوجّه لإصلاح (مكة)، فَقَدِمها سادس شوال، ووجد العسكر نصبوا بيارقهم في المسجد الشريف، وسكنوا البيوت. ونهبوا، فجلس الشيخ صاحب الترجمة في المسجد الحرام، وطلب أمراءهم ورؤساءهم، وأمرهم بالخروج من بيوت الناس، فقالوا: مقصودنا نحجّ ونتوجه إلىٰ (اليمن)! أين نسكن؟ فقال لهم: اسكنوا (مِنىٰ)، فامتثلوا أمره. ثم أمر الشريف بمنع العرب عن النهب، وإبطال المُنْكَرات التي تُفْعَل في بيوت القهوة، ففعل.

وذكر في «النور السافر»[2] من كراماته: أنه كان جالساً تحت شجرة، فخطر بباله قول البوصيري[3]:

وراودته الجبال الشم من ذهبٍ ... عن نفسه فأراها أيّما شممُ

وإن ذلك قليل بالنسبة إلىٰ رتبته ﷺ، وإذا الشجرة استحالت ذهباً، فهاله ذلك وتضرع إلىٰ الله تعالىٰ حتّىٰ عادت كما كانت. انتهى.

ومنها: أن تلميذه العارف بالله تعالىٰ عبد الله بن محمد بلفقيه العيدروس صاحب ـ الشبيكة ـ لمّا أصابته الحُمّىٰ ـ وهما في (قُباء) ـ دَثّره الشيخ بجبته، فذهبت منه الحُمىٰ.

ومنها: أنه أخبر هو وغيره بما أضمروه وما كان لهم في غيبتهم عنه، قال

(١) بياض بالأصل.

(٢) ص ١٧٤ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) في البُردة.

الشيخ أبو البركات البروزي: اجتمعت بـ (مكة) بالقطب الغوث الشمس محمد بن عِرّاق، فسألني عن اسمي، فقلت: بركات، فقال لي: بل أنت محمد أبو البركات، ثم صافحني ولقَّنني الذِكر، ودعا لي، وحرّضني على قراءة قصيدته اللامية الجامعة لأسماء الله الحسنى، التي أولها:

بـدأت بـبِسـم الله والـحـمـد أولاً ... علىٰ نِعَمٍ لم تُحْصَ فيما تنزّلا

قال: كل ليلة أحسبه قال: بين المغرب والعشاء. وله نظم يسير، وله مصنفات عديدة، منها: «شرح العباب»، لكنه لم يتم[1]، وكتاب «المنح الغالية»[2]، و«النفحات المكية»، وكتاب «هداية الثقلين في فضل الحرمين»، وكتاب «مواهب الرحمٰن في كشف عورات الشيطان»، ورسالة كتبها إلىٰ من انتسب إلىٰ الطريقة المحمدية في سائر الآفاق، وخصوصاً بـ (مكة) العلية، و(المدينة) المرضية، وكتاب «السفينة العراقية»، وكتاب «سفينة النجاة لمن إلىٰ الله التجاه»، جواباً عن مكاتبات وردت إليه وهو بـ (بيروت) يشكون مما حدث في القرن العاشر من البدع.

وألَّف رسالة في صفة أولياء الله تعالىٰ. ومن كلامه فيها: واعلم أنه لا يجوز لمن يدّعي أن يتظاهر بين أظهر العباد، ويتصدّر للسلوك والإرشاد، حتىٰ يتصف باثنتي عشرة خصلة: اثنتان من الله، واثنتان من رسوله ﷺ، وثنتان من الصدِّيق، وثنتان من الفاروق، وثنتان من ذي النورين، وثنتان من أبي الحسنين.

فأما اللتان من الله تعالىٰ.. يكون غفوراً رحيماً، واللتان من رسوله ﷺ.. يكون رؤوفاً رحيماً، واللتان من الصدِّيق.. يكون صدوقاً سليماً، واللتان من عمر.. يكون غيوراً فهيماً، واللتان من عثمان.. يكون حَيِيّاً كريماً، واللتان من علي.. يكون شجاعاً عليماً.

فيحق لمن اتصف بذلك أن يكون عمدة للسالكين، ومرشداً إلىٰ الله، ومنقذاً من المهالك.

ومما يُنسب بالثقة إليه «حزب الإشراق» وهو: إلٰهي.. كلمّا أذنبت دعتني

(١) ذكر صاحب «النور السافر» هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابنه علي ـ (تاريخ النور السافر ـ ص ٢٧٥).

(٢) ورد الكتاب في تراجمه باسم «المنح الغذائية» ـ تصحيف.

سابقة عنايتك إلىٰ التوبة، وكلمّا تبت جذبتني أزِمّة قدرتك إلىٰ المعصية، فلا التوبة تدوم، ولا المعصية تنصرف عني، وما أدري بماذا يُختم لي، غير أن سابقة الحُسنىٰ منك أوجبت لي حسن الظن بك، وأنت عند ظن عبدك بك، فهب لي توبة منك باقية، واصرف أزِمّة الشهوات عني، وأمحِ زينتها من قلبي بزينة الإيمان، وقني من الظلم والبغي والعدوان، يا حليم، يا عظيم، يا رحمٰن، يا رحيم.

إلٰهي أنوار تجلياتك الوجودية أشرقت فلم يزاحم ضحاها وجود ليل سواها، وأحاطت شموسها في مراتب ظهورها، فحققني اللهم بذلك تحقيقاً محفوفاً بلزوم مواطن مراضيك، مع البقاء بك بعد الفناء فيك، علىٰ قدم من اصطفيتهم وأنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝﴾[1] إلٰهي.. عَمّ قِدَمُك حدوثي فلا أنا، وسَرىٰ نور سلطان هيبتك فأضاء هيكل بشريتي، فلا سواك، فما دام مني فبدوامك، وما فني مني فبمعرفتي[2] إياي.

أسألك سيدي بالألِف إذا تقدمت، وبالهاء إذا تأخرت.. أن تضرب جيم جلال جمعي، في زاي زين جمال معرفتي، حتىٰ ينادي قلبي بإعرابه مرة. يا من ليس إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إلٰهي.. من أقوى مني حولاً وأنت حولي؟! ومَنْ أولىٰ مني بوجد آمالي وأنت مأمولي؟! سيدي.. من أعظم مني قوة وأنت قوتي؟! ومن أحق بالأماني مني وأنت عصمتي؟! أمري وأمر كل شيء بيدك يا الله.

ولم يزل مشمراً لنفع العباد، وفي الترقي إلىٰ ازدياد، إلىٰ أن انتقل إلىٰ دار المعاد، ودفن بـ (المعلاة)، وقبره بها يزار، رحمه الله رحمة الأبرار، عن أربع وخمسين سنة تقريباً. وحضر جنازته شريف (مكة) أبو نمي، وازدحم الناس علىٰ تشييعه، ورثاه الشيخ علوي فقال:

سقىٰ ثراكَ فقيهَ الحيِّ صيِّبُه ... من رحمةٍ هملت من فيض رضوانِ

نجلَ العِراق وجار الله مختفياً ... ما زلت مجتهداً في قمع شيطانِ

(١) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٢) كذا في المخطوط. ولعل الصواب: فبمعرفتك.

تديم صوماً وتحمي العين عن وَسَنٍ ... مُرتلاً بصلاةٍ نظم قرآنِ
حتّىٰ ثويت رهين الرمس في حرمٍ ... استودع الله ربي عين إخواني

[ابن دمرداش الغزّي]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ أحمد بن محمد بن دمرداش الغزّي، أحد أهل العلم المشهورين بالذكاء والفهم. أخذ عن خاله ـ قاضي الحنفية ـ الشمس الغزي، والشمس بن الحمصي. وبرع في عدة فنون، وكان مرجع أهل بلده وغيره في الإفتاء، مع الديانة والصيانة والكرم. وكان نافذ الكلمة عند الأكابر، مقبول الشفاعة، وله نظم جيد ونثر حسن، وسيرة حميدة، وتوفي منتصف ربيع ثاني بمدينة (غزة)، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد ابن القرافي]

وفيها [٩٣٣]: توفي العارف بالله تعالىٰ، محمد الشهير بـ (ابن القرافي)، أصله من أولاد أمراء الجراكسة، وكان له مال كثير وحشمة وافرة، ثم زهد في الجميع وصحب الشيخ علي بن ميمون المغربي، واشتغل بالرياضة الشديدة وتكلفها، حتىٰ حكى أنه لم يشرب ماء مدة عشرين يوماً في أيام الصيف الشديد حتىٰ خر مغشياً عليه، فلمّا علم شيخه بذلك قال: إلىٰ رحمة الله تعالىٰ. وشفع له في أن يأذن له في الشرب فلم يأذن، فلم يلبث إلا مدة يسيرة وفتح الله عليه، بما لا تطمع الآمال في الوصول إليه. وبعد انتقال شيخه المذكور جاور بـ (طيبة) علىٰ مشرفها أفضل الصلاة والسلام، ثم جاور بمكة المشرفة وانتفع به جماعة كثيرون، ولازم الوَرع والزهد والتقوى، وواظب علىٰ ما يحبه الله ويرضىٰ، واستمر مجاوراً بالحرم المكي إلىٰ أن توفي ودفن بـ (المعلاة).

[دمرداش المحمدي]

وفيها [٩٣٣]: توفي دمرداش المحمدي الجركسي[1]. ذو المجاهدات الغزيرة، والفضائل الشهيرة. أصله من مماليك السلطان قايتبي، وسبب سلوكه الطريق أن السلطان أرسله بكيس دنانير إلىٰ الشيخ أحمد بن عُقبة الحضرمي فرده

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ١٩٦).

الشيخ، فأبرم عليه دمراش في قبوله، فأخذه وعصره فتحلل وتحلّب كله دماً عبيطاً، وقال: هذ ذهبكم. فذهل دمرداش وطاش عقله ثم عاد إلىٰ السلطان فسأله أن يعتقه وألح عليه ففعل، ثم عاد إلىٰ الشيخ فأخذ عنه ولازمه، فلمّا مات ساح حتىٰ وصل إلىٰ (تَوْريز)[1] فأخذ عن العارف بالله تعالىٰ عمر الروشني، وأشغلهُ بالذكر السري، وقال له: ارجع إلىٰ مصر، ثم رجع إليه هو والشيخ شاهين وسندسط، والثلاثة جراكسة، فأشغلهم بالذكر السري، وأخلاهم ففتح عليهم. فأجازهم وأمرهم بالعود إلىٰ (مصر) لنفع أهلها، فلمّا وصلوا إلىٰ ظاهر مصر قال دمرداش: لا أدخلها بل أقيم هنا، وذلك محل زاويته الآن. وقال شاهين: ذيل العارض بسفح الجبل، وهو محل زاويته. ونزل الثالث في (السنقرية) وتجمّل بالملابس والفُرش وتردد إليه الأكابر وأتّهم بالكيميا[2] فنفرّ الأكثر عنه، ولمّا نزل دمرداش بمحله قال له العارف المتبولي: كل من عمل يدك وإياك والأكل من صدقات الناس وأوساخهم، فاستأذن قايتباي في احياء ذلك الموضع، فأذن له، فغرس نخلاً فيه ألف نخلة لم يخط منها واحدة، ووضعها علىٰ شكل مربع مائة في مائة علىٰ طريق وضع الأوفاق العددية، ووقفها أثلاثاً: الثلث لعمارة النخل، والثلث لذريته، والثالث للفقراء الواردين والقاطنين.

وكان لا ينام إلا قليلاً، وغالب الليل يمشي حول الغيط والزاوية وهو يتلو القرآن. وكام أمره كله جداً، وكان يعمل في النخل بيده ويخدم الضيف يطحن ويعجن ويغرس. وأقام عنده الفقراء الصادقون، وانتفعوا به، واستخلف جماعةً، منهم: الشيخ الجركسي، والشيخ محمد الخانوني، والشيخ كريم الخلوتي وهو الذي أحيى طريقة شيخه بعده. وليس بمصر زاوية يأكل فقراؤها حلالاً كزاوية دمرداش، فإن وَقْفَها من عمل يده. وكان إذا غلبه الحال يأكل نحو اردب من الأرز المفلفل.

وعزم عليه بعض الأمراء فذهب إليه وحده، فقال: أين الفقراء؟ فإني عملت

(١) تُوريز: مدينة في أوكرانيا بحوض دونباس ـ (المنجد في الأعلام).
(٢) الكيمياء: إكسير كانوا يزعمون أنهُ يحيل المعادن ويجعلها ذهباً أو فضةً. وعلم الكيمياء عند القدماء هو علم يُراد به تحويل بعض المعادن إلى ذهب ـ (المنجد في اللغة).

لهم طعاماً كثيراً، فقال: أنا آكله. فقعد على السماط حتى أكله جميعه وكان يكفي ثلاثمائة رجل، وقال: حملنا حسابه عن اخواننا الفقراء.

ومن كلامه: من الناس من وَحّد الله بما تجلى لقلبه عند فكره، ومنهم من وَحّدهُ بنور وَجدُه في قلبه لا يقدر على دفعه. وقال: لمّا قُطعت يد الحلاّج ورجله[1] كَتَب دمه على الأرض: الله الله. وافتصدت زليخا[2] فكتب دمها: «يوسف» في مواضع كثيرة وذلك لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها. وقال: من فهم الاشارات دقت له البشارات، ومن لم يفهم فليقف على باب ربه خاضعاً خاشعاً مطرقاً فقيراً ذليلاً، لا شيء معه عند باب مولاه، عسى أن يتولاه ويفتح له باباً لا يُغْلَق وينزل عليه فيضاً لا ممسك له. وقال: إذا ولّى الله خليفةً على قوم يعطيه عقولهم وأسرارهم، فيكون مجموع رعيته، فمتى خانهم في أسرارهم ظهر ذلك فيهم، وإن اتقى الله فيهم ظهر ذلك عليهم. وقال: الاصطلام الكلي أن يغيب العبد عن العبودية والربوبية وعن جميع العالم، ولا يشهد إلا الحقيقة الإنسانية من حيث الحقيقة. وقال: بلغني عن الشيخ إسماعيل الجبرتي أنه قال لبعض تلامذته: عليك بكتب ابن عربي، فقال: يا سيدي ان رأيت ان أصبر حتى يفتح عليّ من حيث الفيض، فقال: الذي تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ في الكتب، قال صاحب الترجمة: وذلك لقرب المسافة البعيدة وتسهيل الطريق الصعبة عليهم، لأن الرجل قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة لأن السالك إنما نال ثمرة سلوكه وعمله، والعلوم التي وضعها الكل ثمرة سلوكهم وعملهم الخاص، وإذا فهم المريد ما قصدوه من وضع المسألة في الكتاب وعلمها، استوى هو ومصنفه في معرفة تلك المسألة فنال بها ما ناله المصنف. وما ورد عن بعض الأولياء من منع بعض تلامذته من مطالعة كتب

(1) هو الحُسَين بن منصور أبو مغيث، الحَلاّج، المتوفى سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م: فيلسوف من كبار الصوفيين الزُّهّاد. أصله من البيضاء بفارس. عاش في خلوات الصوفية لا سيّما مع الجُنَيد وسَهْل التستري، ثمّ طاف البلدان داعياً إلى الزهد، فجال في فارس والهند وما وراء النهر ومكّة واستقرّ في بغداد. اتّهم بالزندقة والقول بالحلول فحُكم عليه وسُجن ثماني سنوات ثمّ عُذِّب وصُلب - (المنجد في الأعلام).

(2) امرأة العزيز وزير مصر، التي راودت يوسف عليه السلام.

الحقيقة فلإشرافه على تصور ذلك المريد عن فهمها، لأن قاصر الفهم إما أن يتاول كلامهم على غير مرادهم فيستعمله فيهلك، أو يضيع عمره في تصفح الكتب فلا فائدة. وإما من له فهم وقوة إيمان وإيقان، فيأخذ من كتبهم كل مأخذ وينال منها كل مطلب. قال: وقد رأيت في زمننا طوائف كثيرة من عرب وفرس وغيرهم، بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبلغ الرجال، ونالوا بها مقاصد الآمال، فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه فضيلة سلوك واجتهاد، صار من الكل. وقد رأيت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة الكتب في أيام قليلة ما لم يبلغ رجال باجتهادهم إلى أربعين وخمسين سنة، على أنهم كانوا سبباً لدخول أولئك الصبيان إلى الطريق. لكنهم لمّا وقفوا مع سلوكهم، وصار أولئك الصبيان في مطالعة الكتب وفهمها عند المحققين؛ أفضل من أعمال السالكين؛ ومجالسة أهل الله مع الأدب أفضل من مطالعة الكتب، فعليك بملازمة الشيوخ، فإن لم تجدهم فلازم مطالعة كتب الحقائق واعمل بمقتضاها، تصل لمقصودك، وتقع بذلك على معرفة معبودك والسلام. انتهى.

[عبد القادر الدشطوطي]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ عبد القادر الدشطوطي[1]، المعروف بالكرامات، المشهور بخوارق العادات، والآيات البيّنات، والكشف والقبول التام، عند الخاص والعام. قال العارف عبد الوهاب الشعراوي: قال لي الشيخ عبد القادر كل من قال إن السعادة بيده كذب، كنت في دشطوط لا أهجع من السعي على الدنيا وأنا على ظهر فرس؛ من الغيط إلى السواقي إلى السعدية، وكان يُضرب المثل بي في الجهد في الدنيا. فبينا أنا كذلك إذ حصل لي جاذب إلٰهي فصرت أغيب من حسي اليومين والثلاثة ثم أفيق، فقلت اللهم إن كان وارد حق فاقطع علائقي من الدنيا. فأخذت في السياحة إلى يومنا هذا، وقال: طلبت من الله الحضور بين يديه فتجلّى لي من حضرته أمر ذابت منه مفاصلي فصرت أطلب طلوع روحي فلا أجاب فتوسلت بالمصطفى ﷺ فرحمني وأسدل على الحجاب. انتهى.

(1) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ١٧٠، الكواكب السائرة ١/ ٢٤٦، معجم المؤلفين ٥/ ٢٩. وجميعهم أوردوا تاريخ وفاته: سنة ٩٢٤هـ).

وكان صاحياً لكن صافياً، حاسر الرأس، عليه جبّة حمراء توقف النيل، ثم هبط أيام الوفا ثلاثة أذرع فخاص في البحر، وقال: اطلع بإذن الله، فطلع طرياً، فأقبل الناس يتبركون به. وحج ماشياً طاوياً، فلما وصل باب السلام وضع خده على العتبة فما أفاق إلا بعد ثلاث، وكان يرى مع الدليل تارة ومع الساقة أخرى، ويخفى ويظهر، وكان لا يرى يصلي فيقول الناس معذورون يقولون: عبد القادر لا يصلي. والله ما أظن أني تركت الصلاة مذ خدمت لكن لنا أماكن نصلّي فيها.

وكان ينام عند نصراني عند باب البحر، فسأله القاضي جاره أن ينام عنده فيأبى، ويقول: هذا مسلم، فأسلم بعده. وسأل شيخ الإسلام بن أبي شريف أن يقرىء شاباً فامتنع فأرسل بالالحاح عليه، فاقرأ الشاب مجلساً واحداً ثم قال: انا لست بمتفرغ لاقراء الأطفال وحجب عنه، فعاد إلى صاحب الترجمة فتوجه معه بنفسه، فتوانى في الإذن له لكونه كان مشغولاً بالعشاء، فاضطرب الموضع الذي هو فيه حتى كاد أن يسقط، فخرج إلى الشيخ وقال: يا سيدي بالأرواح، فقال: كيف أعمل أنت مشغول باللذة والوقت أمسى، قال الجلال السيوطي: رُفع إليّ سؤال في رجل حلف بالطلاق أن وَلي الله عبد القادر بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر كذلك انه بات عنده تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما؟ فأرسلت قاصدي إلى الشيخ فسأله، فقال: ولو قال أربعة اني بت عندهم لصدقوا، فأفتيتُ بأنه لا يحنث واحد منهما.

قال بعضهم خُلعت عليه خلعة الطور فتدير ما شاء من الأجساد المتعددة بحيث رؤي في بلدين متباعدين في ليلة واحدة. وغير ذلك من الصفات التي اشتهرت، والعجائب التي بهرت عندما ظهرت. وكان ضريراً وكان قايتباي إذا زاره يمرغ خده على قدميه. وعَمّر عدة جوامع بمصر وقُراها ووقف الناس عليها أوقافاً كثيرة، ولمّا عَمّر القُبّة التي دُفن فيها بزاويته صار يقول الشيخ جلال الدين البكري: أسرع فالوقت قرب، وكاد يقول لا تجعلوا لأحدٍ من الشهود والقضاة وظيفةً في زاويتي إنما جُعلت وقفها لكشفى الركب من كل مقيم ووارد.

ومن كلامه: أوصيك بعدم الالتفات لغير الله في شيء من أمر الدارين فإن جميع الأمور لا تبرز إلاّ بأمره فارجع فيها لمن قدّرها، وقال: إذا استحكمت

هيبة الله تعالى في قلب عبد أُخِذَ عن إدراك التكليف، وقامت به حالت حلت بينه وبين الحركة والصلاة، وصار كل بلاء أهون عليه من صلاة ركعتين. وقال: في بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى: يا عبدي لو سُقت لك ذخائر الكون فنظرت إليها بقلبك طرفة عين فأنت مشغول عنّا لا بِنَا. رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

[أبو السعود الجارحي]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ أبو السعود الجارحي. ذو الفضائل التي لا تتناهى، والمحاسن التي بها يُتباهى. بقية السّلف، وقدوة الخَلَف. العالم الرباني، والعامل الصمداني. حامل لواء الشريعة والحقيقة، ومؤسس قواعد الطريقة. صاحب المجاهدات والرياضات، والهمم السنية العاليات. كان والده من أعيان (كوم الجارح) والمتسببين به في أنواع المتاجر، فنشأ الشيخ أبو السعود به، وحفظ «القرآن» واشتغل بالعلوم الشرعية والفنون الأدبية المحمدية، واشتغل بالرياضة. مكث عشرين سنة صائماً لا يدري بذلك أهله، فكان يأخذ طعامه فيعطيه الفقراء ويذهب إلى المدرسة الرسلانية يصلي إلى الصبح بالقرآن في ركعة أو ركعتين، ثم يخرج إلى دكانه يبيع فيه القطن إلى العصر، وانتهى أكله إلى لوزة ثم ترك اللّوزة وذلك قبل اجتماعه بشيخه العارف بالله تعالى الإمام أحمد المرحومي[١]. وهو أجل من أخذ عن سيدي أحمد المرحومي، وهو[٢] أجل من أخذ عن سيدي مُدْيَن عن الزاهد. فلمّا اجتمع به لقّنه الذكر وأمره بالخلوة في بيته سنة، فاختلى في غرفة في (كوم الجارح) ثم خرج وأبدى العجائب والغرائب. وكان ينزل سرداباً تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا للجمعة والعيد. وربما كان ذلك بوضوء واحد من غير أكل. وكان يشرب كل ليلة عند الغروب مقدار أوقية ماء، ومع ذلك كان يقول إنه بلغ الآن مقام مريد. وكان إذا سمع كلاماً يأخذ منه ما شاء من الاعتبار، سمع شخصاً يقول: يا سيدي فسدت المعاملة ونودي على الفلوس أنها بطّالة، فصاح وسقط على وجهه ونتف لحيته ومكث يصيح يوماً كاملاً وذلك في بداية أمره. وجاءه مريد من مسيرة يوم يطلب الاجتماع به فلم يأذن له فقال في

(١) من كبار مشائخ الأزهر.
(٢) أي المرحومي.

نفسه: أجيء من موضع بعيد ولا اجتمع به، فأرسل له الشيخ يقول: تمنّ عليّ سفرك إليّ يومين! كان المريد في الزمن الماضي يسافر ثلاثة أشهر في طلب مسألة واحدة، ثم قال له: أذهب لا أراك ثلاث سنين. فمكث ثلاث سنين ثم جاءه فأكرمه وانتفع به.

وكان لا يقرب أحد إلا بعد الامتحان. وقال له بعض تلامذته رأيت صبية فراحت نفسي لها، فقال له: صُمْ تنفكّ عنك الشهوة، فلم يصم وظفر بها، فلمّا خلا بها وأراد الوقاع رأى الشيخ فخجل وتركها، فلمّا رجع أخبره الشيخ بالواقعة قبل أن يخبره. ووقع لآخر نحو ذلك.

وكان إذا نظر إلى المريد بالحال يتمزق لوقته، وكان يتكلم على الخواطر وإذا صحبه أحد وتفرس فيه حب الظهور أخرجه عنه بحيلة، قال الشيخ نور الدين الماوردي: كنت أحب المشيخة وربما أقول أي فرق بيني وبين الشيخ فإني أصوم وأقوم الليل ولا أخذ شيئاً إلا أن تحققت حله، فقال لي الشيخ: مقصودي أعتكف وقم عني أنت بملاقاة الناس؛ فأقبل على الأمير وغيره وتردّد عليّ. فجاءني مرة وأنا أكلّم الشيخ وهو في الخلوة فقلت له: جاء الأمير، فقال لي: قل له ما هو هنا، فلمّا جاء قلت له: الشيخ ما هو هنا. فما أتممت كلامي إلا والشيخ واقف وقال لي: تكذب على الأمير فنفر!. مني الأمير وغيره، ثم قال لي الشيخ: شبكتك وخلّصتك. ثم امتحنه بشيء تعب فيه فقال له الشيخ: كيف تحسدني على شيء أحاسب عليه يوم القيامة؟ قال: فتبت من يومئذ ولم أحسد أحداً على الظهور. قال: وقال لي: إياك أن تُخبر بشيء يقع لأصحابك من السوء بالظن فبمشيئة الله تعالى لك استدراجاً. وأنكرت على أصحابه حلقهم لحاهم وقلت: هذا لا عَنْ الله ولا عَنْ رسول الله ﷺ فقال لي: يا نور الدين لا بد أن تحلق لحيتك وتكون أنت الطالب، قال: فوقع لي ذلك بعد عشر سنين وأبى الحالق أن يحلق فأكرهته.

وكان الشيخ إذا أخبر بشيء في المستقبل وقع، قال لفقيه: تصير هاؤك راء، فكان كذلك. وقال لبعض أصحابه: لا تجعل لك مريداً ولا رسالة ولا زاوية، وفر من الناس فإن هذا زمان الفرار، فأني عملت شيخاً في مصر سبعاً وثلاثين سنة ما

رأيت في المشيخة خيراً، وكنت قبل ظهوري في غاية الراحة رائق الخاطر فيما بيني وبين الله تعالى، فلمّا ظهرت تكدرت أحوالي، وكان السّلف يظهرون ليأخذ الناس عنهم الطريق والشفاعة، والآن قد طالبوا الآخرة. ومات من يعتقد الفقراء، وغاب من يطلب الفقراء، إنما هو لعلل.

وطلب الاجتماع به بعض علماء الأزهر فأذن له وقال للحاضرين: هذا ليس له عقيدة، فنصبة تؤذيه ورفعة تجيء به. فلمّا جلس قال الشيخ: يظن الناس بي خيراً وإني شر الناس ان لم يعف عني بنصب الناس، فقام الفقيه وقال: هذا عامي، ولم يلتفت للشيخ. ثم لقيه بعد شهر فقال له: يظن الناس بي خيراً بضم الناس، فقبّل العالم يده واستغفر، فقال الشيخ: من أبعدته نصبة وَردتهُ رفعةٌ لا يصلح لصحبة الفقراء.

وقال له أجلّ تلامذته شمس الدين البوصيري: مقصودنا نسمع منك شيئاً من علوم الأسرار، فقال: يا محمد والله لا آمنك على ريح أخرجه وأنت حاضر فكيف أذكر لك أسرار الله تعالى. وكان الأمراء يقفون بين يديه فلا يأذن لهم بالجلوس، وحملوا في عمارة زاويته الطوب والتراب، وكان يقول للنقيب: إذا طلبني أحد لغير ضرورة فقل له: الشيخ ما هو هَوْن، فقال النقيب: كيف أكذب؟ فقال الشيخ: لست بهَوْن يُدَق فيه الفلفل والثوم. وكان يقول: إذا ذكرتم اسم ربكم فلا تنطقوا به إلا مع التعظيم والخشية، فقد كان شخص يطير في الهواء ويمشي على الماء فدخل على فقير يعوده فقال له: قل يا لطيف، فسلب تلك الكرامة فلم يعرف من أين أتى عليه فدلّوه على شخص من أهل الكشف وسافر إليه، وقال له: إنك لقنت مريضاً اسم الله تعالى اللطيف وأنت غافل عن التعظيم فسلبك الكرامة، فتاب واستغفر فلم تعد له الكرامة.

ومناقب الشيخ كثيرة، وأحواله شهيرة. ولمّا حضرته الوفاة أرسل لجماعة من العلماء وقال: أشهدوا على أنني لم آذن لأحد بعدي أن يجلس للسلوك، وما أحد منهم ذاق مذاق القوم. فبرز بعده شخص يسمي الشيخ على السّلمي وقال: من جاءني باعتقاد أوصلته إلى الله تعالى في ثلاثة أيام، فأتاه شمس الدين البوصيري إلى الأزهر وقال له: قلت كذا؟ قال: نعم، فقال: اللهم إن كان كاذباً فاقصمه

عاجلاً، فمات بعد يوم. وكان للشيخ أبي السعود تلامذة كثيرون بمصره وغيرها، وانتفع به خلائق لا يحصون. ولم يزل ناصباً نفسه للنفع العام لجميع الأنام، حتى وافاه الحمام، فانتقل في هذا العام، وقيل توفي سنة تسع وعشرين وكانت ليلة الأربعاء مستهل جمادى وأوصى أن يغسله الشيخ يوسف الأزهري، وحضر جنازته خلق كثير، منهم: القاضي نور الدين الحنفي الطرابلسي، والسيد كمال الدين بن حمزة الشافعي الدمشقي، وصلّى عليه إماماً بالناس بتقديم الحنفي بجامع عمرو بن العاص، وصُلِّي عليه بالأزهر صلاة الغائب، ودُفن زاويته بـ (كوم الخارج) خارج مصر العتيق في السرداب الذي كان يتعبد فيه. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[علي الشرنوبي]

وفيها [٩٣٣]: توفي سيدي علي الشرنوبي[١]. العارف بالله، الفائز من العلوم الإلهية بأعلىٰ المراتب، والحائز في المعارف الربانية أسنى المناقب. صحب الشيخ شعبان القطوري[٢] الشاذلي، وأخذ عن غيره من أكابر العارفين، وتفقه علىٰ علماء عاملين. وكان الغالب عليه الاستغراق، لا يكاد يرى ماشياً. ويلبس الثياب الفاخرة، إذا رآه من لا يعرفه يعتقد أنه من القضاة. وكان ينظم الموشحات الغريبة في معالم الطريق. وكان له كرامات كثيرة، وكان يقول أنا كيلاني زماني. وكان كثيراً ما يتحدث بكراماته، فيظن من لا يعرفه أنه مدعي وإنما كان يرى ذلك من جملة النعم عليه لأن من عرف الله تعالىٰ لا يبقى عنده رياء لأحد من الخلق. قال الشعراوي: أخبرني أنه كان جالساً في جوف الليل وإذا بشخص نازل من الهواء، فأشار عليه الشيخ بيده فالتصق بالحائط، فقال: التوبة، فقال: ارجع وأت غداً من الباب. فسألته عنه؟ فقال: هذا الشيخ عبد القادر الدشطوطي، رضي الله عنهما.

وصحبه جماعة كثيرون، وانتفع به الناس ديناً ودنيا وآخرة، وله مكاشفات كثيرة. ولم يزل على الحال المرضية إلىٰ أن وافته المنية، وانتقل إلىٰ رب البرية، ودفن بـ (القرافة) قريباً من الشيخ محمد المغربي الشاذلي، نفعنا الله بهم أجمعين.

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ١/ ٢٨٤).

(٢) وردت: البلنطري.

[محمد المشهدي]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ بدر الدين، محمد بن الشيخ بهاء الدين المشهدي، البرمكي. عمدة أهل الأصول والحديث، والمعوّل عليه في الترجيح بين القديم والحديث، العلامة المحدث. مولده سنة اثنتين وستين وثمانمائة، وأخذ عن جمع كثير، منهم: والده الشيخ بهاء الدين، والشيخ الحجازي الشاعر، والشيخ الرضى الارجاضي، والمسندة هاجر، والمسند الشيخ أبو الخير الملتوني، وقاضي القضاة بدمشق القطب الخيضري. وأجازه غير واحد من مشايخه، ودرّس وأخذ عنه جمع كثير، وسمع منه النجم الغفير، قال الحافظ نجم الدين الغيطي: قرأت عليه وسمعت منه كثيراً، وهو الذي تخرجت عنه وانتفعت به في فن الحديث، فجزاه الله تعالىٰ عني خيراً. وكان كثير العزلة، قال له الشعراوي: ما أصبرك علىٰ الوحدة؟ فقال: من كان مجالساً لله تعالىٰ فمائم وحدة، وقد جاوزت الأربعين وما بقي يناسبنا إلا الجد والاجتهاد، هكذا أدركنا المشايخ. وله مصنفات، منها: شرح علىٰ نظم الاقتراح للعراقي في مصطلح الحديث، ومؤلف في قص الأظفار، وكتاب في الأنساب مات عنه مسودة.

[علاء الدين خرجين]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ علاء الدين علي الشهير بـ (خرجين). أخذ عن المولى لطفي والمولى العذاري والمولى بن المؤيد، وصحب الشيخ معرف زاده ثم تدريساً[١] بـ (بروسا) وتنقّل في مدارس بلدان كثيرة إلىٰ أن مات وهو مدرس بإحدى المدارس الثمان. وكان مشاركاً في كثير من العلوم لا سيما العقلية، وكان عاقلاً زاهداً صاحب أخلاق رضية، وشمائل مرضية، ناصحاً لأصحابه وغيرهم، طارحاً للتكلف، متواضعاً، حَسن المحاورة والمحاضرة. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[المنتشولي]

وفيها [٩٣٣]: توفي الفاضل سيدي المنتشولي[٢] الملقب بالدب، قرأ علىٰ

---

(١) ثمة نقص هنا.

(٢) في معجم المؤلفين (ج ٤ ص ١٠١): لقب قريب من هذا: المتشوي.

علماء عصره، منهم: المولى العذاري والمولى لطفي، وصحب الشيخ معروف زاده ثم وُلّي تدريس عدة مدارس في كثير من البلدان إلى أن توفي وهو مدرس بمدينة (حورلي). وكان فاضلاً أديباً شارك في علوم كثيرة، واعتنى بالعلوم العقلية. رحمه الله تعالى وإيانا.

[حسام الدين كُبك]

وفيها [٩٣٣]: توفي الشيخ حسام الدين الشهير بـ(كُبك)، أصله من ولاية (قسطموني) وقرأ على علمائها، وجدّ في الطلب حتى فاق أقرانه، وصحب المولى مصلح الدين البارحصلي، والفاضل بن الحاج حسن، ثم وُلّي عدة مدارس في كثير من البلدان، ثم إفتاء بلدة (طرابوزان)، واستمر إلى أن مات بها. وكان محققاً مفيداً، انتفع به كثير من الطلبة في كثير من العلوم لاسيما المعقوليات، وكان ورعاً عفيفاً، له خُلق حَسَن، طارحاً للتكلف، لذيذ المصاحبة، لطيف المذاكرة. رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة أربع وثلاثين وتسعمائة

[حسن بن أحمد جيهان]

توفي السيد حسن بن أحمد بن علي بن حسن، عُرف جده هذا بـ(جيهان)[1]. ذو الفضائل التي تفوق عقود الجُمان، والفواضل التي تزري بلآلىء المرجان، إنسان عين الزمان، والجوهرة المثمنة في ذلك الأوان. ولد بمدينة (تريم) أشهر مدن حضرموت، وبها نشأ، وحفظ الجزرية والشاطبية والإرشاد والخلاصة والألفية، وبرع في علم التجويد والقرآن، واعتنى بالفقه والنحو، وأخذ عن جماعة كثيرين علوماً عديدة، منهم: السيد العلامة محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، وولده أحمد الشهيد. ورحل إلى (الشّحر)، و(اليمن)، و(الحرمين)، وإلى بر (سعد الدين)[2]. وبرع في القراآت والفقه والنحو، ودرّس وأفتى، وانتفع به كثير من الطلبة. وكان حسن الخط

(١) انظر: (شمس الظهيرة ١/ ٤٠٠).
(٢) بر سعد الدين: منطقة من أرض الحبشة.

والفهم، حسن التقرير، وكان ذا سمت مستحسن، وخُلق حَسن. وكان كثير العبادة، ملازماً للطاعة مواظباً على الجمعة والجماعة، وأكثر أوقاته منعزلاً فيها عن الناس، ثم سافر (إلى بر سعد الدين)[1] ولم يزل به حتى أتاه اليقين، ومات بالطاعون فحاز به الشهادة، وفاز بالحسنى وزيادة. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[علاء الدين الأصفهاني]

وفيها [٩٣٤]: توفي الشيخ علاء الدين علي الأصفهاني. كان أبوه عتيقاً لبعض موالي العجم، ومات أبوه فرباه مولاه أحسن تربية، وعلّمه العلوم من صغره، وجدّ في الطلب حتى حصّل شيئاً عظيماً. ثم رحل إلى الروم واشتهر هناك ووُلّي القضاء، ثم عُزل ووُلّي عدة مدارس في بلدان كثيرة، وله مشاركة في كثير من العلوم، وكان أكثر اعتنائه بالتفسير والعربية والعلوم العقلية. وكان له خط حسن وأخلاق رضية، وسيرة محمودة، وكان لطيف المحاضرة، حسن المذاكرة، له فهم عظيم. وانتفع به كثيرون. رحمه الله تعالى.

[عبد الغفار بن محمد شاه]

وفيها [٩٣٤]: توفي الشيخ عبد الغفار بن محمد شاه بن أحمد، أصله من ولاية (مدرنة)، وكان والده محمد شاه منتسباً إلى الطريقة الزينبية، وتوفي والده وهو شاب. وطلب العلم على علماء عصره، منهم: المولى علاء الدين بن عبد الرحيم بن علاء الدين العربي، والشيخ محمد القرحوي، وسيدي القرماني. وكان في عصر شبابه تائهاً في هوى نفسه، فرأى في منامه والده أنه يضربه ضرباً شديداً وانه يوبخه على فعله القبيح، وكان بـ(أدرنة) فلمّا أصبح ذهب إلى شيخها الشيخ رمضان وتاب على يديه، وأدخله الخلوة، وارتاض وجاهد مجاهدة عظيمة، حتى نال المراتب العليّة، والمقامات السنية. وأجازه شيخه بالإرشاد، ورجع إلى وطنه وأنام، وتصدى لنفع الناس، ودرّس ووعظ. وكان مشاركاً في كثير من العلوم، وله نظم حسن باللغات الثلاث، وله إنشاء عظيم بها، وخطهُ مليح. وكان مواظباً على الطاعات، والجمعة والجماعات. وكان كريماً سخياً، لذيذ المحاضرة،

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٥٠).

حسن المذاكرة. رحمه الله تعالىٰ.

[علي المرشدي المكّي]

وفيها [٩٣٤]: توفي الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الغني بن عبد الواحد نور الدين، أبي الحسن المرشدي، المكي، شقيق القاضي نسيم الدين. وُلد سنة (٨٧١هـ) إحدى وسبعين وثمانمائة بـ(مكة)، رحفظ القرآن، والأربعين النووية، وألفية الحديث، والكافية، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، والعمدة في الأصول، والتلخيص، وعُرِضَ علىٰ البرهان بن ظهيرة، وأبي القاسم بن الضيا، وعمر بن فهد، ويحيى العلمي، والشيخ عبد المعطي. وتفقّه علىٰ اسماعيل الأرغاني، وأخذ العربية علىٰ البدر حسن المرجاني، وسمع الشفا وابن ماجه علىٰ الجمال أبي السعود بن ظهيرة، وقرأ البخاري علىٰ الحافظ السخاوي. ورحل إلىٰ اليمن وأخذ بها عن الشيخ عمر بن جمعان جميع مؤلفاته ومروياته، وعاد إلىٰ مكة وناب في قضائها، وبجدة عن الكمال القادمي. وكان ملازماً للطواف والعبادة، وجمع كتباً كثيرة. وتوفي بالسكتة ليلة السبت مستهل المحرم رحمه الله.

[الحيّاك]

وفيها [٩٣٤]: توفي الشيخ مصلح الدين الشهير بـ(الحيّاك)[1] لأنه كان مشتغلاً بصناعة الحياكة، ولمّا بلغ أربعين سنة تركها واشتغل بطلب العلم علىٰ علماء عصره وجدّ فيه حتىٰ تولى مدرسة (تيرة)[2] وصحب الشيخ العارف محمد الجمّال والشيخ الأمير البخاري، ثم ترك التدريس وعُيِّن له كل يوم ثلاثون درهماً بطريق التقاعد، ووزّع أوقاته في العبادة والتدريس ونفع العباد. وكان يحيي الليل بالقيام، لا ينام إلا قليلاً وربما يغلب عليه الحال في الصلاة وشاهده الحاضرون. رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١٨، شذرات الذهب ٨/ ٢٥٢) وقد ورد لقبه في الأصل: عبيد الريحاوي.

(٢) وردت في الأصل بالباء «بيرة».

سنة خمس وثلاثين وتسعمائة

[عُبيد الدنجاوي]

توفي الشيخ عُبيد الدنجاوي ثم البلقيني[1] صاحب الأحوال الظاهرة، والكرامات الباهرة. صحب الشيخ محمد الكواكبي ولازمه حتىٰ تخرج به، وكانت وظيفته يحمل الماء علىٰ كاهله للزاوية، وكان له أثر في كاهله من كثرة خدمة شيخه الشيخ محمد الكواكبي في حمل الماء علىٰ ظهره وكتفه، ولم يكن يقرأ مع أصحاب شيخه أورادهم إنما كان مشغولاً بالخدمة، فلمّا حضرت شيخه الوفاة وتطاول كل واحد للأذن لم يلتفت الشيخ إلىٰ أحد منهم وقال: هاتوا عُبيد، فأذن له بحضرتهم فحسدوه وآذوه ثم جُذب وأتىٰ من الشام إلىٰ مصر ـ زمن قايتباي ـ وكان يعتقده اعتقاداً شديداً، ودخلها حال الجذب وهو متجرد عن الثياب ما عدا سراويل من جلد وطرطور من جلد، ومكث طاوياً عن الأكل سنتين، ولمّا صحىٰ وحصل له الإذن بالسفر إلىٰ الصعيد أعطاه السلطان مرسوماً بالإذن في عزل من شاء من جميع كشاف الصعيد ومشايخ العرب، فأقام في الصعيد مدة ثم رجع إلىٰ مصر فسكن (بلقين) وعَمّر بها زاوية وأقبلت الناس عليه، ونزل السلطان لزيارته. ومكث بها مدة، ثم سكن مصر في (الزاوية الحلوانية) فعَمّرها له السلطان الغوري وعمل الإمراء فيها، ثم ترك لباس الجلد ولبس الملابس الفاخرة كملابس الملوك ويقول لنفسه: تذكري حلاوة المجاهدة لولا جاهدت ما حلاّك الله بهذه الملابس والأطعمة. وكانت عمامته من صوف، وأعطاه الغوري سُرية من سراريه.

وكان له نقباء سبعة مرصدين لقضاء الحاجات عند السلطان والأمراء، وكثيراً ما يرسم السلطان بشنق إنسان فيرسل إليه فيخلّصه. وما منع سائلاً قط، وكان السائل يطلب الخلق من الثياب فيخلع عليه جوخة تساوي خمسين ديناراً، وإذا أرسل له أحد هدية ذهب أو فضة أو كسوة فرّقها علىٰ الحاضرين. وكان في قفاه جراح يتساقط منه الدود.

وكان إذا سمع أحداً ينشد كلام سيدي عمر بن الفارض يصير كالجمل

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١٨٩، شذرات الذهب ٨/ ٢٥٢) وقد ورد لقبه في الأصل: عبيد الريحاوي.

الهائم، ولا يستطيع أحد أن يقعده حتى يقعد باختياره. وفقد ولده حال حياته، وكان شاباً جميلاً عابداً زاهداً، سمع شخصاً ينشد بيتاً في المحبة فهام على وجهه ولم يدر أين ذهب، فلم يتأثر الشيخ وقال: نحن قوم كيلانية، ما وُلد لنا مولود قط إلا وأخرجناه من قلوبنا، سواء مكث عندنا أو فارقنا. واستمر على نفع المسلمين والمسلمات، إلى وقت الممات ودفن بزاويته. وقبره بها ظاهر يُزار، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد الجمّال]

وفيها [٩٣٥]: توفي محمد بن محمد بن عمر بن محمد الجمال، أبو السعود، ابن الخواجا شمس الدين بن الزمن. وُلد بمكة سنة (٨٨٣هـ) ثلاث وثمانين؛ وسكن القاهرة وتزوج بها على ابنة أبي البركات بن الجيعان، وأقبل على اللذات كأبناء الأكابر، وضيّع جهاته، وباع أوقاف والده، وطلّق زوجته. ثم قطن مكة ومات بـ (جُدّة) فقيراً حقيراً، ودفن بها رحمه الله تعالى.

[محمد البصري]

وفيها [٩٣٥]: توفي الشيخ محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل شمس الدين، البصري الأصل، المكي، الشافعي. ويعرف بـ (الزقزق)(١). وُلد سنة (٨٧٤هـ) أربع وسبعين وثمانمائة بـ (مكة المشرفة)، ونشأ بها، فحفظ القرآن والإرشاد وعرضه على الشيخ أحمد الخولاني، ولازم الشيخ عبد الله البصري وأخذ عن غيره. وتميز وبرع في عدة فنون، وأجاز له مشايخه بالتدريس والإفتاء، ورحل إلى الإحساء، وترقى عند سلاطينها بني جبر ووُلّي عندهم القضاء، ثم رحل إلى البصرة فرأس بها عند راشد ابن مغامس أميرها، وتولى قضاءها، وحج معه سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ورجع معه وتصدّى للتدريس بالبصرة، وانتفع به في تلك الديار خلق كثير من الأخيار. وكان مقبول الكلمة عند الخاص والعام، مع الورع التام وكثرة الإكرام، إلى أن قُوّضت خيامه، وكان بها من العمر ختامه. رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) وردت: بالزقرق ـ بدون نقط الزاي الثانية.

[برهان الدين إبراهيم]

وفيها [٩٣٥]: توفي المولى السيد إبراهيم(١)، العالم الرباني الذي لا يدانيه قط مداني الإمام الكامل، الأريب الحسيب النسيب. كان والده من سادات العجم، ارتحل إلى الروم، وتوطّن بقرية قرب (أماسيه)(٢)، وجدّ واجتهد في الطاعات، حتى صار من الأولياء أصحاب الكرامات.

(منها): أنه عُميَ في آخر عمره، فكشف ولده المولى إبراهيم رأسه بحضرته، فقال له: لا تكشف رأسك يضرك الهواء، قال: كيف رأيتني وأنت لا تبصر؟ قال دعوت الله تعالى أن يريني وجهك، فأجابني، وصادف عود بصري انكشاف رأسك. ثم رجع بصره مكفوفاً.

(ومنها): ان السلطان بايزيد حين ولايته باماسيه، كان يلازمه ويستمد دعاءه، فأوصاه يوماً بعدم الإفراط في الصيد فترك مدة ثم باشره، فساقوا إليه قطيعاً من ظباء فتركها ولم يلزمها، ورجع فزعاً إلى منزله فسئل عن ذلك، فقال: رأيت الشيخ يقول لي ما نهيتك عن الصيد؟!

ونشأ المولى إبراهيم تحت حَجره، إلى أن دخل في قبره، ثم ارتحل لطلب العلم إلى (أدرنة) ولازم المولى سنان الدين الصوفي، فامره أن يشتغل بتزكية النفس، فرأى أن نفسه في صورة طير كبير أبيض وجناحاه خضراوان ومنقاره أحمر وهو يطير إلى العرش والكرسي، ورأى شجرة نابتة في الأرض وفرعها في السماء ولها غصن ممتد من المشرق إلى المغرب، وأنه وقف على ذلك الغصن. فقصّها على شيخه فلم يُعبِّره له، وأمره بالمداومة على الاشتغال. ثم رأى ثانياً أنه على حمار يجر خطامه على الأرض، وعليه ظرف فيه خمر، وخلفه غلام جميل وبيده طنبور يضرب به، فرآه ذلك وقصّه على الشيخ، فقال الشيخ: هذه أحسن من تلك، الخمر صورة الجذبة، والغلام صورة الروح، والطنبور صورة انجذابه إلى

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/٨٣، شذرات الذهب ٨/٢٥١، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٨٥).

(٢) وردت: أماسيا.

عالم القدس. لكن لمّا لم يكن زمام الحمار بيدك لا تقتدر أنت بأحد أصلاً.

واشتغل بالعلم فكان كما قال، فاشتغل بالعلم حتّىٰ حظي بأوفر نصيب، واعترف له بالتقدم البعيد والقريب. وجمع شمل العلم بالعمل، وسلك الطريق التي لا عوج فيها ولا زلل. وتصدى للنفع العام، وأخذ عنه كثيرون من الأنام، فأفاد من اشتغل عليه، ونفع من انتمى إليه، ووُلّي عدة مدارس، وأملى في كثير من المجالس، وكان معظماً في مصره، مُبجلاً عند أكابر عصره، وكان يحب الانعزال عن الخلق اشتغالاً بخدمة الحق.

وكان مجرداً عزباً فأمره والده بالزواج وألح عليه، فأبىٰ، فرأى النبي ﷺ يقول: أعطاك الله ولداً مثل السيد إبراهيم أما رضيت به حتّىٰ طلبت له ولداً! واستدعاه الوزير محمد باشا القرماني لِيُعلّم ولده فعلّمهُ مدّة ثم صار معلماً للسلطان قورقود بن السلطان بايزيد في حياة السلطان محمد خان، ثم وُلّي تدريس مدرسة محمد باشا، ثم مدرسة السلطان بايزيد، ثم وُلّي الفتوى وعيّن له كل يوم ثمانون درهماً بطريق التقاعد. ثم ترك التدريس والفتوى وعيّن له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد واشترى له السلطان سليم داراً في جوار مزار أبي أيوب الأنصاري؛

وكان المولى إبراهيم متواضعاً لا يُرى إلا جالساً علىٰ ركبتيه، ولم يضطجع قط، بل ينام جالساً. وكان لا يأمر أحداً بشيء حتّىٰ خدمه وربما أخذ الكوز فوجده فارغاً فلا يقول لأحد املأه خوفاً من الأمر، وكان حَسَن الصمت والأدب سواء عنده المدر والذهب. وعمي في آخر عمره، ثم عولج، فانفتحت إحدى عينيه وترك العلاج.

ومن كراماته أن بعضهم أطال لسانه عليه في غيبته فأُخبر بذلك مراراً وهو يعرض عنه، ثم ذكر له ذلك، فقال: هل يتحرك لسانه الآن؟ فاعتُقِل لسان ذلك الذي اغتابه ولم ينطق حتّىٰ مات.

ولم يزل يتنقّل في المقامات العلمية ويترقى في الأحوال السنية إلىٰ أن وافته المنية، ولمّا احتضر قال لأصحابه: أن الله لطيف كريم، وقد شاهدت من كرمه وفضله ما يعجز عنه الوصف. ثم قضى عليه. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

[مصطفى بن خليل]

وفيها [٩٣٥]: شيخ الكامل، العالم العامل، المولى، مصلح الدين، مصطفى بن خليل[١]. وُلد ببلده (طاش كبري) سنة فتح (قسطنطينية) ـ وهي سنة سبع[٢] وخمسين وثمانمائة ـ وقرأ علىٰ والده ثم علىٰ خاله المولى محمد اليكاري[٣]، ودروس محمد بن خضر شاه. وجدّ في الطلب، حتّىٰ بلغ الأرب، وصحب المولى بهاء الدين المدرس والمولى بن معنا[٤]، والمولى قاضي زاده، وعلاء الدين علي العربي، والفاضل خواجة زادة. ثم نصّبه السلطان بايزيد معلماً لابنه سليم خان، ثم وُلّي قضاء (حلب) ثم استُعفي. وكان عابداً زاهداً ورعاً، وكتب علىٰ تفسير البيضاوي في مواضع، وكذلك علىٰ شرح الوقاية للصدر، وشرح المفتاح، ورسالة في الفرائض، ورسالة في حديثي الابتداء. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[جلال الدين القاضي]

وفيها [٩٣٥]: توفي جلال الدين القاضي[٥]، أحد الأعلام. صحب المولى ابن الحاج حسن ووُلّي مدرسته بقسطنطينية، ثم القضاء بعدة بلدان، ثم اختار التقاعد عن القضاء وعُيّن له كل يوم خمسة وثلاثون درهماً، وتجرّد للاشتغال بالعلوم والعبادة، ولازم التقوىٰ والطريقة، التي لا عوج فيها ولا أمتاً. وكان سليم الصدر، كريم النفس، متواضعاً، يحب الناس وينزلهم منازلهم، ويقوم بخدمتهم حسبما يقدر. وسيرته محمودة في قضائه لم يُذم في قضاء ولا حُكم ولا إفتاء، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢٥٧، الكواكب السائرة ٢/٢٥١، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٣١).
(٢) في شذرات الذهب: خمس.
(٣) في الكواكب: خاله المولى الكشاري.
(٤) في الكواكب: ابن مغنيسا. قال مُحقق الكتاب: كذا في (ج) ص ٢٩٦ وفي شذرات الذهب ٨: ٢١٢ «مغيسا» وأما في الأصل فغير واضحة.
(٥) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١٣٣، شذرات الذهب ٨/٢٥٢، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٧٩).

[قُطْب الدين المرزيفوني]

وفيها [٩٣٥]: توفي قطب الدين المرزيفوني[١]. أحد العلماء الأروام، الفضلاء الفخام. أخذ عن المولى علاء الدين علي الجمال المفتي، وغيره من علماء عصره، ثم وُلّي بعض المدارس، وتنقّل في المدارس والبلدان إلى أن توفي وهو مدرس بمدرسة (طربوزان)[٢]. وكان فاضلاً، تفنن في عدة علوم، وشارك في كثير منها، واعتنى بالفقه والعربية. وله تعليقات على شرح الوقاية لصدر الشريعة، وعلى شرح المفتاح للسيد الشريف[٣]. وكان له أخلاق حسنة، وصفات مستحسنة، رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة ست وثلاثين وتسعمائة

[محمد بن علي القادري]

توفي، كمال الدين محمد بن علي القادري[٤]، الشافعي، شيخ الإسلام، وقاضي قضاة الأنام، علاّمة مصر، وشيخ أفاضلها، والعالم بدقائق علومها وجلائلها. وكان مولده سنة ست وأربعين وثمانمائة بمصر المحروسة، ونشأ بها، وحفظ كتباً كثيرة، وأخذ عن جماعة من أكابر العلماء، منهم: الإمام شرف الدين المناوي، والشيخ الشهاب الحجازي الشاعر، والشيخ محمد بن كبيلة. وجدّ واجتهد وورد من كل علم صفو نميره، ونهل من نطاف غديره. وأجازه غير واحد في النفع والتدريس، فأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: الحافظ النجم الغيطي. ولم يزل يحل المشكلات، ويكشف عن المعضلات، إلى وقت الممات. رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

---

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٨/ ١٣٣؛ الشقائق النعمانية ٢/ ٩١).

(٢) طرابزون: مدينة تركية في أرمينيا على البحر الأسود ـ (المنجد في الأعلام).

(٣) «مفتاح العلوم» للسكاكي.

(٤) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٤٥، شذرات الذهب ٨/ ٢٦٥ـ وورد فيهما أن لقبه: محمد بن علي القاهري).

[إبراهيم المجذوب]

وفيها [٩٣٦]: توفي إبراهيم المجذوب، المستغرق العريان. جُذِب فتعرّى عن ثيابه كلها، وكان محبوباً معتقداً، يصعد المنبر ويخطب عرياناً، ويذكر الوقائع التي ستقع في الأسبوع المستقبل، فلا يخطىء في واحدة. وإذا أغلقوا عليه باباً وحده، وجدوه خارجه وإذا صحا يتكلم بآداب حسنة، ودُفن بالروضة.

[أحمد القسطنطيني]

وفيها [٩٣٦]: توفي المولى شمس الدين أحمد القسطنطيني[١]، المشهور بـ (ابن الحضاجر)[٢]. وُلد بقسطنطينية. وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم، وأخذ عن الشيخ بن المؤيد وغيره، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس في كثير من البلدان، ثم وُلّي قضاء دمشق، ثم عُزل وولّي إحدى المدارس الثمان، وعُيّن له ثمانون درهماً كل يوم، واستمر كذلك إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى. وكان له مشاركة في كثير من العلوم الشرعية، ومهارة في بعض العلوم العقلية. وكان صالح السريرة، حسن السيرة، نيّر البصيرة، حسن الصمت، كريماً، أديباً. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبيد الله الفَنَاري]

وفيها [٩٣٦]: توفي الشيخ عبيد الله بن يعقوب الفَنَاري[٣] من جهة الأم. قرأ القرآن في ستة أشهر، ثم اشتغل بالعلوم، وكان قوي الحفظ، وأخذ عن المولى الشيخ محمود القاضي بالعسكر، ثم وُلّي قضاء بعض البلدان الرومية، ثم قضاء (حلب)، وملك كتباً كثيرة نحو عشر آلاف مجلد. وكان كريماً سخياً، وملك أموالاً كثيرة أنفقها في وجوه البر والخير، ومع ذلك لم يخل من الدين، لسعة كرمه ووفور فتوته، مع تولية المناصب الجليلة، وتحصيل الأموال الجزيلة.

وكان له اعتناء بعلم الأدب، وشَرَح البُردة المشهورة شرحاً حسناً مفيداً.

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٦٠، الكواكب السائرة ٢/ ١١٦، الشقائق النعمانية ص ٢٧٦).

(٢) في الكواكب والشذرات: ابن الجصّاص.

(٣) انظر: (معجم المؤلفين ٦/ ٢٤٧، الكواكب السائرة ٢/ ١٨٨، الشقائق النعمانية ٢/ ٧١، شذرات الذهب ٨/ ٢٦٢).

وأكثر أوقاته في النفع المتعدي، ولم يزل يترقى في المراتب العالية الجسام، إلى أن وافاه الحِمَام، ونزل بساحة الملك العلام. رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار.

[يوسف الأيديني]

وفيها [٩٣٦]: توفي الشيخ سنان الدين يوسف[1]، ابن أخي الأيديني، المشهور بأخي زاده. اشتغل بالعلوم في بلده، وصحب الفاضل مصلح الدين مصطفى الشهير بابن البركة، ثم ارتحل إلى العجم، وأخذ عن العلامة جلال الدين الدواني، ودرّس هناك ثم عاد إلى الروم، ووُلّي بعض المدارس، وتنقّل من مدرسة إلى أخرى، ثم وُلّي تدريس وإفتاء (طرابزون)[2]. ثم تقاعد، وعُيِّن له كل يوم أربعون درهماً، واستمر كذلك إلى أن مات. وكان له معرفة تامة بعلم الأدب، وشرح مفتاح السكاكي لكن لم يتمه، وكان من البله في أمور الدنيا، يغلب عليه التغفل فيها، وكان لا يصير شيء[3] إلا وتكلم فيه، وكان حسن العقيدة متواضعاً طارحاً للتكلف. رحمه الله تعالى وإيانا.

[علي المرشدي]

وفيها [٩٣٦]: توفي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المرشدي. وُلد سنة خمس وثمانين، وأخذ عن السخاوي رحمه الله تعالى، والشيخ محمد بن الزعيفريني وعبد الحق الاستاطي والجمال محمد بن الضياء وعبد القادر الفاسي، وأخذ بالقاهرة عن الجوجري وغيره. مات بمكة.

(١) انظر: (معجم المؤلفين ١٣/٢٧٩، الشقائق النعمانية ٢/٧٥).
(٢) وردت «طربوزان» والتصحيح من «المنجد في الأعلام».
(٣) في الأصل: وكان لا يضر شيء.

سنة سبع وثلاثين وتسعمائة

[عبد الله المجذوب المصري]

توفي عبد الله المجذوب المصري[1]. أحد العلماء الراسخين، والأولياء العارفين، كان له كشف باهر، وحال ظاهر قادر، وكان سيدي علي الخواص يرسل إليه الحوائج المهمة فيقضيها، وإذا عجز عنها أرسل صاحب الحاجة إلى رجل يصحن الحشيشة في باب اللوق، فيقضيها على ما ينبغي. وكان سيدي عبد الله المجذوب هذا يصحن الحشيشة بخرائب الأزبكية، وإذا دخل وقت الصلاة غسل يديه وتوضأ وقام للصلاة، وكان يقول: وعزة ربي ما أخذها أحد من هذه اليد. وعاد إليها فكان كل من أخذ من يده شيئاً منها تاب لوقته ولا يعود أبداً، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: أوصاني أن لا أتخلف عن جملة أحد من المسلمين إكراماً لرسول الله ﷺ ودعا لي أن الله يسترني بين يديه يوم القيامة. ولم يزل على تلك الحال، إلى وقت الانتقال، ودُفن بخرائب الأزبكية مع الغرباء، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم.

[محمد الذهبي]

وفيها [٩٣٧]: توفي العلامة الفقيه، سعد الدين، محمد بن محمد الذهبي[2]. أحد العلماء العاملين، أئمة الدين. اشتغل بالعلوم الشرعية، والفنون الأثرية والأصولية، وبرع في الفقه أصولاً وفروعاً. مولده سنة (٨٥٠هـ) ـ خمسين وثمانمائة ـ ومشايخه كثيرون، منهم: الشيخ كمال الدين بن إمام الكاملية، والجلال عبد الرحمن العميصي والمُسنِدة نشوان بنت الحنبلي، وأبو الحياة المصري. وأخذ عنه جماعة من العلماء والمحدثين، منهم: نجم الدين الغيطي. وألّف عدة تصانيف، منها: شرح ورقات إمام الحرمين، وشرح منهاج البيضاوي في الأصلين، ورسائل كثيرة. رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢٦، الكواكب السائرة ٢/١٥٤).
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/٧).

[محمد الأبيوردي]

وفيها [٩٣٧]: توفي العلامة، العدل الثقة، شمس الدين، محمد بن عبد القادر الأبيوردي، المالكي. الفاضل الأمير، الكامل الأديب، أحد العدول بالقاهرة، وأحد نجومها الزاهرة. مولده سنة (٨٤٥هـ) - خمس وأربعين وثمانمائة - واشتغل بالعلوم، المنطوق منها والمفهوم، وبرع في عدة فنون، وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: العارف بالله تعالى سيدي مدين المالكي، والحافظ نجم الدين الغيطي، وغيرهما. وكان حافظاً للسانه، مقتصراً على شأنه، كثير الطاعات، مواظباً على الجماعات، إلى وقت الممات. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد بن أبي بكر بلفقيه]

وفيها [٩٣٧]: توفي السيد محمد بن أبي بكر بن عمر بن حسن بلفقيه[1] الجامع لأنواع العلوم والمعارف، والحائز من شرفيهما التليد والطارف. وهو أحد بني علوي الذين أضحت لهم في علوم الحقيقة الرتبة الشامخة، وفي المعارف الإلهية القدم الراسخة. وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، والإرشاد لابن المقري، وغير ذلك. وطلب العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وعلوم الصوفية. فأخذ الفقه عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، وولده أحمد الشهيد، والسيد الجليل محمد بن عبد الرحمن بلفقيه. ثم رحل إلى اليمن، ودخل بندر عدن، وأخذ بها عن السيد الجليل أحمد بن أبي بكر العيدروس، وأخذ بزبيد عن الشيخ محمد بن أحمد الزبيدي وغيره. ورحل إلى (مكة المشرفة)، وأخذ بها عن الشيخ محمد الحطاب، وولده يحيى، وقرأ عليهما الإحياء، وأخذ منهما النحو، والميقات، والحساب.

وزار جده عليه الصلاة والسلام، وأخذ عن العارف بالله تعالى محمد بن عراق، ولازمه في دروسه. وأخذ التصوف أيضاً عن السيد الجليل عبد الرحمن بن علي[2]، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين. ثم قطن في هذه الديار، وألقى بها

(١) أورد له المؤلف ترجمة أخرى في كتابه «المشرع الروي» ج ١ ص ١٧٠.
(٢) «عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران، المتوفى سنة ٩٢٣هـ.

عصا التسيار، وتجرد لعبادة الله عز وجل، وتخلّى عن الخلق واعتزل، ولم يزل كذلك حتّى وافاه حلول الأجل، ودفن بـ (المعلاة) بجنب قبر شيخه الشيخ محمد بن عِرَاق، رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما.

[سنان البكائي]

وفيها [٩٣٧]: توفي سنان جلبي[1] البكائي، اشتغل بطلب العلم على علماء عصره حتّى حصل طرفاً صالحاً، ثم صحب مؤيد زاده، وولّي التدريس بـ (بروسّا) و(قسطنطينية)، و(أدرنة) وولّي دار الحديث بها. وكان سخياً وفياً تقياً نقياً، وشارك في كثير من العلوم، وله عدة تصانيف، منها: حواشٍ على شرح المفتاح للسيد الجرجاني، وكان مختل المزاج ولولا ذلك لكثرت تصانيفه، وله معرفة تامة بالشعر له نظم كثير بالتركية. رحمه الله تعالى وإيانا.

[المولى عبد اللطيف]

وفيها [٩٣٧]: توفي الشيخ المولى عبد اللطيف[2]، وكان أصله من ولاية (قسطموني)، وطلب العلم، وأخذ عن الشيخ مصلح الدين الدار حصاري[3]، ثم انتسب إلى المولى الشيخ محمود قاضي العسكر، ثم صار مدرساً بمدرسة ديمة قوقة ثم بأدرنة، ثم بقسطنطينية، وتنقّل من مدرسة بلاد إلى أخرى، ثم وُلّي قضاء (أدرنة)، ثم عُزل وعُيِّن له كل يوم ثمانون درهماً بطريق التقاعد، واشتغل بالعبادة، وواظب على الجمعة والجماعة، وصرف جميع أوقاته في الطاعة، ولازم الاعتكاف في المسجد، وترك الدنيا وأقبل على الآخرة بكليته.

وكان مجاب الدعوة، وكان محباً للفقراء والمساكين والأولياء والصالحين، كثير النفع للمسلمين وإصلاح ما بينهم. واستمر على هذا الحال إلى أن وافاه الانتقال، وقَدِم على الكبير المتعال. رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) وردت «حلبي» - تصحيف.
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١٨٣).
(٣) في الكواكب: مصلح الدين البارحصاري.

[محمود الرومي]

وفيها [٩٣٧]: توفي الشيخ بدر الدين محمود بن عبد الله الرومي(١). قرأ على كثير من علماء عصره، منهم: الشيخ لطفي اليوناني، والمولى شجاع الدين الرومي، والمولى بن المؤيد. ثم وُلّي تدريس الوزير باشا بقسطنطينية، وكان من عتقائه، ثم تنقّل في عدة مدارس، ثم تولّى قضاء (حلب) ثم قضاء (أدرنة)، واستمر قاضياً بها إلى أن مات، وكان له مشاركة في كثير من العلوم لا سيما الفقه، وكان طلق اللسان جريء الجنان، كثير العبادة محباً للفقراء والضعفاء مكرماً لهم، كثير الخيرات، وبنى مسجداً بأدرنة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[سليمان الرومي]

وفيها [٩٣٧]: توفي العالم سليمان الرومي(٢)؛ قرأ على كثير من العلماء في كثير من الفنون، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس آخرها إحدى المتجاورتين بأدرنة(٣)، وتوفي وهو مدرس بها، وانتفع به كثيرون، وكان عاملاً بعلمه لا يذكر أحداً إلا بخير، وسبب موته أنه حضر وليمة ختان أولاد السلطان سليمان خان، ثم سقط مغشياً عليه، فحُمل إلى خيمته ومات، رحمه الله تعالى.

[محمد النشيلي]

وفيها [٩٣٧]: توفي الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن محمد الشمس النشيلي، الكردي الأصل، القاهرة، الأزهري. وُلد سنة (٨٦٨هـ) ـ ثمان وستين وثمانمائة ـ وسمع على الشاوي وغيره، واختص بالقطب الحضري، ثم بشيخ الإسلام زكريا حتى يكتب مؤلفاته ويصلحها بإذنه، ويفتي ويدرّس وانتفع به خلق، وحدّث بمكة، والقاهرة، ونظم أبياتاً في الدماء وغيرها، ولازم العبادة مع الزهد والتقشف حتى كف بصره، ومات بالقاهرة في التاريخ المذكور، رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/٢٤٨).

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢٦٧، الكواكب السائرة ٢/١٤٨، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ٢٨٦).

(٣) في شذرات الذهب: ترقّى في التدريس حتى درّس بإحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنة.

[أبو بكر المرشدي]

وفيها [٩٣٧]: توفي الشيخ أبو بكر بن علي المرشدي، الحنفي. وُلد بمكة وصحب جماعة من العلماء، وانتفع، ولزم العبادة والخلوة، وشارك في عدة فنون، واشتغل بالفقه والتصوف إلى أن توفي بمكة، رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة

[إبراهيم خُرِد]

توفي السيد إبراهيم بن علي بن علوي. عُرف جده بـ (خُرِد)(١) ـ بفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء، آخره مهملة ـ أحد بني علوي السادة الأشراف، نخبة بني عبد مناف. وُلد السيد إبراهيم سنة إحدى وتسعمائة بمدينة (تريم)، التي قدرها كوزنها عظيم، و«حفظ القرآن» المجيد على طريقة التجويد، وحفظ «الجزرية» و«الشاطبية»، وحقق علم القراءات بأطرافه، فرشح أعطافه من درر أصدافه، وتفقه في الدين، فأخذ عن علماء عارفين، منهم: أخوه قاضي القضاة السيد أحمد شريف، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، وولده أحمد. وأخذ الحديث من أخيه المسند السند السيد محمد، ورحل إلى (عدن) و(زبيد)، فالتقى بهما سادة أعلام الأئمة، وقادة علماء الأمة، فأخذ عنهم علوم المنقول والمعقول، وتلقى فنون الفروع والأصول، وسمع منهم، وروى عنهم. منهم: الإمام الأوحد، صفي الدين أحمد بن عمر المزجّد، والإمام الحافظ الأورع عبد الرحمن بن علي الدَّيبع، والشيخ الكامل الإمام يحيى العامري صاحب «بهجة المحافل»، وأخذ علم القراءات أيضاً عن الشيخ عبد الرحمن الدَّيبع، والشيخ الفقيه الساوري.

وأقام في هذين البلدين عدة سنين، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وزار سيد المرسلين، وأخذ بهما عن جماعة من العلماء العاملين، والأولياء العارفين، منهم: العلامة أحمد العجمي بمكة، والشيخ الإمام محمود بن حميدان بالمدينة، وجاور بالحرمين عشر سنين، وأجازه غير واحد من مشايخه بالإفتاء والتدريس،

---

(١) ترجم له المؤلف في كتابه الآخر «المشرع الرّوي في مناقب آل أبي علوي» ج ٢ ص ١٦، وانظر: (النور السافر ١٨٣، المعجم اللطيف ٨٥).

وقصده الناس للأخذ عنه لعلو سنده في القراءات، وأقرَأ الناس بمكة المشرفة دهراً طويلاً، وانتفعوا به نفعاً جزيلاً، وبرع في علوم الصوفية، والعلوم الشرعية، والفنون الأدبية، لكن غلب عليه علم القراءات.

وكان حسن الإملاء، وجيز العبارة في الدرس والافتاء، زاهداً في الدنيا ورئاستها، لِمَا يعلم من دناءتها وخستها، قانعاً منها بالكفاف، متدرعاً ثوب العفاف. وعُرضت عليه وظائف كثيرة، فلم يقبل، اتكالاً على صنع الله عز وجل، وكل ما دخل عليه أنفقه على الفقراء من طلبة العلم. وكان متواضعاً لكل أحد، كثير البسط مع الضعفاء والفقراء، كثير الملاعبة معهم. وكان يحج كل عام، ويزور جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وربما زار ابن عباس بالطائف.

وسافر إلى ثغر جده، وحصل عليه بجدة مرض يسير، فأمر تلميذه أحمد بن عبد الله الخطيب أن يستأجر جملاً وحمّالاً إلى مكة، فقال له: ألا تصبر لعلك تعافى من هذا المرض، فقال له: هذا مرض الموت، ولا أموت إلا بمكة. فسافرا ووصلا مكة في تلك الليلة، مع أن المسافة مرحلتان، وتوفي وهو داخل مكة المشرفة.

وكان بينه وبين رئيس الموقتين بـ (مكة) عبد السلام الزمزمي صحبة شديدة، ومودة أكيدة، فرأى في تلك الليلة كأن منادياً ينادي بالصلاة على السيد إبراهيم بن علي، فانتبه وخرج إلى المسجد، وإذا بجنازة السيد إبراهيم داخلة إلى المسجد، فنادى بالصلاة، وصلّى عليه خلق كثيرون، ودفن بالمعلاة. رحم الله مثواه وبلّ بوابل الرحمة ثراه.

[عبد الرحمن النويري]

وفيها [٩٣٨]: توفي عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن أبي الفضل النويري، المكي، الخطيب بمكة المشرفة الشافعي. وُلد سنة إحدى وثمانين وثمانمائة، واشتغل قليلاً وصحب الشيخ عبد الله بن عامر المساوي في التصوف، وأخذ طريقة القوم عنه، وعمل في بيته راتباً، ووُلّي الخطابة بمكة واستمر على الحالة المرضية إلى أن وافته المنية يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، بربيع القولنج رحمه الله تعالى.

[أحمد الحبّاك]

وفيها [٩٣٨]: الشيخ أحمد بن محمد الحباك، المغربي، المالكي، أحد الفقهاء الورعين، والعلماء الصالحين. روى عن ابن يعزيز اليربارسي، والإمام ابن غازي، واعتنى بالحديث والفقه، ودرّس وأفتى. وكان ورعاً زاهداً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأخذ عنه الشيخ أبو شامة بن إبراهيم وغيره، وانتفع به جماعة، ولم يزل يُدرِّس ويُفتي ويُسمع ويروي حتى انتهت المدة وتمت العدة، وانتقل إلى رحمته تعالى مسموماً. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن الشمس النهروالي]

وفيها [٩٣٨]: توفي الشيخ القاضي محمد بن الشمس محمد بن قاضي خان النهروالي، الحنفي. وُلد بنهروالة سنة (٨٧٨هـ) ثمان وسبعين وثمانمائة، واشتغل على أبيه وأخيه علاء الدين، وأكثر اشتغاله[1]، وكان يخبر عنه أنه كان يضربه وهو ملتحي فيصبر عليه ولا يخالفه، ولمّا توجه علاء الدين إلى الحج عام تسعمائة استنابه في منصب الإفتاء. وكان من أخصاء آصف خان وزير السلطان بهادر بحيث كان لا يخرج من عنده إلا نادراً، وكان يغلب عليه التصوّف، وكان كثير البكاء من الخشوع، ومات بـ (جانشير). رحمه الله تعالى.

[عبد الله بن أحمد باجمّال]

وفيها [٩٣٨]: توفي الشيخ عبد الله بن أحمد بن عمر باجمّال، أحد عباد الله الصالحين، والفقهاء الورعين، تفقه في الدين، وصحب الأولياء العارفين، وكان كثير العبادة والطاعة، موزعاً أوقاته لا يُصرّف في غير الطاعة ساعة، صوّاماً قواماً، وله صدقات كثيرة، ومآثر شهيرة، خاصة وعامة، منها المسجد المشهور في بلاده المسماة (الغُرفة)، ويُعرف بـ (مسجد الفقيه)، وحفر عنده بئراً وسقاية، ومنها سقاية على طريق الوادي، وحفر عندها بئراً. وعم النفع بأوقافه للمسافرين وغيرهم. وحصّل كتباً معتبرة شهيرة محررةً، ووقفها على طلبة العلم الشريف، فحصّل بها

(١) هنا نقص. لعله يقصد أن أكثر اشتغاله على أخيه.

النفع العام للطلبة، وكان يحب العلماء والفضلاء، ويكرم الفقراء والضعفاء، ولم يزل على الحال المرضية، حتى وافته المنية، رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن عمر بن حَمْزة]

وفيها [٩٣٨]: توفي الشيخ محمد بن عمر بن حمزة[١]، كان جده من وراء النهر من تلامذة العلامة سعد الدين التفتازاني، ثم رحل إلى أنطاكية، واستوطنها وبها وُلد محمد المذكور فحفظ القرآن والكنز والشاطبية وغيرها، ثم تفقه على أبيه وعمه الشيخ حسين والشيخ أحمد، وأخذ عنهما القراءات والأصول والعربية، ثم رحل إلى تبريز، وأخذ بها عن الفاضل المولى مزيد ثم رجع إلى أنطاكية، واشتهرت فضائله ثم رحل إلى القدس ثم إلى الحرمين فحج. ثم رحل إلى مصر، فسمع من الجلال الحافظ السيوطي والسخاوي وأجازوه، ووعظ ودرّس وأفتى واشتهر بالفضل فاستدعاه السلطان قايتباي، فوعظه ونصحه وألّف باسمه كتاباً في الفقه سماه «النهاية»، فأكرمه غاية الإكرام وأحسن جائزته، واستمر عنده إلى أن مات قايتباي سنة (٩٠٣هـ) ثلاث وتسعمائة، ثم رحل إلى الروم، وأقام بمدينة (بروسًا)، وانتفع به أهلها جداً وأزال كثيراً من المنكرات بها، ثم رحل إلى قسطنطينية وسمع السلطان بايزيد وعظهُ فأعجبه، وأكرمه وألف باسمه كتاباً سمّاه «تهذيب الشمائل» في سيرة النبي ﷺ، وألّف عدة كتب في التصوّف، وغزا مع السلطان، ففتح الله عليهم عدة قلاع، ثم رجع إلى قسطنطينية، واستمر بها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان لا يخاف لومة لائم، وأمر الصوفية بترك الرقص. ثم رحل بأهله إلى حلب، فأكرمه ملك الأمراء خير بك، وقرأ عليه والتزم جميع ما يحتاجه وهو مع ذلك لم يأكل منه شيئاً، ومكث مشتغلاً بالتفسير والوعظ والرد على الملاحدة والروافض، لا سيما طائفة أردبيل، وكانت تلك الطائفة تنقصه، وتلعنه مع الصحابة رضي الله عنهم. ثم عاد إلى الروم زمن السلطان (سليم خان)، وحرّضه على جهد غزلباس[٢]، وألّف له كتاباً في الغزو وفضائله، وذهب

(١) انظر: (الأعلام ٦/٣١٦، معجم المؤلفين ١١/٨١، الشقائق النعمانية ٢/ ٣ـ ١٠، كشف الظنون ١٠٦٠، ١٠٣١).

(٢) هكذا. وهي «قومية» غير معلومة لدينا.

معه إلى حربهم وكان يعظه في الطريق، فلمّا التقى الجمعان وطال القتال، أمره السلطان بالدعاء فدعا وأمّن على دعائه حتى انهزم العجم ونصر الله المؤمنين، ثم عاد إلى الروم إيلي، وأزال ما فيها من المفاسد، وأمرهم بالفرائض وبنى جامعاً في بلده ومسجداً، وبنى في (أسكوب) مسجداً وأقام بها عشر سنين. وأسلم على يديه كثير من الكفار، ثم غزا مع السلطان سليمان، وحصل فتح كبير، ثم سكن (بروسًا)، وشرع في جامع كبير، وتوفي قبل إتمامه في رابع محرم في السنة المذكورة، وقد ناهز السبعين، وولد له من صلبه نحو مائة ولد. وكان تقياً ورعاً، وله مهارة في علم الكيمياء، وألّف في ذلك رسائل، وأوقاته مصروفة في مصالح الخلق مِنْ وَعظ وتدريس وإفتاء. وبعد صلاة الجمعة يجلس يفسر ما قرأ الخطيب بديباجة بليغة، رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة تسع وثلاثين وتسعمائة

[علي المَنُوفي]

في يوم السبت لأربع خلون من صفر، توفي العلامة أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن محمد بن خلف بن جبريل المنوفي[١]، المصري، الشاذلي طريقة وشهرة، المالكي، نور الدين، الفقيه، المحدث، الصوفي. وُلد بالقاهرة ثالث رمضان سنة (٨٥٧هـ) سبع وخمسين وثمانمائة، وتفقّه بالنور السنهوري والشهاب بن الأقطع، وأخذ الحديث والنحو وغيرهما عن الكمال بن أبي شريف ونور الدين السيد علي السمهودي، وجلال الدين الحافظ السيوطي ولازمه، والحافظ الديمي والشهاب الشاوي وغيرهم، وجلس للتدريس، وأخذ عنه وانتفع به جماعة كثيرون في كثير من الفنون. وله تصانيف كثيرة ورسائل شهيرة منها في الفقه: عمدة السالك[٢] ومختصرها[٣]، وتحفة المصلي وشرحها، وستة شروح على الرسالة أكبرها غاية الأماني، ثم تحقيق المباني وهو أشهرها وأنفعها، ثم

(١) انظر: (الأعلام ٥/ ١١، معجم المؤلفين ٧/ ٢٣٠ ومنه: إيضاح المكنون ١/ ٥٥٧، ٢/ ٥١٤، وهدية العارفين ١/ ٧٤٣).

(٢) في معجم المؤلفين: عمدة السالك على مذهب مالك.

(٣) في الأصل: ومختصر.

الفيض الرحماني، ثم كفاية الطالب الرباني[1]، وشرحان على الخطبة والعقيدة، وشرح القرطبية، وشرح مختصر خليل، ومقدمة في العربية، وثلاثة شروح على الجرومية، وشرحان على البخاري: معونة القاري[2]، ثم صيانة القاري وشرح مسلم، وحاشية على الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، والنجاة في أذكار الليل والنهار، وحاشية على شرح العقائد للسعد التفتازاني، وشرح أم البراهين للسنوسي، والخواقي بما في التيسير، والكافي في القراءات، والوقاية في التجويد، وزاد المسافرين، ونجاة المكلفين في التصوف، وشرح منازل السائرين، وشفاء الغليل في لغات خليل، وشرح شواهد شرح الجرومية، وشرح المدخل في المعاني والبيان وغير ذلك. ولم يزل على السيرة الرضية، حتّى وافته المنية، رحمه الله تعالى وإيانا آمين.

[علي الخواصّ]

وفيها [٩٣٩]: في جمادى الآخرة، توفي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي الخواص البرلسي[3] الأمّي المحمدي، المعروف عند الخواص بأنه من أكابر أهل الاختصاص، أهل الكشف الذي لا يخطي، والإطلاع على الخواطر على البديهة فلا يبطي. كان عليه للولاية أمارةٌ وعلامة، متبحراً في الحقائق فأشبه البحر اطّلاعهُ، والدُّر كلامهُ. كان في ابتداء أمره يبيع الجُمّيز وهو شاب عند الشيخ إبراهيم المتبولي بالبركة، ثم أذن له أن يفتح دكان زيّات، فمكث بها نحو أربعين سنة، ثم ترك وصار يضفر الخوص إلى آخر ما يأتي[4]. وكان يُسمّى بين الأولياء (النسّابة) لأنه كان يعرف أنساب بني آدم وجميع الحيوانات، وكان معه تصريف

(١) ذكر صاحب (الأعلام) أنه مطبوع.

(٢) قال مؤلف الأعلام: وله شرحان على البخاري، أحدهما «معونة القاري لصحيح البخاري - خ» في مجلد ضخم، فرغ من تأليفه في رمضان ٩٢١هـ رأيته في خزانة الرباط (١٩١٢ كتاني) وعليه اسم مصنفه «علي ابن محمد بن علي المالكي» والثاني «صيانة القاري عن الخطأ واللحن في البخاري» ذكره صاحب نيل الابتهاج.

(٣) ورد في شذرات الذهب، ٨/ ٢٨٠: البرلسلي.

(٤) في الشذرات: وصار يضفر الخواص، حتى مات.

ثلاثة أرباع مصر، والرابع مع الشيخ يحنس المجذوب[1]، كان إذا شاوره أحد لسفر يقول: قل بقلبك عند الخروج من السور والعمران: دستور يا أصحاب النوبة، اجعلوني تحت نظركم حتّى أرجع، فإنهم يحبون الأدب معهم، ولهم إطلاع على خواطر من يمر تحت دركهم وعلى معرفة أعمالهم، ولهم تأديب من حصلت منه زلة.

وكان صاحب الترجمة أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلاّ من لوح قلبه، وكان يتكلم على معاني الكتاب والسنة كلاماً نفيساً، قال الشيخ محمد بن عنان: كان مطمح بصره اللوح المحفوظ من المحو، وإذا سألوه في العظائم، كقتل إنسان أو عزله يرسلهم إلى سيدي علي الخوّاص ويقول: التصريف له، وجاءته امرأة قد أمر السلطان بشنق ولدها، ورفعت ذيل سيدي محمد، فصاح بأعلى صوته: ما هي وظيفتي، هذه وظيفة الخوّاص. فذهبت إليه، فقال لها: روحي إلى قنطرة الحاجب فإذا جاؤوا بولدك للتوسط فقولي: إمهلوا عليّ حتّى أعانق ولدي قبل موته، فإنك لن تفرغي إلاّ وقد وصل قاصد السلطان بالشفاعة فيه، فكان الأمر كما قال. قال: فعملت للشيخ قفة كعك فقبلها وفرّقها على عجائز الحارة.

وإذا أراد أن يشفع عند ظالم لم يدخل عليه بهيئة مزرية، ويغلظ عليه في الكلام، فبمجرد ما يردّ الشيخ ينفذ فيه السهم بالعزل أو الموت، وإذا شفع عند عادل لبس الثياب الحسنة رفقاً به، ولم يدخل نائب مصر إلا بإشارته فإذا قال: يخرج فلان عنّا يخرج عن قُرب. ولمّا دخل إبراهيم باشا، قال الشيخ لأفضل الدين الشعراوي: انظر من معه من أصحاب النوبة، فلقيه وهو داخل من باب النصر ورجع وقال: معه سبعة أنفس، فقال: والله مُصَفَّر يرجع إن شاء الله تعالى سالماً من خضراء مصر.

وكان لا يُمَكِّن أحداً من أركان الدولة يذهب لزيارته أبداً، بالحال والقال، وإذا بلغه أن أحداً عازم على زيارته ذهب هو إليه، ويقول: كل فقير مكّن أحداً من أركان الدولة يزوره فهو قليل الدين. وكان يردّ ما يعطيه له الظلمة والقضاة

(١) في الشذرات: محيسن المجذوب.

وأعواتهم، ثم قبله أواخر عمره، فكان يفرقه على المحتاجين، ويقول: ينبغي للفقير أن يكون كالبناء يعرف كل طوبةٍ يضعها في محلها. ولا يأكل من كسب أحد إلاّ من علم ورعه وخوفه من الله.

ورَمَدَت عيناه فأعطاه شخص ثلاث محلقة، وقال: أنفقوها وأريحوا عينكم، فردَّها وقال: أنا أضفر الخوص في هذا الحال، ولا يعجبني أن آكل من كسبي فكيف آكل من كسبك؟ فقال: خاطري طيب بذلك، فقال الشيخ: أنا خاطري ما هو طيب.

وكان يُعظِّم العلماء وإن لم يعملوا بعلمهم، ويقوم للولاة وإن جاروا، ويُقبِّل أيديهم ويقول: هذا أدبنا معهم في هذه الدار وسَيُعَلِّمنا الحق الأدب اللائق بهم في الآخرة، فإن لكل دار أدباً. ويكرم أصحاب الحرف النافعة كالسقاء والزيّات والطباخ والفخراني، وكان يطوف على المساجد يوم الخميس والجمعة فيكنسها وينظف أخليتها، ويحمل الكناسة إلى المزابل، ويملأ قعاوي الكلاب في حارته، وينظف المقياس كل سنة صباح لزوال النقطة، ثم يصلي ركعتين ثم يدعو ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى في طلوع النيل، ويقول لأصحابه: زوروا محل نزول الرحمة لأهل مصر، ويقول: من له حاجة للبراز فليفعله في ساحة مصر ولا تطلعوا لروضة إلا على طهارة. ويُفرِّق أموالاً كثيرة على الفقراء وعلى خدام المقياس، وكل من رآه على حوض يُطعم الكلاب: الخشكنان والكعك، ويرمي للسمك، وكان يدعو: ما دام البحر زائداً، اللهم طمّن قلوبنا بوفاء النيل، وإن كنا لا نستحق ذلك فأنت ذو الفضل علينا وعلى العباد. فإذا انتهى يقول: اللهم مُنّ علينا بريّ البلاد. فإذا زرعوا يقول: اللهم مُنّ علينا وعلى الأنعام بختام الزرع ولا تعذبنا بالغلاء يا أرحم الراحمين. وكان إذا نزل بالمسلمين بلاء يصمت. ولا يتكلم ولا يأكل ولا يطعم شيئاً حتى يكشفه الله تعالى. وإذا سأل الله في رفع بلاء يكشف رأسه ويقف منكس الرأس حافياً يبكي ويتضرع إلى الله تعالى، ورأى سيدي محمد بن عنان وهو يصلي الضحى بلاء نازلاً على أهل مصر، فأرسل له يقول: ما هذا النازل من السماء؟ فقال: سيرسل الله من يحمله، فإذا البلاء قد ارتفع. فاتفق في ذلك اليوم أن ضُرِب الشيخ وخُرم أنفه وكُتِّف، وذلك أن شيخ الإسلام شهاب

الدين بن البخاري الحنبلي شكاه إلى المحتسب، وكان زيّاتاً في حارته، ففعل به ما ذكر وطافوا به بولاق ومصر العتيقة، فلمّا سمع الشيخ محمد بن عنان بذلك قال: الحمد لله الذي جئنا في زمان رجل يتحمل بلاء مصر كاملاً وحده. ولمّا علم شهاب الدين بمقام الشيخ ندم، واستغفر.

وكان رضي الله عنه يصلي الظهر دائماً في الجامع الأبيض بـ (رملة لدن)، فكان إذا أُذّن الظهر يردّ باب حانوته، ويدخل فيغيب ساعة ثم يرجع، ويجلس وكان شخص من أهل حارته ينكر عليه عدم صلاته الظهر، وكذلك كان شيخه إبراهيم المتبولي، فكانوا لا يرونه في بركة الحج، قط يصلي الظهر، كان إذا أذن الظهر دخل النخل فيغيب ساعة ثم يظهر.

وكان سيدي علي يداوي أهل الأسقام الخطرة كالجذام والبرص التي يعجز عنها الأطباء، فطلبوا منه أن يدوّنوا ذلك في كتاب، فقال: إنما هي أمور حسب الإذن، فلو استعملها أحد بلا إذن لم تفده. وكان يعرف العلل من غير أن يسأل المريض، وسقت امرأة أباها سماً فظهر في بدنه قروح حتى ذاب جلده وما عرف أحد مرضه، فلمّا رآه قال: ابنتك سمتك في فطير، ثم اعترفت البنت بذلك، ثم قال الشيخ للأب: إعط صاحب شجر النارنج محلقاً، وكل من شحم النارنج ما تقدم عليه، ففعل فكان الشفاء فيه. وجيء إليه بامرأة، قد انتفخ بطنها، وقال لها الحكماء: قد استحكم الداء فما ينفع فيه دواء فانكسر خاطرها، فقال لها الشيخ: افطري على الريق على (عرق سوس) و(فجل) سبعة أيام، ففعلت فذهب عنها. ومرض محمد بن الشيخ عبد الوهاب الشعراوي حتى أشرف على الموت، فحمل إليه فقال: خذوا ورقة من الشجرة التي في حمام الترجمان وعلّقوها عليه يبرأ، فكان الأمر كذلك.

وله كلام نفيس في الطريق، جمعه تلميذه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي[1] في كتاب سمّاه «الجواهر والدرر»[2]. وكتب عليه علماء مصر، واستفادوا منه

(١) الأصح: الشعراني. انظر: (الأعلام ٤/ ١٨١، معجم المؤلفين ٦/ ٢١٨).
(٢) ذكر مؤلف «الأعلام» أنه طُبع في كتابين: الجواهر والدرر الكبرى، والجواهر والدرر الوسطى. انظر: (الأعلام ٤/ ١٨١).

أجوبة لم تكن عندهم، كالشيخ شهاب الدين الرملي والشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي والشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي والشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي. فيا له من كلام كالبحر فمنه قوله شرط الشيخ أن يكون عنده علم بكشف الحقائق والدقائق، فارق بين الحق والحقيقة والوهم والخيال يعلم ما جاز ورجب، واستحال له سريان في العوالم العلوية والسفلية يعرف الحق بين ملّة الشيطان والملك والنفس ونزعات المرشد له قدرة على التلبس في الصور والتطور في الرُّتب ومعرفة بأمراض القلوب والنفوس النفسانية، وما يدخل من الظلمات على العوالم الروحانية. وقال: شرط صحة بداية المريد أن يمشي على الماء والهواء، وتطوى له الأرض، ومن لم يقع له ذلك ليس في مقام الإرادة، وقال: ينبغي للرجل تفقد محفوظاته العلمية خوف النسيان، فإن كُتب العلم حاوية لمّا تعبدنا به ومن نسيها فكأنه نسي القرآن، وقال: الكل لا تصريف لهم بخلاف أرباب الأحوال فإنهم جليان الحضرة، وهي فيّاضة بالجود على كل وارد، فكل من طلب شيئاً أعطيه. وربما نقص به مقامه، ولهذا لمّا عقد الفقهاء للشيخ حسين مجلساً لكونه يلحن في الحديث، ومنعه السلطان من الوعظ لذلك، قال لتلميذه أيوب الذي يكنس زاويته: أعزل القاضي، فخرج للسلطان من حافظ بيت الخلاء وهو فيه، ومكنسته على كتفه، فقال له: اعزل القاضي وإلا خسفت بك الخلاء، فارتعد وعزله وقال: ينبغي عدم الانكار على من قام وتواجد ولو من الظلمة، ومن لا عادة له فقد تكشف الحجب عن بعض القلوب فتحن إلى وطنها، فتمايل كشجرة يريد قطع عروقها، وقال: الخلعة الخضراء الصوف في المنام علامة على ولاية صاحبها، وقال: صرّحوا بأن من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده له، ولو كان بينهما مسيرة ألف عام. وقال: قال العارفون ينبغي لكل إنسان أن يختم عمله بالاستغفار، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾[1].

ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة، وأحواله شهيرة، وكان يبيع الجُمّيز وهو شاب عند سيدي إبراهيم المتبولي في (بركة الحاج)، ثم أمره أن يبيع الزيت، فمكث يبيعه نحو أربعين سنة، ثم تركه واشتغل بضفر الخوص إلى أن مات،

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

ولذلك سُمي (الخوّاص)، وإذا وضع الحزمة التي تدور عليها اليد يضفر منها نحو ثلاثين قفة، فإن شعر به أحد وخاف أن يخبر بذلك يقول له: أكتم الكل، فعل الله. وقد ترجمه تلميذه الشيخ عبد الوهاب في كثير من كتبه، ودُفن بزاوية الشيخ بركات الخياط خارج (باب الفتوح) تجاه حوض الصارم بمصر[1] رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[شمس الدين محمد الدّوَاخِلي]

وفيها [٩٣٩]: توفي الإمام محمد بن عيسى الدواخلي[2] الشافعي، الغُمري، شمس الدين. العلامة الزاهد، أخذ العلوم عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف، وأخيه كمال الدين، وشمس الدين بن قاسم، وشمس الدين الجوجري، وفخر الدين القيسي[3] والشيخ عبد الرحيم الأبناسي، والحافظ العلامة القسطلاني، وشمس الدين بن المغربل، وخلائق كثيرين. ولازم الدروس بجامع الغمري، وصحب الشيخ سيدي أبا العباس الغمري وغيره، وجلس للتدريس بجامع الغمري، وانتفع به جمع من الطلبة.

وكان مخصوصاً بالفصاحة في قراءة الحديث، وكتب الرقائق[4]، يقول سامعه ما سمعت أحداً أبلغ ولا ألذّ من قراءته. وكان حلو اللسان، كثير الأدب مع كل أحد، كريم النفس، جميل المعاشرة، كثير العبادة وقيام الليل، وكان لا ينام في ليالي رمضان كلها، ويصبح كأن وجهه قطعة قمر من كثرة قيام الليل. وكان كثير البكاء من خشية الله، يحب الخمول، ويكره الشهرة، حافظاً للسانه وأوقاته، قال تلميذه العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعراوي[5]: لازمته نحو عشرين سنة، فما

(١) المقصود هنا: مدينة القاهرة. وإلى اليوم يُطلق المصريون على مدينة القاهرة اسم: مصر.

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٦٩، شذرات الذهب ٨/ ٢٨٢، وفيه أن لقبه جاء نسبة إلى الدّوَاخِل قرية من المحلة الكبرى؛ في نواحي القاهرة).

(٣) وردت في الشذرات: القيسي.

(٤) وردت في الأصل: الدقائق.

(٥) عندي يقين أن لقبه: الشعراني. بدليل الإشارة إلى أسماء كتبه التي تكرر ذكرها في الكتاب، وهي التي أوردها صاحب: الأعلام ٤/ ١٨١، وكذا صاحب معجم المؤلفين ٦/ ٢١٨. ولا يوجد اسم عبد الوهاب الشعراوي في تلك الكتب أو غيرها مما عني بأسماء المؤلفين =

أظن أن كاتب الشمال، كتب عليه خطيئة واحدة من شدة ضبطه للسانه، وكان قلبه خزانة للعلوم الشرعية، ولم يزل يزداد من صالح الأعمال، إلىٰ أن وافاه الموت والانتقال، ودفن بتربة دجاجة خارج باب النصر، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[أبو الحسن الغمري]

وفيها [٩٣٩]: توفي الشيخ أبو الحسن بن أبي العباس الغمري[1]، العالم العامل، الرجل الكامل. أخذ عن والده، وصحب أكابر العارفين، وكان جميل المعاشرة لا سيما في الأسفار، جواداً متواضعاً زاهداً، لا يصر شيئاً من الدنيا، ولا يبيت علىٰ دينار ولا درهم، ويعطي السائل ما وجد حتّىٰ قميصه الذي عليه، ويحمل الطعام مع جلالته إلىٰ خلاوي الفقراء، وكان يقول: إذا سمعت عدّ الذهب يضيق صدري. وكان يخدم مع الخدام في بيته، فيقرص العجين ويغسل الأواني ويغرف للفقراء، وكان يأكل معه نحو سبعة عشر نفساً من أولاده، ويغرف لهم في صحن متوسط فيشبعون منه وهي كرامة ظاهرة، ولا يخرج من بيته إلا للصلاة، وقراءة الحزب أو ضرورة، وما رؤي في لغو لا وحده ولا مع الناس، ولا يركب دابة في مصر لئلا يمر علىٰ الناس وهو راكب إلا إذا بعدت الطريق، فيركب ويطلب المواضع القليلة الناس، وإذا سافر إلىٰ المحلة يترك الأكل والشرب لئلا يحتاج إلىٰ البراز، ويقول: إن لم أجلس علىٰ محل معد لقضاء الحاجة لا يخرج مني شيء، ولا ينام مع أحد في فراش، ولا ينام بحضرة أحد.

وكان كثير التحمل للأذى من الناس، ولا يذكره لأحد، تربَّت في بطنه دُمَّلة قدر البطيخة، فانفجرت علىٰ المغتسل. وكان من أشد الناس حياء، حتّىٰ أنه إذا دعي إلىٰ وليمة، وأجاب يعرق جبينه، وكان شديد الورع لا يأخذ إلا ما تيقن حله. ولم يزل كذلك حتّىٰ انقضت أيامه، ووافاه حمامه، وانتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ودفن عند قبر والده في المقصورة أخريات المسجد، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

= ومؤلفاتهم. وإن كان مؤلف «شذرات الذهب» يذكره بلقب (الشعراوي) تماماً كما هو المؤلف.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٨١، الكواكب السائرة ٢/ ٢٤).

[برهان الدين إبراهيم باهُرمُز]

وفيها [٩٣٩]: لثلاث عشر بقين من شعبان، توفي الشيخ برهان الدين، إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن محمد[1] بن أحمد باهرمز ـ بضم الهاء والميم بينهما راء وآخره زاي ـ أحد العلماء العاملين، والأصفياء العارفين، ذو المنهج السوي، والمنهل الروي، والأحوال الجليلة، والمقامات الجزيلة، والمعارف الربانية، واللطائف الرحمانية[2]، والديانة والعبادة والصيانة، لم يُعرف له صبوة في صغره، ولا كبوةً في كبره. واشتغل بالعلوم الشرعية، فأخذها عن الشيخ الفقيه عمر بن عبد الله باجمال، وصحب جماعة من أكابر العارفين، منهم: عمه العارف بالله الشيخ عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز، ولازمه، وتربّىٰ به، والشيخ أحمد بن جبير باشراحيل، وكان يحبه، ويثني عليه، ويقول: هو جُنيد[3] زمانه.

وكان معروفاً باستجابة الدعاء، فإذا نزل بأهل بلد حادث أو مهم من جدب أو قحط واستغاثوا به أو دعا لهم.. استجاب الله تعالىٰ دعاءه، وفرّج عنهم في أسرع وقت.

وصحب خلائق لا يحصون، وانتفع به كثيرون، ظهرت عليهم بركاته، ولاحت عليهم نفحاته، منهم: الشيخ العارف بالله تعالىٰ معروف بن عبد الله بن

(١) في «خلاصة الخبر» الذي تضمّن نصوصاً من هذا الكتاب، أورد زيادةً في تدريج اسمه، كالتالي: الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد ـ بن أحمد باهرمز. بينما أورد صاحب «تاريخ الشعراء الحضرميين» في ترجمة الشيخ عبد الرحمٰن الشهير بالأخضر المتوفى سنة ٩١٤هـ، أورد اسمه كالتالي: عبد الرحمن بن عمر ابن محمد بن أحمد باهرمز أي فيه مقاربةٌ مع ما جاء في النص الأصلي.

وذكره العلاّمة عبد الرحمٰن السقاف في كتابه «إدام القوت» المطبوع بتحقيقنا، فقال عند ذكر (أهل وادي هينن): وممّن أخذَ عن الشيخ عبد الرحمن الأخضر باهرمز: ابن أخيه ـ السابق ذكره ـ إبراهيم بن عبد الله بن عمر باهرمز» ثم أضاف: وآل باهرمز منتشرون بالكسر، وشبام، والقبلة، والمكلا.

(٢) سقط هنا كلام أورده صاحب «خلاصة الخبر»، وهو: كان مولده سنة ٨٧٧هـ، ونشأ على التنسك والديانة، والعبادة والصيانة.. إلخ.

(٣) يُشير إلى الجُنيد بن محمد سيّد الطائفة الصوفية.

محمد المؤذن باجمّال، والفقيه محمد بن عمر باجمّال. وكان كثير التلاوة والأذكار، مواظباً على الأذكار النبوية، والسنن الشرعية، والآداب المحمدية، كثير التهجد والقيام، كثير الصيام، قليل الكلام، وَفاق في الفضائل على أقرانه، وظهر في الآفاق علو شأنه. وقصده الناس من سائر البلاد، وفاضت بركاته على من قصده من العباد. وكانت له أخلاق رضية، ومعاملات مرضية، وصفات سنية، وكانت له أعمال قلبية، وأسرار غيبية.

ولمّا وُلد له أول مولود.. أرسل له عمه الشيخ عبد الرحمٰن يقول له: احفظ نَفْسك من ضرر ولدك، فالنفس خدّاعة، والطبع مائل. فقال له: لقد نصحت، وسلكت بنا طريقة الأهل والمال، ولكني أسأل الله تعالىٰ أن صَوْن قلبي من كدر الولد، مع تربيته والنظر في أمره، فأقوم بهٰذا وهٰذا، فقال الشيخ عبد الرحمٰن: إبراهيم رَجُلٌ أيده الله تعالىٰ وقوّاه بما لم يقدر عليه غيره.

ولمّا قرب أجله.. أرسل إلى الشيخ[1] العارف بالله تعالىٰ معروف باجمّال يوصيه بأولاده ومَنْ يلوذ به وهو في حال الصحة، فقال الشيخ معروف للرسول: سلِّم عليه، وقل له: طِبْ نفساً وقرَّ عيناً، فأنت وأولادك ومن يلوذ بك هنا ـ وأشار إلىٰ عنقه ـ فلمّا جاءه الرسول وأخبره.. حمد الله تعالىٰ، ودخل داره، وابتدأ به المرض، وانتقل إلىٰ رحمة الله في التاريخ المذكور، ودفن بمقبرة (شبام)، وقبره بها ظاهر يُزار. رحمه الله رحمة الأبرار، ونفعنا به في هذه الدار، وفي دار القرار.

[الشيخ أحمد بن سهل إسحاق]

وفيها [٩٣٩]: توفي الشيخ أحمد بن سهل بن أحمد بن عامر بن إسحاق[2]. الشيخ الكبير، العلم الشهير، أحد الأولياء العارفين، والأكابر المحققين، أهل التمكُّن والتمكين. نشأ في طاعة الله، وتقرب إليه بالنوافل فأحبه وأدناه، وأشرق الله عز وجل أنوار بصيرته، وزكىٰ قويم سيرته وكريم سريرته، وآتاه رتبة لا تُنال بالرشاء، ولا تُستقىٰ بالرشاء، والله يختص برحمته من يشاء، وأظهر الله تعالىٰ علىٰ

(١) في الأصل: أرسل للشيخ.
(٢) من آل إسحاق أهل وادي هينن بحضرموت. قال العلاّمة عبد الرحمن السقاف في كتابه «إدام القوت» ـ ص ٢٣٢ ـ أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب.

يديه كثير الكرامات، ومزيد المكاشفات.

وكان الشيخ معروف باجمّال يثني عليه ثناء جليلاً، وكذلك كان الشيخ إبراهيم بن عبد الله باهرمز[1] يعظمه تعظيماً جزيلاً، ويأتي إليه ماشياً من (شبام) إلى (هينن)، ويقوم عنده الأشهر والأيام، ويحصل لكلٍّ النفع العام، والأنس التام. وكان الشيخ أحمد من أجلّ مشايخ عصره، وأساطين أوانه ودهره. ولم يزل للواردين منهلاً، وللفقراء مُكْرِماً متفضلاً، وانتفع به جم غفير، فحصل لهم نفع كبير. وكان مقبول الشفاعة، وجميع أوامره مطاعة. وكان مُعتقداً عند الأكابر، والأمراء والأصاغر، والبر والفاجر، لا سيما البادية[2]، فلا تزال فئة منهم رائحة وغادية.

وكان من أجود الكرام، خصوصاً إطعام الطعام، يقابل جميع الناس، بالبشر والإيناس، ويسأل كلاً عَنْ اسمه وكنيته، وينزله محل منزلته[3]، ويكرمه مدّة إقامته، ويسأله عن أحواله، ويجيبه لسؤاله.

ولم يزل على هٰذه الأحوال، تُشدّ إليه الرحال، وتنجع لديه المطالب والآمال، إلىٰ أن وافاه وقت الانتقال، ونزل بساحة الكبير المتعال، ودفن ببلده (هينن) الشهيرة[4]، وقبره بها كالشمس في وقت الظهيرة. رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به.

[فتح الله الهرموزي]

وفيها [٩٣٩]: توفي الشيخ فتح الله بن عبد الله بن نصر الله الهرموزي. وُلد بـ (هرموز) سنة سبعين وثمانمائة، ونشأ بها عشر سنين، وهو مولى بهرموزية، ثم قدِم مكة يتكسب بالكتابة، ويتردد للخطيب عبد الرحمٰن الشويري في قضاء حوائجه، فجعله مرتّبة ثم استنابه في الخطابة، وكان يتولى عقود الأنكحة عن النور بن الضياء ويشهد على الخط ويكتب بالأجرة إلى أن ضعف بصره، وتوفي

(١) هو المُترجَم لَهُ قبل هذه الترجمة.
(٢) بادية حضرموت، ويقصدون بها الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية غالباً من حضرموت.
(٣) في النسخة ب: وينزل كلاً منزلته.
(٤) هيْنن: مدينة في أعلا وادي حضرموت، غربي القُطن ومن أعمالها.

ليلة الجمعة، عاشر ربيع الثاني، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[عقيل باربيعه]

وفيها [٩٣٩]: توفي الشيخ عمر بن عقيل باربيعة[١] أحد العلماء المشهورين، الأولياء العارفين. اشتغل بالعلوم الشرعية، والفنون العربية، علىٰ الفقيه عمر بن عبد الله باجمّال وصحب العارف بالله تعالىٰ عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز، وأضاف إلىٰ العلم العمل، وتجنب الخطأ والزلل.

وكان ورعاً زاهداً، متنسكاً عابداً. وكان الشيخ معروف باجمّال[٢] قائماً بكفايته مدة إقامته بـ(شبام)، ولازم شيخه عمر بن عبد الله باجمّال إلىٰ أن انتقل شيخه. وكان الغالب عليه الخمول، فلم يشتهر علمه عند الناس، فرأىٰ بعض الأولياء شيخه[٣] الشيخ عمر باجمّال، وقال له: تركتم البلد خالية من العلماء، فقال: تركنا فيه الفقيه عمر بن عقيل باربيعة مملوءاً علماً من رأسه إلىٰ قدمه، فحينئذ طلب الناس منه أن يجلس للتدريس، فجلس وانتفع به خلق كثير، واشتهر بالعلم، وقد قال ﷺ: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم».

[فناء كثير في حضرموت]

وفي هذا العام ـ أعني عام تسع وثلاثين ـ حصل في حضرموت فناء كثير، ولكن أكثره في النساء والصغار، قال باسخلة[٤]: مات في (شبام) نحو أربعمائة نفس وفي (مور)[٥] نحو ألف وخمسمائة إلا أن أكثرها نساء وصغار، ومن مشاهير أهلها: الفقيه أحمد بن علي بابهير. انتهىٰ.

---

(١) كتبه صاحب «خلاصة الخبر»: بَرْبيعه.

(٢) انظر ترجمته، وكذا نسب المشايخ آل باجمّال؛ في كتاب: تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١ ص ١٤٧.

(٣) «شيخه» زيادة في ب.

(٤) وردت في الأصل: باسنجله. والمقصود الفقيه عبد الله بن أحمد باسخلة الشحري صاحب التاريخ المعروف باسم «العقد الثمين الفاخر» أرّخ فيه لحضرموت من أوائل القرن العاشر الهجري.

(٥) لا شك أنه يقصد هنا وادي مَوْر في تهامة. وليس قبيلة المور في الشّحر.

[محمد شاه]

وفيها [٩٣٩]: توفي المولىٰ محمد شاه بن محمد بن الحاج حسن[١]، العالم الفاضل، قرأ علىٰ والده وغيره من علماء عصره، وشارك في العلوم الشرعية والعقلية والأدبية، وصرف جميع أوقاته في طلب العلم، وبهر في الإنشاء والشعر والتاريخ، وضبط النوادر، وله حفظ عظيم ووُلّي عدة مدارس في القسطنطينية، وأدرنة وبروسا، وله شرح علىٰ ثلاثيات البخاري، وشرح مختصر القدوري، زاد فيه علىٰ الوقاية كثيراً من المسائل، وله من الحواشي والرسائل ما لا يحصىٰ لكنها ضاعت بعد موته. وكان طارحاً للتكلف، مشتغلاً بنفسه، معرضاً عن أبناء جنسه، وأكثر أوقاته مصروفة في طلب العلم. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أبو الحسن علي المالكي]

وفيها [٩٣٩]: توفي العلامة الفقيه أبو الحسن علي المالكي، شيخ العلوم، وإمام المنثور والمنظوم. مولده سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وطلب العلوم، وسهر الليالي بشهادة النجوم، وأخذ من الشيخ شهاب الشاوي، والعلامة نور الدين السيد علي السمهودي نزيل طيبة، والحافظ جلال الدين السيوطي، وأم هانىء الهورنية أم الشيخ سيف الدين الحنفي. وجمع واستفاد، ودرّس وأفاد.

وله مصنفات، ورسائل مفيدات، منها: شرح علىٰ البخاري، وحاشية علىٰ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشرح علىٰ الرسالة لأبي زيد، وشرح علىٰ الجرومية، وشرح لغات المختصر ذكره الحافظ نجم الدين الغيطي في مشايخه، رحمهم الله تعالىٰ ونفعنا بهم.

[شهاب الدين الصايغ]

وفيها [٩٣٩]: في ربيع الأول أو في السنة التي تليها، توفي الشيخ شهاب الدين، أحمد بن الصائغ[٢] الحنفي، الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، مهذب حكمة يونان من أوهام الشكوك وأكدار الطبيعة، المتمسك من علوم الشريعة بأقوى

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٨٢، الكواكب السائرة ٢/ ٣٠، الشقائق النعمانية ص ٢٥٣).

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١١٦).

ذريعة، بقراط وقته وزمانه، جالينوس عصره وأوانه. وُلد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ سنة خمسين وثمانمائة، وأخذ عن جماعة، منهم: شيخ الإسلام سعد الدين الديري، والشيخ تقي الدين الشمني، والشيخ أمين الاقصراني، الحنفيون، والجلال القمشي، وجمع من الشيوخ تزيد عدتهم علىٰ خمسة عشر. ولم يزل علىٰ أحسن الأحوال، إلىٰ وقت الانتقال. رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به.

[ركن الدين زبيرك]

وفيها [٩٣٩]: توفي العالم الكامل ركن الدين محمد الشهير بزبيرك. مات والده وهو صغير، فرباه المولى سنان باشا، وأخذ عنه وعن المولى خواجه زاده والمولى خطيب زاده، وجدّ في الطلب إلىٰ أن حصّل طرفاً صالحاً، وأعطاه السلطان محمد خان المدرسة المسماة بالواعظية بمدينة (بروسّا)، فكان يُدرِّس بها ويقرأ علىٰ المولى درويش محمد بن خضر شاه، ثم صار يتنقل من مدرسة إلىٰ مدرسة ومن بلد إلىٰ بلد، ثم وُلِّي الفتوى بـ (أماسية) ثم وُلِّي قضاء (أدرنة)، ثم قضاء (القسطنطينية)، ثم قضاء العسكر، ثم أرسله السلطان سليم خان إلىٰ سلطان مصر الغوري، ثم أعيد إلىٰ منصبه ثم عُزل وعُيِّن له كل يوم مائة درهم ثمّ زيد له ثلاثون، واستمر كذلك إلىٰ أن مات، رحمه الله تعالىٰ.

[إسماعيل الشَّرْوَاني]

وفيها [٩٣٩]: توفي الشيخ الإمام سيدي إسماعيل الشرواني[1]، اشتغل بتحصيل العلوم علىٰ العلامة جلال الدين الدواني[2] ثم صحب الشيخ خواجه عبيد الله[3] السمرقندي، ولازمه حتىٰ تخرّج به وصار من أكمل أصحابه، ولمّا مات شيخه ارتحل إلىٰ الحرمين وتوطن مكة المشرفة وأقام بها، وكان حسن المعاشرة

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٢/٢٧٨ وفيه أن وفاته سنة ٩٤٢هـ. وذكر أن له حاشية علىٰ تفسير البيضاوي). كما أن صاحب «شذرات الذهب» ج ٨ ص ٢٩٦: أورده ضمن وفيات السنة المذكورة: ٩٤٢هـ.

(٢) ورد في الأصل: «الداراني»، والتصحيح من «شذرات الذهب» مع التأكد من «معجم المؤلفين ٩/٤٧».

(٣) وردت: عبد الله.

لطيف المحاضرة، يستوي عنده الكبير والصغير والغني والفقير، وكان رحل إلىٰ الروم في زمن السلطان بايزيد خان، وأخذ من جماعة هناك، ولمّا توطن مكة المشرفة فاشتغل بتدريس البيضاوي والبخاري، وأخذ عنه جمع كثير. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[زينب الأنصاري]

وفيها [٩٣٩]: في شوال توفيت زينب بنت شمس الدين محمد بن عمر بن محمود الأنصاري الخزرجية. وُلدت سنة تسع وتسعين وثمانمائة في (جهرمر)، قرأت القرآن علىٰ والدتها، وقرأت التصريف والكمالية والمتوسط علىٰ والدها، ثم توفي فتزوجت بالمُلاّ علاء الدين والد قطب الدين الحنفي المكي وأقرأها البخاري ومسلم وغيرهما. وكانت صالحة، قال قطب الدين: قرأت عليها التصريف في الصغر ثم الكافية ثم المتوسط، وكانت تفيد أبحاثاً استفادتها من أمها، ولها أحوال مع الله ومنامات. قدِمت (مكة) مع علاء الدين سنة عشرين بعد أن انكسر مركبهم وخرجوا في جزيرة، وجاعوا ثلاثة أيام ثم أتاها رجل بصحفة من رُزّ حار، فسألته من أنت؟ فقال: أنا الخضر، وكان عندها من ذلك الرز البركة، وأخبرت بموتها في هذه السنة التي ماتت فيها.

سنة أربعين وتسعمائة

[شيخ بن عبد الله السقاف]

توفي السيد الشريف، شيخ بن عبد الله بن الشيخ العارف بالله تعالىٰ عبد الرحمٰن السقاف[1] صاحب الكمالات العلمية والعملية، وجامع الأفضال الوهبية والكسبية، ذو الأحوال الظاهرة، والمعارف الباهرة. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، والآداب الصوفية. وأخذ عن جماعة كثيرين، وصحب علماء عارفين، منهم: العلامة محمد بن أحمد بافضل، والشيخ محمد بن عبد الله باجعفر، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله

(١) انظر: (النور السافر ١٨٤، النور المضيء والدر البهي، تأليف المعلم خَرِد)، كما أورد له المؤلف ترجمةً في كتابه «المشرع الروي» ج ٢ ص ١٢٢.

المعلم باقشير. وسمع من خلق كثير، واعتنى بالفقه والتصوف، ولبس الخرقة من كثيرين.

وأخذ عنه كثيرون، وصحبه فضلاء عارفون. وكان مواظباً على السنن الشرعية، والآداب المحمدية، ملازماً للجمعة والجماعة، ولا يصرف أوقاته إلا في طاعة، زاهداً في الدنيا وأمورها، راغباً في الآخرة وخيورها، قانعاً بالكفاف، متدرعاً ثوب العفاف، يحب الفقراء والمساكين، ويجالس العلماء العاملين، متعزلاً عن أبناء الدنيا والأمراء والسلاطين.

وكان كثير الذِّكر، طويل الفكر، وارتحل إلى مدينة (قَسْم)، ودام النفع به تم وعم، ولم يزل يزداد من الأعمال الصالحة والخيرات، إلى وقت الممات. ودفن بمقبرة (قَسْم)، رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد الجمالي]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ محمد الجمالي الشهير ببيري باشا. طلب العلم على مشايخ عصره، وبرع في علم الأدب، ثم وُلِّي قضاء بلاده ثم صار حافظاً للدفتر أواخر سلطنة بايزيد، ولمّا وُلِّي السلطنة سليم خان جعله وزيره الأعظم، ثم عُزل عن الوزارة وتجرد للعبادة والطاعة، وكان عاقلاً فاضلاً لا يقصد أحداً بسوء، محباً للعلماء والصلحاء والفقراء، وبنى عدة جوامع ومدارس وزاوية للصوفية في قسطنطينية، ودفن عند جامعه الذي بناه في (سلورى)، رحمه الله تعالى وإيانا.

[الشهاب صدقة]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ أحمد بن إسماعيل بن صدقة، الشهاب، القاهري، الحنفي، ويعرف بابن الصائغ. وُلد سنة أربع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، ونشأ بها فحفظ «القرآن» وكتباً في فقه الحنفية وغيرها، وأخذ عن التقي الشمني والأقصرائي والتقي الحصني، وكذا العلاء. وبرع وناب في القضاء، واستمر على ذلك مع فضيلة تامة، وعقل وأدب، وحج غير مرة وجاور وحضر بمكة عام النهب سنة ثمان وتسعمائة، وقاسى فيها شدة، ثم عاد إلى القاهرة، وانعزل عن الناس، وكانت له معرفة تامة في الطب، وكان يعالج الأكابر، وحدّث قليلاً، رحمه الله تعالى.

[محمد الوفائي]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ محمد بن الشيخ بدر الدين الوفائي[١] من بلدة (مغلا) من ولاية (منشا)، اشتغل وحصّل ودرّس وصنّف حاشية على حواشي التجريد، وحواشي على أوائل صدر الشريعة، وتفسير آية الكرسي وغير ذلك من الرسائل والكتب. ودُفن بجامع (الشيخ وفا)، ونُسب إليه لأن والده كان خليفة (الشيخ وفا)، رحمه الله تعالى.

[الشيخ مخلص]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ مخلص الشهير بالمحلة من أعمال مصر الغربية، الإمام الزاهد الناسك العابد، محيي الشريعة المحمّدية في بلاد الغربية، أحد أعلام الأئمة، وقادة علماء الأمة. صحب جماعة من أئمة الدين، وأخذ عن أفاضل العلماء الراسخين، منهم: الشيخ أبو الخير بن نصر، ولازمه حتى تخرج به، وكان يحبه ويثني عليه، وأقامه بعد موته مقامه في إقامة السنة، وصحبه جم غفير، وتخرج به جمع كبير، منهم: العارف بالله تعالى محمد الشناوي، وكان يجله ويكرمه مع أنه كان من نظرائه. وكان على طريقة الفقراء المتقدمين، والصوفية الصالحين، من كثرة المجاهدة والتقشف، وكثرة العبادة، ولم يزل كذلك إلى أن وافاه الحمام، وانتقل إلى حضرة الملك العلاّم، ودفن بـ (ابشيه الملق) لأنه أقام بها أواخر عمره رضي الله عنه ونفعنا به.

[إبراهيم العجمي]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ إبراهيم الكلشني، العجمي[٢]. غزير المروءة، كثير الفتوة، لا يقف القلم في سرد مماشيه عند نهاية، ولا يخفى عند تعطير معارفه التي أصبح فيها آية. الشيخ الكبير العلم الشهير. وُلد في أرض العجم، وأخذ الطريق على سيدي عمر الروشني، وكان هو والشيخ دمرداش والشيخ شاهين أخوة

(١) أورده صاحب «معجم المؤلفين» باسم: محمد بن محمود المُغْلَوي، الوفائي، الحنفي، الرومي، وذكر مصادر ترجمته ـ انظر: (معجم المؤلفين ج ١٢ ص ٧).
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٨٤، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة ٢/ ٨٤).

في الطريق عن الأخذ عنه، ودخل مصر في دولة بني عثمان، وأقام بـ (زوينة)[١] في المدرسة المؤيدية، فأخذ عنه خلق كثيرون من العجم، ومن عسكر السلطان، وحصل له إقبال عظيم وجاه جسيم، وكثرت تلامذته، وكان يفسر القرآن ويقرىء في كتب القوم، واستمر على ذلك مدة، ثم بنى له تكيّة مقابل المؤيدية، وجعل له فيها مدفناً، وبنى فيها خلاوي للفقراء، ولكل واحد قبر في خلوته على عادة مشايخ العجم.

وكان له يد طولى في علم الكلام والمعقوليات، ولا يمكن أحداً من تقرائه أن يحج حتى يعرف من علم التوحيد ما يجب معرفته لله، المعرفة الخاصة عند القوم، ويقول: حجوا إليّ أولاً حتى أعرّفكم رب البيت، قال الشعراوي: زرته فأقبل عليّ زائداً لكنه قال: أنتم مشائخ الخبز، وكان لا يعجبه إلا المجاهدة من غير عذر زاد. ونظم تائية جمع فيها معالم مقامات الطريق، وكانت له مقامات شديدة وخوارق عديدة، ومكاشفات عجيبة وأمور غريبة، ولمّا كثر إقبال العسكر السلطاني عليه ـ حتى صاروا يزدحمون على شرب ماء غسله في الحمام ـ خافت الدولة على مصر منه، فطلبوه إلى الروم، وأقام بها مدة، ثم شفعوا في رده فرجع إلى مصر فأقام بها، وطرد غالب جند السلطان عنه امتثالاً لأمر السلطان، واستمر بها إلى أن مات. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن قاسم الرومي]

وفيها [٩٤٠]: توفي المولى محيي الدين محمد بن الخطيب قاسم الرومي[٢]. أحد العلماء المشهورين، والفضلاء المذكورين. وُلد بـ (أماسية)، واشتغل بالعلوم الشرعية والعقلية، ثم وُلّي مدارس في كثير من البلدان، ثم جعله السلطان بايزيد معلماً لابنه أحمد، ثم ولاه السلطان سليمان تدريس مدرسة التي بناها بجوار (أيا صوفيا)، ولم يزل يتنقل من مدرسة إلى مدرسة، ومن بلد إلى بلد إلى أن مات في مدرسة إحدى المدارس الثمان.

(١) في «شذرات الذهب»: وأقام بمدرسة باب زويلة.
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٩٠، الكواكب السائرة ٢/ ٥٧، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٣٧).

وكان صالحاً، عاملاً، محباً للصوفية، مشتغلاً بنفسه، قانعاً من الدنيا بالقليل، له إطلاع على كثير من العلوم كالأوفاق، والجفر، والتكسير، والموسيقى، والعلوم الرياضية. وله مشاركة في العلوم الشرعية، وكان يحفظ التواريخ والمحاضرات والأشعار العربية، وكان ينظم القصائد بالعربية والتركية.

وله يد طولى في الوعظ، وكان لا يمل من التدريس والمطالعة، وله مصنفات، منها: روض الأخيار في علم المحاضرات، وحواشي على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة، ورسائل وتعليقات كثيرة، رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمود الأصفر]

وفيها [٩٤٠]: المولى بدر الدين محمود المشهور بالأصفر، أخذ عن المولى الفزاري والمولى لطفي، وصحب المولى معرف زاده، ثم ولي مدرسة (بالي كسرى) وغيرها، ثم ترك التدريس، وعُيّن له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد، وكان مشاركاً في جميع العلوم، وأكثر اشتغاله بالعلوم العقلية، وله تعليقات على كتب كثيرة، واشتغل بعلم الحديث وعلم التصوف. رحمه الله تعالى.

[إبراهيم المجذوب]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ إبراهيم أبو لحاف، المجذوب المشهور[١]. كان صاحب مجاهدات لا ينام بالليل بل يجلس يهمهم بذكر الله تعالى إلى الفجر صيفاً وشتاء، وتارة يقول الله الله من العشاء إلى الفجر، وكان تسبيحه سبحان من خلق الخلق احتياط علم حاله فقط. وأقام أول جذبه بـ (البرج الأحمر) من قلعة الجبل نحو عشرين سنة، فلمّا قرب زوال دولة الجراكسة أرسل يقول للغوري: تحول من القلعة وأعط مفاتيحها لأصحابها، فلم يلق الغوري إلى كلامه بالاً وقال: هذا مجذوب، فنزل الشيخ إبراهيم إلى مصر، فزالت دولة الجراكسة بعد سنة.

وكان ينظر ما ينزل من البلاء على الإنسان في المستقبل، فيأتي إلى ذلك الشخص ويقول له: نزل عليك كذا في الوقت الفلاني هات عشرة ذهب تدفع عنك وإلا نزل بك، فإن أعطاها تحول عنه البلاء، وكثيراً ما يأخذ العبد إذا لم يجد

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٨٤، الكواكب السائرة ٢/ ٨٥).

عند ذلك الإنسان غيره، فيتركه عند الطباخ ويستجر منه طبيخاً إلى أن يفرغ ثمنه.

وأكثر إقامته في بيوت الأكابر، وكان يقيم بزاوية الشيخ الشعراوي الشهر وأكثر، وكان يضبط على القول لا ينساه وإن أعطاه أحد شيئاً يأتي إليه في مثل ذلك الوقت من السنة الثانية ويقول: أعطيتني في العام الماضي كذا فهاته، وكان يمشي حافياً مكشوف الرأس. ومن كراماته أن الشعراوي، اتهم ببعض الأمراء مختفياً عنده، وأرادوا قتله فقال له: لا تخف غداً تُقضى الحاجة وقت الظهر، فلمّا كان ذَهَب أحمد باشا وأطلقوا الشيخ. ودفن رضي الله عنه بقنطرة السد في طريق مصر العتيقة في الشباك المجاور للسبيل العالي، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[ابن كمال باشا]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ، شمس الدين، أحمد بن سليمان بن كمال باشا[1]. كان جده من أمراء الدولة العثمانية، ونشأ هذا في حجر العز والدلال، وغلب عليه حب الكمال، فاشتغل بالعلم وكان حسن الفهم، وألحقوه بزمر العسكر، واتفق أنه كان واقفاً في خدمة الوزير الأعظم، فجاء رجل رثّ الهيئة، دنيء اللباس، فجلس فوق الأمراء[2]. ولم يمنعه أحد، فتعجب من ذلك، وسأل عنه فقيل هذا المولى لطفي وهو من العلماء الذين رتبتهم فوق الأمراء فوقع في نفسه طلب العلم وطلب على المولى لطفي.

وقد كان قرأ[3] مباديء العلوم على المولى القسطلاني، والمولى خطيب زاده، والمولى معرّف زاده، ثم صار مدرساً وتنقل من مدرسة إلى أخرى ثم صار قاضياً بـ (أدرنة) ثم بالعسكر، ثم وُلّي دار الحديث بمدينة (أدرنة) ثم إفتاء (قسطنطينية).

(١) انظر: (الأعلام ١/ ١٣٣، شذرات الذهب ٨/ ٢٨٥، الشقائق النعمانية ص ٢٢٦، الفوائد البهية ص ٢١). وأضاف في الشذرات صفة أخرى إلى اسمه فقال: شمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي، الشهير بابن كمال باشا.

(٢) أي تصدّر عليهم.

(٣) في الشذرات: وكان قد اشتغل في أول شبابه في مباديء العلوم.. الخ.

وكان مشتغلاً بالعلم ليلاً ونهاراً، وصنّف عدة رسائل نحو مائة رسالة[1]، وله تفسير لم يكمل، وله حواشٍ على الكشاف، وشرح «الهداية» ولم يكمل، وله كتاب في الفقه، وشرحه سمّاه بالإصلاح والإيضاح، وله مؤلف في الأصول وشرحه سماه تعبير التنقيح، ومؤلف في علم الكلام وشرحه سماه «تجويد التجريد»، ومؤلف في المعاني وشرحه، وحواشي على شرح المفتاح للسيد الجرجاني، وحواشي على التلويح، وحواشي على التهافت للمولى خواجه زاده، ومؤلف في الفرائض وشرحه. وصنف كتاباً بالفارسية على منوال كلستان سمّاه نكارستان، وكتاباً في تواريخ آل عثمان بالتركية، وكتاباً في اللغة الفارسية.

وكل مؤلفاته مقبولة متداولة، وله يد طولى في الإنشاء والنظم بالفارسية والتركية، وانتفع به جمع، وكان حسن الأخلاق وافر العقل حسن الأدب، كامل الفضل. لم يزل مفتياً بالقسطنطينية، حتى وافته المنية، رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد القآي]

وفيها [٩٤٠]: توفي العالم المولى، محمد بن الشيخ محمود العلوي القآي. أخذ عن علماء عصره، وجدّ في الطلب وصحب المولى سيدي القرماني وأخذ عنه، وصار معيداً للدُرْسَة[2] ثم وُلّي عدة مدارس، وكان محباً للصوفية لا سيما الوفائية، وكان يحفظ التواريخ والمناقب ونكتها ولطائفها، وصنّف كتاباً، منها: تهذيب الكافية وشرحه، وحاشية على شرح الهداية للمولى زاده، وحاشية التجريد للسيد، وتفسير سورة الضحى سمّاه «تنوير الضحى» وغير ذلك، وكان حكيماً صبوراً أديباً، كريم النفس، سليم الصدر، حسن الأوصاف، صحيح العقيدة. رحمه الله تعالى.

(١) أوضح صاحب كتاب «الأعلام» ما هو مطبوع منها وما هو غير مطبوع ـ انظر: (الأعلام ١/ ١٣٣).

(٢) وردت: وصار معيداً القَرْمة.

[يعقوب بن علي]

وفيها [٩٤٠]: توفي يعقوب بن علي. كان مدرساً في الثمانية[١]، فأعطي قضاء (برصة)، ثم أعيد إلى الثمانية، ثم نوى الحج فقدم القاهرة، فمرض بها فأمر أن يحمل ليمون في طريق الحج فمات في بركة الحاج ثاني عشر شوال، وكان من العلماء المشهورين، وله تصانيف، منها: شرح على شرعة الإسلام، وصدر الشريعة، والكلستان، وغيرها. رحمه الله تعالى.

[محمد البارودي]

وفيها [٩٤٠]: توفي السيد محمد بن البارودي، الحسيني، الشافعي، الهمداني نسبة إلى السيد علي الهمداني من حيث سلسلة الفقراء[٢]. وُلد في (بارود) سنة سبع وسبعين وثمانمائة، واشتغل قليلاً، وكان والده محتسباً ولمّا توفي والده تولى الحسبة بعده، واشتغل بطريق القوم وسافر إلى المشهد[٣] وعمره ثمانية عشرة سنة، فتفقّر بالمشهد على يد شيخ شاه الهمداني سلسلة، وارتاض على يديه، ودخل الأرجيبات، وتسلك أربعة أعوام فتوفى شيخه المذكور، واستمر بعده أربعة أعوام يصوم النهار ويسهر الليل، فلم يفتح له فتوجه إلى صهر شيخه الشيخ حلبي محمد المخدومي الهمداني سلسلةً في (جُرجان)[٤] من قرى المشهد، ولازمه وتسلك به ففتح الله له على يديه، وأذن له في التسليك والإرشاد وسافر إلى بخارى وسمرقند وتركستان، واجتمع بها على مشايخها وصلحائها، ثم رجع إلى الشيخ واستأذنه أن يسافر إلى الحجاز، فأذن له فتوجه إلى مكة من طريق الشام وحج ثمان وعشرين وجاور بها، واشتغل بالإرشاد، فأخذ عنه الطريق جماعة من أكابر العلماء، منهم: الشهاب أحمد بن عبد الغفار المالكي المصري، ومصلح الدين مصطفى الرومي، وقاضي القضاة عبد اللطيف بكثير الشافعي، وقاضي المدينة عبد الله الحسيني، وانتفع به خلق كثير، وكان جماعته يقرأون الأوراد الفتحية صبحاً

(١) المدارس الثماني بمدينة القسطنطينية.
(٢) انظر ترجمته في: (أعيان الشيعة، تأليف العاملي).
(٣) مَشْهَد: مدينة إيرانية عاصمة خُراسان ـ المنجد.
(٤) جُرجان: مدينة في إيران شرقي بحر قزوين ـ المنجد.

وعصراً بالمسجد الحرام، ثم رحل إلى مصر سنة اثنتين وثلاثين، وأقام بها سبعة أشهر، وتوجه إلى (قونية)[١]، وأقام عند قبر الجلال الرومي[٢] زمناً، واختلى أربعين يوماً، وختم به كتاباً من نظمه نحو ثلاثين ألف بيت سمّاه «المعنوي»، عارض به «المثنوي» للشيخ جلال الدين المذكور، ثم رحل إلى (اسطنبول)، فأقبل عليه الوزراء والأكابر وتفقر على يديه جماعة، ولمّا توجه السلطان إلى الغزو، استصحبه معه وأمر له بجميع ما يحتاجه من جمال وبغال وخيل ومطبخ وطعام، ومعه عَلَم، وجماعته تحت ذلك اللواء، فحصلت النصرة والغنيمة العظيمة، وتبارك السلطان باستصحابه والتمس أن يجتمع به فأبى الشيخ، وقال: نحن ندعو له بظهر الغيب. ورجع إلى مكة سنة (٩٣٤هـ) أربع وثلاثين، واستمر بمكة يرشد ويسلك إلى أن توفى أواخر المحرم، ودفن بـ (المعلاة) عند قبر أم المؤمنين خديجة رضوان الله تعالى عليها.

وله من التآليف شرح على ما[٣]... وعلى مختصر[٤].. وكتاب في السلوك والرياضات وكتاب في الآداب، وله نحو ألفى رباعي عارض بها رباعيات العطار[٥]، وغير ذلك. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[محمد النهروالي]

وفيها [٩٤٠]: توفي الشيخ لان محمد بن الشمس محمد بن قاضي خان النهروالي. وُلد سنة أربع وثمانين وثمانمائة بـ (نهروالة)، واشتغل بالعبادة والطاعة، وانعزل عن الناس لا سيما أرباب الدولة، فكان يفر منهم. ولم يزل على هذه الحالات، إلى وقت الممات، رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) قُونيه: مدينة تركية في الأناضول. عاصمة سلاجقة الروم. (المصدر السابق).
(٢) جلال الدين الرومي: شاعر فارسيّ من كبار الصوفيّين. صاحب الطريقة المولويّة، له كتاب «المثنوي». وهو فن من فنون النظم الشعري الفارسي.
(٣) بياض بالأصل.
(٤) بياض الأصل.
(٥) هو فريد عطّار، المتوفى سنة ١٢٣٠م، من كبار شعراء الفُرس الصوفيين. من كتبه «منطق الطير» و«تذكرة الأولياء» في سير العرفاء والمتصوّفة.

سنة إحدى وأربعين وتسعمائة

[سعود المصري]

توفي الشيخ الصالح المجذوب الصاحي سيدي سعود المصري[1]، كان معتقداً عند الأمراء، وبنى له سليمان باشا زاوية، وجعل له فيها قبة خضراء، وكانت له كرامات كثيرة ومكاشفات شهيرة، فكان يخبر عن وقائع الأقاليم السبعة كلها، يقول مات فلان اليوم تولى فلان الآن عزل فلان في وقت كذا فيأتي الخبر كما أخبر، وكان يلازمه في أول جذبه كلب أصفر، يقارب السبع، فكان لم يزل واقفاً عند كتفه وكان مقيماً بسويقة العزي بالقرب من مدرسة السلطان حسن ثم تحول إلىٰ زاويته المذكورة، واستمر إلىٰ أن مات ودفن بها. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

[علي الطرابلسي]

وفيها [٩٤١]: توفي قاضي القضاة بالديار المصرية، نور الدين، علي بن ياسين الطرابلسي[2]، الحنفي، الراقي من مدارج التحقيق أعلى الرتب المنيفة، قرة عين أصحاب أبي حنيفة. مولده قريب من السبعين وثمانمائة، واشتغل بتحصيل العلم وأخذ عن جَمْع كثيرين، واعتنى بالفقه والحديث، ومن مشايخه شمس الدين الحافظ السخاوي، وقال: وأعلىٰ من رويت عنه سنداً الشيخ الإمام العلامة محب الدين الطبري.

[حمزة أوج باشا]

وفيها [٩٤١]: توفي بدر الدين حمزة، الشهير بأوج باشا[3]، اشتغل بالعلم علىٰ الفاضل معرف زاده، وجدّ في الطلب حتىٰ حصّل[4] طرفاً صالحاً من أكثر العلوم، ثم وُلّي عدة مدارس في عدة بلاد، ثم صار مفتياً ببلده (أماسية)، ثم عُزل

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٤٧. وفيه ورد بأسم: سعودي المجذوب).
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٢١٣).
(٣) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٣٩).
(٤) «حصّل» ساقطة في الأصل.

وعُيِّن له كل يوم سبعون درهماً بطريق التقاعد، وكان حريصاً علىٰ جمع المال، متقشفاً في ملبسه ومأكله ومركوبه، وبنى في آخر عمره مسجداً بالقسطنطينية وحجرات للفقراء والعلماء، وعيّن لهم معلوماً من أوقاف وقفها علىٰ ذلك. قال له الوزير إبراهيم: كيف سمحت نفسك بصرف المال في ذلك وأنت حريص علىٰ جمعه؟عبد الله بن ؛ فقال: وهذا من محبتي له أريد أن يكون معي في الآخرة ولم أرض أن يتخلّف عني! رحمة الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد الجمالي]

وفيها [٩٤١]: توفي محيي الدين، محمد ابن بير محمد باشا الجمالي[1]. أحد علماء الروم المشهورين بالعلوم، اشتغل علىٰ والده وغيره من علماء عصره، منهم: الشيخ علاء الدين الجمالي المفتي وصار معيداً لدرسه، ثم وُلّي تدريس مدرسة الوزير مصطفى باشا بالقسطنطينية ثم إحدى المدارس الثمان ثم قضاء (أدرنة)، واستمر كذلك إلىٰ أن مات، كذلك ودفن بها. وكان عالي الهمة، رفيع القدر، عظيم النفس، ذا وقار وأدب، وله معرفة بالعلوم الرياضية والعربية، عاملاً بعلمه. رحمه الله تعالىٰ.

[شمس الدين البكاني]

وفيها [٩٤١]: توفي الشيخ المولى شمس الدين البكاني. طلب العلوم في بلاد الروم، فأخذ عن الفاضل علاء الدين علي الجمالي المفتي، وصار معيداً لدرسه، ثم وُلّي عدة مدارس في عدة بلدان، ثم وُلّي إحدى المدرستين المتجاورتين بـ (أدرنة)، واستمر كذلك إلىٰ أن مات بها، وكان مشاركاً في كثير من الفنون كالتفسير والعربية والمعاني والبيان، وكان مشغولاً بنفسه مواظباً علىٰ طاعة ربه، لا يذكر أحداً بسوء، وكان كريم النفس صاحب فتوة ومودة وافرة. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٩٤، الكواكب السائرة ٢/ ١٥، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٧٣). وورد في الشذرات: محمد باشا الحنفي.

[عبد الله البخاري]

وفيها [٩٤١]: توفي إمام الحنفية، عبد الله بن محمد بن محمد العفيف بن الشمس بن القطب بن السراج البخاري. وُلد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بمكة، ونشأ بها فحفظ القرآن وغيره، وأحسن تجويده، واشتغل على والده وغيره وعلى الملا عبد العزيز، ولازم السخاوي وسمع منه كثيراً وأخذ عن الجمال أبي السعود بن الظهيرة وصلّى التراويح بالقرآن، وظهرت فضيلته ونجابته، وقرأ العربية، ثم انجمع عن الناس وقنع بمعاليمه، واشتهر بالصلاح وضعف بصره وواظب على قراءة القرآن، وكان يدرك أوقات الصلاة باستنشاق الهواء لكثرة ممارسته لذلك إلى أن أصابه الفالج، فعالجه فلم ينجح، فمات ضحى يوم الأحد رابع ذي الحجة، وشيّعه خلق كثير، ودفن على أبيه بـ (المعلاة). رحمه الله تعالى.

[فتح العراق]

وفيها [٩٤١]: أخذ السلطان الأعظم سليمان خان بن سليم خان مدينة (بغداد) من غزل باشا، وأمر بتحصينها وضبطها وأرخ فتحها بتواريخ ألطفها: (فتحنا العراق) وهو الشيخ القاضي عبد اللطيف بن عبد اللطيف بن عبد الله بن أحمد باكثير ثم نظمه فقال:

ولمّا أباحت ظباتنا لنا ... دم الشاة واستحكمت سلخه
فتحنا العراق وذا اللفظ من ... لطافته مع تاريخه

وزار السلطان مشهد الإمام موسى الكاظم، وأمر بتعميره والإمام أبا حنيفة، وأمر بتعمير قبة على قبره وعمارة مدرسته، واستمرت بغداد في أيدي الدولة العثمانية إلى سنة ثلاث وثلاثين.

سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة

[عبد الله بن علي السقاف]

توفي السيد الشريف عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر بن العارف بالله تعالى عبد الرحمٰن السقاف[1]. أحد السادة الأعيان، المشار إليهم بالبنان، مَن

(١) انظر: (النور السافر ١٨٧، شمس الظهيرة ١/ ١٣١) وأورد له المؤلف ترجمة أخرى في =

فضائله لا تتناهى، وبمحاسنه تتجمل الأوقات وتتباهى. وُلد بمدينة (تريم) الشهيرة، ونشأ بساحتها المنيرة، وحفظ القرآن، ولازم على طاعة الرحمٰن. وصحب أكابر العارفين الأولياء الكاملين، منهم: والده الشيخ علي أخذ عنه، وصحبه، ولازمه، وألبسه الخرقة الشريفة، وحكّمه بجميع طرق ذلك، وأذن له في الإلباس والتحكيم، وكذلك أخذ عن غيره من الفقهاء الورعين، والعلماء الزاهدين.

وأخذ الفقه والحديث، والتصوف عن المشهورين في ذلك الزمان، منهم: أخوه عبد الرحمٰن، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن، ولازم الطاعة، وواظب على الجمعة والجماعة، وأجيز بالتدريس، فدرّس في مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس. وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: الشيخ حسين ابن الفقيه عبد الله بافضل. وكان الغالب عليه الخمول والاعتزال عن الناس.

وكان كثير التحمل لأذى الناس ولا سيما الجيران، ووقع لبعض جيرانه أنه بنى داراً، وأعلى بنيانه حتى أظلم على صاحب الترجمة داره، وحصل لأهله من ذلك تأذٍّ، فقالوا له: كلم جارك لعله ينتهي عن الضرر، فقال: ستخرب دار الرجل وما حولها حتّى تنظروا دار فلان، وأشار إلى دار بعيدة، فمضت مدة يسيرة، وأمر السلطان بتخريب تلك الدور التي أشار إليها السيد[1]. ولم يزل يترقى في الأحوال والمقامات إلى وقت الممات، ودفن بتربة (زنبل). رحمه الله عز وجل.

[البرتغاليون في الشِّحر]

وفيها [٩٤٢]: دخل الإفرنج بندر الشِّحر، وقاتلهم السلطان بدر بن عبد الله الكثيري، وحصل قتال شديد، ونصر الله المسلمين، وقتلوا الإفرنج جميعهم[2]، وأرسل السلطان بدر برؤوسهم إلى السلطان الأعظم سليمان خان بن سليم خان.

= كتابه «المشرع الرّوي» ج ٢ ص ١٩٢.

(١) «السيد» زيادة في «أ».

(٢) تفاصيل أوسع عن الحملة البرتغالية على الشحر؛ أنظرها في كتاب: «الشهداء السبعة»، تأليف الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف.

[الشيخ عبد الله بافضل]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ عبد الله بن العلامة محمد بن أحمد بافضل[1] ذكره في النور السافر، وذكر غيرُه أنه كان إماماً فقيهاً، صوفياً ورعاً زاهداً، اشتغل علىٰ والده بتحصيل العلوم، فأخذ عنه الحديث والفقه، وكذلك أخذ عن العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمة الأصول والفروع وغيرها. وحج مراراً، وسمع بالحرمين عن جَمْع كثير، وأخذ بها عن جماعة، وصحب كثيراً من العارفين، وأجيز بالتدريس، فدرَّس في (عدن) بمسجد (الدرسة)، ووُلِّي عدة مدارس، وانتفع به أهل (عدن) وغيرهم من الواردين إليهم. وممن أخذ عنه: السيد الجليل الشيخ أحمد بن أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني، والسيد الكبير عبد الله بن محمد بلفقيه نزيل (مكة) الشهير بعيدروس مكة.

وكان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عاملاً بعلمه، حافظاً للسانه وقلمه، وكُفَّ بصره آخر عمره، ثم عالج بالقدح والتطبب، فردّ الله عليه بصره. واستمر علىٰ الحالة المرضية، إلىٰ أن وافته المنية، ودفن بعدن. رحمها الله تعالىٰ وإيانا.

[أبو الفضل الأحمدي]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ أبو الفضل الأحمدي[2]. الإمام الكبير، العلم الشهير، ذو القدر الجليل، والأصل الأصيل، الراسخ في العلوم التي للخلق إليها سبيل. صحب سيدي الشيخ علي الخوّاص، وسيدي الشيخ بركات الخياط[3] وغيرهما من أولياء عصره، وكان من الراسخين في الطريق، أُولي التحقيق والتدقيق. وكان له مجاهدات كثيرة، وأحوال شهيرة، كان لا ينام إلا نحو عشر درج صيفاً وشتاء، وشأنه التقشف في المأكل والمشرب، وخدمة جميع أخوانه، وتقديم نعالهم لهم، وتهيئة الماء لطهارتهم، وملء بيوت الخلاء وقعاوى الكلاب،

---

(١) انظر: (النور السافر ـ ص ١٨٧، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل ـ ص ١٦٧).

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٢٩٥، الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٧٣، الكواكب السائرة ٢/ ٩٤).

(٣) في الشذرات: الخوّاص.

وإذا خرج مع أحد من أصحابه لمثل القرافة، وخلعوا نعالهم يحملها كلها في خرج معه علىٰ عاتقه، ولا يمكن أحد من حمل نعاله، ويقسم عليه حتىٰ يأخذها. ورأى بعض أصحابه في ثوبه سواداً، فقال له: دعني أغسله، فقال: إني أستحيي ألبس الثوب النظيف علىٰ الجسم القذر بالمعاصي، وكان من شأنه تحمل هموم الناس حتىٰ صار جلداً علىٰ عظم، وقال: ازداد بي الألم من منذ سبع سنين، ولا أرى نفسي خالياً من ذلك الألم. وكان كثير التعظيم للمساجد، لا يتجرأ أن يدخل مسجداً إلا تبعاً لغيره، ويقول: مثلي لا ينبغي له أن يدخل حضرة الله تعالىٰ قبل الناس. وكان من أعرف الناس بالدنيا وأمورها، ويعرف كل صنعة فيتعلم منه أربابها، وكان يدرك ببصره تطورات الأعمال الليلية والنهارية ويرى صورها ومعاريجها، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: سألني الأمير محيي الدين بن أبي أصبغ ـ دفتر دار مصر ـ وهو محبوس أن أسأل في إطلاقه من السجن، فتوجهت إلىٰ الله تعالىٰ في تلك الليلة، فجاءني الأخ أبو الفضل الأحمدي، وقال لي: ضحكت عليك الليلة وأنت تدعو للأمير محيي الدين ودعاؤك يصعد نحو سبع أذرع إلىٰ السماء، ويرجع لأنه بقي من حبسه خمسة أشهر وسبعة أيام فلو كنت الشاطر أحمد الدنف، لم تقدر علىٰ إخراجه قبل مضي المدة، فكان الأمر كما قال. وورد عليّ كلام في ليلة فكتبته في الظلمة فبينما أنا أقرأ علىٰ الفقراء إذ دخل وقال: اسمعوا هذه الورقة، فقلبناها عليها حرفاً حرفاً وربما ظن من لا يعرف الأحوال أن أحدنا كتب ورقته من الأخرى، وإذا ورد عليّ شيء من الحقائق وأردت أن أقول يقول: لا تخبرني حتىٰ تسمعه مني فيذكر ما ورد عليّ حرفاً بحرف. وكان يرى مواطن الخلق وما فيها كما يرى ما في داخل البلور، وينظر إلىٰ وقف الإنسان فيعرف جميع ما وقع فيه من الزلآت ويخبر أصحابه بما وقع منهم في الليل من نوم علىٰ حدث أو طهارة أو ورد أو قراءة ومقدار ماناه من الدرج، وإذا سرى ذهن جليسه إلىٰ مكان أو كلام يقول له: ارجع بقلبك من الشيء الفلاني، وقال: سألت الله تعالىٰ أن يحجب عني ما يفعل الناس في بيوتهم، فلم يجبني، ولله في ذلك أسرار وحكم، وأنا من ذلك في شدة.

وكان يعرف أصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، ومن تولى ومن عزل، وكان يقول: أنا من ورثة أبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في الدين. وفسّر

القرآن من سورة الفتح إلى آخر سورة الناس، طبسان غريب لا يكاد يفهم منه أحد شيئاً، وقال: هذا من علوم الإرث الإبراهيمي، واستخرج فيه معاني كل صورة من اسمها، ووضع رسالة كاملة على لسان إبراهيم عليه السلام، وكان يكره للفقراء التعقل في الطريق في طلب المقامات، ويقول: اخلصوا العمل لله تعالى، ولا تتخذوا الأعمال وسائل لمقاصد النفوس تخسروا مع الخاسرين.

ورأى عند الشيخ أبي العباس الحريثي شخصاً قد أخلاه وقد طعن في السن وهو يذكر بصوت خفي من الجوع والسهر، فقال له: اخرج يا هذا فإن الله يكره من يعبده على حرف، والخَلْق كالشجر فمن خلقه الله سنطالاً يصير تفاحاً، ثم قال للفقير: أخرج كُلْ وآشرب، وإن سبق لك شيء من الله سوف تصل إليه، فأبى، فدعا عليه بالموت فمات آخر النهار، وأبى أن يصلى عليه، وقال: مات عاصياً لقتله نفسه بالجوع والسهر الذي لم يأمره الله تعالى به.

وكان يقول: ليس المراد من الإيجاد الإلهي الإنساني والتكوين الطبيعي الناري، إلا معرفة الربوبية بأوصافها والعبودية بأخلاقها، فأما أوصاف الربوبية فيكفيك ما وصل إليك علمه إلهاماً أو تلقياً بواسطة رسول الله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل، وأما أخلاق العبودية فهي مقابلة لأوصاف الربوبية على السواء بكل صفة استحقتها الألوهية، طلبت العبودية حقها من مقابلة ذلك الوصف غالباً، ومن هذا القبيل كان استغفاره ﷺ فكل عن مقامه يتكلم، وعما وصف به يترجم.

وكان يقول: من نظر إلى ثواب أعماله عاجلاً وآجلاً، فقد خرج عن أوصاف العبودية، وقال: عليك بحسن الظن بالمسلمين فإن الله تعالى لا يسأل أحداً قط في الآخرة: لِمَ حسنت ظنك بالناس، ولا تسب من أحدٍ إلاّ فعله المذموم لا عينه، لأنك لا تدري بم يختم لك وله، وتأمل قوله ﷺ في شجرة الثوم: إني أكره ريحها، ولم يقل إني أكرهها فإن الريح من صفاتها، وكان يقول لأصحابه: كونوا عبيداً لله لا عبيد نفوسكم وثيابكم ودراهمكم، فإن كل ما تعلّق خاطرك بمحبته من محمود أو مذموم يأخذ من عبوديتكم لله تعالى بقدر حبكم له، وأنتم لا تُخلقون للكون ولا لأنفسكم فلا تهربوا من الله تعالى فإنكم حرام على أنفسكم فكيف تحرمون على غيركم.

وكان يقول: كفّوا غضبكم عمن يسيء إليكم، فإنه مسلّط عليكم بإذن ربكم، فإن غضبتم عليه زاد في التسلط عليكم، وافعلوا ما قسم لكم من المأمورات الشرعية امتثالاً للشرع لا لعلة أخرى، واتركوا العلل كلها واقطعوها لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[1]، واشتغلوا بما يأمركم به شيخكم ولا تشتغلوا بقراءة كلام القوم من غير إشارته؛ فإن كلا من القوم يتكلم بحسب مقامه ـ وليس ذلك من المريدين ـ وعليكم بحفظ لسانكم مع علماء الشريعة، فإنهم بواب حضرات الأسماء والصفات، وعليكم بحفظ قلوبكم الإنكار على أحد من الأولياء بما علمتموه من أقوال المتكلمين بإنكارهم، فإن عقائد الأولياء مطلقة متجددة في كل آن على حسب الشؤون الإلهية، والمتكلمون ربطوا عقائدهم بأمر واحد على الدوام، والحق مع الأولياء بدليل نسخ الأحكام، وضلال من قال بعدم النسخ. ولا تقربوا من الأولياء إلا بالأدب، ولو باسطوكم فإن قلوبهم مملوكة ونفوسهم مفقودة وعقولهم غير معقولة يمقتون على أقل من القليل ويسامحون في أكثر من كثير، وإذا صحبتم كاملاً؛ فلا تُؤوّلوا له كلاماً إلى غير مفهومه الظاهر، قال: الكل لا يسترون لهم كلاماً ولا حالاً وكان يقول: إذا نزل بكم بلاء فبادروا إلى سؤال الله عز وجل العفو والعافية؛ ولو كان أحدكم صبوراً إظهاراً للضعف. وكان يقول: لا تركن إلى شيء، ولا تأمر نفسك في شيء، ولا تأمن مكر الله تعالى لشيء ولا لغير شيء، ولا تختر لنفسك قط حالة تكون عليها مع الله تعالى بل سلّم الأمر له طوعاً قبل أن تراه له كرهاً، ثم بتقدير أنك تختار لك حالة تكون عليها مع الله عز وجل، فلا تدري هل تصل إلى ما اخترته أم لا؟ ثم إذا وصلت إليه فلا تدري ألك في ذلك خير أم لا؟ ثم إذا منعك الحق شيئاً فاشكره على ذلك المنع فإنه تعالى ما منعك عن بخلٍ ـ تعالى الله عن ذلك ـ وإنما منعك عن حكمة.

وقال: إذا خيّرك الله تعالى في شيء فاختر عدم الاختيار، ولا تقف مع شيء ولا ترى لنفسك معه شيئاً، واحذر أن تحزن على فوات شيء، فلو كان لك.. ما فاتك.

وكان يقول: الشريعة والحقيقة كفّتا الميزان، وأنت قلبها، فكل كفة حصل

---

(١) سورة الرعد، الآية ٣٩.

لك ميل إليها كنت من أهلها، وإن ملت إليهما كنت حكيم الزمان. وقال: عليكم بتنظيف باطنكم من: الحرص، والبغي، والحقد، والكِبْر، ونحوها. فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذه الحالة، فكيف بالحق عز وجل، قال تعالى: «يا داود طهِّر لي بيتاً أسكنه» الحديث. ولا تتركوا النصح لاخوانكم ولو ذموكم لأجل ذلك وشتموكم، وأخرجوا من قلوبكم كل شيء علقت به نفوسكم من علم أو حال فضلاً عن الشهوات المحسوسة، وعليكم بإصلاح الأطعمة فإنها أساسكم الذي تبنون عليه دينكم، وإذا غضب شيخكم على أحد فمن الأدب إظهاركم الغضب عليه تبعاً لشيخكم، ولكن مع الرحمة له بالباطن فإن علمتم أن غضب الشيخ عليه لحظ نفسه كما يقع لبعض المعاصرين من المتمشيخين بالجدود أو بأنفسهم فإياكم أن تغضبوا عليه.

وكان يقول: إذا فاجأك حال من الحق، فلا تدفعه ولا تستجلبه لجميع حواسك، ولا تفعلك لأن ذلك سوء أدب، واحذر أن تظهر لك حالاً أو وصفاً دون أن يتولى الله ذلك من غير اختيارك.

وقال: حقيقة القرب من الله تعالى هو الغيبة عن شهود ذلك القرب فإن شهود القرب يمنع العلم بالقرب، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

وقال: احذروا أن تزكوا أنفسكم الظالمة فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ الآية. وفي هذا القدر كفاية.

وحج رضي الله عنه ثلاث حجات على التجريد، فلمّا كانت الأخيرة خرجوا به إلى المحارة محمولاً، فقال له بعض أصحابه: ما هذا الحج وأنت على هذا الحال؟ فقال: إنما أسافر لترابي لا للحج، قد قرب أجلي وترابي في تربة بدر عند مسجد الغمام، فكان الأمر كما قال. وتوفي ببدر ودفن عند الشهداء بجانب قبر السيد أحمد الرديني رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم.

[إبراهيم عصيفير]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ الصالح المجذوب إبراهيم عصيفير[1]، المصري

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢٩٥، الكواكب السائرة ٢/٨٥).

الزاهد، العارف المنيب، الخائف السالك لجادة الطريق، والسالك جواهر الحقائق والتحقيق، أصله من نواحي البحر الصغير يعمل في التبن صيفاً وشتاء، وأوقاتاً في المحرث، وأوقاتاً في الفرن، وكان ينام مع الذئاب في البرية، ومع الرهبان في الكنائس، فسئل عن ذلك، فقال: نمت مرة في الجامع الأزهر فسرقوا عمامتي ونعلي وَلِي مدة أنام عند هؤلاء ما سرقوا لي شيئاً!!. وكان إذا غلب عليه الحال يدور يغلق على الناس أبوابهم، ويقول: تمنعهم من أذى بعضهم بعضاً، وكان ينكر على المؤذنين، ويقول: إنما يُكَبِّر الناس على النصارى، وربما يرجم المؤذن بالحجارة، وكان يقول: صوم هؤلاء المسلمين عندي لا ثواب فيه، لأن أحدهم يشتري يوم صومه خمسة أرطال لحماً ويأكل بعد العشاء وقبل الفجر، فلو حسب أكله في رمضان، لوجده أكثر من الأكل في الفطر، وَلَيتهم يصومون مثل صيام النصارى يفطرون على زيت أو خل، ويقول: الصائم حقيقة من لا يأكل اللحم. وكان إذا مر عليه بجنازة جَمَع الأطفال ومشى أمامها، ويقول: زلابية هريسة، ويكررها.

وكان يقول: أنا أكره من يصلي وهو يأكل الحرام، ومزح معه رجل في الحمّام فقال: اسكت وإلا كسرت رجل ثور الساقية، فقال: ما أسكت ما هو ثور ساقية الحمام؟ فانكسرت رجله، فجاءه الحمّامي فقال: يا سيدي ايش ذنب الثور؟ فقال: اشتر له بطيخة صيفي، وأسقها له يبرأ، ففعل فبرأ في الحال. وخرج معه رجل يسمى القلعي، وكان عاكسه العوال في الدقاق، فقال: الله يرزق البعيد بلاء في رجله لا يخرج منه إلا بالموت، فتورمت رجلاه وانتفخت فصار لا يقدر يستنجي فكانت ثيابه ملطخة بالقذارة، ولم يصل بعد ذلك ركعة إلى أن مات على أسوأ حال.

وقال له المحتسب: إدع لي، فقال له: الله يبليك بقاتل يقتلك قريباً، فقتل تلك الليلة، وقال له الشيخ محمد المنوفي: إدع لبنتي، فقال: الله يجعل ثالثها بعد غد، فماتت لوقتها، ومر على الأمير سودون وهو يعمر قطر فرجمه، وقال: أنتم فرغت مدتكم، وما بقي لكم سكنى هنا، فسافر الغوري لقتال ابن عثمان، فقتل وخربت دور عسكره.

وأخذ محلقين من بعض القضاة، وأمر السقاء أن يصب ماءاً بالمحلقين تحت منارة مدرسة أم خوند، فأنكروا على القاضي، وقالوا: لاشتريت بهما خبزاً للفقراء، فلما جاء الليل ظهرت النار في المنارة والناس في التراويح لأن الوقاد لمّا أوقد القناديل نسي فتيلة، وكانت ليلة ريح فاحترقت المنارة، وسقطت النار على محل الماء الذي جبسه الشيخ فانطفت، وسلمت الربوع التي تحتها.

ومر على طباخ فرمى في قدره ميتة جرو كلب فبحثوا عنه فوجدوا معه ميتة. ومر عليه شخص بإناء فيه لبن فكسره، فوجد فيه حية.

وكان له جار يصلي في المسجد، فقال: احفظو حوائجكم وقت الصلاة، فلم يُلتفت لقوله، فلما رجع وجد اللصوص قد أخذوا جميع حوائجهم. وجاء الأمير جانم الحمزاوي، وقال: إني مسافر إلى اسطنبول، خاطرك معك، فقال: تروح وترجع سالماً، وذهب إلى الشيخ محيسن فقال له: إن رحت يشنقوك، وإن قعدت قطعوا رأسك، فرجع إلى عصيفير فقال: تسافر وتجيء مطيباً، ولكن ابن لي مدفناً، فأمر له بعمارة المدفن الذي دفن فيه، ومات الشيخ قبل دخول الأمير جانم من الروم بيومين، فلما عاد قطعوا رأسه بمصر هو وولده كما سيأتي. ولم يزل على حالته إلى أن فرغت مدة حياته، ودفن بزاويته تجاه الشيخ أبي الحمائل، رحمهم الله تعالى وإيانا.

[علاء الدين]

وفيها [٩٤٢]: توفي السيد علاء الدين ملك التجار. كان له فهم وذوق ومشاركة في بعض العلوم ومعرفة باللغات، كان يعرف عشرين لغة، وأصله من شيراز وسافر إلى الديار الهندية ووزر لبعض سلاطين الكفار هناك، وارتفع شأنه عندهم فلما مات ذلك الكافر اختلس السيد أشياء كثيرة من الجواهر والماس وهرب إلى عادل خان فأرسل الكافر المتولّي بعده وطلبه ويستخونه، فقال عادل خان: كيف أدفع رجلاً شريفاً إلى كافر؟ فوقع الحرب بينهما، فانكسر عادل خان فهرب السيد إلى السلطان مظفر، فأرسلوا يطلبونه، فلما أحس السيد بذلك هرب إلى مكة، ثم إلى الروم وقدم لإبراهيم باشا من الجواهر ما أدهشه، وصار يسميه أباه، وباع أحجاراً كثيرة، يقال: باع حجراً واحداً بمائة ألف دينار، ثم أتى مكة، وكان

ناظر النظار بها، وأذعنت له الأكابر وكان له إحسان تام لا سيما الفقراء بحيث أنه ليلة توفي سمع الضجيج من كل بيت وكثر بكاء الفقراء عليه، رحمه الله تعالى.

[أحمد السطيح]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ أحمد السطيح، كان كسيحاً يركبه خادمه على فرس في حضنه كالطفل، وكان له طرطور جلد طويل، وعليه جبة حمراء، وكانت آثار الولاية ظاهرة عليه لكل من يراه، لطيف المباسطة، حسن المعاشرة، وكانت تأتيه الهدايا من كل فج وكان يلبس النعل الجديد، فيذوب في أسبوع ويوجد فيه الحصا والرمل، وحكت زوجته أنه كان يتطور بعد العشاء فيصير شاباً، وبعد العشاء إلى الفجر فيعود إلى الزمانة. وكان متزوجاً أربعاً، وله كرامات:

منها: أن من ردّ شفاعته عَطِب. وهزأ به إنسان وما كان في طرطوره وهيئته فتورم عنقه، وأشرف على الموت فأتى إليه به فضحك، وقال: تزاحمني على الكساح؟ ثم دهن عنقه بزيت وتفل عليه، فبرأ. وسخر به إنسان ولبس طرطوراً، فأكل شيئاً وقف في حلقه فمات حالاً. وخطب بكراً فأبت، وقالت: ضاقت على الدنيا حتى أتزوج كسيحاً، فلحقها الفالج حالاً فماتت بعد مدة. وأتي بامرأة كسيحة فدهنها بزيت، وتفل عليها، فقامت، فقيل له: اعمل هذا لنفسك، قال: ما أعتقد نفسي. وأيضاً أنا مع الإذن لا مع محبة نفسي. وشفع عند حاكم متوف في محبوس فقبل وأخرجه، ثم أعاده في الحبس، فأصابته غدة في عنقه فمات.

[محمد التتائي]

وفيها [٩٤٢]: توفي العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي ـ بفوقانيتين ـ شمس الدين، قاضي قضاة مصر، المالكي، المحقق، عمدة العلماء وعدة العظماء[1]. وُلد تقريباً سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وأخذ عن البرهان اللقاني والنور السنهوري، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ داود، والشيخ أحمد بن يونس القسطنطيني، والجلال القمصي، والشيخ الهرساني، والحافظ

(١) أورد صاحب معجم المؤلفين (٨/ ١٩٤) تاريخ وفاته سنة ٩٣٧هـ ونقل عن «شذرات الذهب» أنه توفي بعد سنة ٩٤٠هـ وفي الكشف والإيضاح: توفي سنة ٩٤٢هـ.

عثمان الدين، والشهاب الشاوي. وبرع في الفقه والحديث والفرائض والحساب والميقات، وكان ذا عفة ودين وفضل وصيانة وتواضع، وتولى القضاء وتركه، واشتغل بالتصنيف والتدريس، فمن مصنفاته: شرح البخاري، وشرح مختصر خليل بن إسحاق ـ شرحين كبير وصغير، ولخّص من التوضيح شرحاً لابن الحاجب في سفرين، وشرح الإرشاد في فقه المالكية والجلال والرسالة والقرطبية والشامل، ولم يكمل، ونظم مقدمة ابن رشد، وألّف في الفرائض والحساب والميقات، قال بعضهم: أخذ ما تعب فيه أبو الحسن الشاذلي في شروحه الستة على الرسالة وشرحه باختصار. انتهى، قال القرافي: وهذا من قائله تحامل بل من وضع شرحاً على خليل وغيره لا يصعب عليه شرح الرسالة حتّى يستعين بما ذكره، وفي شرحه فتح الجليل مواضع كثيرة، وهم فيها نقلاً وتقريراً تتبعها والدي ثم شيخنا بَغْمُ انتهى، وذكره الحافظ نجم الدين الغيطي في شيوخه، وقال: أجازني مؤلفاته ومروياته.

[محمد القرابازي]

وفيها [٩٤٢]: توفي المولى محيى الدين محمد القرابازي، قرأ في بلاد العجم في كثير من العلوم، ثم أتى الروم وأخذ عن المولى يعقوب بن علي شارح الشرعة وصار معيداً لدرسه، ثم صار مدرساً في بعض المدارس ثم في مدرسة أزنيق، ومات وهو مدرس بها، وله تعليقات على الكشاف والبيضاوي والتلويح والهداية، ورسالة إثبات الوجود للعلامة الدواني، وله حواشي على الوقاية لصدر الشريعة، وله كتاب في المحاضرات سمّاه جالب السرور، وكتب على كتبه كثير من العلماء ووضعوا عليها خطوطهم. وكان سليم الصدر، كريم النفس، صحيح العقيدة، مرضي الطريقة، أديباً لبيباً، متواضعاً، رحمه الله تعالى.

[ابن الطبّاخ]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ حسام الدين حسن الشهير بابن الطباخ. وُلد بمدينة كليبولي، واشتغل بالعلم وصحب الشيخ القراماني، ثم وُلّي تدريس كليبولي ثم مدرسة توقات، ثم تنقّل من مدرسة بلاد إلى أخرى، ثم عزل وعين له مائة درهم كل يوم بطريق التقاعد، واستمر كذلك إلى أن مات، وكان خفيف الحاذ لا

ولد له ولا مال ولا أهل، وكان كريماً ممالئ الهمة ذكياً أديباً رحمه الله تعالى.

[أحمد بن عبد الله]

وفيها [٩٤٢]: توفي الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الله[1]، أصله من عتقاء السيد إبراهيم الإماسي المتقدم ذكره، ثم اشتغل بطلب العلم، وأخذ عن مولاه المذكور وغيره، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس منها إحدى المدارس الثمان، ثم وُلّي قضاء دمشق الشام المحروس واستمر كذلك إلى أن توفي ودفن فيها، وكان فاضلاً أديباً حسن العقيدة، محباً للعلماء والصلحاء، وكان سليم الصدر حسن المجاورة، صبوراً وقوراً متواضعاً. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الفتاح القزويني]

وفيها [٩٤٢]: وفيها توفي عبد الفتاح القزويني الطبيب الماهر. وُلد سنة أربع وسبعين وثمانمائة، واشتغل بالمعقوليات والطب وغير ذلك ورحل إلى الهند، وصار من أصحاب خداوند خان وزير السلطان مظفر الكجراتي ثم قدم مكة فحج وجاور بها وكان ضنيناً بالمعالجة مع حسن تصرفه فيها، واستمر بالمدينة إلى أن مات بها سابع شوال. رحمه الله تعالى.

[ابن نافع الخزاعي]

وفيها [٩٤٢]: مات علي بن حسين بن محمد بن نافع الخزاعي المكي، ويعرف بحمين، كان له حسن عشرة ولطافة، مولده سنة سبع وسبعين وثمانمائة بالهند، وقدم به والده صغيراً، وتقرّر في فراشة المسجد الحرام، وله أسفار إلى اليمن وإلى مصر، وكان يتردد إلى الأكابر وكان يجتمع بالحافظ السخاوي، ويتجسس له أخبار الناس فيأتيه بغرائبها، وكان يحسن إليه. ومات بمكة في ذي الحجة، رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر: «الكواكب السائرة ٢/١٠٩».

سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة

[أحمد بن عمر الصنهاجي]

في ليلة الجمعة في ربيع الثاني توفي الشيخ أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي والتنبكتي يعرف بالحاج المالكي التكروري. أخذ عن جده لأمه الفقيه بن ضمجر الحديث والفقه والنحو ورحل إلىٰ مصر، وأخذ عن جلال الدين السيوطي، والشيخ خالد الأزهري، وحج سنة تسعين وثمانمائة، ودخل بلاد السودان، ودرّس وأفاد وانتفع به جمع كثير أجلهم الشيخ محمود الفقيه، قرأ عليه المدونة وغيرها، ورجع إلىٰ بلده في فتنة الخارجي عن سن عال، وطُلِب للإمامة فأبى، وكان ملازماً لقراءة كتاب الشفاء ومدائح النبي ﷺ، كثير الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وكان مواظباً علىٰ العلم قراءة وكتابة وكتب بخطه وخلّف نحو سبعمائة مجلد، وكان فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً، ذا مروءة وفتوة وديانة وتحرّ في الدين، وهو أكثر الثلاثة الأخوة شهرة وعلماً وديناً في قطرهم، **وله كرامات كثيرة:**

من مشهورها: أنه لما زار قبر النبي ﷺ، طلب الدخول إلىٰ داخل الحجرة، فأبى الخدام، فجلس خارجها يمدح النبي ﷺ ويصلي عليه حتىٰ انفتح له الباب، فتبادروا لتقبيل يده، ولم يزل يزداد في طلب العلوم حتىٰ وافاه أجله المحتوم، وقدم علىٰ الحي القيوم، وانتقل عن نحو ثمانين سنة. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[عبد الله باسرومي الشحري]

وفيها [٩٤٣]: توفي القاضي عبد الله بن أحمد باسرومي الشحري[١] صاحب الكمالات العملية، والآداب العلمية، المواظب علىٰ السنن الشرعية والأذكار النبوية. وُلد ببندر الشحر المحروس، ونشأ بشُوحه المأنوس، وحفظ القرآن، واشتغل بعبادة الرحمٰن، وطلب العلم الشريف من صغره.

وارتحل إلىٰ مدينة زبيد، فأخذ بها عن عالمها العلامة كمال الدين موسى بن الزين، والعلامة جمال الدين محمد بن حسين القمّاط، وغيرهما، ورجع إلىٰ بلده (الشحر)، فأخذ بها عن شيخها وعالمها الفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل المعروف بابن الحاج، ولازمه ملازمة تامة حتىٰ تخرج به، وسعىٰ له في وظيفة القضاء في آخر أيام السلطان عبد الله بن جعفر، فولاّه القضاء أول سنة عشر بعد تسعمائة بعد وفاة القاضي عبد الله عَبْسَين بنحو سنتين، وسار سيرة حسنة، وحُمدت أفعاله، وحسنت أقواله.

وجلس للتدريس، وانتفع به جمع كثير من أهل بلده وغيرهم. قال العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة: وقرأت عليه من أول منهاج النووي إلىٰ أوائل كتاب الحج، ولم يُقدَّر لي غير ذلك، وكان يقول لمن يسأله عن قراءتي: استفدت منه أكثر مما استفاد مني.

وكان لطيفاً، قريب الجانب، سليم الباطن، يحب الطلبة ويؤهلهم، ويحب الإفادة والاستفادة، كثير الاعتناء بـ«الروضة»، قوي الصبر علىٰ الطاعة والأوراد النبوية، كثير التعظيم للأكابر من العلماء والسادة والصالحين، واعتنى بحاشية علىٰ «الروضة» لكن خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته. وكأن أحداً من حساده ظفر بها، وأعدمها. واستمر قاضياً بالشحر إلىٰ أن عزم علىٰ الحج، فلما وصل مكة توفي بها قبل الحج في شهر ذي القعدة، ودفن بالمعلاة. ورضي الله عنه.

[إبراهيم عصام الدين]

وفيها [٩٤٣]: توفي الشيخ إبراهيم عصام الدين. العالم العامل، الفاضل الكامل. طلب العلم وحصّل منه طرفاً صالحاً، وأخذ عن علماء عصره وفضلاء دهره، وجلس للتدريس وانتفع به جماعة من الطلبة، ونظم بعضهم وفاته، فقال:

مات مولانا عصام الدين ... عنده كان كل شيء سهل
هو بالفضل كان متصفٌ ... جاء تاريخ موته لفضل

[محمود الرومي]

وفيها [٩٤٣]: توفي السيد محمود الرومي، كان والده معلماً للسلطان بايزيد

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٢٠١، النور السافر ـ ص ١٨٨، وفيه قال: ذكره الفقيه عبد الله أبا مخرمة في ذيل طبقات الأسنوي).
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١٢١).
(٣) انظر: (درر نحور الحور العين)، البرق اليماني في الفتح العثماني ص ٥٧، ٥٩.
(٤) انظر: (القاضي إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن ـ ص ٣٦٠).

خان، ومات ومحمود صغير فرباه بعض الصلحاء، وتعلم القرآن، واشتغل بتحصيل الفضائل، وأخذ عن جمع منهم المولى لطفي التوتحاني، والمولى الفاضل بن بومكي، ثم سلك مسلك التصوف، ونصّبه السلطان بايزيد خان نقيباً للأشراف، وكان كريم الأخلاق سليم الصدر عزيز النفس، صحيح العقيدة رضي السيرة محمود الطريقة، وكان سخياً تقياً يحب الفقراء والضعفاء، ويواسيهم بحاله وماله، وكان حسن المحاورة لطيف المحاضرة، طارحاً للتكلف، له نظم حسن وإنشاء مستحسن وأكثر نظمه بالتركية.

[إسحاق الأسكوبي]

وفيها [٩٤٣]: توفي المولى إسحاق الاسكوبي[١]، أحد العلماء بالديار الرومية، قرأ على كثيرين من العلماء وصحب جماعة من الصلحاء، منهم: المولى القاضل بالي الأسود، ثم وُلّي عدة مدارس ببلدان كثيرة، ثم وُلّي دار الحديث بـ (أدرنة) ثم تدريس إحدى المدارس الثمان، ثم صار قاضياً بدمشق المحروسة، واستمر كذلك إلى أن توفي، ودفن بها. وكان فصيح اللسان صدوقاً حافظاً للتواريخ والخطابة، وله نظم حسن بالتركية وإنشاء بليغ، وكان متجرداً عن الأهل والأوطان غير ملتفت إلى الدنيا وأهلها وفخامتها، متقشفاً قانعاً زاهداً عابداً. رحمه الله.

[فخر الدين إسرافيل]

وفيها [٩٤٣]: توفي الفاضل فخر الدين إسرافيل أحد علماء الروم، قرأ بعض العلوم وأخذ عن المولى جعفر حلبي ابن التاجي الطغرائي، وجدّ في الطلب، وحصّل طرفاً صالحاً، ثم وُلّي عدة مدارس في عدة بلدان، ثم وُلّي قضاء دمشق الشام، وعين له كل يوم ثمانون درهماً بطريق التقاعد، ثم وُلّي دمشق ثانياً، ثم عزل وحج، ولما عاد أعطى مدرسة السلطان مرادخان بمدينة (بروسّا)، وعُيّن له ثمانون درهماً، ثم حصل له اختلال في دماغه، واستمر به إلى أن مات، وكان له ذكاء وفطنة، فصيح اللسان طلق اللسان، جريء الجنان، له مشاركة في كثير من

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٢٥).

العلوم، واعتناء بالعلوم العقلية، وكان مواظباً على الآداب الشرعية والسنن النبوية.

[محيي الدين بن خير الدين]

وفيها [٩٤٣]: توفي محيي الدين بن خير الدين، معلم السلطان سليمان. قرأ القرآن وحصّل طرفاً صالحاً من العلوم لا سيما الأدبية والعقلية، ووُلّي مدرسة مصطفى باشا بقسطنطينية وتوفي وهو شاب، وكان عاملاً بعلمه محافظاً للسانه وقلمه أديباً ملازماً للآداب الشرعية والسنن النبوية، محبوباً محباً للعلوم وأهلها، رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد المعطي النووي]

وفيها [٩٤٣]: توفي الشيخ عبد المعطي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر النووي الأصل، القاهري، المكي الوطن، وُلد في حدود الستين وثمانمائة وتردد إلى مكة المشرفة وقطنها، وتزوج ابنة الشيخ عبد الكبير بن يَس وأولدها ذكوراً وإناثاً وماتت معه، وتقرب من صاحب مكة السيد بركات وولده السيد أبي نمي وكثرت أملاكه، وسافر إلى الروم، واعتقده إبراهيم باشا لمجربات وقعت له معه، ورتّبه في الجوالي والعسر، وأعطاه مالاً جزيلاً ولا يخلو من دهاء واحتمال وشح، مات بمكة في رجب ودفن بالشعب الأقصى عند الشيخ عبد الله الكبير رحمه الله تعالى.

[الأمير إسكندر]

وفيها [٩٤٣]: توفي أمير اليمن من قبل السلطان الأعظم سليمان خان، الأمير إسكندر مور[١]. كان عادلاً كريماً شجاعاً، وافر العقل حسن التدبير، له اعتقاد في العلماء وأهل السلف والصلحاء، وكان له سماط ممدود فيه نفائس الأطعمة وطعامه مبذول للناس كلهم، ويجتمع عليه العسكر وينعم عليهم ويضبطهم ويحب الرعية ويحن عليهم ويمنع الظلم عنهم، ويحسن إلى الفقراء والمساكين والضعفاء والأرامل، ويقبل الهدية ويجازي عليها، ويكرم من وفد إليه من البلدان، حكي أن شيباً من بني شيبة وفد إليه من مكة، فأكرمه وعظمه، وقال له: إن أقمت

(١) انظر: (درر نحور الحور العين، البرق اليماني في الفتح العثماني ـ ص ٥٧، ٥٩).

عندنا إلى الموسم الهندي نلت منا فوق مطلوبك، فقال: ليس لي طاقة على الغربة، واشتقت إلى بلدي، فأعطاه ألف دينار ذهباً واعتذر منه. وإن امرأة أتته بغصن فافية طويل نحو الذراع، وقالت ربيته بأسمك فتناوله، واستعظمه وأراه جلسائه وملأ حجرها فضة، وكتب لها أن تكون أرضها معافاة، وأمر لها ببقرتين حسان.

وبالجملة فمحاسنه كثيرة، وأحكامه مشكورة، وكان قد استكثر من العبيد السودان وضبط العسكر بهم وضبط العبيد بالعسكر، ولم يستخدم غير هذين الفريقين، واستمر في ملكه ستة أعوام ونصف، وبنى مدرسة عظيمة بمدينة زبيد تسمى الإسكندرية[1]، وأحبته الرعية، وكان أكولاً، يقال: إنه كان يأكل الكبش وحده، وكان كثير العبادة، واستمر كذلك إلى أن مات. رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة أربع وأربعين وتسعمائة

[نور الدين الشوني]

توفي الشيخ نور الدين الشوني[2]، شيخ مجالس الصلاة على رسول الله ﷺ في الجامع الأزهر والحرمين والقدس ودمشق وقُرى مصر، المُجمع على جلالته وصلاحه. وُلد بعزبة شون قرية من قُرى مصر، ونشأ بها، وقرأ على جماعة من العلماء العاملين والأولياء العارفين، وكان يكثر من الصلاة على النبي ﷺ في صغره، وكان إذا سرح بالبهائم ينادي الصبيان، ويقول لهم: صلوا معي على النبي ﷺ، ويعطيهم جُعلاً على ذلك، وربما أعطاهم غداه. ثم انتقل إلى محل سيدي أحمد البدوي، فأقام فيه مجلس للصلاة على رسول الله ﷺ ليلة الجمعة ويومها، ويجلس من بعد العشاء إلى الصبح، ومن بعد صلاة الجمعة إلى المغرب، ومكث نحو عشرين سنة ثم خرج يودع أصحابه فعام المركب بهم وما رضي رئيس المركب يردهم، فدخل مصر فأقام في تربة البرقوقية بالصحراء ويأتي إلى الجامع الأزهر للصلاة على النبي ﷺ، فاجتمع عليه خلق كثير ومماليك من مماليك

(١) انظر: (القاضي اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن ـ ص ٣٦٠).
(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٢٥٥).

السلطان قايتباي، وذلك سنة (٨٩٧هـ) سبع وتسعين وثمانمائة فنازعه المجاورون بالجامع الأزهر، وكتبوا فيه فتاوى بأبطال المجالس، ولم يمتنع، وكتبوا سؤالاً للشيخ برهان الدين الشافعي فقطعه، فاستفتوه في كثرة الشموع والقناديل التي توقد في المجلس، وقالوا: هذا فعل المجوس، فأفتى برهان الدين ما دام النور يزداد بزيادة الشمع والقناديل فهو جائز، ولا يحرم إلا أن وصل إلى حد لا يزداد الناس ضوءاً، وأفتى بعض المالكية بأن هذا السهر مكروه لأن الله تعالى، جعل الليل سكناً، وهذا لم يجعله سكناً، فقطعها برهان الدين ثم انتصر له الشيخ شهاب الدين القسطلاني، وصنف كتاباً في الرد على من أنكر ذلك وحث على حضور المجلس، وصار يحضر ويأتي بشرحه على البخاري فيضعه وسط الحلقة إلى الصباح رجاء القبول، فوقعت فتنة بين الذين تحزّبوا عليه، وتفرقوا لكن بعد عشر سنين.

وكان ورده من الصلاة على النبي ﷺ عشرة آلاف بالنهار، وعشرة آلاف بالليل، ولم يبلغنا أن أحداً من المشايخ له ورد يشتغل به الفقراء جماعة إلى الصباح سوى نور الدين، إنما أوراد المشايخ تقرأ بعد العشاء إلى نحو ثلاث ساعات. وممن لازمه في ذلك: الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، لازمه في الجامع الأزهري نحو خمس سنين، ثم قال له: ألا نجمع لك جماعة في جامع العمري، ونسهر بهم لعل يحصل ثم من يوافقك، فجلس سنة (٩١٦هـ) ست عشرة وتسعمائة، فاجتمع عنده خلق كثير وأوقدوا شموعاً وقناديل، كما يأتي في ترجمة الشيخ عبد الوهاب.

وكان نور الدين حسن المعاشرة، جميل الخلق، كريم النفس، لا يكاد تسمع منه كلمة فيه رائحة لمعرفة شيء من الطريق، وكان ـ في القلب ـ لا يظن أن أحداً يكذب، باطنه كباطن الطفل لا غل فيه، ولا حقد، ولا حسد، ولا خديعة، ولا عجب، ولا رياء، وإذا نزل بالمسلمين هم لا يقر له قرار، ولا يضحك حتى يجلي عنهم، وكان يُرى في مكة وعرفة، وكان ينكر ذلك ويقول: لعلهم شبهوا بي، فحلف رجل منهم بالطلاق الثلاث أنه رآه في عرفات، ورآه بعضهم في البحر وهو يأخذ بيد الركبة ويوصلهم إلى البر، وحلف بالطلاق، فتعجب الشيخ من حلفهم، وقال: أنا ما فارقت مصر في هذا العام، ولا علمت بغرقهم إلا منهم، فكيف هذا

الحال؟ فقال تلميذه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: هذا من شدة اعتقادهم فيك، فينشيء الله من قوة توجههم إليك شخصاً على صورتك يقضي حوائجهم، فقال: الآن زال ما عندي.

ورآه كثير من الأولياء، مجالساً للنبي ﷺ، ولما مرض مرض الموت، مكث نيفاً وخمسين يوماً على جنب واحد، ولم يتقلب حتى ذاب لحم ظهره، وصار النمل يدخل جسده ويخرج، ولم يتأوّه قط، فلما مات ما ضموا لحم ظهره إلا بالقطن وورق الموز، ورآه تلميذه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي بعد موته بسنتين وشيء وهو يقول له: غطني فإني عريان، فلم يعرف ما أراد، فمات. ولد الشيخ عبد الوهاب تلك الليلة، فحفروا له قبر الشيخ نور الدين فوجدوه مثل ما دفنوه لم يتغير شيء من جسده، فغطاه عبد الوهاب بملاءة، وقال: هذه وديعة عندك فإذا قمت من قبرك، وألبسوك الخلعة أرسل لي بملاءتي. وقبره معروف في زاوية الشيخ الشعراوي، رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

[عبد الرحمن المجذوب]

وفيها [٩٤٤]: توفي الشيخ عبد الرحمن المجذوب، كان من أكابر العارفين، مستغرقاً في جميع أوقاته، له كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة قال سيدي علي الخوّاص: ما رأيت أحداً قط من أرباب الأحوال، دخل مصر إلا ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن المجذوب، وقال أيضاً: ما مثّلت نفسي إذا جلست عنده إلا كالقط عند السبع. وكان يخبر بوقائع الناس في سائر الأرض، قال الشيخ عبد الوهاب: وكان يرسل لي السلام، ويخبرني بوقائعي بالليل على التفصيل، وحصل لي وارد صار جسمي كالنار فنزعت ثيابي، ومررت بحارته بالليل فقال لخادمه: اذهب بهذه البردة، وغط بها عبد الوهاب، قال له في ذلك الوقت. ومكث مقعداً نحو خمس وعشرين سنة، أقعده الفقراء، وافتتنت به امرأة فقطع ذكره بيده، وكان يجلس في خلوة مفروشة بالرمل صيفاً وشتاء وإذا جاع يقول: اطعموه، وإذا عطش يقول اسقوه، وكان يسكت ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت، وكان يتكلم بالسريانية، ولما مات دفنوه بزاويته قريباً من جامع الملك الظاهر بالحسينية بمصر المحروسة، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[عبد الرحمن الدّيبع]

وفيها [٩٤٤]: في شهر رجب، توفي الحافظ وجيه الدين، عبد الرحمن علي الديبع ـ بفتح الدال المهملة والموحدة بينهما تحتية ساكنة آخره عين مهملة، ومعناه بلغة السودان الأبيض ـ صاحب التصانيف الشهيرة، والعلوم الكثيرة، نادرة الدنيا، وراقي الذروة العليا، عالم الربع المسكون، وآية الله الباهرة في جميع الفنون، جمال أصحاب التحقيق، وكمال أرباب التدقيق، مَن أشبه المتقدمين عبادة وعلماً، وأوسع المتعلمين إفادةً وحلماً، ذو الذهن الذهين في بيان العبارات وحل رموزها، والفكر المبين في فك طلسماتها وفتح كنوزها. وُلد رضي الله عنه يوم الخميس رابع محرم سنة(٨٦٦هـ) ـ ست وستين وثمانمائة ـ بمدينة زبيد، وحفظ القرآن العظيم بالتجويد، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، واعتنى بعلم القراءات والتفسير، وبرع في علم الحديث رواية ودراية، وأكثر الأخذ عن علماء عصره، وفضلاء دهره. ومشايخه لا يحصون لأنه سمع ببلده وبالحرمين من كثيرين، وأجازه جمع منهم، وانتفع به جماعة في كثير من الفنون وصنّف التصانيف المفيدة، الجيدة العديدة، منها: . . .[1] وتمييز الطيب من الخبيث، وبغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد[2]، والفضل المزيد في تاريخ زبيد[3].

[عمر باشيبان]

وفيها [٩٤٤]: توفي السيد الشريف عمر بن محمد بن أحمد بن أبي بكر باشيبان باعلوي[4]. فريد الزمان، ووحيد العصر والأوان، والحائز قصب السبق في

(١) فراغ بالأصل. وذكر صاحب «شذرات الذهب ٨/٣٠٥» عدداً من مؤلفاته ـ غير المذكورة هنا ـ: «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» في مجلدين، و«مصباح المشكاة» و«شرح دعاء ابن أبي حربة» و«غاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب ويوجب به الجنة» قال: وله «مولد شريف نبوي» و«كتاب «المعراج».

كما ذكر له صاحب «معجم المؤلفين ٥/١٥٩»: تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث».

(٢) نشره الأستاذ عبد الله الحبشي، وصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني.

(٣) مطبوع بتحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور يوسف شلحد. صدر عن مركز الدراسات.

(٤) انظر: (النور السافر ـ ص ١٩١).

مضمار تلك الحلبة من أولئك الجمهور، والفائز بأوفر حظ من ذلك الظهور، العالم الذي باهت به الأيام، وتاهت في يمينه ألسنة الأقلام. وُلد سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بمدينة (قَسَم) السنية الشهيرة بالديار الحضرمية، وأخذ بها عن جماعة من العلماء، وصحب جماعة من الأولياء والفضلاء، ثم رحل إلى (تريم)، فأخذ من مشايخها الكرام، وساداتها الأشراف الفخام، منهم: العلامة الفقيه السيد محمد بن عبد الرحمٰن بلفقيه، وعن النجم الوهاج الفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج، وحفظ عليه «الإرشاد» و«الوردية في النحو» وغيرهما، وعرض محفوظاته عليه، ولازم السيد محمد المذكور في العلوم الشرعية والآلية، وأخذ عنهما طريق الصوفية، ثم رحل إلى صاحب المقامات والأحوال، الشيخ معروف بن عبد الله باجمال، فأخذ عنه الطريق، وقرأ عليه كثيراً من كتب التصوف، وعاد إلى تريم فأخذ عن الشيخ العارف بالله تعالى عبد الرحمٰن ابن الشيخ علي، ولازمه، وتخرج به، ولبس خرقة الصوفية[1] من هؤلاء المشايخ المذكورين، واختص بالأخير، وأجازوه، ورجع إلى بلده (قسم) وجلس للتدريس. وانتفع به جماعة كثيرون، وتفقه عليه الطالبون.

وله نظم بديع، ونثر حسن، وصنف كتباً، منها: كتاب «ترياق القلوب الواف بذكر أحوال السادة الأشراف». ولما أتى الشيخ علي بن علي بايزيد الدوعني إلى (حضرموت) لزيارة مَن فيها والأخذ عنهم، واجتمع بصاحب الترجمة، أخذ كل منهما عن صاحبه، ومنحه من مواهبه. ثم عزم الفقيه علي على زيارة القبر الشهير بقبر هود، فقال له صاحب الترجمة: ستجد عند القبر رجلاً يقال له: محمد بن سليمان، يتكلم بكلام يقول إنه منام، وهو من طريق الكشف، وعنده اثنان من أولاد الأشراف، أحدهما: عقيل بن عبد الله، والآخر: عبد الودود؛ فالتمس بركتهم، واحذر من الاعتراض عليهم، وستعود إلى بلادك سالماً غانماً، وتزور أهل (حضرموت) مرة ثانية، فكان الأمر كما قال.

وكان صاحب الترجمة يغلب عليه الخمول، ويكره الشهرة والفضول. وكان

(١) في ب: التصوّف.

كريماً سخياً، يكرم الضيف، ويقوم بما يحتاجه في الشتاء والصيف. وكان كثير الصيام، والتهجد والقيام. ولم يزل على هذه الحالات إلى أن دعاه داعي الممات، وانتقل بـ(قَسَم) وقبر بمقبرتها المشهورة، رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الله جمل الليل]

وفيها [٩٤٤]: لثلاث عشرة من جمادى الآخرة توفي السيد الشريف، عفيف الدين، عبد الله بن هارون بن حسن بن علي[1] بن الشيخ محمد جمل الليل باحسن[2]. العالم العامل، الصالح الكامل، الناسك العابد، الكامل الزاهد، أحد الأجواد المشهورين، والكرام المعروفين. كان يكثر الصدقة، لا سيما الأيام المشهورة، خصوصاً يوم عاشوراء، فكان يُعِدُّ لذلك اليوم أحسن التمر، ويُعِدُّ له سليط السمسم، وينادي الفقراء، ويعطي كل واحد ما يكفيه من ذلك التمر، ويضع له من ذلك السليط. وكان له غنم كثيرة، وكلما سمنت شاة.. ذبحها للفقراء، وأكثر صدقاته التمر واللحم، وكان كثير الخوف، كثير الاتعاظ بالموت.

وكان أخوه عليٌّ ذا مال كثير، وكان يذكره كل يوم الموت، ويقول: ما عندك من النقد مثل الحجر لا ينفعك منه إلا ما تصدقت به، فيبكي أخوه علي. وكان يتجنب لغو الكلام، لا يتكلم إلاّ بوعظ أو ما يحتاج إليه. وكان يحب المساجد، كثير الاعتكاف، كثير الصلاة لا سيما بالليل، كثير التهجد والعزلة، يؤثر الخمول. وكان متواضعاً لا يرى لنفسه فضلاً على شيء من خلق الله.

وله كرامات كثيرة[3] وكان لا يظهرها إلا لحاجة، منها: أن شاة من غنمه ضاعت على الراعي فأخبره وهو تعبان، فقال له: اذهب إلى محل كذا تجد الشاة والذئب في قتال فوجدها كلما قرب منها الذئب نطحته بقرونها فطرد الذئب وأتى بها إلى سيده فذبحها للفقراء، ومنها: أن ابنته فاطمة سألته أن يدعو لها بابن،

(١) «بن علي» زيادة من ب.

(٢) من آل باحسن جمل الليل، سلالة محمد البوري بن عبد الله بن محمد المفروم وينتهي إلى محمد جمل الليل نسل الفقيه المقدم.

(٣) لم يوردها صاحب كتاب «خلاصة الخبر» فيما اختاره من نصوص الشلّي في كتابيه «عقد الجواهر والدرر» و«السناء الباهر».

فقال: ستلدين بابن صالح تسمونه بأسمي، فولدت عبد الله بن عبد الرحمٰن الشهير بالنحوي، رضي الله عنه ونفعنا بهم.

[عبد الله باجمّال]

وفيها [٩٤٤]: لسبع خلون من رمضان توفي الشيخ: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد باجمّال، والد الشيخ العارف بالله تعالىٰ معروف، أحد أعلام المشايخ، أولي القدر الشامخ، والمجد الباذخ. كان من محاسن الدهر ونوادر العصر، اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وطرائق السادة الصوفية، وأخذ عن علماء عصره، وفقهاء أوانه ودهره، منهم: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل، وولده أحمد الشهيد، والعلامة عبد الله بن أحمد بامخرمة، والعلامة محمد بن عمر بحرق، والفقيه القاضي عبد الله بن عبسين، والفقيه عبد الرحمٰن بن مزروع، وجمع فتاوى المذكورين، وكثيراً من مؤلفاتهم، وقرأها عليهم، وكتبوا عليها خطوطهم، وكان كل منهم يثني عليه.

وكتب بخطه مصاحف كثيرة ومقدمات، وحصّل كتباً كثيرة في فنون كثيرة، ووقفها كلها، ووقف عليها نخلاً عظيماً من أعمال (شبام) وما زاد من غلة الوقف يحصلون به كتباً. وله أوقاف غيرها مشهورة معمورة. وكان يتعاطى التجارة، ويقيم بـ (الشحر) كثيراً، وله بها جاه وسيع، وصيت رفيع، وله قبول تام عند السلطان عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علي، وكان ـ مع كثرة شفاعاته ـ لا يردّ شيئاً منها، وكان يعتقده ويحبه، ويستشيره في الأمور المهمة، ولم يشغله ذلك عن تحصيل العلوم.

وله ـ مع ذلك ـ عبادة كثيرة من صلاة وصيام، وتهجد وقيام، وصلة الأرحام، مع الصبر وتحمّل الأذىٰ، والرفق وحسن التدبير، وتواضع مع الغنيّ والفقير، والكبير والصغير. وإذا مات أحد من أصحابه أو أقاربه.. قام بتجهيزه وشيعه، وإذا تزوج أحد منهم.. أعانه بحاله، وواساه بماله. وحُكي أنه عمل وليمة في عرس بعض قرابته، فطلب جميع من صلّى الجمعة في ذلك اليوم، وأطعمهم أطيب الطعام، وأكرمهم غاية الإكرام. وكان يحب الفقراء والضعفاء والمنقطعين، ويحسن إليهم، ويقوم بما يحتاجون إليه. وكان يقول: ما رددت سائلاً منذ عقلت،

إما أعطيته أو وعدته. ولم يزل على أحسن حال، إلىٰ أن وافاه الانتقال، فانتقل في هذا العام، ودفن بمقبرة شبام.

[حاجي جلبي]

وفيها [٩٤٤]: توفي الشيخ علاء الدين بن عبد الرحيم المؤيدي المشهور بحاجي جلبي[١]، اشتغل بتحصيل العلوم العقلية والأدبية، وشارك في العلوم الشرعية، وأخذ عن المولى خواجه زاده، وكان يحبه ويثني عليه، ثم سلك مسلك التصوف، وصحب العارف بالله تعالىٰ محيي الدين الإسكليبي[٢]، وأخذ عنه الطريق، وقرأ عليه في التصوف ثم نصّب نفسه لنفع الطلبة، وجلس للإرشاد في زاوية شيخه بعد وفاة مصلح الدين السيروزي[٣]، وتخرّج به كثير من المريدين، وكان ذا فهم عظيم وذكاء مفرط، وكان يشرح أحوال الصوفية، ويبين اصطلاحاتهم، وله نظم بديع، وإنشاء حسن، وتعليقات على بعض الكتب لم تظهر بعد موته.

[أبو الليث]

وفيها [٩٤٤]: توفي المولى أبو الليث[٤]، أحد علماء الروم، أخذ[٥] عن المولى الشهير بـ (ضميري) وصار معيداً لدرسه، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس بالروم، ثم وُلّي قضاء حلب ثم قضاء دمشق، واستمر كذلك إلىٰ أن مات بها، رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) ورد في «شذرات الذهب» باسم: «المولىٰ عبد الرحيم بن علي بن المؤيد، المشهور بحاجي جلبي الرومي القسطنطيني الحنفي، عُرف بابن المؤيد» ـ وأفاد محقق الكتاب: انظر: (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٥٨).

(٢) وردت في الأصل غير منقوطة. وأثبتناها من: شذرات الذهب ٨/ ٣٠٥.

(٣) أصلحناه من «شذرات الذهب» وإلا فقد ورد في الأصل: الشيرروي.

(٤) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٠٣، الكواكب السائرة ٢/ ٩٦، در الحبب في أعيان حلب ٢/ ١/ ٧٣، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٩٢).

(٥) في شذرات الذهب: خَدَم المولىٰ الشهير بضميري.

[شرف الدين الصُغَيِّر]

وفيها [٩٤٤]: قتل القاضي شرف الدين الصُغَيِّر ـ بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد الياء التحتية المكسورة فالراء المهملة ـ كان رئيس الدولتين بمصر المحروسة، واعرف المباشرين في فن المباشرة، واحفظهم المقاطعات الديوانية والجهات المصرية، بحيث انتهت إليه الرئاسة في حفظه وإملائه لها عن ظهر قلب بدون دفتر، فعظم عند حكام مصر من الوزراء والأمراء. وكان بمثابة دفتدار، فحسده الأمير جانم الحمزاوي على مرتبته، وخاف منه، فتوجه إلى الأبواب السلطانية، وأخذ أحكاماً وأمراً بقتله، فتحيّل[1] منه القاضي شرف الدين وتوجه إلى الأبواب ليدفع شره، فصادفه في الطريق، فتلقاه الأمير جانم بسنٍ ضاحك وتودد وتطمين ومعاقدة إيمان وتأمين، وقال له: أين تذهب، وفيم تضيع كنوز الذهب، وهلم بنا إلى الصلح، فالصلح خير وارجع لنتعاقد على أن لا ضرر ولا ضير، ونكون كروح في جسدين، ونرفع ما نشاء من الخلاف والبين. فاغترّ القاضي بكلامه وتلقاه بالقبول، ولم يدر أنها خديعة تذهب بالعقول، وحلف له الأمير جانم إيماناً كلها كذب غموس، وغل كامن في النفوس، ودفع له مالاً كثيراً إزالة للغل من الصدر، ونصفه للسر عن الغش والغدر.

فرجعا إلى مصر، ووضعا أعباء المشاجرة والأصر، فما استقر بالقاضي شرف الدين قراره، ولا فرح به أهله، ولا تم مزاره حتى أخرج له مراسم كالعقارب تسعى إليه، وأحكاماً تدب كالأفعوان عليه، فأخذه بمقتضى تلك الأحكام وسلّمه إلى الصوباشي، فعذبه بأنواع الآلام يستصفي أولاً أمواله، ثم يقتله ويخيّب آماله. فصبر على العذاب، وقال في الجواب: الأولى بأموالي منك بطن التراب. وباع أوقافه، وعقاره وسقاه من كؤوس التعذيب عقار، إلى أن انتقل إلى رحمة الله الكريم المتعال، وقدم إلى ما قدمه من الأعمال، ثم تسلم الأمير جانم من أقارب شرف الدين شاباً فاضلاً ذكياً، كأنما صُوِّر من النور، يقال له القاضي منصور، فُضّل على أقرانه وأترابه، وفاق في حسن الخط، وضبط الدفتر وحسابه، ونظم

(١) وردت: فتخيل.

الشعر الفائق، ونثر النثر الرائق، وتأدب بالآداب، وأعرب بشكله عن مليح الإعراب، له قصيدة في مدح القاضي شرف الدين وقد عوفي من رمدٍ أصابه، مطلعها:

ببرئك يا عين الزمان وناظره   وجوه الورى أضحوا من البشر ناظره

وله قصيدة نظم فيها أسماء الله الحسنى مطلعها:

الله أكبر مسؤولاً وأرضاه   يجيب إن أضمروا الدعوات أو فاهوا

وكانت له والدة حنونة مولعة بحبه مجنونة، ما لها سواه، ولا ولدت إلا إياه، فدارت على العلماء والصلحاء، وتوسلت بالمشايخ والأولياء، وحملتهم على الأمير جانم ليدفع لها ولدها، ويبرد بذلك كبدها، فأظهر لهم إجابة سؤالهم ووعدهم إلى الليل بنجح آمالهم، وأرسل إليه سُمًّا في طعام، فلما أحس به استعمل له باد زهراً كان معه، فدفع السم عنه، فلما علم بذلك جانم أمر الصوباشي بخنقه، فخنقه وسلّمه إلى والدته ميتاً، فدعت عليه وعلى ولده يوسف بقلب مجروح ودمع مسفوح، فاستجاب الله دعاءها وأنفذ سهام بلواها، فلم يمض حين إلا وبلغها أن رأس جانم وولده معلقان بباب زويلة.

ولم يكتف الأمير جانم بقتل هذين الرجلين حتى عززهما بثالث، وكان ذلك من أعظم الحوادث الكوارث، وهو الشيخ الفاضل الأديب الشاعر اللسن الأريب شمس الدين محمد الدمياطي، قتله جانم بغير ذنب غير أنه كان مصاحباً للقاضي شرف الدين الصُغَيِّر، وبلغه أنه قال له: كيف اغتررت بكلام جانم؟ فحمله ذلك على أن أخرج أمراً بصلبه، فصلب على شجرة على باب مدرسة السلطان حسن، والناس راجعون من دفن القاضي شرف الدين. وكان شمس الدين فاضلاً أديباً أريباً عاقلاً، نظم متن المنهج لشيخ الإسلام زكريا، وله رسائل في الفقه والتصوف والأدب، له قصيدة في الفخر والحماسة منها قوله:

لو شئت أطلقت لا دعوى ولا كذباً   وقلت كل الورى في الشعر لي تبع

وله أيضاً:

لقد فتحت باب الرضى بعد هجرها   شفيقة بدر التم وانجبر الكسر
فسكّنت بعد الضم ما قد نصبته   وقلت إرفعي جزماً فقد طال لي الجرّ

جمع فيه ألقاب الإعراب وألقاب البناء، وله أيضاً رحمه الله تعالىٰ:

الحق أقرب من أن تستعد له ... بعنْوٍ أو ترجى دونه سببا
إذا اصطفاك لأمر قيامك له ... يد العناية حتىٰ تبلغ الأربا

وله محاسن كثيرة، وفضائل شهيرة. رحمه الله تعالىٰ، وعوّضه غرف الجنان، وبلّ مضجعه بزلال الرحمة والرضوان. ثم إن الأمير جانم لم يتهنّ بالحياة بعد قتل المذكورين، بل سلّط الله تعالىٰ عليه سليمان باشا، وكتب إلىٰ حضرة السلطان: إن شممت رائحة العصيان من جانب الحمزاوي وولده يوسف أمير الحج، وأخشى أن العسكر يطيعهما لإحسانهما إليهم، فكتب له السلطان: ادفع شرهما، فلما وصل إليه أرسل إليهما، وكان لجانم معرفة بعلم النجوم ورأى في طالع ذلك اليوم أنه يصيبه حادث كبير، فمضى إلىٰ بستان له ومنع الدخول عليه، فتطلبه الباشا إلىٰ أن عرف محله فجاء إليه آخر النهار فتسلمه الجلاد، فلما علم بالقتل صلى ركعتين، وتشهد وأمر الجلاد أن يضربه بسيفه لأنه كان حاداً وسيف الجلاد كالاً، فوقع رأسه عند قوله: (الله) من آخر الشهادتين، ثم ذهبوا إلىٰ ولده يوسف وكان قوياً فعافرهم قليلاً فصرعوه وذبحوه، وعُلّقا علىٰ باب زويلة، فارتجّت البلاد وغلقت الأبواب، وكان ذلك عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ذي الحجة، وكان الأمير جانم من أعظم الناصحين في خدمة السلطنة مع حسن التدبير، ودقة النظر والرأي، والإحسان للصغير والكبير، لكن وقع به هذا الفعل جزاءً وفاقاً لما فعله بالقاضي شرف الدين والقاضي منصور وشمس الدين الدمياطي وعند الله تجتمع الخصوم.

سنة خمس وأربعين وتسعمائة

[أبو العباس الحريثي]

توفي الشيخ أبو العباس الحريثي(١) ذو الفيض الغيثي والعزم الليثي، العالم الحبر التحرير، ذو الفضل الغزير، والعلم الكبير، الجامع لاشتات العلوم، المطلع علىٰ ما تضمنه من منطوق ومفهوم. شيخ زاهد ديّن، فضله ظاهر بيّن، صوفي صادق، محدِّث بالحق ناطق، وافر التواضع، لين الكلام، محب الحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام. كان يجتمع بأهل العلم، ويلازم أهل الفضل والحلم، جم المحاسن، ماء تعبده غير آسن. قرأ علم القراءات والحديث والفقه علىٰ والده، وعلىٰ الشيخ الإمام شهاب الدين القسطلاني، وقرأ عليه المواهب اللدنية هو والشيخ عبد الرحمن الأجهوري وغيره من مؤلفاته، وأخذ عن قطب الزمان الشيخ محمد بن عنان، ثم عن المرصفي وكان فطامه علىٰ يديه، وأذن له أن يلقن الذكر ويربي المريدين، فلقن في مصر وقرأها نحو عشرة آلاف نفس، وعمر عدة مساجد، وأقام الشعائر فيها.

وكان له القبول التام عند الخاص والعام، حتىٰ كانوا يزدحمون علىٰ شرب غسالة يده. وكان جميل المعاشرة في الباطن والظاهر، وآثار الصلاح عليه ظاهرة، حتىٰ إذا رآه من لم يكن يراه شهد بأنه ولي الله، وكان كثير التحمل لهموم الناس حتىٰ صار جسده كالشن البالي، ولا ادعىٰ قط شيئاً من مقامات الطريق، وإذا ذكروها عنده يقول: استرلعت العرايا من شراء الصابون.

وكان لا يجتمع بأحد في الليل إلىٰ أن يصلي الصبح، وطوى أربعين يوماً في الخلوة، وله كرامات كثيرة، منها: أنه قرأ خمس ختمات في رمضان قبل أذان العشاء كما شهد بذلك جماعة، منهم: الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، **ومنها**: أنه دعى لجماعةٍ بأشياء نالوها، ودعى لجماعةٍ بأشياء من أمراض فيهم فشفوا، منهم: سيدي عبد الوهاب الشعراوي، قال: فطلع لي بواسير حصل لي منها ضرر

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣١١، طبقات الشعراني الكبرى ٢/ ١٧٠، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة ٢/ ٩٣).

فشكوت إليه فقال له: غداً في صلاة العصر لا تجد لها أثراً فكان الأمر كما قال. وتوفي صاحب الترجمة في ثغر دمياط ودفن في زاوية شمس الدين الديروطي الواعظ وقبره بها ظاهر يزار، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[ناصر الدين النحاس]

وفيها [٩٤٥]: توفي الشيخ ناصر الدين النحاس[١]، الشيخ الكبير، العلم الشهير. صحب جماعة من العارفين، وتفقه في الدين وصار من أولياء الله الصالحين. وكان صائماً عند الشيخ أبي النجا النحاس يأكل من عمل يده، وما فضل عن نفقته تصدق به، فسافر أبو النجا إلى اصطنبول لطلب جوالي فهجره ناصر الدين إلى أن مات، وكان يذهب المجزرة فيأخذ السقط فيطعمه الهر والكلاب، ويغتسل لكل صلاة، وحج مرة على التجريد من غير زاد، ولا قبل من أحد شيئاً، فطوى من مصر إلى مكة فمرض بها فتلقاه سيدي علي الخوّاص ليلاً برغيفين ودبس وقشطة من مصر فأطعمه ومسح عليه فطاب، فلمّا جاء إلى مصر أخبر الناس بذلك فقال: سيدي علي إذا ضعف الإنسان خرف.

وله كرامات منها: أنه أخبر بوفاة الشيخ أفضل الدين بـ (بدر) وهو بمصر، فقال: مات أفضل الدين ببدر في هذا اليوم، فكان الأمر كما قال. قال سيدي عبد الوهاب الشعراوي: ووقع لنا معه عدة كرامات تركنا ذكرها لكونه كان يكره الشهرة، ومات بمصر ودفن عند سيدي علي خارج باب الفتوح. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[سعدي جلبي]

وفيها [٩٤٥]: توفي الشيخ الإمام سيدي، سعد الدين بن عيسى الشهير بسعدي جلبي الرومي. العالم العامل، الفاضل الكامل، أحد علماء هذا الشأن، الساطع البرهان. وُلد ـ رحمه الله تعالى ـ بـ (قسطموني)[٢] ورحل مع والده إلى القسطنطينية واشتغل بتحصيل العلم وقرأ على جماعة من فضلاء عصره، ثم وصل

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٢٥٤).

(٢) قسطموني: مدينة تركية جنوبي البحر الأسود ـ (المنجد في الأعلام).

إلى خدمة المولى محمد الساميوني، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس بالديار الرومية، ثم وُلّي قضاء (اصطنبول) وعُيّن له كل يوم مائة درهم، ثم وُلّي الافتاء فيها. وكان مقبول الجواب، موفقاً للصواب، طاهر اللسان، قوي الجنان. وكان لا يذكر أحداً إلا بخير، متواضعاً للكبير والصغير، صحيح العقيدة، حسن الطريقة، مراعياً للشريعة، محافظاً للأدب مع أهل الحقيقة. وكان حافظاً لأوقاته لا يصرفها إلا في الطاعات وأنواع القربات، وملك كتباً كثيرة في عدة فنون، وكان لا يفتر عن مطالعتها، وكان قوي الحفظ لا سيما المناقب والتواريخ، وله رسائل وتعليقات، وحواشٍ[١] مفيدات، منها: حاشية على البيضاوي وهي متداولة بين العلماء. وبنى داراً للفقراء بمدينة (قسطنطينية) بقرب داره. رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد البجائي]

وفيها [٩٤٥]: توفي الشيخ الصالح المجذوب، أحمد البجائي. أحد الفضلاء المشهورين، والعلماء العاملين، لكنه حصلت له جذبة ربانية، وجُذب وهو يقرأ في علم النحو، فكان يتكلم بالإعراب ومسائل النحو، وأعطي درك بحر الهند. وكان قد أطلعه الله تعالى على معاصي العباد، فكان كل من لقيه من العصاة يبصق على وجهه، وكلمّا مر على سيدي علي الخوّاص يقول: سبحان المعطي بفيضه على الحال الذي هو فيه. ومكاشفاته كثيرة، ومات بمصر ودفن بسويقة اللبن في زاوية أفضل الدين الأحمدي، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[خير الدين الأصفر]

وفيها [٩٤٥]: توفي الشيخ المولى، خير الدين بن خضر، الشهير بالاصفر، الذي أوعن له الاقران والأكابر والأعيان. وُلد في (أماسية) ورحل إلى (القسطنطينية)، وأخذ عن المولى سعدي بن الباجي، ثم صار مدرساً ببعض المدارس، ثم وُلّي عدة مدارس، وكان حسن التقرير، كثير التحرير، وله قدرة على الإنشاء والنظم باللغات الثلاث ـ أعني العربية والفارسية والتركية، وكان عالماً عاملاً، ورعاً، ملازماً على العلم افادة واستفادة، واستمر مدرساً بمدينة (حورلي)

(١) وردت: حواشي.

إلىٰ أن توفي بها، رحمه الله تعالىٰ.

[عامر بن داود الطاهري]

وفيها [٩٤٥]: قُتِل عامر بن داود[1]، بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقاً، ولم يبق في يده من مملكة أسلافه غير بندر عدن، وكان شاباً كريماً جواداً حليماً محسناً إلىٰ الناس باسطاً وجه اللطف والايناس، يعظم الشرع الشريف ولا يخرج عن حكمه، ويوقر من وفد عليه من العلماء ويكرمه لعلمه، إلىٰ غير ذلك من الخلال الجميلة والخصال الحسنة الجميلة، الشاهدة له بكرم أصله، وجودة فضله، ووصله قتله الوزير سليمان باشا الذي وجهه السلطان سليمان خان، لدفع الكفار البرتغال[2] لمّا بلغه استيلاؤهم علىٰ بلاد أهل الهند، وعجز أهل الهند عن مقاومتهم، وغدرهم بسلطان الهند (بهادر شاه)، فلمّا وصل سليمان باشا مصر المحروسة قتل الأمير جانم الحمزاوي وولده يوسف أمير الحاج كما مر، ثم تملح بصلب داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم جرى غير كثرة أموالهم وسعة حالهم.

وكان داود هذا كثير البر والصدقات للعلماء والفقراء، وكان لكل من علماء الجامع الأزهر وعلماء الحرمين مرتب كل سنة، من حب ونقد. ولمّا حج سنة(٩٣٧هـ) ـ سبع وثلاثين وتسعمائة ـ أغدق علىٰ الحرمين وأوصلهم احساناً عميماً وبراً عظيماً من الذهب والفضة والحب، وأعطى جماعة كل واحد خمسمائة أحمر، من وصل إليه أنعم عليه، فلمّا قضى سليمان باشا وطره من مصر تجهز في سبعين غراباً وثلاثين برشة، فلمّا وصل عدن فتحها له صاحبها عامر بن داود وجمع له ما أراد من الازواد لمّا بلغه أنه أتى لدفع أذى الافرنج، وتوجه هو ووزيره للسلام علي الباشا، فبمجرد أن رأى باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن، ولمّا وصله عامر ومن معه أمر بقتلهم وصلبهم ونهب دورهم، وعدّ ذلك من فتوحاته، وكتب علىٰ باب عدن أنه فتحها سنة خمس وأربعين وتوجه إلىٰ الهند.

وكان قد وفد علىٰ السلطان (بهادر شاه) الأمير مصطفى والخواجا صفر،

---

(١) آخر سلاطين الدولة الطاهرية. انظر عنه: (هجر العلم ١/ ٣١٠، روح الروح، المقتطف من تاريخ اليمن ١٤٢، التاريخ العام لليمن، اليمن عبر التاريخ).

(٢) وردت: البرتقال.

فأنعم عليهما، ولقّب مصطفى رومي خان، وأعطاه بندو (انديو)، ولقّب الخواجا صفر خداوندخان، فلمّا وصل سليمان باشا نزل بمظفر أباد، وأرسل إليه الخواجا صفر بالهدايا وأراد أن يأتي إليه فنصحه شخص من جلساء سليمان باشا وأخبره بما فعل في مصر وعدن، فاستمر يخدمه علىٰ بعد ويتعلل بالأعذار، وأرسل إليه السلطان محمد شاه وزيراً من وزرائه وأمره أن يعين سليمان باشا علىٰ الجهات، فاحتقره سليمان باشا ولم يأذن له في الجلوس، فخرج الوزير وأخبر السلطان بذلك. ثم أرسل سليمان باشا قفطانا وسَبُعًا للسلطان محمود، فقال السلطان للرسول: قل لاستاذك إن كانت هذه من حضرة السلطان سليمان لبسناها وإن كانت من عندك فليس من مرتبتك إرسال الخلعة إلينا. فلمّا أخبره الرسول امتلأ غيظاً وتأسف علىٰ فوات وزير السلطان محمود، وتشاحنت الأنفس، وأمر السلطان محمود خداوندخان أن يدبر في هروب الباشا، فزوّر كتاباً بخط الافرنج من عند كبيرهم الذي في (كوه) إلىٰ عند كبيرهم الذي في (الديو): أنّا قد جمعنا الجموع وتهيأنا في ثلاثمائة غراب وخمسين برشة فإذا ظهرنا في البحر أبرزوا لقتل عسكر الروم. واشاع خداوندخان أنه أمسك قاصد الافرنج وأخذ كتبهم، فلمّا سمع بذلك سليمان باشا أرسل إليه يسأله عن ذلك؟ فقال: الأمر كما سمعتم. فخاف، وكان جباناً ولم تعهد شجاعته إلاّ علىٰ من وقع في يده مأسوراً، وتفرقت عساكره لأن أهل الهند رقبوهم، فهرب وقنع من الغنيمة بالإياب.

فلمّا وصل جازان وكان الشريف أبو نمي قد أخذها من عامر عزيز بعد أن حاصرها بسبب استطالة عامر علىٰ اشراف مكة بلسانه، وادّعىٰ الافتخار بحسامه وسنانه، أخرج نائب الشريف أبي نمي وقرر فيها نائباً من قبله وزعم أنه افتتحها، وحج في هذا العام وأظهر الجبروتية في مكة ودار في (عرفة) علىٰ الخيم فما أعجبه منها كتب اسم صاحبها، فلمّا عاد إلىٰ مكة طلب ما أعجبه من أصحابها، وأخذ بعضها بغير ثمن وبعضها بأبخس ثمن، ولا رأى أحداً منهم صدقةً ولا طعاماً، وأخذ من أمراء الحج ما أراد من الدواب وتوجه إلىٰ الأبواب وتوجه معه السيد أحمد بن الشريف أبي نمي، واستدعى له أبومان يكون أمير مكة المشرفة، وصحبه من أعيان مكة جمع كثير، منهم: قاضي القضاة رئيس مكة وكبيرها ومسند الدولة الحسنية ومشيرها القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن نجم الدين المالكي،

ومنهم قاضي المسلمين ببلدهما الأمين القاضي إبراهيم بن أحمد بن أبي السعود بن ظهيرة الشافعي، ومنهم سفير الدولة الحسنية ولسانها وترجمان كلمتها إلى سلاطين زمانها السيد عرار، ومن انضم إليهم. وكان جل المقصود من هذا السفر رَدّ مناصب القضاة إلى قضاة العرب كما جرت به العوائد السابقة من الأزمان السالفة، فما أنجح مرامهم ولا أصاب مرماهم سهامهم، وبعد التعب والاين وقطع مشقة السفر وشقة البين، عادوا بخفي حنين، وقرر للقاضي تاج الدين ثلاثون عثمانياً من جوالي مصر، وقرر للقاضي إبراهيم أيضاً ثلاثون عثمانياً من الجوالي.

وأما من توجه معهم من أهل مكة فبعضهم مات بالطاعون، ومنهم السيد عرار بن عجل، وأما السيد أحمد بن أبي نمي فقابله السلطان بالاحترام وأكرمه غاية الإكرام وأشركه مع والده في إمارة الحجاز، وأقام مدة متوعكاً فأمر السلطان الحكيم بعلاجه فعالجه فلم ينجح، واشتهى السيد أحمد ثريد البر فعملها وأكلها خفية، واتفق أن الطبيب في ذلك غير الدواء فلمّا جس نبضه قال: هذا الدواء أصاب العلة، فعمله له وأمره بأكله وظن أن السيد يستعمل دواءه وهو إنما داوم على أكل الثريد، فلمّا مضت سبعة أيام زالت العلة فقال الطبيب: وجب لنا على السلطان ما نستحقه وعليك شكر العافية، فأحضر الدواء الذي عمله الطبيب فقال له: ماذا الذي استعملته؟ فأخبره بالواقع، فقال: اكتم عليّ ودع الناس على حسن ظنهم فيّ.

[عبد الواسع بن خضر الروم]

وفيها [٩٤٥]: توفي المولى عبد الواسع ابن خضر الروم الحنفي[١]، أحد الفضلاء المشهورين والأدباء المذكورين. وُلد بمدينة (ديمة توقه)، وكان من الأمراء، واشتغل هو بالعلم، وأخذ عن المولى شجاع الدين الرومي، والمولى الفزاري[٢]، والمولى أفضل زاده، وغيرهم. ثم ارتحل إلى بلاد العجم، وأخذ بمدينة (هراة) عن العلامة حفيد العلامة سعد الدين التفتازاني علم المعقوليات، ثم

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٨٥).
(٢) في الكواكب: المولى الفناري.

عاد إلى الروم أول ولاية سليم خان وجعله مدرساً بادرنة ثم بقسطنطينية، ثم ولاه قضاء (بروسًا) ثم (القسطنطينية) ثم قضاء العسكر، ثم عُزل وعُين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد، ثم ترك جميع ذلك وصرف جميع ماله في وجوه البر والخير، وبنى كتابين[١] لتعليم الصبيان القرآن، ومدرسة، ووقف جميع كتبه وكانت كثيرة شهيرة، وسعى لطلبته لكل طالب مدرسة، وأعتق جاريته وزوّجها على رجل صالح، وارتحل إلى الحرمين على قدم التجريد، واشتغل بطاعة الله إلى أن حضرته الوفاة، فانتقل إلى رحمة مولاه. رحم الله مثواه، وبل بوابل الرحمة ثراه. ودفن بالمعلاة.

[باشق قاسم]

وفيها [٩٤٥]: توفي المولى الفاضل العالم العامل سيدي، باشق قاسم، أصله من بلدة (قسطموني)، واشتغل بها على جماعة من فضلائها، ثم صحب المولى العالم عبد الكريم، ثم ولي تدريس بلاط، ثم غيرها من المدارس المشهورة. وله نوادر كثيرة لو دونت لصارت مجلداً كبيراً، وكان الغالب عليه الخمول والخشية لله تعالى والتفكر والذكر سراً وجهراً، وكان كلامه مقبولاً عند الخاص والعام لحسن طويته وطيب نيته، وإذا حضر محفلاً كان عين قلادته، وكان متجرداً لا أهل له ولا عيال، وكان قانعاً باليسير من المال، وعين له كل يوم ثلاث وثلاثون درهماً بطريق التقاعد، واستمر كذلك إلى أن توفي بـ (أدرنة)، رحمه الله تعالى وإيانا.

(١) في «الكواكب السائرة»: وبنى تكيتين ومدرسة.

سنة ست وأربعين وتسعمائة

[عبد اللطيف بن أحمد باكثير]

توفي الشيخ الفاضل اللوذعي الكامل، الفهامة النحرير، القاضي عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن سلمة بن عبد الرحمٰن بن عمر باكثير، المكي، قاضي قضاة الشافعية بمكة المشرفة المحمية. وُلد سنة احدى عشرة وتسعمائة، وكان فهماً ذكياً حسن الحفظ، المحيا، أريباً لوذعياً. أخذ عن والده وعن اخوانه وشهاب الدين أحمد النشلي وغيرهم، وتفنن في العلوم النقلية والعقلية، وبرع في العلوم الأدبية، ولازم العلامة أحمد بن عبد الغفار في علم الفرائض والحساب والهيئة، رجدّ في الاشتغال في ليله ونهاره، وفاق اقرانه، وما ظهر بقل عذاره. وكان ينظم النظم الفائق الحسن، وينثر النثر البليغ المستحسن.

وأكثر الأخذ عن علماء الحرمين القاطنين والواردين، ورحل إلىٰ الشام، ودرس في جامعها، ووُلّي تدريس بعض مدارسها. وعاد إلىٰ مكة سنة(٩٣٩هـ) تسع وثلاثين وتسعمائة فدرّس بالمسجد الحرام، وحضر درسه الخواص والعوام، وكثر تدريسه في المعقولات والفقه من الشرعيات، ولمّا توفى قاضي القضاة محب الدين بن ظهيرة الشافعي، ارتحل إلىٰ الروم صحبة قاضي العسكر قادري أفندي فولاّه السلطان قضاء الشافعية بقطر الحجاز ونظر الحرم الشريف وخطبة الموقف بعرفات وغير ذلك من الوظائف السنية ووصل مع الركب الشامي سنة إحدى وأربعين. وكان شريف مكة محمد أبو نمي أقام في هذه المناصب بعد القاضي محب الدين بن عمه القاضي إبراهيم بن أحمد بن أبي السعود بن ظهيرة، وأرسل عرضاً في ذلك مع عدم أهلية إبراهيم لهذه المناصب العظيمة. فحصل مَرَج كبير، والتجأ القاضي عبد اللطيف إلىٰ أكبر القواد وأعظمهم منزلة عند الشريف: جوهر المغربي، فقام معه وعضده القاضي تاج الدين المالكي حتىٰ تمت له تلك المناصب وتصرّف فيها جميعها، فأنارت مشكاته وظهرت آياته، وراج أمره وارتفع قدره، وسطع في ليل المطالب فجره، ونفذ مراده وامضاه، وعُدّ من أعيان أقضى القضاة، وتصدّر في المجالس الخاصة والعامة، وأجرى في صدور الحجج والسجلات أقلامه، ونال من هذه المناصب مرامه، ورأس اخوانه وعلا كعبهم وسهل صعبهم

والتأم شعبهم. واستمر قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام إلىٰ أن عُزل بأول قضاة لأروام، وانطوى بساط قضاة العرب في بلد الله الأمين ووُلّي عوض القضاة لأربعة: القاضي مصلح الدين وذلك سنة(٩٤٣هـ) ـ ثلاث وأربعين ـ وعاد إلىٰ باب السلطان ليعادله المنصب فتوفى مطعوناً، رحمه الله تعالىٰ.

وله شرح علىٰ الهمزة البوصيرية جعله باسم الشريف أبي نمي، وجعل له خطبة استرضى بها خاطر الشريف، أولها: بسم الله الرحمٰن الرحيم، سلام علىٰ آل ياسين، ثمرة فؤاد الرسول المنتخبين، من أكرم سلالة، وأفلاذ كبد البتول المغتذين لبان الرسالة، وأهلة سماء الكمال المحيط من نور النبوة هالة، وغرة محيا الجمال وطراز حلة الجلالة:

مغارس طالت في ذرى المجد فالتقت علىٰ أنبياء الله والخلفاء

معدن السؤدد، وكيمياء السعادة، وعنصر المجد، وتاج مفرق السيادة، نتاج فاطمة الزهراء، وعماد الحنيفية الغراء:

فخارٌ لو أن النجم أعطى مثله ترافع أن يأوي أديم سماء

نور كمام الهداية اليانع، ونور الشريعة الساطع، طرة جبهة الدهر، وشامة وجنة الدهر:

بيض الوجوه كريمةٌ انسابهم شُمّ الأنوف من الطراز الأول

سلام ما نصب لهم في أرجاء الخافقين علم المدح فما برح علىٰ ذوائبهم خافقاً، وسمك لهم علىٰ هام السماكين ارفع مرح فما زال فوق الجوزاء شاهقاً، وصيّر لهم هاتف السعادتين.

دائم الصدح فما فتىء ببديع شمائلهم ناطقاً، وطيبهم من شذا الريحانتين بأعطر نفح فما دام الوجود من عبيره عابقاً:

هذا هو الفخر المؤثل قد غدىٰ عقداً لجيد مفاخر الأمجاد
فخرٌ سُرَادق أهله أمسى علىٰ هام السماكين مطنب الأوتاد
قوم تخال وجوههم أن أسفروا يوم الفخار أهلة الأعياد
رضعوا لبان المجد في حجر العُلىٰ فعلوُا علىٰ الأكفاء والأنداد

لا جرم فقطب فخارهم الراسخ، ومجد شرفهم الشامخ، وأرومة مجدهم

الباذج، وجرثومة سؤددهم الباذخ:

هو معصم الفخر الذي حاطت به   أحساب أهل البيت مثل سوار
زاكي الفخار أبو نمي نفحة   الرّيحانتين ونخبة المختار
إنسان عين المجد والقمر الذي   حفته أنجم هاشم ونزار
وغدت له مثل الكمام وقد غدىٰ   من بينها يفتر كالنوار
حامي حمى الحرم الشريف وطيبة الـ   غرّاء بالخطيّ والبتّار

أعظم مليك خفقت عليه البنود، وتشرّفت بمدحته رؤوس المنابر، وأجلّ سلطان جنّد الجنود، وكتب الكتائب وحشد العساكر، وأعدل إمام انتظمت به أنظام الوجود، وحلّت له لقباً وعقدت عليه الخناصر وأكرم جواد جعل بابه كعبة الوفود يعتكف بها البادي والحاضر، وأمضىٰ باسل تتقي بأسه الأسود إذا حمي الوطيس وبلغت القلوب الحناجر:

مليك إذا ضاق الزمان بأهله   تجلّى بوُسْع في المكارم وانفسح
تكبو السحائب إذ تجارى كفه   فالغيث في جنباتها عرق رشح
يستحقر الاسياف عاتق غيره   وتقول دونك والقلائد والسبح
ويكلّفه الأسد الهصور بعدله   في القفر إن يُدعى الغزال إذا سبح
كم من خطيب ذاكرٌ غير اسمه   لمّا تنحنح قال منبره تنح

صفوة الله الذي أفرغ عليها في مواكبه العظيمة خلع التشريف، ونخبته التي ملكها أزمة المكارم فحازت تالدها والطريف، وخلاصتها التي أطلع لها في روض المفاخر دوحة العز فيظان ظله الوريف، وخيرته التي جرّت أذيال سؤددها علىٰ فرق الفرقد المنيف:

يا خير من ضربت به احسابه   حتّىٰ بلغت إلىٰ النبي محمد
إن لا يمد إلىٰ المكارم باعه   ويجوز منقطع العلىٰ والسؤدد
متطاولاً حتّىٰ يرى أذياله   طول الزمان عائماً للفرقد

الذاب عن مهبط وحي الله ومهاجر رسوله، ومربي نبيه ومعاهد تنزيله، ومُظهر دينه ومتردد جبرئيله، والذائد عنها بظبا مواسله ورَجله وخيوله، المنصوب له علىٰ أوج السيادة سراج المجد، المنشور عليه في أرجاء البسيطة ألوية المجد،

الحائز من أشرف الشيم ما لا يحصره عد ولا حدُ المُشرّف أباً وأمّاً وجدّ:

أبو نمي قد حوى شرفاً   ما حاز قبل عبد مطلبه
ذاك إلىٰ هاشم نمىٰ فَسَمىٰ   وذا قسيم النبي في نسبه
شتان ما بين ذا وذاك فذا   كل فخار قد صيغ منه وبه

كيف لا وأنت الملك الذي هز المُلك به عطفه، وأبدى به ثغرة ابتسامه، والمطامح الذي ألقت إليه الأيام أزمتها وملّكه الدهر زمامه، والإمام الذي وافق المقدار يراعه وقارب القضاء حسامه:

له يراع وعضب ما جرى وبرا   الأمضىٰ وقضى كالرزق والأجل

فلله درك من مهيب: يهر العين مهابةً، ويملأ الفم فخامة. ومن أعزّ: أضحت أيام دولته في جبهة الدهر غرة وفي وجنة الزمان شامة. ومن حليم: غلب صفحة غضبه وسبق عطفه انتقامه:

وإذا الإباء المُرّ قال به انتقم   قالت خلائقك الكرام لك احلم
شرع من المجد انفردت بدينه   وفضيلة لسواك لم تتقدم
حتّىٰ اقتدوى البريء فإنه   يدلي إليك بفضل جاه المجرم

فلا بدع إن ساقني كريم حلمك إليك، ودلني عظيم صفحك عليك، فاستغثتك بلسان تضرعي وفقري، واستجلبت عطفك بجزيل حمدي وشكري، واستعطفت جيد صفحك ببديع نثري وبليغ شعري:

ذو الصفح أنت ومثلي من سها وهفا   ورام عفوك عما منه قد سلفا
وإن يكن بالقضا زلّت له قدم   جهلاً فتلك عند الإقتدار غطا
فلست أول ذي حلم قسّىٰ فيدىٰ   منه الصدود ولكن بعد ذا عطفا
ولست أول جانٍ ظل يحف من   كمام حلمك نوراً طاب مقتطفا
وإن كان بذنوبي استحق جفا   فحسبك الله من هذا الجفا وكفى،
حاشا ذرى مجدك السامي بمفرك الـ   زاكي فعلياك لن ترضى لك الجنفا
فطالما استنشقت أجزائي طِيب شذا   شمائل منك أضحت روضه أنفا
فلا تخيب رجا من جاء مبتهلاً   بحار عفوك محتاجاً ومعترفا
هبني أسأت! أليس الصفح فيك غدىٰ   طبعاً وحسن التغاضي منك قد ألفا

سجية منك ما كلّفتها ولكم ... تكلّف الخلق خُلُقاً يجلب الشرفا
وطالما ظلت فإذا العفو يرشف من ... سلاف صفحك كأساً لذ مرتشفا
حتّى لقد كاد يدني بالذنوب إلى ... عليائك من لم يكن بالذنب معترفا

هذا ولمّا رأيت تاج فضائلك مكللاً من جواهر العلوم بنفيس فرائده، وجيد شمائلك متحلياً منه بعقود فوائده، ومعاطف سجاياك موشحة بنضيد لآلئه ودرره، وأنامل ذوقك مقتطفة من رياضه الأريضة يانع زهره، ولم يزل ثاقب فهمك كلفاً بإماطة اللثام عن شمائل جدّك خير الورى المخدرة في سحب ألفاظ القصيدة الموسومة بأم القرى؛ شرحتها لك شرحاً يكشف لك عن محيا مخدولها فضل النقاب؛ ويجلو عليك عرائس معانيها رافلة في حلل الصواب، ويدلي لذوقك السليم ثمر غراسها المستطاب، ويسهل عليك تناوله بأوضح لفظ وأفصح خطاب سلكت فيه طريقاً يتضمن الاختصار والإطناب، وقدمته إلى حضرتك العلية التي لا برحت كمائم الفضائل في روضاتها باسمة الثغور، وجواهر الفرائد في رحابها شنوفاً للمسامع، وقلائد النحور لتقول لك نيابة عني: يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدّق علينا إن الله يجزي المتصدقين. ويتلو لسان استعطافي بين يديك: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.

انتهت الخطبة وأثبتها هنا لاستظرافها ولم أحذف منها شيئاً لحسنها ولطفها.

وعمل أبياتاً في وصف قائمة بناها صاحبه شيخ الفرّاشين بالحرم الشريف على السعي بمكة المشرفة، وبيتاً لتاريخ بنائها، كل بيت بقصيدة بل كل بيت أعلى من القصور المشيدة، وأغلى من الدرر الخريدة، بنمط بديع وأسلوب فائق لا يقدر عليه كل قائل، ولا يحظى معارضه بطائل، يملأ الاسماع عجباً، ويهز الجياد طرباً، وهي:

أنا قاعة المجد التي ... هتف الفخار بها وغرد
إيوان كسرى دورقا ... غنى المزخرف منه اقعد
اسمو على ذات العما ... د وأزرى الصرح الممرد
واطاول السبع الطبا ... ق ولا أرى الاكليل مقعد

وبروض سقفي قد جرى ... نهران من ورق وعسجد
سقيا عروق اللازور ... د وأنبتا نور الزبرجد
والدهر اقسم أن لي ... ولمالكي العزّ المخلد
شيخ الشيوخ وخادم الـ ... حرم الشريف أجل معبد
مصداق قولي إذ لي تا ... ريخي أتى بحساب أبجد
دارٌ دعائمها العُلى ... وبأسّها مجدٌ مُشيدٌ

وعمل تاريخاً لخزانة كتب عملها القاضي تاج الدين المالكي وهي:

يا مالكي الله شرفني ... وأنزلني محلك
واعز بالعلم الشريف ... مكانتي وبه أحلك
فلذا عددت خزانة ... قالت لراجي العلم هي لك
مصداق قولي أن تا ... ريخي أتى تحف بدت لك

وله مؤرخاً فتح السلطان سليمان العراق كما مر في سنة احدى وأربعين وتسعمائة:

ولمّا أباحت ظبانا لنا ... دم الشاة واستحكمت سلخه
فتحنا العراق وفا اللفظ من ... لطافته صح تاريخه

وله نظم كثير، ونثر غزير، ما ظفرت منه إلا بهذا النزر اليسير.

[بدر الدين زاده]

وفيها [٩٤٦]: توفي الشيخ أبو السعود المشهور ببدر الدين زادة[١]، أحد الأدباء الفضلاء، والعلماء الفقهاء. وُلد بمدينة (بروسّا)، وتزوج بأمه ـ بعد وفاة والده ـ المولى الحميدي وربّاه أحسن تربية وقرأ عنده مبادىء العلوم، وكذا قرأ على غيره من علماء عصره وفضلاء مصره، ثم رحل إلى المولى ركن الدين فلازمه حتّى تخرج في كثير من الفنون. وكان له ذكاء وفطنة ودهاء وحسن رأي وقوة طبع، وأذن له غير واحد من مشايخه وأجازه، فدرّس وانتفع به جماعة، ثم وُلّي القضاء ببعض بلدان الروم، وكان له دراية في حل المشكلات وبيان المعضلات،

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٣١٥، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ٢/٩٢).

وانتقل قبل الاكتهال، فلذا لم يُنقَل عنه أنه صنف شيئاً من الكتب، رحمه الله تعالىٰ.

[ابن يعقوب]

وفيها [٩٤٦]: توفي خير الدين بن محمد بن يعقوب. اشتغل بالتحصيل من صغره، وأخذ عن جماعة من فضلاء دهره، منهم: المولى مصطفى بن خليل، والمولى شجاع الشهير، ووُلِّي عدة مدارس، وفاق أقرانه، وحفظ أوقاته وأزامنه، واستمر كذلك إلىٰ أن آن أوانه، وانتقل إلىٰ جوار الرحمٰن وهو مدرس باحدى الثمان. وكان عاملاً بعلمه، حافظاً للسانه وقلمه، محبوباً عند الناس لا سيما أقرانه. ومات في عنفوان شبابه، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[عبد الكريم بن عبد الوهاب]

وفيها [٩٤٦]: توفي المولى عبد الكريم بن عبد الوهاب بن الشيخ الإمام عبد الكريم. اشتغل في صباه، ونشأ في طاعة الله، وصحب المولى سعد الله بن عيسى قاضي قسطنطينية ومفتيها، ومهر في التفسير والعلوم العقلية، وشارك في غيرها من الشرعية والفنون الأدبية، وكان له فهم عظيم، وحفظ جسيم، وكان عفيفاً ورعاً، تقياً، حافظاً للسانه، مقبلاً علىٰ شأنه، وتوفي وهو شاب في أول عنفوان شبابه، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

سنة سبع وأربعين وتسعمائة

[محمد الدَّلَجي]

توفي الإمام، أحد العلماء الاعلام، شمس الدين محمد بن محمد الدلجي[1]، العثماني، الشافعي. أجل أعلام المشايخ، ونحارير الفضلاء أُولي القدر الشامخ، والمجد الباذخ. علاّمة المحققين على الاطلاق، وفهامة المدققين بالاتفاق. رحل في طلب العلم إلىٰ كثير من الأقطار وأخذ عمن فيها من المشايخ الكبار، وأقام بدمشق الشام نحو ثلاثين سنة، وأخذ عن علمائها وعن غيرهم من

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٢٠، معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٥، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة ٢/ ٦، كشف الظنون، إيضاح المكنون، هدية العرفين).

علماء تلك الديار ورحل إلى الديار، الرومية واجتمع بسلطانها بايزيد بن عثمان.

ومشايخه يطول ذكرهم ويعسر حصرهم، منهم: الشيخ برهان الدين البقاعي مؤلف «مناسبات القرآن»، والحافظ قطب الدين الخيضري مؤلف «الخصائص» وغيرها، والحافظ البرهان الناجي[1]، والناصر بن زريق الحنبلي. وأجازه كثير من مشايخه، وأخذ عنه كثيرون، منهم: الشيخ بن حجر الهيثمي، والحافظ النجم الغيطي، ومن في طبقتهما. وله مؤلفات كثيرة شهيرة، منها: شرح الشفا[2]، ومختصر المقاصد في علم الكلام وشرحه، وشرح الأربعين النووية، وشرح القصيدة الشهيرة في علم الحديث التي أولها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ... وحزني ودمعي مرسل ومسلسل

وشرح المنفرجة، وشرح الخزرجية، وغيرها. وقال الحافظ النجم الغيطي: قرأت عليه وسمعت عليه كثيراً من مصنفاته وغيرها، وأجاز لنا القرآن العظيم عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العزة تبارك وتعالى، فإنه رأى رسول الله ﷺ في المنام بمكة وقرأ عليه أوائل سورة النحل كما كتب ذلك بخطه في الإجازة. انتهى.

[الطيب بامَخْرَمه]

وفيها [٩٤٧]: لست خلون من محرم، توفي الإمام الطيب بن العلامة عبد الله بن أحمد بامخرمة[3]. علاّمة علماء الإسلام، فهامة فضلاء الفقهاء العظام، مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها، وحائز قصب السبق في حلبة رهانها. وُلد لثنتي عشرة خلت من ربيع الثاني سنة سبعين وثمانمائة ببندر عدن المحروسة، وأخذ عن والده وعن العلامة محمد بن أحمد بافضل، ولازمه ملازمة تامة، وأخذ أيضاً عن القاضي محمد بن حسين القمّاط، والقاضي أحمد بن عمر المزجد، أيام قضائهما بعدن. وتفنن في عدة علوم، وأخذ عن جماعة من العارفين طريق القوم، وكان من أصح الناس ذهناً، وأذكاهم قريحة وأقربهم فهماً، وأجازه غير واحد في الافتاء

(١) في معجم المؤلفين: لناجحي.

(٢) للقاضي عياض.

(٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣١٨، الأعلام للزركلي ٤/ ٩٤، النور السافر ٢٠٤، تاريخ ثغر عدن ١/ ١٥، معجم المؤلفين ٥/ ٤٥).

والتدريس. وكان من أحسن الناس تدريساً، وذكر جماعة أنهم لم يروا مثله في حل المشكلات وتحقيق المعضلات، وصار عمدة في (عدن) هو وعصريه محمد بن عمر بافضام والفقيه محمد بافضام. كثير الاستحضار للفروع، حسن التصرف، فيها لكن ليس له في غير الفروع يد.

وأما صاحب الترجمة فإنه شارك في كثير من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والعربية. وكان يقول: إني أقرأ في أربعة عشر علماً. وامتحن بقضاء بلده على كِبَر سنة وضعف قواه، وكان سبب قبوله مع الحاح الدولة انه كان فقيراً وعنده عائلة كثيرة فاضطر إلى القبول. وكان حسن السيرة والمحاضرة، لطيف المذاكرة والمحاورة، وكان كثير الاستحضار لفروع الأحكام التي تُخفى على كثير من العلماء الأعلام خصوصاً ما في كتب الشيخين وغيرهما من المتأخرين.

وصنف كتباً كثيرة، منها: «شرح صحيح مسلم» غالب استمداده من شرح الإمام النووي بل هو هو في الحقيقة مع زيادات وتحقيقات في بعض المواضع، وله مؤلف في «أسماء رجال مسلم»، وله تاريخ مطول مرتب على الطبقات والسنين كترتيب تاريخ الذهبي وابتدؤه من أول الهجرة، وله كتاب في مشتبه النسبة إلى البلدان[1] وغير ذلك[2]. ثم حصل به وجع عطله عن الحركة ويبس قوى في عصبه وابتدأ به من رمضان سنة أربع وأربعين، ولم يزل يتزايد به حتى منعه من الصلاة إلا بالإيماء برأسه، واستمر على هذا الحال إلى أن وافاه الانتقال.

وبالجملة فهو من محاسن الدهر، جمع الله تعالى فيه الصفات الحسنة، من حسن الخلق والسياسة، والتواضع والصبر والرفق، وتحمل أذى الناس، وحسن التدريس، والمواظبة على الطاعات. قال تلميذه ابن أخيه العلامة عبد الله بن عمر

---

(١) «النسبة إلى المواضع البلدان ـ خ» منه نُسخ عديدة في مكتبة جامع صنعاء. وعندي صورة منه.

(٢) ء ممّا لم يذكره هنا: كتاب «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ـ خ» ثلاثة أجزاء في ست مجلدات. قال الأستاذ عبد الله الحبشي: لخّصه من كتاب «مرآة الجنان» لليافعي ورجع فيه إلى بعض كتب التراجم اليمنية، وهو مرتب على طبقات ـ انظر عن أماكن تواجده: (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ـ ص ٤٧٨).

كما أن له كتاب «تاريخ ثغر عدن» وهو مطبوع.

بامخرمة: ولمّا توفى كنت غائباً بمكة شرفها الله فلمّا رجعت وبلغني خبر وفاته رثيته بقصيدة مطلعها:

أَتُهَدُّ رُكْنُ الدِّينِ وهو قويمٌ ... وانهار طَوْدُ المَجْدِ وهو صَمِيمُ
وتغيَّرتْ شمْسُ البلادِ وأظلَمَتْ ... وتناثَرَت من أفقهنّ نُجومُ
والأفقُ متعكِّرُ الظَّلامِ كأنما ... الدُّخانُ في جوِّ السّما مَرْكومُ
هذه علاماتُ القِيامَةِ هذه الأ ... شراطُ هذا الموْعِدُ المَحْتُومُ
هذا الإمامُ قَضَى عليهِ نَحْبَه ... الطيِّب العلاَّمة المَرْحُومُ
شيخُ العلوم وناشِرُ أعلامها ... محيي الفهوم إذا تموتُ فهومُ
علم الأئمة واحدٌ في عَصْرِهِ ... ولكلِّ عصرٍ واحِدٌ مَعْلُومُ
مَنْ العلوم الزّهرِ بعد وفاتِهِ ... هيهاتَ قد رَمَسَتْ وراهُ عُلومُ

ومنها:

مَوْلاي أوحشتِ الدِّيار فهذه ... أطْلالكم فيها تَصيحُ البُومُ
لا عَيْشَ يصفو بعدَكم كلاً ولا ... تلك الرُّسوم وإن عَظِمنَ رسومُ
قَد كانتِ الدُّنيا تزيَّنُ بذِكركم ... منها العِراقُ ومِصْرَها والرّومُ
واختصّ ذا اليمنِ المُبارَكَ الذي ... قد خصّه واليمن فيه قَديمُ
لا سيّما عَدَنٌ فقد فَخُرتْ بكم ... فخراً على وجهِ العُلى مَرْقُومُ
والثّغر منها كان يبسمُ ضاحكاً ... فاليومُ يبكي واعْتَرَتْهُ هُمومُ
لَهْفي على تلك المحاسن أنها ... كالزَّهْرِ وهو الطِّيبُ المَشْمومُ
وسِعَ الأنامُ فكلهم أولاده ... راضُون عنه كأنه مَعْصُومُ
كَثُرتْ فضائله فطابَ لِقائلٍ ... في وصْفِهِ المنثُورُ والمَنْظُومُ

ودفن في قبر جده لأمه العلامة القاضي محمد بن مسعود أبي شكيل بعرصة منه وذلك في قبة العارف بالله تعالى الشيخ جوهر، وكثر الحزن والتأسف عليه من الخاص والعام، ولم يخلف بعده مثله. رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

[أحمد المنباوي]

وفيها [٩٤٧]: في ربيع أول توفي الشيخ العارف بالله تعالى، أحمد المنباوي، المغربي، شيخ الشوهاجي، الشيخ الكبير ذو القدر الخطير. كان جل

أعماله قلبية، وملبسه الثياب الوضيعة[1] ومأكله الأطعمة الفاخرة. وكان مجهول الحال عند غالب الناس، وكثيراً ما يغلب عليه الاستغراق اليومين والثلاثة فإذا أفاق قضى الصلوات جميعها، وكان لا يصحب أحداً في الطريق إلا بعد طول امتحانه، فإذا طلب منه انسان الصحبة في الطريق يقول له: هات جميع ما لك لي وينظر فإن سمح بذلك نال يصلح للطريق وإن لم يسمح يقول له اذهب والا يمقتك الله تعالىٰ. ثم يقول: يبيع أحدكم حضرة ربه بأقل من جناح بعوضة ويقدّمها على ربه ويطلب منصباً علىٰ الفقراء وعلىٰ ربه. ولو لم يكن من أصحابه الدّالين علىٰ مقامه إلا الشيخ أبو النجا التوهاجي لكان في التنويه بمقامه كفاية. وكان كثير العطب لمن أنكر عليه، فمن أنكر عليه لا بد أن يحصل عليه نكد، إمّا مرض، أو موت من يحبه، أو سرقة مال، أو حرقة، أو إخراج من وطن. ودفن بدمياط رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به آمين.

[علي الذؤيب]

وفيها [٩٤٧]: توفي الشيخ الصالح سيدي، علي الذؤيب[2] المصري، صاحب الأحوال الغريبة والمكاشفات العجيبة، كان من أكابر الملامتية وهو أول مشايخ الشيخ محمد العدل الطناحي.

وكان يلبس لباس الحمّالين تارة، والتزاسين تارة، وكان يقيم بالنهار بالبرية ويدخل بلده ليلاً، وأقام بمصر نحو عشرين سنة ليلاً ونهاراً واقفاً تجاه المارستان معتمداً علىٰ عصاه وهو متلثم، ثم بعد ذلك نزل إلىٰ الريف وظهرت له كرامات كثيرة وخوارق شهيرة، فكان يخبر الناس كل يوم بما وقع في أقطار الأرض فيجيء الخبر بعد ذلك كما أخبر. وكان يُرى كل سنة بـ (عرفة) ويختفي عمن يعرفه، قال الشيخ عبد الله الشعراوي: اجتمعت به مرة عقب منام رأيته وذلك أني سمعت قائلاً يقول في المنام الشيخ علي الذؤيب قطب الشرقية ولم أكن سمعت به ابداً فسألت الناس عنه فقالوا هذا رجل من أولياء الله تعالىٰ، وقال له السيد الشريف البلقيني:

---

(١) في الأصل: الوضعية.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣١٩، طبقات الشعراني الكبرى ٢/ ١٣٦، الكواكب السائرة ٢/ ٢١٩).

ما هذه البطن الكبيرة؟ فقال له: يا شريف هذه أحسن من البطن الضيقة كل كلمة قبيحة دخلتها تغيب فيها ولا تظهر، بخلاف الضيّقة مثل بطنك يكدّرها من أولها إلىٰ آخرها كلمة واحدة. وكان موته بالبحر الصغير، ودفن بداره، ووجدوا في داره بعد موته نحو ثمانين ألف دينار ذهباً وما علم الناس من أين هذه الدنانير لكونه كان متجرداً من الدنيا فأرسل نائب مصر فطرحها في بيت المال.

[سراج الدين باجمّال]

وفيها [٩٤٧]: في آخر ربيع أول، توفي الشيخ سراج الدين باجمّال أحد كبار الرجال، أرباب الأحوال، حفظ «القرآن العظيم»، ولازم تلاوته آناء الليل والنهار. وكان مواظباً علىٰ الأذكار النبوية، والسنن الشرعية، والأحزاب الشاذلية. وكان قانعاً من الدنيا بالكفاف، لابساً ثوب العفاف، وصحب كثيراً من العلماء الأخيار، والعلماء الأحبار. وكان متواضعاً خاشعاً ورعاً، زاهداً في الدنيا والرئاسة، محباً للفقراء والمساكين، يكرمهم بما وجد، ولا يتكلف شيئاً لأحد.

[محمد الحسيني]

وفيها [٩٤٧]: توفي الشيخ المولى محيي الدين محمد الحسيني؛ الشهير بسوك، أصله من ناحية (أنقرة) واشتغل علىٰ علمائها، ورحل إلىٰ المولى سنان الدين يوسف الكرماني فأخذ عنه وعن الشيخ محمد القوجوي ومصلح الدين بن بركة، وصار معيداً لدرس المولى بالى الايديني، ثم وُلّي تدريس بلدة (أنقرة) ثم تنقل في مدارس البلدان، ثم صار معلماً للسلطان محمد بن السلطان سليمان خان. وكان عارفاً بالأصول والعربية والكلام، سليم الطبع، كثير النفع، انتفع به جماعة كثيرون. وكان باذلاً جاهه للقريب والبعيد، محباً للعلماء والفقهاء والصلحاء، معتنياً بخدمتهم. ولم يزل علىٰ ذلك حتىٰ انقضت أيامه، ووافاه حمامه. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد التونسي]

وفيها [٩٤٧]: توفي الشيخ محمد التونسي[1] مولداً، المغوشي شهرة، حفظ

---

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٢١، الكواكب السائرة ٢/ ١٥، در الحبب في أعيان حلب =

القرآن في بلده، وقرأ على جماعة كثيرين، وجدّ في الطلب حتى فاق أقرانه، وحكى عن مجاهدته ما لا يقدر عليه أحد من أهل زمانه إلا من يسّره الله له. ترجمه تلميذه الشيخ قطب الدين، قال: كان نادرة الزمان، ذكاءً وعلماً وحفظاً، بحيث أنه كان يدرس الكتب المشكلة كالعضد، وشرح التجريد وشرح المطالع ولا يحتاج إلى مطالعة، وكان متقناً لجميع العلوم ويُلقَّب بعالم الربع المسكون، قرأت عليه حاشية المطالع وقطعة من التلويح في رحلتي الثانية إلى مصر سنة خمس وأربعين، فرأيت العجب العجاب ومع ذلك كان يقول: إن لي عشرين عاماً تركت المطالعة. وأخبرني أنه حصّل جميع العلوم وعمره ثمانية عشر عاماً، ودرس في هذا السن، وحضر غالب مشايخه فرأوا منه ما أبهرهم، وكان يعدّ نفسه عند اجتماعنا به تاركاً ومع ذلك يستحضر جميع الكتب المتداولة استحضاراً تاماً بحيث إذا سئل قراءة المطول عليه، يقول هذا الكتاب فيه كذا وكذا بحثاً مشكلاً، ويسردها ثم يقول: الحق مع السيد في كذا، والحق مع السيد في كذا، ويبين جميع ذلك كأنه يقرأ سورة الفاتحة. وله مجالسة حسنة ومحادثة لطيفة، واستحضار لغالب كتب التواريخ من الوقائع وغيرها. تولى قضاء الجماعة بأندلس، وكان ملكها لا يكاد يصبر عنه ساعة إلى أن انهزم، فسافر عنها الشيخ إلى بلاد الروم، فحصل له الإقبال من جميع أكابرها وعلمائها، ثم حج من عام أربع وأربعين فصحبه من مكة راجعاً، فتوطن مصر واشتغل بالإفادة فيها، وانتفع به خلق كثير إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في رمضان، أخبرني قبل وفاته: أنه لم يدخل الستين، وأنه في السابع والخمسين. وكان له مشهد عظيم حضره نائب مصر داود باشا، وأكابرها كالقضاة، ودفن بجوار الإمام الشافعي بالقرافة، وكان كثيراً ما يلهج بالشيخ محمد السبكي، ويقول: إن معظم استفادته عليه بتونس، وكذلك البرسكي قاضي الجماعة بتونس، وأخذ أيضاً عن السنوسي بعد أن تباحثا. انتهى.

وقال تلميذه المولى أحمد بن مصطفى بن خليل في كتابه «شقائق النعمان» قال: ودخل قسطنطينية في أيام سلطنة السلطان سليمان، وقرأت عليه أوائل صحيح البخاري، ونُبذاً من الشفا، وباحثته في علم المعاني والبيان والجدل والكلام،

= ٢/١/٢١٢، الأعلام للزركلي ٧/٥٧، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٦٩).

وأجازني أن أروي عنه جميع مسموعاته ومروياته، وكان آية كبرى من آيات الله تعالى في الفضل والتدقيق والحفظ والتحقيق، وكان يقرأ للقراء العشرة بلا مطالعة كتاب، وكان غاية في علم النجوم وفوائد المنطق بحيث لا يغيب منها شيء، وكذا شرح المختصر للقاضي عضدالدين مع حواشيه، وبالجملة كان من مفردات الدنيا وجبلاً من جبال العلم، ومع ذلك كان ليِّن الجانب طارحاً للتكليف متّصفاً بالأخلاق الحميدة، ويشتغل بالتلاوة في أكثر أوقاته، ولمّا جاء الشتاء لم يقدر على برد الروم، فاستأذن السلطان في سكنى مصر، فأذن له وتوطنها إلى أن توفي بها. رحمه الله تعالى وإيانا.

[الأمير محمد بايزيد]

وفيها [٩٤٧]: توفي الأمير الكبير، محمد بن بايزيد الأدرنوي، وكانت ولادته بـ (أدرنة) سنة أربع وتسعين وثمانمائة، وقدم مدينة (حلب) على نائبها ملك الأمراء خير بك سنة ثمان عشرة رسولاً من قبل السلطان سليم على إزالة دولة الغوري، وكان سبباً للإلفة بينهما، ثم أقام بـ (حلب) وتزوج ببنت شاه سوار من أكابر تجار حلب، فلمّا قدم السلطان سليم حلب، واجهه واعتنى به، وأخذه معه إلى (مصر) فلمّا فتحها أعطاه الهند أربعمائة ألف عثماني، ونظر أوقاف قايتباي بثمانين ألف عثماني، واستمر معه إلى أن مات، وكان يجتمع في السر مع السلطان سليم يستشيره في مصالح الملك وأخذ البلاد، ثم لاقى منه مشقة شديدة، وأراد السلطان سليم قتله مراراً، وسلّمه الله تعالى فإن السلطان، كان فتاكاً يقتل بأدنى شيء يتوهم، فخلّصه الله بحسن نيته واستقامته وكثرة إحسانه إلى الفقراء، فإنه كان يبادر إلى حاجتهم ويحن على الضعفاء، وكان في صحبة سليمان باشا في سفره إلى الهند، وحصل على يديه خير كثير للناس.

وكان يحب أهل البيت النبوي صادقاً في مودتهم، وكان نصوحاً للأشراف ولاة مكة، قائماً بخدمتهم عند آل عثمان، وكان يمنع سليمان باشا وينصحه في أمور كثيرة، فيها ضرر على المسلمين، وكان يحبه جداً ولا يبت أمراً قتلاً أو فتكاً إلا في غيبة صاحب الترجمة، فاستمر على الحال المشهور إلى أن توفي في التاريخ المذكور، رحمه الله تعالى وإيانا.

[عرار أبو نمي]

وفيها [٩٤٧]: توفي السيد، عرار بن عجل ربيح بن حازم بن عبد الكريم بن نمي الحسني، كان رجلاً كاملاً أديباً فاضلاً، وكان شريف مكة بركات والسيد أبو نمي يرسلانه إلى السلطان في قضاء حوائجهما المتعلقة بالسلطنة، واستمر إلى أن توجه في خدمة السيد أحمد إلى (اسطنبول) عام سبع وأربعين فمات بها مطعوناً، رحمه الله تعالى.

[حسين جلبي]

وفيها [٩٤٧]: توفي المولى حسام الدين، حسين جلبي القراصيوي[١]، أخو حسن جلبي. أخذ عن جماعة من العلماء، منهم: المولى خير الدين معلم السلطان سليمان، ووُلّي تدريس عدة مدارس، وأخذ عنه جماعة، وكان مشاركاً في العلوم الشرعية والعقلية مواظباً على المطالعة والقراءة إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى.

سنة ثمان وأربعين وتسعمائة

[منصور بن صدر الدين]

توفي السيد الأمير منصور بن الأمير صدر الدين محمد الملقب بأستاذ البشر والعقل الحادي عشر، قال القاضي نور الله في «مجالس المؤمنين» في ترجمة المنصور المذكور: فرغ من ضبط جميع العلوم ولم يتجاوز العشرين من عمره، وكان يرى من نفسه داعية المناظرة والمباحثة مع العلامة الدواني، وله من العمر أربعة عشر سنة، وتولّى الوزارة العظمى لإسماعيل شاه ـ سلطان العجم ـ ثم استعفى منها، ورجع إلى شيراز وتوفي بها، وله مؤلفات كثيرة عدّ منها القاضي المذكور ثمانية عشر مؤلفاً ثم قال: وله غير ذلك.

[أحمد البخاري]

وفيها [٩٤٨]: توفي الشيخ، أحمد بن الشمس محمد بن القطب محمد بن السراج محمد البخاري الأصل، المكي[٢] إمام الحنفية بمكة. وُلد في صفر سنة

(١) وردت في الكواكب السائرة ج ٢ ص ١٣٩: القراصوي.

(٢) انظر: (النور السافر ـ ص ٢٠٩، شذرات الذهب ٨/ ٣٢٤).

ثلاث وثمانين بمكة وسمع من الحافظ السخاوي وسمع عليه سنن أبي داود وغيرها، وسمع من الحافظ الديمي والحافظ السيوطي والتقي الأوجاني، ولبس الخرقة من الشريف محمد بن محمد القادري، ولازم قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة، وحضر دروسه ورحل إلى دمشق مع نائبها قانصوه المحمدي، وكان يوم به، واستقر في نيابة الجامع الأموي، وناب في القضاء عن المحب بن القصيف، وسمع بها على السراج الصيرفي والجمال بن المبرد وغيرهما، وأجازه غير واحد، منهم: التقي بن قاضي عجلون والنجم ابن مفلح، ثم عاد إلى القاهرة، وأجازه برهان الدين بن أبي شريف والجمال القلقشندي، ثم عاد إلى مكة ولازم العز بن فهد، وكَتَب الطبقات، وتخرج به وقرأ عليه الكتب الستة وغيرها، واختص بالقاضي نور الدين بن الضياء، ولازم دروسه الفقهية واستنابه في القضاء، وكان مولعاً بالتواريخ كثير الحفظ لها جمع فهرست لنفسه سمّاه: نعمة الباري لفهرس أحمد البخاري، قرّضه له جماعة، مات بجدة وحُمِل إلى مكة.

[عمر العمودي]

وفيها [٩٤٨]: توفي الشيخ الكبير العلم الشهير شجاع الدين، عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان العمودي. أحد العلماء العاملين، والصلحاء العارفين، قرأ «القرآن المجيد»، واعتنى بالتجويد، واشتغل بالعلوم الشرعية، وعلوم الصوفية. أخذ عن عمه العلامة عثمان بن محمد العمودي، والشيخ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل[١]، وأخذ عن غيرهما ممن في طبقتهما. وكان ممن جمع الله تعالى له من محاسن الصفات ما لم يجتمع لغيره من أهل تلك الجهات؛ كالتواضع، وحسن الخلق، والكرم، ومحبة الفقراء والمساكين، والغرباء المنقطعين، والإحسان إلى هؤلاء، وجميع الواردين، لا سيما طلبة العلم الشريف، والمشتغلين بالذِّكر المنيف، فكان يقوم بجميع ما يمونهم، وقد يجتمع عنده منهم الستون في بلده (قَيْدون)، مع البشاشة وطلاقة الوجه. وارتحل في آخر عمره إلى الحرمين. وأخذ بهما عن جماعة كثيرين، وأخذ عنه جمع من المريدين، وانتقل

(١) «بافضل» زيادة في ب.

إلىٰ رحمة الله تعالىٰ قافلاً من الحج ببندر القنفذة، رحمه الله تعالىٰ وإيانا آمين.

[هاشم المجذوب]

وفيها [٩٤٨]: توفي السيد هاشم المجذوب المصري، كان له أحوال غريبة وصفات عجيبة، فكان يحلق رأسه ولحيته في رمضان جهاراً ويقول: أنا محترق، وكل من أنكر عليه عَطِبه، ويؤاخذ الناس بما يخطر لهم في سرائرهم ويضربهم، وكان الأكابر والأعيان تهابه، وكان أصحاب (النوبة) يجلونه ويعظمونه، ولمّا طعن العارف بالله سيدي علي الخوّاص من أصحاب النوبة، وكانوا إعجاماً، كان يقول: لولا الشريف هاشم كنت قتلت، وكان مقيماً في المارستان وفي حاصله قدام باب المجانين، وتوفي ببلده (أتليدم) الصعيد، ودفن بها، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[هداية الله بن بار]

وفيها [٩٤٨]: توفي الشيخ هداية الله بن بار علي[١]، أحد علماء الروم المتفننين في العلوم. أخذ عن المولى بير أحمد جلبي والمولى محيي الدين الفناري والمولى بن كمال باشا، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس بتلك الديار، وانتفع به جماعة من الأخيار، ثم وُلّي قضاء مكة المشرفة، واختل نظره، وعزل ثم ترك القضاء، وأقام بمصر المحروسة إلىٰ أن انتقل بها، وكان عالماً بالأصول عارفاً بعلم المعقول عاقلاً لبيباً أديباً، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[خير الدين القطوفي]

وفيها [٩٤٨]: توفي خير الدين خضر المعروف بالقطوفي، قرأ علىٰ المولى يحيى التفسير والحديث، وقرأ علم المعاني علىٰ عبدي الأماسي، والعلوم العقلية علىٰ قطب الدين محمد حفيد قاضي زاده الرومي، وقرأ العلوم الشرعية علىٰ أفضل زاده، ثم صار معلماً لعبيد السلطان بايزيد، ثم اختار طريقة الوعظ، وعين له ثمانون درهماً كل يوم، يُفسر القرآن يوم الجمعة في جامع القسطنطينية، وكان له

(١) أورده صاحب «شذرات الذهب» ضمن وفيات السنة التالية لهذه، أي سنة ٩٤٩هـ. وذكر المحقق المصادر التي ترجمت له، وهي: (الكواكب السائرة ٢/٢٥٦، در الحبب في أعيان حلب ٢/٢/٣٧، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٩٧).

معرفة بالتفسير والحديث، وله حواشي على الكشاف، وشرح المشارق، وله مؤلف في الطب ورسائل متعلقة بعلم الكلام، وكان يصرف أوقاته في التدريس والوعظ، واستمر إلىٰ أن انقضت مدة العمر، وحل محل الرمس والقبر، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[قاسم المخدومي]

وفيها [٩٤٨]: توفي الشيخ الفاضل المولى شاه قاسم بن الشيخ المخدومي، كان متوطناً بـ (تبريز)، واشتغل بها بالعلوم حتىٰ حصّل طرفاً صالحاً من العلوم العقلية، ولمّا دخلها السلطان سليم خان، اجتمع به وصحبه معه إلىٰ الروم وعيّن له كل يوم خمسين درهماً، وكان له معرفة تامة بالإنشاء، وله خط حسن وقرأ التصوف علىٰ جماعة، وتأدب بآدابه، وكان عاقلاً أديباً عارفاً بأحوال الزمان، عارفاً بمجالسة الملوك خبيراً بالأمور، أديباً لبيباً، وشرع في إنشاء تاريخ لآل عثمان فاخترمته المنية قبل تمامه، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[ابن العرجون]

وفيها [٩٤٨]: توفي الشيخ محمد محيي الدين الشهير بابن العرجون، حفظ القرآن المجيد، وقرأه بالتجويد وقرأ علم القراءات، وعلم العربية، وكان حسن الصوت، وكانت الناس تقصده لسماع قراءته، ووُلّي خطابة جامع بايزيد بقسطنطينية، وكان حسن الإيجاز، وأخذ طريق التصوف عن جماعة، وقرأ عليهم في كتبهم، وكان سليم الصدر محمود السيرة مكرماً محبوباً طيب الرائحة، وتوفي في القسطنطينية، رحمه الله تعالىٰ وإيانا آمين.

[أبو يزيد الأنصاري]

وفيها [٩٤٨]: توفي نظام الدين حمود بن قطب الدين محمد أبو يزيد الأنصاري. وُلد سنة ست وتسعين وثمانمائة يجمعها خير مولود، وأخذ عن والده والملا علي القرماني، وسلك مسلك أبيه في الزهد والإقبال على الله، ونال من المال مرتبة عظمى وجلس بعد وفاة أبيه مكانه، وانتفع به الناس، ثم ظهرت الشيعة في فارس، فارتحل إلىٰ (لار) فأقبل عليه سلطانها عادل شاه وأخذ العهد علىٰ يديه، فلمّا سمع به طهماست الرافضي، أرسل يطلبه فلم يفعل ثم استشهد شاه

عادل على يد شخص كردي سنة ثمان وأربعين، وتولى ولد أخيه وهو شيعي، فأرسل له طهماست مكتوباً مضمونه أن شخص يسمى نظام الدين محمود، شيد المذهب الباطل وروجع ورسمنا بحمله إلينا مكبلاً بالحديد، فحمل إليه فلمّا رآه قال له: إما أن ترجع عن ضلالك وتتبع مذهب الحق، فقال له: وما الحق؟ قال: سب الصحابة، فقال: ما أذكرهم إلا وأنا كامل الطهارة، وتحقق عنده أن الدنيا بين سلطانين:

أحدهما: ظالم وهو سلطان الروم لأنه قادر على إزالته.

والثاني: أقرب إلى الكفر وهو أنت فغرز في جسمه إثني ألف إبرة وهو يتشهد ويترضى عن الصحابة، ثم سلخ ثم أحرق فلم تعمل فيه النار، وكان شافعي المذهب كأبيه فرأى أبا حنيفة في المنام يقول له: أنت من أتباعنا، فلمّا أصبح صار حنفياً. رحمه الله تعالى.

سنة تسع وأربعين وتسعمائة

[أحمد الفتوحي]

توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي[1]، الشهير بابن النجار، الشامي، أحد محققي الحنابلة، ذو الهمة الطائلة، والسجية الفاضلة. وُلد سنة اثنتين وستين وثمانمائة، وأخذ عن الشيخ شهاب الدين الشناوي وأبي السعود الغرافي - بالغين المعجمة - وغيرهما، وتفنن في عدة علوم وانتهت إليه الرئاسة في تحقيق مذهب الحنابلة في علو السند وعلم المعقولات والطب، وأجازه جماعة من مشايخه، وجلس للتدريس وأخذ عنه كثيرون، منهم: ولده تقي الدين، والحافظ نجم الدين الغيطي، والشيخ محمد البهنسي. وولاه السلطان الغوري القضاء كرهاً بعد أن اعتذر، وقال: أنا لا أصلح للقضاء وتوليه مثلي لا يُخلّص ذمتك عند الله تعالى، وأخذ عن جمع كثيرين عدة فنون إلا الصوفية، فكان

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٣٢٨، الضوء اللامع ١/٣٤٩، الكواكب السائرة ٢/١١٢، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص ٦٨، متعة الأذهان من التمتع بالأقران ق ٦، النعت الأكمل لتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ص ١١٣).

ينكر طريقتهم ويقول: هل لله طريق أخرى تقرب إليه غير العلم الذي بأيدينا، فلمّا اجتمع بسيدي علي الخوّاص اعترف لأهل الطريق بالفضل، وقال: هؤلاء قد قطعوا مقامنا وتعدوه إلى ما وراءه وتأسف على عدم اجتماعه بالقوم من أول عمره، ولمّا وقف على كتاب «الجواهر والدرر» للشيخ عبد الوهاب الشعراوي، كتب عليه أحسن كتابة، وقال: والله إنني طول عمري أطالع كتب الشريعة، فلم يخطر ببالي سؤال منه ولا جواب وإذا ذكرت قصته مع الشيخ علي الخواص، لمّا شكاه إلى المحتسب كما سبق في ترجمته بكى وقال: مثلي يشكو أولياء الله تعالى؟! ولم يزل يزور قبر الشيخ علي إلى أن مات. قال: ولمّا طالعت قول الشيخ على كل علم استفاده صاحبه من كلام غيره، فليس ذلك من علمه، إنما هو حامله فقط، ومن أراد أن يعلم وثيقته في العلم الذي يبعث عليه يوم القيامة، فليرد كل قول علمه إلى قائله، وينظر بعد ذلك فما بقي بعد ذلك فهو علمه الذي يبعث عليه انتهى. قال: ففعلت ما قال الشيخ فرأيت نفسي جاهلاً وتسميتي بشيخ الإسلام زور، ثم أقبل على العبادة، وصار كأنه لم يشتغل بعلم قط. وجاءه شخص يريد أن يقرأ عليه المنطق فقال: يا ولدي قد صار الفقه ثقيلاً على قلبي، فكيف بعلم أفتى بعض العلماء بحرمة الاشتغال به، فقال الشخص له: يا مولانا العلم عبادة، فقال: صحيح ولكن ما وجدنا به رقة القلب بخلاف الذكر مع أن فضل العلم على غيره مشروط بحصول الإخلاص فيه، وما أظن أن عندي إخلاصاً. وصار له كشف عظيم، ونور جسيم، وظهرت منه كلمات ومكاشفات، وقد قال إمام الأئمة محمد الشافعي: إذا لم يكن العلماء الفاضلون أولياء الله تعالى، فليس لله تعالى وليّ، قال الشعراوي: وهو آخر مشايخ الإسلام من أولاد العرب انقراضاً، وتوفي بمصر، وصلّى عليه ولده الشيخ تقي الدين بالجامع الأزهر. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[جمال الدين المصري]

وفيها [٩٤٩]: توفي الشيخ الفاضل جمال الدين، محمد بن القاضي المصري. اشتغل بتحصيل العلوم في أول عمره، وحصل منها طرفاً صالحاً، ثم حصلت له جذبة ربانية وترادفت عليه أنوار بهية حتى صار يجلس على دكان باب القنطرة عرياناً حاسر الرأس حافياً، والغالب عليه الصمت لا يتكلم إلا نادراً،

وحصلت له كرامات كثيرة وصحبه حال صحوة كثيرون، منهم: سيدي عبد الوهاب الشعراوي، واستمر كذلك إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى نفعنا الله به آمين.

[علاء الدين الكجراتي]

وفيها [٩٤٩]: في المحرم، توفي الشيخ علاء الدين علي، وربما سُمّي أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي الكجراتي النهروالي الحنفي، نزيل مكة المشرفة، ويعرف ببرخور دار، والد قطب الدين. مولده سنة إحدى وسبعين وثمانمائة بـ (نهرواله)، وإليها كان يُنسب، ونشأ في كنف والده وجده واشتغل على مولانا محمد بن إدريس وعلى إسلام خان، وبرع وعبّر، وأعطي منصب الإفتاء في دار السلطنة، وحج سنة تسعمائة وجاور بمكة، وأخذ عن الشمس السخاوي والشيخ عبد المعطي المغربي والجمال ابن ظهيرة، وسافر إلى اليمن ودخل عدن، ولازم عبد الله بن أحمد بامخرمة، وصاحبه محمد بن أحمد بافضل، ورحل إلى العجم، ولازم الجلال الدواني والسيد صدر الدين، واشتغل عليهما كثيراً، وكان الجلال يصفه بالفهم والعلم والذكاء، وتفقّر وأخذ العهد على يد العلامة الشيخ قطب الدين يحيى الأنصاري السعدي الخزرجي، وتزوج بنت عم شيخه، ودخل الخلوة، وارتاض بحيث أخبر أنه شاهد عهداً من وراء الجدار يصب على يد سيده ولم يكن الجدار حائلاً من المشاهدة، فلمّا كثرت الفتن، ارتحل بعياله إلى مكة المشرفة سنة عشرين، واستمر مجاوراً يقرأ بالحرم الشريف إلى أن كف نظره سنة ثلاثين، فأمره الأطباء بترك الصيام للمعالجة، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصوم مع ذلك الإثنين والخميس، ولا يكاد يفتر عن الصيام، وكان يحج على قدميه إلى أن ضعف عن المشي، وكان السلطان مظفر شاه معتقداً فيه بحيث أرسل له مائة دينار خارجاً عن صدقته العامة والخاصة التي يرسلها، وأمر له ببيت بمكة، وكان وزراء الروم يكاتبونه ويعظمونه، واستمر بمكة إلى أن توفي بها، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

سنة خمسين وتسعمائة

[المستمسك العباسي]

اثني عشرة خلت من شعبان، توفي أبو عبد الله المتوكل على الله الخليفة، محمد بن يعقوب، المستمسك بالله تعالى، أحد الخلفاء العباسيين، ظل الله الممدود على العالمين[1]. كان المتوكل هذا فاضلاً أديباً عاقلاً أديباً، له شعر حسن، منه قوله:

لم يبق محسن يُرجى بل ولاحسن ... ولا كريم إليه مشتكى حزني

وإنما ساد قوم غير ذي نسب ... ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني

ضمّن قول الطغرائي:

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

ولمّا أخذ سليم خان مصر المحروسة، أخذه معه مركتا إلى اصطنبول عوضاً عن والده يعقوب لكبر سنه وذهاب بصره، فلمّا توفي السلطان سليم عاد المتوكل إلى مصر، وصار خليفة بها، واستمر إلى أن توفي وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر.

وأول الخلفاء المصريين أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد لمّا أخذ التتار بغداد هرب إلى عرب العراق، فلمّا تسلطن الملك الظاهر بيبرس بمصر، وفد عليه ثم أثبت نسبه على يد قاضي القضاة ثم عز الدين بن عبد السلام، ثم الكبار على مراتبهم ونقش اسمه على السكة، وخُطب له ولُقّب بالمستنصر.

وخطب يوم الجمعة وعليه السواد خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس، ودعا للسلطان ثم صلى بالناس، ثم ألبس السلطان الخلعة بيده وطوقه، وقرأ فخر الدين بن لقمان التقليد على منبر وركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر وزينت القاهرة، ثم إن المستنصر هذا عزم إلى العراق، وخرج السلطان معه إلى دمشق، ثم جهز الخليفة وأولاد صاحب الموصل وعزم عليه وعليهم ألف ألف

(١) انظر: (الأعلام ٧/ ١٤٧. وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته).

دينار وستين ألف دينار، فالتقى بعسكر التتار، وتصافوا فقتل جمعة من المسلمين وعدم الخليفة المستنصر، فقيل: قتل وهو الظاهر وقيل: هرب، فأضمرته البلاد وذلك أول سنة ستين وستمائة، وكانت خلافته دون ستة أشهر. وتولى بعده الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي[1] علي الحسن القُبّي - بضم القاف وتشديد الموحدة - ابن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر، كان اختفى وقت أخذ بغداد وتوجه في خدمته جماعة من أمراء العرب، وافتتح بهم بلدان وصاف التتار، وانتصر عليهم ولمّا عدم المستنصر كما تقدم كاتب الملك الظاهر، فيه فطلبه وقدم القاهرة وبايعوه بالخلافة بعد ثبوت نسبه وكانت خلافته نيفاً وأربعين سنة. ثم بعد موته بويع بالخلافة ابنه المستكفي بالله سليمان بعهد من أبيه سنة إحدى وسبعمائة؛ ثم قبض عليه ومنعه من الاجتماع بالناس ثم نفاه إلى (قوص)[2] سنة سبع، واستمر إلى أن مات بها سنة أربعين، وعُهد إلى ابنه أحمد فلم يلتفت السلطان إلى ذلك، وبايع إبراهيم بن المستمسك بالله بن الحاكم أحمد، ولقّبه بالواثق بالله، ثم ندم السلطان على ما صدر منه، وعزل إبراهيم وبايع وليّ العهد أحمد ولُقّب الحاكم - سنة اثنتين وأربعين، ومات سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وبويع بالخلافة أخوه المقتصد بالله أبو بكر المستكفي بالله ومات سنة ثلاث وستين، ثم وُلّي الخلافة بعهد منه ولده محمد المتوكل على الله بن المقتصد، ومات سنة ثمان وثمانين، وبويع بالخلافة الواثق بالله عمر بن الواثق إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم، ومات سنة ثمان وثمانين؛ ووُلّي المعتصم بالله زكريا بن عمر بن المستمسك، ثم خلع سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ووُلّي المستعين بالله ابن المتوكل. وعمل الحافظ ابن حجر فيه قصيدته المشهورة التي أولها:

المُلك أصبح ثابت الأساس ... بالمستعين العادل العباسي

ثم وُلّي الخلافة المقتصد بالله داود بن المتوكل على الله بعد عزل أخيه سنة خمس عشرة وثمانمائة، ثم وُلّي شقيقه المستكفي بالله سليمان المتوكل؛ ثم خُلع

(١) «أبي» زيادة في الأصل - تصحيف من الناسخ.
(٢) في الأصل: «موص». والتصحيح من الأعلام ٣/١٢١.

ووُلّي أخوه المستنجد بالله بن المتوكل، ومات سنة أربع وثمانين وثمانمائة، ثم بويع المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل، ومات سنة ثلاث وتسعمائة كما مر، ووُلّي الخلافة بعهد منه ابنه المتوكل على الله محمد وتوفي هذا العام. وهؤلاء الخلفاء ليس لهم إلا اسم الخلافة، وكانت سلاطين الأقاليم يتبركون بهم ويطلبون تفويض السلطنة لهم، وكانت الخلفاء البغداديون ليس لهم من الخلافة إلا الصورة أيضاً، وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة وإنما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن الحافظ السيوطي عدّهم من جملة الخلفاء العباسيين.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

[المولى خير الدين]

وفيها [٩٥٠]: توفي المولى خير الدين، أحد علماء الروم. أصله من قسطموني، واشتغل بها على جماعة من العلماء، ثم اتصل بخدمة العالم المولى الشهير بأخي يوسف، ثم صحب الشيخ المولى مصلح الدين مصطفى البركة، ثم صار معلماً للسلطان سليمان وحصل له عنده قبول عظيم وجاه جسيم، وانتفع به جماعة من العلماء وغيرهم وسعى لهم بالمراتب العلية والمدارس السنية، واستمر قائماً بنفع العباد إلى أن رحل إلى دار المعاد، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري، رحمه الله تعالى.

[أحمد حمزة]

وفيها [٩٥٠]: توفي المولى، أحمد شمس الدين بن حمزة، القاضي المشهور بـ (عرب جلبي)[1]. أخذ عن المولى موسى بن أفضل زاده وغيره من العلماء الأروام ثم رحل إلى مصر المحروسة، وأخذ عن جماعة من علمائها، وجدّ في الاشتغال والأخذ عن أكابر الرجال، إلى أن بلغ ما يرجوه من الآمال، من تفسير وحديث وفقه وأصول ومعاني وبيان وعربية وهيئة، وأجازه غير واحد منهم، ثم عاد إلى الروم وهو متضلع من هذه العلوم وبنى له الوزير قاسم باشا مدرسة بالقرب من مدرسة أبي أيوب ودرّس بها، وانتفع به كثير من الطلبة. وكان له اعتناء

(١) في الكواكب السائرة ج ٢ ص ١٠٦: المشهور بابن قيما.

[علي البخاري]

وفيها [٩٥٠]: توفي السيد شير[١] علىٰ البخاري. وُلد ببخارى ونشأ بها، واشتغل بالعلم علىٰ جماعة من علمائها، وأخذ عن جماعة بسمرقند وشارك في عدة علوم لا سيما المعقوليات والعربية، ثم رحل إلىٰ الديار الرومية، فعين له السلطان سليمان ثلاثين عثمانياً من جوالي مصر، فرحل إليها وأخذ عن جماعة بها ثم رجع إلىٰ القسطنطينية وتوفي بها، وله مؤلفات منها: شرح لطيف علىٰ الفوائد العثمانية[٢] في البلاغة للعلامة عضد الدين، وله رسائل في الأدب، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

سنة إحدى وخمسين وتسعمائة

[محمد بن عمر باقضام]

لثمان خلون من ربيع أول، توفي الشيخ، محمد بن عمر باقضام[٣]، مفتي الأنام، وأحد العلماء الأعلام، ذو الفضل الغزير، والعلم الكثير. وُلد بمدينة (الهجرين)[٤]، ونشأ بها، وحفظ «القرآن»، وبعض المتون، منها: الإرشاد. ثم رحل إلىٰ (عدن) المحروسة، وأخذ عن إماميها العلاّمتين، البدرين المنيرين، محمد بن أحمد بافضل، وعبد الله بن أحمد بامخرمة، ويجتمع صاحب الترجمة مع شيخه عبد الله بامخرمة في الجد الخامس. ثم رحل إلىٰ (زبيد)، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمر المُزَجَّد، والقاضي محمد بن حسين القمّاط[٥]، ولازمهما مدة قضائهما بعدن، وجَدَّ في الطلب، لا سيما في الفقه، حتىٰ فاق أقرانه، وصار في عدن ـ بعد موت إماميها ـ هو المشار إليه، والعالم المعوَّل عليه. وقصده الناس بالفتاوى من كل البلاد، ورحلت إليه الطلبة من كل ناد، قال العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة: لكنه قد يتساهل في الفتاوىٰ، ويترك المراجعة، لا سيما أواخر

(١) في معجم المؤلفين ج ٧ ص ٤٣: مير.
(٢) في معجم المؤلفين: الفوائد الغياثية.
(٣) انظر: (النور السافر ٢١٤، شذرات الذهب ٨/ ٣٤٣).
(٤) الهَجَرَين: مدينة كبيرة تقع في حضن جبل يقال له (المنيصور) بالوادي الأيسر من دَوْعن.
(٥) وردت في الأصل: «الغماط».

عمره، فاختلفت أجوبته، وتناقضت فتاويه.

وكان عامر بن داود آخر ملوك بني طاهر بعدن استماله في آخر عمره، وأحسن إليه، لأغراض فاسدة عزم عليها، فأجابه علىٰ سؤالاته بما يوافق أغراضه الفاسدة، فتوصّل بها إلىٰ مفاسد لا تنحصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: ولمّا وصلت إلىٰ (عدن) سنة ست وأربعين وتسعمائة، كنت عازماً علىٰ أن آخذ عليه شيئاً من الفقه، فلمّا أحطت علماً بحاله، رجعت عن قصدي فلم آخذ عنه، واتفق أني لمّا وصلت إلىٰ (عدن) ترك الناس فتاويه رأساً، ثم لم يلبث أن ضعف نظره جداً، وتعذر عليه قراءة الكتب وكتابتها. ولم يزل يزداد به الضعف من الأمراض إلىٰ أن توفي رحمه الله تعالىٰ. انتهى.

[أحمد بن داود]

وفيها [٩٥١]: توفي الشيخ شهاب الدين، أحمد بن داود[١]، محيي السنة المحمدية، في بلاد دمياط والمنزلة. كان محدثاً، فقيهاً، صوفياً، ما رؤي بعد الشيخ محمد بن عنان والشيخ يوسف الحريثي اضبط لأفعال السنة منه، وكان يقول: من أراد ضبط أفعال السنة، فليعمل بها، ولا يكتف بالحفظ، فإنها تتقيد عند العبد بالعمل فلا يكاد ينساها. وكان قوّالاً بالحق آمراً بالمعروف، لا يقدر أحد يتظاهر في بلاد المنزلة بترك صلاة أو فعل منكراً ومعصية خوفاً منه أن يضربه بالعصا، وكان له هيبة عظيمة، وكان كريماً سخياً يخدم الفقراء بنفسه كما كان والده، وكثيراً ما يُعَلِّق الدّست للضيف في الليلة ثلاث مرات، وكثيراً ما يعلق الدست بالماء والأرز فقط فيجعل الله تعالىٰ فيه الدسم، تارة لبناً وتارة مرقاً، فيقول الضيوف: ما رأينا ألذ من هذا الرز باللبن أو المرق. وكان يقول: طالما ملأت الإبريق من البئر شيرجاً أو عسلاً للضيوف وسترني الله تعالىٰ معهم. وله كرامات كثيرة، وصحبه كثيرون، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: صحبته نحو أربعين سنة، وأقمت عنده شهراً، ولبس من ثيابي ولبست من ثيابه. واستمر إلىٰ أن مات في (دمياط) عن نحو نيف وثمانين سنة ودفن عند والده في زاويته، رحمه الله

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٤٠، الكواكب السائرة ٢/ ١٠٠).

تعالى ونفعنا به آمين.

[محمد القوجوي]

وفيها [٩٥١]: توفي المولى محيي الدين، محمد بن العارف بالله تعالى مصلح الدين القوجوي، العارف الذي أشرقت أنوار عرفانه، وأغدقت أنهار طوفانه. اشتغل بالعلوم الشرعية، وأخذ عن والده، والمولى بن أفضل الدين، وتزوج بنت العارف بالله تعالى محيي الدين القوجوي، وجدّ في الاشتغال حتى نال ما نال، ووُلّي تدريس عدة مدارس، وأملى عدة مجالس، ثم خلا بنفسه واعتزل عن أبناء جنسه، واشتغل بالعبادات وأنواع الطاعات، وكان يجلس للتفسير فيحضره الجم الغفير. وكان حسن التقرير، لطيف التعبير، يفهمه منه الكبير والصغير، وألّف تفسيراً بعبارة واضحة ومعان لكل أحد صالحة، وله شرح على «الفرائض السراجية»، وشرح على «مفتاح العلوم» للسكاكي، وشرح على «البُردة» للبوصيري، وله حواشٍ على البيضاوي. وكان يقول: إذا أشكلت عليّ مسألة توجهت إلى الله تعالى فيتسع صدري حتى يكون قدر الدنيا ويصعد منه قمران، ثم يظهر لي نور فيكون دليلاً إلى المحفوظ فأستخرج ما أريد، وكان يقول: إذا عملت بالعزيمة لا أريد النوم إلا وأنا راقد في الجنة، وإذا عملت بالرخصة لا يحصل لي ذلك. وحكى أن بعض مريديه استشاره في تولية القضاء، فقال: كان بعض أصحابنا الصالحين قاضياً، ثم تركه ثم عاد إليه فسألته عن سبب ذلك؟ فقال: لمّا كنت قاضياً كنت أراه ﷺ كل أسبوع مرة، فتركت القضاء لأزداد قرباً منه ﷺ فانقطعت عن تلك الرؤية فعدت للقضاء فرأيته ﷺ على العادة، وسألته عن ذلك؟ فقال: المناسبة بيني وبينك القضاء لأنك إذا اشتغلت بالقضاء اشتغلت بإصلاح نفسك وإصلاح أمّتي، وعند عدمه لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك، ثم قال لمريده المذكور: إن كنت كذلك فالقضاء أولى. وكان متواضعاً يحمل حاجته من السوق بيده مع رغبة الناس في خدمته، وكان زاهداً في الدنيا، متقللاً، حكى أن السلطان عيّن له من بيت المال كل يوم خمسة عشر درهماً فقال: يكفيني عشرة دراهم. رحمه الله تعالى وإيانا آمين.

[أحمد بن عبد الله الرومي]

وفيها [٩٥١]: سادس صفر، توفي الشيخ، أحمد بن عبد الله الرومي، الشهير بحجة مولى السلطان جم بن السلطان محمد بن عثمان. مولده سنة..[١] وستين وثمانمائة في بلاد جركس، وسُبي صغيراً، وأُهدي إلى السلطان بايزيد، فكان في سرايه مدة، فحسن خطه في شهرين حسناً ظاهراً، فلمّا رأى أستاذه ذلك امتنع أن يكتب له مثالاً يجود عليه فشكاه إلى السلطان، فسأله عن سبب ذلك، فقال: ليس لي صنعة غير الكتابة، وهذا الولد إن كتب عليّ شهراً آخر محى اسمي، فأنا أحاذر على صنعتي. فترك ذلك صاحب الترجمة، وأقبل على الاشتغال بالعلم، ففتح الله عليه في أدنى زمن فاستوهبه السلطان جم من والده فوهبه له، وكان له عنده منزلة. واجتمع بالحافظ السخاوي سنة ست وسبعين، فسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، ولازمه. وقرأ عليه تصانيفه وعدة من الكتب الشهيرة، وكتب له إجازة سنية وترجمه بالفهم والدين والإقبال على الخير.

له نظم حسن، وغرام بالصوفية، ومحبة للقهوة، واجتمع بكثير من سادات الطريق، وأخذ عنهم وعارض البردتين بانت سعاد، وأمن تذكروا الهمزية، ولامية العجم. ونظمهُ كثير، وكُتُب بخطه كتباً كثيرة، وله خواطر جمعها في مسودات بينت له بعد وفاته، وله مكارم أخلاق ما زال بسببها مديوناً مع كثرة معاليمه. ومن نظمه:

آلهي أنت أيام خير المواسم   فاضحك بخير منك فيها مباسمي

على جبال الدين حطّت ثقالها   وأنت لها يا رب خير قاسم

وغالب نظمه من هذا القبيل، وقال: رأيت الإمام محمد الغزالي في المنام يقول لي: أنت تموت بعد العيد، وكانت الرؤيا في رمضان، فقلت على الإيمان؟ قال على الإيمان، فاستيقظت فزعاً وتحللت من أصحابي واستعددت للموت فمضى العيد وأنا طيب، فقلت لعله العيد الكبير، فمضى العيد الكبير أيضاً وأنا طيب، ففسرته بعدد الحروف وقلت أعيش أربعة وثمانين عاماً ان لم أحسب الألف واللام،

(١) فراغ بالأصل.

وإن حسبته فأعيش مائة وخمس سنين. فقدّر الله أنه عاش أربعاً وثمانين.

وحكى أنه لمّا قَدِم في خدمة السلطان جم إلىٰ القاهرة زمن السلطان قايتباي عرفه قريبه قانصوه خمسمائة وفرح به، وسأل السلطان قايتباي أن يطلبه من السلطان جم، فأرسله قايتباي إلىٰ جم يطلبه منه فسمح به حياء. ففرح قانصوه، وتألم صاحب الترجمة لفراق أستاذه ولكونه صار طالب علم واسمه أحمد، والجراكسة لا بد أن يغيروا آسمه بإسم من أسماء الجاهلية. فرآه قايتباي يبكي فقال له: تريدنا أو تريد أستاذك؟ فقال: أستاذي. فقال: ردوه فإن هذا لا ينفعنا، فحصل له غاية السرور، وتوفي بمكة المشرفة ودفن بـ (المعلاة)، رحمه الله تعالىٰ.

[ابن حيدرة المديرني]

وفيها [٩٥١]: توفي الشيخ، أحمد بن محمد بن محمد بن حيدرة المديرني، المالكي. تفنن في عدة علوم وأخذ عن العلامة ابن مرزوق الكفيف والإمام السنوسي وتلميذه سيدي محمد بن موسى وغيرهم وأجازه كثيرون من مشايخه.

[شيخي جلبي]

وفيها [٩٥١]: توفي المولى، شيخ محمد الشهير بشيخي جلبي. أخذ عن محيي الدين الفناري والمولى بالي الأسود، ووُلّي عدة مدارس في عدة بلدان ثم أُعطي إحدى المدارس الثمان، وكان مبارك التدريس لا يعرف التدليس ولا التلبيس. وكان محمود الذكر، سليم الصدر، لا يذكر أحداً بسوء، عفيفاً كريماً، متواضعاً. ولم يزل علىٰ هذه الحالة حتىٰ وافى انتقاله، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[كربجك زاده]

وفيها [٩٥١]: توفي المولى سنان الدين يوسف الشهير بكربجك زاده، وتفقّه وأخذ عدة فنون علىٰ علماء عصره، منهم: المولى بالي الأسود والمولى محمد الساميوني، ووُلّي عدة مدارس، فدرس وأفتى، وانتفع به جماعة شتى. ووُلّي إفتاء (أماسية) ثم تقاعد وعين له سبعون درهماً ثم أعيد لافتاء أماسية. وكان عارفاً بالفقه ومشاركاً في المعقوليات صالحاً صادقاً فيما يقوله، قوّالاً بالحق، واستمر علىٰ افتاء (أماسية) إلىٰ أن خرمته المنية ودفن بها، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محيي الدين محمد]

وفيها [٩٥١]: توفي المولى مُحيي الدين محمد. طلب العلم ببلده، وأخذ عن بير أحمد جلبي، والمولى حسام جلبي، ومحمد بن الحاج حسن ولازمه حتىٰ صار معيداً لدرسه، ووُلّي عدة مدارس في كثير من البلاد، وانتفع به جماعة من العباد، وأخذ طريق التصوف عن جماعة من العارفين وكان واعظاً حسن الوعظ ينتفع بوعظه أكثر الناس. وحَسُنت حالتهم بسببه، واستمر مدرساً بسلطانية بروسّا إلىٰ أن مات بها، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[المولىٰ يحيى]

وفيها [٩٥١]: توفي المولىٰ يحيى، أحد فضلاء الروم، المشاركين في بعض العلوم. أصله من كرة التجابس وخدم المولى شجاع، وحصل له به كثير الانتفاع، ثم وُلّي بعض المدارس، ثم جعله السلطان سليمان مُعلماً لابنه سليم، وكان ملازماً للطاعات، مواظباً علىٰ الجمعة والجماعات، مشتغلاً بنفسه. واستمر علىٰ ذلك إلىٰ وقت حلول رمسه، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد الكرماني]

وفيها [٩٥١]: توفي سيدي، محمد الكرماني. أحد الصلحاء المعتقدين، المجاور بمكة، وكان علىٰ قدم حَسَن مع صفاء قلب وسريرة، وكان كثير التواجد والصياح لا سيما إذا سمع الحسن. وتوفي في عشر السبعين بمكة المشرفة، دفن بالمعلاة. رحمه الله تعالىٰ.

[محمد الجهري]

وفيها [٩٥١]: توفي بهاء الدين، محمد بن عبد الله بن محمد الجهري[1]. الأصل، الشافعي، نزيل مكة المشرفة. صحب جماعة، وكان له فضل وأدب وشعر بالفارسية، وله نظم في التصوف والنصائح. جاور بمكة أكثر من ثلاثين سنة، وتوفي في رمضان وهو في عشر السبعين، ودفن بـ (المعلاة)، رحمه الله.

(١) في «ب»: الجهري.

[ابن شيخ شاذلي]

وفيها [٩٥١]: توفي سعد الله الشهير بابن شيخ شاذلي، اشتغل بطلب العلم على جماعة من فضلاء الروم، منهم: المولى مصطفى بن خليل ولازمه حتى صار معيداً لدرسه، ثم وُلّي مدرسة ابن الحاج بقسطنطينية واستمر بها إلى أن توفي. وكان جيد القريحة، مستقيم الطبع، حسن الذوق والفهم، محباً لأهل الخير والصلاح. رحمه الله تعالى.

[سنان الدين يوسف]

وفيها [٩٥١]: توفي الحكيم سنان الدين يوسف، اشتغل أول عمره بعلم الأديان وحصّل منها طرفاً ثم رغب في علوم الأبدان فقرأ على الحكيم محيي الدين، ثم نُصّب طبيباً في (مارستان أدرنة) ثم (مارستان قسطنطينية) ثم جعله السلطان سليم خان طبيباً له وقت إمارته على (طرابوزان). ولمّا وُلّي السلطنة طبيباً[1] بدار الملك، ثم جعله السلطان سليمان خان رئيس الأطباء. وكان ماهراً في فنه، وانتفع به جداً أهل زمنه، وكان مع ذلك يحتاط جداً في المعالجة، وبلغ من العمر مائة وستين ولا تغير عقله ولا فهمه ولبدنه، له إلا أن في آخر عمره اصابته رعشة فَسُئل عن سببها فقال: ضعف المزاج، رحمه الله تعالى.

سنة أثنتين وخمسين وتسعمائة

[محمد البكري]

توفي القدوة الإمام، شيخ الإسلام، وعلم العلماء الأعلام، أبو الحسن[2]، محمد بن محمد بن جلال الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمٰن بن الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه وكرم وجهه سبط آل

(١) لعله بصيغة: صار طبيباً.

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٤٥، معجم المؤلفين ١١/ ٢٢٩، الأعلام ٧/ ٦٠، تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣١١، إيضاح المكنون ١/ ٤٦٠، ٢/ ٦٧١، هدية العارفين ٢/ ٢٣٩).

الحسن، السبط لأن أم جده أحمد بن محمد بن فاطمة بنت الشريف تاج الدين الحسني الأستاذ الكبير الذي لا يكاد الزمان أن يسمح له بنظير، إمام تلك الديار بل سائر الأقطار، وقدوة العارفين الأخيار، إنسان عين الأقاليم، وفريد عقد النجد النظيم، مالك أزمة المعاني والبيان وسابق من يجاري في ميدانه من الفرسان، إن فسّر أوقع في الفخ طائر الفخر الرازي، وإن نحا يُنخي ابن عصفور فرقاً من صولة البازي. فهو العالم الذي اطلع شمس التحقيق من أفق بيانه، وأظهر بدر التدقيق من فلك تبيانه، فلذا عقدت عليه الخناصر من علماء عصره، وانعطفت عليه الأواصر من فضلاء عصره.

وُلد سنة تسع وتسعين وثمانمائة بمصر المحروسة، ونشأ في ساحاتها المانوسة، واشتغل بتحصيل العلوم، وأخلها عن أعيان القوم، وحفظ عدة متون. وتفنن في سائر العلوم، فأخذ علوم الشرع والتصوف والعربية والمعاني والبيان عن جماعة من أكابر ذلك الزمان، منهم: إبراهيم بن أبي شريف الشهير بالبرهان، والشيخ زكريا الشهير بشيخ الإسلام، والشيخ رضي الدين الغُزّي أحد العلماء الأعلام، وغيرهم من مشايخ عصره، وعلماء دهره. وتبحّر في العلوم الشرعية، وعلوم السادة الصوفية، والفنون العقلية والعربية والأدبية. واقترع من ذروة الفصاحة أشرفها وأعلاها، وارتقى من هضبة المعارف أرفعها وأسناها، وترادفت عليه الفتوحات الإلٰهية[1] والأنوار الربانية والمواهب اللدنية، فأصبح مسحاً رد الفواضل، وحلية الفضائل، ساحباً ذيلها على هام الأواخر والأوائل.

ومدة اشتغاله بالعلوم على المشايخ المذكورين نحو ثلاث سنين.

وجلس للتدريس في الجامع الأزهر فأنار سنا علومه وأزهر، وأقرأ كل علم نفيس، لا سيما مذهب امام الأئمة محمد بن إدريس، فحضره من طلبة ذلك العصر أقوام يزيدون، على العد والحصر. وإذا تكلم في علم الباطن والظاهر، كان كالبحر التيار الزاخر، لا يكاد السامع من الناس ينقل منه شيئاً إلا أن كتبه في قرطاس، لتوسعه في الكلام وتفننه في المعاني والنظام. وكان يتردد إلى حج بيت الله

(١) وردت: إلآهية.

الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو أول من حج في محفّةٍ من علماء مصر ثم تبعه الناس في ذلك، وحصل له في مكة المشرفة جذب رباني ذلك عند قراءة باب الحيض لمّا شرع يقول: الحيض لغة السيلان، يقال حاض الوادي إذا سال، فصار يقول: سال سال، ثم خرج هائماً على وجهه فما أمسكوه إلا بعد جهد جهيد، فأقام أياماً مستغرقاً ثم أفاق.

وكان شديد الذكاء، قوي الحافظة والاستحضار، ولمّا ترك الإمام البرهان بن أبي شريف التدريس حتى للأفاضل، ما عدا ثلاثة: صاحب الترجمة، وناصر الدين الطبلاوي، والشهاب الرملي، فإنه خصهم بالإقراء ليميزهم على غيرهم. فكان إذا قرأ الشيخ أبو الحسن البكري يرخى له العنان فيقرأ ما شاء حتى يمسك بالاختيار، وإذا قرأ الآخران يقول: يكفي إلى هاهنا، فوجدوا في نفسهما فعاتبا الشيخ على ذلك فقال: في غد يكون الجواب، فلمّا جاء الغد وتمت القراءة، قال: يا أبا الحسن ما كان درسك بالأمس؟ فقال: يا سيدي قال الماتن كذا وقال الشارح كذا وقلتم كذا وكذا، وسرد ذلك كله من حفظه. قال: فالذي قبله؟ فسرده كله كذلك، ثم سأل الآخرين فذكرا بعضاً ولم يستحضرا بعضاً، فقال: أنتم كلكم أولادي والنصح واجب وقد رأيتما ما كان من أبي الحسن ومنكما فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

وقال جماعة أنه بلغ رتبة الاجتهاد، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: أخبرني ما لفظهُ ونحن بالمطاف: أنه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، قال: وإنما أخفى ذلك عن الأخوان خوفاً من الفتنة بسبب ذلك كما وقع للجلال السيوطي. وصنّف التصانيف الكثيرة المحررة الشهيرة، منها: ثلاثة تفاسير مشهورة متداولة، وبلغني أن له ثمانية تفاسير ما بين كبير وصغير، ومنها ثلاثة شروح على المنهاج، وثلاثة شروح على الإرشاد، وشرح العباب، وشرح الروض، ومختصر الايضاح وشرحه، وعدّة متون في الفقه، وعدة رسائل في التصوّف، وغير ذلك مما كمُل ومما لم يُكمَل. وكل كتبه محررة، ومسائله مقررة، وانتشرت تصانيفه في سائر الأقطار وانتفع به الكبار والصغار، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرج به العلماء العارفون، منهم: ولده الشيخ محمد تاج العارفين، والشيخ أحمد بن حجر المكي،

والشيخ محمد الرملي، والخطيب الشربيني والعلامة أحمد بن قاسم، والشيخ عبد الرؤوف المناوي، والعارف بالله عبد الوهاب الشعراوي، والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، والحافظ نجم الدين الغيطي، والشيخ عبد الرؤوف المكي، ومن السادة بني علوي الشيخ أحمد بن علوي: باجحدب، وتلميذه الشيخ أبو بكر بن سالم، والقاضي محمد بن حسن، وغير هؤلاء من سائر أقطار الأقطار الأرض، وعمّ بهم النفع في الطول والعرض. وله نظم نضد فيه عقود الجواهر، ويقصر عنه كل أديب شاعر. ونظَم تائية في علم التوحيد نحو خمسة آلاف بيت، أوائل دخوله في طريق القوم، ثم غسلها وقال: إن أكثر أهل الزمان لا يحتملون سماعها لقلة صدقهم في طلب الطريق. وله موشحات توحيدية لم ينسج على منوالها أحد من البرية.

وله كرامات خارقة، ومكاشفات صادقة، منها: أنه دعا لجماعة بمطالب نالوها، وأخبر غير واحد بأنه سيقع له كذا فوقع كما قال. ومنها: أن بعض الفقراء الصالحين لمّا رأى محله المشيد البنيان وحُسن الفراش والمكان وكثرة العبيد والغلمان وكثرة الطعام وحُسن النظام خطر في باله: هل هذا يضاد الولاية التي يصفونه بها؟ فأدناه الشيخ وقال له: ما على الأرض على الأرض، وقلب أبي الحسن مع مولاه. فدهش الفقير واستغفر. ومنها: أن الشيخ العارف بالله تعالى أبا بكر بن سالم قال لبعض خدامه: إذا وصلت مكة المشرفة سلّم على شيخنا أبي الحسن البكري وقل له يقول لك أبو بكر ادع الله أن ينزع حب الدنيا من قلبه، فلمّا رأى الخادم نظام الشيخ أبي الحسن الذي يفوق على نظام الملوك لم يمتثل أمر شيخه، فلمّا وقف في الملتزم يدعو وقف أبو الحسن عنده وقال: أدّ أمانة شيخك أبي بكر بن سالم، فبهت الفقير واعتذر.

وشهد غير واحد من ذوي العرفان بأنه قطب الزمان، وكان كريماً سخياً، براً تقياً، يكرم الضيفان بأنواع الأطعمة والحلوى، ويغدق عليهم فلا يرون لمنه سلوى. وأمّا الورع والتقوى وخشية الله في السر والنجوى، والنفع العام والإحسان التام لجميع الأنام، فكان ليثها الذي لا يجارى أرغيث فضلها الذي لا يبارى، وكان زمانه كأنه غرسه الفلك، وكم قال له الدهر: أمّا الكمال فلك. وفضائله الحسنة

الجميلة، وفواضله الوافرة الجزيلة، تحتمل أن تُفرد بتأليف، وتُورَد في تصنيف لطيف.

والبكريون المشهورون كلهم أئمة مهتدون فروع أغصان الدوحة البكرية المثمرة بأنواع العلوم وافنان الشجرة الصديقية المزهرة بأزاهر المنثور والمنظوم.

يا أسرة الصدق والصديق انكم ... في كل عصر لعين المجد إنسان

طبتم ولكن بعض الشيء يفضله ... الأمر كما أن بعض القول برهان

أقاموا بمصر للفضائل دعائم فسطاطها، وحلّوا منها محلة شهب النعائم دون مناطها، فالعلوم اللدنية تؤخذ من أفواههم، والمعارف الإلهية تُقتبس من أنوارهم. وصاحب الترجمة طراز حُلّة فخرهم، وضياء فجرهم، وقطب دائرة مجدهم الزاهر، ومركز إحاطة سماء فضلهم الباهر، وأخباره مدونة في الكتب، مخلدة في صفحات الأعصر والحُقُب.

[عمر بامَخْرَمه]

وفيها [٩٥٢]: توفي الفقيه، عمر بن عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة[١]، الحميري السيباني[٢] الهجراني، العالم الرباني، الفقيه الصوفي الشهير كالعلم الذي ساجلت العلماء العارفون بتدر شأوه قلم...[٣]، شيخ التصوف وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، ناظم ما انتثر من المآثر، وفذلكة كمال الأوائل والأواخر.

اشتغل بالعلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وأخذ ذلك عن والده والشيخ محمد بن علي باجرفيل، ومحيي النفوس أبي بكر العيدروس.

وصحب في الطريق شيوخاً، إلى أن رسخ فيها قدمه رسوخاً، وحج بيت الله الحرام، وزار محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام. وأخذ بالحرمين عن جماعة كثيرين، وأنشأ وهو بـ (المدينة) قصيدة مدح بها النبي ﷺ مطلعها:

(١) انظر: (تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٣٠، أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٣١١، الأعلام ٥/ ٥٣).

(٢) نسبةً إلى سَيْبان، قبيلة حميرية ـ انظر: أدوار التاريخ الحضرمي وغيره.

(٣) فراغ في الأصل.

قف بالمطي ضحى على الاطلال ... وأنِخْ بظل نخيلها والضال

ورأى النبي ﷺ بـ (طيبة) في بعض الليالي، فأصبح ووجهه بالنور متلالي، ورائحة ثوبه وبدنه يفوق رائحة المسك الغالي.

وأخذ عن جماعة باليمن بمدينة (زبيد) وبندر (عدن).

وسأله تلميذه محمد بن أحمد باصهي وهو بمكة عن الشيخ ابن عربي، وعن كتاب لبعضهم في الحقائق، وقصيدتين في ذلك، فأجابه بقوله: أمّا القصيدتان: فكلام طويل بلا فائدة.

وأما الكتاب: فكتاب حسن، وفيه فوائد كثيرة، وهو غير بعيد عن الإنصاف، فلا بأس بمطالعته وتكرارها لمن له أسوهة[١] وقريحة وتمسك بالعلوم الشرعية.

وأمّا ابن عربي: فإنّا نقول فيه ما قال سيدنا وشيخ مشايخنا العلامة القاضي مجد الدين الشيرازي ـ رحمه الله تعالى ـ لمّا سُئل عنه الذي: أعتقده وأدين الله به في حال المسئول عنه أنه شيخ الطريقة حالاً وعلماً، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً، ومحيي علوم المعارف فعلاً واسماً.

وأمّا كتبه: فمنها «الفصوص» وما حذا حذوه، فلا أشير على مريد ولا طالب علم بالإشراف عليها ولا المطالعة والنظر فيها، فإنها مضرة جداً، بل قد ضل بها من المنتسبين إلى ابن عربي أكثر ممن اهتدى بكثير، فالحذر الحذر، وعلى تقدير أنها لا تضر بعض الناس، فإنها لا تفيد، لأنها إن سلمت.. فهي من العلوم الذوقية التي لا سبيل إلى نيلها بالتعليم والتفهيم أصلاً، ومتى حَصَلْتُ ذوقاً فلا احتياج[٢] إلى مطالعتها، نعم قد يُستشهد المطالع فيها بما فيها على صحة ذوقه، فالإعراض عنها لمن لا له ذوق.. أصلح وأفلح إن شاء الله تعالى، بل أوجب[٣] وأصوب، فاعْلَمه واعمل به، ومن كتبه ما هو في غاية الإفادة للمبتدي والمنتهي، ككتاب «الأمر المحكم المربوط». ومن كتبه ما لا بد للمريد منه وإلا تاه، «مواقع النجوم» وما نحا نحوه.

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) في «ب»: فلا أحتاج.

(٣) في «ب»: بل أجدر وأصوب.

وأمّا أتباع ابن عربي: فمنهم هداة مهتدون ـ وقليل ما هم ـ ومنهم ضال مُضِل ـ وهم كثير جداً ـ وممن نحا نحو ابن عربي وزعم أنه علىٰ مذهبه شخص يُسمىٰ عبد الكريم الكيلاني، له مصنفات كثيرة.

وأمّا المنتسبون إلىٰ ابن عربيّ في هذا الزمان: فمصيبة في الدين، وفساد في طريق المسلمين، رفضوا الشريعة، ودانوا بالإباحة، وقالوا بالتناسخ، وتظاهروا بأقبح القبائح، فالفرار الفرار منهم، ومهما اجتمعت بصاحبك هذا.. فسلّم عليه وقل له: إني أشير عليه بالإعراض عن هؤلاء، وترك الإنكار عليهم، فإن ذلك لا يزيدهم إلا عناداً واستكباراً، ولا يزيد مذهبهم إلا ظهوراً وانتشاراً، فكما أنه لا حاجة إلىٰ مجادلة أهل الكتاب.. فكذلك لا حاجة إلىٰ مكابرة هؤلاء ومكاثرتهم، فإن الزمان قد فسد ومال أهله إلىٰ الباطل، ومذهب هؤلاء أقرب إلىٰ شهوات أهل الزمان وشرّه، وإفشاؤه يزيد الآخذين به، ومَن يرد الله به خيراً.. يفقهه في الدين، ويلزمه اتباع سيد المرسلين، وأمرُ الدين اليوم إلىٰ الذهاب والإندراس أقرب منه إلىٰ الظهور والاستعلاء، فقد بدا الدين غريباً، وأخشى أنه قد عاد كما بدأ، واستغفر الله العظيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكان كثير المطالعة في «الرسالة القشيرية»، ثم اشتغل عنها بديوان سيدي عمر ابن الفارض، فرأى الإمام عبد الكريم القشيري صاحب «الرسالة» بين النوم واليقظة، وسأله عن عمر ابن الفارض، قال: ذلك يدهلز علىٰ الناس بخزعبلاته، والسر في هذا الكتاب وسرّ هذا الكتاب في هذا السطر، وإذا فيه: وسئل بنان ما أحد أحوال الصوفية؟ فقال: أربعة: ١ـ الثقة بالمضمون، ٢ـ والقيام بالأوامر، ٣ـ ومراعاة السر، ٤ـ والتخلي عن الكونين.

قال: فنهضت، فإذا الكتاب في يدي والرجل عندي، وكانت تلك النسخة في خلوة لي في المسجد مقفلة، فأنا أروي هذا الكتاب بأسانيد عديدة عن مشايخنا، وأرويه عن مؤلفه.

ولمّا بلغه أن الشيخ عبد الرحمٰن باهرمز عند ورود الحال عليه يجتمع بالنساء فيغتين له، فقصده للإنكار عليه، ووقع له ما مر في ترجمة الشيخ عبد الرحمٰن، قال الفقيه عمر: وقفت بين يدي شيخي وسيدي عبد الرحمٰن باهرمز عشية الاثنين

ثاني رجب سنة (٩١٣هـ) ـ ثلاث عشرة وتسعمائة ـ وتحكّمت له، وألبسني، ومسح علىٰ رأسي وصدري، وقال لي: حكّمتك وأنا شيخك، فعليك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأنا شيخك فيهما وفي علوم لم يطّلع عليها ملك مُقرّب ولا نبيّ مرسل، فأنت نائب عني، بل أنت أنا، فقلت: لقّني شيئاً من الأذكار، فقال: قل في كل صباح ومساء: سبحان الله وبحمده مئة مرة، وفي كل مساء: يا لطيف مئة مرة، ويا حفيظ مئة مرة، ثم يا كريم تكرّم علينا بكرمك ثلاث مرات، ثم يا لطيف لاطفنا بلطفك ثلاث مرات، يا حفيظ احفظنا بحفظك ثلاثاً، قلت: إني كثير التخليط، فقال: والله لو يلبس[1] المعتب إن غيّر عليك عندنا.. قلت: إن لي ورداً من آية الكرسي ثلاثمائة وثلاثة عشر، فقال: هذا كثير، فقلت: هو سهل عليّ، قال: أبق عليه، وقرأ عليّ الآية الكريمة، وعرّفني كيفية قراءتها، ثم قال: اجعل علىٰ نفسك ورداً من قراءة القرآن غيباً أو نظراً، قلت: إن لي ورداً من ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ ألف مرة في كل يوم، فقال: أبق عليه، وإن زدت.. فهو خير لك. انتهى.

ثم غلب عليه الحب والشهود، والفناء الكلي عن الوجود، فأكثر من السماع، حتىٰ من ذوات القناع، وأنكر عليه فقهاء عصره، ومن ثم لم يذكره ولده عبد الله في «ذيل طبقات الفقهاء»، بل ذكر أخاه الطيب بن أحمد، مع أن الفقيه لم تقصر رتبته في العلوم الظاهرة عن رتبة أخيه الطيب.

وله نظم هو في الفضائل ينبوع، وأكثر من أن يحصره مجموع، وشعره أرق من نسيم الأسحار، وألذ من الروض إذا باكرته الأمطار، ولذلك يحفظه أكثر الناس، وانتشر في جميع الجهات، وجمعوا منه مجلدات، وعجزوا عن استقصائه.

وقد جمع منه السيد الجليل عبد الرحمٰن باحسن شيئاً كثيراً، ورتبه علىٰ حروف المعجم، ولم يمكنه جمعه كله، بل بلغني أنه وجد في بطن سمكة بعض قصائده لم يُمْحَ منه شيء. ومن نظمه هذه القصيدة، التي أشار فيها إلىٰ مشايخه الأربعة، وهم: عبد الرحمٰن باهرمز، ومحمد باجرفيل، وأبو بكر العيدروس،

(١) كلمة غامضة في الأصل. لعلها: أبلس.

والرابع والده:

زَمْزْ يا فقيهْ ... وأحمد على ذا يغنّي

بالله خذ فيهْ ... واستعمل مغناة مِنّي

ماذا تشقيهْ ... وَما أنا وانت مِنّي

لك ما تشتهيهْ ... مِنّي ومن أهل فَنّي

وأدع الأربعة ... وهُم لساسي وفرعي

كنزي أجمعهْ ... ليوم ينضاق ذرعي

مَنْ ذو لا معَهْ ... لا شك هُوَ ذاك مُرعي

يحمي مَن يَليهْ ... من كل إنسي وجني

في حينْ سَنَدْ ... إليه أعزى وأنسب

ما مِثْلُهْ أحَدْ ... في خدّ ليلى يُقرّب

والله الصمدْ ... أني به تيه واسحب

وأني بِهْ وجيهْ ... غني عن الكون مُغنيْ

والثاني مَعيْ ... في الغيل له قبر يشهدْ

فيما يدّعيْ ... إذ بين قبرينْ بَعّدْ

قل يا لوذعيْ ... عَوِّذ عليّ يا محمدْ

بالخبر النبيهْ ... إنى بكم قلت إني

والثالث وما ... لَهْ في مكانته ثانيْ

ممن قد سَما ... في الناس قاصي وداني

بو بكر الإما ... م العيدروس اليماني

غوثٌ أرتجيه ... لكلّ همٌّ وحُزنِ

والرابع أتى ... وقال لا تنسَ مَدْحي

واطلبني غنا ... ما بين ليليْ وصُبحي

وأنشوص الصّبا ... إنّي سألتك فتحي

مَن جانا نجيهْ ... إذا دعانا ونُثْني

وأشار بقوله في الغيل له قبر يشهد: إلىٰ أنه أوصىٰ أن يُدفن بين قبرين معروفين بـ (الغيل) متلاصقين، فلمّا شرعوا في الحفر ـ تباعد القبران بقدر قبره.

رحمهم الله ونفعنا بهم.

وكان صاحب الترجمة في آخر عمره علىٰ سيرة شيخة عبد الرحمٰن باهرمز من جمع النساء الحسان والسماع، وهذه هفوة في حقهما، نسلّم لهما حالهما كغيرهما ممن وقع له نحو ذلك من الشطح ونحوه مما لا يبيحه الشرع، وينفر عنه أهل الكمال فلا يجوز لأحد الإقتداء بهم.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ حتىٰ غرب كوكب شمسه، وواراه في عين حمئة رمسه، ودفن في بلدة سيوون.

[أبو بكر العُمري]

وفيها [٩٥٢]: توفي الشيخ أبو بكر بن صلاح الدين العمري، الشيرازي، الشافعي، ويعرف بالعمري نسبة إلىٰ الشيخ عُمر الكردي المعتقد في هرمز ونواحيه. اشتغل علىٰ العلامة الجلال الدواني ولازمه حتىٰ انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، ثم رحل إلىٰ مكة المشرفة وحج وأقام بها، ودرّس في الحرم الشريف في المعقوليات وغيرها، بحيث قرأ عليه غالب أهلها. وكان متضلعاً من سائر العلوم لكن غلب عليه علم المعقول. وكان متواضعاً كثير الانطراح، بحيث أنه كان يقوم لكل أحد، كثير الموافاة للناس بحيث لم تفته صلاة علىٰ جنازة، وكان كثير العبادة والتلاوة، واستمر كذلك إلىٰ أن توفي يوم الجمعة خامس شعبان وهو في عشر السبعين، رحمه الله تعالىٰ.

[فتح الله السمرقندي]

وفيها [٩٥٢]: توفي الشيخ فتح الله السمرقندي، كان والده من الأكراد المقيمين بسمرقند، ونشأ هذا بها، واشتغل علىٰ جماعة، ثم قدم مكة المشرفة وجاور بها، وأخذ عن بعض علمائها، وشارك في غير فن. وكان صاحب عبادة ومروة وفتوة، وتوفي في شعبان وهو في عشر الستين، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أبو القاسم الشيبي]

وفيها [٩٥٢]: توفي الشيخ أبو القاسم بن الشيبي، فاتح بيت الله العتيق. كان صالحاً مشاركاً، معتقداً. وُلد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، ووُلّي سدانة الكعبة المشرفة سنة (٩٤٤هـ) ـ أربع وأربعين وتسعمائة ـ وكان كثير التواضع

والتودد إلى الناس، مقبول الشفاعة، وتوفي في شعبان بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة. رحمة الله تعالى وإيانا.

[إدريس المشرعي]

وفيها [٩٥٢]: توفي السيد ادريس بن أبي القاسم المشرعي. أحد الصالحين المعتقدين كان يتعلق على السمسرة بـ (بندر جُده)، وكان أهل (كاله كوت) يعتقدونه جداً، وكُف بصره في آخر عمره، وتجرّد لعبادة الله تعالى، والقناعة التامة. واستمر كذلك إلى أن توفى مكفوفاً ببندر جدة المحروسة أوائل ربيع أول، ودُفن بتربتها. رحمه الله تعالى.

[شهاب الدين المكي]

وفيها [٩٥٢]: منتصف رجب، توفي العارف بالله تعالى، شهاب الدين بن أحمد المكي. أحد عباد الله الصالحين، والأولياء العارفين، اشتغل بالتحصيل حتّى حصّل طرفاً صالحاً، ثم آتاه الله علماً وهيباً، فكان يتكلم بالعلوم والمعارف ويبين مسائلها الغامضة، وكان يتكلم في مشكلات التوحيد بلسان عربي لا يكاد يعرفه أكابر العلماء فضلاً عن غيرهم، ثم حصل له في بداية أمره جذب فأقام عرياناً سبع عشرة سنة، ينام في حوض الماء في الشتاء وينام في الفرن في الصيف، ثم أفاق من الجذب ولبس الثياب الحسنة وأقام معتكفاً في بيته لا يخرج إلا أوقات الصلاة، وِرده في اليوم والليلة أربعون ألف صلاة على النبي ﷺ، وأثناء عشر ألف تسبيحة، ويقول: إن ذلك ورد أبي هريرة رضي الله عنه. وكثيراً ما يشرع في ورده من بعد العشاء ولا يفرغ إلا وقت الفجر أو ضحوة النهار.

وكان له سبحة.. ألف حبة كباراً، فسرق إنسان منها سبع حبات فرأى النبي ﷺ، وقال له: يا أحمد فلان سرق من سبحتك سبع حبات ولك كذا وكذا يوماً تصلي عليّ ناقصاً عن العدد، فذهب إلى ذلك الإنسان وأخبره، فقال: صدق رسول الله ﷺ وأخرجها له من رأسه. وكانت سبحته تكاد تُضيء من كثرة الأوراد فيها، وبلغنا أنها كانت تدور بنفسها إذا أبطأ الشيخ عن وقت الورد فيعلم وقت الورد، قال بعضهم: فلا أعلم هل ذلك لكونها صارت حيّة وأن الملائكة تحركها أو أحد من صالحي الجن.

وكان وجهه كالكوكب الدري يكاد يمنع من دونه وجهه، لا سيما عقب فراغه من ورده، فكانت أوراده تشعشع نوراً من كثرة الإخلاص فيها، وأول ما يتخرق من ثيابه موضع الركبتين موضع السجود والجلوس. وكان كريم النفس جداً، كثير الافتقاد بالاحسان لأصحابه، لا سيما إذا سافروا فلا يزال يتفقد أولادهم بالفواكه وغيرها، وكان يحب السكنى في الربوع، ويكره سكنى الزوايا والربط.

وكان يتحمل حملات الأولياء ويأخذ منهم الحال، ويقول: هذا كسبي خاطرت فيه بروحي. وكثيراً ما يخبر أصحابه بما يفعلون مع أهلهم بالليل، ويقول لأحدهم: كنت جنباً في وقت كذا. وتكاسل بعض أصحابه عن الغسل من الجنابة فرآه قد بصق في وجهه وقال له: أف عليك تضيّع وقتك في الليل شهوة تؤثرها على مجالسة ربك. ويؤاخذ أصحابه بما يخطر على بالهم، فكان غالب الناس لا يقدر على صحبته. ولا يمزح إلا بالصدق، ويتستر بالشطح في بعض الأوقات، لينفر عنه الناس الذين لا ينفعون. ولم يزل على هذه الحال، إلى أن وافاه الانتقال، ودفن في زاوية شيخه الشيخ حسين أبي علي بـ (بولاق).

[عبد الرحمن يونس]

وفيها [٩٥٢]: توفي المولى عبد الرحمٰن بن يونس، وجيه الدين. أحد عباد الله الصالحين، أخذ عن كثيرين، وصحبه جماعة من العارفين، منهم: سيدي محيي الدين التوقوي، ثم وُلّي تدريس بعض المدارس بالديار الرومية. وكان حسن التقرير، لطيف العبادة، رشيق الإشارة. وكان له اعتناء تام بعلم الكلام، يحل غوامضه...[١] مطالبة. واستمر إلى أن قُتل شهيداً قبل الاكتهال، رحمه الله تعالى وإيانا.

[ابن بليس]

وفيها [٩٥٢]: توفي المولى بير أحمد بن نور الدين بن حمزة، المشهور بابن بليس الحنفي[٢]. اشتغل بالعلوم الشرعية وأخذ عن جماعة كثيرين بالديار الرومية،

---

(١) مقطوع بالأصل.

(٢) جاء لقبه مُحرفاً من الناسخ. وصححناه من كتاب: شذرات الذهب ٨/ ٣٤٥.

واعتنى بالتفسير والفقه، ووُلِّي عدة مدارس بمدينة (اسكوب) ومدينة (اسطنبول) ووُلِّي دار الحديث بها، ثم وُلِّي قضاء مدينة (اسكوب) وغيرها، ثم قضاء مصر المحروسة، ثم عُزِل عنه وأعيد إلى قضائها، واستمر قاضياً بها إلى أن مات. وكان ماهراً في الفقه لا سيما في المعاملات، وكان لين الجانب، كريم النفس، حسن الخُلق، ذا ثروة عظيمة. وجمع كتباً كثيرة في فنون عديدة، رحمه الله تعالى وإيانا.

[محي الدين محمد]

وفيها [٩٥٢]: توفي الشيخ الإمام قدوة الأنام، محيي الدين بن محمد أبو المولى بهاء الدين[1]. اشتغل بالعلوم الشرعية أصولاً وفروعاً، والفنون الأدبية في عنفوان شبابه، عن والده، والمولى خطيب زاده، والمولى مصلح الدين القسطلاني، والمولى ابن المعرف. وأتقن علم التفسير والحديث والفقه والعربية، ولمّا مرض المفتي علاء الدين علي الجمالي اختار صاحب الترجمة للنيابة عنه في الفتوى لشدة اطلاعه في الفقه وورعه، ثم رغب في طريقة الصوفية، فصحب الشيخ محيي الدين الاسكليبي[2] ولازمه حتى تخرج به وأجازه بالإرشاد، وجلس مدة يدّرس ويرشد في وطنه (بالي كسرى)، ثم رحل إلى (قسطنطينية) وجلس في زاوية شيخه المذكور بعد وفاة المولى عبد الرحيم المؤيدي. وانتفع به جماعة من المريدين والفقراء الصالحين، وكان ورعاً زاهداً متقناً ملازماً لطريقة الشرع الشريف، وممتثلاً لأمره المنيف، لا يخاف في الحق بطشة ظالم، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وحكي أنه تكلم مع الباشا إبراهيم في أمر شرعي فلم يقبل منه فأغلظ عليه، فتكدر الباشا وخيف على الشيخ منه، فقيل للشيخ: السكوت مع هؤلاء أولى، فقال: غاية ما يقدر عليه القتل.. وهو شهادة، أو الحبس.. وهو عزلة وهي طريقتنا، أو النفي عن البلد.. وهي هجرة واحتسب عند الله تعالى ثواباً.

ثم ذهب إلى الحج، ولمّا عاد إلى بلدة (قيصرية) مات بها، ودفن عند قبر

(١) ورد اسمه في شذرات الذهب ٨/ ٣٤٦ كالتالي: محيي الدين محمد بن بهاء الدين بن لطف الله الصوفي الحنفي، الإمام العلاّمة المحقّق المعمر المنور، أحد الموالي الرومية، الشهير ببهاء الدين زادة.

(٢) وردت في الأصل غير منقوطة. وأثبتناها من «الشذرات»، ومن «النور السافر» ص ٢١٥.

شيخ شيخه إبراهيم القيصري رحمه الله تعالى وإيانا. وله شرح على الفقه الأكبر لأبي حنيفة جمع فيه بين طريقة المتكلمين فالصوفية، وله رسائل في فن التصوف. وله كرامات، منها: ما حكاه تلميذه المولى أحمد بن مصطفى في كتابه «الشقائق النعمانية»[1]، قال: رأيت النبي ﷺ كأنه أهدى إليّ تاجاً من المدينة، فلمّا صلّيت الصبح فإذا برسول الشيخ فقال: يقول لك الشيخ الرؤيا التي رأيتها هذه الليلة تعبيرها أنك ستصير قاضياً. فعلمت أنه من أهل الكشف، ثم ذهبت إليه وسألته، فقال: هو كذلك، فقلت: أنا لا أطلب القضاء، فقال: لا تطلبه ولكن إذا أعطيت فلا ترد. فكان هذا سبب قبولي لمنصب القضاء. انتهى.

[عزيز الله البيهاني]

وفيها [٩٥٢]: توفي الخواجا عزيز الله البيهاني، نسبةً إلى قرية من قرى شيراز، وكان معتبراً عند جميع التجار، ومرجعاً إليه فيما اختلفوا فيه، وجاب البلاد وجاور بمكة، وتوفي بها مفلوجاً في ربيع أول.

[خوشكلدي]

وفيها [٩٥٢]: توفي خوشكلدي نائب جُدّة المعمور، إليه انتهت الغاية في الظلم والجبروت، بحيث لم يعهد أهل هذه البلاد بمثله، وكانوا يسمونه حجّاج زمانه. وكان لا يغضب أقل من ألف عصا، وكان يخدم حسين الكردي لمّا كان نائباً بجدة، وتعلم غالب المظالم منه، وظلمه أكثر من أن يُعد أو يحصر، وكان ينكر كونه جركسياً خوفاً من الأروام. وله مآثر من تعمير المسجد الحرام، وبناء السد بأسفل جبل (حرا)، وكان كثير البناء، وقطع الأشجار التي بين (مزدلفة) و(عرفة)، ولمّا كثرت شكايته عُزل وأمر بتفتيشه. فلمّا أحسّ بذلك بادر إلى السفر إلى (مصر) ثم طلب إلى الباب، فارتمى على بعض الأكابر فخلّصه وأمر بعوده إلى مصر، فلمّا ركب البحر حصل على المركب حرق، فأمر الريّس بالخروج فامتنع فانكسر صاري المركب ووقع عليه فانفلق دماغه وخرّ ميتاً وكان يحكي عن نفسه أنه لم يمرض قط.

(١) «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» ص ٢٥٩.

سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة

[علي الكيزواني]

توفي نور الدين، علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الكيزواني[١]، الشافعي. الذي طبق ذكره الأرض، وعمّ نفعه في مشارق الأرض ومغاربها الطول والعرض، المستعلي بهمته على كل هام، والفائز بالظفر على كل ضرغام. وُلد سنة تسعين وثمانمائة تقريباً في قرية (كازر)[٢] من أعمال مدينة (حماه)، ونشأ بها نحو اثنين وعشرين سنة، في طلب العلوم والمعارف، ثم صحب الشيخ علي بن ميمون تسع سنين متوالية، ثم تخرج به، ثم شاع ذكره وطار وشاع في سائر الأقطار، فقصده الناس للانتفاع، ووقع على إمامته الإجماع، وبنى له نائب (حلب) تكية عظيمة، انتفع بها الناس. ثم وقعت فتنة قتل (الدفتر دار) وقاضي العسكر، فاتهموه بذلك، فخرج من (حلب) إلى (رودس) فأقام بها ثلاث سنين، ثم ساح بعد ذلك أحد عشر عاماً، ودخل مئة وخمسين مدينة غير القرى، ثم هاجر إلى (مكة المشرفة) سنة أربعين، ثم رأته (خوند الخاص بكية) في المنام وهو يقول لها: أريد التوطن بمكة ولا أرجع إلى حلب، فقالت: من أنت؟ فقال: علي الكازروني، فكلّمت السلطان سليمان على أن تعمر تكية بمكة فأذن لها فعمرتها وجعلت أمرها إليه، فزاحمه أهل مكة فيها فتركها وسكن في بيت عند (الصفا) وانقلب الناس إليه رجاء أن يتوسط لهم عند السلطان و«الخاص بكية» فتكدر وقته، فتظاهر بالرغبة في الدنيا، فصار يطلب من أهل الصدقة وأرباب الأموال وإذا أعطاه أحد شيئاً رده وقال: هذه قليل، فنفروا منه، فطاب وقته وتصدى للأفول والتربية.

فأقبل عليه الناس وتفقه عليه جماعة كثيرون، وله مجلس وعظ ونصيحة كل صبح تجاه البيت الشريف. وله كلمات مفيدة، وتصانيف نافعة في طريق القوم بحسب حاله، منها: رسالة سمّاها «زاد المساكين في منازل السالكين» ومنها: التنزلات الردوشية[٣] بالحلل السندسية، كتبها بـ(رودس). قال قطب الدين الحنفي

(١) وردت بالراء. والتصحيح من: الكواكب السائرة ج ٢ ص ٢٠١.

(٢) في الكواكب: كازوا.

(٣) كذا. لعله: الرودسية.

المكي: وسمعت من لطائفه وفوائده - وكنت في خدمته بالطائف في يوم الأربعاء سلخ رجب سنة أربعين - فزرنا مواقف النبي ﷺ برج الطائف فصلّى هناك ركعتين وأمر بعض الفقراء بقراءة سورة الفتح هناك مرتلاً، وجلس متوجهاً ونحن بين يديه، فلمّا فرغ الفقراء من القراءة ذكر لنا بعض المعارف ومن جملتها أن النبي ﷺ خصّنا في هذا المكان - وأشار إلى موقفه - وعن يمينه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعن يساره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلمّا وصل القارىء إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[١] حرّك النبي ﷺ بدنه يمنةً ويسرةً ثلاثاً. انتهى. ومن نظمه:

يا نسخة الحق يا معمى ... يا جامع الكل يا مطلسم

يا من غدا في الوجود فرداً ... من أنت قل لي إن كنت تفهم

هل أنت ناسوتك المركّب ... أم أنت لاهوتك المقدم

لا أنت غير العيان حقاً ... كلا ولا غيره فتعلم

وله أيضاً وسيلة إلى فهم المعنى:

عليك بقمع النفس عن كل شهوة ... تعوض بنور في فؤادك بارق

فلو لم تجد نوراً لُمْ النفس واعلمن ... بأنك في دعواك لست بصادق

وما دمت ضد الخلق تختار رفعة ... فلا تطمعن في رفعة عند خالق

وله:

لذا لم يكن أمرؤ كالمرأة التي ... تنوح على ميتٍ لها لا لغيرها

فذاك كمن يبكي على ميتٍ غيره ... بلا حرقة من نفسه بل يهالها

ومن كلامه: الوقوف على الظواهر حجاب ظاهر، والترقي عن المظاهر كشف ظاهر. وقال: من صدّق ما يقال فيه من المذموم فقد مُلِك، ومن صدّق ما يقال فيه من المحمود فقد هلك، ومن يكون مجاهداً فسوف يكون مشاهداً، ومن بالغ في مدح نفسه فقد بالغ في ذم غيره. وقال: الإرشاد على ثلاثة أقسام: إرشاد العوام على ما يجب على المُكلّف معرفته من الحدود والأحكام والفرض العيني

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.

وفرض الكفاية والسنن المؤكدة، وإرشاد الخواص إلىٰ معرفة النفس وهو معرفة الداء والدواء فيما يرد علىٰ الضمائر والخواطر، وإرشاد خواص الخواص إلىٰ ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل وتنزيه ذات وصفاته وأفعاله عن النقائص. وكان يقول: إن شيخه علي بن ميمون توفي وعمره ثلاث وستون سنة، وكذلك بعض مشايخه ـ وعدّد جماعة ـ ثم قال: وأرجو أن أموت في ذلك السنّ. وتوفي بمكة المشرفة ودفن بـ (المعلاة) بقرب الشيخ محمد بن عِراق، نفعنا الله بهم أجمعين.

[جمال الدين العومني]

وفيها [٩٥٣]: توفي الشيخ جمال الدين العومني، أحد فضلاء مكة المشرفة وأدبائها. أخذ عن غير واحد العلوم الأدبية، وشارك في بعض العلوم الشرعية، وكان حسن العشرة، لطيف الطبع والمفاكهة، وكان عشيراً للأكابر والقضاة، معززاً محترماً. وكان يغلب عليه العشق مع الديانة والصيانة. وله نظم كثير حسن، فمن نظمه القصيدة التي يتغنى بها أهل مكة قوله:

قلبي بمرسىٰ العشق منك كليم	وحشاي من ألم الصدود سقيم
والهجر أضرم في فؤادي ناره	يا جنتي والوصل منك مقيم
يا من سبى قلبي بغصن قوامه	قلبي عليه لا يزال يحوم
رحلت عن جفني القريح منامه	وهواك في قلبي الجريح مقيم
عيني رمتني والفؤاد أطاعها	من ذا أعاتب منهما وألوم
بعضي علىٰ بعضي أعاد وليتني	أقوى علىٰ حمل الهوى وأقوم
وظلمت روحي عندما أتلفتها	عجباً لمثلي ظالمٌ مظلوم
أبلاك ربي بمثل ما أبليتني	فعساك تعشق بعد ذا وتهيم
وتذوق ما قد ذقته وترق لي	ويتم ما اختاره وأروم
ما كل غصن في الرياض مهفهفٌ	ماكل وسنان اللواحظ ريم
كم في الورى من فائق في حسنه	وعليك وافى حظي المقسوم
يا لائمي دع عنك لومي إنني	ثقفٌ بأخبار الغرام عليمُ
فيه أنقضىٰ زمني أخوض بحاره	أبغي اللآلىء غائصاً وأسوم

وتوفي بمكة المشرفة، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[عبد الله العيدروس]

وفيها [٩٥٣]: توفي السيد عبد الله بن علوي ابن الشيخ عبد الله العيدروس[١]، الشهير بـ (الصّافي)، لصفاء قلبه وباطنه[٢]. صحب جماعة من العارفين، منهم: عمه الشيخ حسين ومَن في طبقته، وكان الغالب عليه حب الخمول، وكان يُعدّ من الرجال الفحول، ولزم الطاعة والعبادة، وسلك الطريق الموصلة إلىٰ السعادة. وكان يحب الفقراء، ويكرم الأولياء. وكان مقبولاً عند الأنام، الخاص والعام. وكان مقبول الشفاعة، وأكثر شفاعته للضعفاء المنقطعين، ولم يزل علىٰ كثرة الصيام، ولزوم التهجّد والقيام، إلىٰ أن وافاه الحمام، وانتقل إلىٰ رحمة الله الكريم، ودفن بمقبرة مدينة (تريم)، رحمه الله تعالىٰ.

[محمد باسكوته]

وفيها [٩٥٣]: توفي السيد الشريف جمال الدين، محمد بن أحمد بن حسن باعلوي. اشتهر جده حسن بـ (باسكوته)[٣] ـ بسين مهملة، ثم ألف، فواو، فمثناة فوقية مفتوحة، آخرها هاء ـ أحد العلماء العاملين، والأولياء الصالحين. وُلد بمدينة (تريم) وحفظ القرآن العظيم، ثم شرع في التحصيل، وحصّل طرفاً صالحاً من كل فن جليل، ثم رحل إلىٰ كثير من الأقطار، وأكثر من التردد والأسفار. وكان يتعاطىٰ مع ذلك أمر التجارة، فربح الدنيا والآخرة، مع ملازمة التقوىٰ، والطريقة التي عجز عنها أكثر أقرانه ولا يقوى مع الإحسان الكثير، للغني والفقير والكبير والصغير. وكان مقبول الشفاعة عند السلاطين، ويسعى عندهم للفقراء والمساكين. وكان من أحب الأحباب، عند السلطان عامر بن عبد الوهاب، فكان يحترمه غاية الاحترام، ويقدمه علىٰ سائر الأنام، وكلّمه في أشياء في مدينة (تريم)، تحتاج إلىٰ عمارة

(١) انظر: (النور السافر ٢١٧).

(٢) انظر عن هذا اللقب: المعجم اللطيف ١٢٢.

(٣) آل باسكوته. هم سلالة حسن بن أحمد مسرفة بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه المقدم ـ لُقّب حسن ساكوته، قال السيّد مرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس شرح القاموس: في اللغة العربية ما لفظه يقال رجل ساكوت وساكوته إذا كان قليل الكلام من غير عي فإذا تكلّم أحسن. (المعجم اللطيف ١٠١).

وتوميم، فأعطاه مالاً غزيراً، ونقداً كثيراً، فعمَّر جامع مدينة (تريم) الشهير، ومجاري سيل (ثِبِيْ) الكثير الخير، فعم نفعه للصغير والكبير. ثم عاد إلىٰ إقليم (اليمن)، وانتقل بـ (بندر عدن) في التاريخ المذكور، وقبره معروف مشهور. رحمه الله وإيانا.

[علي البحيري]

وفيها [٩٥٣]: في شوال توفي سيدي، علي البحيري[١]. بقية السلف الصالح، الساعين في الصالح. أخذ العلم عن جماعة من العلماء، وصحب كثيراً من الأولياء، منهم: الشيخ شهاب الدين الأقطع البرلسي، وسيدي العارف بالله تعالىٰ علي النبتيتي. وكان يفتي في الوقائع التي ليس فيها نقل بالأجوبة الحسنة، وتُعرض على علماء مصر فيتعجبون منها، وكان يدور في البلاد، وأكثر ما يقيم في الريف، وغالب أوقاته في تعليم الناس أحكام الدين، وترشيدهم إلىٰ طريق المتقين، ولا يكاد يُرى فارغاً عن الإقراء والتعليم، والهداية إلىٰ الصراط المستقيم. وكان جامعاً بين الطريقة والشريعة والحقيقة، وإذا جالسه إنسان لا يحب أن يفارقه لمّا هو عليه من حسن الخلق وبشاشة الوجه والإيثار والفتوة، وهضم النفس، والسمت الرضي، وغير ذلك مما كان علي السلف من الصالحين الأئمة المشهورين، وكان كثير البكاء والخوف من مواقف القيامة، لا يكاد يغيب عنه شيء من أحوالها، وإذا لاموه على كثرة البكاء، يقول: وهل خلق الله النار إلا مثلي. وإذا زاره أحد من الفقراء والعلماء يوبخ نفسه ويقول: يزورك مثل فلان وفلان يا فضيحتك بين يدي الله تعالىٰ يوم القيامة، وإذا سأله الدعاء يقول: كلنا يقول استغفر الله من كل ذنب عملناه إلىٰ وقتنا هذا، ويقول: إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء مُصرّ على معصية أبداً. وكان يقول: ما كنا نظن أنّا نعيش إلىٰ زمان صار العلماء فيه في غمرةٍ فضلاً عن غيرهم، وما كأن الخلق إلا جاوزوا الصراط، ونسوا يوماً يكون فيه المعاد، يوم تشيب فيه الأطفال، وتسير فيه الجبال. وإذا مرّ على الأطفال يسلّم عليهم، ويسألهم الدعاء له وللمسلمين، ويغبطهم على حالهم،

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٥٠، الكواكب السائرة ٢/ ٢١٦).

وكان يقول: والله ما نزل ببلادنا هذه بلاء قط إلا وظننت أنه بسبب ذنوبي، ولو أنهم أخرجوني من بلدهم لخف عليهم نزول العذاب.

وبلغ شخصاً من الجامع الأزهر، بعضهم يقول: إن سيدي علي البحيري من الأربعين، فأنكر ذلك فرأى في منامه الأربعين، ورأى سيدي علي يصلي بهم، فاستغفر وذهب إلىٰ سيدي علي وذكر له ذلك فانتحب بالبكاء، وقال: يا ولدي ربما يكون الذين رأيتهم شياطين أرسلوك تفتن عليًا في دينه.

وأحواله شهيرة، ومناقبه كثيرة، ودفن بزاوية سيدي محمد المنير خارج الخانقاه السرياقوسية. رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به.

[خير الدين خضر]

وفيها [٩٥٣]: توفي المولى خير الدين خضر، أصله من بلدة (مرربعون)، وحفظ القرآن، واشتهر بين الأقران، واشتغل بعلم الأديان، وصحب جماعة من ذوي العرفان، ثم وُلِّي تدريس بعض البلدان، ثم صار معلماً لمصطفى بن السلطان سليمان. وكان حليماً صبوراً، وبزمانه عالماً بصيراً. وله حواشٍ وتعليقات، ولم يشتهر منها إلا حواشٍ على قسم التصديقات من شرح الشمسية. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[خير الدين القسطموني]

وفيها [٩٥٣]: توفي المولى خير الدين القسطموني[١]. وُلد بقسطمون وقرأ بها على جماعة من علمائها، وأخذ عن جماعة كثيرين، منهم: المولى سعد الله بن عيسى المفتي، والمولى مصطفى بن خليل، والمولى محمد شاه بن الحاج حسن. وصار مدرساً في بعض البلدان، ثم صار معلماً لبعض أولاد السلطان سليمان، وكان محباً للعلم وأهله، مواظباً على قراءته، وكان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وكان مواظباً على السنن والآداب الشرعية والأذكار النبوية. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٤٢. وذكر أن وفاته: سنة ٩٥٠هـ.

سنة أربع وخمسين وتسعمائة

[أبو عبد الله المغربي]

لتسع خلون من ربيع ثاني: توفي العلامة محمد بن محمد ابن عبد الرحمٰن بن حسن التزعيني[١]، شمس الدين أبو عبد الله، المغربي الأصل، المكي المولد والمنشأ. وُلد ليلة الأحد لثمان عشرة خلت من رمضان، سنة اثنتين وتسعمائة بمكة المشرفة، ثم اشتغل بالتحصيل لكل فن جليل، فجمع العلوم المشهورة، والفنون المذكورة، من تفسير وحديث وفقه وأصول، وفرائض وحساب ونحو وصرف وميقات وفلك وموسيقا وغيرها، وكان محققاً لهذه العلوم، وكان محافظاً، ثقة، ورعاً، علامة بارعاً. نظاراً جامعاً. آخر محققي المالكية بالحجاز. له تصانيف جامعة، ومؤلفات بارعة، استدرك في الحديث على حفاظه وعلى فحول أئمة مذهبه كابن عبد السلام وخليل وابن عرفة، منها: شرح المختصر لم يؤلف على خليل مثله جمعاً وتحقيقاً وتدقيقاً بالنسبة لأوائله، وتركه مسودة فبيضه ولده يحيى وأفرد كتاب الحج منه بمؤلف استدرك فيه على أئمة مذهبه أشياء كثيرة. وشَرْح مناسك خليل، وله شرح على ورقات إمام الحرمين سماه قرة العين. وتحرير الكلام في مسائل الالتزام ـ لم يسبق إليه، وهداية السالك المحتاج لبيان أفعال المعتمر والحاج، وتحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة ـ نظم ابن غازي، وتفريج القلوب بالخصال المكفرة لمّا تقدم وتأخر من الذنوب ـ جمع فيه بين تأليفي الحافظ بن حجر والسيد السمهودي ـ وزاد عليها، وعمدة الراوين في أحكام الطواعين، والقول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين، والمتممة لمسائل الجرومية، وثلاث رسائل في علم الميقات بلا آلة كبرى ووسطى وصغرى، ومختصر إعراب الشيخ خالد الأزهري للألفية مع زيادة يسيرة، وتفسير القرآن إلى سورة الأعراف، وحاشية على الإحياء ـ نحو ثلاثة أرباع الكتاب، وغير ذلك.

وترجمه الشهاب أحمد بابا البكري في كتابه «المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج»، وذكر مؤلفاته خمساً وثلاثين مؤلفاً، وكان من سادات العلماء والصوفية

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

وسراتهم، وأخذ عنه جمع كثير في كثير من الفنون، وألبسه وحكّمه جماعة من المشايخ المرشدين، وأذنوا له في التحكيم والإلباس، فألبس خلقاً كثيراً من أهل اليمن والغرب والمصريين والحرميين، ولم يزل على أحسن حال إلى أن وافاه الانتقال، ودفن بالمعلاة رحم الله مثواه.

[شاهين الجركسي]

وفيها [٩٥٤]: رابع شوال توفي المولى شاهين[١]، أحد علماء الروم المشهورين. كان مملوكاً للسلطان قايتباي، وكان مقرباً عنده محبوباً لديه، فسأله أن يعتقه ويخليه لعبادة الله تعالى فأعتقه، وقال له: اذهب كيف شئت. فساح في بلاد العرب والعجم، وأخذ عن جماعة كثيرين، وصحب جماعة من أكابر العارفين، منهم: الشيخ العارف بالله تعالى أحمد بن عقبة اليمني، فلمّا مات صحب نحو ستين شيخاً، منهم: الشيخ العارف بالله تعالى حسين جلبي المدفون بزاوية الشيخ دمرداش، وكان من أجل جماعة سيدي عمر روشني، فلمّا عاد إلى مصر أقام بالجبل الذي دفن فيه بنى له فيه معبداً، وحفر له قبراً، وكان لا ينزل إلى مصر إلا لضرورة شديدة، ثم انقطع فيه لا ينزل منه سبعة وأربعين سنة.

واشتهر في زمانه بالصلاح والولاية في دولة الجراكسة والعثامنة، وكان وزراء مصر وقضاة عساكرها وسناجكها يزورونه ويتبركون به، ولم يقع مثل ذلك لأحد من أمثال الشيخ من مشايخ مصر الذين في زمانه، وكان يكره تردد الناس إليه، ويقول للشيخ جمال الدين تلميذه: يا ولدي ما سكنّا في هذا الجبل إلا لنعتزل عن الناس.

وكان يغتسل لكل صلاة، واتفق أنه قام في بعض الليالي فلم يجد ماء، فبينا هو واقف وإذا بطائر في الهواء وفي عنقه قربة ماء فأفرغها في خابية وطار نحو بحر النيل، وهذا من صدق نية الشيخ حيث سخّر الله من يأتيه بالماء، ولا يتهجّد بغير وضوء، ولا يكتفي بالتيمم. وكان كثير المكاشفة، كثير الصمت والسهر والجوع، متقشفاً في الملبس، وكان يقول: عليكم بأركان الطريق فإن من ضيّع الأركان

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٩٥٤، الكواكب السائرة ٢/ ١٥٠).

فطريقه باطلة، كمن ترك أركان الصلاة سواء، فقيل له: وما أركانها؟ فقال: السهر والجوع والعزلة والصمت. ولم يزل علىٰ ذلك حتىٰ انقضت أيامه، وقوضت خيامه، ودفن بزاويته بالجبل، وبنى عليه السلطان قبة، ووقف علىٰ مكانه أوقافاً. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

[إبراهيم الرحبي]

وفيها [٩٥٤]: في أواخر شوال، توفي الشيخ الإمام، إبراهيم الرحبي المصري[١]. أحد عباد الله الصالحين، وأوليائه المستورين. كان مجهول الولاية عند غالب الناس لكونه كان يسأل الناس للفقراء المقيمين عنده الدراهم والطعام والثياب وما يحتاجون له، فيقولون: لو كان هذا ولياً ما سأل. ومن كشف الله عن بصيرته رأى أن له في ذلك الحال أكثر من عبادة المنقطع، وكانت هذه طريقة سيدنا عثمان بن عفان في أول أمره رضي الله عنه، وكان صاحب الترجمة يسأل الخضرية في كل شيء بار عندهم من السَّلْق والرجلة والجزر والكزبرة ويطبخه للفقراء، وإذا احتاجوا إلىٰ طعام أو كسوة طلع للسلطان قايتباي، فيأمر له بجميع ما يحتاجه، وقال له يوماً: إيش تعمل بحبس هؤلاء الفقراء عندك؟ فقال له: وأنت إيش تعمل بهؤلاء المماليك عندك، فقال هؤلاء عسكر السلطنة، فقال له: وإخواننا عسكر القرآن. ولمّا وقع الفصل في المماليك، رسم له بثيابهم، فحملها علىٰ دواب وألبسها الفقراء حتىٰ طواقيهم.

وكان له سياحات كثيرة، ساح سبع عشرة سنة، في جبال الشام وغيرها، واجتمع بمشايخ لا يحصون ثم دخل مصر، فاجتمع بسيدي أبي السعود الجارحي، فأجلسه في باب جامع الأزهر وقال: كل من رأيته من العميان وذي العاهات جاء يطلب القرآن، ولم يقبله أهل الجامع ردوه، فامتثل الناس، وأعطىٰ معلماً جامكية يقرئهم ففعل ذلك، وكان يخدم كل من مرض في الجامع بنفسه، وينحي القذر من تحته، ويعمل له المزوّرات[٢] حتىٰ يشفى أو يموت فيغسله ويكفنه احتساباً

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/٨٥).

(٢) المزورات طعام أو مرقة يطعمها المريض.

لوجه الله، وكان عنده غالب ما يحتاجه الفقراء من الملح والسعتر والغربال والنخل والرحى والبصل وسيور القباقب ومساميرها، وكل من احتاج لشيء قال له: ادخل خذ حاجتك، وإذا جاءت هدية فرّقها علىٰ الفقراء ولا يختص بشيء منها. ولم تكن له حرمة عند الفقراء المقيمين عنده بل ربما سبّوه وشكوه إلىٰ بعض الحكام، ولا يؤاخذهم ويقول: معاملتي يا أولادي ما هي معكم وإنما هي مع الله تعالىٰ. ويزيد في إحسان من أساء إليه، حتىٰ يظن من لا يعرفه أنه إنما يفعل ذلك خوفاً من لسانه، وكان يقول: يا أولادي إنما أنا خادمكم والخادم لا يتعالىٰ علىٰ المخدوم وتزيدون عليّ بحفظ القرآن، فأنتم أحسن حالاً مني.

ومدحه بعضهم، فقال: أود أني أخرج من الدنيا كما دخلت ولا عليّ ولا لي، فما تيسّر لي ذلك بل الذي عليّ أكثر من الذي لي فيا فضيحة مثلي يوم القيامة، وكان يقول: لا تشتغل قط بمكافأة الخلق علىٰ ما أحسنوا به إلىٰ الفقراء، فإن الله تعالىٰ يكافئهم عن الفقراء. وكان كثير الامتحان للصبيان المقيمين عنده خوفاً عليهم من الفواحش، وكل من رأى فيه قلة دين توبة وأخرجه، ويقول: يا ولدي المساجد بيوت الله، ولا يجلس فيها إلا المطهرون وكان سيدي محمد بن عنان يحبه جداً، وكان يأتي إليه بالقدر الكبير، فيقول الشيخ محمد: املؤه للشيخ إبراهيم. وبالجملة قد أقامه تعالىٰ نفعاً للفقراء والمساكين وغيرهم من الأولياء والصالحين، ومناقبه كثيرة شهيرة، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

[محمد ابن إلياس الرومي]

وفيها [٩٥٤]: توفي الشيخ محيي الدين، محمد بن إلياس[١]، الشهير بخواجا زاده[٢]، اشتغل بالعلوم الشرعية والفنون الأدبية والعلوم العقلية، علىٰ جماعة كثيرين من العلماء المشهورين، وجدّ في الطلب حتىٰ بلغ الأَرَب، واشتهر بالفروع الفقهية والعلوم العقلية، ثم صحب المولى سعدي جلبي ابن الناجي، ثم

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/٣٥٦، الكواكب السائرة ٢/٢٨، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٦٥).

(٢) في الكواكب: الشهير بجوي زاده.

صحب المولى بالي الأسود، وغيرهما، وانتفع بصحبتهما مع المواظبة على الأعمال الصالحات وملازمة الجمعة والجماعات، وأنواع العبادات والقربات، حتى صار علماً يهتدي بأنوار علمه[1] وقدوةً يُنحى نحوه، ويُنسج على منواله. ووُلّي عدة مدارس بالقسطنطينية، ووُلّي المدرسة الفرهادية وغيرها من المدارس المشهورة من البلدان المذكورة، ثم وُلّي قضاء (مصر) المحروسة، ثم قضاء العسكر وولاية (أناطولي)، ثم إفتاء (القسطنطينية)، ثم قضاء العسكر بـ (روم إيلي). وكان مرضي السيرة، محمود الطريقة، طارحاً للتكلف، متواضعاً، له سياسة مُصيبة. قوّالاً بالحق لا يأخذه في الله لومة لائم، فكان سيفاً من سيوف الإسلام، وحسنةً من حسنات الأيام. وله تعليقات على كتب في عدة فنون إلا أنهما لم تشتهر بين الناس، ولم يطل مرض موته بل مرض بعد العشاء، ومات نحو نصف الليل. رحمه الله وإيانا.

[محمد ابن علي الفناري]

وفيها [٩٥٤]: توفي المولى، محمد ابن علي ابن يوسف بالي بن شمس الدين الفناري[2]. اشتغل على والده ولازمه حتى مات، ثم على المولى خطيب زاده، ثم المولى أفضل الدين، ثم وُلّي تدريس (قسطنطينية) وغيرها من المدارس، ثم وُلّي قضاء (أدرنة) ثم قضاء العسكر، ثم إفتاء قسطنينية، ثم تركه واشتغل بالتدريس والتصنيف، فألّف تفسيراً عظيماً لكنه لم يُكمل، وله رسائل تتعلق بشرح الوقاية لصدر الشريعة، وتعليقات على الهداية، وحواشٍ على شرح المنهاج للسيد، وكان يحتاط جداً في عباداته وفتواه، وكان آية في التقوى جريء الجنان طلق اللسان ذا مهابة ووجاهة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا بطشة ظالم، يستوي عنده فيه الغني والفقير والشريف والحقير. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن علاء الفناري]

وفيها [٩٥٤]: توفي الفاضل المولى الكامل محيي الدين، بير محمد بن

(١) في الأصل: بأنوار جماله.

(٢) انظر: (معجم المؤلفين ١١/٧٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/٣٥٨، الكواكب السائرة ٢/٥٢).

علاء الدين الفناري، قرأ ببلده طرفاً صالحاً من العلم، ثم رحل إلى بلاد العجم وما وراء النهر، وأخذ بها عدة علوم على جماعة من مشايخ تلك الأقاليم، ثم عاد إلى الروم، ووُلّي مدرسة الوزير مصطفى باشا، وأخذ عنه جماعة كثيرون، وانتفع به جماعة من العباد، وتنقل في كثير من البلاد، وكان صالحاً ورعاً تقياً محباً للخير والعلم والفقراء والعلماء، محسناً إليهم، ثم أصيب في عينه، وعجز عن التدريس، فعزل وعيّن له كل يوم ستون درهماً بطريق التقاعد، وكان ذا سكينة ووقار، رحمه الله رحمة الأبرار.

[منار عبدي]

وفيها [٩٥٤]: توفي المولى، عبد القادر بن أحمد الشهير بمنار عبدي. أخذ عن المولى حسام جلبي وغيره، ثم وُلّي تدريس مدرسة خسرو بـ (بروسّا)، ثم انتقل في عدة مدارس في كثير من البلاد، وانتفع به كثير من العباد، ثم وُلّي قضاء (حلب) الشهباء، ثم قضاء (مكة) المشرفة، ثم (مصر) المحروسة، وكان فاضلاً عالماً في علوم كثيرة والغالب عليه الفقه، واستمر في قضاء مصر إلى أن انقضت مدة الحياة، وقدم على الله.

[عبد الرحمن الحسيني]

وفيها [٩٥٤]: توفي الشيخ عبد الرحمن بن يوسف بن حسين الحسيني[1]. وُلد سنة أربع وتسعين وثمانمائة، وقرأ على محيي الدين محمد الساميوني[2]، وقطب الدين حفيد قاضي زاده، وأخذ عن علي بن يوسف الفناري وعلي البكاري، وبرع في العلوم العقلية، وشارك في العلوم الشرعية، وأجيز بالتدريس، فوُلّي عدة مدارس في كثير من البلاد، وانتفع به جماعة من العباد، ثم ترك ذلك وانقطع إلى عبادة الله، وحصلت له جذبة شريفة من مولاه، فكان يخلو في الجبال الأيام والليالي، وجلس مدة لم يذق شيئاً من الزاد، ويستوحش من العباد، وكانت السباع

(١) (١٣) انظر: (شذرات الذهب ٨/٣٥٦، الكواكب السائرة ٢/١٥٩، الشقائق النعمانية ص ٢٣٥).

(٢) في الشذرات: الساموني.

تخضع له وتدنو منه، ثم صار يجد الطعام بين الأشجار ويجد القليات في الأشجار، ثم دخل مدينة (أدرنة) لمرض أصابه، وسكن في بيت وحده، وفي كل ليلة ينشق الجدار ويدخل عليه رجل يخدمه، ويأتيه بالطعام والشراب، ولمّا شفي قال له الرجل: لا أجيئك بعد هذا اليوم، فقال: من أنت؟ فقال: من أنت؟ فقال: إن أردت أن تعرفني فاخرج من المدينة واذهب مع المسافرين، فأنت تجدني. قال: فخرجت بعد أيام مع بعض المسافرين، ودخلنا قرية لطيفة الهواء، وهناك رجل يُدعىٰ بالعلم الأسود فتلقّاني وهو يضحك، فإذا هو الرجل الذي كان يأتيني في مرضي، فلمّا دخل وقت الصلاة قال: نصلي هناك، وأشار إلىٰ محل مرتفع، فلمّا أردنا الإحرام بالصلاة، قال: انظر أمامك فإذا الكعبة الشريفة أمامنا، ثم خالط الناس.

وانتفع به كثيرون، وكان له ملكةً عظيمة في حل المشكلات، والجواب عن الاستشكالات، وكانت له يد طولى في البحث والمناظرة، وما ناظرهُ أحداً إلا اعترف له بالفضل، وكان صدوقاً قوّالاً بالحق زاهداً في الدنيا، يستوي عنده الحجر والذهب والخشن والحسن، واستمر كذلك إلىٰ وقت الممات، ودُفن في قبر والده بمدينة بروسّا. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

سنة خمس وخمسين وتسعمائة

[عبد الله عَيْديد]

توفي السيد الشريف عفيف الدين عبد الله بن الطيب بن عبد الرحمٰن ابن العارف بالله تعالىٰ محمد صاحب عيديد[1]. أحد الأولياء والصالحين، والزهاد الورعين، صحب جماعة من العارفين، ورحل إلىٰ الحرمين الشريفين، وجاور بمكة المشرفة عدة سنين. وكان صاحب عبادة شديدة، ورياضة عظيمة، وكان علىٰ سنن

(١) آل عيديد. هم سلالة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه. ويُقال لكل من سلالته عيديد اختصاراً واكتفاء بالمضاف إليه عن المضاف ـ (المعجم اللطيف ١٤١). وانظر عن رجال هذا البيت: (شعراء حضرموت ٣/١٧٨، لوامع النور ٢/٦٢، المشرع الروي ١/٢٠٢ و٢/٨٣، رحلة الأشواق القوية ٦٥، شمس الظهيرة ٢/٥٣٦ و٥٤٧ و٥٤٨ و٥٤٩، إدام القوت ١٥٢).

السلف الصالحين، من القيام بوظائف العبادات، وملازمة الجمعة والجماعات، والمواظبة علىٰ السنن النبوية، والسيرة المحمدية، حَسَن المخالطة مع الناس، متواضعاً، محباً للخير وأهله. وكان محبوباً عند الأنام، مقبولاً عند الخاص والعام. وكان له خلق حسن لطيف، وصدر سليم، وطبع مستقيم. ولم يزل مقيماً بمكة المشرفة، يحج كل عام، إلىٰ أن وافاه الحمام، ودفن بـ (المعلاة)، روّح الله روحه، ونوّر ضريحه.

[محمد باجمّال]

وفيها [٩٥٥]: توفي الفقيه، محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن أحمد باجمّال. مؤذن أحد العلماء العاملين، الأولياء الصالحين. كان صالح وقته، وأوحد جهته، محصلاً للعلوم، جامعاً للفضائل والفهوم. أخذ ببلده عن الفقيه محمد بن عمر باجمال، ثم ارتحل إلىٰ (قيدون)، وقرأ علىٰ الشيخ الجليل نور الدين علي بن علي بايزيد، ولازمه حتىٰ صار أوحد أهل قطره، وعلاّمة أهل مصره، ثم تصدى للتدريس والفتوىٰ، (مع ملازمة التقوى)[1]. وتولىٰ الخطابة بجامع (الغرفة). وكان آية في الوعظ والتذكير، وكان ذا همة علية، وفنون صوفية، متصدياً لنفع العباد، مستغرقاً أوقاته بالعبادة والأوراد، وانتفع به جماعة[2] كثيرون في عدة فنون، وكان يقول: سلوني عن المشكلات والمسائل المشتبهات. وله فتاوى مفيدة، ولكنها لم تدوّن، وحصّل كتباً كثيرة في الفقه، والحديث، والتصوف، والعربية، ووقفها علىٰ من ينتفع بها، وله كرامات كثيرة:

منها: أنه أحضر لبعض أصحابه الرطب وقت الشتاء.

ومنها: أنه لمّا بنى داره المشهور بـ (ذي أصبح)، طلبه العمال بأجرتهم، ولم يكن عنده شيء، فأخذ من ورق الأراك وأعطاهم، فوجدوه أحسن نقد.

ومنها: أنه أخبر بوفاة بعض أصحابه في بلدة بعيدة، فجاء الخبر أنه مات في الوقت الذي قاله الشيخ.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة في النسخة «ب».

(٢) «جماعة» ناقصة في «أ».

وقال لبعض مريديه: إن فلانة حامل بذكر وأنثى، وتموت في نفاسها، ولم تكن ظهر بها حمل، فكان الأمر كما قال.

ومنها: أنه لمّا عاد الفقيه معروفاً، فوجده مدنفاً، فقال له: إن معك أولاداً صغاراً، وقد أبدلوا مكانك عبد الله بن أحمد بن عمر، لأن أولاده كبار، وعنده كفاية، فشفي معروف من حينه، ومرض عبد الله ومات، رحم الله الجميع. وأخبر في مرضه بانقضاء أجله، فأحضر الجهاز، ثم توفي[1]، ودفن بمقبرة (شيام) عند قبر عمه عبد الله مؤذن. رحمهم الله تعالى، ونفعنا بهم.

[حسن الجركسي]

وفيها [٩٥٥]: لليلتين بقيتا من شعبان، توفي الشيخ الصالح سيدي، حسن الخلوتي الجركسي، أحد العارفين والصلحاء المشهورين. صحب الشيخ دمرداش، وتخرج به، وهو أجل خلفائه، وله مجاهدات كثيرة، ورياضات شهيرة، في أكثر أوقاته. أتقن طريق الخلوتية، وخاض في لجّتها على أسرارها العلية، وكان آية في الزهد والورع، ماشياً على طريقة السلف الصالح، وكان بينه وبين العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراوي محبة أكيدة، ومودة شديدة؛ حتى أنه أدخل الشعراوي في بيته بحضرة عياله وهذه علامة لصحة الاتحاد في المحبة. ومن كراماته أنه لمّا سافر من مصر إلى الروم فسخت عقده زوجته بالغيبة وترك الانفاق عليها، وتزوجت ببعض الجند، فلمّا رجع إلى مصر، قال لزوجها: طلقها لترجع لي.. فأبى، وكان عند الزوج أربعة أفراس، فماتت كلها فطلقها فوراً.

ومات بمصر المحروسة، ودفن بمنزله داخل باب القنطرة. رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

[مروان المجذوب]

وفيها [٩٥٥]: توفي الشيخ الصالح، مروان المجذوب[2]. كان[3] ـ رحمه الله

(١) في «أ»: ومات.
(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٦٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٥٠، الكواكب السائرة ٢/ ٢٥٠).
(٣) «كان» ساقطة من الأصل.

تعالى ـ قاطع طريق من بلاد الشرقية مشهور بالفروسية، ثم حصل له جذبة ربانية فدخل مصر، وكان طول نهاره دائراً في الأسواق، وينام في مدرسة ابن هرمز ابن مزهر بـ (سويقة اللبن)، وسخّر الله تعالى له الخَلْق، فلا يطلب شيئاً إلا أعطوه، وكل يوم له ثوب جديد يُشترى له، ويبيع العتيق بأبخس ثمن، ووجدوا بعده مخزناً ملآناً من الثياب والجبب وقباطي، وكان بدنه لم يزل فيه الطلوعات يتناثر منها الدود وهو صابر، وكان عليّ الخوّاص يقول: إن الشيخ مروان لا تفوته غزوة في الكفار، ولا يوماً واحداً، فإن للفقراء الصالحين كل ليلة غزوة بعد العشاء في بلاد الإفرنج، وتلك القروح التي في بدنه إنما هي من الكفار، وحضر وقعة (رودس) أيام السلطان سليم.

وكان له الصيت من بين الفقراء، فيما يعمله بالكفار. وكان كثير الكرامات والخوارق، كثير العطب لمن أساء به الظن، وكل من طلب منه شيئاً ولم يعطه فلا بد أن تصيبه بلية، فكان الناس يخافون من مخالفته، قال سيدي عبد الوهاب: أرسل لي مرة يطلب مني جبة سوداء، وأرسل لي مع النقيب صرة فيها فضة فأرسلت له الجبة ورددت الفضة، وعرف أني عرفت منه أن تحتها حملات الناس، قال: وكان عندي صحن شَهْد على رف داخل البيت، فأرسل يقول لي: ارسل القطعة الشَهْد التي على الرف، فرآها وهو في مكانه، انتهى.

وكان إذا لقي أحداً فعل معصية ذلك اليوم يضربه حتى يفرغ خاطره، فإذا أراد أحد أن يرده شلت يده، قال الشاطر علي المداقف: شتمني مروان مرة بحضرة صناديدي فعزمت على ضربه فلقيته عند قناطر الوز، فقلت: اليوم أضربه حتى أشبع فلمّا قربت منه، قال لي: أنت هنا؟ قلت: نعم، فيبست يدي في جنبي وصار يضربني في عنقي حتى شبع، ثم بعد ذلك ما لقيني قط إلا وضربني. ومكاشفاته كثيرة، وأحواله شهيرة، وانتقل بمصر ودفن في منزله داخل باب القنطرة[1]. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

(١) جاء في حاشية الأصل بخط صاحب النسخة ما نصه: الصحيح أنه دُفن خارج باب الفتوح.

[عبد اللطيف ابن مرتضى]

وفيها [٩٥٥]: توفي السيد، عبد اللطيف بن مرتضى[1]. أصله من العجم، وكان والده جيد الحفظ، جيد الخط، كتب عدة مصاحف بالخط الحسن العظيم، ولمّا رآها السلطان رغب فيها لحسنها، وجعله نقيب الأشراف بالروم، ونشأ ولده عبد اللطيف في حجره، وطلب العلوم الشرعية والفنون المنيفة، والحِكَم، والفارسية والتركية، وتفنن في التفسير والنحو والمعقوليات، ثم مال إلى التصوف وصحب العارف أبا الوفاء ولازمه حتّى مات، ثم صحب الشيخ يحيى الطورلوي، وأدخله الخلوة وتخرّج على يديه، وأذن له في الإرشاد، وزوجه بنته ولكنه لم يباشر الإرشاد. وكان حسن المخالطة للناس، له نوادر لطيفة وأشعار ظريفة تلذ للأسماع، وتميل إليها الطباع، وتوفي بـ(بروسّا)، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[قادري جلبي]

وفيها [٩٥٥]: توفي المولى، عبد القادر الشهير بقادري جلبي، أخذ عن لمولى الحميدي، وركن الدين، والمولى زيرك وصار معيداً في بعض المدارس، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس بالقسطنطينية وغيرها، ثم وُلّي قضاء العسكر ثم إفتاء (القسطنطينية)، ثم عزل لاختلال وقع في عقله، وعيّن له كل يوم مائتا درهم، وتوطّن (بروسّا) وبنى مسجداً ومدرسة. وكان لطيف المجاورة، ظريف النادرة، له أخلاق رضية، وسيرة حسنة مرضية، وكان يعفو عن المسيء، ويتجاوز عن المخطيء، وكان مشغوفاً بالعلم ومذاكرته، لا ينفك عن ذلك أبداً، وله تعليقات كثيرة ورسائل منيرة إلا أنها لم تظهر لابتلائه بسوء المزاج واختلال الجسم مع عدم العلاج، ومات ببروسا رحمه الله تعالى.

[سعد الله الرومي]

وفيها [٩٥٥]: توفي الشيخ، سعد الله بن عيسى الرومي. أصله من ولاية قسطموني، وولد بها ثم رحل إلى قسطنطينية مع والده، واشتغل بطلب العلم وأخذ عن المولى محمد الساميوني ثم وُلّي تدريس الهجرية بأدرنة، ثم وُلّي عدة مدارس

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٨٣).

في بلدان متعددة ثم وُلّي قضاء قسطنطينية ثم إفتاءها، وكان محمود السيرة رضي الأحكام محبوباً عند الخاص والعام، مصيباً في أقضيته وفتاته، وكان طاهر اللسان لا يذكر أحداً إلا بخير، مراعياً للشريعة الغراء، مواظباً على الطريقة المُثلى، وملك كتباً كثيرة نفيسة مكلفة، وكان لا يمل من مطالعتها، وكان حسن الحفظ يحفظ كثيراً من السيرة والتواريخ والمناقب، وله رسائل وتعليقات مفيدات، وحواشٍ على تفسير القاضي البيضاوي، وكان يحب الفقراء ويحسن إليهم، وبنى لهم داراً بقرب داره بقسطنطينية، رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة ست وخمسين وتسعمائة

[عبد القادر الشعراوي]

ثالث صفر، توفي الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراوي، أخو العارف بالله تعالى عبد الوهاب[1]. تفنن في العلوم، وتصرف في المنطوق والمفهوم، وعرف طريق القوم، وصحب خلقاً كثيراً، وأخذ عن جماعة من العارفين، وكان على قدم عظيم من الورع والزهد، وترك الدنيا وملازمة الطريقة العليا. حكى أنه ذهب يفتح مطلباً ومعه بعض أصحابه، فلمّا قربوا من المطلب، ضحك خدام المطلب، وقالوا: ما عاد لك يا شيخ عبد القادر بحب الدنيا، فانتبه ورجع فشهدت له الجن بأنه لا يحب الدنيا وهو صغير إذ ذاك، وكان يقري الضيوف على اختلاف طبقاتهم، ويقوم بأمر الأرامل والأيتام والفقراء ويكسوهم، ويغسل موتاهم ويكفنهم من عنده، ولا يبيت على دينار ولا درهم، وكانت داره كأنها (مارستان)[2] كل من مرض أو عجز من رجال أو نساء أرسلوهم إليه فيعافيهم وينفق عليهم ويطعمهم من كل ما عنده من لحم غنم أو دجاج وأرز،

(١) المارستان: دار المرضى (فارسية).

(٢) سبق أن أشرت إلى الشك الذي راودني عن صحة هذا اللقب. وقلت أنه الشعراني وليس الشعراوي.. ولكن تأكد خطأ ما ذهبت إليه. وصح أنه عبد الوهاب الشعراوي. وهو لم يشر إليه صاحب (معجم المؤلفين) لذلك كان منبع الشك، إلا أن صاحب (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) كرر الإشارة إليه - أنظر الفهارس ج ٣ ص ٢٥٩، ثم استعرت الكتاب من دار الكتب بصنعاء وهو المعروف بطبقات الشعراني.

مع أنه لم يملك دابة ولا يعلم الناس من أين يأتيه ذلك، وأخبر إنسان أنه أمسى، ولا يعرف أحداً، قال: فدلوني على الشيخ عبد القادر فوجدت الزقاق ملآناً من رجال ونساء وبهائم، ولا وجدت موضعاً أدخل بحمارتي فيه، فأقرئ الجميع تلك الليلة، وأمسي قائماً في عبادة مولاه.

وكان حسن الأخلاق، واسع الصدر، بشوشاً لا يكاد يُرى مقبوضاً، قال أخوه الشيخ عبد الوهاب: حججت معه سنة بلوغي الحلم، وهي سنة أربعة عشر وتسعمائة، ومعنا ثلاثة جمال فتعطلت علينا في أثناء الطريق، وسار الحج كله، ودخل وقت العشاء وهو منشرح ويقول لي ولزوجته: لا تخافوا فإن عندكم الماء والزاد فإذا فرغ جلس كل إنسان مستقبل القبلة فإن مات مات كما مات الصالحون، فبينما نحن كذلك إذ جاءنا بدوي فقال: لا تخافوا.. وحوّل أحمالنا على جماله وساق جمالنا عرياً، فمشت إلى العقبة فأعطى الجمّال شيئاً فلم يقبل، وقال: ما حملتكم إلا لله تعالى، ثم تعطل جمل آخر وسار الحج وأعطونا فيه ديناراً وإذا البدوي الأول جاء فقال: كم أعطوكم في جملكم؟ فقلنا: ديناراً، فقال: عليّ بذلك فأعطاه الأخ، ثم طاب الجمل، وجاء به البدوي فلم يقبله الأخ فساق عليه العرب، ولمّا وصل مصر باعه بثلاثين ديناراً انتهى، وقيل له: لم لا تشتري بهائم؟ فقال: إذا اشتهت ذلك النفس وقفت عليها عند رجوعها عن المرعى، فأقول لنفسي: كل ذلك لك فإنه لا فرق بين أن تكون البهائم عند الناس أو في داري لأني لا أرى ملكاً مع الله تعالى.

وكان الناس يصفونه بالكمالات، قال بعضهم: طفت بلاد الشام والروم والعجم ومصر ودرت قراها، فما رأيت أحداً على مقام عبد القادر في الأخلاق الحسنة، والله لو وضع الشيخ في كفة وجميع مشايخ مصر في كفة لرجح بهم، وألقى الله تعالى محبته في سائر القلوب، فلا يبغضه أحد حتى النصارى واليهود، وقيل له: انظر لزرعك حارساً، فقال: ما قسمه الله تعالى للفقراء ما يقدر أحد على أخذه، وما قسمه الله للسراق فلا يقدر أحد أن يمنعه منهم. ولم يزل على نفع المسلمين والمسلمات، وإيصال الخيرات إلى أن وافاه الممات، فتوفي في بلده ودفن في مقبرتها عند والده، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

[علي العياشي]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ علي العياشي[1]. أجلّ أصحاب سيدي أبي العباس الغمري وسيدي إبراهيم المتبولي وغيرهما، مكث نحو سبعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض إلا عن غلبة، ولم يكن له قط مخدة ولا فروة، إنما ينام جالساً، يخفض رأسه قليلاً ويكتفي به من النوم. وكانت أوراده من صلاة وتلاوة وذكر وصلاة على النبي ﷺ كثيرة، وإذا ذكر ينطق قلبه مع لسانه، فيقول السامع إنهما اثنان يذكران، وإذا ذكر القرآن يردده ويبكي إلى الصباح ولا يزيد على خمسة أحزاب، وافتتح سورة طه مرة بعد العشاء فلم يزل يردد آياتها ويبكي حتى طلع الفجر.

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يفتتح الصلاة من أول الليل فلا يسلّم منها إلا وقت الفجر، وكان يقول: كل نَفَس ذهب فارغاً، راح ومرض مرضاً شديداً فلم ينقص من أوراده شيئاً، وكان القمل يتناثر من رأسه ولحيته لا يتفرغ لتفليتهما، ويغسل عمامته من العيد إلى العيد. وكان أمين الدين يجله ويكرمه، ويعتقده اعتقاداً زائداً، وقال الشيخ محمد بن أبي الحمائل: ما رأت عيني أعبد من الشيخ محمد بن عنان، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: وأنا أقول هذا أعبد من ابن عنان.

وكان كثيراً ما يرى إبليس فيضربه بالعصا فيرتدع عنه، وقال له مرة: يا علي لست أخاف من العصا وإنما أخاف من النور الذي في القلب. وضرب رجلاً مغربياً على كتفه وهو في أثناء الصلاة على النبي ﷺ فقال له المغربي: لم ضربتني؟ فقال: إنما ضربت إبليس رأيته راكباً على عنقك. وكفّ بصره أواخر عمره، وكان إذا أبطأ عليه بماء الوضوء يتوجه لأولياء القرافة فيأتونه بالماء.

وكان يعرف أحوال الموتى من المرحوم والمعذب، وكانت الأموات من الأولياء يزورونه كثيراً يقظة، لا سيما ذو النون والإمام الشافعي رضي الله عنهما،

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٦٥، طبقات الشعراني الكبرى ٢/ ١٨٨، الكواكب السائرة ٢/ ٢٢٢).

قال سيدي عبد الوهاب: نام مرة عند قبر جدي في زاويتنا ببلاد الريف، فقرأ هو وجدي من سورة مريم إلى آخر القرآن، قال: وأخبرني بصفة جدي، فلم يخطىء شيئاً(١) من صفته مع أنه لم يجتمع به قط في حياته، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[عامر البيجوري]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ عامر البيجوري المجذوب، كان لا يأكل إلا أن وضع له أحد طعاماً؛ فإن لم يضع له أحد طعاماً، لم يأكل ولو مكث شهراً. وكان أكثر إقامته في مدينة (منوف)، وكان على رأسه عمامه من أهداب القماش لا يقدر الرجل الشديد يحملها من الأرض إلا بعسر، فكان يلبسها ويدور بها البلاد، وأحياناً يأخذ حجراً كبيراً يربطه بحبال ويقف فوق كوم يحركه يميناً وشمالاً، ويخاطب الفقراء في أقاليم الأرض. وأخبر الشيخ أحمد السطحية، أنه لمّا سافر الصعيد وعارضه فقراء الصعيد بالحال، فتوجه إلى أشياخ (مصر) فما أجاره أحد غير الشيخ عامر. وكان له خلوة مملوءة شراميط، فدخلها رجل ليأخذ من الشراميط فوجدها كلها ثعابين فولّى هارباً.

[شجاع الدين إلياس]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ شجاع الدين بن إلياس الرومي...(٢)، اشتغل في صغره بطريق الخلوتية، وجدّ واجتهد وانقطع عن الناس بموضع وسط البحر تجاه (القسطنطينية) مدة ثلاث سنين، فلمّا مرض شيخه أمر مريديه أن يتوجهوا إليه ويجتمعوا عليه، وكان قد طال في التصوف باعه، وانتشر في سماء الفضل شعاعه، واشتهر بحسن الطريق؛ فقصده المريدون من كل فج عميق، وكان أمياً إلا أنه يعرف أحوال الطريق والسلوك بالأسماء، أصولها وفروعها، التي هي مبنى طريق الخلوتية. وكان يغلب عليه الجذب في بعض الأحيان، ولذلك كانت تضطرب أحواله وأفعاله، ولقبه العوام بالمجنون، ولمّا قرب موته أخبر أصحابه بوقت موته، ثم ودّع أصحابه وأحبابه وأظهر الشوق إلى لقاء الله، فمات في الوقت الذي ذكره.

---

(١) وردت: فلم يخط شيئاً.

(٢) كلمة غير واضحة.

رحمه الله تعالى وإيانا.

[قاسم القصري]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ الإمام، قاسم المغربي القصري، كان بالولاية مشهوراً، وفي الكرامات والكشف علماً منشوراً، صالحاً، زاهداً، متورعاً عابداً، طاهر القلب واللسان، وافر العدل والإحسان، نوره باهر، ويمنه ظاهر، يتواضع ويتلطّف، ويفعل الخير ولا يتوقف. يقوم الليل، ويسير إلى الطاعة سير السيل. قَدِم مصر أيام الغوري حاجّاً، فأقبل عليه الناس، ثم حج ورجع إلى فاس، ولمّا دخل مصر دخل ومعه خمسمائة فقير، فلم يسعهم جامع، فأقاموا بقرافة الأحمدي. ومن كلامه: لا تشتغل بمن يؤذيك، واشتغل بالله.. يردّه عنك، فإنه الذي حركه عليك ليختبر صدقك. وقد غلط فيه خلق فاشتغلوا بمقابلة من آذاهم، فدام الأذى ولو دفعوا إلى الله لكفاهم، وقال: إياك أن تفوت موكباً من المواكب الإلهية، فإن لله كل ليلة صدقة ومواهب يفرّقها على قلوب المستيقظين. ولم يزل على حاله إلى أن نقل إلى الجبانة، وانتقل إلى رحمة الله سبحانه، ودفن بمدينة فاس.

[أحمد بلعفيف]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ الصالح، أحمد بن محمد بلعفيف الهجراني(١). أحد المشايخ المعتبرين، والصلحاء المعتقَدين، والأولياء المعظمين. له أحوال عظيمة، ومقامات جسيمة؛ تفقه أولاً في الدِّين، وأخذ عن جماعة من العلماء العاملين، وصحب كثيرين من الأولياء العارفين، وكان له في طريق القوم معرفة واسعة، وبصيرة عظيمة قاطعة، وكانت له رياضات، وحصلت له كرامات، وكان العارف بالله تعالى معروف باجمّال يعظمه ويثني عليه، وقال: ما نفذ لأحد من المشايخ دعاء إلا الشيخ أحمد بلعفيف والفقيه عمر بامخرمة، فلمّا بلغ ذلك الفقيه عمر، قال: لو نفذ لي دعاء.. لأهلكت بدراً الكثيري، ولو نفذ للشيخ دعاء.. لأهلك ثبتاً والي (الهرجين). وذلك أن والي الهجرين هذا سيء الظن بالشيخ

---

(١) نسبة إلى «الهَجْرين» البلدة المشهورة في الجانب الأيسر من وادي دوعن. ويرجع آل عفيف الهجريون إلى قبيلة كِندة حضرموت ـ انظر: (إدام القوت ـ ص ٢٠٦).

أحمد، حتى نفاه من (الهجرين)، وبدر الكثيري تبع الفقيهعمر بالأذى حتى أخرجه مراراً من حضرموت والشّحر. ولمّا اجتمع الفقيه عمر بالشيخ علي بن حسن بارَبَّاع قال للفقيه: كيف حالك؟ قال: ما بي إلا عملي، وكذلك الشيخ أحمد بلعفيف دعا لبدر وهو دعا لثابت، فسلّطهما عليّ. فعرفوا مراد الشيخ معروف باجمّال بكلامه السابق، وبالجملة كان الشيخ من فحول الرجال، أولي المقامات والأحوال. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[علي بارَبَّاع]

وفيها [٩٥٦]: توفي علي بن حسن بارَبَّاع[١]. أحد رجال الطريق، أصحاب العناية والتحقيق، وكان أول عمره من جملة الأشرار الجاهلين، واللصوص المشهورين، ثم ساقته العناية الأزلية، والمقدرة الإلهية، إلى أن سرق في بعض الليالي من بلاده إلى مدينة (تريم)، وأخذ مالاً كثيراً من أموال العارف بالله تعالى الشيخ علي بن أبي بكر السقاف، فقال الشيخ: اللهم.. إن كان متعمّداً.. فأهلكه، وإن كان جاهلاً.. فأصلحه، فتاب الله تعالى عليه، وحسنت توبته، وصلحت سيرته وسريرته[٢]، وأقبل على العبادات، والأعمال الصالحات، متخلقاً بالأخلاق النبوية، سائراً على السنة المحمدية، حتى صار فُضَيْليَّ زمانه، وسَرِيَّ أقرانه. رحمه الله تعالى ونفعنا به.. آمين.

[إبراهيم الحلبي]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي[٣]، الحنفي. وُلد بحلب وأخذ من بعض علمائها، وصحب بعض أوليائها، ثم رحل إلى (مصر) المحروسة، فقرأ العلوم الشرعية والقواعد الأصولية والفنون العربية، وتفنن في علم القراءات، وبعض العقليات، ثم رحل إلى الديار الرومية، وتوطن

(١) آل بارَبَّاع: من قبائل نهد، في أسفل وادي دوعن بحضرموت.

(٢) «وسريرته» زيادة في ب.

(٣) انظر: (الأعلام ١/٦٦، معجم المؤلفين ١/٨٠، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/٣٦٣، الكواكب السائرة ٢/٧٧، در الحبب في أعيان حلب ١/٩٣، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٩٥).

(القسطنطينية)، ووُلّي مناصب عدّة، منها: خطابة جامع السلطان محمد وإمامته، وتدريس دار القراء، وانتفع به كثيرون. وكان أكثر أوقاته في العلوم، قراءة وتدريساً، ملازماً لبيته، لا يخرج إلا للصلاة في المسجد أو حاجة، وإذا مشى في الطريق غض بصره عن الناس، ملازماً لذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً، ولم تسمع منه كلمة سوء، وله كتاب في الفقه سمّاه ملتقى الأبحر[١]، وشرح منية المصلي سمّاه بغية المتملي[٢] وغيرها، ولم يزل على الحال المرضية إلى أن وافته المنية، وقد جاوز التسعين. رحمه الله تعالى وإيانا.

[بدر الدين الأيديني]

وفيها [٩٥٦]: توفي الشيخ بدر الدين محمود الأيديني، رحمه الله. أحد علماء الديار الرومية، طلب العلم في بلده حتى حصّل طرفاً صالحاً، ووُلّي عدة مناصب ثم تركها وتجرد للعلم، ورحل إلى عدة بلدان، ثم وُلّي تدريس التفسير والحديث، وانتفع به جمع كثيرون. وبرع في العلوم الشرعية الثلاثة، وفي العربية، واستمر إلى أن اخترمته المنية، ودفن بالقسطنطينية. رحمه الله تعالى.

سنة سبع وخمسين وتسعمائة

[أحمد الرَّمْلي]

توفي الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، شهاب الدين، أحمد أبو العباس ابن حمزة الرملي[٣]، الأنصاري، الشافعي. شيخ الإفتاء والتدريس، وقدوة الفروع والتأسيس. علاّمة علماء عصره، وفهامة فضلاء (مصره). شيخ (القاهرة) المعزية، ومن له في العلوم الشرعية ـ لا سيما الفقه ـ أعظم مزية. إمام المحققين على الإطلاق، وأستاذ المدققين بالاتفاق، بقية مظهر الفرق من وجوه الخلاف بالقول الصحيح، مُعلي الحق من قديم القول وجديده بقوة الترجيح.

نشأ في عبادة الله، وفي التحصيل، من صباه، وقام من الاجتهاد بما لا يطيقه

(١) أورده صاحب كتاب الأعلام باسم: ملتقى الأبحر ـ قال: هو مطبوع، في الفقه.

(٢) «غنية المتملي في شرح منية المصلي» أفاد صاحب الأعلام أنه مطبوع.

(٣) انظر: (الأعلام ١/١٢٠، شذرات الذهب ٨/٣٧١، الكواكب السائرة ٢/١١٩).

أحد من أقرانه ولا يقوى، وتمسك بأقوى الأسباب من التقوى، حتى علت رتبته، وارتفعت منزلته، وصار فريد عصره في المعقول، ووحيد دهره في الفروع والأصول، بل هو أيضاً كذلك في المعاني والبيان، وفي العربية ثابت الأركان.

ومشايخه كثيرون، منهم: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وجلال الدين السيوطي، والكمال بن أبي شريف، وأخوه البرهان بن أبي شريف. وأذن له جماعة من مشايخه في الإفتاء والتدريس، في كل علم نفيس، فتصدى للتدريس العام، والنفع المتعدي للأنام، وسارت بذكره السراة شرقاً وغرباً، وغنّت بفضله الحداة عُجماً وعرباً، وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تُحمل في البر والبحر إلى بين يديه.

وكان له ذهن ثاقب، وفهم صائب. وجمع بين العلم والدراية والرواية، وبلغ في الديانة إلى أقصى الغاية، وانتفع به خلائق لا يحصون، وتخرج به كثيرون، منهم: العلامة الأشهر، الشيخ أحمد بن حجر، والإمام العارف المصيب محمد الشربيني الخطيب، والبحر التيار المتلاطم العلامة أحمد بن قاسم، والشيخ نور الدين الطبناوي، والعارف بالله عبد الوهاب الشعراوي، وإمام الملة والدين، ولده شمس الدين، وغيرهم ممن يعسر حصرهم، ويطول ذِكْرُهُم.

وكان يقول: نور الدين محقق الدرس، والشيخ الخطيب جامع المسائل النوادر في الدرس.

ومن خصائص صاحب الترجمة: أن شيخ الإسلام أذن له أن يُصلح في مؤلفاته في حياته وبعد مماته، ولم يأذن لأحد سواه في ذلك. وأصلح عدة مواضع في «شرح البهجة»، و«شرح الروض» في حياة شيخ الإسلام. ومع اتساعه في أنواع العلوم، وطول باعه في تحرير المنطوق والمفهوم، ليس له كتاب أطال فيه الكلام، وأطلق فيه ألسنة الأقلام، مما يتبهج به الناظر، ويبتهج له الخاطر، بل له كتب مختصرة، مفيدة محررة، منها: «شرح الورقات» في الأصول، و«شرح الزبد» في الفروع، ورسالة في شروط الإمامة شرحها ابنه العلامة، وله شرح على منظومة ابن العماد في المعفوّات، سمّاه «فتح الجواد بشرح منظومة ابن

العماد»(1) وله حواشٍ من «شرح الروض» لشيخه شيخ الإسلام. وجمع فتاواه ابنه الشمس محمد، وتلميذه الخطيب الشربيني(2).

وكانت له عقيدة حسنة، في السادة الصوفية، فكان يجيب عن أقوالهم المشكلة، بأحسن الأجوبة، وكان جميع أولياء (مصر) ـ حتى المجاذيب ـ يعظمونه ويبجلونه، لا سيما الشيخ نور الدين المرصفي، وسيدي علي الخَوّاص.

وكان يخدم نفسه، ولا يمكّن أحداً يشتري له حاجة من السوق إلى أن كبر وعجز. وعاش حتى صار علماء (مصر) كلهم تلامذته إلا النادر. وله كرامات كثيرة، قال تلميذه العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعراوي: مرضت مرضاً شديداً وأوصيت، فجاءني شيخنا أحمد الرملي وولده محمد عائدين، فدعا الشيخ وولده يؤمن، وأنا أشهد دعاء الشيخ صاعداً إلى السماء كالصواعق من شدة الهمة والعزم، فما فارقني حتى خَلصت من ذلك المرض. انتهى.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يتلو «القرآن» دائماً، قاعداً وقائماً، وراكباً وماشياً، وكان يصدع بالحق ولا يخاف لومة اللائمين، ويأمر بالمعروف ولا يخشى بطشة الظالمين، لِمَا منحه الله تعالى من شدة اليقين، والدين المتين. وكانت يداه بالكرم مبسوطتان، لا سيما الفقراء والمساكين؛ وما زال في علم يرفعه، وفتوى يضعه، وشتات تحقيق يجمعه، إلى أن انقضت أيامه، وقرب منه حمامه، فانتقل إلى جوار الرحمن، في أعلى غرف الجنان. وصُلّي عليه يوم الجمعة في الجامع الأزهر، وفاضت العيون بماء الدموع وصفو العيش تكدّر، واجتمع الخلق من كل البلدان، وضاق بهم المكان. ودفن بتربة قريباً من جامع الميدان، وأظلمت (مصر) وقُراها بعد انتقاله؛ لكونه مرداً للعلماء في وجوه المذاهب وأقواله. قدس الله روحه، ونوّر ضريحه.

وفيها: توفي الشيخ القاضي أحمد شريف (3).

---

(1) أفاد صاحب كتاب «الأعلام» أنه مطبوع.

(2) كما أن «الفتاوى» مطبوعة أيضاً.

(3) بياض بالأصل. ولم يكتب بالورقة شيئاً.

[محمد حافظ]

وفيها [٩٥٧]: توفي الشيخ حافظ الدين، محمد بن أحمد بن عادل باشا[١]، المشهور بالمولى الحافظ. ولد بتبريز من أرض العجم[٢] وأخذ عن الشيخ بايزيد بها، كثيراً من العلوم، واشتهر بالفضل في تلك الديار، ولمّا وقعت فتنة شاه إسماعيل الأردبيلي، رحل إلىٰ الديار الرومية، وأخذ عن المولى عبد الرحمٰن المؤيد، ولازمه، ووُلّي مدرسة (أنقرة). وكان حسن الخط، سريع الكتابة، كتب شرح الوقاية لصدر الشريعة في شهر واحد بأحسن خط، ودرّس فيه، وقرأ شرح الوقاية للسيد الجرجاني وكتب على مقدمته، وكتب على مواضع من شرح المواقف للسيد[٣]، وشرح التجريد سمّاه «المحاكمات التجريدية» وله كتاب سمّاه «مدينة العلم» اعترض فيه علىٰ كثير من العلماء كالبيضاوي والسعد والسيد، ورسالة سمّاها «يقظة العلم»[٤] وأخرى سمّاها «فهرست العلوم» ورسالة سمّاها «معارك الكتاب» ورسالة سمّاها «السبعة السيارة». وله تعليقات ورسائل مختصرات لكنها مسودة، وكان لا يمل من المطالعة والكتابة والمذاكرة، وربما يمضي عليه الليل كله وهو يطالع. وكان حافظاً لمهمات المسائل والمشكلات والتواريخ والمحاضرات وأشعار العرب والفرس والترك، وكانت أخلاقه حسنة، وسيرته مستحسنة. وبالجملة فقد فاق علىٰ أكثر أقرانه، ولم يوجد نظيره في بلده، من أهل زمانه، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[يوسف الهندي]

وفيها [٩٥٧]: توفي الشيخ المعمر يوسف الهندي. ولد بأرض الهند وساح في البلاد في كل حاضر وباد وقدم مصر سنة خمسة وخمسين وتسعمائة وأخبر أن عمره ثلاثمائة سنة وشيء، ولحيته سوداء، وذلك أيام دولة الغوري وأقام بالجبل المقطم مدة، ثم سافر إلى الروم، ثم حج ورجع إلىٰ مصر وأقام عند الشيخ

---

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٨/ ٢٧٢، شذرات الذهب ٨/ ٣٧٣، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٦٧، الكواكب السائرة ٢/ ٢٦).

(٢) تَبريز: مدينة في شمال غربي إيران ـ (المنجد في الأعلام).

(٣) في علم الكلام.

(٤) أوردها صاحب «شذرات الذهب»: نقطة العلم ـ تصحيف من الطابع.

عبد الوهاب الشعراوي، ولبس كل واحد منهما من الآخر خرقة التصوف. وكان إذا دخل رمضان لا يكلم أحداً حتىٰ ينقضي. وكان حسن الأخلاق، كريم النفس، خفيف الروح، زاهداً ورعاً، كثير العبادة، لا سيما الصوم. له مروءة تامة، وفتوة كاملة. ثم سافر إلىٰ الاسكندرية واستمر إلىٰ أن مات بها، ودفن بمقبرتها. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أحمد الرومي]

وفيها [٩٥٧]: مستهل رمضان، توفي الشيخ، أحمد الرومي. أحد العلماء العارفين، الأولياء الصالحين. اشتغل أولاً بالعلوم الشرعية والعقلية، ثم مال إلىٰ علماء الصوفية واشتغل بالطاعات وأنواع العبادات، وأكثر من المجاهدات والرياضات، وكثيراً ما يطوى الأربعين يوماً ويكتفي بزبيبة عند الإفطار. وكان أكثر أيامه صائماً، ووقته معموراً بقراءة القرآن والأذكار، وكان كثير المطالعة للتفاسير، غوّاصاً في علوم النظر والتوحيد، هيناً، ليناً، بشوشاً، حسن الخلق، كريماً، سخياً، لا يرد سائلاً. ملازماً للسيرة النبوية والآداب الشرعية، وما رؤي إلا مستقبل القبلة حتىٰ في طريق الحج حين يركب المحفة. وكان يحب العزلة عن الناس، ويحب الخمول، ويكره الشهرة والظهور. وكان يقول: من الخفاء العظيم للفقير في هذا الزمان سميه علىٰ الدنيا والتظاهر بمحبتها، فإن الناس يقل اعتقادهم فيه، فينفرون عنه، فتصفو له أوقاته، ولا يكون الظهور إلا لأحد شيئين إما لطلب الطريق أو للشفاعة عند الحكام، وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا. ولمّا حفروا قبره وجدوا قدراً مملوءة ذهباً فأخبروا به نائب مصر علي باشا فقال: فرقوه علىٰ الفقراء الذين حضروا جنازته ففرقوه فكانت كرامة للشيخ وسّع بها علىٰ من شيع جنازته. وكانت جنازته حافلة، ودفنوه قريباً من زاوية سيدي محمد ساعي البحر بمصر العتيق. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[شعبان المجذوب]

وفيها [٩٥٧]: رابع رمضان، توفي الشيخ الصالح، شعبان المجذوب[١].

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٥١).

كان أهل مصر مطبقين على الاعتقاد فيه، وكان يلبس الزفوط الحمر يفردها يجعلها قطعة على قُبُله وقطعة على دبره، وكان يعرف جميع ما يحدث الله تعالى في السنة من أول هلالها، وكان سيدي علي الخواص إذا شك في أمر يحدث أرسل إليه يستفهم منه، وقالوا لسيدي علي الخوّاص أول السنة أنه لبس جلد بقر فقال: هذه السنة يموت أغلب البهائم فكان الأمر كذلك، ومرة لبس جلد عنز فماتت العنز في تلك السنة، ومرة أوقد النار فقال الشيخ لا بد من وقوع فتنة فوقعت فتنة أحمد باشا. وكان يطّلع على الضمائر، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: باتت امرأة عندنا فأرسل الشيخ يقول لي مع النقيب لا تفرق بين رأسين في الحلال، فلم أعرف معنى ذلك، فلمّا طلع النهار قالت لي المرأة: لي بنت ولها زوج غائب منذ ثلاث سنين ومقصودي ترسلوني مع أحد إلى القاضي يفسخ عليه، فإن مصالحها ضاعت، فتذكّرت قول الشيخ فقلت لها: ان بعض الفقراء يقول لك اصبري فإن زوجها يأتي قريباً. فسافرت المرأة إلى البلاد فبعد شهر حضر زوج بنتها. قال: وصحبتُه - أي صاحب الترجمة - نحو خمس وثلاثين سنة، وأرسل إلى السلام مع النقيب وقال له: ما في فقراء مصر أتعب من عبد الوهاب هذا ساكن على بركة الدم من حملات الناس، ومصداق ذلك أن الماء الذي تحت بيتنا في الخليج يصير من حملات الناس كل سنة كماء المصبغة حتّى ان بعض الناس يعتقد أنه خارج من المصبغة مع أن الخليج فيه أماكن كثيرة ليست كذلك. قال: وسألت أهل الحارة هل كان يحمر قبل أن يسكن الشيخ؟ فقالوا: لا. ولمّا مات حضروا جنازته بجند السلطان خوفاً أن يتقاتل الناس على دفنه، فكل جماعة يقولون ندفنه في حارتنا تبركاً به. وكانت جنازته حافلة، وازدحم الناس على حمله، ودفن بزاويته بالقرب من سويقة اللبن. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[علي الأفيدي]

وفيها [٩٥٧]: توفي الشيخ علي الأفيدي. كان من أجلّ أصحاب سيدي محمد بن عنان، وكان يقرىء القراءات للمجاورين في زاوية الشيخ، وكان عابداً ورعاً، زاهداً، حافظاً للسانه ويده، وكانت أفعاله وأقواله محررة على الكتاب والسنّة، قال العارف بالله عبد الوهاب: صحبته نحو أربعين سنة ما أظن أن كاتب

الشمال كتب عليه كلمة واحدة، فقال: ولو أخذت أن أذكر صفاته الحسنة لكلّ لساني. ولم يزل مقبلاً على الله تعالى حتّى توفي وانتقل وخرجت روحه ويده تتحرك بالسبحة مع لسانه، فكان آخر حركة يده ولسانه مع طلوع روحه، وهذا أمر لم ينقل إلاّ عن أكابر العلماء كالجنيد وسيدي محمد بن عنان وأضرابهما، رحمهم الله ونفعنا بهم.

[أحمد الشيبيني]

وفيها [٩٥٧]: توفي الشيخ، أحمد الشيبيني[1]، المجذوب. كان مجذوباً غارقاً لا يصحو إلاّ وقت الوضوء والصلاة، ولا يصلي صلاة إلا ويؤذن لها برفع الصوت، وإذا دخل مجذوب لا يصلي، يقول: هذا قليل الدين، ما مجذوب على الصحة إلا الذي هو مثلي، لا يعرف إلا الماء والمحراب والأذان. وإذا دخل أحد وفيه ريبةٌ يقول: اخرجوا هذا فإنه ميشوم.. فيظهر الأمر بعد ذلك كما قال، ويخرج بريبة يقع فيها. وكان محبوباً عند الناس، ووقع مرة من المنارة العالية في مدينة (منوف) إلى الأرض فنزل واقفاً ولم يضره، قال الشيخ عبد الوهاب: صحبته نحو عشر سنين، فما أظن كاتب الشمال كتب عليه سيئة، قال: وكان يحبني، ويسافر إلى مصر بقصد زيارتي، وكل من رآه لا يزورني يعتب عليه، وكان له كل سنة جبة وفوطة ونعل وزنط أبيض وشد يبدلهن كل سنة، واستمر على هذا الحال إلى وقت الانتقال، ودفن بناحية (شَبين) من الديار المصرية. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[ابن قطب الدين]

وفيها [٩٥٧]: توفي محيي الدين، محمد بن قطب الدين محمد[2]. اشتغل بالعلم وقرأ على: المولى شيخ مظفر العجمي، والمولى سعدي حلبي القوجوي، والمولى يعقوب بن علي، وابن المؤيد. ثم وُلّي تدريس مدرسة أحمد باشا

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٠٠، الكواكب السائرة ٢/ ١١٩).

(٢) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٧٥، الكواكب السائرة ٢/ ١٥، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٦٦).

ومدرسة المولى محمد بن الحاج حسن بقسطنطينية، ثم وُلّي عدة مدارس ثم وُلّي قضاء (حلب) ثم قضاء (أدرنة) ثم العسكر، ثم عُزل وذهب إلىٰ الحرمين فحج البيت الحرام وزار محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم تقاعد وعُيّن له مائة وخمسون درهماً. وصالحاً[1]، محباً للسادة الصوفية، سالكاً طريقهم، والغالب عليه. .[2] والاشتغال بنفسه عن الناس، فكان يكايدها ويجتنب مكايدها ومكايد الشيطان، وكان حسن المعاملة مع الله تعالىٰ ومع الخلق. واستمر كذلك إلىٰ أن أتته المنية، ودفن بقسطنطينية، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[حسام الدين القراصوي]

وفيها [٩٥٧]: توفي المولى حسام الدين جلبي القراصيوي[3] اشتغل بالعلم ببلده، ثم رحل إلىٰ المولى عبد الرحيم[4] بن علاء الدين علىٰ العربي، ووُلّي عدة مدارس في بلدان كثيرة من تلك الديار ثم ولي قضاء (أدرنة) ثم (قسطنطينية) ثم وُلّي احدى المدارس الثمان وعُيّن له كل يوم مائة درهم، وكان كريم النفس حليماً صبوراً كثير التحمل للأذى من الناس، منصفاً من نفسه، وما آذى أحداً. وانتفع به كثيرون، وكان مشاركاً في كثير من الفنون، وكان حسن الحفظ. واستمر مدرساً في إحدى الثمان، إلىٰ أن انتقل إلىٰ جوار الرحمٰن، رحمه الله تعالىٰ.

[كمال شلبي. .]

وفيها [٩٥٧]: توفي المولى كمال الدين الشهير بكمال شلبي[5]، طلب العلوم في بلده ثم أخذ عن المولى حسام جلبي ولازمه إلىٰ أن صار معيد المدرسة، ثم وُلّي عدة مدارس في البلاد الرومية، ثم وُلّي قضاء (بغداد) واستمر قاضياً بها إلىٰ أن مات، ودفن بمقبرتها. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

---

(١) هكذا. ولعله: وكان عابداً صالحاً.

(٢) كلمة غامضة في الأصل.

(٣) وردت في «شذرات الذهب»: القراصوي.

(٤) في الشذرات: عبد الكريم.

(٥) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ٢٤٤. أورده بلقب: الكمال العجمي).

[مير حسن جلبي]

وفيها [٩٥٧]: توفي المولى مير حسن جلبي بن السيد علي جلبي[1]. أخذ عن المولى كربك حسام وحسن جلبي بن الطباخ والمولى معار زادة والمولى مصطفى بن خليل والمستولى قادري جلبي، ثم وُلّي عدة مدارس في عدة بلدان ثم ولي احدى المدارس الثماني[2]، وكان فاضلاً مشاركاً في كثير من الفنون، عارفاً بأهل زمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً علىٰ شأنه. وانتفع به كثير من الطلبة، وكان لطيف الإشارة، حسن العبارة. واستمر يُدرّس في إحدى الثمان إلىٰ أن آن الأوان، واخترمته المنية، ودفن بقسطنطينية. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أحمد الكرساني]

وفيها [٩٥٧]: توفي المولى شمس الدين أحمد الكرساني المعروف بالأصغر، أخذ عن خير الدين المعلم وغيره، ثم وُلّي تدريس عدة مدارس في تلك البلاد، وعم نفعه سائر العباد. ولمّا بنى السلطان سليم مدرسته بـ (بروسا) جعله مدرساً بها، فهو أول من درّس بها. وكان عالماً عاملاً، فاضلاً كاملاً، يحب العلم وأهله، مكباً علىٰ مطالعة كتبه لا سيما كتب الأدب، وكان ملازماً للطاعات، مواظباً علىٰ الجمعة والجماعات، محافظاً علىٰ الأوراد في سائر الأوقات. واستمر كذلك إلىٰ الممات، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[مهدي الشّيرازي]

وفيها [٩٥٧]: توفي السيد مهدي الشيرازي، الشهير بعكاري[3]. اخذ عن الشيخ غياث الدين منصور بن صدر الدين الحسيني، وبرع في علوم العربية والكلام والمنطق والحكمة، ورحل إلىٰ الروم، وأخذ عن محيي الدين الفناري، وُلّي عدة مدارس بالديار الرومية. وكان له مهارة في علم البلاغة، وله تعليقات علىٰ الكشاف وتفسير البيضاوي وشرح التلخيص وحاشية شرح التجريد. وكان فصيحاً بالعربية،

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٣٧، وذكر له مؤلفات).

(٢) في مدينة القسطنطينية.

(٣) وردت في «معجم المؤلفين» ـ ج ١٣ ص ٢٨: المشهور بعكاري.

وله نظم كثير بالعربية والفارسية، وكان له خط حسن، وكان سريع الكتابة. وانتقل مدرساً بمدينة. . .[1] ودفن بها رحمه الله تعالى.

سنة ثمان وخمسين وتسعمائة

[محمد بن أحمد باعبَّاد]

توفي المعلم محمد بن أحمد باعبَّاد أحد الأولياء العارفين، والمشايخ المرشدين، والرجال المعدودين العُبَّاد والأسخياء الأجواد. صحب جماعة من أكابر عصره، وأخذ عن كثير من فضلاء دهره، منهم: العارف بالله تعالى معروف باجمَّال، وكان يحبه ويثني عليه، وعن الفقيه محمد بن عمر باجمَّال، وقال في حقه: إنه من خواص العارفين، وأهل الذوق في المعرفة.

وأخذ عنه جماعة كثيرون، وتربى على يديه مريدون. وكان كثير التواجد والحركة عند السماع، وله كرامات كثيرة، وكان معتقداً عند الخاص والعام، لا سيما الحكام، مقبول الشفاعة عندهم.

وكان يحب الفقراء والصالحين، ويحسن إليهم. وكان ورعاً زاهداً في الدنيا ورئاستها وما يتعلق بها، ويكتفي بأدنى شيء حصل له منها، وكلمّا دخل عليه شيء منها.. أنفقه على أهله وعياله وفقرائه. رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد السبكي]

وفيها [٩٥٨]: توفي الشيخ شهاب الدين أحمد السبكي[2]، الصالح العابد الناسك أحد الأولياء المعروفين، صحب الشيخ محمد الشناوي وتخرّج به، وأذن له في تربية المريدين. وكان حائكاً ولا يأكل إلا من كسبه من حياكة ونحوها، وما كان يمثل إلا بالسلف الصالح لشدة ورعه وزهده وقناعته وعبادته. وكان كثير العبادة ليلاً ونهاراً، لم يخل لسانه من ذكر الله تعالى. وأقام بـ (مصر) أواخر عمره وصحبه بها كثيرون، قال سيدي عبد الوهاب: صحبته نحو أربعين سنة فما أظن أن كاتب الشمال كتب عليه خطيئة واحدة، ولا ذكر أحداً بسوء كأن الناس عنده كلهم

(١) اسم المدينة غامض في الأصل.

(٢) انظر: (الكواكب السائرة ٢/١١٩).

أولياء، ودفن في تربة الفقراء بجوار الجعبري. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[فتنة بين شريف مكة وأمير الحج]

وفيها [٩٥٨]: وقعت الفتنة العظيمة بين شريف مكة وأمير الحج المصري المسماة عند أهل مكة بـ (الهيسة)[1]، وسببها أن أمير الحج سوّلت له نفسه الهجوم على الشريف أبي نمي[2] بـ (منى) يوم عيد النحر، فخشي الشريف على الحجاج من العربان والحرامية، فذهب إلى مكة فنادى أمير الحج أن أبا نمي معزولاً، فلمّا سمعت العربان سقطوا على الحجاج ونهبوا الأموال، ووقع النهب الفظيع والقتل الشنيع حتى رحل أكثر الحجاج والمكيين ليلة النفر وصبيحته. ونفر من بقي بـ (منى) بزوال يوم النفر الأول.

ثم اشتد الخوف واضطربت الحجاج واختلط أمر العامة وماج، وكادت أن تنهب مكة جميعها: فركب الشريف وقتل في الأعراب وأثخن فيهم القتل والجرح حتى خمدوا، وأراد بعض أكابر الحجاج أن يعودوا إلى (منى) قبل فوات وقت الرمي مع جند من الشريف أبي نمي، فتعذر عليه لتمرد الأعراب وانتشارهم كالجراد.

واستمر أمير الحج على عناده والناس في أمر مريج، وعُطِّلت أكثر مناسك الحج والجمعة والجماعات، ثم رحل من مكة وهو يتوعد الشريف بأن يسعى في عزله وقتله. وشكاه الشريف إلى السلطان سليمان، فأمر السلطان بصلب محمود المذكور، فدافع عنه باشة مصر وشفع فيه، ثم وُلّي اليمن، ولمّا وصل بندر جُدة اعتذر للشريف عما وقع منه فقبل عذره وأمر بمساعدته وأذن له في دخول مكة، فتلقاه السيد حسن بن أبي نمي والقاضي حسين إلى تربة الشيخ محمود.

(١) لعلها: الهيصة.

(٢) محمد أبي نمي. انظر: النور السافر ٢٢٥.

سنة تسع وخمسين وتسعمائة

[حسن القرماني]

توفي المولى حسن القرماني. أصله من بلدة لكسهوى ثم رحل إلى المولى الحميدي ولازمه ثم وُلّي مدرسة بـ (بروسا)، ثم وُلّي قضاء عدة بلدان من بلدان الروم، ثم عمي فعزل وتقاعد وعُيّن له أربعون درهماً كل يوم، وكان مفسراً، عربياً، أصولياً، فقيهاً، ذا ثروة. ومات بقسطنطينية، رحمه الله تعالى.

[ركن خليفة]

وفيها [٩٥٩]: توفي، مصلح الدين مصطفى، الشهير بركن خليفة. طلب العلم في صغره، وقرأ على المولى أحمد باشا بن خضر بيك، ثم مال إلى طريق الصوفية وصحب العارف بالله سنان، وكان له معرفة بالتفسير والوعظ، ملازماً لآداب الشريعة، مراعياً لسننها وفرائضها، قانعاً، إلى أن مات وقد جاوز التسعين. رحمه الله تعالى وإيانا.

[ترميم الكعبة]

وفيها [٩٥٩]: عمر سطح الكعبة، زادها الله شرفاً، وسببه أنه انكسر أخشاب سقفها فعرضوا ذلك إلى الأبواب السلطانية السليمانية، فاستفتى السلطان سليمان أبا السعود أفندي جوازاً وعدم جواز؟ فكتب ما محصله: إن دعت ضرورة إليه، فأرسل السلطان بالجواب إلى صاحب مكة، وعيّن الأموال لعمارة ذلك، فاستحضر الشريف مفتي الشافعية الشيخ أحمد بن حجر ومفتي الحنفية قطب الدين ومفتي المالكية تاج الدين عبد الوهاب بن يعقوب، فأفتوا بنحو ما أفتى به الأفندي أبو السعود، وتعصب جماعة فقالوا: لا يجوز أن يتعرض البيت العتيق بترميم ولا إصلاح، وأن قيام الكعبة هذه المدة مع شدة الرياح والأمطار دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل بقدرة الله عز وجل. ولا يجوز تغيير شيء منها إلا أن طاح، وأمّا سقفها فلا يجوز إصلاحه لأنه حادث.

وقامت فتنة بسبب ذلك، وكان شريف مكة أحمد بن أبي نمي في البر، فأخبروه بذلك، فحضر بنفسه. وكان الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد تاج العارفين بن الشيخ أبي الحسن البكري مجاوراً بمكة، فحضروا جميعاً عند الحكّام

وأشاروا إلى تاج العارفين أن يُلقي درساً يتكلم فيه على قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾[1] الآية، فتكلم على جاري عادته، بلسان فصيح ولفظ منتظم مليح، بهر به الحاضرين وأدهش الناظرين، فلمّا انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي وأعطاها تاج العارفين، فقال: هذا الجواب هو عين الصواب. فسكنت الفتنة.

وأمر الشريف العمال بالشروع في العمل، وكان ذلك بتدبير القاضي تاج الدين، وألّف في ذلك الشيخ ابن حَجَر تأليفاً سمّاه «المناهل العذبة في اصلاح ما وهى من الكعبة»[2] وبيّن فيه ما للعلماء في هذه المسألة، رحمه الله تعالى. وجعل جماعة من الأدباء تاريخاً نظماً ونثراً لذلك، منهم: قطب الدين الذين جعل لذلك خطبةً، وجعل التاريخ (مُجَدِّد سطح بيت الله، مالك الدول سليمان)[3]. ولمّا فرغوا من ذلك جددوا فرش المطاف، وغيره من المسجد، وأصلحوا أبواب المساجد، وأصلحوا باب الكعبة، وزادوا على ما فيه من الفضة، وجددوه. وأرسل السلطان سليمان ميزابا مصفحاً بذهب ووضعوه على الكعبة، وجهزوا الأول إلى السلطان فوضعه في الخزانة السلطانية.

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٢) لم أجده في قائمة كُتب ابن حجر الهيتمي التي أوردها مترجموه، ومنهم: (النور السافر ٢٦٢، البدر الطالع ١/١٠٩، معجم المؤلفين ٢/١٥٢).

(٣) كما أرّخ ذلك الشيخ عبد العزيز الزمزمي في المصراع الأخير من هذا البيت:

وقَدْ أتى تاريخُ ترميمه ... رَمَّمَ بيتَ اللهِ سُلْطَانُنَا

(النور السافر ٢٢٦).

وذكر صاحب «شذرات الذهب» في أخبار السنة التالية لهذه السنة، وهي سنة ٩٦٠هـ أنه وقع عمارة ميزاب الرحمة من البيت الشريف، وقال في ذلك أبو بكر اليتيم المكّي مؤرخاً:

يا أيُّها المولى الجليلُ ومَنْ له ... المجد الأثيلُ الفائقُ المريخا

ميزابُ بيتِ الله جُدِّد فاقتبس ... منا رحمةٌ من ربِّك التاريخا

(شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٨٢).

سنة ستين وتسعمائة

[محمد بن علي خَرِد]

توفي الإمام المحدث، جمال الدين، محمد بن علي علوي[1] المشهور بـ (خَرِد) ـ بخاء معجمة مفتوحة؛ وراء مكسورة، آخره دال مهملة ـ أحد سادات بني علوي المشهورين، الأولياء العلماء العارفين. العالم الفاضل، جامع أنواع الفضائل، وحاوي سني المناقب وشريف الخصائل. إمام المنقول والمعقول في وقته، السالك سبيل الصدر الأول في سيمته وسمته، بَدْر أفق السعادة، نَوْر روض العز والمجادة.

ولد بمدينة (تريم)، ونشأ بسوحها العظيم، وحفظ القرآن العظيم، ومن «الإرشاد» إلى النفقات، والربع الأول من «المنهاج» وغيرها كـ (الجزرية»، و«الملحة»، و«العقيدة الغزالية»، و«الأربعين النووية».

وعرض محفوظاته على شيخه العلامة محمد بن عبد الرحمٰن بلفقيه، وقرأ عليه كتباً كثيرة في فنون متعددة، ولازمه حتى تخرج به، لا سيما في علم الحديث والفقه. قرأ عليه «البخاري» ثلاث مرات، وكذلك «الشفا» قراءة بحث وتحقيق، وأخذ عن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج بافضل، والحسين بن عبد الله العيدروس وأجازه كلٌّ منهم وألبسه خرقة التصوف. ولازم العارف بالله تعالى عبد الرحمٰن بن علي في جميع دروسه وحكَّمه، وألبسه، وأجازه، وأذن له، وقرض له من شعره في أوان تمييزه.

ثم رحل إلى (اليمن) ودخل (بندر عدن) وأخذ عن شمس الشموس، أبي بكر بن عبد الله العيدروس ورحل إلى (زبيد)، وأخذ عن الحافظ عبد الرحمٰن الدَّيْبع، والحافظ يحيى العامري، وأخذ عن علامتها أحمد بن عمر المُزَجَّد. ورحل إلى الحرمين، فحج أولاً بيت الله الحرام، ثم زار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، فأخذ بمكة عن مفتيها الشيخ أحمد بن حَجَر، والشيخ الفاضل عبد العزيز الزمزمي، وأخذ عن الإمام أبي الحسن البكري، وغيرهم من علماء أهل زمانه،

(١) انظر: (تاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٤٢، معجم المؤلفين ١١/٢٩، الاعلام ٦/٢٩٢).

وأولياء أوانه.

وصار عمدة أهل عصره، وقدوة أهل دهره. وأخذ عنه علم الحديث، القديم والحديث، جماعة، منهم: السيد الجليل عبد الله بن محمد صاحب «الشبيكة»، والقاضي الفقيه محمد بن حسن، والفقيه عبد الله بن محمد باقشير، والشيخ شهاب الدين، والفقيه فضل بن عبد الله، وغيرهم.

وصنّف كتباً كثيرة مفيدة في فنون عديدة، منها: كتاب «الوسائل»[1] وهو ـ مع اختصاره ـ من أجمع كتب الفضائل، وكتاب «النفحات»[2]، وهو من الكتب المستجادات، وكتاب «غرر البهاء الضوئي في ذكر العلماء من بني جديد وبصري وعلوي»، وهو بأيدي الناس متداول، وله عدة رسائل.

وكان محتاطاً في جميع أموره، له أخلاق[3] رضية إلٰهية، وصفات[4] مرضية ربانية، كثير النوافل والأذكار، آناء الليل والنهار، يحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة. وكان مواظباً على سيرة السلف من أهل السنة والجماعة، مُقدَّماً في علم الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه، مع أدب يرتفع أن يكون له فيه نظير، وتواضع يرفعه على الثريا وتكون الجوزاء تحت سرير، وورع أرغم به أنف الشيطان، وزهد ألطف من أغصان البان.

وذكر سنده في الحديث وخرقة التصوف والمصافحة والتحكيم في كتاب «الغرر» وذكر فيه ما له من القصائد والمطارحات والمنظومات والمقطوعات. ولم يزل يُدرِّس ويُفتي ويُصنِّف ويُملي إلى أن انتهت أيامه وقُوِّضت خيامه ودنا منه حمامه، ودفن بتربة (تريم) المُسمَّاة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[عقيل العيدروس]

وفيها [٩٦٠]: توفي السيد الجليل، الشيخ عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله العيدروس. أحد الأولياء المشهورين، الجامع بين العلم والدِّين، حصَّل

(١) في الحديث.
(٢) كتاب «النفحات» في التصوف.
(٣) في النسخة ب: أخلاقه رضية.
(٤) في ب: وصفاته.

طرفاً صالحاً من العلم النافع، وكان لفنون المجد جامعْ؛ صاحب جِدٌ واجتهاد، وتودد إلىٰ جميع العباد، له همّة عالية في طلب المعالي، وسهر في طلبها طوال الليالي. وكان حسن الأخلاق، كثير الوفاق، له جبين وضّاح، ويمين منها الكرم يستماح، لٰكن عاجلته المنيّة، قبل بلوغ الأمنية، وانتقل بمدينة (تريم) إلىٰ جنات النعيم، ودفن داخل قُبّة جده العيدروس، أسكنهما الله أعلىٰ الفردوس.

[ابن يعقوب الحسني]

وفيها [٩٦٠]: توفي قاضي القضاة، عبد الوهاب تاج الدين ابن نجم الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب بن يحيى بن عبد الرحمٰن، الشهير بابن يعقوب نسبة إلىٰ جده الأعلىٰ المكي المالكي. واسطة عقد الليالي والأيام، ومرجع العلماء الأعلام، رئيس مكة المشرفة وكبيرها، ومُشيِّد الدولة الحسنية ومشيرها، من له أصل أصيل في الرئاسة وسمو، وبيت كبير له في السعادة نمو، وعرق عريق لفروعه في المكارم رواح وغدو، اشتغل بتحصيل العلوم وتفنن في المنطوق منها والمفهوم، حتىٰ صار رئيس العلماء المالكية، وشيخ الديار الحجازية، ومفتي مذهب الإمام مالك، وأصبح لأزمّة الاتفاق والخلاف مالك، وأخذ عنه جمع من صغير وكبير. وكان من ذوي المعرفة والتجربة والسياسة، والمرجع إذا أعجزت المعضلة، والملاذ إذا دعت المشكلة.

ولد سنة خمس وتسعمائة، وبرع في العلوم والأدب والإنشا، بحيث بلغ عند صاحب مكة أعلىٰ المراتب وأسنىٰ المناصب، ووُلّي قضاء المالكية بمكة ثم عُزل مع جملة القضاة في سنة (٩٤٣هـ) ـ ثلاث وأربعين ـ وعظم شأنه بعد ذلك بمكة، وأذعن له شريف مكة، وصار رئيس مكة علىٰ الإطلاق، مع الحرمة التامة ونفاذ الكلمة وقضاء حوائج الناس، والإحسان إلىٰ الغرباء وغيرهم، ولطف الطبع، وحُسن العشرة والمجادلة. ووُلّي نظر الحرم الشريف، وإمامة الموقف سنة (٩٥٧هـ) ـ سبع وخمسين ـ ووقف بالناس بـ (عرفة)، ولمّا أرسل الشريف نجم الدين أبو نمي ولده أحمد إلىٰ الأبواب السلطانية أرسلهُ معه لكونه كان...[1] مع

(١) كلمة غامضة في الأصل.

أدب وفضل تام وفكر صائب إلىٰ الكمال والتمام. ولم يزل مجمع الفضائل الخاص منها والعام، إلىٰ أن وافاه الحمام، وتوفي بعد العشر من المحرم، ودفن بالمعلاة. تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان. وعمل بعضهم لوفاته تاريخاً بحساب الجُمل، فقال: جنان الخلد مسكنه ومأواه.

[أحمد البلقيني]

وفيها [٩٦٠]: ثاني صفر، توفي العلامة شهاب الدين، أحمد البلقيني، الشافعي. الإمام الجليل الذي لا يكاد العصر أن يسمح له بنظير، شيخ الإسلام وارث علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الفائق علىٰ نظرائه ومشايخه وأقرانه، والقائم بنصرة دين الله وإعلائه.

أخذ العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، عن مشايخ الإسلام العلماء الأعلام، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي، ولازمه ملازمة شديدة، وكان جُلّ انتفاعه منه، وأجازه بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتىٰ، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وانتفع به كثيرون، حتىٰ كانت حلقته أوسع من حلقة شيخه الشهاب لكثرة ما يحضرها من الطلاب. كان حسن التعبير، لطيف التقرير، وجمع الله له بين حسن الحفظ والفهم والعمل والعلم، وأخذ طريق القوم عن سيدي الشيخ علي المرصفي، ثم عن تلميذه نور الدين الشوني شيخ مجلس الصلاة علىٰ النبي ﷺ في الجامع الأزهر، وأحبه غاية المحبة، واستخلفه في مجلسه في حياته وبعد مماته، وقال: ما قد منه إلا بإشارة من النبي ﷺ.

واشتهر صيته بمصر والحجاز والشام، واعتقد علمه وصلاحه الخاص والعام، وبلغ من الزهد والورع غاية التمام. وكان له خلق حسن نفيس، وحلم لا يستقيم معه الأحنف بن قيس، إلىٰ ثبت جنان، وفصاحة لسان. وإذا رأى أحداً منهم مركوباً يقول للراكب: أنزل عنه.. فينزل في الحال. وكان رضي الله عنه يرى النبي ﷺ يقظةً كثيراً، ويحادثه ويسأله عن أحوال أمته. وله كرامات كثيرة، وأحوال شهيرة. قال سيدي عبد الوهاب: وقع لي مرة معارضة من أصحاب النوبة من العجم فأتاني يزورني هو ونور الدين الشوني وأبو العباس الحريثي وشهاب الدين القائي وجماعة، فلمّا أرادوا الانصراف قال شهاب الدين الدنشيطي: كيف تذهبون

وأنتم مشايخ مصر والرجل بمرضه؟ ما حملتم عنه شيئاً! فصار كل واحد يقول لصاحبه أحمل أنت عنه، فقال شهاب الدين مدوني: وأنا أحمل عنه.. ثم وضع رأسه في طوقه بمقدار درجة فخلصت من المرض كأن لم يكن بي مرض، وطلبت الأكل وشيّعتهم إلىٰ خارج الدار، وكان لي تسعة أيام لا آكل ولا أنام. ودفن صاحب الترجمة قريباً من تربة السلطان قايتباي، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[سليمان الخضيري]

وفيها [٩٦٠]: توفي الشيخ سليمان الخضيري[١]. أحد من جمع العلم والحلم والصلاح، وسلك مسلك طريق النجاح. كان علىٰ قدم عجيب في التزهّد، ووصف غريب في التعبّد، سمع الحديث من الجلال السيوطي، وأخذ الفقه عن الطبلاوي وغيره، وتصوف علىٰ المرحومي ولازمه حتىٰ تخرّج، وأذن له في التربية. وأخذ عنه خلق كثير، وانتفع به الناس كثيراً، وكان الشيخ محمد بن عنان ـ مع علو مقامه ـ يعظمه ويزوره. وله مكاشفات كثيرة، وكرامات غزيرة، وعمر نحو مائة وعشرين سنة. رضي الله عنه ونفعنا به.

[شمس الدين البِرْمَاوي]

وفيها [٩٦٠]: في شوال، توفي العلامة شمس الدين بركات البرماوي. صاحب الكمالات العلمية والعملية، وجامع الافضالات الوهبية والكسبية، صاحب الكرامات الساطعة والمكاشفات البارعة. أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والشيخ الجليل كمال الدين الطويل وغيرهما، وأجيز بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتىٰ، وأخذ عنه جماعة كثيرون، وتخرج به علماء عارفون. وصنّف عدّة مصنفات، في فنها مفيدات، منها: شرح البخاري. وكان عاملاً بعلمه، حافظاً لسانه وقلمه.

وكان يحب الانعزال، ويكره القيل والقال، وكان كثير الاحتمال، وبنفسه قليل الاحتفال، واستمر علىٰ حاله إلىٰ أن آن أوان نقلته، ودُفن بزاويته. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين.

---

(١) انظر: (الكواكب السائرة ٢/ ١٤٩) ـ وفيه: وكان موجوداً في سنة إحدى وستين وتسعمائة).

[أبو بكر الجبر]

وفيها [٩٦٠]: في شوال، توفي الشيخ الكبير، أبو بكر الجبر. في جمال أصحاب التحقيق، وكمال أرباب التدقيق، ذو الطوية السنية، والأخلاق الرضية. أخذ عن جماعة من علماء عصره وفضائل دهره، منهم: الشيخ شهاب الدين، وأجازه بالإفتاء والتدريس، فدرّس وأفتىٰ، وأخذ عنه خلق كثير، وصحبه جم غفير. وكان ورعاً تقياً، زاهداً في الدنيا ومناصبها، قانعاً بالكفاف، لابساً ثوب العفاف. له خلق حسن، ووصف مستحسن. وكان لطيف الإشارة، حسن العبادة. واستمر علىٰ حاله إلىٰ أن دنت حالة نقلته. ودفن بزاويته. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[أبو القاسم القصري]

وفيها [٩٦٠]: توفي الشيخ أبو القاسم القصري، المغربي. أحد الأولياء المعتقدين، والفضلاء الصالحين، اشتغل بتحصيل العلم، وصحب[١] المشايخ، حتىٰ تخرج بهم، وانتفع به جماعة كثيرون، وصحبه خلائق لا يحصون، وكان يجاهد في قتال الكفار، وله مكاشفات وخوارق، وعادات. وكان ذا سمت حسن، وخلق رضي، وكرم عظيم، علىٰ خلاف أخلاق المغاربة، ولمّا قال له تلميذه العارف بالله عبد الوهاب الشعراوي: أخلاقكم غريبة في المغاربة، فقال وهو متبسم: أخلاقنا صورية لا حقيقة لها، فإن الغالب علينا الماء والطين.

ولمّا دخل مصر دخل ومعه خمسمائة فقير، فلم يسعهم جامع، فأقاموا في خزانة الأحمدية[٢]، وكان يقول: لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، فإنه هو الذي حرّكهُ عليك ليختبر دعوات في الصدق، قال: وقد غلط في ذلك خلق كثير، فاشتغلوا بمقاتلة من آذاهم فدام الأذىٰ بينهم مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلىٰ الله تعالىٰ لردهم عنهم وكفاهم شرّهم. وكان يقول: إياك أن تترك قيام الليل، وإن عجزت عن القيام، صلِّ قاعداً، وإن عجزت فصلِّ مضطجعاً، ولا

---

(١) وردت: وصحبه.

(٢) ذات الكلام هنا، سبق أن أورده المؤلف، ولكن عند حديثه عن

تفوت موكباً من المواكب فإن لله تعالىٰ كل ليلة صدقة يفرقها علىٰ قلوب المستيقظين، وشارك الناس في همومهم بقلبك. وتوفي بمدينة فاس، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

سنة إحدى وستين وتسعمائة

[محمد بن أبي بكر الشِّلِّي]

توفي السيد الجليل جمال الدين. محمد بن أبي بكر عبد الله الشِّلِّي باعلوي.
الشيخ الإمام، أحد العلماء الأعلام، العالم المحقق، والنحرير المدقق، ذو الفضائل والفواضل، تذكرة العلماء والأولياء الأفاضل، عين الأعيان، وإنسان عين الزمان. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ القرآن العظيم، والجزرية، والعقيدة الغزالية، والأربعين النووية، وبعض المنهاج. واشتغل بتحصيل العلوم في هزله وجِدِّه، وأخذ عن والده وجَدِّه، وجدَّ في الاشتغال، وسهر الليالي الطوال. وأخذ عن[1] إمام الحديث محمد بن علي المعلم؛ وأخيه السيد الشريف القاضي أحمد شريف، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن بلحاج وولده أحمد الشهير. ورحل إلىٰ (عدن)، فأخذ عن شيخها محمد بن أحمد بافضل وصاحبه عبد الله بن أحمد بامخرمة. وأظله حج حجة الإسلام، وأخذ بمكة عن فضلاء أعلام. ثم عاد إلىٰ بلده (تريم)، بعلم كثير جسيم، ولازم قاضي القضاة أحمد شريف، فقرأ عليه جميع مقروآته، وشاركه في كثير من مشايخه. وكان يحبه ويثني عليه، وأجازه في الإقراء والتدريس، فدرَّس في أنفس نفيس، وأخذ عنه جماعة كثيرون، ولزم الجد في الطاعات، وشمر الذيل في العبادات.

وكان كثير التلاوة للقرآن والذكر، ملازماً للصمت، كثير الزيارة لقبور الأولياء والصالحين، محباً للفقراء والمساكين، ملازماً للاعتكاف، قانعاً بالكفاف، زاهداً في الدنيا الفانية، راغباً في الآخرة الباقية. ولم يزل علىٰ هذه الحالات إلىٰ أن وافاه وقت الممات، وانتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ لخمس خلون من محرم الحرام، ودفن بمقبرة (زنبل) رحمه الله عز وجل.

(١) في «أ»: وأخذ عنه.

[أحمد أبي نُمي]

وفيها [٩٦١]: توفي الشريف أحمد بن أبي نمي[1]، نشأ في كنف والده، وشاركه في إمارة الحجاز بأمر السلطان سليمان لمّا أرسله والده إليه ـ كما مر ـ واستمر كذلك إلىٰ أن توفي في البر، وحُمل إلىٰ مكة ودفن بالمعلاة، وبني عليه قبة.

[السلطان محمود شاه]

وفيها [٩٦١]: استشهد عبد العزيز أبو القاسم الشهير بآصف خان بن محمد حميد الملك بن ركن الدين بن جلال الدين ابن تاج بن تكودر بن شاهر. ذكر أن أصله من ملوك السند، وأنه قرشي من بني مخزوم. مولده سنة (٩٠٨هـ) ـ ثمان وتسعمائة ـ وأخذ عن القاضي برهان الدين الأحمد أبدي، والسيد أبي الفضل الكازروني. وجده شاهر أحد أولاد جام ندا لسلطان السند، ثم انتقل تاج الدين إلىٰ (بندوه)، ولمّا وقع الاختلال فيها قدم ركن الدين إلىٰ (كجرات) زمن السلطان محمود، واستمر إلىٰ أن أعطي عبد العزيز الوزارة العظمى، وخوطب بآصف خان، ثم لمّا وقع الاختلاف في (كجرات) أرسله السلطان مع حريمه وما يعز عليه إلىٰ (مكة) خوفاً من استيلاء المغول، فوصلها سنة اثنتين وأربعين، ولمّا وصل خبر شهادة السلطان بهادر توجه إلى الأبواب السلطانية السليمانية، فأكرم ورتب له مائتي عثماني يومية ومائة أردب كل عام، ورجع إلىٰ مكة، وصاهر بها قاضي قضاتها التاج المالكي، ثم استشهد هو والسلطان محمود ثاني عشر ربيع أول. رحمهم الله تعالىٰ.

(١) انظر: (النور السافر ٢٢٧، شذرات الذهب ٨/٣٨٦).

سنة اثنتين وستين وتسعمائة

[بيري خليفة الحميدي]

توفي الشيخ بيري خليفة الحميدي. صوفي شهير، قدره كبير، وبدره في سماء المجد منير، وزهادته موفورة ورئاسته مشهورة، ومقاصده صالحة، وفضائله راجحة. وُلد بقرية (أماسية)، ونشأ بها، ولحظته عناية ربها فأخذ عن علمائها، وصحب أكابر فضلائها. ثم ارتحل إلىٰ (مصر) المحروسة، فأخذ عن جماعة كثيرين وأولياء مشهورين، وأقام بها عدة سنين، ثم عاد إلىٰ الروم، وأخذ عن جماعة من الصوفية، منهم: السيد البخاري علم التصوف والرياضة، وانتفع بهم في السلوك، وجدّ واجتهد، وأُجيز بالإرشاد والتربية، ثم انقطع ببدنه عن الخلق، وتوجه بظاهره وباطنه إلىٰ الحق.

وكان دائم الاستغراق، متوجهاً إلىٰ حضرة الخلاق. وله كرامات كثيرة، منها: أنه قدم عليه رجل وأتاه بجوز هندي هدية فلم يقبلها، فتكدر المهدي من ردها فقال له: ألست وهبت الشجرة التي منها هذا الجوز لزوجتك بدلاً عن مهرها؟ قال: نعم، فقال: فكيف تتصرف فيما لم تملك.

[الشيخ العريان]

وفيها [٩٦٢]: توفي العارف بالله تعالىٰ، تاج الدين، المعروف بالشيخ الأصغر العريان. صاحب المقامات والعرفان، والحريص علىٰ رضى الرحمٰن، كان رحمه الله تعالىٰ، متبتلاً إلىٰ الله تعالىٰ منقطعاً عن غيره، وانعزل بموضع قريب من (القسطنطينية)، ملازماً للجمعة والجمعات، مواظباً علىٰ أنواع العبادات، كثير الأذكار بالليل والنهار، وله كرامات:

منها: أنه أطعم جماعة من أصحابه كثيراً من الفواكه في غير أوانها.

ومنها: أنه سُرق من مسجده بساط جديد، فلم يلتفت إلىٰ ذلك فألح عليه أصحابه في إظهاره، فقال: هو مدفون تحت الشجرة الفلانية التي في محل كذا.. فوجده كذلك، فشكوا صاحب الشجرة وجاؤا به إلىٰ الشيخ، فقال: إنما أخذه واحد من النصارى في القرية الفلانية، فجاؤا به فاعترف واستغفر الرجل واعتذر، وقال: إنما أخذته امتحاناً للشيخ وأنا الآن: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن

محمداً رسول الله. ففرحوا بإسلامه.

ومنها: أنه كان يخرج لهم ما ينفقه من تحت سجادته، فإذا قام.. كشفوا عن سجادته فلم يجدوا شيئاً، فعرفوا أنه يستتر بذلك. وكان من الورع والتقوى في الغاية القصوى، وكان حسن الخلق رضياً محبوباً، واستمر إلىٰ أن انقضت مدة الحياة، وانتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ.

سنة ثلاث وستين وتسعمائة

[ابن عِرَاق]

توفي الشيخ علي بن محمد بن عراق[1] الشيخ العالم العامل، الفاضل الكامل. أخذ عن والده وهو صغير، ثم أخذ عن أخيه القاضي عبد النافع ولازمه، وأخذ عن غيره من علماء عصره. وجدّ في الاشتغال حتّىٰ نال ما نال، ولكن عاجلته المنية قبل الاكتهال، وانتقل بـ (طيبة) المنورة، ودفن بـ (البقيع)، رحمه الله تعالىٰ.

[سلطان المغرب]

وفيها [٩٦٣]: توفي سلطان الغرب، الشريف، محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن[2]. أصله من بلاد (اذار)، وكان والده مجاهداً ونشأ محمد هذا وأخوه أحمد في بلاد (فاس)، فطلبا العلم إلىٰ سنة خمس وعشرين وتسعمائة، فركبا مع والدهما لقتال النصارى، فظفرهم الله تعالىٰ وغنموا أموالاً كثيرة، ورجعوا إلىٰ (اذار) جمعوا خمساً وعشرين فرساً، وجاهدوا فظفروا وملكوا بعض حصون النصارى وأول ما ملكوا بلاد (سوس)، ثم (مراكش) حتّىٰ وصلوا مغرب الشمس، فتوفي والدهما سنة سبع وعشرين تقريباً، فاختلف ولداه فركب محمد وهو الأكبر في ثلاثين ألفاً، وركب أحمد في سبعين ألفاً، فغلب محمد وظفر بأخيه أحمد

(١) انظر: (الأعلام ٥/ ١٢، الشقائق النعمانية٧/ ٢١٨، شذرات الذهب ٨/ ٣٩٧، الكواكب السائرة ٢/ ١٩٧، دُر الحبب في أعيان حلب ١/ ٢/ ١٠٠٤).

(٢) انظر: (الأعلام ٧/ ٥٨. وعرّفه بالشيخ المهدي السَّعْدي، قال: هو ثالث سلاطين الدولة السعدية بالسوس ومراكش. وأورد وفاته سنة ٩٦٤هـ).

فلاطفه، وعاهده أن لا يحاربه، وحلّفه على البخاري ومسلم لعظم الكتابين عندهم، فأطلقه فجمع جموعاً، وأخلف وحاربه ثانياً، فظفر محمد وهرب أحمد.

وعظم أمر محمد حتى بلغ عسكره مائتي ألف فارس، وحدثته نفسه بأخذ مصر، وكان فاضلاً فقيهاً له يد طولى في علم الفقه والقراءات، وله مشاركة في باقي العلوم، وله نظم حسن. وأحمد - أخوه - فاضل أيضاً يليه في الفضل، قُتلا في يوم واحد غدراً لأروام المستنجد ممن عند مولاي محمد به، وكان أحمد مقيداً في سجنه، فقتله حفيد محمد وهو محمد بن عبد القادر لئلا يصير المُلك إليه، فقام بالأمر بعده مولاي عبد الله بن محمد، وأقام بمراكش، وله فضيلة تامة في فنون.

[إبراهيم بن ظهيرة]

وفيها [٩٦٣]: توفي القاضي، برهان الدين، إبراهيم بن أحمد بن أبي السعود بن ظهيرة. أحد الأعيان المشهورين، والأئمة المذكورين، والأصل العريق، والأرومة الشامخة غصنها الوريق.

[محمد التبريزي]

وفيها [٩٦٣]: توفي الشيخ محيي الدين، محمد بن عبد الأول التبريزي[١]. ذو الفضل التامي، والقدر السامي، رفيع القدر، سليم الصدر، عابد عامل، سحاب فضله هاطل. اشتغل على والده قاضي الحنفية بمدينة (تبريز)، ورأى العلامة الدواني وهو صغير، وكان يحكي عنه ما لم يحك عن غيره من الهيبة والجلال والعظمة والجمال والسكينة والوقار، وكانت العلماء تجلس عنده وكأن على رؤوسهم الطير، ثم رحل صاحب الترجمة إلى الديار الرومية في حياة والده، وأخذ عن المولى بن المؤيد وعرضه على السلطان بايزيد لسابقة بينه وبين والده، فأعطاه مدرسته، ثم اختار منصب القضاء فوُلّي قضاء عدة بلدان، ولمّا تولّى السلطان سليمان ولاه عدة مدارس، ثم قضاء (حلب) ثم (دمشق)، ثم (القسطنطينية) ثم

(١) انظر: (شذرات الذهب ٨/ ٣٩٨، الكواكب السائرة ٢/ ٣٩، در الحبب في أعيان حلب ٢/ ١/ ٢٢١).

عُزل وتقاعد، وعُيّن له مائة درهم، وكان عارفاً بالعلوم العربية والأدبية، له معرفة تامة بصناعة الإنشاء بلسان العرب والفرس والترك وعلم البديع، وكان كريماً متواضعاً، لبيباً أريباً، ذو وقار وسكينة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد بن عبد القادر الرومي]

وفيها [٩٦٣]: وفيها توفي المولى محيي الدين، محمد بن عبد القادر[١]، المشتهر بالمعلول. أخذ عن محيي الدين الفناري، والمولى ابن كمال باشا، والمولى حسام جلبي، والمولى نور الدين، وتفنن في علوم كثيرة، وأجيز بالإجازة العامة، وانتفع به جماعة كثيرون في عدة فنون، ووُلّي عدة مدارس ووُلّي قضاء مصر مرتين، ثم قضاء العسكر، ثم حصل له خلل في رجله فعزل وتقاعد، وعُيّن له مائة وخمسون درهماً، وكان ذا ثروة كثيرة، وبنى داراً لتعليم القرآن في قرية حرملة[٢] وداراً للقراء بالقسطنطينية، ودفن عندها. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الرحيم العبّاسي]

وفيها [٩٦٣]: توفي السيد، عبد الرحيم العباسي[٣]. مجمع الفضائل ومرجع أعيان الأفاضل. وُلد بمصر القاهرة، واشتغل بطلب العلم بها، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الديار الرومية مع رسول الغوري إلى السلطان بايزيد، وأهدى له شرح البخاري، فأعطاه في مقابله مالاً جزيلاً، وولاه مدرسته بقسطنطينية، فلم يقبل ورجع إلى مصر، ولمّا انقضت دولة الجراكسة رحل إلى القسطنطينية، واستوطنها وعُيّن له كل يوم خمسون درهماً بطريق التقاعد، وكان عالماً بالعلوم الأدبية من التواريخ والمحاضرات والأنساب والنظم والإنشاء، وله نظم بليغ وإنشاء حسن وخط مليح، ومن نظمه قوله:

(١) انظر: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ٣٩٩، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٨٩، الكواكب السائرة ٢/ ٤).

(٢) وردت في الشذرات: قومه.

(٣) انظر: (معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٥، شذرات الذهب ٨/ ٣٩٥، الكواكب السائرة ٢/ ١٦١، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٢٤٦، كشف الظنون). وقد ورد في جميعها باسم: عبد الرحيم بن أحمد السيد الشريف العباسي الشافعي القاهري ثم الإسلامبولي.

مالي أرى أحبابنا في الناس   صاروا كمثل حبابنا في الكأس
صورٌ تروقك عند أول نظرة   كاللؤلؤ المتنافس الأجناس
فإذا أعدت الطرف فيهم لم تجد   شيئاً وصار رجاؤهم كالياس

ومنه:

أرعشني الدهر أي رعش   وكنت ذا قوة[1] وذا بطش
قد كنت أمسي ولست أعشى[2]   فصرت أعشى ولست أمشي

ونظمه كثير، وبين أصحابه شهير. وله شرح على البخاري مختصر مفيد، وشرح شواهد التلخيص سمّاه معاهد التنصيص، واستدرك على الشراح في كثير من المواضع. وكان ذا بشاشة، وفم بسّام، ووجه بين الحلال والحرام قسّام. لطيف المحاورة، عجيب النادرة، متواضعاً، أديباً لبيباً، يوقّر الكبير ويرحم الصغير، سخي النفس. وترجمه الشهاب[3] في «الريحانة»، فقال: أنا وإن لم أره فهو لقرب عهده.. سمعت خبره. حسيب، طرّز كُمّ المجد، وأعار رقة شمائله، نسمات نجد أنجيته، أم الفضل، كريم المجد، سعيد، وأبى إلا أن يكون على الفضائل مأموناً ورشيداً، وله رايات فضل عليه، تعممت الأقلام سواد أنفاسها القدسية، طفح سكراً بشمولها فم الكأس، وابتسم في فرحاً بها كل زمان عباس:

وإذا أردت مديح قوم لم تمن   في مدحهم وامدح بني العباس

فنبهُ.. ناهيك به من نسب، وغروسها، رفه[4]، إذا رآها الروض نادى عليه أصبح الورد عجب، ابن عم النبي، واللابس الفخرين من نوره ومن برهانه. ولمّا ارتحل للروم ـ وبها بقية من الأعيان ـ أجله علماؤها لمّا رأوه من نوادر الزمان، وكان المولى عبد الباقي عيّب لطفه، وظرفاً يرشح منه رشحان ظرفه، فإنه ممن قدم من بر، الشمال شماله، وارتفعت اخلاف المزن مع طفل النور خلاله، يقطر من

(١) في الشذرات: والدهر ذو قوة.
(٢) في الشذرات: ولست أعيا.
(٣) الشهاب أحمد بن محمد الخَفَاجي المصري؛ صاحب كتاب «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» ـ انظر: (معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٣٨).
(٤) كلمة غامضة في الأصل.

ماء البراعة ويتميز بمآثره أغصان اليراعة.

وله تآليف وآثار، سطورها تتبج إذا رأتها نبجت الأنام، وكبرت به عجباً ألسنة الخواص والعوام، إذا قدم معناها برز لاشتعاله طلائع الأفهام، وتسجد الأبصار لروائه، وتخضع الرقاب لزهره، وحسن بهائه. ومما رويناه من شعره قوله:

من يبغ بالفضل معاشا يمت   جوعاً ولو كان بديع الزمان
تبغي الحجاز ثم تروم الغنى   يا قلّما تجتمع الفرقان

وقوله:

ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب   وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب
وما أراه بصحن الخد ورد ربا   أم وجنة بدم العشاق تختضب
وفي لحاظك سيف يستطال به   على القلوب أم المسنونة القضب

وقوله:

إذا ما كنت في قومٍ غريبا   فعاملهم بفعلٍ يستطاب
ولا تحزن إذا فاهوا بفحشٍ   غريب الدار تنبحهُ الكلاب

وفي هذا إشارة لمّا جرت به العادة، من نبح الكلاب على من لا تعرفه، وكذلك أيضاً تنبح على الفقراء، وفي «أس الحكمة» للزندوسي: الكلب ينبح على الفقير دون الغني لأنه من جنسه، ولأنه يرجو منه المواساة بخلاف الفقير، ولذا قال الشاعر:

حتى الكلاب إذا رأت ذا بزةٍ   ذلّت لديه وحرّكت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً عارياً   نبحت عليه وكشرت أنيابها[1]

وقوله:

أرى الدهر يكرم جهاله   وأعظم قدراً به الجاهلُ

(١) القصيدة للشاعر العبّاس بن الأحنف. قال فيها:

يغدو الفقير وكل شيء ضده   والأرض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتاً وليس بمذنب   ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا بزة   أصغت إليه وحرّكت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً جائزاً   نبحت عليه وكشرت أنيابها

وانظر حظي به ناقصٌ ... أيحسبني أنني فاضلْ

فلمّا سمعه رضي الدين العربي أجاب بقوله:

أعبد الرحيم سليل العُلىٰ ... ويا فاضلاً دونه الفاضلْ

أتعتب دهراً غدىٰ موقناً ... بأنك في أهله الفاضلْ

سنة أربع وستين وتسعمائة

[محمد بن عمر باجمّال]

في جمادى آخرة، توفي الفقيه، محمد بن عمر باجمال[1] أحد فحول الرجال، المعدودين من أهل الكمال، الشيخ الكبير، العالم النحرير، ذو القلب المستنير. كان مولده يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة (٩٠٥هـ) - خمس وتسعمائة، ونشأ في صغره في العبادة، وظهرت عليه لوائح السعادة. واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وأخذ عن والده وغيره من العلماء حتىٰ برع في الفقه، ثم أقبل علىٰ العبادات، وتفرغ للرياضات والمجاهدات. وصحب العارف بالله تعالىٰ معروف باجمال، ولازمه حتىٰ تخرج به، وأمره بالخلوة أربعين يوماً، ثم تابع الأربعينيات وأنفق جميع أمواله علىٰ الفقراء والمساكين.

وكان يصوم الدهر، وطوى أربعين يوماً بلياليها[2] لم يأكل ولم يشرب، ولازم شيخه الشيخ معروف في حضره وسفره، ولا يخرج عن نهيه وأمره. وانتفع به جماعة من الطالبين[3]، وكان حسن التقرير، متين التحرير، قوي الفهم، كثير العلم. وله مصنفات كثيرة النفع، ورسائل في الفَرْق والجَمْع، فمن مصنفاته: كتاب «مقال الناصحين ومثال المفلحين»[4]، وكتاب «الكفاية الوفية في إيضاح بعض كلمات الصوفية»، وكتاب «أوضح الحجج والمسالك في طريق المريد السالك»،

(١) ورد في كتاب «خلاصة الخبر»: الفقيه محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن إبراهيم باجمّال. ومن المصادر التي ترجمته له: (تاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٥٢، معجم المؤلفين ١١/٨٦، مصادر الفكر الإسلامي ٣١٩).

(٢) «بلياليها»: زيادة في النسخة ب.

(٣) في ب: جماعة من المريدين، وكثير من الطالبين.

(٤) خ ١٣٢٣ بمكتبة شبام بحضرموت.

و«حقائق السنة وطرائق الجنة»، و«عيون العلوم النبوية الجامعة وفنون الفهوم في الوصايا النافعة»، و«منحة الطالب المتصوف ونخبة الراغب المتعرف»، و«سبيل العبادة ودليل السعادة»، و«كنز المتسبب التقي المتورّع وحرز المكتسب التقي المتقنع»[1]، و«سير العمل وتقصير الأجل»، و«مراد المريدين»، و«هداية العازم المتيمم إلىٰ آداب العالم والمتعلم»، و«الحصون الأكيدة والقوانين السديدة للمملكة السعيدة»، و«العقد المنظوم من جواهر كلام القوم». وله نظم حسن، في كل فن مستحسن، وله في شيخه معروف عدة قصائد، منها قوله:

أيا زمن السوء القبيح مع الغوىٰ ... لقد حارت الألباب فيك مع المُهج

فما فترةٌ تمضي وَإلا وإثرها ... صنوف من الأكدار يتبعهم خمج

فلا عالمٌ بالحق علمَ حقيقةٍ ... فيشرحُ به صدراً من الشك والحرج

فلبَّس أقوامٌ علىٰ الناس وادَّعَوْا ... وليس لهم علم سوىٰ القول والحجج

بواطنهم تحكي خلاف مقالهم ... ظواهرهم بيض من الزيّ والبهج

ظواهرهم دنيا بواطنهم عمىٰ ... وأقوالهم تحكي اللداد مع اللجج

لقد طال سقم الدين بالجهل يا فتىٰ ... فلا الحق موجودٌ ولا مَن به لَهَجْ

غدا الدِّين منبوذاً طريحاً فما ترىٰ ... سوىٰ كلب دنياه ما له غيرها مَخْج

فحاذر علىٰ دينك منهم فإنهم ... لصوص طريق الحق يغرون للسذج

لقد ذقت منهم يا زمان مرارة ... ولكنَّكَ ابشر قد أتىٰ الله بالفرج

ويطلع شمس الدين بعد غروبها ... ويصبح ليل الجهل عنا قد انفرج

ويضحىٰ سبيل الدِّين بالبشر ضاحكاً ... فيسطع فيه نور الحق بالنصر والبَهَج

لقد دق ناقوس[2] البشارة بالهدىٰ ... وإرجاع مجد الدين وإصلاح ذي العوج[3]

بإشراق شمس الدين شيخ أولي النهىٰ ... له غنت الأقمار كلاًّ من السرج[4]

(١) خ جامع غرية ٣٦٧ مجاميع.

(٢) في أ: لقد صاح ناقوس.

(٣) في أ: يريدوا مقاماً علىٰ المنع والدرج.

(٤) في ب: ومَن قد سما في المُكْرَمات قُرىٰ الدُّرج.

وذلك قطب الحق[1] تاج أولي العلا ... هو الشيخ معروف بلا جهلٍ أو خلج
وَهُوَ ابن عبد الله أبو محمد ... جمال ليوث الدين بالحق قد نسج
وأجلىٰ قلوب الخلق بالنور والهدىٰ ... وأقبَلَ إليه الكل من كل وادٍ وفج
وهُمْ جميع الخلق حيًّا وميتاً ... لنفع أنام الذين من بعد ما عرج
فيا سالكاً طرْق المحبة والهدىٰ ... ردوا لتظفروا مما لديه من الحجج
فكم من مريد نال وانثال ما نوى ... وكم سالكٍ في حضرة القرب قد ولج
لوامعه تبدو من أفق شيخه ... هو الشيخ إبراهيم يسليك من حرج
مكين له التمكين في العلم والتقىٰ ... أن أحمد والذين مِن ذاك في بلج
علىٰ أحمَدَ صلىٰ الله ما لاح بارق ... وآلهُ وصحبهُ ضِعفَ ما دبَّ أو درج

ونَظْمُهُ كثير، وذكر في بعض مؤلفاته بعض مقطوعاته، وانتهت إليه رئاسة العلم في بلده، بل لم يكن فيها مَن يوازيه من أهل عصره، ولا مَن يدانيه من أهل دهره، وغلب عليه في آخر عمره الشوق إلىٰ لقاء الله تعالىٰ، فكان يقول: لو خيرت بين الحياة إلىٰ غد وحال الشيخ عبد القادر أو أموت الساعة علىٰ حالي.. لاخترت الموت الساعة.

ولم يزل علىٰ نفع الأنام، الخاص منهم والعام، إلىٰ أن دنا منه الحمام، وانتقل في مدينة شبام[2]، وقبره في مقبرتها معروف. شرقي قبة شيخه الشيخ معروف رحمهما الله تعالىٰ، ونفعنا بهما.

[أحمد محمد باجمّال]

وفيها [٩٦٤]: توفي الشيخ، أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله باجمّال، الفقيه الكامل، العالم العامل، اشتغل بالعلوم الشرعية، والفنون الأدبية. ثم صحب العارف بالله تعالىٰ معروف باجمّال، ولازمه ملازمة تامة، وامتثل[3] بأوامره الخاصة والعامة. وكان يبادر لخدمته، وامتثال إشارته، وكانت

(١) في ب: قطب الوقت.
(٢) في خلاصة الخبر، وكذا في تاريخ الشعراء الحضرميين: إن وفاته في بلدة بضه، وقُبر بتربتها طرمون، شرقي قبة الشيخ معروف.
(٣) في أ: والتزم أوامره.

وظيفته سقاية الفقراء بالليل والنهار، والحضر والأسفار، ولم يمنعه ذلك عن مباشرة الفتوى والأحكام، وإرشاد العوام، وقد يقع له ذلك وهو حامل للماء في الطريق، أو يسوق الدابة التي يستقي عليها، وكان له خلق ألطف من النسيم، وأخلاق أشهىٰ من العافية للبدن السقيم. وانتفع به جماعة كثيرون، وكان شيخه يحبه ويثني عليه، ويشير بالولاية إليه. واستمر علىٰ هذه الحالات، إلىٰ وقت الممات، وقُبر في مقبرة شبام. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد بن معروف باجمّال]

وفيها [٩٦٤]: توفي الشيخ، محمد بن العارف بالله تعالىٰ معروف باجمّال. اشتغل بتحصيل العلوم، وسلك طريق القوم، وصحب والده، وأخذ عنه، واشتغل بعبادة الله، وخشي الله واتقاه، فحقق الله له مرغوبه، وأنجز له مطلوبه. وكان له كلام نفيس في طريق القوم، يدل علىٰ علو مرتبته، وسمو همته. وكان يتكلم علىٰ الخواطر، ويخبر بأمور غيبية، فتكون كما قال. وله كرامات كثيرة ظاهرة، وأنواره لائحة باهرة. وانتقل بمدينة (شبام) وشيعه خلق كثير من الأنام. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[حسين بن إلياس]

وفيها [٩٦٤]: توفي الشيخ الإمام، حسام الدين، حسين بن إلياس[1]، العجمي، الشافعي. أحد العلماء المشهورين، والفقهاء المذكورين. وُلد بمدينة (تبريز)، وأخذ عن جماعة بها، من أجلّهم، بل هو أجلّهم العلامة جلال الدين الدواني، والشيخ غياث الدين منصور بن صدر الدين الحسيني، قال صاحب الترجمة: اجتمع هذان الشيخان عند سلطان العجم فطلب غياث الدين المباحثة مع الجلال الدواني، فقال السلطان للجلال: يريد غياث الدين أن يبحث معك، فقال الجلال: تبحث مع بعض الأصحاب، ونحن نتشرف باستماع كلامهم. ولم يتنزل إلىٰ المباحثة معه، ثم رحل صاحب الترجمة إلىٰ الديار الرومية في زمن السلطان بايزيد وقرأ علىٰ مظفر الدين الشيرازي وعلىٰ الشيخ يعقوب بن علي، شرح الشريعة

(١) أورده صاحب «معجم المؤلفين» بلقب: حسين النقاش.

وغيره، ثم رحل مع المولى إدريس إلى الحجاز، وجاور بـ (مكة) المشرفة عدة سنين ثم رحل إلى (قسطنطينية)، ووُلّي بعض مدارسها، واستمر إلى أن مات بها. وانتفع به جمع كثير في العلوم الشرعية الثلاثة، وله شرح مفيد على البردة، ورسالة في الآداب في غاية الحسن واللطافة، وكان عالماً بعلم التواريخ، وله محاضرات. رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة خمس وستين وتسعمائة

[عبد الحميد السمهودي]

توفي العلامة عبد الحميد السمهودي. كان عالماً عاملاً صالحاً كاملاً، قرأ العلوم على الشيخ برهان الدين بن أبي شريف، ونور الدين المحلي، وكمال الدين الطويل، والملا على العجمي، وعبد الحق السنباطي، وأجازوه بالفتوى والتدريس، فدرَّس نحو خمسين سنة، وانتفع به خلق كثير، قال سيدي عبد الوهاب: صحبته نحو خمس وأربعين سنة ما رأيت عليه شيئاً يشينه في دينه، وكان كريم النفس متودداً إلى الناس، آمراً بالمعروف، لا يخاف في الله لومة لائم، مواظباً على السنن الشرعية والآداب النبوية، وكان وجهه قطعة شمس لمّا هو عليه من الأخلاق الحسنة.

[بكر خليفة السماوي]

وفيها [٩٦٥]: توفي الشيخ، بكر خليفة السماوي. صوفي علت رتبته، وجلت في المعارف خطبه، وظهر صلاحه، وأضاء مصباحه. اشتغل بالفقه أولاً ثم أقبل على التصوف ثانياً، فأخذ عن الحاج خليفة، وحصّل له ـ على يده ـ من المقامات السنية والكرامات العلية ما لا يوصف، وجلس مكان شيخه بعد موته للإرشاد والنفع المتعدي فانتفع به جَمْع[1] كثير، وكان ورعاً عابداً مواظباً على السنن في السر والعلن، ثم انقطع عن الخلق وأقبل على الحق وأعرض عن الدنيا وأسبابها، وأقبل على الآخرة وأعمالها. واستمر كذلك إلى أن انقضت الأيام، ودنا منه الحمام، وانتقل إلى حرمة الملك العلام.

(١) وردت: جميع كثير.

[محمد بن حسام الدين]

وفيها [٩٦٥]: توفي محيي الدين، محمد بن حسام الدين. أحد العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، كان أبوه من موالي الوزير الأعظم محمد باشا، وإنّما قبل اشتغل حسام الدين بطلب العلم، وترك طريقة العساكر، وجدّ في الطلب حتى صار أهلاً للقضاء، فوُلّي قضاء عدة بلدان، ونشأ ولده محمد في حجره وربّاه أحسن تربية، وقرأ على علماء عصره، منهم: الشيخ مصطفى بن خليل، وحسام الدين، وابن كمال باشا، وغيرهم. وأجيز بالتدريس، ووُلّي تدريس (بروسا) وغيرها من البلاد، ثم وُلّي قضاء عدة بلدان من الديار الرومية، وكان له إطلاع عظيم في علم الكلام والمنطق، ومهارة في الفقه والتواريخ والمحاضرات، وله نظم حسن. وكان أديباً أريباً[1]، راغباً في طلب الآخرة، واستمر قاضياً بقسطنطينية إلى أن وافته المنية. رحمه الله تعالى وإيانا.

[الشهاب أحمد بن شمس الدين]

وفيها [٩٦٥]: توفي الشهاب، أحمد بن شمس الدين البولي. العالم الكبير الشهير. وُلد بمدينة (بولي)، وأخذ بها عن عبد القادر قاضي عسكر (أناطولي)، ثم صار مدرساً ببعض المدارس، ثم وُلّي تدريس مدرسة داود باشا، ثم وُلّي قضاء (دمشق) المحروسة، ثم عزل وتقاعد وتجرد للعبادة والتدريس، وانتفع به كثيرون، وكان فاضلاً كاملاً يحب الفقراء والمساكين، ويحسن على الضعفاء والمنقطعين. أديباً لبيباً أريباً، رحمه الله تعالى وإيانا.

[حمزة الكرمياني]

وفيها [٩٦٥]: توفي نور الدين حمزة الكرمياني. أحد العلماء، ونخبة الفضلاء. اجتهد أولاً في العلوم الشرعية، ثم أخذ عن الأئمة الصوفية، وصحب الشيخ سنان الدين الشهير بسنبل ثم الشيخ محمد بن بهاء الدين، ولازمه مدة مديدة، ولقي عنده قبولاً تاماً، وكان خيِّراً عاقلاً كاملاً ورعاً تقياً يحب العلم وأهله، ويكرم الفقراء والمساكين، وأقام آخر عمره بقسطنطينية إلى أن أتته المنية.

(١) «أريباً». زيادة في هامش الأصل.

رحمه الله وإيانا.

[الإمام شرف الدين]

وفيها [٩٦٥]: توفي إمام الزيدية، السيد يحيى شرف الدين بن أحمد المهدي - مصنف «البحر الزخار» في مذهب الزيدية، وكتاب «الأحكام» في أصولهم - ابن يحيى المرتضى بن المفضل بن المنصور بن الحجاج ابن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن المنصور بن يحيى بن الناصر بن أحمد بن يحيى بن الهادي بن يحيى بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن البتول فاطمة ابنة الرسول ﷺ وعليهم أجمعين[1]. وُلد صاحب الترجمة سنة (٨٧٧هـ) - سبع وسبعين وثمانمائة - وقرأ على الشيخ إبراهيم بن محمد، وجمال الدين علي بن أحمد، وأخذ عن جده أحمد صاحب «البحر»، وجدَّ في الاشتغال، وجمع بين الأيام والليال، حتى نال ما نال. ثم أعلن الاجتهاد المطلق المستقل لظنه أن شروطه اجتمعت فيه، وادعى الإمامة، ولقَّب نفسه المتوكل على الله، وذلك سنة (٩٢٢هـ) - اثنتين وعشرين - ومعه طوائف الزيدية من أهل الجبال، وأظهر شعارهم لكنه لم يتعرض لأهل السنة بل كان يتودَّد إليهم ويترضى عن الصحابة ما عدا معاوية رضي الله عنه، ولم يتمكن

(١) ثمة تداخل يسير في تدريج اسمه. والصحيح - كما أورده المؤرخ زبارة في «نيل الحسنيين» - كالتالي: المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل الكبير بن الحجاج بن عبد الله بن علي بن يحيى بن القسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن أحمد الناصر بن الهادي يحيى بن الحسين بن القسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

وكانت وفاته في ظفير حجّة.

ومن بين أهم مصادر ترجمته: هجر العلم ٣/ ١٣٢٠؛ أعلام المؤلفين الزيدية ١١٣٤، البدر الطالع ١/ ٢٧٨، روح الروح، سيرة المتوكل يحيى شرف الدين تأليف العلامة الحسن بن محمد الزريقي، المواهب السنية من أغصان الشجرة المتوكلية تأليف الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين، الكتابين الأخيرين عندي منهما صورة للأصول، كان تصويرهما من مكتبة العلامة الكبير عبد القادر بن عبد الله، ومكتبة السيد محمد بن حسين شرف الدين).

لقوة سلطان عامر بن عبد الوهاب، فلمّا انقضت دولة بني طاهر استولى على صنعاء، وأخرج من فيها من الجند المصري بالأمان.

وفي سنة (٩٤٠هـ) - أربعين - أرسل ولديه مطهراً وشمس الدين علي بجيش يزيد على عشرين ألف مقاتل لأخذ (زبيد)، واستمال مشايخ العرب بالمال، فمنهم من إليه مال، ومن وقف عن القتال، وحصل بينهم قتال، فانهزم الزيديون.

وفي سنة (٩٥٢هـ) - اثنتين وخمسين - جعل وليّ عهده ولده علي، وقدَّمه على جميع أولاده حتى على مطهر مع أنه أكبرهم وأشجعهم وأمكرهم؛ لنقصان خلقه بالعرج واتصافه بالجهل والعوج، وهو ينافي الإمامة في مذهبهم كل ذي عاهة وجاهل بالأمور الدينية؛ فنابذ مطهر أباه لذلك، وعقَّه، وزعم أنه ظلمه حقه، وأرسل إلى أُوَيْس باشا[1] يطمعه في أخذ الجبال ويعده بالمساعدة بالحال والمال، فبرز من (زبيد)، وأخذ (تعز) ثم هجمت عسكر أويس عليه وقتلوه، وأقاموا أزدمر باشا عليهم، وحضروا صنعاء وفيها السيد مطهر وكان والده جعله أمير العسكر والمتكلم على الحروب؛ فتركها لهم وتحصَّن في قلعة (ثلا) - وهي قلعة حصينة ذات أبنية مكينة، تنقطع السحاب دون علوها، وإذا وقع النسر الواقع في دروبها طار النسر الطائر في جوها - فرام أزدمر أخذ هذه القلعة، وقطْع جادرة مطهر منها وقلعه، فما تم له هذا المرام. فأرسل إلى الأبواب يطلب جيشاً يستعين عليه به، فأرسل السلطان جيشاً عليهم مصطفى النشّار[2]، واجتمعوا على مطهر وضيّقوا عليه، وتحقق القتل أو الأسر، فقدَّر الله المنافسة بين مصطفى النشار وأزدمر باشا، ففرح مطهر بهذا الشقاق، وتنفس بعد أن ضاق الخناق، وأرسل إلى مصطفى النشار يعده بمال عظيم، وطلب منه الصلح على وجه واضح وسيم. وقد أشرف أزدمُر على أخذ (ثلا) وما بقي إلا افتتاحها عَجِلاً، فعاندة النشّار وكَفَّ عن القتال، وأرسل إلى مطهر بالأمان، على أنه يطيع السلطان. وعقد لمطهر لواء سلطانياً، وطلع بنفسه إلى (ثلا)، واجتمع بمطهر وألبسه الخلعة السلطانية؛ ولم يجد أزدمر باشا بداً من موافقته؛ وعرض عرضاً أثبت فيه طلعته وإذعانه، ونفى عنه خروجه

(١) أُوَيْس باشا. من ولاة الأتراك - انظر: (الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن ١٤٧).
(٢) انظر عنه المصدر السابق.

وعصيانه. فجاءه من السلطان خطاب شريف، وكتاب منيف، صورة ما كتبه السلطان سليمان إلىٰ مطهر ـ والظاهر أنه بعد البسلمة: هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني، إلىٰ الأمير الكبير الهامي الطهيري الحسني النسيبي، فرع الشجرة الزكية، طراز العصابة العلوية، نسل السلالة الهاشمية، السيد الشريف مطهر بن شريف الدين[1] نخصه بسلام أتم، وثناء أعم، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لأعتابنا، وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطاننا، وبمقتضى ذلك كان حصل شكرنا التام، على من صحبنا ورضانا الشريف العام، علىٰ حُسن خدمته. ولمّا برزت أوامرنا الشريفة بتعيين وزيرنا الأعظم إلىٰ البلاد الهندية، لافتتاح ممالكها من أيدي ظلمة الرعية، إحياء لسنة الجهاد، وقطع دائرة الكفر وأهل الفساد، واستسرّ بذلك كل مسلم، وصار فرحاً مسروراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فرجع وزيرنا المشار إليه فوجد طائفة من اللوند المنيد يتصرفون في قطر زبيد، وزاد ظلمهم علىٰ الرعيّة وأهل البلاد، وعمّ ضررهم علىٰ كل باد وناد، وسعوا في الأرض بالفساد، فاستنقذ الرعايا من أيديهم، وأوجف بخيله ورجله عليهم، وأضاف تلك الممالك إلىٰ ممالكنا المعمورة، وأدخلها في سلك أمصارنا الواسعة الموفورة، وعاد إلىٰ أعتابنا الشريفة ومعه منكم ومن والدكم مكاتيب تتضمن الطاعة لسلطاننا، والإخلاص في اتباع مرضاتنا. وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات، والتبكر بإظهار الطاعة وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة، ثم بلغنا عنكما إظهار الخلاف، وركوب جادة مادة البغي والإعتساف، وصار يقع بينكما وبين أمرائنا الخلف الكبير، ووقائع يعم ضررها المأمور والأمير، وهذا عين الخطأ الذي يترتب عليه رواح الأرواح، ويؤول إلىٰ الخسران بعد النجح والفلاح، ولا يخفى علىٰ من عقل وفهم، أن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم، وأن مقامنا الشريف السلطاني قد ملك ـ بعون الله ولطفه الصمداني ـ بساط بسيط الأرض شرقاً وغرباً، وضبط الأقاليم السبعة بعداً وقرباً، وصار سلطاننا القاهر كالإبريز المُصفّى وخلاصة العسجد المُستصفّى، ورسم سجل سعادتنا بآيات العز والنصر، وعقد لنا لواء السلطنة علىٰ كافة أهل العصر،

(١) هكذا.

وأدام الله فخرنا علىٰ سائر الملوك بإقامة فرض الجهاد في سبيل الله إلىٰ يوم العرض، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وعساكرنا المنصورة حيث ما سلكت.. ملكت، فأينما حلّت.. عقدت وفكت وسكت، لا يعجزهم صغير ولا كبير، ولا يهمهم جليل ولا حقير، ولا يعجزهم دثار، ولا تبعد عليهم ديار. فإن أشرنا.. أمرنا، أن يتوجه من عساكرنا شرذمة قليلون ـ نحو مائة ألف أو يزيدون ـ بكمال الاستعداد من الآلة والزاد، وتتبع العساكر بالعساكر والجيوش بالجيوش الكواسر، يكون أولهم بالبلاد اليمنية وآخرهم بمملكتنا المصرية المحمية السّنية ولا يحتاج أن نعرفكم قوة سلطاننا، وشديد عزمنا، وتشديد أركاننا، فإن أكابر الملوك ذوي التيجان، وأهل القوة والإمكان خاضعون له، وأمناء الشريعة ـ قهراً ـ مطأطئون رؤوسهم في أعتابنا، جبراً وقسراً وذلك ظاهر لكل أحد، معلوم مشهور بين الناس، غير مكتوم. لكن غلب جانب حلمنا عليكم، وعطفتنا مراحمنا[2] بالالتفات إليكم، لأنكم من سلالة خير البشر، ومن آل بيت النبوة الميامين الغرر، فلزم علىٰ ناموس سلطاننا العلية، ووجب علىٰ ذمم هممنا السنّة أن نعرفكم بعقبى الأمور قبل اتساع الخرق، وانتشار الحال. ونعلمكم بما يؤول إليه الحال، في الاستقبال بحسب المآل، وأن الجبل الذي تحصّن به ورعكم، أنه ينجّيه، فهو محض الخيال، وعين المحال. فإن تدميره في تدبيره، جَهل أو عَلِم، إذ لا عاصم اليوم من أمر الله، إلا من رحم. أين المعز.. ولا معز لهارب إلا من ظلال البيض والأرماح، وقد برزت أوامرنا الشريفة السلطانية، بتعيين أمير الأمراء الكرام، صاحب العز والاحتشام، المختص بمزيد عناية الملك العلاّم، مصطفى باشا، دامت معاليه، باشاة علىٰ العساكر المنصورة، وصحبته ثلاثة آلاف من المشاة الرماة، المُجهزين معه بحراً، وألف فرس تجهّز بين يديه ويسير معه من الأمراء الكرام، المزوّدين بمزيد عناية الملك العلاّم، أزْدَمر باشا، دامت معاليه، بالجيوش اليمنية والجنود النوبتجية. فعند وصول عساكرنا المنصورة إلىٰ تلك الديار، وتوجههم إلىٰ حط المحطات، وترتيب الحصارات، سعيت بنفسك إلىٰ مصطفى باشا، وقابلته بقلب منشرح وصدر منفسح، ودخلت تحت طاعتنا المعظمة، وأحكامنا المكرّمة، وكنت مع عساكرنا المنصورة، وأمير جنودنا المبرورة، خليفتنا في أمرنا، كلامه من كلامنا، وحُكمه من حكمنا. فلك الأمان وتكون من الفائزين، وتتلو مراحمنا عليك، لا تخف ولا تحزن.. إنك من الآمنين،

(١) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) هكذا.

ونُنعم عليك عواطفنا بما تستحق من الممالك، غير مُعارض في ذلك، ولا مُنازع فيما هنالك. وإن تكبّرت واستأنفت وجهك وما عرفت، أتيناك بجنود لا قِبل لك بها، وأخرجناك من حصنك نيلاً، وأخذناك أخذاً وبيلاً، ودخلت في قول أصدق القائلين ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وصرت بعد الوجود إلى العدم، وندمت حيث لا ينفع الندم، وقد حذرناك حنواً وتعطّفنا عليك، وإحساناً إليك، وخاطبناك في هذا الباب بألطف خطاب. فاختر لنفسك ما تراه، ومثلك لا يدل على صواب، وعلامتنا الشريفة ـ أعلاه ـ حُجّة لاعتماد مضمونه وفحواه، حُرر ذلك في دار الإسلام قسطنطينية الكبرى في عاشر شوال سنة سبع وخمسين وتسعمائة.

وصورة ما كتبه الإمام مطهر بن شرف الدين جواباً عن المقال المذكور: نوّر الله شموس الإسلام وأطلعها، وفجّر عين معين الشريعة النبوية، وأنبعها، وفتح أكمام ثمار السعادة الأبدية، وأينعها، ولألأ كواكب الدين الحنيفي وأسطعها، وأعلى مراتب منار الملّة الحنيفية البيضاء، ورفعها، وكسر براجم قرون الشرك والبغي وقمعها، وزلزل جموع الظلم والعدول وزعزعها، وأرعد قلوب الجبابرة المردة وأفزعها، وألّف بين قلوب المسلمين والمؤمنين، وجمّعها، بدوام دولة مولانا السلطان العظيم، ذي الملك الباهر القاهر الحكيم، القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار أثيم، الهادي بأوامره ونواهيه إلى الصراط المستقيم، المتسم بحماية آل الرسول وأبناء فاطمة البتول، وسلالة النبي الكريم، الباسط عليهم ظلال عدله فلا يناطهم حر الجحيم، الذي أوتي الحكمة، ومن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً، والله يؤتي من يشاء من فضله العظيم. شمس سماء الخلافة، وقمرها المضيء في الليل البهيم، ظل الله في أرضه، القائم بإحياء سنته وفرضه، ودينه القويم. حجة الله الواضحة، ودلالته الناصحة للخلق على التعميم. أمين الله على خلقه، وخليفته القائم بحقه، بتقدير العزيز العليم فهم راتعون في رياض أمانه، وكارعون من حياض أمتنانه، التي لا يشرب صفوها صروف الدهر السليم. سامي الفخار، وزاكي الأصل والثمار، الفائز بحوز قصبات السبق في الحسب الصميم، الكافي لأكف من تجافى عن الهداية، وسلك مسالك الغواية، وكان له في الجهالة تصميم. الذي لا

(١) سورة الحشر، الآية ٢.

تُحصىٰ صفاته بتعداد.. ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد، وأسأل بذلك كل خبير عليم الختكار الكريم، والسلطان الأعظم الشهير، سليمان بن سليم. وتهدي إلى جنابه الشريف تجائب ركائب التحية والتسليم، من الله الكريم، ورحمته الطيبة، وبركاته الصيبة، الموصولة بنعيم دار النعيم، حرس الله جنابه العالي، وحرمه المحترم، من صروف الأيام والليال، بما حفظ به الآيات والذكر الحكيم. وبعد، فإنه ورد إلينا من تلقائه، أطال الله تعالىٰ للإسلام والمسلمين في بقائه، مرسوم سطعت بالمبشرات أنواره، وطلعت للمسرات شموسه وأقماره، وتضاحكت في عرصات المجد كمائمه وأزهاره، وجرت في جداول رياض السعد أنهاره، وزخرفت بما تقرّ به العيون، ويصلح به الأحوال والشؤون، بحاره، وتحاسد على شرفه ليل الزمان ونهاره، فوجدناه أشفى من الدرياق، وأبهى من الاثمد في دعج الأحداق. يتبلّج بالمبرات تبلّج البرق، ويتجلب بالخيرات تجلّب الودق، يفوق اللؤلؤ الثمين منثوراً، ويفضح شقائق النعمان زهوراً، ويجعل ممدود الثناء عليه مقصوراً، فتعطّرت الأندية بنشره، وأعلنت الألسن بحمده وشكره، وهبّت في البوادي والأمصار نسيم ذكره، ودخلت الناس أفواجاً تحت نهيه وأمره:

حبّذا مدرجٌ كريمٌ جليل ... زانه منشيءٌ كريمٌ جليل
لفظه الدر في السموّ، وفحوا ... ه ومعناه سلسٌ سلسبيل
وإذا المدرجات كانت ملوكاً ... فهو فيها وبينها إكليلُ
مدرجٌ فيه للعقول غدوّ ... ورواحٌ ومسرحٌ ومقيل

فلله أنامل قد رصّعتهُ بجواهر البلاغة، وضمّنتهُ ما يعجز عنه قُدَامة وابن المراغة[1]، لو رآه الملك الضليل لطأطأ رأسه خاضعاً، أو لُبَيْد البليغ لخرّ ساجداً وراكعاً. وعرفنا ما ذكره سلطان الأمم، ومالك رقاب العرب والعجم، المختص بحماية الحرم المحترم، من الإحاطة بطاعتنا لجلاله، ودخولنا تحت لواء أقواله وأفعاله، فالحمد لله الذي وفّقنا لطاعته، وذادنا عن السلوك في مسالك مخالفته، وإن لنا بذلك.. الحظ الأسنىٰ، والنصيب الأوفر الأهنىٰ، من الخيرات والحُسنىٰ. ونرجو ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ نيل الشرف الكامل، والمآرب، وبلوغ المُنىٰ

(١) يشير إلى (قُدامة بن جعفر): كاتب من البلغاء الفصحاء من أهل بغداد. توفي سنة ٩٤٨.

والمطالب، ومَن استمسك بعروتكم الوثقى.. فاز بمطالبه، وحاز الغاية القصوى، من مآربه، وكان في أمنٍ مِنْ حوادث الدهر ونوائبه، تخضع له رقاب البرية، وترفع له الدرجات السامية العلية، ويتم له كل سؤال ومأمول وأمنية، ويحظى بعيشة هنية، راضية مرضية، لا يخاف دركاً ولا يخشى من قضية. وهذه طريقة ـ لنا ـ معروفةٌ، وسُنَّةٌ قديمة مألوفة، لا تميل من الوفاء، ولا تكدر من ذلك المشرب ما صفا. وكيف بطاعتكم، من طاعة الملك الخالق، ومعصيتكم تظلّم منها المغارب والمشارق. ونحن من مودتكم على يقين، ونرجو أنكم لا تصغون أُذناً، إلى قول الفاسقين، ولا تُهْمِلون رعاية الصالحين والمتّقين، ولا تقطعون حقاً، لذرية النبي الأمين، وأبناء علي الأنزع البطين، كرّم الله وجهه في عِلّيين، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، ذلك نص الكتاب المبين. وأنتم إلى رعاية ما أمر الله به أن يُرعى، والحق من أوتى ما يقرّ به غيره عيناً وسَمْعًا، فَلَكُم.. لَكُم من محامد مذكورة، ومفاخر مشهورة، ومعاني حميدة منشورة، نؤمل أن تشقّو بحسامها يرافيخ الوشاة، وتقطعوا طرق الواصلين بالأكاذيب والمشاة، وتردّوا كيد كل كائد لا يراقب الله تعالى ولا يخشاه والذي نقله إليكم أرباب الزور وذو الإفك من الناس والفجور، مِنْ تحوّلنا عن طاعة السلطان الأعظم، ومخالفتنا لمّا سبق من مودتنا وتقدّم، كذب يعلمه الداني والقاص، ومن المين الذي لنا قلة أشد الاختصاص، وحاشى الله.. وكلاً أن نرضى مخالفةً، أو نميل عن الأحوال السالفة، أو ننكر تلك المعارف العارفة. نعوذ بالله من الحور بعد نكور أو تكون، ممّن تعدى الحد، والطور. أو نتقاعد عن طاعتكم، وهي التي يجب السعي إليها على الفور، فنكون كمن اشترى الضلالة بالهدى، وتجوّز عن موافقة السلامة إلى مخاوف الردى. وآل الرسول ﷺ أعرف الناس بالصواب، وأدراهم بمعاني السنة والكتاب، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، «أطيعوا الله وأطيعوا السلطان» لحديث. فكل من نسب إلينا خلاف ما ذكرناه فهو مائن خبيث، فثقوا منّا بالمودة الراسخة أطنابها، والمحبة الشامخة قبابها، والرعاية المفتحة أبوابها. والذي أشرتم إليه في ساقة الكتاب وبطاقة الخطاب، من مخالفتنا لعساكركم المنصورة وكتائبكم الواسعة الموفور..ة ليس له صحة

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

ولا ثبات، ولا كان منا إلى حربهم تعدٍ ولا التفات، بل قصدونا إلى هذه الأقطار والجهات، وجلبوا علينا أتراكاً وأروراماً، وهتكوا عهوداً بيننا وبينهم، وذِماماً. وما رعوا لأوامركم الشريفة ـ فينا ـ أحكاماً، وضيّقوا علينا مضايقة المعيشة خلفاً وأماماً، ورمونا بمدافع لا يُرمىٰ بها إلا الذين يعبدون أوثاناً وأصناماً. ولم يعلموا أنّا ممن أوجب الله لهم رعايةً واحتراماً، ومن الذين ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[1]، فدافعنا عن نفوسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع، وذدنا عن محارمنا، وتَرْكُ الرد لا يُستطاع، ونحن في مهاجر يسير، ومكان يأوى إليه الضعيف البائس الفقير، لا يناقش من اعتصم به، واقتصر فيه على طاعة ربه. ولو أن عساكركم ـ المنصورة الألوية المسلمة من صروف الأقضية ـ وجّهوا هممهم العلية، وعزائمهم الصلبية القوية، إلى الجهات الكفرية لنالوا من الخير نيلاً عظيماً، وسلكوا إلى السعادة صراطاً مُستقيماً، وأصلوا أفئدة الكفار ناراً وجحيماً، وأدركوا من فضل الله جنة ونعيماً. بَيْد أنهم.. تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب، وفوّتوا ـ بذلك ـ كل غرض مطلوب، وأهملوا جهاد الكفار حتى سقطت الحرب، وهبّت في ديار الإسلام...[2] للشراء وجنوب. وحين وصل المرسوم المشرف والمقال الكريم والخطاب الفخيم، طبنا به نفوساً، وسكّنا به ـ من الأمن ـ محلاً مأنوساً، وخمدت نار الحرب، وغُلّت أيدي الطعن والضرب، وقرمنا بكل ما قررتموه لنا كل قلب، فإن امتثل مَنْ حولنا من الأمراء الأكابر.. ما صدر منكم من النواهي والأوامر، وثبتوا ما ذكرتم من الموارد والمصادر، فذلك البغية المقصودة. وقابلوا نواهيكم اللازمة بالإضاعة، فحسبهم عذابكم الوبيل، وما تعدّونه لمن خالفكم من التنكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكنا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة، والأعتاب الفخيمة الزنيفة، رسولاً يُنهي إليكم حقائق الأمور، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة ـ من عين المقدور ـ ما تكِنّ القلوب منا والصدور، إلا أن هؤلاء الذين يلوتا سدّواً علينا، وقطعوا من التواصل أوصالاً، وقعدوا لرسلنا كل مقعد، بكرةً وأصالاً، وصدوهم عن الوصول إلى أبوابكم العالية عن الأبواب، ومنعوهم عن مناهج الذهاب والإياب. فلولا كان منهم ما يزيد، لكان صدر إلى أبوابكم الشريفة منّا كل حين من مزيد. وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى، إلى الجهات اليمنية والديار التي هي بسيوف قهركم محمية، بَسَط عدله في أهل اليمن، وأخمد نيران الفتن، وأصلح الأمور ما ظهر منها وما بطن، وأطّلع على الحقائق، وهو يُعرّفكم عن حالنا السابق، وما

(١) سورة الفُرقان، الآية ٦.
(٢) كلمة غامضة.

نحن عليه من حسن المساعي والطرائق، وكرم الأصول الشريفة والمعارق، وقد أرسل قُصّاداً بالظاهر منها والمستور ـ وأحل الله سبحانه وتعالىٰ بهي قدومه إلىٰ (صنعاء)، ويُحيي به ديناً للإله، وشرعاً، ويقطع به دابر من خالفكم وخالف أمركم قَطْعاً. ولعمري أنه لرجل عظيم، وذو شأن فخيم، فقد فاقت شمائله، وراقت أوصافه، ومخائله. فهو بكل خير يجود، ويتحمّل من طاعتكم ما يشق علىٰ غيره، ويؤود. فالله تعالىٰ يجعل سعيه شكوراً، ويشرح بأعماله من الأمة قلوباً وصدوراً، ويدفع بعنايته عن الإيمان والإسلام شروراً، ويملأ الأفئدة والنفوس حُبوراً، إن شاء الله تعالىٰ، وسروراً. جرىٰ ذلك في شهر الله الأصب رجب المرجب سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

سنة ست وستين وتسعمائة

[زين خَرِد]

توفي السيد الشريف، زين[1] بن علي بن علوي خَرِد. أحد الصالحين الورعين صحب جماعة من أكابر العارفين وانتفع بصحبتهم في الدِّين، وغلب عليه الاجتهاد في العبادات، وأنواع الطاعات. وأخذ عن أخويه السيدين الجليلين القاضي أحمد شريف، والمحدث محمد المعلم. وكان يحب الفقراء ويجالسهم، ويحنو علىٰ الضعفاء ويؤانسهم. وكان حسن الأخلاق، يحب الوفاق، ويتحرّى طريق الاتفاق، مواظباً علىٰ الجمعة والجماعات، ومتعرضاً للنفحات، ملازماً للسنن في السر والعلن. واستمر علىٰ هٰذه الحالات، إلىٰ أن قرب منه الممات، ودفن بمقبرة (زنبل). رحمه الله عز وجل.

سنة سبع وستين وتسعمائة

[عبد الله بن عبد الرحمن السقاف]

توفي السيد الشريف عبد الله بن عبد الرحمٰن بن شيخ بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف. الجامع بين الخلال الجليلة، والأوصاف الحسنة الجزيلة، اشتغل بالعلوم، وشارك في عدة فنون، واجتهد في حسن الأعمال، وسهر فيها الليال. وكان متواضعاً جداً، لم يحتقر أحداً، ولم يتكلم بكلمة سوء أبداً، متقشفاً في جميع أموره، قانعاً بالقليل في وروده وصدوره، ومن ثَمّ اشتهر بـ (الضُعَيِّف)

(١) ورد في الأصل: زيد ـ تصحيف من الناسخ.

تصغير ضعيف، هضماً لنفسه ومقامه المنيف. وصحب جماعة من أكابر عصره، وعلماء دهره، منهم: جده شيخ الشهير، والشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وشيخه معروف باجمال. وكان ورعاً، لا يأكل ولا يلبس إلا ما تحقق حله، زاهداً في الدنيا، قانعاً منها باليسير، ولا يجالس إلا الفقير، ويفر من الولاة، ويتقي الله ويخشاه. وله كرامات وخوارق عادات، ولكن لا يُظهرها إلا عند الضرورات. ولم يزل علىٰ هذه الحالات، إلىٰ أن آن وقت الممات.

[أبو بكر بن سراج الدين باجمّال]

وفيها [٩٦٧]: توفي الشيخ، أبو بكر بن سراج الدين باجمّال. أحد عباد الله الصالحين، وأكابر الورعين المدققين، والعُبّاد الزاهدين. تفقّه في الدِّين، وصحب إمام العارفين، الشيخ معروف باجمّال، ولازمه في جميع الأحوال، حتىٰ نال ما نال، وبلغ أعلىٰ المقامات والأحوال. وكان مؤثراً للخمول، مقتدياً بسنّة الرسول ﷺ. وكان الشيخ معروف يحبه ويثني عليه.

ولمّا دنت منه الوفاة، وطال شوقهُ إلىٰ حضرة مولاة.. تكلم بكلام جسيم، ووعظ الحاضرين بوعظ عظيم. وذكر أن شيخهُ معروف أطلعهُ علىٰ مقامه في الآخرة، وكشف له عن أمور باطنة وظاهرة، وأنه أطلعه علىٰ علوم غيبية لا يُعبّر عنها، ثم قال: دخل عليَّ الشيخ معروف هذه الساعة، ومعه الشيخ الخطيب ومحمد بن شعيب وغيرهما من أصحابه، ومعه ملك الموت، وأمره بقبض روحي برفق، فأنتم أسرعوا في تجهيزي، فإنهم منتظرون جنازتي، وخرجت روحه وهو يذكر الله تعالىٰ، فكتب أخوه عبد الرحمٰن للشيخ معروف يخبره بوفاة أبي بكر وبما قاله عند موته، فلمّا وصل الشيخ.. قال ـ قبل أن يراه ـ: قد حضرناه وتوليناه. ورأىٰ بعض الصالحين في نومه بعض الأولياء، فسأله عن صاحب الترجمة، فقال: دخل الجنة بغير حساب. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[مصطفى نشّار]

وفيها [٩٦٧]: توفي أمير اليمن، المصطفى باشا الشهير بالنشار[1]، وهو

(١) هو من ولاة الأتراك علىٰ اليمن. تولّى سنة ٩٦٢هـ بعد عزل أَزْدَمُر باشا. وقد تولّى =

الذي أحدث لحجاج اليمن مَحْملاً مثل المَحْمِل المصري والشامي، ورتّب لهم أمير الحج وقاضي المَحْمِل، وعرضةً مثل عَرْضَة المحملين، فيبرز السيد الشريف ـ صاحب مكة ـ لملاقاة أمير الحج اليماني بعسكره إلى خارج مكة عند (بركة ماجن)، ويلبس الخلعة السلطانية من يد أمير الحج ويدخل معه ويتقارنان عند المرور على دار السعادة، ويتوجه أمير الحج بالمحمل إلى المعلاة فينزل عن يمين النازل من المعلاة في سفح الجبل عند البستان، وتقف المحامل الثلاثة تحت جبل الرحمة، المحمل المصري ثم اليماني ثم الشامي، وكانوا قبل ذلك: يأتي بقافلة اليمن شيخ من بني مرزوق. المشايخ المشهورين، واستمر مدة حياة الأمير وبعد موته، ثم انقطع سنة ست وثلاثين وألف لاستيلاء الزيدية على اليمن. ومن مآثر مصطفى النشار مدارس ومساجد بـ (زبيد)[1] وغيرها.

سنة ثمان وستين وتسعمائة

[عبد الله بن ياسين باحميد]

توفي الشيخ العارف بالله: عبد الله بن ياسين باحميد. أحد عباد الله الصالحين، والأولياء المُعتقَدين، الزهاد الورعين. صحب جماعة من أكابر العارفين، وتفقه في الدِّين، ولزم عبادة الله تعالى، وأحكم أمور آخرته ودنياه، وأطاع الله ورسوله وأتقاه. وصحبه خلق كثير، وانتفع به جم غفير. وكان ملجأً للفقراء والمساكين، وملاذاً للوافدين، مبسوط اليدين، مُكرِماً للضيفان، عوناً للغريق الولهان. وكان السلطان فمَن دونه يعتقدونه، ويمتثلون أوامره، ويقبلون شفاعته. واستمر على هذا المقام: إلى أن سقاه الموت كأس الحمام، وانتقل إلى دار السلام؛ وحضر جنازته السلطان مع جنوده؛ ودفن في مقبرة بلدة (مدودة) وقبره بها معروف ظاهر، وعليه نور باهر.

= حكم اليمن بعد الباشا مصطفى الوالي محمود باشا ـ انظر: (المقتطف من تاريخ اليمن ١٤٨، البرق اليماني في الفتح العثماني ٥١٢، روح الروح، درر نحور الحور العين).

(١) له مدرستان: أحدهما في زبيد، والأخرى في صنعاء. انظر عنهما كتاب القاضي إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٣٩٤، ٣٩٦.

[عمر، وأبو بكر باذيب]

وفيها [٩٦٨]: توفي الشيخ العارف بالله تعالى، عمر بن محمد باذِيْب، وأخوه الشيخ أبو بكر. كانا ـ رحمهما الله تعالى ـ من أهل العرفان، المشار إليهما بالبنان، وظهرت عليهما من صغرهما الولاية والصلاح، ولاحت عليهما لوائح السعادة والفلاح. وصحبا العارف بالله تعالى معروفاً باجمّال وسلكا على يديه مسلك الكاملين من الرجال، وأقبلا على العبادة والطاعة، وحفظا أوقاتهما من كل لحظة وساعة، وحمّلا أنفسهما ثقل المشاق، والوفاء بالعهد والميثاق. واجتهدا في قطع العلائق، والعوائد والعوائق، وخرجا عن أملاكهما وعن كل ما يشغل عن الله عز وجل، من أهل وجاه وغير ذلك.

وكان لعمر خصوصيات من بين إخوانه، وتجليات فاق بها على جميع أقرانه. وحُكي أن الشيخ معروفاً قال: مَن يأتي لهذا الفقير ـ يعني الشيخ عمر ـ بخمسة دراهم.. فله أحوال ثلاثة مشايخ من العارفين اسم كل واحد منهم إبراهيم، منهم: إبراهيم بن أدهم، وكان من جملة الحاضرين الفقيه[1] عبد الرحمن بامزروع، والولي الصالح محمد بن عمر باشراحيل، فلم يتكلم أحد منهم، مع أنه لو أمر أحدهم بالخروج عن جميع أملاكه ومعارفه وأهله.. لبادر لامتثال أمره، قال صاحب الترجمة: أردت أن آتي بها وأحوز ذلك، ولكن قلت في نفسي: لعل المخاطب غيري؛ لأن في الحاضرين من هو أكبر حالاً وأكثر مالاً، ثم قالها ثانياً وثالثاً، فبادرت وحصّلتها ووضعتها بين يديه، فأظهر البِشر، وقال: ما قصدنا إلاّ أنت، وأقسم الحاضرون أنهم لم يسمعوا مقالة الشيخ.

وكان الشيخ عمر يقول: وعزة المعبود إني أُعطيت أحوال الثلاثة وذقتها. وكان هو والشيخ عبد الرحمن بن أحمد باعبّاد روحين في جسد، ولازماً الشيخ معروفاً مدة طويلة بـ (شبام)، ثم أمرهما بسكنى (الغرفة)، وألزم الشيخ عُمر أن لا يخرج من بيت الشيخ عبد الرحمن إلى أن يموت، وألزم الشيخ عبد الرحمن بالقيام بما يحتاجه الشيخ عمر، فامتثلا ذلك إلى أن توفي الشيخ عمر في التاريخ

---

(١) «الفقيه» زيادة في ب.

المذكور، رحم الله الجميع ونفعنا بهم.

سنة تسع وستين وتسعمائة

[معروف باجمّال]

وقت طلوع شمس، يوم السبت خامس صفر الخير، توفي الإمام العارف بالله تعالى الشيخ معروف بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم باجمّال[1]، أبو محمد، شمس الدين. قد أفرد ترجمته الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمّال، بتأليف سمّاه: «مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف»، وذيّله بخاتمةٍ سمّاها «بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم»، وبخاتمة الخاتمة وسمّاها «البحر الزاخر[2] في تراجم أعيان أهل القرن العاشر».

قال في صاحب الترجمة: شيخ مشايخ الإسلام، ورحلة أكابر الأولياء العلماء الأعلام، مَن نطقت الكائنات بأنه أوحد الأنام، واتسعت دائرته في كافة الأمصار، وانتشرت دعوته في سائر الأقطار، كما قيل شعراً:

شيخ قد انتشرت أعلام شهرته ... في الشرق والغرب فاستكفت عن الخبرِ

قطب تدينُ له الأقطاب قاطبة ... محيي دثار طريق الحق من دُثُرِ

الناطق بدقائق الحقائق، والفاتق ما أرتق من أحكام الطرائق، منبع الأسرار، وطراز حلة الفخار، وواسطة عقد الأولياء، ويتيمة سلك الأصفياء، بحر الحقائق الرحمانية، وساحل الدقائق الإمكانية، العَلَم لكل مهتدي، والوارث لصاحب اللواء المحمدي، مرشد السالكين، ومنقذ الهالكين، الدال على منهج الطريقة، والجامع بين علوم الشريعة والحقيقة.

وُلد ـ رضي الله عنه ـ أول ليلة الجمعة، لتسع بقين من رمضان سنة

(١) انظر: (النور السافر ٢٤٦، شذرات الذهب ٨/٤١٩).

(٢) أورده الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» على أنه كتاب منفرد، وقال أن عنوانه «الدر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر». وأفاد أن لديه نسختين منهما ـ (مصادر الفكر الإسلامي ٤٨٥).

(٨٩٣هـ) ـ ثلاث وتسعين وثمانمائة، وتربّى في حجر والده، ونشأ وعليه آثار السعادة لائحة، ونوافح مسك بركاته على الناس فائحة، وظهرت لوائح ولايته من ليلة ولادته، وشهره في حال طفوليته جماعة من مشايخ وقته. وحفظ «القرآن العظيم» في مدة يسيرة، ورحل مع والده إلى (الشحر) الشهيرة، واجتمع بالشيخ الجليل عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، ودعا له، وأثنى عليه.

وكان يعتكف في المساجد المهجورة، وتفقّه بالفقيه عمر بن عبد الله باجمّال، وأخذ الطريق عن الشيخ عبد الرحمن بن عمر باهرمز، وكان يرحل إليه من (شبام) إلى (هينن)، ويعود إلى أهله ليلاً، ثم أمره بملازمة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله باهرمز بـ (شبام)، ولبس خرقة التصوف منهما ومن غيرهما.

واجتهد في السلوك، وأقبل على ملك الملوك، ولازم العبادة والصيام، والصلاة والقيام، والتهجد بالأسحار، والتلاوة والأذكار، ومكث خمس عشرة سنة ما نام ولا نهاراً، وتمضي الأيام العديدة ما يذوق شيئاً، وفي دار والده ثلاثون درجة. وكان يقرأ في كل درجة جزءاً من القرآن، وكان يستقي لوالده الماء وهو صائم في شدة الحر. وكان له كل يوم ثلاثة أرغفة، يأكل منها ما يقطع الوصال ويتصدق بباقيها، وكان ما يرد سائلاً، سأله فقير وليس عنده إلا ثوبه، فأعطاه له. وسأله آخر، فأعطاه فراشه. وكان لباسه فرد ثوب وسبحة.

وكان فصيحاً بليغاً، حسن الأخلاق، جميلاً، راجح العقل. ثم أمره شيخه إبراهيم بهرمز بالجلوس، لينتفع الأنام، وأجازه في التحكيم والإلباس الخاص والعام، قال: وعزة مَن له العزة إن هذا بأمر من النبي ﷺ، فجلس في مسجد (شبام) سابع عشر رمضان سنة (٩٢٨هـ) ـ ثمان وعشرين وتسعمائة، وأتى بما أبهر الألباب والعقول، واعترف بنفاسته العلماء الفحول، واستمر إلى أن مضى ثلثا الليل. وشاع ذكره في الملأ، وقصده العلماء والفضلاء، وأُعملت إلى حضرته المَطي. وعم نفعه المُحسن والمُسيء، وساق الله تعالى إليه الخلق من كل فج عميق، واغترف من بحاره كل فريق، ولبس منه الخرقة الشريفة خلائق لا يحصون، وتحكم على يديه جماعة كثيرون، واجتمع عنده جمع كثير، بل جم غفير. وتخرّج به من الخواص نحو مئة مريد خرجوا عن جميع محبوباتهم

ومألوفاتهم، من أهلٍ ومالٍ وولد، قال الشيخ العلامة علي بن علي بايزيد: لمّا ظهر الشيخ معروف.. رأيت النبي ﷺ كأنه جالس وعن يمينه أبو بكر، وعن يساره عمر، وبين يديه معروف، والنبي ﷺ يثني على معروف، وأنشد الصِّدِّيق هذا البيت:

لكل زمانٍ واحدٌ يُقتدىٰ به وهٰذا زمانٌ أنت لا شك واحدُهْ

ويشير إلى معروف ثم امتدحه لقصيدة ضمنها البيت المذكور مطلعها:

سلامٌ علىٰ معروف شيخي وقدوتي وشيخةُ أصحابهْ كذا عضائدُهْ

ثم بنى في المحل المعروف بـ (الزاهر)[1] داراً أو مسجداً، وأقام به.

ورحل إلى الحرمين، وأدى النسكين، وزار سيد الكونين، ومعه من المريدين خلق كثير، وحصل للجميع مدد عظيم، وفضل جسيم. ولمّا عاد رجع إلى (حضرموت).. عكَفَت عليه المريدون، قيل: وعدة من أخذ عنه نحو مئة ألف أو يزيدون، ووقع له بسبب ذلك إيذاء حقق له التأسي بالنبي ﷺ، وأُخرج من بلده ثلاث مرات: **الأولى**: سنة (٩٤٤هـ) - أربع وأربعين وتسعمائة، وقد أخبره بذلك شيخه عبد الرحمٰن باهرمز، ولمّا خرج.. قال لأصحابه إن الدنيا محل الهموم والأكدار، فلا يتأثر بما يقع فيها إلا سخيف العقل ضعيف اليقين، ولا ينكره إلاّ من ليس له فهم، والشكوىٰ من أهلها شكوىٰ من الله تعالىٰ، ومن رأىٰ أن الفاعل هو الله، وأن البلوىٰ توصل صاحبها إلىٰ ما عند الله.. رضيتها ورضي عن مَن باشرها، ومَنْ أراد صحبة الرجل.. حسم علىٰ ما هم فيه. ولمّا وصل (بُضّة) بلاد الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد العمودي.. قابله بالبِشر التام، والترحيب والإكرام. وكان عثمان قليل الرجال والمال، مشغول البال من السلطان بدر؛ لكونه يضعف، فتضاعفت له الخيرات، واتسعت ولايته، ووالاه بدر الكثيري.

واتفق علماء عصره، أنه أعظم الأولياء في قطره، واعترفوا جميعهم بفضله، واغترفوا من وبْله وطَلِّه. وما بلغنا أن أحداً من المعتَبَرين اعترض عليه، بل كانوا يرحلون إليه، ولم يوجد منتسب إلى الدين ومتمسك بشعار الصالحين إلاّ وهو من

(١) المقصود هنا منطقة (الزاهر) القريبة من غيل باوزير في حضرموت.

خواصه وأصحابه، أو قد زاره وتبرّك به.

وكان جماعة من المعترضين الجهال إذا دهمتهم الأسواء، وحالت بهم الأحوال، وخافوا من وقوع النكال.. يتحققون أن فرجهم علىٰ يديه، فيظهرون التوبة ويأتون إليه. وربما وقع ممن ضَرُّه أكثر من نفعه، ولا يفهم إلا ما ينكره بطبعه، أنه نقل عنه أموراً ينكرها الشرع، وليس كما قال، بل كلامه مقيد بالشريعة ولا يطرقه إشكال، ولا يشوبه شيء من الإخلال، كما وقع للقاضي المنيف، السيد أحمد شريف، والشيخ الكبير عبد الله بن محمد باقشير: أن بعض المعترضين نقل لهما شيئاً من ذلك، ثم تبين لهما خلاف ذلك، وحَسُن ظنهما بالشيخ، ثم رحلا إلى الشيخ وأخذا عنه. ولمّا وقع نظر الشيخ عبد الله باقشير علىٰ الشيخ.. غاب عن حسه، وخر علىٰ قدم الشيخ، ثم أفاق، وذاكره الشيخ بمذاكرة أذهلت لبه وحيّرت عقله، وأما الشعر: فلا يُعرف له غير هٰذين البيتين:

حططت حالي بباب الكريمْ وناديته في ظلام الدجىٰ

وقلت آلهي أقل عثرتي ويسِّر من العسر ليْ مخرجا

وكان شفوقاً علىٰ المسلمين، حُكي أن بعض المعترضين المسرفين علىٰ أنفسهم قربت وفاته، فأرسل إليه الشيخ رسولاً، فلمّا رأى الرسول.. بكى بكاء شديداً، وتاب مما وقع منه، ومات تائباً.

وكان كثير الاحتمال، والصفح عن الجهال، بل كان يخص المعترضين والمسيئين بالدعاء، وكان يقول: لا فرق عندي بين من ضرب رأسي ومن قبَّل قدمي.

وكان حسن الظن بالمؤمنين[1] فيتوسّل بكل مَن رآه من المسلمين. وكان كثير التواجد في بدايته، ومَلَك حاله في نهايته، وأُعطي من التمكين والرسوخ في علم اليقين، ما لم يُعطَ غيره من المقربين، وكان يقول: من أراد أن يسألني عن شيء في المذاهب الأربعة.. فليسأل، وكان يقول: ما تلجلج في خاطري شيء مما وقع لابن المقري في الشيخ محيي الدين ابن عربي وطائفته، بل يترك إيثار كل منهم،

(١) في ب: بالمسلمين.

ويقبل ما قالوه ويكِلُ ما فيه من الإشكال إلى الله تعالى.

وكان يقول: ما أصيب مؤمن بمصيبة إلا وكأني المصاب، وما أوذي مخلوق كلب فما دونه إلا وآلمني.

وكان معروفاً بإجابة الدعاء، ويقال: إنه يعرف اسم الله الأعظم، وكان يدعو به، وعلّمه بعض خواصه. وله كرامات خارقة، وبراهين شارقة، وفراسة صادقة، تجاوز الألوف عَدّاً، وتزيّد على البحار كثرة ومَدّاً حتى عمّت الأقصى والأدنى، وتواتر خبرها مع الأعلى والأدنى، فما تجد مَن رآه إلا وأخبر عنه بالعجب العجيب، وأتحف بكلامه البديع الغريب، وكان كل جِده وهزله من قوله وفعله من عجائب الآيات وخوارق العادات.

فمنها: أن الشيخ أحمد باشويه العمودي أراد التوطن عنده بـ (شبام)، فقال له: اعزم إلى بلدك ونحن نأتيك إلى بيتك، فظن أنه يأتيه على سبيل الكرامة، فجاء[1] الشيخ وسكن هو وفقراؤه في بيته.

ومنها: ما أخبر به تلميذه محمد بن أحمد شعيب، قال: جئت لسماع كلام الشيخ، ولم يكن يعرفني، فاجتمع خلق كثير، وللنساء محل معروف، فجلست عندهن؛ لئلا أُعرف، فخرج الشيخ، فتكلم على عادته، وكل ما وقع في خاطري تكلم به، فلمّا تفرغ.. قام، وتخطى الناس، وأخذ بيدي، وأجلسني عنده، ثم أمر بالسماع، فوقع سماع عظيم وتواجدٌ، فقال: إني أعطيت التولية والعزل من قاف إلى قاف.

ومنها: أن شيخه إبراهيم باهرمز كان له خادم مسرف على نفسه، وجرت على يديه مظالم، فقال للشيخ معروف: اشفعوا له أن يَحسُن حاله، فقال معروف: كان ذلك، وعلامته: أنه يمرض سنة، ثم يعافى، ثم يمرض، ويموت بعد كذا وكذا، وأشار بإصبعه، فصاح الخادم عند إشارة الشيخ بأصبعه، وكان الأمر كما قال.

ومنها: أن تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن سراج، قال له: كيف صفة الوجد؟

(1) في ب: فأتى الشيخ.

كالمستبعد له، فقال له الشيخ: إنما هو ذوقي، ولكن نذيقك إياه، فأمر الشيخ الحاضرين أن يقولوا برفع أصواتهم:

هبوب الله هبّي ... على رؤوس الجبال

فقعلوا، فتواجد الشيخ عبد الرحمن، ورقص وبكى.

ومنها: أن جماعة من أصحابه طلبوا منه أن يدعو بالمطر لبلدتهم، فدعا لهم، فحصل لهم مطر عظيم.

وشكا إليه بعضهم قلة المال وكثرة العيال، فقال: ستتولّى قضاء (الشحر)، وتُكفى به هَمّ المعيشة، فوُلّي قضاء الشحر.

ومنها: أنه قال لتلميذه الفقيه عبد الرحمن بن مزروع لمّا جاءه زائراً إلى (بُضة)، فلمّا أراد الوداع.. قال له الشيخ: ما تحب لك مجالسة الناس، فاختر إما الموت وإما الجذام، فقال: أختار الموت، فقال: اعزم واكتب وصيتك لتموت، بـ (شبام)، ففعل، ووصى لفقراء الشيخ بمال كثير، فلمّا مات.. وقف على قبره رجل من أصحابه، وقال: لو تصدقت بالمال على غير فقراء الشيخ.. لنفعك، فرآه في المنام في تلك الليلة، وقال له: ما نفعني إلا الشيخ وحصل لي ببركاته شيء عظيم.

ومنها: أن ثمانية مراكب جاءت لأخذ (الشحر)، فقال الشيخ: ما تصل إليه، فكرَّت راجعة.

ومنها: أن السلطان علي بن عمر جمع جموعاً وخرج على السلطان بدر، وفرَّ عنه جماعته، ولم يبق عنده إلا عبيده وعسكر قليل، فدعا الشيخ بتفريق جمعهم، فتفرقوا ولم يبق أحد منهم.

ومنها: أن أهل بلده أرادوا أن يستسقوا، فقال: لا يأتيهم المطر إلا في الوقت الفلاني، فكان كما قال.

وعطش زرع بعض أصحابه وأشرف على التلف، فأخبر الشيخ، فدعا الله، فإذا سحابة، فقال له الشيخ: اسق زرعك من هذه السحابة، فأمطرت على زرعه.

ومنها: أن رجلاً ينشد أقوال السودي في مجالس السوء، فنهاه الشيخ، فلم ينته، فرأى في منامه كأنه حامل الديوان، وأنه سقط في ماء، فلمّا استيقظ.. لم

يحفظ منه شيئاً.

ومنها: أن رجلاً يسيء الظن بالشيخ، فقال له: إن كنت من أهل الكرامة.. إظهر لي كرامة، فقال الشيخ لخادمه: هات عصا، فأعطاها للرجل، وقال له: كرامتنا تدخلك في شفاعة النبي ﷺ، فعمي لوقته.

ومدحه جماعة، منهم: بدر بن محمد.. سلطان (شبام)، مدحه بقصيدة أولها:

قف بالديار ديار (ظبية) حاجر   متواضعاً متوجهاً للزاهر
واطرح على ترب المنازل وَجْنَة   مصبوغةً بدموع طَرْفٍ عابر

وهي طويلة، ومدحه الأمير عبد الله بن محمد باحنين بقصيدة أولها:

معروف هُوْ معروفُ كَرْخِ زمانِهِ   وبلا جدال شيامُهُ بغدادُها

ومدحه الفاضل سالم بن محمود الجازاني بقصائد كثيرة، منها قوله:

يا ساكنين حمىٰ قلبي عن الخِيَم   جنبتم النوم عن طرفي فلم يَنَمِ
سكنتم القلب مني فهو مسكنكمْ   عن الخيام فما قصدي إلى الخِيَمِ

ومدحه الصوفي علي الصعدي بقصيدة أولها:

أحادي العيس بالعدل عن العلم   فلا تمل عن رياض الشيخ والحرم

وأخبر بوفاته وقال: يوم السبت تقوم القيامة.

وشيعه خلائق لا يحصون، ودفن بـ (طرفون)، وعمل على قبره قبة.

ورثاه جماعة، منهم: السلطان محمد بن علي، رثاه بقصيدة أولها:

هاج الفؤاد كهوائج النيران   عند انتقال العارف الصمداني
يبكي عليه العارفون ولم يزل   وعليه يبكي السبع والثقلان

وزيارته مشهورة بنجح المطالب، فكل من زاره بصدق.. حصل له مطلوبه. نفعنا الله به.

[علي بن عبد الرحمن النظاري]

وفيها [٩٦٩]: توفي الأمير علي بن عبد الرحمٰن بن محمد النظاري[1].

(١) انظر: (هجر العلم ٤/٢١٩٣، روح الروح، البرق اليماني ١٣٠ـ ١٣٢).

صاحب بعدان، وحصنه المسمى (خَبّ) يُضرب به المثل في الارتفاع والشهوق، يكاد يلامس ذروته الثرى، أو العيوق، ورثه أبوه عن جده أحد أمراء السلطان عامر بن عبد الوهاب، تغلّب عليه حين انكسر عامر، واستمر في يده ويد أولاده، وكان صاحب الترجمة يهادن الباشات، ويداهنهم إلىٰ أن استقر محمود باشا في اليمن[1]، فعاداه الأمير علىٰ أكثر ممن مضى، طالباً للود والرضى، فأبىٰ محمود إلا عتّواً، وكان أمر الله قدراً مَقْدُوراً، وكان محمود باشا جباراً عنيداً.. وهو سبب فتنة الهيسة[2] بـ (مكة) سنة (٩٥٨هـ) ـ ثمان وخمسين، فتهيأ الأمير للقتال فقال بعض أكابر الأمراء لمحمود باشا أن النظاري لم يظهر منه عصيان وحصنهُ حصين فالأولى إبقاؤه علىٰ ما كان عليه، فأمر بقتله، وقُتّل جماعة أهل أموال، وأخذ أموالهم وحاصر الحصن نحو ثمانية أشهر حتّىٰ سئموا، وسعوا في الصلح، واتفقوا علىٰ أن يعطي الأمير علي سنجقاً، وينزل بجميع أمواله ومن يلوذ به، ويُسلّم الحصن للباشا، وحلف محمود علىٰ المصحف بالوفاء وعدم الخيانة فخرج الأمير هو وولده وجماعته ـ وهم نحو مائتين ـ في موكب عظيم فأكرمه الباشا غاية الإكرام، فلمّا برز أمر بقتله فقتل هو وجميع من معه، واستولى محمود باشا علىٰ جميع أموالهم، ودخل الحصن، وقتل جميع من فيه. وكان صاحب الترجمة شافعي المذهب، سني الاعتقاد، صاحب عقل وسياسة ودين متين، كثير الطاعة، وكان عنده شيء كثير من المصاحف المكلفة، والكتب النفيسة من التفاسير والحديث والفقه والعربية والتواريخ، وكان بينه وبين الزيدية عداوة شديدة، ففرحوا بذلك ونفرت العرب من الباشا، ولم تصدقه في أيمانه لهم وصارت تنتقض العُهَد.

(١) هو من الولاة الأتراك في اليمن. وقد تولّى حكم اليمن بعد الباشا مصطفى النشار (المقتطف من تاريخ اليمن ١٤٨).

(٢) لعلها: الهيصة.

سنة سبعين وتسعمائة

[عبد الرحمن بن عبد الله باجمّال]

لعشر بقين من جمادى الآخرة، توفي الشيخ، عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عمر باجمال. أحد العلماء العاملين، الأولياء العارفين؛ اشتغل بطلب العلوم الظاهرة، النافعة في الدنيا والآخرة، وتفقه على خاله الفقيه أحمد بن عبد الرحمٰن باجمال. وارتحل إلى (بندر الشحر) المحروس، وأخذ عن القاضي عبد الله بن أحمد باسرومي، والشيخ أحمد بن عبد الله بافضل الشهيد، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وأدّى ما وجب عليه من النسكين، ثم زار خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام. وأخذ عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي الحسن البكري، والعارف بالله تعالى محمد بن عِراق؛ وغيرهما من العلماء الأعلام ومشايخ الإسلام. وأقام بمكة ثلاث سنين، وصحب جماعة من أكابر العارفين؛ ولازم العبادة والطواف، ولازم الاعتمار والاعتكاف، ملازماً للرياضة؛ قانعاً باليسير، ولم يقبل من أحد شيئاً خوفاً من الوقوع في الشبهات. ثم عاد إلى (حضرموت)، وصار بها وحيد زمانه. وفريد عصره وأوانه، وانتفع به جماعة من الطلبة، ثم أعرض عن الفتوى والأحكام، وتخلّى لعبادة الملك العلام، وآثر العزلة والخمول، وترك الظهور والفضول. وكان الشيخ معروف باجمّال يقول: ما على وجه الأرض اليوم أعلم منه.

وكان جبلاً شامخاً، لا تؤثر فيه حوادث الزمان، ولا يتغير عند البلاء والامتحان. ولمّا حصل للعارف بالله معروف باجمال من الإيذاء والامتحان وإخراجه من البلاد.. تغيرت أحوال أصحابه، وتعبوا تعباً شديداً، ولم يظهر على صاحب الترجمة شيء من ذلك. فسئل عن ذلك، فقال: الدنيا محل الأكدار، وهذا حال الرجال، ولم يتحرك باطني بشيء بعدما سمعته للحسين بن علي (وأمه فاطمة) وأولاده. وكان له كرامات كثيرة وأحوال شهيرة:

منها: أن بعض الولاة آذى بعض خدامه، فرآه في النوم وقد طلع عليه في حصنه ورماه من أعلاه إلى أسفله، فأصبح مريضاً وقد انكسرت بعض أعضاءه، واستمر كذلك سنة، وحَسُن ظنه بالصالحين.

ومنها: أنه كُشف له عن انقضاء أجله، فطلب سيرة النبي ﷺ لابن هشام، فقرئت عنده، وقال: إن قراءة ذلك يزيد في الإيمان، ومرض ستة أيام، وفي يوم السابع اغتسل وتطيّب، وأمر بفتح الباب، وأخبر بحضور أجله، ورُئِيَ في وجهه البِشر، وبقي ساعة يسمع الترحيب والتأهيل إلى أن خرجت روحه، وقُبر في مقبرة آل باجمال في مدينة (الغرفة) رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[سيل مدمر في حضرموت]

وفيها [٩٧٠]: في ثاني شوال سَالَ وادي عِدِم الشهير بحضرموت[١]، وأهلك أموالاً وبشراً كثيراً، وفيه يقول الأديب عبد الله بن أحمد بن فلاح رحمه الله تعالى:

سَيْلٌ بوادي حضرَمَوْت أذاه عم ... في سنو إكليل النجوم أخذ قسمْ[٢]

وضعوا له تاريخ ناسب جوره ... يلقاه من يطلب في حرف «ظَلَمْ»

سنة إحدى وسبعين وتسعمائة

[نور الدين باجبهان]

توفي السيد الشريف، نور الدين، علي بن أحمد بن علي بن حسن. عُرف بـ(باجبهان)[٣]، ذو الذهن السديد الثاقب، والفهم الذي لإدراك المعاني مراقب. وُلد بمدينة (تريم)، ونشأ في سوحها الفسيح الكريم، وحفظ «القرآن العظيم»، وكثيراً من المتون، في عدة فنون، وأخذ عن الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمٰن، والمحدث محمد بن علي المعلم خَرِد، وأخذ أيضاً عن أخيه حسين باجبهان، واجتهد في التحصيل، وجَدَّ في التأصيل والتأثيل، وجمع كتباً كثيرة؛ في الفنون الشهيرة. وكان له خط مليح، وغالب كتبه حسن صحيح، ووقفها على طلبة العلم بمدينة (تريم)، واعتنى بجمع شجرة آل باعلوي، فنقّحها وحررها، وحققها وخَبَّرها.

---

(١) انظر: (النور السافر ٢٤٧، شذرات الذهب ٨/٤٢١).
(٢) في النور السافر: أخذ نسمْ.
(٣) انظر: (المشرع الروي ٢/٢١٩، شمس الظهيرة ١/٤٠٠، النور السافر ٢٤٩).

وكان يحب العلم وأهله ويكرمهم، ويحن على الفقراء والمساكين ويحسن إليهم. وكان كريماً سخياً، ورعاً تقياً. وكان قانعاً بالكفاف، لابساً ثوب العفاف. وكان مقدتياً بسيرة سيد المرسلين ﷺ وعلى آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين، مواظباً على السنن الشرعية، والآداب النبوية؛ وكان كثير التهجد والقيام، كثير الرياضة والصيام، مواظباً على الجمعة والجماعة، ملازماً على العبادات في كل ساعة، وبنى بقرب داره منزلاً وقفه مُصلىً يُصلي فيه ويعتزل عن الناس. وانتفع به جماعة كثيرون، وصحبه علماء عارفون، وكانت دعواته مستجابة، وأخباره مستطابة. ولم يزل يُعدّ لمعاده عدة، إلى أن انقضت المدة؛ واستُوفيت العدة، فوافته الوفاة؛ وانتقل إلى رحمة الله، ودفن بمقبرة (زنبل). رحمه الله عز وجل.

[عبد الرحمن بن حسين الأهدل]

وفيها [٩٧١]: في يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة، توفي السيد الجليل، وجيه الدين، عبد الرحمٰن بن حسين بن عبد الرحمٰن الأهدل[١]. الشيخ الكبير، الذي لا يكاد الزمان أن يسمح له بنظير، منبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية. وُلد سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بمدينة (زبيد)، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وصحب العارفين. أخذ عن الشيخ معروف بن إسماعيل الجبرتي، وحكّمه وألبسه الخرقة الشريفة، ونصّبه شيخاً وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فقال: يا سيدي لم أقدر على المشيخة، فقال له الشيخ: أنت حظك مطلق. فأقبل على طاعة ربه وعباداته، وحافظ على أزمانه وأوقاته، ونصّب نفسه للنفع والإرشاد، فتربّى به خلق من العباد، من حاضر وباد، واشتهر في سائر الآفاق، وصار كالبدر في الإشراق، وكثرت أتباعه من أهل الوفاق والافتراق، مع ما منحه الله تعالى من محاسن الأخلاق، ولطف الشمائل والإطراق، وسلامة الصدر، وطلاقة الوجه والبشر، وغير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بإعانة الله الملك الخلاق. ولا بدع أن يكون ذلك لمعنى ورثة من جده ﷺ.

(١) انظر: (القول الأعدل في تراجم بني الأهدل ـ ط. النور السافر ٢٤٧، ججر العلم ٤/ ٢٠٠٦، شذرات الذهب ٨/ ٤٢٦).

وكان سخياً جواداً، ينفق كل ما فتح الله عليه في وجوه الخير والفقراء والمساكين، وصلة الأرحام وأهل العلم والصلاح. متواضعاً لكل أحد، وكان الناس يلتمسون بركته ودعاءه، وإذا أخرج من بيته.. ازدحم الناس على تقبيل يده ورجله، وكان مقبول الكلمة عند جميع الأنام، مقبول الشفاعة عند الخاص والعام، وكان باذلاً نفسه وحاله وماله للناس. وأخذ عنه جمع كثير من الناس، ولبس منه جم غفير، وجمع كتباً كثيرة في فنون شتى. وله كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة، ودعا الجماعة بمطالب أخروية ودنيوية نالوها، ودعا لهم بالشفاء من أمراض فشفوا منها، وجاءه رجل قد عظم بطنه من الاستسقاء وعجز الأطباء عن علاجه، فقرّب له طعاماً وأمره بأكله فبمجرد أن أكله زال عنه الألم. ولم يزل على النفع العام، لجميع الأنام، حتى وافاه الحمام، وصُلي عليه بالجامع المظفر بزبيد، ودفن حيث ولد في منزله، وتعب الناس لفقده، وبُني عليه مشهد عظيم. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[أمين الدين بن عبد المعالي]

وفيها [٩٧١]: في يوم الأحد لأربع عشرة خلت من رجب، توفي العلامة، أمين الدين بن عبد المعالي، الحنفي. أحد العلماء العاملين، الأولياء العارفين. أخذ عن برهان الدين الطرابلسي ونور الدين الطرابلسي، وأخذ طريق القوم وأحسن السباحة في بحرهم والعَوْم. وصحب جماعة كثيرين، علماء عارفين. وبرع في الفقه والتصوف والحقائق، وله قدم راسخ في فهم كلام محيي الدين بن عربي، وكان يحلّه ويبيّن أكثر مشكله، على أحسن وجه وأكمله. وكان متقشفاً لا يعتني بشيء من الملابس، وثيابه في بيته ومهنته هي التي يخرج بها إلى المسجد والسوق، وأكثر خروجه بلا منديل كتف. وكان مواظباً على السنن الشرعية، والسيرة النبوية؛ قال سيدي عبد الوهاب: صحبته نحو سبع وأربعين سنة فما رأيته زاغ عن السنة المحمدية؛ قال: ودخلت على والده مرة فلم يجد طعاماً في بيته فقدم إليّ الماء، وقال: اشرب ولو يسيراً. انتهى؛ وهذا يدل على أن والده كان لا يتكلف أيضاً، قال ﷺ: «أنا وصالحو أمتي برآء من التكليف». وانتقل بمصر ودفن خارج باب النصر، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[سَيْل هائل في مكة]

وفيها: سالت أودية مكة بسيل عظيم أخرب دوراً كثيرة[1]، ودخل المسجد الحرام، وزاد على عتبة الباب قدر ذراع، وفيه يقول الأديب صلاح الدين محمد القرشي رحمه الله:

لمّا علا السيل على مكة	وأخرب الدور وأخل البقاع
لاذ بباب له مستغفراً	وطاف بالبيت طواف الوداع
تاريخه إن شئت تعريفه	علا على الركن اليماني ذراع[2]

وذكر العارف بالله تعالى محمد تاج العارفين بن أبي الحسن البكري في بعض رسائله، فقال: لمّا كان يوم الإثنين رابع جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، بدأت جنود الغمام تتثاقل وتتكاثف، ورياح المعصرات تتدافع وتتعاصف، إلى أن صارت السماء قبة معقودة من جوف السحاب المعتكر؛ ثم انفتحت أبوابها كما قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝﴾[3]، وكان ابتداء ذلك الوكف بعد العشاء الآخرة، وأذن الله تعالى للسماء أن ترسل بحاراً زاخرة، وصادف أن الفقير حينئذ مع خدمه وخله والأعز عليه من نفسه ـ فضلاً عن أهله ـ مختاراً الله لنظم عقود الرئاسة بالبلد الحرام، ومصطفاه عليه الصلاة والسلام؛ مولانا شيخ الإسلام السيد الحسين بـ (منى) على غاية من الأنس بالله ومزيد الهنا، وإذا بثبير ينحدر منه أمثال الهضاب من أعدل القطن المحلوج، والبرد الذي غالبه كبيض الحمام ترتج به الجبال وتموج، بحيث صار يضرب في أبواب منازلنا كأشد البنادق من أشد ساعد، حتى عم بأكثر البلد من جميع تلك المعالم والمعاهد، والبرق متتابع أي تتابع مثا كأنها إلا ليلة البدر ليس عليه مانع؛ وخرير المياه كما يقبض الإنسان إن كرة الهواء دفعت جميع ما فيها من منفذ واحد متضايق، وتحدّر الصحارى بتصبب تلك الأنهار كاد أن يشتبه بأصوات الصواعق، وأما الرعد ـ وما أدراك ما الرعد ـ فحدُث من اصطدام فلكين ـ وهما الثامن والتاسع ـ اصطدام مدافع، ومع ذلك فكنا في تذكر آلاء الله وقدرته بما يشغل القلب بأنسه ومسرته، وبقي الحال كذلك أكثر من أربع ساعات، لا تغبه الزيادة وإلا فترات، ثم

---

(1) انظر: «النور السافر ٢٤٩، شذرات الذهب ٨/ ٤٢٣».

(2) «ذراع» ساقطة من الأصل. وأثبتناها من النور السافر.

(3) سورة القمر، الآية ١١.

أصبحنا وقد روض القطر البلاد، وأثبت المعاهد على العباد، فلم نشعر إلا والرسل إلينا من (مكة) تترى بأخبار السيل الذي هو آية الله الكبرى، فركبنا نؤم (أم القرى)، ولا يمضي إلا قليل إلا ونرى بحيرات، مع أن البطاح والمسائل من أصدق الإمارات والدلائل. وكان دخولنا (مكة) من طريق سوق الليل؛ لأنه معظم ما بلغنا تأثره بالسيل، فكم بعد الاستغاثة لنزول الهزيم من ندبه على عديم، أو مأخوذ في لهوات ذلك السيل العظيم، بحيث أن الدور التي خرّت عروشها على فروشها.. ناهزت الألف بيقين، لكن ما هلك من أهلها ـ فيما أعلم ـ أكثر من خمس وثلاثين، ولقد رأينا السيل بلغ المسجد الشريف، وبلغ منتهاه قريباً من قفل باب الكعبة المنيف، ولمّا دهم أهل المسجد سارعوا إلى المنابر تحصناً، واتخذوها لهم طول ليلهم وطناً، وصادف أن المنفذ الذي لخروج السيل من باب إبراهيم كان منسداً؛ ثقة بأن خشكاري صنع بين (سيل وادي إبراهيم)، وبين (مكة) سداً، فجاءهم الأمر من حيث لم يحتسبوا، ولم ينفذ من سيل السد بمكة قط، وإلا فلو وصل مع ما حصل، ومما قيل كان هنا بلد الحج والعمرة؛ فجاء جند سلطان الإسلام والأمراء من ولاة أمور الأنام، وفتحوا ذلك القناه من تحت بابه ليخرج الماء بعد ما علا السطح؛ فلم يزد سلماً، بل زاد في الارتفاع على أكثر من باع، فشرع الماء يخرج بهدير عجيب، وتدافع غريب، فما صوت النيل عند تناهي الزيادة في قنو المقياس. ورعى الله ذلك المكان الأقاصر عن المساواة والقياس.

وأما أزقة البلد وشوارعها ومسائلها ومشارعها، فما ترك حانوت سقاية إلا قيل عنه وعن صاحبه في سبيل الله، ولا مقعد سوقي إلا وساقه إلى أبرح مكان من الأودية وأقصاه، وما دفعه الله كان أعظم، وكل فعله سبحانه كان على الوجه الأتم، الأكمل الأحكم، ووافق هذا المنعني وسيلة أن جر على أقطار مكة جميعها وأوديتها ذيله حتى بلغ من قات به، ومات من أهل الأودية أكثر من خمسمائة يقين، وأكثرهم بنيه وأولاده وبستانه حتى أصبحوا، ويقال كان هنا أناس في حين.

وأما الحدائق بوادي (مر)؛ فحدق إليها الدمار وبها أحدق، وسلبها ثوب ذلك البهاء ومزّق، فأصبحت كأن لم يُغرّد في أغصانها صادح، ولم يهب في الهناء بها نافح؛ ولم ينبجس فيها زهر سباطة، ولم يمطر طل أسماطه، ولقد أصاب هذا الصوب موالينا السادة الأشراف نصرهم الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وما هو إلا وقاية غير ودفاع مثير، وتسوية ملك الملوك بين الغني والصعلوك. ولقد حدثني الثقة بأن يسعفني بعض رؤوس النخلات الكبار، صار يتراءى من خلال ذلك

التراب المنهال المنهار ترائي النبات الضئيل عند تغير الليل بذيل النهار، وحلّت بتلك البساتين أحوال هائلة، وصار بعضها طريقاً مسلوكاً من فوق لمم الأشجار السائلة، فلا يخفى أن كثيراً منها في منخفض من الأرض، فجاء السيل بتلك الأباطح فملأ بها الطول والعرض، وما ذاك بالعجيب، ولا بالنبأ الغريب، لئن من لا يستراب في أخبارهم ولا في صحة ما يفحص من آثارهم.. أخبر بأن كثباناً نائمة باذخة، وآكاماً كالأطواد شامخة، تحصّن ببعضها أناس، فقوي السيل فاقتلعها بمن عليها، ولم ينفعهم اللجوء إليها.

وجملة القول أنه أمر حيّر الأفكار وقصر عن الحاق تفصيله الأخبار، وما هي إلا عظة الله وتذكرة لعباده في أشرف بلاده، فوالله لقد أُفزعت القلوب ونفرت النفوس إلى علاّم الغيوب، وصار تحية الناس فيما بينهم: نهنئكم السلامة. ولا شك أن هذا السيل العظيم.. لاقتراب الساعة علامة، ولقد وقع في الأزمنة الماضية سيول طامية، بحيث أن سيل عام (٨٨٧هـ) ـ سبع وثمانين وثمانمائة ـ ارتفع داخل البيت الشريف أكثر من قامة، وكم انقضت به دعامة، وكم انقضت به آجال، وكم حلت أهوال، ولكن كان ذلك مع دخول سيل ودي إبراهيم، ومع ذلك...[١] مكة ونواحيها مجموع هذا الخطب الجسيم، فنسأل الله حسن العاقبة في عافية، وأن يجعل موارد نعمه علينا صافية، وملابسها علينا ضافية.

وأما البراري فقد نسجت بمبرح كل إنسان بساطاً سندسياً، وألقى عليه الزهر تياراً عسجدياً بعدما غادر السيل تربتها كقطع الكافور والعنبر، أو سحيق الصندل والمسك الأذفر، وأصبحت العجاف الشول فياضة الأطباء وأخلافها عادى...[٢] محـ..ن العمل فتصب ألبانها كالغيث صباً، وأكثر أصحاب الوبر على التقبض من أهل المدر. انتهى المطلوب من ذلك.

[عبد الله بن عمر بامخرمة]

ليلة الإثنين لعشر خلون من شهر رجب[٣]، توفي العلامة، عبد الله ابن الفقيه

(١) كلام غامض في الأصل.
(٢) كلام غامض في الأصل.
(٣) كلمة غامضة.

عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة[١] تقي الدين أبو الطيب، الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، مفتي (اليمن)، وعلاّمة الزمن، الفرد الذي بهرت الأفكار فضائله، وسحرت أرباب العقول عقائله وفواضله، جامع أشتات العلوم، المبرّز في المنقول منها والمفهوم، فريد من الأدب الذي ليس يُبارى، وبحره الذي لا يهدي غائص قلمه الدر إلاّ كبارا:

أبداً على طرف اللسان جوابهُ ... فكأنما هي دفعةٌ من صَيِّبِ
يغدو مساجلُهُ بعزّة صالح ... ويروح معترفاً بذلّةِ مذنبِ

لا يترك سامية إلاّ علاها، ولا غاية إلاّ قطع منتهاها. وُلد بعد العشاء لعشر خلون من جمادى الآخرة، سبع وتسعمائة، وحفظ «القرآن» وهو ابن سبع سنين، قال: وحفظت سورة ﴿يس﴾ من قراءة والدتي وردها بعد الصبح في مدة يسيرة وأنا ابن ست سنين. وكان أعجوبة الزمان في الذكاء والحفظ، والآية الكبرى في الفهم الثاقب والرأي الصائب، له ملكة قوية في الاستنباط، والاستدراك على ذي شطاط.

أخذ عن والده العارف بالله عمر، وعمه القاضي الطيب، وعن القاضي عبد الله بن أحمد باسرومي، وكان يقول: إني استفدت منه أكثر مما استفاد مني.

ورحل إلى الحرمين، وأخذ بهما عن جماعة كثيرين، منهم: العارف بالله تعالى أبو الحسن البكري، والشيخ محمد بن عِرّاق، والسيد المحقق نور الدين السمهودي، وأخذ بـ (زَبيد) عن أبي العباس أحمد بن محمد الطنبداوي، وصفي الدين أحمد بن علي المزّجد، والحافظ عبد الرحمن الدَّيبع، وغيرهم.

وأتقن علم الأصول، والتفسير، والحديث، والفقه، والتصوّف، والمعاني، والبيان، وعلوم العربية من لغة، ونحو، وصرف، واشتقاق، وعلم العروض والقافية، وعلم الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وعلم الهيئة، والفلك، والميقات، وعلم البحر، وأتقن علم الطب، والتواريخ، والأنساب، وأخبار العرب وأنسابها، والسير. ولم يكمل كتاباً قراءة أو مطالعة أو درساً إلا وقد حققه وحرر

(١) انظر: (تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٥٧، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٤٨٠، معجم المؤلفين ٦/ ٩٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ٤٣١، أدوار التاريخ الحضرمي ٣١١).

مسائله، ونبَّه علىٰ ما فيه من مهمات الفوائد، وما يرد عليه من إشكال ونقد ورد. واعتنىٰ بعلم الفقه اعتناءً تاماً بحيث يقال له الشيخ الشافعي الأخير.

ولبس الخرقة من والده وغيره من السادة الأشراف، وغيرهم من أولي المعرفة والإنصاف، وأجازه أكثر مشايخه في الإفتاء والتدريس، ودرَّس في (حضرموت)، و(الشحر)، و(عدن)، و(الحرمين)، و(زبيد)، و(تعز)، وأخذ عنه خلائق لا يحصون. وكان العلامة عبد الرحمٰن بن زياد ولا يُفتي إذا كان صاحب الترجمة بـ (زبيد)، ويقول: لا ينبغي لأحد من أهل زماننا أن يُفتي وشيخ الإسلام عبد الله بن عمر عنده في بلده وأرسل إليه بعض أهل (عدن) أسئلة، فقال للرسول: أليس الشيخ عبد الله بامخرمة في عدن؟ فقال: بلىٰ، فرد الأسئلة إليه، وقال له: لا أكتب عليها وعندكم الشيخ عبد الله. وكذلك العلامة أحمد بن عثمان العمودي لا يكتب علىٰ السؤال منذ كان صاحب الترجمة عنده في (تعز)، وكان مُحدِّث (عدن) ومفتيها أحمد بن عمر الحكيم يقول: لو حلف أحد بالطلاق أن ما علىٰ الأرض أعلم من عبد الله بامخرمة. . ما حنث.

ووُلِّي قضاء (الشحر) سنة (٩٤٣هـ) ـ ثلاث وأربعين وتسعمائة ـ بعد امتناع واعتذار، فلم يقبل منه السلطان عذراً، وقال: لم نجد مَن يصلح للقضاء غيرك، فاشترط أنه يباشر القضاء إلىٰ أن يجد مَن يصلح له، فباشره مدة يسيرة، ثم اختار لذلك شهاب الدين أحمد بن عبد الله بالرُّعية.

ثم وُلِّي قضاء (الشحر) ثانياً سنة أربع وخمسين، فأقام خمسة أشهر، وعزل نفسه، وارتحل إلىٰ (عدن)، ففرح عمه الطيب بوصوله، وأقبل عليه، وقام به، وزوَّجه ابنته، واستنابه في تدريس المنصورية والظاهرية، وأقبل عليه الناس من كل بلد، وقُصِد بالفتيا من (الهند)، والسواحل، و(مليبار) و(آشي)، و(عُمان)، و(هرمز). ثم رحل إلىٰ (مكة) سنة ست وأربعين، وعاد إلىٰ (عدن) فوافق عمه القاضي الطيب قد توفي، فأقام عند أخيه القاضي عبد الرحمٰن نحو ثلاث سنين، وحج ثانياً هو والقاضي المذكور سنة تسع وأربعين، واجتمعا بها بجماعة من علماء (الحجاز) والحُجَّاج، واجتمع بالشيخ ابن حَجر، وتذاكرا في بعض المسائل، فأعجبه فهمه وسعة علمه، وقال: إنه العالم المجتهد، ولو رافق القرن. . لكان هو

المجدد. وحُكي أنهما اختلفا في مسألة، فأراد صاحب الترجمة المناظرة، فقال الشيخ ابن حَجَر: الرجل تعتريه حدة، فلا يصلح للمناظرة، ثم رجعا وقصدا أبا المكارم السلطان سنلة بن محمد بن عبد الودود صاحب (مُيْفَعة)، لِمَا كان بينه وبين صاحب الترجمة من المكاتبات، وكان طلب منه الوصول إليه، فلمّا وصل. . قابله السلطان سنلة المذكور بالإجلال والتعظيم، والإكرام العظيم، والمال الجسيم، وأقام عنده نحو سنتين.

ورحل بأهله إلىٰ (أحور) ونواحيها، وحصل بينه وبين عالم ذلك المخلاف محيي الدين العلامة عبد القادر بن أحمد الإسرائيلي مطارحات ومناظرات، اعترف كل لصاحبه بالفضل، ثم رحل إلىٰ (بندر عدن) سنة ستين[1]، واستوطنه، ووُلِّي النظر والتدريس بالمدرستين (المنصورية) و(الظاهرية) والمدرسة (الفرحانية)، وتدريس الجامع، وأقام بعدن ذاباً عن الشريعة، ناصراً للسُّنَّة المنيعة، باذلاً جهده في النصيحة، صادعاً بالحق بالحجج الصحيحة، معَظَّماً في الصدور، مقبول الشفاعة عند ولاة الأمور، محتَرَماً عند باشات الأروام باليمن، ووزرائهم، ولا سيما سناجق عدن، وكان أمير اللواء بعدن محمد بن محيي الدين بن يحيى المغربي يعظمه، وكان له عنده الحظ الوافر، والعز والإقبال الظاهر، مع ورع شديد، وزهد في مزيد، مع المواظبة علىٰ العبادة والطاعة، وشرف نفس وقناعة، وتواضع عظيم، وخلق حسن، وإحسان وافر لكل من ورد عليه بعدن.

وكان طارحاً للتكلُّف، كارهاً للمكابرة والتعسف، وله تصانيف عديدة، في فنها مفيدة، منها: «شرح العدة والسلاح» سماه: «المصباح»، وشرح «الرحبية»، وألحق في آخرها فصلين نظماً: الأول: فيما فضل عن ذوي الفروض والرد عليهم. والثاني: في قسمة التركات وشرحهما أيضاً، وسمّاه ولده: «الدرة الزهية في شرح الرحبية». وكتاب «كشف الإشكال المدلهم في حكم رطوبة باطن الرحم» نحو كراس ونصف، و«الحواشي علىٰ شرح الروض» لشيخ الإسلام زكريا، جرّدها ولده من النسخة، وسمّاها: «حواشي رياض المطالب علىٰ مسائل شرح روض الطالب».

---

(١) ٩٦٠هـ.

وذكر السيد عبد القادر أن له نكتاً على «تحفة ابن حَجَر» في مجلد. وله تأليف في الرد على طائفة ابن عربي في نحو خمس كراريس، سمّاه: «حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد، في تكفير طائفة الوحدة والإتحاد»، ورسالة في القهوة، ورسالة سمّاها: «التنبيهات على بيان الفضيحة الواقعة في النصيحة».

قال: أعني بها نصيحة الملوك التي نسبها بعض الجاهلين إلى سيدنا الإمام حجة الإسلام الغزالي - في نحو نصف كراس.

وله «الفتاوى الصغرى الهَجرانية» التي سأله عنها الفقيه محمد بن علي بالعفيف الهَجراني، فأجاب عنها وهو بـ (مَيْفَعَة) وبَسَط الجواب، وأوضح الحق والصواب، وأرخى عنان قلمه، وأظهر غور بحور علمه.

و«الفتاوى الكبرى» التي أطنب فيها وأسهب، وجمع من أعاجيب الفوائد وأغرب، فكانت على التحقيق حاوية للمذهب، ومنتقاةً من كل فرع وأصل محرر مهذب، وتوفي عنها وهي غير مرتبة، فرتبها ولده علي زين العابدين.

وله تأليف لطيف فيما يحتاج إليه في معرفة الأوقات، وسَمْت القبلة، ومعرفة الساعات، وما يتعلق بذلك في نحو كراس ونصف، واختصره في نحو أربع قوائم، لكنه لم يكمل.

وله رسالة في علم الحساب تتعلق بالبيوع، والضمان، والإقرار، والوصايا، والصداق، والعتق، مأخوذة من علم الجبر والمقابلة.

وله تأليف مفيد في علم المساحة أكثر فيه الجداول والأسئلة، ثم اختصره في نحو كراس، وحذف منه الجداول والأسئلة، وله منسك في الحج نحو كراس.

وله تكميل وتذييل على طبقات الإسنوي، تركه مسوّدة وبيّضه ولده، وسمّاه: «رشف الزلال الرّوِي في التكميل والتذييل على طبقات الإسنوي».

وله رسالة في العمل بالربع المجيب، ورسالة في ظل الاستواء لعرض ثلاث درج في الجنوب، ورسالة في اختلاف المطالع واتفاقها، وله «الجداول المحققة المحررة» في علم الهيئة. وله أرجوزة في ظل الاستواء للشِّحر وما وافقها في العرض، أولها:

الـحـمـد لله عـلـى مـا أرشـدا ... ثم الصلاة للذي أهدى الهدى

مـحـمـدٍ وصـحـبـه والآلِ ... من قبل أن أشرع في المقال

ومنها:

وإنني حررت من ذي العلم ... منازل الظل بهذا النظم

وضمته لآخر المنازل ... من الشامِيّ واضح الدلائل

بقامة النسبة والنصف على ... ما صحّحوا ممّن يكن معتدلا

وله أرجوزة في معرفة الظل بالقيراط أولها:

يقول راجي رَبِّهِ أن يرحمَهْ ... عبد الإلهِ بْنِ عُمَرْ بامخرمَهْ

من بعد حمد الله والصلاة ... على النبيْ وآله الهداة

يا من يريد الظل بالشامي ... بنسبة القيراط خذ كلامي

اعلم بأن الظل يعني في السنهْ ... في مرتين عند من تبيَّنَهْ

في الهرة الأولى من الأفيا يُرى ... في سادسٍ للغَفْر عند مَن درى

ويبتدي الصغرى لسبعٍ فيه ... بالسين قبل البا لمقتفيه

وله رسالة في معرفة سمت القبلة لجهة (الشِّحر) وما قاربها ثم نظمها في أرجوزة أولها:

الحمد لله مع التسليم ... ثم الصلاة للنبيْ الكريم

وآله ومَن عني بصحبته ... وبعد يا طالبُ صَوْبَ قبلته

في جهة الشحر وما يُقاربُ ... قابِلْ لقرص الشمس وهو غارب

وخُطُّ خطاً سَمْتُ ظل الوقت ... وآخراً مقاطعاً ذا السمت

واعمل له دائرةً ثم اقسُمِ ... تسعين قسماً كلُّ رُبْعٍ واعلَمِ

بأي نجم أنت في الشامي ... فإن تكن في هقعة التمامْ

فالبعد عن شمسك زايٌ ميمْ ... إلى السماك تالك النعيمْ

ثم انقصَنْ لكل ما انتقالِ ... جزءين فيما يأت من مقال

واشتهر أكثر كتبه في غالب البلدان، لا سيما أهل (اليمن) وجرى فيها على عادته التي رافقها وأبى أن يفارقها، كعادة الذهبي والإسنوي والحسين الأهدل ومن ترك الصاف، وورود الكدر من الاعتساف، والانتقاد والطعن والجرح في العلماء الأفاضل، والأئمة الأماثل.

وكان ـ رضي الله عنه ـ فصيحاً بليغاً في النظم والنثر الفائق والخط الحسن الجيد الرائق، والمديح والترسل والغزب اللائق.

وله في رسول الله ﷺ غرر القصائد الطنانات، والوسائل المسكرات المُخَبَّرات، وكذا في الأولياء الصالحين، والملوك والسلاطين. وله الخُطب البديعيات البليغات، التي لو بلغت زهيراً لقال: مِن أين لي بهذه الحقائق؟ أو اتصل نَبَؤُها بالمتنبي.. لاشتغل عن ذِكر العُذَيب وبارق، والكتابة التي يغدو بها الطرس رياضاً محبرة، أو سماءً زاهرة، إن لم يرض أن يكون في الأرض نجوم مزهرة.

وغالب مدائحه في السلطان الجواد ابن بدر بن عبد الله الكثيري، وأبي المكارم ستلة بن محمد البعثري صاحب (مَيْفَعة). ومن نظمه في قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد النافع بن العارف بالله محمد بن علي بن عراق، وهو يومئذ قاضي القضاة بـ (زبيد) لمّا غاب عنها إلى (المخاء) في أواخر جمادى الأولى سنة (٩٥٦هـ) ست وخمسين وتسعمائة:

رأيت زبيدَ في شهرَيْ جمادى   بآخِر ذا وأوّلِ ذا كئيبة
وبدر جمالها فيه انكساف   وقد كانت محاسنها عجيبه
فقلت لها أخبريني أي شيء   كساكِ الكسف قالت لي مجيبه
ألستَ نظرتَ في علم الطبيعي   ففي الهيئات علة ذا قريبه
وذلك أن نور الشمس يعطي الـ   ـضيا للبدر فَهْيَ له حبيبه
فحين يَحُول ظل الأرض عنها   عراه كثيفة ولقى المصيبه
وشمس غاب عني فاعتراني الـ   ـكسوف وضاقت أنحائي الرحيبه
فإنْ شمسي تعود يعود نوري   وتصفو كل أحوالي التعيبه
فبالله اطلبوا ربي يُعِدْهُ   ويحرسه من النُوَب الشغيبه
ويصحبه بتأييد ولطف   فما يخشى الذي ربي صحيبه

وله في المعنى في القاضي المذكور:

سألت (زبيد) عما قد عراها   من الإظلام في وجهٍ وخدْ
وقلت لها أما سببٌ لهذا   فقالت لي مفارَقةُ الأفندي

وله أرجوزة ضمَّنها أعجاز مِلحة الإعراب في مدح حسام الدين محمد بن يحيى المغربي، سمّاها: «البغيا في مدح الأمير محمد بن يحيى» بثغر عدن، وهي:

مِن بعد حمد الله والصلاة   على النبيْ وآله الهداة
يا من يريد البسط في الكلام   وطوله في النثر والنظام
إن العثار في الكلام المتسع   حد الكلام ما أفاد المستمع
فانتقِ حُسْنَ لفظه والمعنى   ونَوْعه الذي عليه يُبنى
وامدح به مولاك بل مولى الأمم   وذا وتلك والذي ومَنْ وكَمْ
محمد الميمون محمود الصفه   لا يمتري فيه الصحيح المعرفه
مَن قوله للمقتفي ما شئت قل   ومثله أدخل وانبسط واشرب وكُلْ
فاقصده يا من يأمل الكرامه   وقس على قولي تكن علامة
لا تخش لا في قوله وثُمَّا   وبل وهل ولم ولمّا
ومن يُرى عن الأمير يعدلْ   فإنه منكّر يا رجلْ
فاقتنصن من علمه لآلي   لينجلي عنك صدا الإشكال
وهو الذي له الزمان طائعْ   ماض وفعل الأمر والمضارع
وما جرى مِن عزمه والخَدْسِ   فإنه ماض بغير لَبْسِ
فاعمده فيما رُمْت وأسلك الجَدَدْ   واسعَ إلى الخيرات لُقّيت الرَّشَدْ
وإن ترى مَن حاز مغنماً   فأخُذْ على ذلك فيما استبهما
يقول للخازن أطلِقِ المِنَحْ   ولا تُبَلْ أخَفَّ وَزْنٌ أم رَجَحْ
سبيله القطع على الإمضاء   والجزم للفعل بلا امتراء
يُعطي واو عاجلتْ أو كنتَ ضَيِفْ   إذا درجتْ قائلاً ولم تقفْ
ألم تر الدهر علينا طابا   واستوت المياهُ والأخشابا
وعاد ما يُهوى من الأماني   على اختلاف الوضع في المباني
مدحتُه بالنظم ثم النثر   وغصت في البحر ابتغاء الدر
ومذ خدمتُه قررتْ عينا   وطبت نفساً إذ قضيت الدَّينا
وهل يزيح الفقرَ إلا الكرم   وهل محلُّ الأمن إلا الحَرَم
وإن سمعت في الورى ثناه   فارفعه وارفع ما جرى مجراه
لله ما أكرمَهُ لدى العطا   وما أحَدُّ سيفه حين سطا

وكفُّه والجود من عاداتها ... ليستبين فضلها في ذاتها
والقصد أن ليس له مساوي ... في قول كل عالم وراوي
كن مخلصاً وده وسارع ... وأفزع إلى حام حماه مانِع
فمدْحه بين الورى لا يختلفْ ... على تصاريف الكلام المؤتلِفْ
يظفر مَن يقصُدُه بالغَنَاءِ ... بغير إشكال ولا مراء
زيد به يقضي كل دَين ... وخالد منطلق اليدين
كم قد ملاني منه جودٌ مغني ... من الموارد لجبر الوهن
يا طال ما أفضى إلى عائدة ... ثم أتى بعد التناهي زائدة
مدحي له قد شاع بالسناء ... عند جميع العُرْب الغرْباءِ
ولم أزل بجوده مخبِّراً ... مُعظِّماً لقدره مكبِّرا
فكم وكم بفضله أثرت يدي ... وكم إماءٍ ملكت واعبُدِ
ما حاجتي أسألُ أو أستفهمُ ... كقولهم أين الكريم المنعم
قل فيه شكراً إنه أغنانا ... كما تقول يكرم الضيفانا
فيا كريماً ما لنا من يطلب ... سواه والتمثال فيه يضرّب
المال ما لعبدكم مجالُ ... فيه ولا بيع ولا خلال
يتلو من الهموم ما أقاما ... كما تلَوْا يا حسرتا على ما
من ظُلْمِ قاضٍ في الأنام أحمقِ ... وكل لهوٍ دنيويٌّ موبِق
ولو درى الشايبُ هذا أنكرَهْ ... كقولهم يا بَهماً دَعِ الشَّرَهْ
وقل لظالمٍ عدوٌّ هَنِيّا ... وإن تشأ جدعاً له واكِيّا
وِدُّ ما قد راح لي بالعدل ... والزرع تلقاه الحيا المنهلُّ
فيا أميراً كاملاً سعيد ... ومثله يا أيها العميد
خذ الفضل جاك مائل ... وواقفاً بالباب أضحى السائل
حاجته لك قد شكاها وذكَرْ ... فلست تحتاج لها إلى خبر
فاردد بعزمٍ منك ما منه سلف ... من أصله حتى يعود منتصف
وانظر له بفكرك اللطيفِ ... واعطف على سائلك الضعيف
وبشِّرَنْ عبدك بالسعود ... حتى يرى نتائج الوعود
وإن يُرى عودٌ عِداك تام ... فليس غير الكسر والسلام

لا زلت ملحوظاً تقارب رُشْداً ... وأينما تذهب تُلاقِ سعدا
فالبِل زُعيت بغية المستحسن ... جائلة دائرة في الألسن
واعذر محباً إن تعاطى خللاً ... فَجَلَّ من لا عيب فيه وعلا

وللعلامة الأديب جمال الدين وجماعة من الفضلاء تضمين أعجاز «الملحة»، لكن لم يسبق أحدٌ منهم صاحبَ الترجمة في المعاني التي اخترعها، والأساليب التي ابتدعها. وله قصيدة في النصائح والمكارم والصلة، وهي هذه:

زُمَّ الركاب وحُلَّها من عُقْلها ... ودعِ المطايا ترتمي في سُبْلِها
وابعدْ عن الأوطان في طلب العلا ... واترك ديار الذل عنك وخلِّها
لا ترض من دون النجوم بمنزل ... وترق من طل لطائل وَبْلِها
لا ترجِعَنْ القهقرى مثل التي ... نقضت وحلت بعد غزل غزلها
واسمع أُخَيَّ وصية من ناصح ... إن النصيحة ليس يخفى فضلها
انظر إلى الله الكريم ولُذْ به ... واقصده في جُلِّ الأمور ودِقِّها
وإذا الأمور تضايقت وتعقدت ... فاضرع إليه فإنه المرجوْ لها
واجهَدْ على الخيرات تَحْظَ بخيرها ... واحذر يفوتك فرضها أو نفلها
ودع المعاصي والغواية واقبلنْ ... فالله يقبل مَن أناب وقد لَهَا
والنفس أن تَدْعُ فخالف أمرها ... ودع الهوى إن الهوى مِن فعلها
وإذا بدا لك من رفيقك زلة ... فاغفر ولا تجزي المسيء بمثلها
والرفق وافق في أمورك واصطبر ... فالصبر من خير العرى وأجلِّها
وإذا بُليت بشدة فاثبت لها ... حتى تُرى مستبشراً خلَّها
نظراً إلى أن المقدَّرَ كائنٌ ... فعلامَ تجزع يا فتى من أجلها
والصدقَ فالزم في حديثك كُلِّه ... والوعدَ أوف به فذاك أجَلُّها
واترك مصاحبة الكذوب ومن يكن ... عاداته عند النميمة حَمْلُها
وتغاض عن عيب الأنام فإن مَن ... يطلبْ معايبها رَمَوْه بنبلها
عوِّد لسانك كل قول طيب ... فالقول من عقل الرجال ونُبلها
واحفظ حقوق الوالدين وقم بها ... والأهل والأصحاب واحمل ثقلها
وترقَّ في العليا إلى غاياتها ... فبجمعك الخيرات تجمع شملها
وانصَبْ لكسب المال كي تُكفى به ... مِنَن اللئام في الاحتياج لبذلها

فركوبك الأهوال في تحصيله ... عين الرجالة إن تكن من أهلها
بالمال يصفو الدِّين والدنيا معاً ... والمال في أيدي الرجال كعَقلها
فيه المكارم والمآثر في الورىٰ ... وبه الصلات الناميات ووصلها
فانهض له ودع الكسالة إنها ... بئس الضجيعُ فلا تنم في ظلها
واحذر كلام عصابة من عَجزها ... رضيّتْ لباس الافتقار وذلها
تحتجُّ في تفضيله بأدلة ... جهلت حقائق شرطها في فعلها[1]
إن كنت تقوىٰ أن تقوم بشرطها ... طوبىٰ وإلاَّ عُدْ عنها لأهلها
فالفقر كاد يكون كفراً في الورىٰ ... قد قال ذلك فيه خاتِمُ رسلها
والنهي عن جمع الحطام محله ... ما ليس يقصد عند ذلك عدلها
أمّا الذي ينوي الحلال لكي يَصُنْ ... عن وجهه ولكن يَمُنْ بفضلها
من غير ما حرص وغير مكاثر ... فثوابه متعين فافطن لها

وله قصيدة فخرية مشتملة علىٰ مكارِمه الزكية، وشمائل آبائه الكرام السنية:

مثلي يُصَان مدىٰ الأزمان جانبه ... عن الردايا وإن فاتت مطالبه
لا أشرب الماء عمداً فيه بعض قذىٰ ... إذا غضَّ الطرف عما فيه شاربه
وإن يكن مورداً عذباً يحفُّ به ... ذل حلفت يميناً لا أقاربه
وإن يعيرني الفقر محتجب ... كالبدر ما نال وصلاً منه خاطبه
فلست بدعاً فما بالمال مفتخر ... وكل مَن جاد كان الفقر صاحبه
لا أجمع المال عندي جمع ذي أملٍ ... لٰكن أفرّقه[2] إن جاء طالبه
لا قرّب الله مالاً أخُصُّ به ... نفسي ولا كنت مهما كنت حاجبه
لا أطلب المال إلا كي أُصان به ... وكي يقولون لا زالت مواهبه
وقد خبّرت بني الدنيا مدىٰ زمني ... فما لأكثرهم عهدٌ يراقبه
كم جاءني الضرّ ممّن كنت أحسبه ... نفعي وكم عاد ظني فيه خائبه
فلست أحسن ظناً بعدُ في أحدٍ ... من الأنام وإن طالت مناسبه
وفي الحديث لهٰذا القول مستنِد ... يحقق الأمر فيه من يواظبه

---

(١) وردت في «خلاصة الخبر»: في نقلها.
(٢) في أ: أفارقه.

لٰكنني أُظهر الظن الجميل بهم ... كالسيف لانَ وقد ضرت مضاربه
أبدي التغابي عن أشياء أعرفها ... حتىٰ يقال بعيد الذهن عازبه
وإن جفاني صديقي ثم أقبل لي ... قبلته ثم إني لا أعاتبه
ولا أجازي مسيئاً عن إساءته ... بمثلها فأرى أني أناسبه
لا أصحب الفاسق النمّام في زمني[1] ... وكيف يُصحب من دبت عقاربه
ولا أرىٰ لأخ البهتان[2] معذرةً ... في القرب مني، فشرُّ القول كاذبه
ولست ممن تراه العين منكسراً ... لخطب دهر إذا ما قام خاطبه
فقل لدهري إذا ماجد في حربي ... يا أيها الدهر تدري مَن تحاربه
أنا الذي المجد والعلياء مِن خدمي ... وطالع الأفق بين جندي وغاربه
من معشر زان في الآفاق نعتهم ... كالدر ينظمه في السلك ثاقبه
من كل مطلع بالعلم متصف ... بالجود تهمي علىٰ الدنيا سحائبه
وكل طود من الأمجاد تحسبه ... إذا تكلم بحراً جاش غاربه
لا يخضعون لجبار أخافهم ... قد رجّت الأرض من بطش كتائبه
ولا يديثون في سر ولا علن ... إلا بحق وإن أوعت مذاهبه

وله أيضاً في الفتوة والكرم.

ووالله ما جانبت أرضي عن قلىٰ ... ولٰكن بعجزي عن حقوق لوازم
وما العذر لي إن كنت عند قرابة ... يرجون نفعي من فقير وغارم
وما اشتهى طول الحياة للذة ... فعيش ذوي اللذات عيش البهائم[3]
ولٰكن لكسب المجد ما عشت والثنا ... ونفع الورىٰ طراً وبذل المراحم
فإما أنل هٰذا وإلا منيّة ... يُعد لمثلي مثلها في المغانم

وقال وهو في (بدر) محل الغزوة الشهيرة راجعاً من زيارة النبي ﷺ:

ذكرت في بدر بدري عندما غربت ... شمس النهار وضاء البدر بالأفق
فقيل بدرك هٰذا قلت بينهما ... فرق وشاهده في الليل والشفق

---

(١) في «خلاصة الخبر»: في زمن.
(٢) في أ: لأخي البهتان.
(٣) في تاريخ الشعراء الحضرميين: عيش بهائم.

وله أيضاً:

وزارني طيف من أهواه مستتراً … عني وليس ما أدريه عن صفته
فقلت واعجباً الرؤيا ورؤيته … شتان في منع ما أبغيه[1] من جهته
وَهَبْتُهُ في لقظة وندري فكيف به … في النوم أن يهتدي ظناً بمعرفته

وله أيضاً:

قالت لأترابها لمّا عرضت لها … يوماً وقد سفرت في الحلي والحلل
بالله تعرفنّ من هٰذا؟ فقلن لها … صَبٌّ عميد بذات الغُنج والكحل
قالت وتعرفن من يهواه قلن نعم … رفقاً به خلق الإنسان من عجل
قالت وقد عرفت أن قد فطِنَّ لها … وساءها فهي بين الخوف والخجل
اكتمن ذاك فإنني قد شغفت به … وقد بُليت بما مني الحبيب بلي

وله أيضاً:

يا قريب الفرج عبد على الباب واقف … كل آيس يرجو من جنابك لطائف

وله أيضاً:

يا سادة عودوني كل مكرمة … لا تقطعوا البر عن مملوككم وصِلوا
وجمِّلوا الحال فالدنيا مجاملة … والخير أبقى وكل المال منتقل

وله:

لا تنس من لم ينس ذِكرك ساعة … وانظر إليه بعين ودّ واعطف
أوليس منسوباً إليك وإنه … فرض عليك عرفت أو لم تعرف

وله أيضاً لمّا بلغه ما حصل على (بندر الشحر) من الجور والخراب، وانتقال بعض محبيه وهو بعدن[2]:

لئن صح هٰذا العلم فالشحر بعدكم … حرام علينا ظلها وفناؤها
وكيف يقيم المرء في سوح بلدة … وقد دان منها موتها وفناؤها

وقد وقف السلطان بدر بن عبد الله على آخر بيتين قد أكل أولهما الغث آخر

(١) في أ: ما أبطنه.
(٢) في «خلاصة الخبر»: وانتقال بعض محبِّيه إلى عدن.

الأول: كيف حاله، وآخر الثاني: لا كرى له، فطلب أن يعمل ما له ما يناسب ذلك، فقال:

وقائلة بالله صف لي متيماً … أضرُّ به طول النوى كيف حاله
فقلت على نوعين أما نهاره … فيبكي وأما ليله لا كرى له

وكان السلطان بدر كثير الاعتناء به، والتعظيم له، والتوقير لمنصبه، والاغتباط به، والامتثال لأمره، والانقياد له. وكان يجيزه الجوائز الجزيلة الجسيمة والعطايا العظيمة، وكان يكتب عنه الرسائل وجواباتها لسلاطين بني عثمان وباشاتهم، وإلى (الحجاز) و(الهند). ووقف على قصيدة لبعض الحنابلة يقول في أبياتها:

فالآن أهجو الأشعري وحزبه … وأذيع ما كتموا من البهتان
أشعرتم يا أشعرية أنني … طوفان زجر أيما طوفان
أنا همكم أنا غمكم أنا سمُّكم … أنا سهمكم في السر والإعلان
بين ابن حنبل وابن إسماعيلكم … فرقٌ وأنى يستوي الرجلان
فعليكم وعلى ابن إسماعيلكم … سخطٌ يذيقكم الحميم الآن
فالله يلعنكم ويلعن شيخكم … أبداً ولست بمؤمن لعّان

فرد عليه صاحب الترجمة بقوله:

أخطأت في هجو الإمام وحزبه … فهمُ دعاة الحق للرحمٰن
لولا الإمامُ الأشعري ونصره … للسنة البيضاء كلَّ أوان
ركب الفلاسفة الطغاة ظهورنا … وتلاعبوا بالدِّين والإيمان
وكذاك معتزل وذو جهمية … وكذا ابن كرّاميّها الفتان
لولا الأشاعرة الكرام لطُبِّقت … بدع الضلالة جملة البلدان
لٰكنّ ألسُنهم وأقلاماً لهم … أزرت بكل مهند وسنان
فالله يلعن كل ذي بغض لهم … وملائك الملكوت والثقلان
هيهات يا مسكين صرت بخلوة … فرداً فقلت مقالة العدوان
لو كان عندك منهمُ أدناهم … في العلم والتحقيق والإتقان
ما فُهْتَ من هٰذا الكلام بلفظة … ولأُبْتَ منه بحالة الخزيان

ورجعت عن ذا القول رجعة صاغر ... متأدب مستغفر ندمان
لكنْ إذا يخلو الجبان بموضع ... طلب الطعان ولات حين طعان
أفرطت في الدعوىٰ العريضة كاذباً ... بئس انتصار المرء بالبهتان
وجريت في ميدان غيّك خالياً ... فيه عن الأبطال والشجعان
فظننت أنك قد قتلت كتائباً ... وهزمتهم بمجرد الهذيان
أشبهت من طعن الفضاء وعنده ... أن قد أجاد الطعن في الأبدان
هذا لعمركم الجنون بعينه ... إن الجنون معرة الإنسان
لقد افتريت علىٰ ابن حنبل إنه ... من حزن أهل الحق والعرفان
منا وفينا ليس منكم فاعلموا ... يا تابعين خدائع الشيطان
فعليكم سخط الإله ولعنه ... والأنبيا وملائك الرحمٰن
في هٰذه الدنيا ويصليكم غدا ... يوم الجزا في أسفل النيران

وله من المقطعات الغزلية التي تحتمل قافيتين:

قلت سلام الله من مغرم ... ما إن سلا عنكم فقالوا سلا/ مْ
فقلت هل ترضون لي وقفة ... قالوا فما تطلب قلت الكلا/ مْ

وله:

يا بدر تم ما له مشبه ... ومن له الحسن البديع الجلي/ ل
أثقلني بعدك غب الهوى ... فامنن بوصلٍ كي أكون لك الخلي/ ل

ونظمه ـ رضي الله عنه ـ كثير مشتمل علىٰ الفصاحة والبلاغة ومهمات فوائد الأدب والبراعة.

وامتدحه جماعة من فحول الشعراء وفضلائهم، منهم: العلامة الأديب البارع عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي، والعلامة جمال الدين محمد بن عبد القادر بن أحمد الإسرائيلي الحبّاني، والفقيه الأديب محيي الدين عبد القادر بن عبد الله بافضل العدني، والشاعر الأديب البليغ يحيىٰ الدمشقي، والأديب سالم بن محمود الحكيم النقاش، والأديب الفقيه عبد الله باقبي الدوعني، والشاعر البليغ الشريف أحمد باشويه، به، وحصل لهم منه الإحسان التام، والمعروف الوافر العام.

وما أحسن قول محيي الدمشقي فيه:

يا عمري الأصل أنت مالكي ... وناقعي بفضله بين البشر
ها قد رفعت مسندي إليكم ... لمالك لنافع لابن عمر

وأثنىٰ عليه الجم الغفير من العلماء المبرزين، والفقهاء المدرسين، والأولياء العارفين؛ كالشيخ الإمام مفتي عدن) وقاضيها، وعمّه جمال الدين الطيب بن عبد الله بامخرمة، وكان يقول: لا أستطيع علىٰ ما يستطيعه ابن أخي عبد الله في حل المشكلات وتحرير الجوابات علىٰ المسائل الغامضات.

وشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن محمد الطنبداوي، فإنه لمّا دخل (زبيد) سنة (٩٤٦هـ) ـ ست وأربعين وتسعمائة، حضر درسه، وسلّم عليه، ولم يعرفه، فسأله عن اسمه، فعرفه، فقال له: أنت الفقيه العالم؟ قال: لا، بل ذاك جدي عبد الله بن أحمد، قال: لست أعنيه بل أعني حفيده الموجود الآن بـ (الشحر)، فقال بعض الحاضرين: هو هذا، فنهض بيده ـ وكان كبيراً مسناً لا يقدر علىٰ القيام إلا بأحد يستعين به، وقد ضعف بصره ـ حتىٰ استوىٰ قائماً، ومد يده، وأعاد التحية والمسالمة، ثم قال: وردت علينا بالأمس مسألة في الحيض لم تظهر لي أريد أن أسألكم عنها، فقال الفقيه عبد الله: ليس عبدكم أهلاً لذلك، بل إن عندي مسائل لم تظهر أريد أن أسألكم عنها، فقال الشيخ: لقد رأيت أجوبتك وفتاويك علىٰ سؤالات ما أجد في وقتنا من يحرر مثلها، ثم أورد المسألة، فأجاب عنها صاحب الترجمة، فظهر في وجه الشيخ البشر، والتفت إلىٰ العلامة عبد الرحيم بن عبد الكريم بن زياد أجلّ تلامذته، وقال: أليس ظهر لي فيها بالأمس ما ظهر لهذا الإمام؟ قال: نعم. ثم رحل صاحب الترجمة إلىٰ (مكة)، ولمّا رجع إلىٰ بلده.. كتب للشيخ شهاب الدين الطنبداوي كتاباً يطلب منه أن يجيزه، فكتب في جوابه: وذكرتم[1] إنكم مقلون في الطية، شفاك الله بشفائه ومتع بطول بقائكم المسلمين، وأقول كما قال للشيخ أبو إسحاق لمّا بلغه مرض إمام الحرمين:

ألمُ ألمْ بمهجتي ... لمّا قيل إنك تشتكي
يا واحداً لزمانه ... بعداك لابك ما حكي

(١) في «خلاصة الخبر»: وذكرتم ما بكم من الألم شفاك الله بشفائه.

وذكرتم أنكم بلغتم السلام سيدنا رسول الله ﷺ وعلىٰ صاحبيه، فجزاكم الله أفضل ما جزىٰ مؤتمناً علىٰ من ائتمنه، وما ذكرتم من أمر الإجازة من المملوك، وإن لم أكن أهلاً له، فالمملوك يجيبكم إلىٰ ذلك، مراعاة لكم بحسن الانتظام في سلك سلسلة مشايخنا، لكن الأمر يحتاج إلىٰ مدة، والورقة كتبت، وحاملها علىٰ جناح سفر، ولا بد [أن] يصلكم جميع الإجازة قريباً إلىٰ (الشحر) في جميع ما يجوز لنا روايته، ووالله إني أعتقد فيك أنك أوحد علماء العصر، وذلك لِمَا وقفت عليه من فتاويك بأيدي الأشراف أصحابكم آل باعلوي، وهي كلها منقحة.. زادكم الله علماً وحلماً، ومتع بكم المسلمين، وكان الله لكم ولنا وبكم حَفَّنا، جزاكم الله عن المسلمين أفضل الجزاء، وكافأكم بالحسنىٰ، فأنتم في أمان الله وحفظه. انتهى.

وحكىٰ الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله باعمران الشحري ـ وهو أجلّ تلامذة الفقيه عمر بامخرمة ـ قال: سمعت شيخنا عمر في بعض أوقات بَسْطه يقول: حصل علىٰ ولدي عبد الله مرض شديد في أيام صغره، وكدنا أن نيأس من حياته، وكنت ذات يوم عند رأسه مندهش الحال مما شاهدت ما هو فيه، وذلك لِمَا ركب الله الشفقة جبلة في طبع الوالد، فسمعت هاتفاً يقول: لا تخف يا عمر علىٰ الولد. فإن الله يريد أن ينفع به المسلمين، قال عبد الرحمٰن المذكور: الحمد لله الذي أراني ما أخبرني به شيخنا عمر مشاهدة في ولده، وأقر الله عيني بذلك. انتهى.

ولم يزل علىٰ ما مر إلىٰ أن جاءه الأجل المقدر، وتلىٰ لسان حاله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾[1]. وانتقل بثغر (عدن)، ودفن في مشهد العارف بالله جوهر في داخل القبة في القبر الذي دفن فيه القاضي محمد بن سعيد كبن وجدُّه عبد الله. رحمهم الله ونفعنا بهم.

[تقي الدين الفتوحي]

وفيها [٩٧٢]: في تاسع صفر، توفي العلامة تقي الدين بن شهاب الدين

(١) سورة نوح، الآية ٤.

أحمد الفتوحي، الحنبلي، الشهير بابن النجار. أحد العلماء الأخيار، المشهورين في سائر الأقطار، تربى في حجر والده الإمام أحمد، واشتغل عليه بالعلوم الظاهرة، والفنون الشهيرة الفاخرة، وأخذ عن غيرهم من علماء عصره، ومشايخ مصره. واجتهد في الاشتغال، وسهر في طلب العلوم الليالي، حتىٰ نال منها ما نال، وعُدَّ من أكابر فحول الرجال، مع ملازمة التقوىٰ، وما يحبه الله ويرضى. وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الإمام أحمد، ولم ينل ما ناله من أقرانه أحد، وكان شيخه الشيخ شهاب الدين الرملي يقول: إذا ذهب أحمد ذهب مذهب الإمام أحمد من مصر، فكان كما قال. وطُلِب للقضاء، فأبىٰ، واتفق أهل مصر علىٰ أنه أهل لتولية القضاء، فامتنع، فأشار عليه بعض العلماء بأنه يتعين عليك، فأجاب لأجل مصلحة المسلمين، فسار في الناس أحسن سيرة، وما يرضاه عالم السريرة.

وكان كثير الأدب مع جلسائه، يود جليسه أن لا يفارق ملمس خلقه وعذوبة نطقه، وما استغاب أحداً قط. ولم يزل علىٰ عبادة الله بالليل والنهار، حتىٰ انتقل من هذه الدار، إلىٰ دار البقاء والقرار. وصُلي عليه بالأزهر، وقُبر بمقبرة المجاورين بجوار الإمام محمد القلعي. رحمهم الله تعالىٰ، ونفعنا بهم.

[محمد البرهمتوشي]

وفيها [٩٧٢]: في جمادى أولى، توفي العلامة شمس الدين، محمد بن البرهمتوشي، الحنفي. أحد العلماء الأفاضل، الأدباء الأماثل. كان فريد عصره، ونادرة زمانه ودهره، في العلم والعمل الصالح، والسعي في المصالح. أخذ عن نور الدين الطرابلسي، وشهاب الدين الشلبي، والمُجْمَع علىٰ جلالته الشيخ مغوش المغربي المالكي ـ حين قدم من الروم إلىٰ مصر. وبرع في الفقه والعربية والتصوف، ولم يزل يزداد في العلم والعمل حتىٰ رحل عن هذه الدار، وانتقل ودفن بمقبرة المجاورين بجوار تربة قايتباي. رحمهم الله.

[أحمد القشني]

وفيها [٩٧٢]: توفي الشيخ شهاب الدين، أحمد القشني، المالكي، المصري. أحد علماء تلك الديار، المواظبين علىٰ العلم بالليل والنهار. أخذ عن الشيخ الإمام المغوشي ـ عالم تونس ـ ولازمه حتىٰ تخرج به، وأخذ عن غيره من

العلماء، وصحب جماعة من الأولياء، وأضاف إلىٰ العلم العمل، ومشىٰ علىٰ طريقة لا عوج فيها ولا خلل، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله عز وجل.

سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة

[أحمد بن علوي باجحدب]

توفي الإمام السعيد الهمام، والسر القوي، أحمد بني علوي بن المعلم محمد، الشهير بـ (جحدب)[1]. مفخر السادة الأعيان، والكبراء الأعزة أولي الشأن، الساري ذكره مفخرة علىٰ عمر الزمان، ذو المجد الزاهي الزاهر، والفضل الباهي الباهر، والكمال الفائق الفاخر، والحسب والنسب الطاهر الظاهر. وُلد بمدينة (تريم)، ولاحظته عناية ربه الكريم، وحفظ القرآن العظيم، وكثيراً من المتون. وتفقه علىٰ ذي القدر العالي المنيف، القاضي أحمد شريف، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج. وأخذ التصوف عن السيد الولي عبد الرحمٰن بن علي، وأخذ عن المحدث محمد بن علي معلِّم، وغير هؤلاء من علماء زمانه، وفضلاء دهره وأوانه، وعني بعلم الفقه والتصوّغ والحقائق، وأجازه أكثر مشايخه في التدريس، وألبسه جماعة كثيرون.

منهم: السيد عمر بن محمد باشيبان صاحب «الترياق الواق»[2]، والسيد

(١) انظر: (النور السافر ٢٥٤، شذرات الذهب ٨/ ٤٣٤) ـ وعن لقب آل باجَحْدَب، قال العلاّمة محمد الشاطري في معجمه: هم سلالة علي جحدب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن علوي بن الفقيه المقدم. وجحدب ـ بفتح الجيم والدال وسكون الحاء، ويقال دحيح، ولم أجد في المصادر التي بين يدي سبب تلقيبه بهذا اللقب، وقد يقال من المحتمل أن تكون له علاقة بقرية الجحادبة باليمن وأحدهم جحدب، ويقال إن الجحدب أو الدحيح القصير بالعامية ولا يبعد أن يكون كذلك.

(٢) عمر بن محمد بن أحمد باشيبان: من علماء حضرموت الكبار، ولد سنة ٨٨١هـ واشتغل بعلوم الصوفية. توفي سنة ٩٤٤هـ. وعنوانه كتابه المذكور: «ترياق أسقام القلوب الشافي في ذكر حكايات السادة الأشراف» ـ خ ١٠٥٣ بالمتحف البريطاني ١١٢، رتبه على ثلاثة أقسام: الأول في فضل الأولياء والصالحين، والثاني في ذكر كرامات الأولياء والسادة، والثالث في فضل أهل البيت، والخاتمة في فضل مدينة تريم. (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٤٧٨).

الجليل حسين بن أحمد قُشَم.

ورحل إلىٰ الحرمين، وأخذ عن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ محمد بن عراق، وأذنوا له في التدريس والإلباس والتحكيم.

ولمّا عاد إلىٰ بلده (تريم).. جلس للدرس والتعليم، فأنثالت عليه طلبة العلوم والعرفان، من جميع البلدان. وكان أكثر اعتنائه بكتب الإمامين الشهيرين حجة الإسلام الغزالي، ومحيي الدين النواوي، وكَثُر اعتناؤهُ بكتابي «الإحياء»، و«الرسالة»، فكان لا يترك درسهما في كل حالة، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرج به جماعة كثيرون؛ منهم: السيد الجليل محمد بن عقيل، والقاضي السيد محمد بن حسن، والعارف بالله أبو بكر بن سالم، والسيد أبو بكر بن علي خرد، والسيد محمد مقيبل، والشيخ أبو بكر باجثات، والشيخ علي بامحسون، والشيخ عوض بامختار، والشيخ سعيد بن سالم الشوّاف، والعلامة عبد الرحمٰن العمودي، وكان الشيخ أحمد بن حسين العيدروس يقرأ عليه، ويتمثل بين يديه، ويحبه ويشير إليه.

ومدحه جم غفير من أهل زمانه، من مشايخه وأقرانه، نظماً ونثراً، لا سيما العارف بالله تعالىٰ الشيخ أحمد بن حسين العيدروس، في كتابه الذي ألفه في مشايخه[1]، فإنه أطال في مدحه الكلام، وأطلق عِنان الأقلام، وناهيك بشهادة هٰذا الشيخ الإمام، وكان قلبه خزانة العلوم الشرعية، والنقلية والعقلية، وعلوم السادة الصوفية.

وكان يخرج عن خلاف المُجمع عليه من مذاهب العلماء؛ فيجتهد أن تكون جميع أعماله مجمعاً عليها من عبادة ومعاملة وعادة؛ كملبس، ومطعم، ومسكن. وكان يطوي الأيام العديدة، ويكتفي بتمرة عند الإفطار، وترك أكل اللحم والسمن والعسل والرُّطَب سنين عديدة، ويتغذىٰ بقليل لبن، ثم تركه واكتفىٰ بالقهوة، فلامه تلميذه العلامة السيد محمد بن حسن في الأكل، فقال: ليس لي شهوة في الطعام، فقال: الأكل بما يقوِّم هٰذه البنية لازم.

(١) عنوان كتابه «الإرشاد» وانظر عنه: (المشروع الروي، شمس الظهيرة ص ١١٣).

واجتهد في الحلال، وصار يعمل له خبز البر مع اللبن، فيأكل منه يسيراً، ثم يُقسِّم علىٰ مَن حضر عنده، وألحَّ تلميذه العارف بالله تعالىٰ أحمد بن حسين العيدروس في الزواج، فقال: شيء تركته لله لا أرجع فيه.

وكلما دخل عليه شيء من المال.. تصدق به علىٰ الفقراء في الحال. وكان يقبل الهدية ويجزي عليها.

وكان مجاب الدعاء، ما دعا بشيء إلا جاءت كفلق الصبح، وما دعا علىٰ أحد قط، ولا سب أحداً، ولا اغتابه، وما ذُكِرت الدنيا بحضرته، وإذا حضر عند أحد.. جلس متأدباً كأن علىٰ رأسه الطير.

وله كرامات كثيرة، وكان لا يظهرها إلا لضرورة أو حاجة.

منها: أنه كان لا يقبل من ولاة الأمر شيئاً، فأرسل إليه بعضهم علىٰ يد رجل بعيد عنهم يعود بعُود عال؛ لما قيل له إنه يحب البخور، وإنه يقبل الهدية، فلم يقبله.

وأرسل له بعضهم بشاة ذات لبن علىٰ يد بدوي، فلم يقبلها.

وبعضهم بلبن علىٰ يد امرأة غريبة، فلم يقبل من ذلك شيئاً.

وكان ينهىٰ عن صحبة الولاة والنساء والأحداث.

وترجمته تحتمل مؤلفاً مستقلاً، لكنه كان يكره المدح وينهىٰ عنه، وقد ذكرت ترجمته بأطول مما ذُكر هنا في «المشرع الرّوي» في «مناقب بني علوي».

ولم يزل يترقى في الأحوال والمقامات، إلىٰ وقت الممات، ورحل من هذه الدار، إلىٰ دار القرار. وكان انتقاله يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان، وازدحم الناس علىٰ حمل جنازته التماساً لبركته، ودفن بمقبرة (زنبل) من جنان بشار. رحمه الله تعالىٰ رحمة الأبرار، وأسكنه وإيانا دار القرار.

[محمد بن حسن السقاف]

وفيها [٩٧٣]: ليلة الثلاثاء منتصف شوال، توفي القاضي، محمد بن حسن ابن الشيخ علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[1]. جميل الذات والأوصاف، ومرجع بني علوي السادة الأشراف، مَن خُصَّ بالأخلاق الرضية،

(١) انظر: (النور السافر ٢٥٥).

وتناهىٰ بالشمائل المرضية، ذو المكارم التي أبد الدهر لا تبلىٰ، والمجد الذي يعلو ولا يُعلىٰ. وُلد بمدينة (تريم) بأحسن حال وأعظم نعيم. وحفظ «القرآن العظيم»، و«الإرشاد»، و«ألفية ابن مالك» وغيرها، وعَرَضها علىٰ مشايخ عصره، وأخذ عنهم علوماً كثيرة؛ كالتفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والعربية. فمن مشايخه في (تريم): العارف بالله أحمد بن علوي باجحدب، أخذ عنه التصوف، وألبسه الخرقة، وحكَّمه، وكان يحبه ويثني عليه[1]، ودعا له بدعوات صالحات، عادت عليه بأعظم الخيرات والبركات.

وتفقَّه بالقاضي المنيف، السيد أحمد شريف[2]، ولازمه في دروسه الفقهية حتىٰ برع فيها، وأخذ عن أخيه المحدث محمد بن علي مصنف «الغرر»[3]. ورحل إلىٰ (اليمن)، ودخل مدينة (عدن)، ومدينة (زبيد)، ورحل إلىٰ الحرمين وجاور بـ (مكة) سنين، وأخذ عن العلامة أحمد ابن حجر الهيتمي، والشيخ أبي الحسن البكري، والعلامة عبد العزيز بن علي الزمزمي، والعلامة عبد الرحمٰن الدَّيْبَع وغيرهم. وأجازوه في جميع مروياتهم، وفي التدريس والإفتاء.

وعاد إلىٰ بلده وقد تضلع من العلوم، وتقلد من جوهرها المنظوم. وجلس للتدريس فدرَّس، وقُصد بالفتاوىٰ فأفتىٰ، وانتفع به خلق كثير من جميع البلدان، وتخرج به جماعة من الأكابر والأعيان. ثم طُلب لقضاء مدينة (تريم)، فوليه بعد الامتناع بجهد عظيم، فسار بالناس أحسن سيرة، وما يرضاه عالم السريرة، مع ملازمة التقوىٰ، وخشية الله في السر والنجوىٰ، والمواظبة علىٰ السنن الشرعية، والآداب النبوية، وكثرة الطاعات، وحضور الجمعة والجماعات، مع خُلق ألطف من النسيم، وحُسن معاشرة ومخاطبة ألذ من العافية للبدن السقيم، إلىٰ سماحة نفس لا تقاوَم، وكرم لا يقاس إلا بحاتم. ولم يزل متصفاً بأحسن الأحوال، مترقياً في صفات الكمال، إلىٰ أن وافاه الانتقال، ودفن بمقبرة (زنبل). رحمه الله عز وجل.

(١) في «خلاصة الخبر»: وكان يثني عليه ويحبه.

(٢) الملقب خُرد.

(٣) «غرر البهاء الضوي في مناقب بني علوي».

[محمد بن علوي الشيبة]

وفيها [٩٧٣]: توفي السيد الجليل ذو المجد الأثيل، محمد بن علوي بن أحمد قُسَم بن علوي الشَّيْبَة[1]. السيد الهمام، عالي الرتبة والمقام، الحائز قصب السبق في المضمار، نخبة السادة الأخيار. وُلد بمدينة (قَسَم)[2]، ونشأ بها، وأخذ عن بعض علمائها، وصحب جماعة من فضلائها. ورحل إلىٰ (تريم)، وأخذ عن جماعة من ذوي الفضل العظيم، واجتهد في الأعمال الصالحات، مع حسن النيات. وكان ملازماً للجمعة، إماماً في مسجد (قَسَم) المشهور، وكان الناس تحرص علىٰ الصلاة خلفه. وكان علىٰ جانب عظيم من الورع والزهادة، وملازمة الصلوات والعبادة، محافظاً لجميع أعضائه وإحساسه، مراعياً لأوقاته وأنفاسه. وكان لا يتكلم إلا عن ضرورة، [و] لا يجتمع بالناس إلا وقت صلاة الجماعة، أو غيرها من الطاعة. وكان يحب الفقراء والضعفاء، ويحسن إليهم، ويحن عليهم، متقللاً من الدنيا، قانعاً منها باليسير. ولم يزل علىٰ هٰذا المقام حتىٰ وافاه الحمام، ودفن بمقبرة (قسم). رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به آمين.

[عبد الوهاب الشعراوي]

وفيها [٩٧٣]: توفي الشيخ، عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراوي[3]. ويتصل نسبه بالإمام محمد بن الحنفية رضي الله عنه. وهو الشيخ الإمام العامل، والهمام العالم الكامل، إنسان عين ذوي الفضائل، وعين إنسان الواصلين من ذوي الوسائل الفقيه، المحدِّث العابد، الصوفي المربي الزاهد. وُلد سنة تسعمائة ببلدة (قلقشندة)، ونشأ بها، وظهرت عليه علامة النجابة، ومخائل الديانة والولاية، فحفظ «القرآن العظيم»، و«أبا شجاع»، و«الأجرومية»، وهو ابن سبع سنين. ثم انتقل أبواه وهو طفل، فانتقل من الريف إلىٰ (مصر)، في غرة

(١) عن أسرته، انظر: (شمس الظهيرة ١/٣٣٨، المشرع الروي ١/١٧٧، ٢/٤٢، و٦٨، المعجم اللطيف ١١٥).

(٢) قَسَم: بلدة في شمال مدينة تريم، تقع بين الثقرة وقبر هود.

(٣) انظر: (الأعلام للزركلي ٤/١٨٠، جامع كرامات الأولياء ٢/١٣٤، معجم المؤلفين ٦/ ٢١٨، شذرات الذهب ٨/٤٣٧) وقد ورد في بعض المصادر بلقب: الشعراني.

إحدىٰ عشرة وتسعمائة، وعمره نحو اثنتي عشرة سنة، فقطن بجامع الغمري، وجدَّ واجتهد. وحفظ عدة متون، منها: «منهاج النواوي»، و«الألفيتين»، و«التوضيح»، و«التلخيص»، و«الشاطبية»، و«قواعد ابن هشام»، وحفظ «الروض» إلىٰ باب القضاء علىٰ الغائب، قال تلميذه عبد الرؤوف المناوي: وهٰذا من كراماته، فقد وقفت علىٰ ما لا يكاد يُحصىٰ من الطبقات والتواريخ، فلم أر في ترجمة أحد من الأعيان، أنه حفظه ولا بعضه.

وعرض محفوظاته علىٰ مشايخ عصره، وأخذ عن الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري، فقرأ عليه «شرح المنهاج»، و«جمع الجوامع» للمحلِّي، و«حاشية ابن أبي شريف»، و«شرح ألفية العراقي» للسخاوي، وشرح «ألفيه ابن مالك» لابن عقيل، وسمع عليه الكتب الستة وغيرها.

وقرأ علىٰ الشمس الدواخلي «شرح الإرشاد»، و«الروض»، وغيرها في الأصول والفقه، والنحو والمعاني والبيان، وعلىٰ النور المحلي في الأصول، و«شرح المعلقات السبع»، و«شرح المقاصد»، وغيرها. وعلىٰ النور الجارحي «الشاطبية»، وغيرها. وعلىٰ مُلاَّ علىٰ العجمي عدة كتب في النحو، وعلىٰ الحافظ القسطلاني غالب شرحه علىٰ «البخاري»، و«المواهب»، وعلىٰ الأشموني بعض «المنهاج وجمع الجوامع»، و«الألفية». وعلىٰ شيخ الإسلام شرح «رسالة القشيري»، و«الروض»، و«التحرير»، و«آداب البحث»، وغيرها. وعلىٰ الشهاب الرملي ثلاثة أرباع الروضة.

وحُبِّب إليه الحديث فلزم الاشتغال به، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين، ولا كدورة الفقهاء، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، له دربة بأقوال السلف، ومذاهب الخلف، وكان ينهىٰ عن الحط علىٰ الفلاسفة، وينفر ممن يذمهم بحضرته، ويقول: هؤلاء عقلاء.

ثم أقبل علىٰ الاشتغال بالطريق، فجاهد نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع علىٰ الأرض ليلاً ولا نهاراً، بل اتخذ له حبلاً في سقف خلوته، فيجعله في عنقه ليلاً حتىٰ لا يسقط، وكان يطوي الأيام المتوالية، ويديم الصوم، ويقتصر علىٰ الفطر بأوقية من الخبز، ويجمع الخرق، ويتَّخذها مرقعة

يستتر بها. وكانت عمامته من شراميط الكتان وقصاصة الجلود، واستمر على ذلك حتى قويت روحانيته، فصار يطير من صحن جامع الغمري إلى سطحه، ولازم الشيخ نور الدين الشوني في الجامع الأزهر خمس سنين، ثم قال له: ألا تجمع لك جماعة في جامع الغمري وتسهر بهم، لعل يحصل ثَم من يوافقك؟ فجلس سنة (٩١٦هـ) ـ ست عشرة، فاجتمع عنده خلق كثير، وأوقدوا شموعاً وقناديل، ثم انشرح صدره لقراءة (الكوثر) ليلة البدر[١] ألف مرة قبل (الإخلاص)، ولمّا بلغ ذلك نور الدين.. فعله في الأزهر، وكان نور الدين لا يسهر إلا ليالي الوتر من العشر الأخيرة، فبلغه أن الشعراوي سهرها كلها، فانشرح صدره لذلك، فسهرها كلها، وقال: ليلة القدر واحدة لا تتعدد، وربما اختلفت مطالع الهلال، وربما جاءت في الأشفاع.

وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء، فلا يختمه إلا عند الفجر.

ثم أخذ عن مشايخ الطريق، فصحب الخوّاص، والمرصفي، والشناوي، فتسلّك بهم، وكان علي الخوّاص فطامه، فلمّا مات الخوّاص.. جاءه جماعة وقالوا له: اجلس مكانه، فقال: هو ما عملني شيخاً، قالوا: نحن نعملك شيخاً علينا، فقال: أمهلوني الليلة حتى أنظر، فلمّا أصبح.. قال لهم: رأيت الليلة أني أخيط النعال العتيق، وكلمّا خطت شيئاً، تفتق وعاد كما كان، ولا خلاص لي في ذلك.

ثم تصدى للتصنيف، فألّف كتباً كثيرة، منها: مختصر الفتوحات، ومختصر سنن البيهقي الكبرى، ومختصر تذكرة القرطبي، والميزان، والبحر المورود في المواثيق والعهود، وكشف الغمة عن جميع الأمة، والمنهج المبين في أدلة المجتهدين، والبدر المنير في غريب أحاديث البشير، ومشارق الأنوار القدسية في العهود المحمدية، ولواقح الأنوار، واليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر، والجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، وطبقات ثلاث، ومعجم الأكياد في نوادر الاجتهاد، ولوائح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن، وحد الحسام على من

(١) في «خلاصة الخبر»: ليلة الجمعة.

أوجب العمل بالإلهام، والبرق الخاطف لبصر من عمل بالهواتف، ورسالة الأنوار في آداب العبودية، وكشف الحجاب والران عن أسئلة الجان، وفرائد القلائد في علم العقائد، والجواهر والدرر، والكبريت الأحمر في علوم الكشف الأكبر، والاقتباس في القياس، وتنبيه المغترين، والمنن، ذكر فيه ما منّ الله به عليه، وغير ذلك، وقرض له على بعضها علماء عصره.

وغلب الحسد على طائفة من الفقهاء والمتصوفة، فدسوا عليه في بعضها كلمات يخالف ظاهرها الشريعة، ومسائل تخالف الإجماع، وقاموا عليه، وشنعوا، وبالغوا، فخذلهم الله تعالى وأظهره عليهم. وكان متحملاً للأذى سالكاً طريق العفو، موزعاً أوقاته على العبادة، ما بين تصنيف وتسليك وإفادة، مبالغاً في الورع والزهادة، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه، حتى ملبوسه.

وكان يجتمع عنده بزاويته من العميان وغيرهم نحو مئة، فيقوم بهم نفقة وكسوة. وكان وافر الجاه والحرمة، يأتي إلى بابه الأكابر والأمراء، فتارة يجتمع بهم، وتارة لا. وكان يُسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً، ما بين قارىء وذاكر، ومتهجّد ومطالع. وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ، ويستمر جالساً من العشاء إلى الفجر، لا يفتُر ولا ينعس. ولا يخل بالحضور مع الفقراء ولو مريضاً.

وكان المؤذنون يصعدون المنائر من نصف الليل، فيحصل إيقاظ النوام، والاشتغال بالذكر والتهجّد والقيام، والأنس التام، ما يثلج الصدور، ويحث على فعل الخيور.

ومن كلامه: دوروا مع الشرع كيف كان، لا مع الكشف؛ فإنه قد يخطىء، وقال: حُكم الرؤيا ونحوه واقع للكل من الأمة بقدر ما بقي فيهم من البشرية، فإن الجِرْم البشري يرق ولا ينقطع.

وقال: سمعت هاتفاً في سجودي يقول لي: إن أردت أن تكون من أهل الله.. فلا تكن من أهل الدنيا، ولا من أهل الآخرة. قلت: كيف ذلك، قال: لا تحب شيئاً في الدارين إلا لأجله.

وقال: غير التوحيد من صلاة النفل والقراءة فالوصول به بعيد؛ لأنه إنما هو

من أوراد الكل بعد معرفة الله وزوال الحجب، وأما المريد فليس المطلوب منه إلا العمل على جلاء قلبه.

وقال: ما واظب أحد على الدعاء للخضر عليه السلام إلا اجتمع به قبل موته، ولا يجتمع بأحد إلا ويعلّمه ما ليس عنده، وما من وليّ إلا ويجتمع به، لكن يأتي العارف في اليقظة، والمريد في النوم؛ فإنه لا يطيق صحبته في اليقظة.

وقال: من لم يكن له حال يحميه من تصرف الولاة فيه.. ليس له التظاهر بالمشيخة.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة الفقه، عكس ما عليه بعض المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فتركوا مطالعته وقالوا: إنه حجاب؛ جهلاً منهم.

وقال: للتلقين ثمرة عامه وخاصة. فالعامة: الدخول في سلسلة القوم، فيصير كأنه حلقة منها، فإذا تحرك في أمر.. تحرك معه جميع السلسلة، ومن لم يتلقن.. فهو كالحلقة المنفصلة، إذا تحرك لأمر دهمه.. لم يتحرك معه أحد والخاصة: تلقين السلوك بعد دخول السلسلة، وصورتها: أن يتوجه الشيخ ويُفرغ قلبه على المريد ـ مع قوله: قل لا إله إلا الله ـ جميع ما قسم له من علوم الشريعة فلا يحتاج بعده لمطالعة كتاب.

وقال: للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ سماع ملك الوحي ورؤيته، وللأولياء سماع ملك الإلهام فقط، أو رؤيته فقط.

وقال: ذرة من العبادة مع الإقبال على حضرة الله تعالى.. خير من أمثال الجبال منها مع الملل.

وقال: تكلم الشبلي في علوم القوم جهاراً فأنكر عليه الجنيد صيانة لذلك وزجره، ولذلك جعلوا طريق الجنيد طريقاً مقوّماً.

وقال: من يرى له ملكاً مع الله تعالى.. لم يزل منغص العيش في كل ما يطلبه، ولم يبلغه، ومن لم ير معه ملكاً واعتقد أنه عبد يأكل من مال سيده.. استراح وأراح.

وقال: الكامل يشهد الأعمال خلقاً لله تعالى وحده، فلا يفرح بزيادتها، ولا يَعْرج على نقصها.

وقال: أسباب انقياد الخلق بعضهم لبعض ثلاثة: الصلاح والإحسان والعصا. فالعصا ليست للعالم، فيبقى اثنان، فمن لم يكن محسناً ولا صالحاً وطلب الانقياد له.. رام محالاً كما هو مشاهد في أولاد مشايخ الزوايا، سلوك أحدهم البخل وقلة العمل الصالح اعتماداً على مشيخة أبيه، ويطلب انقياد الفقراء له كما كانوا لأبيه؛ فلا يجيبه أحد.

وكلامه كثير، وإنما ذكرنا هذا للتبرك.

ولم يزل معظماً في صدر الصدور، مبجلاً في عيون الأعيان بالخير والخيور، حتى نقله الملك إلى دار كرامته، وفسيح جنته. وحضر جنازته جم غفير من العلماء والفقراء، وخلائق من الملوك والوزراء والأمراء، ودفن بجانب زاويته بين السورين، ومضى وخلّف ذكراً باقياً، وثناء عطراً ذكياً زاكياً، ومدداً لا ينكره إلا معاند محروم، ولا يجحده إلا مباهت مأثوم.

وقام بالزاوية بعده ولده الشيخ عبد الرحمن، ونازعه ابن أخي الشيخ عبد اللطيف، ومال الفقراء إليه لكونه كريماً، فترافعوا للحكام، فلم يلبث أن مات واستقر الأمر لولد الشيخ، فصار أمر الزاوية في نظام، وعظّمه الأمراء والحكام، لكنه أقبل على جمع المال، ثم ترك الدرس والمدرسة وتحوّل بعياله، وصار لا يأتي الزاوية إلا يوم الجمعة، فتلاشت أحوالها، ونفر عنه الفقراء.

[محمد فقيه]

وفيها [٩٧٣]: توفي السيد محمد فقيه بن عبد الرحمن بن الشيخ علي[1]. أجلّ الأولياء المُعتقَدين، والزهّاد الورعين. صحب أباه وغيره من الأولياء في ذلك العصر، وجدّ في طاعة الله في السر والجهر، واعتقدته الخواص والعوام، وأحبه عامة الأنام. وكان كثير الصلاة والصيام، كثير التهجد والقيام، لا يمر عليه من أوقاته ساعة، إلا وهو مشغول بنوع من الطاعة. وكان مستجاب الدعاء، كثير

(١) يقال لذريته: آل فقيه. وهو محمد فقيه بن عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف. قال العلامة الشاطري في معجمه: غلب عليه لقب فقيه لفقهه وفهمه ونباهته، ويقال لكل من عقبه فقيه إذ سرى عليهم هذا اللقب كأمثالهم.

الخوف والبكاء، سليم الصدر، كثير الذكر، كثير التحمل لأذى الناس، متقشفاً في المأكل والملباس.

وله كرامات كثيرة، وأحوال شهيرة لا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يقاس في الكرم إلا بحاتم، ولم يزل على هذه الصفات، حتى دعاه داعي الممات، وانتقل إلى رحمة البريات. رحمه الله تعالى وإيانا.

[أحمد القباني]

وفيها [٩٧٣]: توفي الأديب، الشهاب، أحمد القباني. شيخ مكبرة لحنفية، والمحبب إلى سائر البرية. كان ذا صوت حسن، ووصف مستحسن، وكان يقرأ الموالد بالأنغام، واشتهر صيته عند أكابر الأروام، وحصل له عندهم القبول التام، وناله منهم الإحسان الوافر العام. وكان ملازماً للجماعة، مواظباً على العبادة والطاعة، وكان يحب الصالحين، والأولياء العارفين، يلازم على صحبتهم، ويواظب على خدمتهم. واستمر كذلك إلى أن انقضت أيام الحياة، وانتقل إلى رحمة الله، وعمل له صاحبه صلاح الدين القرشي تاريخاً بلفظ (القبض لي)، ثم نظمه، فقال:

الأنس من بعد الشها ... ب لقد توفى شيخه
والبسط قال بموته ... القبض لي تاريخه

سنة أربع وسبعين وتسعمائة

[العيدروس صاحب الشبيكة]

في يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة، توفي العارف بالله تعالى، عبد الله ابن العلامة محمد بن عبد الرحمن بلفقيه الشهير بـ(مكة) المشرفة بـ(العيدروس)[1]. محيي المعالم بعد الدروس، ومجمل المحافل والدروس، ومشرح الصدور باسمه

(1) انظر: (شمس الظهيرة ١/ ٣٩١) وتفيد تعليقات المحقق محمد ضياء شهاب أنه صاحب الشبيكة الثاني. أما صاحب الشبيكة الأول فهو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علوي بن أحمد قسم بن علوي بن عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي، المتوفى بمكة المكرمة عام ٨٨٦هـ.

ومحيي النفوس، إمام المرشدين، وأحد علماء الدين، وإنسان عين الناظرين، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلف الناجح. وُلد بمدينة (تريم) وحفظ «القرآن العظيم»، و«الإرشاد»، وكثيراً من المتون؛ كـ(الجزرية)، و«الملحة»، و«القطر»، و«الأربعين النووية»، و«العقيدة الغزالية». واشتغل على والده، وقرأ عليه أكثر كتب الإمام الغزالي، وكثيراً من شروح «الإرشاد» وشروح «المنهاج»، وقرأ عليه «البخاري» ثلاث مرات، وأخذ عن العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن علي، وتفقه على قاضي القضاة بحضرموت السيد أحمد شريف، وأخذ عن أخيه محمد بن علي ـ مصنف «الغرر» ـ علم الحديث، وقرأ عليه في علم الحديث كتباً كثيرة، وأجازه في جميع تصانيفه ومروياته، وألبسه، وحكّمه، وأذن له في ذلك. وأخذ عن العلامة عبد الله بن حكم باقشير.

ولازم والده إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، واستمر في خدمة والدته إلى أن انتقلت إلى رحمة الله تعالى. ثم رحل إلى (الشحر) بإشارة شيخه عبد الرحمن بن علي، فأخذ بها عن الشيخ الإمام أحمد بن عبد الله بافضل. ودخل (عدن)، وأخذ بها عن الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس، والفقيه عبد الله بن أحمد بافضل، ثم رحل إلى بيت الله الحرام، وحج حجة الإسلام، ثم زار جده عليه الصلاة والسلام، وأخذ بـ(طيبة) عن جماعة، من أجلّهم العارف بالله تعالى محمد بن عراق، ورأى النبي ﷺ، وأمره بالمجاورة بالحرمين.

وأخذ عن الولي الشهير بـ(الخفاشي)، والشيخ إبراهيم الخوّاص. وحج سنة تسع عشرة وتسعمائة عن والدته، وأخذ بـ(مكة) عن شيخ الإسلام أبي الحسن البكري، وأخذ عن العارف بالله تعالى علي بن حسام الدين المتقي، والإمام أحمد الشبلي، والعلامة عبد الله بن أحمد باكثير، والعارف بالله محمد بن عبد الرحمن العمودي.

وألبسه خرقة التصوف أكثر مشايخه، وله إجازة من جماعة منهم. ورأيت إجازته من المحدث محمد بن علي وعلي المتقي بخطهما. ثم استشار شيخه محمد بن عراق في الرجوع إلى (تريم)، فأشار له بذلك، لكن قال له: ادخل (زبيد) وتزوج بها، ففعل، وأخذ عن جماعة من علمائها. ثم رحل إلى (تريم)،

ولازم كلاً من الأخوين: القاضي أحمد شريف، والمحدث محمد بن علي، وأخذ عنه جماعة بحضرموت، ثم رحل إلىٰ العارف بالله تعالىٰ معروف باجمّال، وأخذ عنه، وألبسه الخرقة، وحكّمه، وأجازه، وتزوج بـ (تريم)، وولد له أولاد، ثم رحل بهم إلىٰ (مكة) المشرفة واستوطنها، واشتهر عند الأنام الخاص منهم والعام، وحصل به للناس النفع التام، وكانت تأتيه الهدايا والأنذار، من جميع الديار. وكراماته شهيرة، كالشمس المنيرة، وذكرت منها[1] مع بقية ترجمته في «المشرع الروي في مناقب بني علوي».

ولم يزل يترقى من حال إلىٰ حال، ومن مقام إلىٰ مقام، إلىٰ أن انقضت مدة الأعوام والأيام، ودنا منه الحمام، وانتقل إلىٰ دار السلام، وشيع جنازته خلائق لا يحصون، وشيّعه سلطان (مكة) و(الحجاز) الشريف حسن بن أبي نمي. وصلىٰ بالناس إماماً شيخ الإسلام والمسلمين القاضي الحسين، ودفن في تربته المشهورة في (الشبيكة)، وعمل علىٰ قبره قبة عظيمة، أنوارها ظاهرة جسيمة. نفعنا الله به.

[عبد الرحيم الطوّاف]

وفيها [٩٧٤]: في جمادى الأولىٰ، توفي الشيخ، عبد الرحيم بن أبي بكر الشهير بالطواف، البيروتي، الشافعي. أحد السادة المشهورين، والعلماء العارفين. أخذ عن جماعة كثيرين بالحرمين الشريفين، ولازم العارف بالله تعالىٰ محمد بن عراق حتىٰ تخرج به، وأخذ عن غيره من علماء عصره، ثم تجرد للعبادة، وترك كل ما يعتاده من العادة، وجاور بالبلد الأمين عدة سنين، فكان يعتمر كل يوم عمرتين متصلتين، ثم لازم الطواف ليلاً ونهاراً بحيث كان لا يُرىٰ الطواف خالياً منه إلا بقدر ما يحتاجه من تناول طعام أو ضرورة، ولذلك اشتهر بالطوّاف، وقُصِد بالنذور والهدايا من الأطراف، واعتقده جماعة من الأشراف، فلم يصف له حال، ولم ينل ما أمله من المنال، فرحل إلىٰ طيبة المنورة علىٰ ساكنها، الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، فصار يصوم بالنهار ويقوم بالأسحار، ويتلو القرآن آناء الليل والنهار. وكان يحب العزلة والخلوة عن الناس. ولم يزل علىٰ هذه الحالات، إلىٰ

(١) في «خلاصة الخبر»: وذكرت بعضها.

أن توفي ومات، ودفن بالبقيع. نفعنا الله به.

[أحمد الجبرتي]

وفيها [٩٧٤]: في آخر جمادى، استشهد الشيخ أحمد الجبرتي، المجذوب. أحد الأولياء الصالحين، والأصفياء المعتقدين، وكان له كرامات ومكاشفات، وكان مجاب الدعوة، وما آذاه أحد فأفلح. كان يأمر بالناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويُغْلِظ عليهم القول إذا لم يمتثلوا، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن ضُرب بخنجر بعد صلاة العشاء في الحرم الشريف المكي تجاه الكعبة الشريفة، ولم يعلم قاتله، ودفن بالمعلاة. رحمه الله تعالىٰ.

[إسماعيل بن حمامة]

وفيها [٩٧٤]: في جمادى، توفي الرجل الصالح، إسماعيل بن حمامة، مكبر المقام الحنفي، واشتهر بحسن الصوت، ومعرفة الأنغام، وأحبته الأروام، بعدما صاحبه الشهاب القباني. وكانت أمه حمامة جارية لبيت الرؤساء بزمزم وكانت مجذوبة تخبر بالمغيبات، فعرف ابنها هذا بها. وكان الرئيس يحبه ويكرمه بزمزم ثم جعله الأفندي حسن مكبراً للحنفية لحسن صوته، وكان يقرأ الموالد للناس، ورغبت الناس فيه لأدبه ولطافته ورشاقته وحسن آدابه ونغمته، واستمر إلىٰ الوفاة ودفن بالمعلاة.

[السلطان سليمان خان]

وفيها [٩٧٤]: لثلاث عشرة بقيت من صفر، توفي السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان[1]. وُلد سنة سبعمائة ووُلّي الإمامة سنة ست وعشرين وتسعمائة بعد موت والده، وما دمى أنف أحد من الأمم ولا أريق في ذلك محجمة من دم، وكان مغازياً في سبيل الله، مُراغِماً أنوف أعداه، بلسان سيفه وسنان قناه. مؤيداً في حروبه ومغازيه، مُسَدّداً في آرائه، مسعوداً في معانيه أيّان سلك مَلَك، وأنّىٰ توجه فتح وفتك، وأين سار سفح وسفك. وصلت مزاياه إلىٰ الشرق والغرب، وعَدّ له

(١) انظر: (النور السافر ٢٦٣، المتجد في الأعلام ٣٠٧، شذرات الذهب ٨/ ٤٤١. ومنه: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ٣٧٥).

قطب الدين في «الأعلام» ثلاث عشرة غزوة معروفة عند الفضلا الأعلام، وأمّا الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والجامعات وإجراء العيون وبناء القلاع والخانات، فذلك مما لا يدخل تحت الحصر، ويعز عن الضبط والقصر. وقد أفرد ترجمته الإمام جار الله بن فهد بتأليف سمّاه: «الخيرات الحسان في ترجمة السلطان سليمان»؛ وأطال قطب الدين ترجمته في «الأعلام»[1] قال: هذا مع الفضل الباهر، والعلم الزاهر، والأدب الغض الذي يقصر عن شأوه كل أديب شاعر، إن نظم نضد عقود الجواهر، أو نثر.. نثر منثور الأزاهر، له ديوان فائق بالتركي، وآخر عديم النظر بالفارسي، يتداولهما بلغاء الزمان، ويعجز أن ينسج على منواله فضلاء الدوران. إذا قال صدق، وإذا قيل صدق، لا يعرف الغِل والخداع، ويتحاشى عن سوء الطباع.

وكان يحب الغزو، ويرغب فيه عن الاستراحة، ويؤثر التعب فيه على الراحة، حتى اتفق له في مرض موته واستيلاء النقرس عليه.. منعه من السفر رئيس الأطباء الحذاق، وأفضلهم في العلوم على الإطلاق: بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المصري الحنفي؛ فلم يمتنع من السفر، ولم يطع الطبيب فيما ذكر، وقال: أريد أن أموت غازياً، وأبذل في سبيل الله تعالى مجتهداً ساعياً.

واستمر يموج بجيوشه كالبحر أمواج، ويفيض إحسانه على كل فقير محتاج، كالغيث الثجاج، إلى أن فتح قلعة (سكتوار)، وهي من أعظم قلاع الكفار، وقال: الحمد لله على هذا الإحسان فقد طاب الموت الآن. وانتقل من سرير ملك الدنيا إلى سُررٍ مرفوعةٍ في الجنان، وأخفى الوزير الأعظم وفاته، وأرسل البشائر إلى سائر الجهات، وأرسل سراً يستدعي ولده السلطان سليم خان، وأجلسه على سرير المُلك، وغسل السلطان سليمان وجُهِّز ووضع في تابوت، وحُمل إلى (اسطنبول)، وصلى إماماً بالناس المفتي أبو السعود أفندي، ودفن في تربةٍ أعدها لنفسه. ورثاه

(١) قطب الدين النهروالي المكي الحنفي، وكتابه المذكور هو «الأعلام بأعلام بيت الله الحرام» ـ طبع في ليبسيك سنة ١٢٧٤م. كما أن له كتاب آخر بعنوان «البرق اليماني في الفتح العثماني» المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الله الحبشي ـ (معجم المطبوعات العربية ـ تأليف يوسف سركيس).

الشعراء بكل لسان، بقصائد سارت بها الركبان، وأحسنها قصيدة المفتي المذكور، وهي طويلة ومطلعها:

صوت صاعقة أم نفخة الصورِ … فالأرض قد ملئت من نقر ناقور
أصاب منها الورى دهياء داهية … وذاق منها البرايا صعقة الطور
فيا له من حديث موحش نكر … تعافه النفس مكروهٌ ومنفور
أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن … مضت أوامره في كل مأمور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابته … وسخّرت كل جبار وتيمور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها … خليفة الله في الآفاق مذكور
مُعلي معالم دين الله مُظهِرُها … في العالمين بسعي منه مشكور
وحُسن راءٍ إلى الخيرات متصرف … وصدق عزمٍ على الألطاف مقصور
آياته العدل والإحسان ممتثل … لغاية القسط والإنصاف مرقور
ما مات بل عيشاً باقياً أبداً … عن عيش فانٍ بكل الشر معمورٌ
ابتاع سلطنة العُقبى بسلطنة الـ … ـعلياء فأعظم بربحٍ غير محصور
ظِل الإله ملاذ الخلق قاطبة … وملتجا كل مشهور ومغمور

وهي طويلة حذفت أكثرها اختصاراً، وأثبت مختارها اختياراً.

[ابن حَجر الهيتمي]

وفي هذا العام توفي الشيخ الإمام، العلامة الهمام الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي[1]، وذُكرت ترجمته في «النور السافر»، وقد أفرده بالتأليف تلميذه الشيخ عبد القادر الفاكهي، وتلميذه الفقيه أبو بكر بن محمد باعمرو الشحري، فقال الناس: مات في هذا العام سلطان الدنيا وسلطان الدين وسلطان الآخرة؛ وقال بعضهم: إمام الطريقة وإمام الشريعة وإمام الحقيقة، وغير ذلك.

[عمر باجمّال]

وفيها [٩٧٤]: في يوم الأحد رابع عشر ربيع أول، توفي الشيخ عمر بن

(١) انظر: (النور السافر ٢٥٨، البدر الطالع ١/١٠٩، معجم المؤلفين ٢/١٥٢ وفيه مصادر ترجمته. وقد أورد تاريخ وفاته سنة ٩٧٣هـ).

عبد الله بن أحمد بن عمر باجمّال. أحد المشهورين من الرجال، أولي الفضل والحلم والاحتمال، الصلحاء العبّاد، الورعين الزهّاد. أخذ عن غير واحد من علماء عصره، وصحب جماعة من أولياء دهره، وأتقن في الفقه ربع العبادات، واجتهد في القُرَب والطاعات. وكان له اعتناء بما في كتاب «التحفة المتعبد»، ولازم الورع والتقوىٰ، وحفظ جوارحه في السر والنجوىٰ. وكان كثير التهجد في الأسحار، كثير التلاوة والأذكار، مواظباً علىٰ الصيام، وطول السجود والقيام. وكان كثير الإنفاق، مع البشاشة وحسن الأخلاق، يحب الفقراء والأيتام، ويصل القرابة والأرحام. وكان له رياضات كثيرة، وأحوال شهيرة. وكان يطوي الأيام، ويكتفي بأدنى الطعام. وله خيرات كثيرة، منها: حفر بئر[1] علىٰ نحو ميل من بلده، وعمر غيرها، وجعله[2] سبيلاً يملأ منه كل يوم، وانتفع به أكثر المسافرين رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

سنة خمس وسبعين وتسعمائة

[عبد الرحمن ابن زياد المقصري]

توفي الشيخ العارف بالله تعالىٰ، وجيه الدين أبو الفرج، عبد الرحمٰن بن عبد الكريم بن زياد[3]. الإمام الهمام شيخ العلماء الأعلام، عمدة أهل عصره وزمانه، ومفيد أهل وقته وأعجوبة أوانه، المقدم في العلوم علىٰ أقرانه، مفتي الأنام، وحسنة الليالي والأيام. وُلد بمدينة (زبيد) ونشأ بها، وحفظ «القرآن العظيم»، وعدة متون في عدة فنون، واشتغل بالتحصيل وتأثيل المجد الأثيل مع فهم جيد يسحر الألباب، وفكر حسن يستفتح ما استغلق من الأبواب، حتىٰ ظهر شأنه، وتهدلت بفنون العلم أفنانه، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمر المزجّد، ولازمه في أواخر عمره ومدته، واختص بصحبته. وكان شيخه العلامة أبو العباس

(١) في «خلاصة الخبر»: أنه حفر بئرَ.
(٢) «وجعله» زيادة في خلاصة الخبر.
(٣) انظر: (النور السافر ٢٧٣، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٢٣٦، شذرات الذهب ٨/ ٤٤٣، الأعلام للزركلي ٣/ ٣١١، معجم المؤلفين ٥/ ١٤٥). وهو من المقاصرة بطن من عك بن عدنان.

الطنبداوي يقول له: حصل لكم من الشيخ أحمد المزجد أكثر مما حصل لنا منه؛ لأنكم انتفعتم بلحظه أكثر مما انتفعتم بلفظه. ثم لازم العلامة أحمد بن محمد الطنبداوي ملازمة تامة، وانتفع به انتفاعاً عاماً، ولازم مجلسه نحو عشرين عاماً، وما لازمه أحد من أصحابه أكثر من ملازمته، ولا اختص به أحد مثل اختصاصه بصحبته.

وسمع من جمع كثير، وحج غير مرة، ولازم في مدة إقامته بـ (مكة) العُمرة، وأخذ بها عن جماعة كثيرين من المقيمين والمجاورين. وأجازه جماعة من مشايخه بالإفتاء والتدريس، فأفتىٰ ودرّس في مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس، وقُصِد بالفتاوىٰ من كل فج، وصار كعبة علم يُحج، وانتفع به كثيرون، وتخرج به علماء عارفون.

وصنّف عدة مصنفات، وألّف مؤلفات مفيدات، لكن أكثرها مختصرات، ومع اتساعه في العلم لم يوجد له كتاب أطلق فيه عنان القلم. فمن مؤلفاته: كتاب في أحكام التقليد، جعله ثلاثة أقسام، الأول: في مناقب الأئمة الأربعة. والثاني: في وجوب تقليدهم. والثالث: في إثبات البسملة والجهر بها. و«شد اليدين علىٰ دفع ما نُسب إلىٰ الزهري من الوَهَم في حديث ذي اليدين»، و«فتح الكريم الواحد في إنكار تأخير الصلاة علىٰ أئمة المساجد». سببه أن وُلّي الأمر بـ (زَبيد)، أنكر تأخير صلاة العشاء في شهر رمضان، وأمر بالصلاة في أول الوقت، وأظهر جماعة أن هذا الإنكار غير شائع، وأفتىٰ صاحب الترجمة بتسويغ اعتراضه علىٰ ذلك التأخير، ثم أفرد هٰذه المسألة بالتأليف المذكور. و«المواهب السنية في الأجوبة عن المسائل العدنية»، و«مزيل العَناء في أحكام ما أحدث في الأراضي المزروعة من الغَناء»، و«النقول المَبينة المستفاد منها صحة بيع العينة»، و«النقول الصحيحة عن أهل الرسوخ في بيان شيء من أحكام المنسوخ»، و«بغية المشتاق إلىٰ تحرير المدرك وتصديق مدعي الإنفاق»، و«إسعاف المستفتي عن قول الرجل لامرأته أنت أختي»، و«إيضاح الدلالة في أن العداوة المانعة من قبول الشهادة تجامع العدالة»، و«حل المعقود في أحكام المفقود»، و«رسالة في المحراب»، و«إقامة البرهان علىٰ جماعة التراويح في رمضان»، و«تحرير المقال في حكم من أخبر برؤية هلال

شوال»، و«بغية المسترشدين في أن التبرع يبطله الدَّين»، وذيله المُسمّىٰ بـ«كشف الغطاء عما وقع في تبرع المَدِيْن من اللَّبْس والخطاء»، ألفه لِمَا وقع بينه[1] وبين الشيخ أحمد ابن حجر من الخلاف في مسألة المَدِين إذا تبرع بماله حيلة لئلا يحصل لأهل الدين شيء، فأفتىٰ صاحب الترجمة بعدم صحة التبرع، وخالفه الشيخ ابن حجر، وألّف «قرة العين في بيان أن التبرع لا يُبطله الدَّين»، فلمّا وقف عليه ابن زياد.. ألّف «كشف الغطا» المذكور ورد كلام ابن حجر، فرد عليه ابن حجر في رسالة سمّاها «كشف الغين عمّن ضل عن محاسن قرة العين»، ثم ألّف صاحب الترجمة «الخلاصة»، و«المقالة الناصة علىٰ صحة ما في الفتح والذيل والخلاصة».

ولقد أنصف العلامة عبد العزيز الزمزمي في قوله في بعض مراسلته لصاحب الترجمة: ويجوز أن في المسألة وجهين رجح كل واحد منهما طائفة من العلماء، لكم بإحدىٰ الطائفتين أسوة، ولنا أسوة بالأخرىٰ، والله أعلم أيهما أصح قدوة. انتهىٰ.

ولصاحب الترجمة مؤلف في القهوة، ومؤلف في الحشيشة، وله فتاوىٰ مجموعة مفيدة مشتملة علىٰ نفائس فريدة.

[عبد السلام ابن زياد]

وفيها [٩٧٥]: توفي الشيخ الإمام، عبد السلام بن عبد الرحمن بن زياد[2]. أحد العلماء الفقهاء، الذين هم قوام الشريعة الغرّاء، وبنورهم يستضاء في الدهماء، السالك سبيل الأقدمين، الجامع بين العلم والدين. وُلد بمدينة (زبيد)، ونشأ بها، وأخذ عن والده العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وعن غيره ممن هم في طبقته، وجدّ في الاشتغال، ولزم الطاعة في كل حال، وحفظ نفسه من القيل والقال، حتىٰ نال ما نال، وصنف كتباً مفيدة، منها: «شرح المولد»، الذي ألفه العلامة حسين ابن الصدِّيق الأهدل، وكتاب «إتحاف السالكين الأخيار بحكم خلط التصفيق والأذكار» ألفه لمّا حصل بينه وبين السيدين الجليلين، السيد محمد الأمين، والسيد

(1) في «خلاصة الخبر»: لِمَا جرىٰ بينه.

(2) انظر: («النور السافر» ٢٨٢، شذرات الذهب ٨/ ٤٤٤، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٢٣٧، معجم المؤلفين ٥/ ٢٢٥ وفيه مصادر أخرىٰ).

محيي الدين ابني الشيخ الأكمل ـ عبد الرحمن بن حسين الأهدل ـ نزاع في ذلك وصنّف في ذلك المؤلف المذكور، ثم حصل بينه وبينهما صلح شامل، وصفاء كامل، وترك التصفيق، وشمل الكلَّ التوفيقُ، لكن رجع الأمر كما كان بعد موت أولئك الأعيان، وعاد التصفيق بعد أفول شموس أهل التحقيق. وبلغني أن الشيخ حسين بن عبد الباقي الزاهر ذكره في كتاب «الروضة الزاهرة في وفيات أعيان المسألة المائة العاشرة»، ولم يتفق لي الوقوف علىٰ هذا الكتاب.

ولم يزل علىٰ الصراط المستقيم والسُّمم في اقتفاء السُّنن، إلىٰ أن وافاه القضاء المحتوم، وقَدم علىٰ الحي القيوم رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[علي المُتَّقي]

وفيها [٩٧٥]: ليلة الثلاثاء ثاني جمادىٰ الأولىٰ، توفي الشيخ العارف بالله تعالىٰ، علي بن حسام الشهير بـ (المتقي)[1] المُحدِّث الصوفي، الزاهد الصالح، الورع العابد، بقية السلف الكرام، صفوة أولياء الله العظام، أستاذ الأستاذين، وأوحد علماء الدِّين، مربي المريدين، ومرشد السالكين. كان رضي الله عنه للعلوم جامعاً، وفي فنونها بارعاً، لا يشق له غبار، ولا يجرىٰ معه سواه في مضمار.

كانت ولادته بالديار الهندية، واشتغل بها بالعلوم النقلية والعقلية، حتىٰ حصّل طرفاً صالحاً، وهو بلطف الله ممدود غادياً ورائحاً. زمزم الحادي له بذكر زمزم، وناداه علىٰ بعد الديار البيت الحرام.. فلبّىٰ وأحرم، وأدّىٰ النسكين العظيمين، وزار سيد الكونين عليه أفضل صلوات المصلين، وجاور بالحرمين سنتين، ولقي بهما أكابر العارفين، منهم: الإمام الشيخ أبو الحسن البكري، والشيخ محمد بن عراق. ثم عاد إلىٰ (الهند)، ولم يطب له بها المقام، ورجع إلىٰ المسجد الحرام، وعزم علىٰ مجاورة الرحمن، ونوىٰ بها الاستيطان، وحصل له بأم القرىٰ أعظم القبول، والقرىٰ، وحظي باستجلاء أنوار معاهدها، واستملى ببركات مناسكها ومعاقدها، واعتنىٰ بعلم الحديث والكلام عليه في القديم والحديث، فألّف فيه عدة

(1) انظر: («النور السافر» ٢٨٣، الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٩، معجم المؤلفين ٧/ ٥٩ـ وفيه مصادر أخرىٰ تناولت ترجمته). وفي الأعلام: علي بن عبد الملك.

مؤلفات، منها: ترتيب لجامع الكبير والجامع الصغير للجلال الحافظ السيوطي ـ رتبهما على ترتيب أبواب الفقه، ورأى أن ترتيبهما كذلك أولى من الترتيب على الحروف، وانتخب الأحاديث التي تشتمل على كلمتين فصاعداً، ووطأها بتوطئة وجيزة، كالشرح لمّا بعدها من الحديث مسجعاً، وكذلك فعل بآيات من الكتاب العزيز، قال في خطبته: وبعد فهذه حِكَم عرفانية في معان إرشادية، وإرشادات قرآنية كل حكمة منها مزيلة بآية أو بعضها بين الآية والحكمة مناسبة لا تخفى على المتأمل، ثم قال: فنقول الحكمة فضل عظيم تكشف غمة وعسيرا، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وله كتاب «الرتبة الفاخرة في سلطنة الدنيا والآخرة»، قال: فمن عمل بهذه الرسالة أرجو من الله أن يكون سلطاناً في الدنيا وفي الآخرة، واختصر «نهاية» ابن الأثير في غريب الحديث، وله رسالة في تبيين الطرق إلى الله تعالى، و«البرهان الجلي في معرفة الولي»، و«خواص الكلمات في تضمين الأحاديث الحكميات»، ورسالة سمّاها: «عروة السلف والخلف في التصوف المستنبط من كتاب الله والسنة وكلام السلف»، ورسالة سمّاها: «تذكار النعم والعطايا في الصبر والشكر على الفقر والبلايا»، وكتب مصحفاً كاملاً في ورقة واحدة ستين سطراً كل سطر حزب.

وانتفع به كثيرون، وتخرج به أولياء عارفون، منهم: السيد الجليل عبد الله ابن محمد بلفقيه العيدروس صاحب المشهد بمكة، وعبد الوهاب الشعراوي، والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، والشيخ عبد الوهاب ابن ولي الله. وكان معتقداً عند الخاص والعام لا سيما ملوك الهند، وكان راغباً في أمور الآخرة، ومُرَغِّباً فيما ينفع في العُقبى. وزاهد في الدنيا لا يراها إلا كالهباء المنثور وكالعدو المشهود، لا يتدرع منها غير ثوب العفاف، ولا يأخذ منها إلا مقدار الكفاف. وكان معرضاً عن كل لذة، وعن العوائد التي للنفوس لها مستعدة. وكان له قيام عظيم في الأسحار، وصيام يصونه بالنهار. وكان له أصحاب محفوظون، وبعناية الله ملحوظون، مُستغرقون بالأذكار آناء الليل والنهار، قال سيدي عبد الوهاب الشعراوي: دخلت عليه في حوش قريب من دار الشريف بركات، فوجدت أصحابه نحو خمسين نفساً، كل واحد حجر عليه بإبراش من خوص، وهم يتعبدون لا

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

يخرجون إلا للضرورة في الحرم ثم يرجعون، لا يخالط أحداً منهم صاحبه إلا لضرورة بإذن الشيخ. فأعجبني حالهم وأعطاني نصفين، وقال: هذه ضيافتك.. فإنا قوم متجرِّدون وغرباء، فلا تؤاخذونا. فوسّع الله تعالى عليّ في الرجعة ببركته، ولم يكن مع شيء لكلفة الرجوع، وأعطيت فيهما أربعين ديناراً في (مكة) فلم أرض وقالوا: ما فرح منه بهذا أحد غيرك. فلمّا وقفت تجاه قبر النبي ﷺ جاء شخص ومدح النبي ﷺ بقصيدة فأعطيتها له. انتهى.

وكان له رياضات شديدة، ومجاهدات عديدة، وكان يكتفي بأقل قليل من الطعام، وربما طوى الليالي والأيام، وكان قليل اللحم، بل هو جلد على عظم. ولمّا حضرته الوفاة حزن تلميذه الولي الصالح عبد الوهاب بن ولي الله فقال له: لا تحزن نحن قوم نمد المريدين بعد الموت كما نمدهم ونحن بالحياة وأكثر.

ولم يزل متمسكاً بالعروة الوثقى، والسبب الأقوى من التقوى، إلى أن انقضت أيامه من هذه الدنيا، وانتقل إلى الدار الأخرى وصلّي عليه ـ عند باب الكعبة ـ ناظر الحرم الشريف، القاضي حسين المالكي الحسيني. وتزاحم الناس على حمل جنازته التماساً لبركته، ودفن بالمعلاة بالشعب الأقصى، وقبره معروف يُزار. رحمه الله تعالى رحمة الأبرار. وجلس بعده في موضعه ابن أخيه أحمد، وهو صالح ماشٍ على طريقة عمه.

[محيي الدين الأهدل]

وفيها [٩٧٥]: ليلة الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة، توفي السيد الجليل الأكمل، محيي الدين بن عبد الرحمن بن حسين الأهدل.

[محمد الأمين الأهدل]

وفيها [٩٧٥]: ليلة الثلاثاء لأربع بقين من شعبان، توفي أخوه السيد العظيم، محمد الأمين. بينه وبين أخيه شهران، ودفنا عند قبر أبيهما في قبته. ومحمد الأمين هو الذي قام مقام أبيه في تربية المريدين، وإرشاد الضالين، وإكرام الوافدين، وإطعام الطعام للفقراء والمساكين، والشفاعة للمحتاجين. وكان والده يحبه ويثني عليه، ويشير بالسر إليه، فكان هو وأخوه محيي الدين سيّدَيْ أهل (زبيد) بل قطر اليمن بأسره.. بدوه وحضره، وإليهما انتهت الرئاسة والشهرة بين

الأنام، والوجاهة عند القضاة والحكام، وكانا متقيدين بالشريعة؛ متمسكين بالعروة الوثقى المنيعة، متقشفين في المأكل والمسكن واللباس، لا يتطلعان على ما عليه الناس، مواظبين على الجمعة والجماعات، مُلازمين على أنواع الطاعة، يتلوان القرآن آناء الليلة وأطراف النهار. واستمرا على ذلك إلى أن انتقلا من هذه الدار إلى دار القرار. رحمهما الله تعالى رحمة الأبرار.

[الشيخ علي بايزيد]

وفيها [٩٧٥]: توفي الشيخ الإمام، الحبر الهمام، نور الدين علي ابن علي بايزيد[١]. أحد العلماء الأفاضل، والفقهاء المشهورين الأماثل، أحد مشايخ وادي (دوعن) وعلمائه، وأوحد فضلائه وفقهائه، علامة المحققين على الإطلاق، وفهامة المدققين بالاتفاق. اشتغل بالتحصيل من صباه، ونشأ على عبادة الله، وحفظ «الإرشاد» وغيره من المتون المشهورات، وأخذ عن العلماء أهل الكمالات، وبرع في العلوم الشرعية وآلاتها، واعتنى بالفروع الفقهية، وكشف عويصاتها، وتنعم بنعيم جناها، وتربى في غورها ورُباها، وتفقَّه بالفقيه المحقق أبي عمرو عثمان بن محمد العمودي، وبه انتفع في علم الفقه. وصحب العارف بالله تعالى معروفاً باجمّال، وأخذ عنه الطريق، وألبسه خرقة التصوف، وصحب غيره من الأولياء العارفين، والسادة الأفضلين، واجتهد في التحصيل، وجَدَّ في التأصيل، حتى صار في جهته عمدة المُفتين، ورحلة الطالبين[٢]. وأخذ عنه جم غفير، وتخرج به جمع كثير. وكان يحضر درسه نحو ستين طالباً، واشتهر في تلك الديار، وارتحلت الطلبة إليه من كثير من الأقطار.

ووَلاَّه السلطان بدر مدرسته التي بناها بـ (الشِّحر). وقال له: ما أرى لتدريسها أهلاً غيرك. فأقام بها يدرِّس ويُفتي ويُحدِّث ويُملي، ويستضاء بنوره في الظلماء، ويُهتدى به كنجم السماء، ويُرجع إليه في الداهية الدهماء، والحادثة العجماء.

وامتدحه جماعة من الأدباء، العلماء الفضلاء، منهم: الفقيه الأديب عبد الله بن

(١) انظر: (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٢٣٧، جواهر تأريخ الأحقاف ج ٢ ص ٣٠١، الفكر والثقافة في حضرموت ١٤٩).

(٢) «ورحلة الطالبين». زيادة من الخلاصة.

محمد سخلة الشحري، لمّا قرأ عليه «الإرشاد».. امتدحه بقصيدة طويلة مطلعها:

لتفتخر الشريعة حيث شاءت ... بأبن يزيد ذي يشفي السقاما

وفي نكتة حوى الأصلين فيها ... وزاد على الذي شاء الإماما

ومدحه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي عند ختمه «الإرشاد» عليه بقصيدة مطلعها:

أيا طالباً علم الشريعة إننا ... لتحظى بإرشاد دقيق العبارة

وكذلك مدحه تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن سراج لمّا ختم «الإرشاد» عليه بالمدرسة (السلطانية) بـ (بندر الشحر)، سنة ثمان وستين وتسعمائة، بقصيدة مطلعها:

يا طالب الإسعاد في الإرشاد ... اسمع فديتك منصفاً إنشادي

قف ساعة تحظى بنيل شفاعة ... وشفاعة بل نيل كل مرادِ

هذا الإمام فقف لديه مسلِّماً ... يا مُسْلِماً سلِّم عليه ونادِ

وهي طويلة نحو أربعين بيتاً.

وكان أكثر اعتنائه بـ (الإرشاد) وشروحه، وله عليه نكت مفيدة، وتنبيهات عديدة، في نحو كراسين. وله فتاوى مفيدة عظيمة مجموعة معتمدة في تلك الجهة.

ووقع بينه وبين الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة: في رجل أوصى أو نذر أو أقر بمنافع نخله، هل تدخل الثمرة في المنافع؟ أفتى صاحب الترجمة بأن المنفعة ما يرد عليه عقد الإجارة، وعقدها لا يتضمن استيفاء عين، فلا تدخل الثمرة، وخالفه الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمه بأن المنافع تُطلق ويراد بها ما يشمل الأعيان، وأطال في الاستدلال لذلك، وردَّ على صاحب الترجمة بأن الحمل على ذلك باطل، لا يصح القول به قطعاً، وإنما هو سوء فهم من المجيب، وتساهل في الفتوى، قال: وهذا ظاهر في نحو الوصية والنذر، وأما الإقرار.. فالقياس أن يرجع إلى بيان المقر أو وارثه، وردّ عليه صاحب الترجمة جميع ما استدل به، وبيّن وجه ما قاله، واستدل به من كلام الأصحاب، وردّ ما اعترض به عليه، ثم قال: وبالجملة: فاعتراضه مجرد دعوى، إذ هو وقوف مع الألفاظ دون أسرار

المعاني، وذلك مذموم عند الأصحاب.

[محمد ابن جلال الدين البكري]

وفيها [٩٧٥]: في صفر، توفي الشيخ شمس الدين، محمد بن الشيخ جلال الدين البكري. أحد عباد الله الصالحين، الأولياء المعتقدين. صحب الإمام أبا الحسن البكري وانتفع بصحبته، ومشى على طريقة سلفه الأقدمين، من الاعتناء بأمور الدين وشريعة سيد المرسلين، والزهد في الدنيا والإقبال على الله تعالى، والانعزال عن الناس وكثرة الصمت، وكان مجاب الدعاء سليم الصدر، يعتقده الملوك والأمراء، وغيرهم، يلتمسون بركته ودعاءه. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[جلال الدين بن أبي الحسن البكري]

وفيها [٩٧٥]: في يوم الأربعاء ثاني عشر شعبان، توفي الشيخ الجليل ذو الأصل الأصيل، جلال الدين بن الشيخ أبي الحسن البكري. أحد الأولياء الصالحين، الأئمة المعتقدين. أخذ عن والده وصحبه وانتفع به، ولكن غلب عليه الجد والاجتهاد في الطاعات، والمواظبة على أنواع العبادات، وحج مراراً البيت الحرام، وزار محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام، وكانت وفاته بمكة المشرفة، وازدحم الناس على جنازته، وصُلّي عليه في المسجد الحرام بعد العصر، ودُفن بالمعلاة في شعب النور. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[محمد الجبرتي]

وفيها [٩٧٥]: توفي الشيخ محمد الجبرتي الشافعي. أحد العلماء بالجامع الأزهر، وهو من أجل تلامذة العلامة الشيخ محمد المنقوشي التونسي. وتفنن في أكثر العلوم المشهورة، وأجيز بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى، وأضاف إلى العلم العمل، ومشى على الطريقة التي لا خلل فيها ولا زلل. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[عبد الله بن عوض باوزير]

وفيها [٩٧٥]: في يوم الأربعاء لعشر بقين من رجب، توفي الشيخ الكبير ذو القدر الخطير عبد الله بن عوض باوزير. أحد الأولياء المشهورين، والأوتاد المعتقَدين، وكانت ولادته بحضرموت، ونشأ بها، وصحب جماعة من الأولياء

بها، ثم رحل إلى الحرمين، وحج سنة تسعمائة وخمسة وأربعين، وأقام بمكة عدة أعوام، واعتقده الخاص والعام، من أشراف (مكة) وفقهائها، وفضلائها والوافدين بها. وكان مقبول الشفاعة، وله كرامات كثيرة، منها: أن بعض أصحابه كان ساكناً في دار، فأتاه، وأمسك بيده الجدار، وأمره أن يخرج بأهله وما معه وهو ماسك بالجدار، فلمّا خرجوا بما معهم.. فك يده، فطاح الجدار عن آخره.

واستمر بمكة المشرفة إلى أن توفي بها، ودفن بالشبيكة. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

وبنو وزير هؤلاء قبيلة شهيرة بحضرموت[1]، اشتهر جماعة منهم بالولاية والصلاح، وكلهم على طريقة وسَنن قويم، ونهج مستقيم.

[محمد باسليم]

وفيها [٩٧٥]: توفي الشيخ جمال الدين، محمد باسليم، الحضرمي. نزيل مكة المشرفة، وُلد بحضرموت، وصحب السادة والأئمة القادة. ثم حج وزار، وصحب الأولياء الأخيار، وزهد في الدنيا، ورغب في الأخرى، ولزم التقوى وأخذ طريق القوم، وأحسن في بحارهم العوم. وكان مواظباً على السنن النبوية، والفضائل الشرعية، من لزوم الجماعات، وأنواع الطاعات والقربات، وكثرة الصيام، والتهجد والقيام، واستمر إلى أن وافاه الحمام. رحمه الله ونفعنا به.

[أحمد الغفاري]

وفيها [٩٧٥]: توفي القاضي، أحمد الغفاري القزويني. تفنن في عدة علوم، وأحكم منها المنطوق والمفهوم، ورحل في طلبها إلى كثير من البلدان كالعراق وخراسان، ورحل إلى الديار الهندية، ودرّس بها كثيراً من العلوم العقلية والأدبية، واستمر بها إلى أن انتقل إلى رحمه الله تعالى، وصنّف كتاباً سماه «نكارستان»، وأكثر اعتنائه بالعلوم العقلية وعلم التاريخ.

---

(١) للتوسّع عن أسرة «آل باوزير» انظر: (إدام القوت، موسوعة المعرف ١/٤٥٨، الدر والياقوت ٢/١٠، معجم البلدان والقبائل اليمنية، الشامل في تاريخ حضرموت ٧٣ و٧٥، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٥٢٦).

[أمير البنغال]

وفيها [٩٧٥]: توفي الأميران المشهوران خان زمان وأخوه بهادر خان وكانا من ملوك (بنكالة) وأمراء المغول المشهورين بالشجاعة والكرم والعلم والفهم والحذق وترتيب الأمور والرأي الصائب، وكانا محبين للفقراء والمساكين والأولياء الصالحين وأهل الطريقة المستقيمة والأعمال الصالحة القويمة، رحمهما الله تعالىٰ.

وفيها [٩٧٥]: وقع الاختلاف بين ملوك كجرات، فسار إليها سلطان المغول جنك خان، فأخذ أحمد أباد من يد اعتماد خان وفلوخان، وما شاء الله كان.

[محمد بن ظهيرة]

وفيها [٩٧٥]: في يوم الثلاثاء لتسع مضين من رمضان؛ توفي الشيخ القاضي جمال الدين، محمد بن يحيى بن فائز بن ظهيرة، الشافعي. وكان صافي السريرة محمود السيرة، مشكور الذكر محبوباً عند الناس مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه؛ وانتقل بمكة المشرفة؛ وكانت جنازته حافلة، ودفن بالمعلاة عند مقبر آبائه وأجداده. رحمهما الله وإيانا.

[خير بك بن أحمد المرسي]

وفيها [٩٧٥]: في سادس شوال، توفي خير بك بن أحمد المرسي. أحد المقدمين بـ (بندر جُدة) المحروسة، كان فاضلاً عاقلاً لبيباً، ذا مروءة وأخلاق رضية، وفتوة، مشكوراً عند الناس، محبوباً عند العام والخاص، وانتقل بمكة المشرفة وصلّىٰ عليه ـ إماماً بالناس ـ القاضي الحسين بالمسجد الحرام بعد صلاة الصبح، ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر الإمام سفيان بن عيينة. رحمهم الله تعالىٰ، ونفعنا بهم.

[عبد المعطي الدب]

وفي آخر شوال، توفي الشيخ عبد المعطي الشهير بـ (الدب) المالكي. تفقه علىٰ مذهب الإمام مالك، وصحب العارف بالله تعالىٰ أبا السعود المسيري، وكان مواظباً علىٰ درس العلم وتلاوة القرآن؛ يقوم نصف الليل يقرأ إلىٰ الفجر بالهجر، مع الديانة والصبر والمواساة والفقر ومكارم الأخلاق. رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به.

[فتح الله النقشبندي]

وفيها [٩٧٥]: توفي الشيخ فتح الله النقشبندي، الأعمى، صاحب الأحوال، وكان ذا وجد عند السماع، وكانت السلطانة بنت السلطان سليمان شاه تعتقده وحصل له منها مال كثير. وجاه خطير، وانتفع بجاهه عندها جمع كثير وكان متواضعاً عاملاً جامعاً، رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[سيطرة المطهر بن شرف الدين علي غالب اليمن]

وفيها [٩٧٥]: استولى إمام الزيدية مطهر بن شرف الدين علىٰ غالب اليمن ما عدا (زبيد) وأعمالها[1]، وسببه تولية اثنين علىٰ اليمن ووقوع الفتنة بينهما، فاغتنم الإمام مطهر هذه الفرصة، فلمّا بلغ ذلك السلطان سليم أمر الوزير سليمان ـ باشا مصر ـ مصطفى بالتوجه إلىٰ اليمن، فأراد أن يعتذر فلم يمكنه إلا القبول، وصارت عساكر مصر تعتذر لألفهم الراحة وكثرة الأولاد، فأرسل مصطفى إلىٰ مطهر كتاباً يتضمن نصيحته، ودعاه إلىٰ الطاعة، والتمس من شريف مكة مولانا حسن أن يكتب لمطهر بالنصيحة، فكتب الشريف حسن كتاباً صورته:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، العزة لله، محبة حسن بن أبي نُمَي. أما بعد، إهداء سلام يُهدىٰ إلىٰ السلامة والرشاد، ودعاء يدعو إلىٰ الطاعة والاعتصام والانقياد، مرفوع من بلد الله الأمين، وبيته المكرم الذي هو قبلة للعالمين، ومعفّر جباه الطائفين والعاكفين، إلىٰ الجناب العالي صاحب المفاخر والمعالي، السيد الجليل، النبيه المثيل، الأصيل، الأميري الكبيري، المعظمي المكرمي، الأمجدي الأرشد، سلالة الأشراف، وعنصر بني عبد مناف، سليل السادة الأكرمين، الشريف مطهر بن الإمام شريف الدين. ألهمه تعالىٰ طريق السداد، وأرشده إلىٰ الانقياد وترك العناد، وأبعده عن الغي والبغي والفساد. فالذي تبديه لعلمه الكريم، ونلقيه إلىٰ محله الجسيم، أنه لا يخفىٰ علىٰ العاقل اللبيب، والفطن المتيقظ الأريب، أن

(١) انظر: (المقتطف من تاريخ اليمن ٢٠٨؛ اليمن عبر التاريخ، هجر العلم ١/ ٢٦٤، روح الروح، غاية الأماني، البدر الطالع ٢/ ٣٠٩، البرق اليماني ١٠٧ـ ٢٠٨، أئمة اليمن ١/ ٤٧٥، خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون ٣/ ١٩٢).

الاتسام بسمة العصيان، والخروج عن طاعة سلطان الزمان، وخليفة الوقت والأوان.. من خدع الشيطان، وأن مخالفة وليّ الأمر ومنابذة سلطان العصر.. من سمات أهل الغرور، وصفات كل غبي مغرور غير مشكور، سيّما مخالفة سلطان البسيطة، والملك الذي أوامره المطاعة بأطواق الآفاق محيطة، صاحب العسكر الجرار كالجراد المنتشر، والجنود الغالبة والجيوش المنصورة التي لا تُعدّ ولا تنحصر. فمثل هذه الوقائع الواقعة بديار اليمن، لا تصدر عن عاقل، ولا يتجرأ بالإقدام عليها أحد.. ظناً أن تنجيه الحصون والمعاقل، ونحن نبرئكم أن يقع منكم شيء من هذه الشوائع، وننزهكم عن أن يسند إليكم صدور هذه الشنائع، كيف؟ وقد شملتكم العناية الشريفة السلطانية مراراً، ودخلتم في ربقة الطاعة الخاقانية كراراً، وأنعمت عليكم السلطنة الشريفة باللقاء الشريف السلطاني، إكراماً لكم وإكباراً، وتقلبتم في النعم السلطانية الغالية، وشملكم من السابق سوابغ الألطاف المتوالية، فلا يليق بعد ذلك منكم الشقاق، ولا يناسب مع ذلك خلع ربقة الطاعة والوفاق، وقد قرن الله تعالى في كتابه المجيد ـ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾[1] ـ الأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بإطاعة ولاة الأمور، وأبرزه في قالب الأمر العام الشامل لكافة الجمهور، فقال تعالى ـ كما لا يعزُب عنكم ـ ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]، وأمر الشارع ﷺ بقتل من خلع ربقة الطاعة وخالف الجماعة، فقال ﷺ ـ وأمره لاحق بالقرآن ـ: «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان، وحيث كان الأمر»[3]. كذلك فاللائق منكم التبرؤ عن هذه الفتن، والتنصل من صدور هذه الشنائع ما ظهر منها وما بطن، والظاهر أن هذه الفضائح والقبائح الفواحج إنما صدرت من غوغاء الأشقياء وغواة العربان، من استغواهم الشيطان واستخفهم البغي والطغيان، وإنكم لمّا رأيتم إضلال البلاد وسعي المفسدين في الأرض بالفساد قصدتم حفظ المملكة الشريفة السلطانية

(١) سورة فُصّلت، الآية ٤٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) ورد الحديث في باب «ما جاء في قتال أهل البغي»، مروياً عن عرفجة. أخرجه مسلم في الصحيح من حديث شعبة وأبي عوانة. قال عرفجة أنه سمع النبي ﷺ يقول: ثم أنها ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهم جميع فاضربوا رأسه بالسيف كائناً من كان.

بالاستيلاء عليها وصونها عمن يريد الإفساد فيها بالتوجه إليها، وحراسة أمراء السناجق السلطانية وحفظهم عن العربان، والإبقاء على مُهجهم عن جَهَلة البدو وأهل العصيان، ووضعتم يدكم على العدد والآلات والحصون والقلاع، حفظاً لها عن الضياع، وعن تمزقها بأيدي الجهلة والرعاع، وصنتم جميع ذلك إلى أن يرد من يعتمد عليه من الحضرة الشريفة ونواب أعتابها المنيفة الخاقانية، فتسلّمون جميع ما صنتموه إليه، وتدفعون له كل ما وضعتم من ذلك يدكم عليه. فبادروا إلى التنصّل والاعتذار، فالعذر مقبول عند الكرام الأخيار، واغتنموا الفرصة في ذلك قبل الهتك والإضرار. وقد برز الأمر الشريف السلطاني، والحكم المنيف الخاقاني، إلى المقام الشريف العالي، ناصب رايات «...»[1] الصائبة على مفارق الأيام والليالي: الوزير المعظم، والمشير المفخم المحفوف بصنوف الإجلال، سعادة وإقبالاً، حضرة مصطفى باشا اللالا، لا زال مخيّمه الشريف، أماناً لكل خائف، وملجأ يتشبث بملتزم مقامه كل طائف. بأن يكون رأس العساكر المنصورة، وعمدة الجيوش الموفورة، وأن يأخذ معه من خاصة عسكر الباب الشريف السلطاني خمسة آلاف ينكشاري وخمسة آلاف أصبهاني، غيرواتي، وأن يصحب معه عسكر (قرمان)، و(ديار بكر)، و(حلب)، وكذلك عسكر (مصر)، ينسلّون إليه من كل حدب، ويسوق عسكر (مصر) وجنودها، واثني عشر سنجقاً مرفرف عليهم ألويتها وبنودها، ويقدم قبله عثمان باشا بن أزدمر باشا، وجنوداً يتخذون أوراق الشجر غطاء، والأرض وطاء وفراشاً، وصحبتهم ألوف من الخيول الصافنات والدروع السابغات، والمدافع والمكاحل، والضربزانات، والبارود، والحديد، والزرحقانات، وكل ما يحتاجون إليه من الميرة والخزانة، وسائر ما يلزمهم من المؤنة ثلاثة أعوام. وأن يتواصل العسكر السلطاني بتواصل الأيام، من آخر بلاد الروم إلى أقصى حجر باليمن، متصلاً بدون انفصام. ونحن أيضاً عارفون ومصممون على تشمير ساعد الجد والاجتهاد، والمبادرة بالنفس والأولاد، والعسكر الأجناد، إمداداً للعساكر الشريفة السلطانية، وقياماً بما يلزم من طاعة سدتها السنية. ولا يخفى ما يترتب على هذه الأمور من دهك البلاد وهلاك الضعفاء من المهاد، وإتلاف النفوس والأموال، واختلاف الأمور والأحوال. والله تعالى يقول في كتابه العزيز المكنون ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]. فإن تداركتم هذا الأمر العظيم، والخطب الفادح الجسيم، قبل

(١) كلمة غامضة في الأصل.

(٢) سورة النمل، الآية ٣٤.

أن ينزل. وتلاقيتم البلاء قبل أن ينزل، فلا ينفع حينئذ الندم من يندم، وصنتم أنفسكم وأموالكم وأتباعكم وأشياعكم، فهذا دأب العقلاء الكاملين، وشأن النبلاء العارفين. فبادروا إلى تسليم الحصون والقلاع، والجهات والبقاع، والأسلحة والآلات، والمدافع والمكاحل والضربزانات، ونحن نبادر إلى إرسال قصادنا ـ حينئذٍ ـ إلى الأبواب الشريفة السلطانية، والأعتاب المنيفة الخاقانية، معتذرين عما أسند إليكم من هذه الشنائع، مسعفين بما صدر من غوغاء الناس بغير اختياركم من هذا الواقع الشائع، فتفوزون بالحظ الأوفر، واللحظ الشريف السلطاني الأكبر، الذي هو الأكسير الأحمر، ويحصل لكم ما ترومون من الأعتاب الشريفة من المطالب، وتأملونه من الأبواب المنيفة الخاقانية من المآرب، وينام الأنام في الأمان، وتشملهم عناية حضرة السلطان، نصره الله تعالى مدى الأزمان، وتستريح الرعايا في ظل الأمن السلطاني، وتسلم تلك الأقطار اليمنية مشمولةً بمظلة العطف الخاقاني، ويأمن ضعفاء الرعية الذين هم ودائع الله تعالى عند حكام البرية، من الدهك والفتك، والأسر والسفك والهتك. وإن أبيتم، ونأيتم، وخالفتم، وعصيتم، ظناً أن تنجيكم الجبال ومتون الحصون، فهذا ظن واهي، ورأي متناه في الغباوة غاية التناهي. ومن أنذر فقد أعذر، وليس الخبر كالعيان، وما كل عيان يستوي في الحسبان، وسيظهر لهذا النبأ العظيم شأن وأي شأن، تشيب منه الولدان وتهرم الشبّان، ومن سلم منه حكى عنه، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1]، والله تعالى هو العلي الكبير، والله يلهمكم رشدكم، ويصونكم عما وقع في الأمر الخطير، وصلى الله على سيدنا البشير والنذير وعلى آله وصحبه المقررين لطرق الصواب أوضح تقرير، والحمد لله رب العالمين. حرر في يوم الخميس حادي عشر رمضان، سنة خمس وسبعين وتسعمائة.

فلمّا وصلت الكتب إلى مطهر بصنعاء أبى واستكبر، وطغى وتكبر، وليته قبل النصيحة واستتر عن الفضيحة. وكتب جواباً ليس فيه طاعة ولا عصيان، بل أجمله من غير بيان. وصورة كتابه إلى مولانا الشريف حسن:

الحمد لله على الهداية والرشد، ونعوذ بالله من البغي والفساد، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وآله وصحبه الذين اجتباهم واصطفى. والسلام العاطر، والدعاء المتواتر، يُهدى إلى السيد الكبير العظيم الخطير، زبدة السادة الأكرمين، وحامي حمى بلد الله الأمين، ومدينة خاتم النبيين، نور الدنيا والدين.

(١) سورة فاطر، الآية ١٤.

مولانا السيد حسن، أسبغ الله نعمه عليه على الوجه الأكمل الأحسن، والذي نقرره لديه، وننهي إليه وصول مثاله الكريم، المزري بعقود الدر النظيم، وعُلِم مضمونه، وفُهم مكنونه. ونُحيط علومكم الكريمة: أنّا ـ منذ كنا ـ لم نسع في الأرض بالفساد، ولم يصدر منا شيء من البغي والعناد، وهكذا جرت الأقدار، وجرت إليه سوابق المقدار. ولا نبدي، ولا نعيد في ذلك عذراً، ولعل الله يُحدِث بعد ذلك أمراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب اسمه في هامش الكتاب: المطهر لَطَف الله به.

وكتب إلى الوزير مصطفى باشا بنحو ذلك، فعلم تمكُّن الفساد من دماغه المحتنف[1] بالباطل والزيف، وأنه لا يزيل سكرته غير حد السيف، فأخذ بتدبير التجهيز إلى اليمن، وتقدم لذلك عثمان باشا بن آزدمر لعلاقة والده بتلك المملكة، وتوجّه براً وبحراً بعساكره، في أربعة عشر غراباً، وثلاثة برش مشحونة بخيله ورجله، ودخل (زبيد)، وأخذ (تعز) ثم عزل وولّى الوزير الأعظم سنان باشا، ووصل بعساكر تدهش النواظر، وتملأ العيون والخواطر. ووقعت حروب وقتال تهد الجبال، ثم طلب السيد محمد بن شمس الدين صاحب (كوكبان) الصلح لنفسه ولعمه الإمام مُطَهَّر. وكان الوزير سنان مترقباً لذلك ومثابراً عليه، فقبل مصالحة السيد محمد بن شمس الدين[2]، وأنعم عليه باللواء السلطاني، وكتب له براءة سلطانية رقمها على ما عنده من الأوراق التي أُرسلت إليه من السلطان. فلمّا استقر صلحه اشتغل خاطر عمه مطهر، فطرق باب الصلح مراراً، فلم يجبه الوزير إلى سؤاله لعدم اعتماده على مقاله فطلب من ابن أخيه أن يسعى في ذلك، فطلب ذلك من الوزير سنان باشا، فأجابه وحصل من الجانبين السرور والفرح، وزال ـ بحمد الله تعالى ـ كل تعب وترح، وكان ذلك أواخر سبع وسبعين وألف.

قال الشيخ قطب الدين الحنفي: ومن بدائع حِكَم الله تعالى أن الأقاليم السبعة التي انقسم إليها الربع المسكون من كرة الأرض البارزة عن كرة الماء المحيط

(١) كلمة غامضة.

(٢) انظر: (محمد بن محمد زباره: خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون ـ ج ٣ ص ١٩٩) المطبوع بأشراف الأستاذ الكبير والعَلَم الشهير زيد بن علي الوزير.

بالأرض، منسوب كل إقليم منها إلىٰ كوكب من الكواكب السبعة السيارة، وإقليم اليمن منسوب إلىٰ زحل، وزحل كوكب تأثيره ـ بإذن الله تعالىٰ وتقديره ـ في الفتنة والشر والقتال، فقلّما تخلو تلك الديار من الفتن لذلك التأثير الكوكبي الواقع بتقدير الله العزيز العليم. انتهىٰ.

[التعزير بسبب منشور]

وفيها [٩٧٥]: عزر محمد المبارك بن أحمد الحطاب بسبب أنه نسب إلىٰ رمي ورقة في باب الأفندي عبد الرحمٰن وفيها الحط والتكلم عليه، بسبب غفلته وإسناده الأمور إلىٰ القاضي الحسين، وإعطائه المحكمة لعلي بن عبد الرؤوف، فأحضره القاضي حسين وشهد من له معرفة بلفظ أن هذا يشبه خطه، وهناك قرائن تدل لذلك من عداوة سابقة بينه وبين جماعة القاضي حسين، وسبق فتنة منه فتنة منه في أيام الأفندي عبد الباقي وغيرهما، فأخذ بذلك وضربه القاضي حسين بيده، وأمر بحبسه ثم أطلقه بشفاعة عمه الشيخ بركات وابن عمه الشيخ يحيى، بعد أن تعبا بسببه، والله أعلم بما نسب إليه.

سنة ست وسبعين وتسعمائة

[عبد العزيز الزمزمي]

توفي الشيخ، عبد العزيز بن علي الزمزمي[1] إمام الحرمين، ومفتي الفريقين. علم العلماء الأعلام، المستعلي بهمته علىٰ كل هام، والفائز بالظفر علىٰ إرغام كل ضرغام، رُزِق من العلوم الشرعية والأدبية أوفر حظ ونصيب، وزاد فيها علىٰ كل أريب أديب. وُلد بـ (أم القرىٰ) وفاز بأعظم السعادة والقِرىٰ، واشتغل بتحصيل الفضائل، وأتىٰ بما لم تستطعه الأوائل، وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا، وإمام العارفين، الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وشارك الشيخ أحمد ابن حجر في أكثر مشايخه، وكانا رضيعي لِبان، وفرسي رهان، وحَظِيَ صاحب الترجمة بالعربية والأدب، وتميز منهما نظماً ونثراً بأعلىٰ الرتب، وله النظم الذي فاق به علىٰ سحبان، وسارت به الركبان، ولو لم يكن له إلا «الهمزية» التي أتىٰ فيها بالعجب

(١) انظر: «النور السافر ٢٨٧، شذرات الذهب ٨/ ٤٤٨، الكواكب السائرة ٢/ ١٧٠».

العجاب، ودعا قَصِيَّ الإجادة فكان المجاب.. لكفته دلالة علىٰ تقديمه، وما أحرزه في حديثه مضافاً إلىٰ قديمه.

وذكر في «النور السافر»: أن له قصيدة عارض فيها «البردة»، التي سمّاها: «الفتح التام في مدح خير الأنام»، وذكر قصيدته التي أولها:

يـا رسـول الله عـجـل بـالـفَـرَجْ　　　قد توالىٰ الكرب واشتد الحَرَجْ

وتخميس أبيات العارف بالله تعالىٰ الشيخ علي، التي أولها:

ذو الجاه يحمي جاره فاحم جوارَكْ　　　لا تتركَنْ في قبضه إلا سوىٰ جارَكْ

ومن نظمه هذه القصيدة الشهيرة:

لا تلوموني ولوعي بالحَبَشْ　　　إن عقلي حار فيهم واندهشْ

كيف لا أصبو إليهم ولهم　　　مدخل في كل قلب ومَخَشْ

ملكوا رقيّ بملكي رِقِّهم　　　فأنا المُوْقِعُ نفسي في البَلَشْ

وبروحي منهمُ آنسة　　　سلبت بالدَّلِّ عقلي والوَرَشْ

ذاتُ خدٍ مُذْهَبٍ ليس يُرىٰ　　　في صفا مرآة مرآة نَمَشْ

وفم عذب حلىٰ مرشفه　　　لو سقىٰ المنعوش منه لانتعش

إن يحرّم قربُها بنتَ اختِها　　　ربما حلّت إذا المفتي فَتَش

نلت منها في خفاء قبلة　　　عندما زاد هيامي وطَفَش

فجرت أدمعها في خدها　　　فأرتني الروض مُخْضَلاً بِرَشّ

ثم قالت هٰكذا يا سيدي　　　حاك في صدرك بيعي وانتقش

فاعتراني لاعج من قولها　　　لسع الأحشاء مني ونهش

طال ما بت بها في غبطة　　　آمناً من كاشح عنا نُبَش

وإلىٰ يسراي أخرىٰ مثلها　　　طفلة يَظْلِم مَن فيها خدش

كاعبٌ هيفاء راقت خضرة　　　جال في ريحانها ظل الغبش

سيمة الظبي حوتها واسمه　　　فاحتواها الشبه منه واحتوش

بعتها لا عن رضىً والدمع في　　　صحن خديها وخدي قد طَرَش

فتنة الأولاد والزوجة ما　　　برحت تمزُجُ بالنصح الغَشَش

ذهبت تلك وأما هٰذه　　　دُمْلي منها لأني ما انتكش

رَبُّ دبرني ولا طفشني عسى هذه الكربة عن قلبي تُفَشّ

ومن نظمه في جاريتيه غزال ودام السرور لمّا باعهما:

بجاريتيَّ كنت قريرَ عينٍ وأفقُ مسرتي بهما منيرُ
فَنَفَّرَ صرفُ أيامي غزالي فلا دامت ولا دام السرور

وأرخ وفاته الشيخ عبد الرحمٰن الخفاجي بقوله:

إن من أجرى الدموع على عز دين الله قد أفلحْ
قد أتى تاريخه ضبطاً بجنان الخلد قد أصبح

ومات بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة رحمه الله وإيانا.

[أحمد المغربي]

وفيها [٩٧٦]: في محرم، توفي الشيخ، أحمد بن محمد بن سعيد ابن الفقيه محمود بن عمر المغربي[1]، المالكي. أحد العلماء الأعلام. أئمة الإسلام. وُلد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، وحفظ عدة كتب في مذهب الإمام مالك، و«الخلاصة» وغيرها، وأخذ عن جده الشيخ محمود المذكور، ولازمه، وقرأ عليه «الرسالة»، و«مختصر خليل» قراءة تحقيق، وقرأ على غيره «المختصر» و«المدونة»، وغيرهما. وجدّ في الطلب حتى صار من أئمة زمانه، وفارس ميدانه، وانتفع به جماعة كثيرون في عدة فنون، منهم: الفقيهان الأخوان محمود وأخوه أحمد، لازماه وحققا. . . و«المدونة» و«خليلاً»، وغيرها. وله مصنفات، منها: حاشية على مختصر خليل ـ اعتمد فيها على البيان والتحصيل. رحمه الله تعالى وإيانا والمسلمين.

[المُلاّ همام اليزدي]

وفي آخرها توفي المُلاّ محمد بن المُلاّ همام اليزدي. أحد الأولياء المستورين، والفضلاء المباركين، كان يحب الفقراء ويحسن إليهم، وكان يتعاطى تجليد الكتب، وعمل رباطاً على أبي قبيس وميضأة في (منى) في سوق العرب، وعمل بالحجاز بساتين، وكان يخدم الميضأة بنفسه، ويملأ الأباريق، ويشيل

(1) انظر: (معجم المؤلفين ٢/ ١٠٦.. وفيه مصادر ترجمته).

العالم. وكان محبوباً عند الناس، له خيرات كثيرة في السر، ما ظهرت إلا بعد موته. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[سرقة مفتاح الكعبة]

وفيها [٩٧٦]: الثلاثاء بقين من رمضان، فتح الشيخ عبد الواحد الشيبي الكعبة المشرفة للنساء على جاري عادته، فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب، ووقعت قضية عظيمة وأغلقت الأبواب، فلم يظفروا به، فلمّا وصل سنان باشا (القنفذة) ظفر بشخص سرق سرجاً من فضة وقيل له: إنه عمل عَمْلات كثيرة، فكبس بيته فوجد نقداً كثيراً، ووجد مفتاح الكعبة، فقرره على كيفية سرقته له، فذكر له أنه تزيّا بزيّ النساء. فعلّقه وقطع رأسه وأرسل بالمفتاح للشيبي.

سنة سبع وسبعين وتسعمائة

[زين العابدين الجيزي]

توفي الشيخ، زين العابدين بن أحمد بن يوسف الجيزي ـ بكسر الجيم وسكون التحتية ثم زاي مكسورة ثم ياء ـ نسبةً لبلد بمصر المحروسة، المالكي. الإمام العابد والقدوة الفهامة. أخذ عن الشمس اللقاني، وقرأ عليه «الموطأ» و«المختصر»، ولازم أخاه العلامة ناصر الدين اللقاني أربعين سنة، فأخذ عنه «الكشاف» و«البيضاوي» و«العضد» و«مختصر السعد» و«مطوله» مع «حاشيته»، وشرح «جمع الجوامع» وغيرها، وأذن له في الإفتاء مع كمال توقف عنها، وأخذ عن سليمان الحرمي وغيره. وكانت له يد طولى في النحو، وانفرد بمعرفة الرضى على «الكافية» وتحقيق ما يقرئه، وصار المدار عليه في مذهب الإمام مالك لا يقبل فهمه الخطأ، مع تواضع وتحمل على طريق السلف الصالح، وقال الشعراوي: صحبته نحو عشر سنين، فما رأيت عليه شيئاً يشينه. نشأ في أدب وعلم وعبادة وخير، وكان شيخه يبعث إليه الأسئلة، فيجيب عنها بالأجوبة الحسنة فيفرح شيخه بها، وما سمعته قط ذكر أحداً من حساده بسوء، بل يحبهم ويكرمهم في غيبتهم وحضورهم، وما زاحم أحداً قط على شيء فيه رئاسة، ولا تردد إلى أحد من الأعيان، وعرضت عليه عدة وظائف، فأبى أن يقبلها، ويقنع من الدنيا بالكسرة

اليابسة والثوب الدوني، يقول جليسه: ما رأيت أحسن خلقاً منه، ولا أكثر تواضعاً وكأن الله محق كل خلق دني على قلبه، وأبدله كل خلق حسن. ولولا أني أعرف منه الخمول وكراهة الشهرة لأبديت لأهل عصره من أخلاقه ما بهر العقول. انتهى.

وترجمه تلميذه القراقي بنحو ما سبق، قال: ولد أوائل القرن وتوفي منصرفه من الحج والزيارة، وكان يدعو الله أن يختم له بذلك. رحم الله تعالى الجميع ونفعنا بهم.

[موفق الدين الفتوحي]

وفيها [٩٧٧]: يوم الثلاثاء ثامن عشر محرم، توفي الشيخ موفق الدين بن تقي الدين بن قاضي القضاة الشهاب أحمد بن النجار الفتوحي، الحنبلي. أحد العلماء الأفاضل، والفقهاء الأماثل. أخذ عن والده ومن في طبقته، وبرع في الفقه والعربية، مع ملازمة التقوى، والتمسك بالسبب الأقوى. وانتهت إليه رئاسة مذهب الإمام أحمد بمصر المحروسة، وكان مكباً على طلب العلم واستفادته، وجلس للتدريس، فأخذ عنه جماعة من أهل مذهبه وغيره عدة فنون، وصحب جماعة من أكابر الصوفية، وحصل له بصحبتهم غاية الأمنية.

سنة ثمان وسبعين وتسعمائة

[أحمد بن سراج الدين باجمّال]

توفي الشيخ، شهاب الدين، أحمد بن سراج الدين باجمّال، صاحب المقامات والأحوال. اشتغل بطلب العلم على أخيه الشيخ عبد الرحمن، ولازمه حتى تخرج به. وصحب أكابر عصره، وأخذ عنهم التصوف، ولبس منهم الخرقة، منهم: العارف بالله تعالى معروف باجمّال. وجدّ في الفقه والتصوف حتى برع فيهما، وشارك في غيرهما من سائر العلوم، مع غاية من التحقيق، ونهاية البحث والتدقيق. وحصّل كتباً كثيرة، وكان كثير المطالعة لها، وكان مواظباً على التهجد والقيام، وكثرة النوافل والصيام، كثير الاعتكاف، مع المحافظة على جميل الأوصاف. وكان إذا أهلّ رمضان. . إعتكف، فلا يخرج من المسجد إلا لصلاة العيد، ولا يفطر إلا على رغيف من غير إدام من أي طعام وُجِدَ، ولا يذوق غيره، ولا يعرف النساء في عمره.

وكان متقللاً من الدنيا، زاهداً فيها وفيما يتعلق بها، قانعاً بالأدنى من الملبس والمسكن، متواضعاً لكل أحد. وله كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة، لكن غلب عليه الخمول، فكان يكره إظهارها إلا عن ضرورة. ولم يزل على الحالة المرضية والأخلاق الرضية، إلى أن وافته المنية. رحمه الله تعالى ونفعنا به.

[عبد الرحمن بن محفوظ باعبّاد]

وفيها [٩٧٨]: توفي الشيخ عبد الرحمن بن محفوظ باعبّاد. أحد الأولياء العبّاد، العلماء النقاد، اشتغل أول أمره بطلب العلم، حتى حصّل طرفاً صالحاً. واجتهد في العبادة وترك ما يعتاده غالب الناس من العادة، وأكثر من التلاوة والأذكار، والقيام بالأسحار. وكان حسن الأخلاق، والغالب عليه الانعزال عن الناس، وكان غالب أوقاته معتكفاً بمسجد (باجريدان)، أن لا يخرج منه إلا لضرورة. وكان محبوباً للناس، مُعْتَقَداً عند العام والخاص، كريم النفس، سخياً تقياً، ورعاً زاهداً، وأكثر عبادته التلاوة والأذكار، واستمر كذلك إلى أن انتقل من هذه الدار. رحمه الله رحمة الأبرار.

[عوض بامختار]

وفيها [٩٧٨]: توفي الشيخ عوض بن عبد الله بامختار. أحد الأولياء الأخيار، الصالح المحبوب، الولي المجذوب. صحب الأكابر من أهل عصره، والعارفين من علماء دهره، من أجلّهم: العارف بالله تعالى أحمد بن علوي باجحدب، والقاضي محمد بن حسن، والقاضي أحمد شريف، وأخاه المحدث علياً[1]، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والفقيه عمر بن أحمد بامخرمة[2]، والعارف بالله تعالى معروف باجمال.

وكان أمياً لا يعرف الكتابة، ثم غلب عليه السُّكْر في محبة مولاه، فغاب عما سواه. وله كلام فائق في الحقائق، وله ديوان شعر رائق، نظمُه حسن، كله في الطريقة والحقيقة، وله أبيات بديعة رشيقة، وتذييلات حسنة دقيقة، وتشبيهات

---

(١) وردت في «خلاصة الخبر»: وأخوه المحدث محمد بن علي.
(٢) وَرَد في الخلاصة: عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمه.

رقيقة. وكلامه أسرع الكلام للقلوب جرحاً، وأكثرها على الطلول نوحاً، إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بِحَرِّ النوى مكسور.

وكان يعشق مطلق الجمال، وله في ذلك أوسع مجال وسمع أعرابياً يقول:

يموت عليلاً من لا يعانق حبيبه   ولا يحادثه فارح بعيان

فأنشد:

يموت عليلاً من لا يذوق المحبة   ولا يشوف الغانيات عيان

ومن لم يشاهد في دجاه حبيبه   فكل عزيز بعد ذاك هوان

ولمّا سمع حكاية الأعرابي الذي قال لأولاده: أبوكم كعود يابس، ما يبله؟ فقال ابنه الكبير:

يبله مرهاس من الخيل ضامر   إذا حله حله فهو دني محله

وقال الصغير:

يبله مرقال من الهجر ضامر   وعاد بقايا عرسه مدله

وقالت بنته:

يبله موافاة الخليل بخله   وفي صفح جيد وهو عاشق له

فسقط وهو يقول: يبله.. يبله، وتدحرج من أعلى الجبل إلى أسفله، ومات. فقال له الشيخ حسين بن عبد الله بافضل: عارِضهُ هذا المعنى، فقال في الحال:

إذا ما اشتكى من لوعة البين قائل   أبوكم كعودٍ يابس ما يبلُّهُ

يُبَلُّ برشفٍ من سقاية حبه   يروّيه من كاساتها ويعله

ويرزق عوداً حين يدعى لحانها   ويثمر يقول هم في الشرب ادن له

وتوف شرابه معرف لبابها   وأنفاس أرياح الحبيب تدلُّهُ

ورَمْز خطابٍ عن قريبٍ أصونه   عَن أدراك فهم كيف هُوْ وأُجِلُّهُ

فهذا... إن نشدتُ متيماً   يبله ألف أُلف ألف يبله

فيا ليت شعري قد تدانيت دونها   وقد آن لي وقت الشراب وحِلُّه

وأُعزَف بين العاشقين بشربها   وأفنى بها عني سني وأجِلَّةِ

وصلي وسلم كل يوم وليلة   علىٰ أشرف من في الخلق ديناً ومِلَّةِ

محمد إمام المرسلين مُجيّ به   من اللوح عنا كلُّ ذنب وزلّةِ

فقال الشيخ حسين للحاضرين: قولوا يبلُه.. يبلُه.

[جمال الدين بن علاء الدين]

وفيها [٩٧٨]: توفي السيد جمال الدين بن علاء الدين علي. وُلد سنة خمس وخمسين وتسعمائة، وقَدِم مع والده (مكة) المكرمة سنة ستين، وتوفي والده بها سنة ست وستين. ونشأ يتيماً فكفله قطب الدين المكي الحنفي؛ وحفظ «القرآن الكريم»، و«الألفية»، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ قطب الدين. وجدَّ في الطلب حتى فاق أكثر أقرانه، وحاز من الكمالات ما لا يوجد في أهل زمانه، ونظم الشعر الجيد، ومهرَ في العربية والفارسية والتركية مهارة تامة. وكان لطيف الذات، مقبول الصورة، خفيف الروح، حسن العشرة، ذا مروءة وأدب. وله خط مرغوب فيه. وزوّجهُ شيخه قطب الدين بإحدى بناته لِمَا رأى فيه أمارات النجابة، وكان عَضُده وظهره ويده، ثم أراد الله له السعادة فرزقه الشهادة، فأصابه الدق فتوجه إلى الطائف فزاد به الإسهال، فتوفي ودفن بالقرب من شباك سيدنا عبد الله بن عباس. رحمه الله تعالى.

[أبو السرور البيسقي]

وفيها [٩٧٨]: توفي الشيخ أبو السرور بن الشيخ علي البيسقي، شيخ الفراشين بالحرم المكي ابن شيخهم. وكان له فضل تام، وإحسان عام، واقتدار على النظم، حسن المحاضرة، رحمه الله تعالى.

[عبد الرحيم العراقي]

وفيها [٩٧٨]: توفي الشيخ عبد الرحيم بن الخطيب عبد الرحيم العراقي، الشافعي. خطيب مكة المشرفة ابن خطيبها. كان فاضلاً عاملاً، كثير العبادة، مؤثراً العزلة عن الناس، عزيز النفس لا يتردد إلى أحد من الأكابر، ولا يسأل أحداً شيئاً، وكان قانعاً من الدنيا بالكفاف، لابساً ثوب العفاف. توفي بمكة وقد أناف على الستين.

[شهاب الدين الدري]

وفيها [٩٧٨]: توفي الخواجا شهاب الدين أحمد بن روح الدين الدري، كان

ذا معرفة ودهاء وذكاء، وحسن معاملة ولطف طبع وحسن خلق، وكان والده من أكابر التجار كثير الأسفار وأسر بيد الكفار، ثم خلّصه الله منهم وفتح عليه بأموال كثيرة، وبنى دوراً بمكة وسافر إلىٰ اليمن، ومات هناك في حدود الستين؛ وذهب ما له شذر مذر؛ ونشأ ولده بمكة وتعاطىٰ التجارة بجدة ومكة إلىٰ أن مات بمكة وحُمل علىٰ رؤوس العتّالين إلىٰ مكة، ودفن بالمعلاة عند قبور سلفه. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[محمد بن عُقبة]

وفيها [٩٧٨]: توفي الجمال الحاكم، محمد بن عقبة. كان حسن السياسة، ذا رأي سديد، وإقدام شديد. كان يحب الخير ويفعله، ويكرم الفقراء ويحترمهم، ويعتقد الأولياء وأهل السلف، وينزل كل أحد منزلته. ولمّا مات تعب لموته كثير من الناس؛ لكثرة إحسانه إليهم وحسن أخلاقه، وشيّعه خلق كثير، وصلّىٰ عليه القاضي حسين. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[تصفية حَوْض زمزم]

وفيها [٩٧٨]: أمر القاضي بقدح حوض زمزم لمّا كان يجتمع عنده من الوسخ، وكان في الطاقة التي عن يمين الداخل إلىٰ زمزم، وتسميه العوام حوض العشرة.

[موت علي بن شمس الدين]

وفيها [٩٧٨]: مات السيد، علي بن شمس الدين مسموماً، سمّهُ اثنان كان يستأمنهما علىٰ طعامه وشرابه. وذلك بأمر الباشا بهرام أعطى كل واحد ألف دينار، وكانا سئما من خدمته لطول الحرب والقتال.

سنة تسع وسبعين وتسعمائة

[شيخ بن عمر السقاف]

توفي السيد الشريف، شيخ بن عمر بن شيخ بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[1]. أحد الأعلام[2] المشايخ، أولي القدر العالي الشامخ، والمجد الباذخ، بقية السلف الصالحين، وأستاذ الخلف من أئمة الدِّين. وُلد بمدينة (قَسَم) الشهيرة، بأسفل حضرموت المنيرة، وحفظ «القرآن»؛ وأخذ عن علمائها أولي العلوم والعرفان، وتفقه بجماعة من الفقهاء المشهورين، والعلماء العاملين، منهم: الشيخ عبد الله بن عمر باقشير. ثم رحل إلىٰ مدينة (تريم)، التي قدرها كوزنها عظيم، فأخذ عمن بها من المشايخ العظام، أولي الأحوال الفخام، وحقق علم التصوف والرقائق، وشارك في الشريعة والحقائق. ثم حج بيت الله الحرام، وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وجاور بـ (مكة) الحرام، عدة أعوام، وحصل له بها ظهور كبير، وجاه خطير، وانتفع به جماعة من القاطنين والمجاورين. وكان مقبول الشفاعة عند الملوك فمن دونهم، وكان كثير الشفاعات. وكان الغالب عليه الاجتهاد في الطاعات، وأنواع العبادات، كالطواف والقيام، والتهجد والصيام، واستمر كذلك إلىٰ أن وافاه الحمام، فتوفي بالبلد الحرام. رحمه الله وإيانا.

[عبد الله باجحدَب]

وفيها [٩٧٩]: توفي السيد الشريف، عفيف الدين، عبد الله بن علوي باجحدب. أحد الأولياء الصالحين، والعباد الناسكين، صحب أباه وأخاه العارف بالله أحمد بن علوي، وتفقه به، ولازمه حتىٰ تخرج به، وغلب عليه الخمول وحب الانعزال عن الخلائق. وكان كثير الأذكار، طويل الأفكار، لا يترك التهجد بالأسحار، والصوم بالنهار، وأكثر أوقاته في تلاوة القرآن، وتدبر ما فيه من بيان وتبيان. وانتفع به غير واحد في طريق الصوفية، والسلوك إلىٰ رب البرية. وكان

---

(١) انظر: (شمس الظهيرة ١/ ٢٢٠).

(٢) وردت في الخلاصة: أحد العلماء.

كثير الزيارة لقبور الصالحين، ويتوسّل بهم إلى رب العالمين، ولم يزل على هذه الأحوال، إلى أن وافاه الانتقال، وقدم على الكبير المتعال. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[علوي بن مُشَيْخ]

وفيها [٩٧٩]: توفي السيد الشريف علوي بن مُشَيْخ ـ بضم الميم، وفتح الشين المعجمة، وتشديد التحتية، آخره معجمة ـ ابن عبد الله بن الشيخ علي[1]. أحد أعيان تلك الجهات، المشهورين بالكرامات. أخذ عن والده، وغيره ممن في طبقته، وتفقه في الدِّين، وصحب جماعة من أكابر العارفين. ورحل إلى (اليمن)، ثم إلى الديار الهندية، وكان ملازماً للعبادات، والجمعة والجماعات، ماشياً على طريقة الصالحين، الأولياء العارفين. واستمر على حاله إلى أن انقضت أيام مدته، ومات بالديار الهندية. رحمه الله تعالى.

[عبد القادر بافضل]

وفيها [٩٧٩]: ضحى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى، توفي الشيخ عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بافضل العدني[2]، أحد العلماء الفقهاء الأدباء. أخذ عن العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة الفقه والعربية وغيرهما، ولازمه وأخذ عن الشيخ محيي الدين بن عبد الحق الحموي العربية، وعن الشهاب أحمد بن عمر الحكيم علم الطب، وسمع من خلق

(١) الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم.

وذكر صاحب «المعجم اللطيف» أن مُشَيْخ عَلَم منقول من اسم مفعول مشتق من المشيخة. ومشيخ هذا هو باني (سقاية مُشَيْخ) الشهيرة التي يشرب منها أبناء السبيل عند توجههم إلى تريم من الجهة الجنوبية ومن تريم إليها، وتبعد عنها بنحو ١٠ كيلومترات.

(٢) أورده صاحب «النور السافر» ص ٣١٢ باسم: عبد القادر بن الفقيه عبد الله بن الفقيه الصالح أحمد بن محمد. وذكره مؤلف «صلة الأهل» فأورد اسمه: عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد. وأورد كلاماً أفاد أنه للشلي من كتابه هذا وليس وارداً في الأصل. فقال: ترجم له الشلي في السناء الباهر، وقال: كان رجلاً فقيهاً لبيباً عاقلاً فاضلاً أديباً بليغاً نحوياً يقول الشعر، وكانت له مشاركة في الفقه الحديث.

كثير ودرّس في مسجدهم المعروف بمسجد (الدرسة)، وانتفع به جماعة، ووُلّي نيابة الشافعية بـ (عدن)، فقام بها أتم قيام، على أحسن نظام. وكان قائماً بجميع وظائف المسجد، مواظباً على جميع السنن الشهيرة، والآداب النبوية. واستمر على الحال المشكور، إلى أن انتقل في التاريخ المذكور، ودفن بقرب قبر جده محمد بن أحمد. رحمهم الله تعالى وإيانا.

[حسين بافضل]

وفيها [٩٧٩]: في يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الثاني، توفي الشيخ الكبير المعلم الشهير حسين بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج بافضل[1]. أحد العلماء العاملين، الأولياء العارفين، الراقي في مدارج الأصلين، معارج أعلى الذروتين، سراج الملة والدين. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وبعض «المنهاج»، و«الإرشاد» وغير ذلك، وتفقه بالقاضي السيد محمد بن حسن، وأخذ التصرف، عن إمام العارفين أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والشيخ شهاب الدين. وصحب جماً غفيراً، وأحرز فضلاً كبيراً. ونشأ من صغره وصباه في عبادة الله، واعتنى به جمع من العارفين، أولو الأحوال والتمكين، فحصل له بكمال الاستعداد، تمام الإسعاد، وأتم الإمداد، واشتغل بعلم الحقائق، وأحكم ما فيه من اللطائف والدقائق، لا سيما كتب الشيخ محيي الدين ابن عربي، واعتنى بكتاب «الفتوحات»، وكان لا يظهرها إلا عند أهل النهايات. وألبسه خرقة التصوف جماعة من الأكابر، وحكمه غير واحد منهم[2]، وأجازوه بالتربية والإرشاد، لمن شاء من العباد، والجلوس للتدريس، في كل فن نفيس.

فأخذ عنه كثيرون، وانتفع به خلائق لا يحصون، فممن تخرج به الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس، والقاضي السيد عبد الرحمٰن بن شهاب الدين والشيخ

(١) انظر: (صلة الأهل بتدوين ما تفرّق من مناقب بني فضل ص ١٧٤، النور السافر ٣٠٨، معجم المؤلفين ٣/ ٢٤١ـ ومنه: إيضاح المكنون للبغدادي ٢/ ١٩٤).

(٢) «منهم» زيادة في ب.

فضل بن إبراهيم، والشيخ الفاضل محمد بن إسماعيل بافضل، فكان إمام الفريقين، وشيخ الطريقين. وله رسائل مختصرات، في بابها مفيدات، منها: رسالة سمّاها «الفصول الفتحية فيما يوجب الجمعية»(١).

وكان معظماً عند جميع الأنام، مقبول الكلمة عند الخاص والعام. وكان زاهداً في الدنيا، وما في أيدي الناس، وكانت الدنيا لا يُسوغ عنده أمرها، ولا يجري بحضرته ذكرها. وكان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يخشى بطشة ظالم.

وكان كريماً سخياً، براً تقياً، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم الضيفان والوافدين. وكان يحب أهل البيت النبوي، لا سيما بني علوي، وذكرهُ في «النور السافر» باختصار، وذكر من كراماته أن تلميذه الشيخ فضل بن إبراهيم قال ـ بطريق الكشف للشيخ عبد الله بن شيخ ـ: هذه الساعة ركب والدك على بعض الخشب قاصداً بر العرب، فقال الشيخ حسين: لم من يخرج من أرض (الهند) أصلاً، فلما بلغ ذلك السيد شيخ.. قال: صدق الإثنان، إلا أن الشيخ حسين سوى نظره على حقائق الأشياء، فإني في ذلك الوقت ركبت البهلي قاصداً (بر العرب)، فبلغ ذلك الوزير، فلحقني وصدني عن ذلك.

ولم يزل صاحب الترجمة يترقى مقامه، إلى أن انقضت أيامه، ووافاه حمامه، فانتقل وعمره ست وسبعون سنة، وقبر في مقبرة (تريم)، أسكنه الله دار النعيم.

[محيي الدين السنباطي]

وفيها [٩٧٩]: يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، توفي الشيخ محيي الدين بن كمال الدين بن عبد الحق السنباطي، بـ (المدينة الشريفة) عن ستين عاماً. وكان فاضلاً فقيهاً محدثاً، أخذ عن والده وجده وعمه وأكثر علماء مصر، ودرّس وحدّث بمصر والحرمين، وانتفع به كثيرون، وألف عدة مؤلفات ورسائل مفيدات، منها: شرح على صحيح مسلم في أربعة أسفار جمع فيه بين كلام النووي...(٢) على ما ينبغي، وشرح على تائية ابن الفارض مشتمل على فوائد قرظها له الشيخ

(١) أورده صاحب معجم المؤلفين باسم «الفصول الفتحية والنفثات الروحية».
(٢) كلمة غامضة.

قطب الدين الحنفي المكي.

[إدريس اليمني]

وفيها [٩٧٩]: توفي الشيخ إدريس اليمني المجذوب. له كرامات كثيرة، ومكاشفات شهيرة، وكان يلبس عمامة كبيرة فيها ألوان من الثياب، ثم يلبس عليها طيلساناً يسترها، وله عصا فيها أهداب من خرق كثيرة ذات ألوان عديدة، وله زاوية وفقراء يذكرون الله فيها كل ليلة ويجتمع عنده ناس كثيرون.

[محمد الدمنهوري]

وفيها [٩٧٩]: توفي الشيخ محمد الدمنهوري، صهر الشيخ عطية السلمي. كان فاضلاً فقيهاً أديباً، أخذ عن الشيخ عطية وغيره، وكان خطه حسناً مرغوباً فيه، وكان يكتفي بما يحصل له من الكتابة، وكان شافعي المذهب وأكثر كتابته في كتب المذهب، ورزقه الله مرتبة الشهادة، وتوفي مبطوناً. رحمه الله وإيانا.

[محمد أفندي]

وفيها [٩٧٩]: في ذي القعدة، توفي قاضي القضاة ببلد الله الحرام، محيي الدين محمد أفندي بن خضر شاه بن محمد بن حاجي حسن(١)، كان من العلماء الموالي العظام، أهل الفضل التام. مشكور السيرة، صافي السريرة، حسن المفاكهة. ودفن بالمعلاة بين تربة سيدنا الفضيل والشيخ محمد بن عراق، نفعنا الله تعالى بهما.

[غلاء وقحط في الحجاز]

وفيها [٩٧٩]: وقع القحط والغلاء في أرض الحجاز، وانقطعت المأكولات في الأسواق، وهلكت الدواب وأطلق شخص حماره ـ للعجز عن إطعامه ـ فذبحه جماعة من البادية وأكلوه. وكثر الموت في الفقراء حتى عجزوا عن اكفانهم، واشتدت الضرورة فاتفقوا على الاستسقاء وأمر الناس بالصيام، وجمع القاضي حسين التجار وأمرهم بمواساة الفقراء، فاحتمل كل تاجر منهم بحسب حاله. وفي ذلك اليوم مات إمام الشافعية مكرم وصلّى عليه القاضي حسين والمطر يمطر

(١) انظر: (النور السافر ٣١٢).

وارتفع الغلاء ولله الحمد.

[محي الدين القطبي]

وفيها [٩٧٩]: في ذي الحجة، توفي الشيخ محب الدين القطبي أبو محمد حبيب الله. وُلد بمكة سنة تسع وعشرين وتسعمائة، ونشأ في حجر والده واشتغل عليه في المقدمات، وتوفي والده سنة تسع وأربعين، فاشتغل على أخيه قطب الدين الحنفي، والشيخ محمد الحطاب، والمُلاّ شجاع الشرواني، والقاضي قوام الدين بن الضيا الحنفي، والشيخ جار الله بن فهد، والشيخ عبد القادر بن فهد. ورحل إلى مصر فأخذ عن القاضي أحمد بن النجار الحنبلي، والشيخ شهاب الدين الرملي، والشيخ ناصر الدين اللقاني. وأخذ بالشام عن الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي. ورحل إلى الروم وحلب والهند وأخذ عن جماعة كثيرين، ولبس الخرقة من خلق كثير، وأجازوه في بلدان كثيرة، من أجلّهم: الشريف عبد الرحمن بن الحسين بن الصدّيق بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل بـ (زبيد)، وكان وُلّي قضاءها بأمر قطب الدين أخيه بعد امتناعه وتأبيه، واستمر قاضياً بها إلى أن انتقل وتعب عليها أهلها، وكتب مفتي الحنفية بـ (زبيد) عبد الله بن عثمان الطيب إلى أخيه قطب الدين يعزّيه فيه من جملة مكتوبه: لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التحية، لكنه جمعهما على حكم التثنية، وفي نقل هذا الخطب يظل القلم حائراً والخاطر فاتراً، والخادم قد أصدر كتابه هذا لمّا يجب من قضاء الوداد، وفعل ما يفعل القريب الحاضر وإن كان على شقة البعاد، وقد جعله نائباً عنه في التعزية وإن لم يكن فيها المناب، ولكن لمّا رخص من قَصْر الصلاة، فالأولى أن يرخص في اقتصار الكتاب. وغاية ما يقول الخادم: أحسن الله عزاء سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في أخيه وشقيقه علم الأعلام شعر:

ومثلك لا يضعفه مصاب ... ولا يعطي لنائبة قيادا

وما زلت الرشيد تهىٰ وعاشىٰ ... لمثلك أن نُعلّمه الرشادا

وقد أبعدت هذه الكلمة والحزن كلم فؤاده وحشاه، وملأ قلبه باللهب وحشاه فإنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون:

دعيني إذا شاهد في اليوم باكياً ... وأنفذت في الخدين دمعي جاريا

دعيني لفكري وحزني وعبرتي ... لعلي أطفي جمرة في فؤاديا

دعيني فإن العمر وَلّىٰ ولم أنل ... إلى الآن من طاعات ربي مراديا

عجيبٌ لشخصٍ يعلم الموت نازلاً ... عليه ويمسي ثم يصبح لاهيا

هنيئاً لمن أمسىٰ عن الناس نافراً ... وحيداً فريداً للسهاد مواخيا

إذا نامت العينان قام لربه ... بقلب فداىٰ عمّا سوىٰ الله خاليا

ألا أيها النفس اللحوح إلى متىٰ ... أرىٰ منك جهلاً فاحشاً وتماديا

أراك نسيت الموت والقبر والبلىٰ ... فهل تحسبين الموت يا نفس ناسيا

وهي طويلة. ورثاه الفقيه محمد العجمي الشيرازي بقصيدة مطلعها:

أنحىٰ القلوب وهاج من أحزانها ... خطب دهاها زاد في نيرانها

سنة ثمانين وتسعمائة

[عبد الحق أبي زرعة]

في المحرم، توفي عبد الحق بن الشيخ أبي زرعة، حفظ عدة كتب في صغره، وعرضها على جماعة من المشايخ. وأجازوه، منهم: الشيخ قطب الدين الحنفي، عرضها عليه واختار له إعجازاً من أبيات الشاطبية، وركّب عليها صدوراً مناسبة تتضمن الاجازة بالكتب التي عرضها، وهي هذه:

أجل افتتاح يفتح الفتح أولاً ... أن الحمد لله الذي وحده علا

وما تم أمر قط إلا بحمده ... وما ليس مبدؤه إليه أجذم العلىٰ

وأفضل تسليم على خير مُرْسَلٍ ... فذاك الذي اختار المدينة منزلا

وأصحابه والتابعين وآله ... أولئك أهل الله والصفوة الملا

وبعد فإن العلم عز وإن يكن ... يُنادىٰ عليه مكاسد السوق أجملا

وصاحبه يسمو وإن كان خاملاً ... فلا بد أن يسمىٰ ويدرىٰ ويعقلا

ولا بد أن يُكسىٰ برغم حسوده ... ملابس أنوار من التاج والحُلىٰ

وترفعه الأقوام في صدر مجلس ... إذا كان وسطاً أو بطرف منزلا

وليس كمثل العلم خدن وصاحب ... بصحبته المجد الرفيع تأثلا

أضاء بنور العلم عند ظهوره ... سواد الدجىٰ حتىٰ تنور وانجلىٰ

إذا كرّر الدرسَ الفتىٰ زاد رفعةً ... وترداده يزداد فيه تجملا

وقد جد في حفظٍ لِكُتبٍ عديدة ... فتىً للانصاف والحلم معقلا
فهو الشيخ عبد الحق ذو شرف هُدىً ... أخا ثقة يغضي ويعفو تجملا
أصل عريقٍ فاضلٍ متفنن ... ذكيٌ وفيٌ عصره ومجملا
له همة في العلم وهو محسبل ... وما خاب ذو جدٍ إذا هو جلا
ووالده يُكنى أبا زرعةٍ وقد ... يشمُن على سيما تروق مقبلا
يفوح بروض العلم طيب ثنائه ... بكل عبير حين أصبح مخضلا
إمام همام في ذرى المجد والتقى ... بناه وأصواناً هدىً متنقلا
فيا رب روح في الفراديس روحه ... ويا خير مسؤول جدىً وتفضلا
سمعت له «ألفية» و«عقائدا» ... بصوت خفي كل دان تنولا
كذا «الأربعين» الغر مع «شاطبية» ... يطوع بها نظم القوافي مسهلا
كذلك للسبكي «جمع جوامع» ... ومن أجله في ذروة العز يُجتلى
وأتقن حفظاً «حاوياً» لجميعها ... فأصبح بالعذب الفرات معللا
أجزت له عني الرواية ناصحا ... بجلاله في كل حال مُبجلا
ودونك حفظ العلم لا تهملنه ... وزد ألفاً من قبله فتكملا
وذاكر به إن رمت خصب معيشة ... ولا تعد رفض الذاكرين فتملا
عليك بأمر الدين مستمسكاً به ... كقبضٍ على جمر فتنجو من البلا
وحافظ على الألفاظ حتى تقومها ... منزهة عن منطق الهجر مقولا

[صلاح الدين القرعي]

وفيها [٩٨٠]: في ربيع أول، توفي الشيخ، صلاح الدين بن أبي السعود القرعي، الهاشمي. الفاضل الأديب، البالغ المفرد اللبيب، شاعر البطحاء بـ (مكة) الغراء. أخذ عن شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن حجر المكي في الفقه وغيره، ولازمه واعتنى بكتابة كتبه وقراءتها، وأخذ النحو عن سيبويه زمانه الشيخ عبد الله بن أحمد الفاكهي، وأخذ عن العلامة عبد العزيز بن علي الزمزمي. وبرع في النظم وتوبع في النكت الشعرية، ومدح الشريف أبا نُميّ وولده حسناً، واختص للسيد تقية وكتب الخط المنسوب، وانفرد بكتابة القاموس، واشتهر بالفضل والأدب، وعمل التواريخ اللطيفة، وله في القاضي حسين مدائح جليلة، ومدحه جماعة من

الأدباء، منهم: الشيخ قطب الدين الحنفي مدحه بقصيدة منها:

وإذا أحب صلاح دنياه الفتى ... فمحبتي أنا في صلاح الدين

[عبد القادر البرسافي]

وفيها [٩٨٠]: توفي الشيخ، عبد القادر بن صهمان بن خوجة لقمان البرسافي مولداً السمرقندي موطناً. اشتغل بالعلوم، وبرع في المنطوق منها والمفهوم، وكان معلماً لسلطان الهند جلال الدين وغيره، واستجاز من علماء مصر، وحصّل كتباً كثيرة، ثم توجه إلى (الهند) ليأخذ لأهل الحرمين إنعامات من جلال الدين، فتوفي في (سورة) قبل أن يصل إلى السلطان. رحمه الله تعالى.

[أبو الفتح الظهيري]

وفيها [٩٨٠]: توفي الشيخ أبو الفتح بن القاضي خير الدين الظهيري، شيخ القادرية[1]. أخذ الطريق عن الشيخ علي القادري الهندي، ثم توجه إلى (حماه)، وأخذ عن السيد أبي الوفا من ذرية الشيخ عبد القادر. وكان مواظباً على الحضرة وملازمة الذكر، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

[محمد الطحاوي]

وفيها [٩٨٠]: توفي الشيخ محب الدين، محمد الطحاوي، الشافعي. برع في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمساحة، وشارك في سائر الفنون، وكان يبيع الكتب.

[جمال الدين بن بركات]

وفيها [٩٨٠]: في شعبان توفي، جمال الدين بن بركات بن جبريل المالكي، اشتغل على جماعة، منهم: مُلاّ سعيد وملا حسين البغدادي، وشارك في فنون كثيرة، وسافر إلى السلطان، فأكرمه وقرر له جامكية من بندر (جدة)، وكان له فهم ثاقب ومعاملة حسنة ولطف معاشرة.

[محمد بن سكيكر]

---

(١) القادرية: طريقة صوفية تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني. عُرفت في بعض الأقطار بالكيلانية. (المنجد في الأعلام).

وفيها [٩٨٠]: توفي الجمال، محمد بن أبي الفتح بن عبد القادر بن سكيكر. كان ذا رأي وتدبير، حسن المعاملة، وكان يصنع الشمع الذي يطول مكثه مع صفاء بياضه ولا يدمع، وانتهت إليه صناعة الشمع، وطال عمره حتى أناف على الثمانين.

[أمطار شديدة وسيول]

وفيها [٩٨٠]: حصل مطر شديد وسيول كثيرة في الحرمين ونواحيهما، وهدمت بيوت كثيرة، ومات تحت الهدم كثير من الناس، وأما (جدة) فلم يسلم فيها بيت من الهدم.

[المطهر بن شرف الدين]

وفيها [٩٨٠]: توفي إمام الزيدية، مطهر بن شرف الدين[1] وتقدم أن أباه لمّا استولى على اليمن، وسلّموا له منصب الإمامة، وسلّم كل واحد من الزيدية أن يكون إمامه، جعل وُلّي عهده ولده علياً إماماً بعده وصرفها عن مطهر مع أنه أكبر وأشجع وأمكر، وكان قد جعله أبوه أميراً على العساكر والمتكلم على الحروب وتنفيذ الأوامر، ومنعه من تقديمه عرجه المنافي للإمامة العلية، ولكن عليّ أعلم منه بالأمور الدينية والعلوم العقلية. فنابذ مطهر أباه الإمام، ومال إلى الأروام، ثم اشتغل بالإمامة وحارب عساكر السلطان. وكان جريء الجنان، فصيح اللسان لا تهوله الأهوال، وحارب في تلك المحال بالمحال، وتبعه جيوش عدد الرمال، وكان صاحب حيل وخداع وصبر على أمور لا تُستطاع، كثير الغارات على الوطاق، وتحمّل مشاق الإنفاق مع أنه لا يركب إلا على ظهر حمار أعرج في رجله اليسار، ولا يستطيع ركوب الخيل ويخاف إذا ركب الحمار أن يميل به بعض الميل.

وكان في مدة تلك الحروب وهو في أكثرها مغلوب، لا يرى من نفسه عجزاً

(١) انظر: (هجر العلم ١/ ٢٦٤، روح الروح، اللآلىء المضيئة، مآثر الأبرار، غاية الأماني ٢/ ٧٤٥، البدر الطالع ٢/ ٣٠٩، البرق اليماني ١٠٧ـ ٢٠٨، اللطائف السنية، الجامع الوجيز، أئمة اليمن ١/ ٤٧٥).

ولا انكساراً، ولا يرى وهناً ولا اضطراراً، ولا يستقر له قرار، ولا يقيم بمحل أكثر من نهار. وشمّر عن ساق الحزم، وركب جواد العزم، إلى أن استولى على اليمن كما مر، وأسر نحو العشرين من السناجق والأغوات، وكثير من كبراء العساكر في تلك الجهات، ولا قتل أحداً منهم ولا أطلقهم ولا صفح عنهم، واستمر على اليمن من أول سنة خمس وسبعين إلى أول شوال، ووصل سنان باشا إلى جازان آخر رمضان سنة (٩٧٦هـ) ـ ست وسبعين، واستمر يستفتح اليمن إلى أن وقع الصلح بينهما كما سبق.

سنة إحدى وثمانين وتسعمائة

[معروف باجمّال]

توفي الخطيب معروف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد باجمّال الشهير بـ (العصبي). أحد العلماء العاملين، العُبّاد الورعين.

قرأ الفقه على الفقيه عمر بن عقيل بُرَيبعة، وأخذ التصوّف على العارف بالله معروف باجمال.

وجَدَّ في الاشتغال، حتى نال ما نال، وولي جامع (الغرفة)، وأمتعنه وخطاباته، واستمر على ذلك نحو ثلاثين سنة، ولم يَشِنْهُ شيء في دينه.

وكان غاية في صناعة الخطابة والوعظ، وكان وعظه يؤثر في القلوب.

واتفقوا على ورعه وصلاحه، بل شهد بعض المكاشفين أنه من الأبدال، وأنه رأى عند موته مَن يقول: قد انقضى أجله، مَن يكون بدله؟

وكان له قبول تام عند الأنام، وله خط حسن ضابط واضح، كتب مصاحف كثيرة مضبوطة بخط الإمام على قراءة نافع وأبي عمرو، وهي معتمدة عند أهل جهته.

وكان له رياضات وأربعينيات.

وانتفع به جماعة في الفقه وغيره.

واستمرّ على طاعة الله، إلى أن وافاته الوفاة. رحمه الله.

[علي بن عمر الكثيري]

وفيها [٩٨١]: توفي الشيخ الصالح الولي علي بن عمر بن جعفر بن عبد الله بن علي الكثيري. ولد سنة (٩٠٦هـ) ـ ست وتسع مئة ـ وحفظ «القرآن»، واشتغل بتحصيل العلم، وحصّل طرفاً صالحاً، وحجّ وزار، وصحب الأخيار.

وتولّى سلطنة (حضرموت)، وكانت أيام ولايته أيام أمن ورضا.

وكان شجاعاً، اشتهر في وقائع هائلة، ثم زهد في منصب الولاية، ورغب في الانقطاع إلى الله تعالى.

ولازم الشيخ معروف باجمال مدة طويلة، وامتحنه الشيخ بامتحانات، حتى كان يحمل الحوت من السوق بنفسه، ويعمل مع البنائين في الطين، ثم حصل له إشارات بالعود إلى السلطنة، فعاد وباشرها مع كراهة لها، وحصل بينه وبين عمّه بدر حروب كثيرة، آخرها حرب الجِرْب، سنة (٩٥٨هـ) أو (٩٥٩هـ) ـ ثمان أو تسع وخمسين وتسعمئة ـ وقتل من الفريقين نحو ستين، وحاصره بدر إلى أن قبضه، وحبسه في حصن (تريم)، واستمرّ إلى سنة سبع وسبعين، فأخرجه السلطان عبد الله بن بدر.

ورأى جماعة من الأشراف بني علوي النبي ﷺ يمسح على رأس علي بن عمر، ويقول له: «أنت من الفائزين».

وكان الشيخ معروف يقول: إنه من أخصّ الخوّاص، وأثنى عليه كثيرون من الأولياء والصالحين، ومدحه جماعة من الأدباء بقصيدة كثيرة طويلة.

وكان له ذوق في علم الحقائق، ومشاركة في فنون كثيرة.

وكان له معرفة بعلم الأوفاق والأسماء، وكان لا يظهرها، ثم تركها بالكلية، وسببه) أنه أراد أن يضع وفقاً، فسمع هاتفاً يقول له: ليس هذا من التوحيد، فتركه.

وله كلام حسنٌ في السلوك، ورقائق، ونظم حسن. رحمه الله تعالى وإيّانا.

وله نظم كثير، ونظم قصيدة وهو في الحبس ، توسل فيها بشيخه العارف بالله معروف باجمال، وأمر مَن ينشدها عند ضريحه، فما لبث إلا قليلاً وأخرج، ومطلعها:

سلام على مَن نون عيني ونورها ... ومَن كان من قلبي ونفسي سرورها
ومن كان مثواها بقلبي وإنني ... أدور عليها ما دريت أين دورها
وما زلت أسأل عن مساكنها التي ... لها في الملا صيت وقد بان نورها

ومن عجب أن يطلب الوصل عاشق ... وفي قلبه أطنابها وخدورها
ويا عجباً أنّي أدور لوصلها ... وهيَ وسْط قلبي مطنبات خدورها
وما احتجبت لكن لكثر ظهورها ... علينا تخفت واختفت في ستورها

وهي نحو سبعين بيتاً.

سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة

[نور الدين علي خَرِد]

في صفر، توفي السيد الشريف، نور الدين، علي بن عبد الرحمن بن علي خَرِد باعلوي. أحد السادة الأشراف، الموصوفين بمحاسن الأوصاف. وُلد بـ(تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، و«الإرشاد»، و«الملحة»، و«القطر» وغيرها. وأخذ عن عميه: القاضي أحمد شريف، والمحدث محمد بن علي؛ وحصّل طرفاً صالحاً من سائر العلوم، وأخذ التصوّف عن جمع كثير، وألبسوه الخرقة. ورحل إلى الحرمين، وأخذ بهما عن جمع كثيرين، وجَدَّ في العلم والطاعة، وملازمة الوظائف الشرعية والجماعة، إلى أن توفي بمكة المشرفة. وكانت جنازته حافلة، وتعب الناس عليه؛ لحسن سيرته، وكثرة محبته، ودفن بالمعلاة بتربة الفضيل بن عياض. رحمهم الله تعالى، ونفعنا بهم.

[السلطان سليم بن سليمان]

وفيها توفي السلطان الأعظم والخاقان الأفخم، سليم خان الثاني[1]. صاحب الخيرات والجوامع والمباني. كان مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة وتوليته سنة أربع وسبعين، وكان كريماً، وبالرعية رحيماً، عفواً عن الجرائم، حليماً، محباً للعلماء والصلحاء، محسناً للمشائخ والفقراء، فكم عمر بحسن نظره أرجاء البلاد فعمرت، ودمرت بسياسته أركان الظلم فخربت، وكم جهز جيشاً قطع به دابر الكافرين، وكم نشر راية بيضاء في نصرة الإسلام والمسلمين، وقد عدّ له القطب الحنفي في الاعلام أربع غزوات، وذكر أنه زاد لأهل الحرمين الشريفين سبعة آلاف أردب، ويضاف إلى الدشيشة السليمانية ثلاثة أرادب لأهل مكة، ومثله لأهل

(١) انظر: (النور السافر ٣١٧، شذرات الذهب ٨/ ٤٦٤، ومنه: العقد المنظوم في أفاضل الروم ٤٥٤).

المدينة، وخمسمائة أردب للفقراء المنقطعين بالبقيع، ومثلها لفقراء جدة. ولمّا وهي جدار المسجد الحرام الشرقي، أمر ببناء المسجد جميعه، فشرعوا في وضع الأساس من باب السلام لست مضين من جمادى الأولى سنة ثمانين، واجتمعت الأشراف والعلماء والأعيان وعمروا الجانب الشرقي والشمالي، وانتهت العمارة إلى باب العمرة على أحسن نظام، فتم على هذا الوجه الحميد وقوة عزمه المشيد.

ولمّا قدر الله انتقال سليم خان الثاني وانتقاله من هذا العالم الفاني، طهّره الله تعالى بمقاساة المرض، ونقّاه، وغلب عليه صلاته وتقواه، فانتقل إلى رحمة الله لسبع مضين من رمضان، وعمره سبع وخمسون سنة، ودفن بقرب (أيا صوفيا) في تربة أعدها لنفسه، ورثاه الشعراء ومن ذلك قول بعضهم:

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق الرقاب ونائله
أفاض عيون الناس حتى كأنما ... عيونهم مما تفيض أنامله
فيا عين سحي لا تسخي بسائل ... على ملك لا يعرف النهر سائله
فإن دفنوا تحت التراب جماله ... فما دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثاً هالت عليه ترابه ... أناملهم سيح الغمام ووابله

[هارون بن علي جمل الليل]

وفيها [٩٨٢]: توفي السيد الشريف، هارون بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل(١). الإمام الجليل، ذو القدر العالي الأثيل، والفضل الجزيل. أحد العلماء الفقهاء، ومَنْ بنورهم يستضاء في الظلماء. وُلد سنة تسع أو ثمان وتسعمائة بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، و«الإرشاد»، و«ألفية ابن مالك» وغير ذلك من المتون، في عدة فنون. ثم اشتغل بالتحصيل، وجمع الفروع والتأصيل، فتفقه على قاضي القضاة، السيد أحمد شريف، وقرأ على أخيه محمد المحدث علم الحديث، وأخذ عن الشيخ زين بن عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأصوليين، وأخذ التصوف عن الإمام أحمد بن علوي باجحدب، ولبس الخرقة الشريفة من جماعة كثيرين، وأتقن

(١) انظر: (شمس الظهيرة ٢/ ٥١٢، المعجم اللطيف ١٨٩).

علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والميقات، وأجازه مشايخه في التدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى وصنّف وقرأ، وانتفع به كثير من الطلبة. وكان عالماً عاملاً، وفي جميع الخصال كاملاً، زاهداً في الدنيا، راغباً في العلياء، متمسكاً بالسبب الأقوى من أسباب التقوى، مخلصاً لله في السر والنجوى. ولم يزل يتصف بأحسن الوصف الجميل، إلى أن ناداه منادي الرحيل، وانتقل إلى رحمة الملك الجليل، ودفن بمقبرة (زنبل) من مقابر (تريم)، ثواه الله دار النعيم.

[نجم الدين الغيطي]

وفيها [٩٨٢]: في صفر توفي الإمام الحافظ، نجم الدين، محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي(١). ختام دائرة الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، محيي ما اندرس من المعالم والآثار والرسوم، وجامع أشتات الفضائل والعلوم. أخذ عن جماعة من الفقهاء والعلماء والحفاظ، واعتنى بالمعاني والألفاظ، وكان ذهنه ثاقباً، وفهمه لإدراك المدارك مراقياً، وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عدة علوم، من شرعية وعقلية وفروع وأصول، حتى وصل نهاية الوصول، وحصل غاية المسؤول.

وهو أوسع أصحابه رحلة وأرفعهم نحلة، وأجمعهم للحديث وعلومه، وأبرعهم في منقوله ومفهومه.

وأكثر الأخذ والسماع من علماء عصره وفضلاء دهره، وقد ذكر أكثر مشايخه في معجمه المشهور، ولا مراء أنه كان أحفظ أهل زمانه وفارس أقرانه، له القدم الراسخ في معرفة صحيح الحديث من سقيمه، وحفظ أسماء الرجال، وفرط الذكاء وعظيمه، مع ما أوتي بالمكيال الأوفى من الورع والتقوى. وله عدة تخاريج، الناس إلى معرفتها محاويج، وألّف عدّة مصنفات في فنها مفيدات، منها: المعراج الشهير الجامع لكل جليل وخطير(٢)، ومؤلف في البسملة سمّاه «الفوائد المفضلة

(١) أورده صاحب «معجم المؤلفين» وفاته سنة ٩٨٤هـ. وذكر مجموعةً من المصادر التي ترجمت له. كما أن شذرات الذهب (٨/ ٤٧٤) أورده ضمن وفيات سنة ٩٨٤هـ.

(٢) اسمه: الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج ـ معجم المؤلفين ٨/ ٢٩٣.

في بعض علوم البسملة»، تكلم عليها من خمسة عشر علماً، ومؤلف في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية[1]. ومؤلف في قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[2]، سماه «مدد العناية» تكلم عليه من نحو اثني عشر علماً، ورسالة في الكلام علىٰ البسملة والحمدلة، وبعض خطبة المنهاج الفقهي، ومؤلف في سورة ﴿الدخان﴾، وفضائل ليلة النصف من شعبان سمّاه «مواهب الكريم المنان»، ورسالة سمّاها «الفرائد المنظمة والفوائد المحكمة» فيما يقال في ابتداء تدريس الحديث مع مهمات تتعلق بالبخاري.

[عبد القادر الفاكهي]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي[3]، المكي الشافعي. إخوته الثلاثة، كل واحد منهم اختار واحداً من المذاهب الأربعة؛ فاختار صاحب الترجمة مذهب إمام الأئمة، محمد بن إدريس الشافعي. وما أحسن قول حجة الإسلام محمد الغزالي:

إن المذاهب خيرُها وصحيحها ... ما قاله الحِبر الإمام الشافعي
فاخترتُ مذهبه وقلت بقوله ... وجعلته يوم القيامة شافعي

وُلد صاحب الترجمة سنة تسع عشرة وتسعمائة[4] بـ (أم القُرىٰ)، وحظي من رب العُلا بأوفر القِرىٰ، واشتغل بتحصيل العلوم من صباه وأرضىٰ مولاه وأباه، وتفقه في الدِّين واتبع سيرة سيد المرسلين. فأخذ الفقه عن الإمام المعتبر، الشيخ أحمد ابن حجر، ولازمه في دروسه بالمسجد وبداره، في ليله ونهاره. وأخذ عن العارف بالله تعالىٰ أبي الحسن البكري عدة علوم، وأخذ عن الإمام عبد العزيز بن علي الزمزمي، والإمام أحمد ابن. . .[5] النشيلي، وأخذ عن إمام الأولياء وقدوة

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٦.
(٣) انظر: (النور السافر ٣١٦، معجم المؤلفين ٥/ ٢٨٣، البدر الطالع ١/ ٣٦٠، شذرات الذهب ٨/ ٤٦٥، أخبار الدول وآثار الأول للقرماني ٣/ ٧٥). وذكر معجم المؤلفين تاريخ وفاته: سنة ٩٨٩هـ. وكذلك فعل الشوكاني في البدر الطالع.
(٤) في «النور السافر»: أن مولده سنة ٩٢٠هـ.
(٥) بياض بالأصل بعد (ابن) وقبل (النشيلي).

الأصفياء أبو المكارم، الشيخ أبي بكر بن سالم، وألبسه الخرقة الشريفة، وله فيه قصائد طنانة، وأخذ عن أحمد بن عبد الغفار. وأُجيز بالإفتاء والتدريس.

وكان له نكت رشيقة، وطرف روضاتها أنيقة. وله عدة مصنفات في فنون متعددات، منها: شرحان علىٰ «بداية الهداية» للإمام الغزالي مطولة ومختصرة وقف كل منهما نسخة علىٰ مدينة (تريم) حرسها الله تعالىٰ وسائر بلاد الإسلام؛ لكثرة اعتنائهم بكتب الغزالي تبعاً لشيخه الشيخ أحمد بن حجر فإنه وقف نسخة من «تحفة المحتاج» علىٰ المدينة المذكورة، ورأيت الأولين بخط مؤلفهما والثالثة عليها خط مؤلفها تقبل الله تعالىٰ منهما الفعل المذكور وجزاهما الجزاء الوافر المبرور.

ولصاحب الترجمة كتاب في زيارة النبي ﷺ، ثم اختصره. وله مؤلف في ترجمة شيخه الشيخ أحمد بن حجر المكي. قال في «النور السافر»[1]: ومصنفاته كثيرة لا تنحصر، ورأيت منها جملة عديدة في فنون شتىٰ، ولعمري أنه يشبه الجلال السيوطي في كثرتها بحيث أنه يكتب علىٰ كل مسألة رسالة.

[محمد الشرواني]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ، محمد الشرواني. أحد المدرسين بالبلد الحرام، وانتفع به جمع كثير، وله حاشية علىٰ البيضاوي. ثم اعتزل الناس وكفَّ بصره، ومات وعمره نحو مائة وعشرين.

[عبد الله بن عبد الكبير]

وفيها [٩٨٢]: لست بقين من صفر، توفي الشيخ الجليل، عبد الله بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير، الحضرمي أصلاً المكي مولداً ومنشأ. كان علىٰ جانب عظيم من المروءة، وأوصاف عظيمة من الفتوة، صحب الأكابر، وعمَّ نفعه الأكابر والأصاغر، وكان علىٰ طريقة سلفه الكرام، من بذل الجاه والمال، وإطعام الطعام.

[محمد الشبلي]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ، محمد بن أحمد الشبلي، الشافعي، المكي.

(١) النور السافر: ص ٣١٦.

أحد العلماء النجباء الفضلاء الأدباء. مولده سنة ثمان عشرة وتسعمائة بـ (مكة) المشرفة، ونشأ بمكة وأخذ عن الشيخ عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ، والشيخ عبد القادر الفاكهي وأخيه عبد الله، وبرع في الفقه والفرائض والحساب، والفرد من زمانه بحفظ هذين الفنين، وأخذ عنه جماعة. وانتقل بمكة المشرفة، ودفن بـ (المعلاة). والظاهر أنه أخذ عن والده وشيخ الإسلام أحمد مفتي مكة. رحمه الله تعالى.

[أبو السعود العمادي]

وفيها [٩٨٢]: توفي مفتي الحنفية، أبو السعود أفندي[1] العلاّمة المحقق، صاحب التفسير المشهور. وكان مولده تاسع عشر صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة.

[زين الدين الحطاب]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ زين الدين بركات بن سعد بن عبد الرحمٰن الحطاب، المالكي، المكي. الحبر الهُمام مرجع علماء المالكية ببلد الله الحرام.

[القاضي علاء الدين]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ القاضي علاء الدين بن محب الدين أبي بكر، اشتغل على والده محب الدين الحنفي، وعمه الشيخ قطب الدين المكي، وعلى قاضي المدينة السيد أحمد أفندي المعروف بالبغدادي زاده. وولادته سنة سبع وخمسين وتسعمائة، وتولى قضاء مدينة (تعز)، وتوفي بها. رحمه الله تعالى.

[عبد الله بن عتيق]

وفيها [٩٨٢]: توفي، الخواجا عفيف الدين، عبد الله بن عتيق الحضرمي. كان صالحاً ديِّناً، حافظاً لكتاب الله، لا يفتر عن تلاوته، وكان ذا مروءة. وجاور بمكة المشرفة، وتزوج بابنتي القاضي جار الله بن ظهيرة، وكان كثير الزواج، كثير الإحسان. ومات فجأة، ودفن في تربة ابن ظهيرة. وهو والد عبد الرحمٰن وزير الشريف حسن.

---

(١) انظر: (البدر الطالع ١/٢٦١، الأعلام للزركلي ٧/٥٩، معجم المؤلفين ١١/٣٠١، النور السافر ٢٣٩، شذرات الذهب ٨/٤٦٧).

سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة

[محمد بن علي باهادون]

توفي الشيخ، السيد الشريف، محمد بن علي ـ باهادون ـ بن هارون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل. أخو هارون المذكور آنفاً[1]. أحد العلماء العاملين، الفقهاء الورعين، الأولياء الصالحين، وأحد أركان هذا الشأن، المعروف بخرق العوائد وقلب الأعيان. ولد بمدينة (تريم)، على صفاء ونعيم، ونشأ بسوحها الكريم، وحفظ «القرآن العظيم». وصحب أكابر العارفين، وتفقه في الدين، على أكابر العارفين. ولبس الخرقة الشريفة من جماعة من الأولياء الصوفية؛ وحصل له بذلك أقصى الأمنية.

ورحل إلى اقليم اليمن، ودخل (بندر عدن)، وأخذ عن جماعة من العلماء والفضلاء. ثم رحل إلى الحرمين، وحج بيت الله الأمين، وزار جده سيد الكونين، وجاور بـ (مكة) المشرفة عدة سنين. وأخذ عن جمع كثير، ونال بصحبتهم أكمل خير.

وكان كريماً سخياً لا يُقاس إلا بحاتم، كثير الضيافات والعزائم. وكان حسن الأخلاق، يحب الوفاق، وقد حُكي أن الزعفراني المكي طلب من السيد شيئاً ليس عنده منه شيء، فاعتذر بأنه لم يكن عنده شيء منه، فغضب وتكلم على السيد، فلم يرد له جواباً، ثم تفل في وجهه، فقال السيد: ريق المؤمن شفاء، ثم خرج السيد واجتهد في تحصيل مطلوب الزعفراني، وأرسل به إليه، ولم يتغير خاطره عليه.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكم الأسماء والأوفاق، ويتصرف بها في سائر الآفاق. وكان إذا أصاب أحداً شيء من العلل وقرأ عليه.. عوفي، أو أوذي أحد من إنسي أو جني وقرأ عليه.. لم يعد إليه، وكل مَن ضاع له شيء أخبره بمحله، ومن ضاع عليه مفتاح قفل أو ضبة.. فتحه.

وجاءه بدوي، فقال: ضاع بعيري، وتعبت في طلبه فلم أجده، فقال له: هو

---

(١) هارون بن علي بن هارون. المذكور في وفيات السنة الجارية ـ محل الحديث ـ ٩٨٢هـ.

في محل كذا، فوجده كما قال..

وكان يكاشف كل من خطر بباله شيء بحضرته. واشتهر بالحرمين واليمن، وكان صاحب (دثينة)[1] يعتقده جداً، وطلب منه أن يقيم عنده؛ لكون بلده كثيرة الشرق، فتوطن عنده. وكان كل من ضاع عليه شيء.. أخبره بالسارق وبمحله، حتى صارت من أعظم البلدان أمناً.

وكان مواظباً على الجمعة والجماعات، وكثرة الصلوات، ملازماً للأذكار، بالليل والنهار، كثير الصدقات والخيرات والمبرات. وانتفع به كثيرون، وتربى به خلائق لا يحصون، خصوصاً بعد أن تَنَيَّر (دثينة).

ولم يزل على هذه الحالات إلى وقت الممات، ووافاه القضاء المحتوم، وقدِم على الحي القيوم، ودفن بمدينة (دثينة)، رحمه الله تعالى وإيانا.

[عبد الرحمن بن عبد الله مولى الدويلة]

وفيها [٩٨٢]: توفي الشيخ الشريف، وجيه الدين، عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي بن عبد الله بن علوي بن محمد مولى الدويلة. اشتهر جده بـ (بَنْحَرْ)؛ لكونه سكنها. هو الإمام الشهير، القدوة الكبير، أحد العلماء العاملين، الأولياء الكاملين، المخصوص بالأخلاق الرضية، والشمائل المرضية. وُلد بمدينة (تريم)، وقرأ «القرآن العظيم»، واعتنى بتحصيل العلوم والمعارف، وصحب ببلده كل إمام عارف، منهم: إمام العارفين أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والقاضي محمد بن حسن، والشيخ شهاب الدين. وصحب الإمام أحمد بن علوي، ولازمه في ليله ونهاره، واقتدى بآثاره، واهتدى بأنواره، حتى نال ما نال، وعُدَّ من أكابر فحول الرجال، ولزم طريقته في العبادات والعادات[2]، من الخروج من الخلاف في جميع الحالات، والزهد في هذه الدنيا الفانية، والرغبة في الدار الآخرة الباقية، والقناعة بالكفاف، والورع والعفاف، وكثرة الصيام، وطول القيام، وملازمة التهجد بالأسحار، ومواظبة السنن والأذكار

---

(١) دَثِينة: منطقة تشمل ـ اليوم ـ أراضي مديريتي: مُودية، ولَوْدر من أعمال محافظة أَبْيَن.

(٢) «والعادات» زيادة في النسخة ب.

المشهورة بالليل والنهار، والمحافظة على الأوقات والأنفاس، والاحتراز من المهفوة عند مخالطة الناس. وقد ينعزل عن الخلق مدة أيام، ولا يجتمع به أحد من الخاص والعام. ولم يزل على أحسن الخصال، إلى أوان الانتقال، وقدم على الكبير المتعال. رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[أمطار غزيرة في مكة]

وفيها [٩٨٣]: حصل بمكة المشرفة مطر غزير وسيول كثيرة، دخلت المسجد الحرام، ووصل الماء إلى قفل الكعبة، وتعطلت الجماعة والمسجد سبعة فروض. وتسارعت الناس إلى تنظيف المسجد، وشالت الأشراف والأعيان بأيديها التراب، ونظّفوا مسيل وادي قعيقعان والعتبة التي بنوها لصون المسجد عن المسيل والطين، وهي من الزيادة في الجانب الشمالي إلى قريب باب إبراهيم تحت الأرض، والقائم بذلك أمير بندر جدة الأمير أحمد.

[أحمد بن عبد الله باجمّال]

وفيها [٩٨٣]: توفي الشيخ، أحمد بن عبد الله[1] بن محمد بن عبد الله ابن إبراهيم بن أحمد باجمّال. أحد المشايخ الكبار، الصالحين الأخيار، نشأ من صغره على العبادة، وصحبة الأشراف السادة، ومحبة الأولياء القادة. وأشار بعض الأولياء الكبار ـ وهو في بطن أمه ـ بأنه أحد الأبدال، أهل الكمال.

وكان مواظباً على تلاوة «القرآن»، في جميع الأوقات والأحيان. وكان فقيراً جداً، ثم حصلت له سعة واسعة، وملأة نافعة، فكان ينفق منها يميناً وشمالاً، ولا يخشى من الله إقلالاً.

وكان يحب الفقراء والمساكين، ويكرمهم ولو كانوا مئين، ولم يختلف حاله في الحالين. ثم رحل إلى الحرمين، وزار سيد الكونين، ثم عاد إلى الديار اليمانية، وأقام ببلد (الزاهر) من أرض (الجوف)[2]، وحصل له مزيد الأمن بعد

---

(١) في «خلاصة الخبر» تكرر الاسم مرتين. وهو خطأ مطبعي.

(٢) الزاهر: مدينة في الغرب الشمالي من مدينة الحزم ـ عاصمة محافظة الجَوْف ـ، تقع بالقرب من منطقة المطمّة؛ جهة الطريق الذاهبة إلى خَرْف سُفيان.

الخوف، وحصل له عند أشرافها القبول التام[1]، وحصل لهم به النفع العام، وأقام بالمحل المذكور، إلى أن دعاه داعي القبور، وقُبر بمسجد قريب من بيته؛ ليسهل عليهم كثرة زيارته. رحمه الله تعالى.

[عطية السلمي]

وفيها [٩٨٣]: آخر الحجة أو في السنة التي قبلها، توفي عالم مكة وفقيهها ومحدثها، الشيخ، زين الدين، عطية بن علي ابن حسن السلمي[2]، المكي. جامع أشتات الفضائل، والحائز لكمالات الفواضل، العالم العامل، الإمام الكامل. أخذ عن الشيخ أحمد بن حجر والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، وتفنن في علوم كثيرة، وأتقن غالب الفنون الشهيرة، وغالب اشتغاله في العلوم الشرعية. وجدّ فيها حتى فاق أكثر أقرانه، وسبق في ميدانه. وأجيز بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى، ووُلّي تدريس المدرسة السلطانية السليمانية للشافعية بـ (مكة) المشرفة، وانتفع به جماعة كثيرون، مع ملازمة التقوى، وما يحب الله ويرضى، والورع والصلاح، وغير ذلك بما يرجو به الفلاح.

وكان قانعاً بالكفاف من هذه الدار، مجتهداً فيما ينفعه في دار القرار. وكان من ذلك كثير الإحسان والإيثار، كثير التفكر والاعتبار. وكان يحفظ كثيراً من التواريخ والأشعار، حسَن المحاضرة، لطيف المخاطبة والمذاكرة. وصنّف عدة مصنفات مبسوطات ومختصرات، منها: «تفسير القرآن العظيم» ثلاثة أسفار كبار.

قال الشيخ قطب الدين المكي الحنفي: صحبته في أيام الطلب وبعد ذلك، وبيننا محبة أكيدة، ومودة شديدة. وخلّف ذِكراً جميلاً. رحمه الله تعالى وإيانا.

[محمد الطرابلسي]

وفيها [٩٨٣]: في جمادى أولى، توفي الشيخ أبو سلمة، محمد الطرابلسي، ثم المكي، الحنفي. اشتغل على الشيخ نور الدين علي بن ياسين الطرابلسي

(١) ينحدر أشراف الجَوْف من سلالة الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان ـ انظر: (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ١/١٩٩).

(٢) انظر: (الأعلام للزركلي ٥/٣٣، معجم المؤلفين ٦/٢٨٧).

الحنفي ـ قاضي مصر ـ ثم وُلّي إمامة الحنفية بـ (مكة) المشرفة، شريكاً للإمام محمد البخري، ثم عُزل. وكان من فقراء ولي الله على الإطلاق الشيخ محمد بن عِرَاق فشملته بركته، ولاحظته عنايته.

سنة أربع وثمانين وتسعمائة

[عبد الله بن عبد الرحمن جمل الليل]

توفي السيد الشريف، عفيف الدين، عبد الله بن عبد الرحمن بن هارون[1] الشهير بـ (النحوي). أحد العلماء الأخيار، المشهورين في تلك الأقطار، الجامع بين العلم والعمل، والطريقة التي لا عوج فيها ولا خلل. وُلد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، وقد أخبر بحملة ـ جده لأمه ـ العارف بالله تعالى السيد عبد الله باساكوته[2]، فقال: ستلد بنتي فاطمة ولداً صالحاً.

ونشأ على طاعة الله، وطلب المعالي من صباه، واشتغل بتحصيل العلوم النافعة، والكتب الجامعة، فقرأ «القرآن العظيم» بقراءة الشيخين على خاله السيد الكبير أحمد بن عبد الله باهارون، وأخذ عنه التجويد، وألبسه الخرقة الشريفة خرقة التصوف، هو وغيره من علماء عصره.

وأكثر الأخذ والصحبة من العلماء والأولياء، فأخذ عن جمّ غفير ممن هو أكبر منه، ومن هو من أنداده، ومَن هو أصغر منه. وكان يلتمس الدعاء من كل أحد، حتى من الأراذل والفساق، ونصّب نفسه للتدريس والنفع العام، فأخذ عنه جماعة كثيرون. وكان حسن الحفظ والفهم، حسن الضبط. واعتنى بعلم النحو، وكان يحفظ كثيراً من شواهده، ولهذا سُمي بـ (النحوي)، ثم ترك ذلك، ومال إلى طريق الصوفية، واعتنى بكتبهم لا سيما «الإحياء» وسائر كتب الإمام الغزالي وكان

(١) هو من آل باهارون جمل الليل ـ انظر عنهم: (المعجم اللطيف ص ٧٢، المشرع الروي ١/١٧٣ـ ١٧٧ و٢/٦٩، شمس الظهيرة ١/٤٩١ و٢/٥٩٨). وأمّا صاحب الترجمة فقد أشار إلى وفاته وجانباً من حياته صاحب «النور السافر» ص ٣١٩.

(٢) هو السيد عبد الله باساكوته ابن هارون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل ـ وبقية تدريج النسب انظره في: تاريخ الشعراء الحضرميين ج ٢ ص ٥٣. مع مراجعة أسباب اللقب وتاريخ الأسرة في: (المعجم اللطيف ١٠١، المَشْرع الرَّوِي ١/١٧٢، شَمْس الظهيرة ٢/٥٥٣).

مواظباً على العمل بما فيها.

وكان ورعاً زاهداً، قانعاً باليسير والأدنى من أمور الدنيا. وكان كثير الوعظ للناس، وأكثر وعظه في الزهد في الدنيا والتقلّل منها. وله كرامات وخوارق عادات.

منها: أنه كاشف جماعة بما يفعلونه في بيوتهم، ووقع لبعضهم أنه ارتكب محرماً ولم يطلع عليه أحد من المخلوقين، وجاء إليه، فكاشفه بفعله، وزجره، وعاهده أن لا يعود.

وكان يقول أخشى أن يكون ذلك استدراجاً.

ولم يزل على الحالة الرضيّة، والأخلاق المرضيّة إلى أن وافته المنية، وانتقل بمدينة (زَوْغة)[1]، وقبره في مقبرتها معروف يُزار. رحمه الله رحمة الأبرار.

[عبد الرؤوف الواعظ]

وفيها [٩٨٤]: في يوم الأحد لخمس بقين من ربيع أول، توفي الشيخ، عبد الرؤوف بن يحيى بن عبد الرؤوف المكي، الشافعي، عُرف جده بـ (الواعظ). شيخ الإسلام، مرجع العلماء الأعلام ببلد الله الحرام. الفقيه المفتي، العلامة المحقق، الرحالة الفهامة، جمال الأدب، وطراز حلته، الراقي من هضاب أعالي ذروته. وُلد في رونه فله عام ثلاثين وتسعمائة بـ (مكة) المشرفة، وحفظ «القرآن»، وكثيراً من المتون، في عدة فنون. وأخذ من العلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي، علوماً كثيرة، منها: التفسير والحديث والأصول والعربية، وكان من أجلّ تلامذته، وأجازه بجميع مروياته، وجميع مؤلفاته. وكان يثني عليه ويقول: إنه أتقن جميع الفنون الأدبية إتقاناً تميّز به على معاصريه؛ لأنه أخذ المنطق والنحو والصرف واللغة والعروض والقوافي، وقَرْض الشعر وغيرها من علماء الأعاجم المحققين وغيرهم، واشتغل بها زماناً طويلاً، حتى برع فيها وفاق، وملأ فضله الآفاق، وانفرد ـ بعد وفاة شيخه المذكور ـ برئاسة العلم والتحقيق، وأجازه غير واحد من

(١) زَوْغة: من قُرى تريم، تقع شرقي بلدة الجرب ـ انظر: (إدام القوت في بلدان حضرموت ٥٤٩).

مشايخه بالتدريس والإفتاء، فدرَّس وأفتى وطال باعه، فمن طاوله نُسب إلى العجز والتقصير، ورجع طرف طرفه في مضمار المناظرة وخسىء وهو حسير.

وانتفع به جم غفير، وتخرّج به جمع كثير، من علماء العرب والعجم، وأبان لهم من الدقائق ما أشكل واستعجم، فممّن أخذ عنه: أبو الخير ابن الشيخ بن حجر، والشيخ عبد الملك ابن عصام الدين، والشيخ محمد بن سروم الحضرمي، والمُلاّ محمد البلخي، والمُلاّ صفي الدين محمد الطيب الكيلاني والمُلاّ بلال.

وكان له اعتناء بكتب شيخه: الشيخ أحمد ابن حجر، وكان قد أذن له أن يُصلح ما يراه من مؤلفاته يحتاج إلى إصلاح؛ ولكن لم يتّفق أنه أصلح شيئاً، بل...[1] وله فتاوى عظيمة، ومؤلفات قيّمة، منها: شرح «مختصر الإيضاح» لشيخه الشيخ ابن حجر، ونظم «النقاية» للسيوطي، ونظم «تهذيب السعد». وله «المناهج الجادة إلى معرفة قوادح الشهادة»، وله حاشية على شرح أبيات ابن المقري في «الدعاء» للشبلي. ونظم كثيراً من المتون، وله نظم حسن رقيق، أقر له بالرق حر القول من جديد وعتيق، فمن شعره مهنئاً القاضي حسين الحسيني المالكي حين وُلّي قضاء (المدينة) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة:

حرم المدينة غار من هذا الحرم ... وأراد أن يسمو له منك الحُرَم
فدعاك منه داعي حي على الهُدىٰ ... وإقامة الأحكام فيه والحكم
فأجبته فشدت مطوقة الهدىٰ ... فوق المُصَلّى ساجعات بالنغم
فرحاً ودق في طبوله وعليك قد ... نشرت من الإجلال خافقة العَلَم
وتطاولت أعناق طيبة للقا ... وعيونها طمحت.....[1]
صدر الشريعة في انشراح واضح ... والدين أضحى ثابتاً منه القدم
وافتر ثغر (قُبا) ولاح من الثنيا ... ت العقيق وقُزّ منهله انتظم
ومهابط الرحمن استعدت للقضا ... عربية قد زال منها ما انعجم
هذا وليس القصد إلاّ (مكة) ... فلك الترقي والمراتب...[1]

(١) كلام غامض في الأصل.

وسعادة وسيادة لم يبرحا　　بسوابق الزلفى مسابقة النعم

وأشار بقوله هذا (وليس القصد إلا مكة) إلى أن تولية قضاء المدينة طريق إلى الترقي لقضاء (مكة) المشرفة. ومن شعره ملتزماً الجناس التام، فما أبدع هذا الالتزام:

بأبي ربة الجمال الفريد　　من استقام جفنها الجسم عودي
ذات طرف وقامة مذ عرتني　　بهما صرت بين سيف وعود
يا رعاها الإله ان معنى　　بهواها قد صد هجراً وعودي
البسته بهذا الغرام نحولاً　　وكسته من الضنا ثوب عودي
يا أصيحاب في ربيع الهوى لو　　جاد غيث الوصل لاخضر عودي
كرروا ذكرها فذاك لسمعي　　من يراع أحلى ورنة عود
إن في كأس ثغرها لرحيقاً　　لم يعادله طيب ند وعُود
بالتي بالحجاز شط نواها　　نحن عشاق حسنك الفرد عودي
فمريض الصدود عز دواؤه　　بالشفا عرّجي عليه وعودي
لم أزل في هواك موصول حب　　فصلي رحمة وعطفاً وعودي
قد كفى المطل في مواعيد وصلي　　فإلى كم تماطلي في وعودي

قال أخوه الصالح الشيخ أحمد: مرض أخي عبد الرؤوف عام ثمانين وتسعمائة وخيف عليه، فقال لي: يا أخي بقي من عمري نحو أربع أو خمس سنين؛ فإن والدي توفي وله من العمر خمسة وخمسون سنة، وقد ورد عنه ﷺ إن الأعمار تُوَرَّث[1]. فكان كما قال، رحمه الله تعالى.

[عمر بارجا]

وفيها [٩٨٤]: توفي الشيخ، عمر بن عبد الرحمن بارجا[2]. أحد العارفين،

---

(١) انظر: (إدام القوت ٣٦٣) وفيه أن آل بارجا. هم من سكّان مدينة سيئون، وأنهم يرجعون في النسب إلى الإمام علي الظفاري العبهلي المذحجي. وفي الصفحة التالية من الكتاب المذكور إشارة إلى عدد من علماء وصلحاء آل بارجاء.

(٢) لم تجد نصّاً بهذا الحديث. ولكن ورد عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظهُ من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحُسن الجوار وحُسن الخُلق، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار. رواه أحمد ورجاله ثقات. =

الأولياء الصالحين، صاحب الأحوال العظيمة، والمقامات الجسيمة، والأوصاف الكريمة. وُلد بمدينة (سيوون)، ونشأ بها على الحال الميمون، وصحب جماعة من العارفين، وسلك مع السالكين. وكان مواظباً على الطاعات، مكثراً من الصيام والصلوات، كثير الصدقات، ساعياً في قضاء حوائج المسلمين، مكرماً للضيفان والفقراء والمساكين. وكان له كرامات كثيرة، وأحوال منيرة، وإذا اعترض عليه أحد.. أصيب في الحال، أحدهم أصيب بالعمى، وبعضهم بالمرض.

وكان له جماعات، وأذكار وحضرات. وكان كثير الوجد، واشتهر في تلك الجهة، ثم صحب العارف بالله تعالى[1] معروفاً باجمّال، فمنعه من إظهار الكرامة والوجد، فبقي يحصل له عند الذِكرْ بكاء واقشعرار. ولازم الشيخ معروف، وتأدّب به، وامتثل أوامره ونواهيه. وكان يقول: ما خالفت شيخي معروفاً قط في أمر ولا نهي، ولا خالف[2] باطني ظاهري في شيء، ولا تلجلج خاطري في شيء صَدَر من شيخي، بل أراه عين الحق. وكان الشيخ معروف يحبه، ويثني عليه، ويقدّمه على كثير من أصحابه.

وانفق أكثر أمواله على الفقراء، وقال الشيخ إبراهيم باهرمز للشيخ معروف: لو أطلقتم الشيخ عمر في الوجد وأذنتم له، فأذن له الشيخ، فتواجد في الحال، وبقي يسبح من تلك الساعة من (شبام) إلى أن وصل (سيوون)، ولم يزل بها إلى أن دعاه داعي المنون، ودفن بمقبرة (سيوون)، وهو بها معروف يتقرّب به الصالحون.

[سعيد بن عبد الله بارجا]

وفيها [٩٨٤]: توفي الشيخ سعيد[3] بن عبد الله بارجاء. ابن أخي المذكور

= وحدّث علي بن الجعد قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي بكر القُرشي عن يحيى بن سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «البِر والصلة وحُسن الجوار عمارة في الدنيا وزيادة في الأعمار».

(١) «تعالى». زيادة في النسخة «أ».

(٢) «خالف» زيادة في «ب».

(٣) أورده صاحب الخلاصة: سَعْد.

قبله، أحد الصالحين العباد الناسكين الزهّاد، المكثرين الاجتهاد، صحب أباه وعمه عمر المذكور، وكان كل منهما يحبه ويثني عليه، ثم صحب العارف بالله تعالىٰ معروفاً باجمّال.

وكان ملازماً للطاعة، مواظباً علىٰ الجماعة، مستغرقاً أوقاته بالليل والنهار، بالتلاوة والأذكار.

وآل بارجاء بيت علم وصلاح، وتقوىٰ وفلاح، معظّمين مجلّلين عند الملوك فمن دونهم، واشتهر منهم بالولاية والعلم والصلاح جماعة كثيرون، والغالب عليهم إيثار الخمول، والتواضع، والتقيد بالشريعة، ومحبة الأشراف، لا سيما بني علوي، ومحبة الفقراء والمساكين، والظن الحسن بجميع الناس. رحمهم الله تعالىٰ، ونفعنا بهم.

[الانتهاء من عمارة الحرم المكي]

وفيها [٩٨٤]: تمت عمارة الحرم الشريف المكي، وأرسل السلطان إلىٰ الحرمين بخيرات كثيرة وبالخلع لمن باشر خدمة الحرم، وأرسل بثلاثة قناديل من الذهب مرصّعة بالجواهر النفيسة، فعلّقوا اثنين في سقف بيت الله تعالىٰ وعلّقوا الثالث في الحجرة الشريفة ـ علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ تجاه الوجه الشريف، وباشر ذلك الشريف حسن بيده.

[عبد الله بن سعد الدين السندي]

وفيها [٩٨٤]: توفي الشيخ عبد الله بن سعد الدين السّندي[1]، أحد العلماء الأدباء الفضلاء. وُلد بـ (السند)، وقرأ العلوم، وتبحّر في المنطوق والمفهوم، ثم رحل إلىٰ الحرمين، وأخذ بهما عن جماعة كثيرين، وغلب عليه علم التصوف؛ فكان آية فيه. وأخذ عنه جماعة كثيرون، عدة فنون، واستوطن (طيبة) علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ولازم الطاعة، وواظب علىٰ الجماعة. وله عدة مؤلفات، منها: حاشية علىٰ عوارف المعارف[2]. وانتقل بـ (مكة) المشرفة، ودفن

---

(١) انظر: (النور السافر ٣١٩، شذرات الذهب ٨/ ٤٧٢، معجم المؤلفين ٦/ ٥٧. ومنه: إيضاح المكنون ٢/١٢٩).

(٢) «عوارف المعارف في بيان طريق القوم» تأليف عمر بن محمد السّهروردي المتوفىٰ =

بـ (المعلاة). رحمه الله تعالىٰ.

سنة خمس وثمانين وتسعمائة

[أبو بكر بن عمر العيدروس]

توفي السيد الشريف، أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن علوي بن عبد الله العيدروس[1]. السيد الجليل، ذو المجد الأثيل، أحد أعيان تلك الديار وسادة أفاضلها، ومشايخ تلك الأقطار وقادة أماثلها. وُلد بمدينة (تريم)، ونشأ بسوحها الفسيح العظيم، في عز ونعيم، وصحب أخويه الشيخ أحمد، والشيخ علياً، وغيرهما. ومشىٰ علىٰ طريقة سلفه الصالحين، وآبائه الأكرمين، من إطعام الطعام، والنفع العام، وبذل الجاه، لمن التجأ إليه وأتاه.

وكان مقبول الشفاعة عند الملوك فمَن دونهم، وكان زاهداً في الدنيا، متقللاً منها، باذلاً لمَا دخل عليه منها. وكان عارفاً بزمانه، مقبلاً علىٰ شأنه، كثير الطاعة، كثير الشفاعة. وحُكي أن السلطان غضب علىٰ بعض خدمه، وأمر بقطع يده، فتشفّع فيه، فلم يقبل شفاعته، فقال: يد خادمي بروح من قطعها، فخاف السلطان، وخشي علىٰ روحه، وأطلق الخادم.

وكان والده بـ (عدن)، ولم يتفق له أن يرحل إليه، بل توفي قبل والده، وعاجله الانتقال قبل الاكتهال، ودفن بمقبرة (تريم). بوّأه الله جنات النعيم.

[محمد بن أحمد بُرُوم]

وفيها [٩٨٥]: توفي السيد الشريف جمال الدين، محمد بن أحمد بروم، المتفنن في كثير من العلوم، الجامع لأنواع العبادة، السائر علىٰ الطريق الموصلة لنيل السعادة. وُلد بمدينة (تريم)، ونشأ بها علىٰ صفاء ونعيم، وحفظ «القرآن العظيم». وصحب جماعة من أكابر العارفين، وانتفع بصحبة المشايخ الكاملين. ولزم طريقة سلفه السادة الأخيار، من ضبط أوقاته بالليل والنهار، وتعيين كل

= سنة ٦٣٢هـ ـ انظر: معجم المؤلفين ٧/ ٣١٣.

(١) انظر: (شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي ـ تأليف العلاّمة عبد الرحمن المشهور، ج ١ ص ١٢٣).

ساعة، لنوع من أنواع الطاعة، مع المواظبة على الجمعة والجماعة، وما يقدر عليه من بذل وإرشاد وشفاعة.

وكان يقوم بالأسحار، ويستمر في القراءة والأذكار، إلى أن يطلع النهار. وكان غالب أوقاته في تلاوة القرآن وربما سافر إلى بعض البلدان؛ لتحصيل ما يحتاجه من أمر المعاش. وسبب تسمية والده بـ (بروم): أنه كان يسافر إليها ويقيم بها المدة الطويلة[1]، وهي قرية بالقرب من بندر الشحر.

[علاء الدين الحسيني]

وفيها [٩٨٥]: توفي السيد علاء الدين بير خُرد الحسيني. كان من أهل العلم، درَّس في المسجد الحرام كتب المعقولات، وأخذ عنه جماعة كثيرون. وكان له مشاركة في العلوم الشرعية، وكان حنفي المذهب، سُنّياً حسن الاعتقاد. ومات بـ (مكة). رحم الله غربته، وأسكنه فسيح جنته.

[المُلاّ الأردبيلي]

وفيها [٩٨٥]: توفي الصالح مُلاُّ أوحد الأردبيلي. أخذ عن المُلاّ حسين الأردبيلي العلوم الشرعية، ودرَّس فيها، ثم اشتغل بكتب القوم، واشتغل بالرياضة والصوم. ثم ترك الأكل، فإذا غلب عليه الجوع شرب قليلاً من اللبن، وكان يشرب القهوة كل يوم زبدية. واستوحش من الناس، واعتزل في خلوته. وربما خرج إلى القهوة. واعتقده الناس، ولا قبل من أحد شيئاً. ولمّا طالت غيبته كسروا خلوته فوجدوه ميتاً يابساً، فكفن وصُلّي عليه، ودفن بالمعلاة.

[نور الدين الحرازي]

وفيها [٩٨٥]: توفي الصالح، نور الدين، علي الزمن الحرازي. مولده سنة أربع عشرة وتسعمائة. كان كثير الطاعة والعبادة. وله مكاشفات ومنامات صالحة، يرى النبي ﷺ كثيراً في منامه، ويحصل له بذلك نوع جذب. ثم أصابه مرض انقطع في بيته نحو سنة، وانتقل بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة. وكانت جنازته حافلة.

(١) انظر عن آل بروم: (المشرع الروي ٢/ ٥٤ و١٩٥، شمس الظهيرة ١/ ٢٣٨، المعجم اللطيف ٥٨).

سنة ست وثمانين وتسعمائة

[عثمان بن أحمد العمودي]

ثاني عشر في صفر، توفي الشيخ، عثمان بن أحمد بن محمد ابن عثمان بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي[1]. معدن الرأي والدهاء، وموضع العقل والنُّهى. وُلد بمدينة (قيدون) الشهيرة بوادي (دوعن)، وحفظ «القرآن»، ومشى على طريقة آبائه من لزوم أمور الشريعة، والمواظبة على السيرة النبوية المنيعة. وصحب عمه العلامة عثمان وأخاه عمر بن أحمد. ثم رحل إلى (حضرموت)، فأخذ عن العارف بالله معروف باجمّال، وأخذ بـ (تريم) من ساداتها وعلمائها، والتمس بركتهم، وحصل له مزيد عناية، وجميل رعاية، وطلب منهم الدعاء على ولايته لمنصب آل العمودي، فدعوا له بذلك.

ولمّا رجع إلى شيخه معروف باجمّال.. طلب منه الدعاء والإعانة في ذلك، فقال له: ومن يساعدك ويعينك على أخيك عمر مع صلاحه وعلمه وتقواه وإقامته الدين ثم دعاه من الغد وقال له: إن الشيخ سعيد أتانا البارحة، وقال: أعينوا عثمان، فأنت أعزم على بركة الله، فأنت الشيخ فلمّا وصل إلى (قيدون).. طلبه أخوه عمر، وحلق رأسه وألبسه خرقة المنصب، وقال: عزلت نفسي وأقمتك شيخاً، وذلك بحضرة عمهما عثمان وجماعة من بني العمودي، وتم لعثمان المَنْصِب، وتعب الناس لذلك لحسن سيرة عمر وتقواه. قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الإسرائيلي: لمّا عُزِل عمر وتولّى عثمان.. تعبت وقلت: يُعزَل العالِم العارف ويتولى من ليس كذلك، فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة مقبلاً ومعه بعض أصحابه، فسلّمت عليه، وقلت له: إلى أين يا رسول الله؟ فقال: «لإقامة عثمان»،

(١) وصفه مؤلف «أدوار التاريخ الحضرمي» بأنه زعيم الأسرة العمودية وقصبة سلطنة بضة بوادي دَوْعن ـ (أدوار ٢٤٢، ٢٩٠) وعرّفه صاحب «تاريخ الشعراء الحضرميين» بأنه: حاكم دوعن السياسي (تاريخ الشعراء ١/ ١٤٠).
وفي كتاب «إدام القوت» للعلاّمة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، حديث عن آل العمودي سلاطين بضة. انظر: إدام القوت، ص ١٦٢.

فطبت نفساً.

وكان عثمان صاحب مروءة، وحسن معاملة، وفتوة. وكان كريماً، كثير الإنفاق، عفيفاً، حسن الأخلاق. وكان كثير الأوراد والأذكار بالليل والنهار، وكان يقوم بالأسحار، ويقرأ القرآن بتدبر واعتبار، إلى أن يصلي الصبح، ثم يجلس يذكر الله تعالى، ولا يتكلم إلى أن يصلي الضحى، ثم يشتغل بأمر الرعية وتدبير الولاية.

وكانت أوقاته مضبوطة موزعة، يُعيِّنُ لكل ساعةٍ نوعاً من أنواع الطاعة، وكانت سيرته سيرة أهل العلم والصلاح، منزهاً عن ما يباشره الملوك وحاملوا السلاح، إلا أنه قد تحصل منه فلتات في بعض الحالات، والعصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء، ومع ذلك كان إذا طلب منه الدعاء أهل القحط والشدائد أو توسلوا به في الصلاة والعوائد، لا يمنعهم عن ذلك ما يشاهدونه من الضد.. فيقضي الله حاجاتهم سريعاً، ولا يعودون إلا وقد نالوا ما أمّلوا جميعاً.

ولمّا كبر.. يبست رجلاه، وشق عليه القيام والحركة، فكان يتنقل قاعداً، ويتكلف الخروج لصلاة الجمعة ماشياً ثم راكباً، ثم ضعف عن الركوب، فعُمل له سرير يُحمَل عليه.

وكان مشايخ وقته وأولياء زمانه يعظمونه ويثنون عليه، ويدعون له، ويشيرون إلى أنه من الرجال أرباب الأحوال، وامتدحه جماعة من العلماء والفضلاء بقصائد طنانة. وامتدحه الفقيه عمر بامخرمة بقصائد كثيرة، وكان يثني عليه، ويعظمه، وقيل: إنه أنشأ هذه القصيدة في مرض موته، وأرسل بها مع راويها عوض بن سكران[1]، وقال: إني لم أنشئها لطلب جزاء في الدنيا، فإن أعطاك جائزة.. فلا تقبلها وهي هذه:

يا عوض قل لِذِي كفه غياث المساكين ... قل لِذِي مَكَّنَ اللهُ لَهُ فِي البأس والدينْ
قل لعثمان وافي الذِّرْع شمس البراهين ... ذي مُبِتُّ ساعة أصلاً به من الروم والصين

(١) في «تاريخ الشعراء الحضرميين»: وأرسلها مع خادمه عوض باسكران وأمره بعدم قبول جائزة عليها.
(تاريخ الشعراء ج ١ ص ١٤٠).

ذي ارتسم في جبينه سرُّ طُه ويس ... تاش لك تاش يا ابن أحمد عناية وتعيين
زادك الله على مَرِّ الجديدين تمكين ... وأبلغك فيهما الآمال لي ملت في الحين
فإنك الكنز لي يُخْبأ لفك المراهين ... وأنت سيف الله الذي بِهْ تُذاد الشياطين
صدق ما أنا بقائلْ فيك ما أقُوْل تحسين ... اذكر العهد يا ابن أحمد وحصّنه تحصين
عهد عبد الله بن أحمد وبوك المداقين ... ذي صُفُو ثَمّ يا عثمان من مزجة الطين
وأصبحوا في طريقْ الله بحَقُّه مُحِقِّين ... هم سندنا إذا اسودّت وجوه الشياطين
هم عُرانا وَمَلْنا[1] يوم وضع الموازين ... يا الله إنْ صوَّت نيراتهم بالدخاخينْ
وأوقدوها لنا من غير لطفٍ ولا لين ... فاكفنا شرهم يا الله بسر الطواسين

[محمد الخلوتي]

وفيها [٩٨٦]: في سابع عشر جمادى آخرة، توفي الشيخ، محمد ـ أبو البقاء، كريم الدين ـ بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عبد الله، الشافعي مذهباً، الخلوتي طريقة، الأشعري اعتقاداً، المصري مولداً. خاتمة السلف المتقدمين، وفهامة الخلف المتأخرين، حوى من المعارف الجليلة ما لا تحصره الأقلام، ومن العوارف النفيسة ما اعترف به الخاص والعام. وُلد ـ رضي الله عنه ـ في يوم عيد الفطر، سنة (٨٩٦هـ) ست وتسعين وثمانمائة، وكان أبوه زياتاً، ونشأ صاحب الترجمة في كنفه، حتّى شب ومال إلى الخير ومجالس الذِكر، ينشد فيها كلام القوم، ورُزق حسن الصوت، وطيب النغمة.

ولازم مجلس الشيخ دمرداش، فأعجبه حسن تأديته لكلام ابن عربي وابن الفارض؛ فأشغله بالطريق، وأخلاه مراراً، وظهرت نجابته. وجدّ واجتهد، حتّى مهر واشتهر، وتلقى عنه علم الأوفاق، واشتغل بعلم الحرف والزايرجة والرمل، فأتقن ذلك. ولمّا احتضر قال لولده محمداً: أُشهدكم أني أجزت كريم الدين.. فاكتبوا له، وأعطوه جبتي. فكُتبت بعض الإجازة وأكملها ولده بعد موته، وأُعطي الجبة غيره، فقتل، فدفعت له. ولمّا جلس حسن خليفة الشيخ على سجادته قال له: بم تشتغل؟ فقال له: باسم كذا؛ بأمر الشيخ. قال دع ذلك واشتغل بكذا،

(١) هكذا وردت في الأصل. قال صاحب «الخلاصة»: لعل المراد: «أملنا».

فأظهر الامتثال وقال في نفسه غيضاً: أعلم بالحال وأخبر بمراتب الرجال. ثم انجمع عنه وجلس في قاعة سلطان شاه؛ فاجتمع عليه أكثر جماعة شيخه، ثم اعتزل إلى زاويته فزاد ظهور وجاهته، وعلت رتبة منزلته، وانتهت إليه الرئاسة في طريق «الخلوتية»[1]، وقُصِد للأخذ عنه من جميع الأقطار، وظهر أمره ظهور الشمس في رابعة النهار، وبرع في هذه الطريق، ونشر أعلامها وسلك معالم التحقيق، حتى صار خطيبها وإمامها. وتضلّع من علوم جمة، وأسرار مهمة، وجلس للتدريس والإرشاد والنفع المتعدى للعباد فأخذ عنه جم غفير، من صغير وكبير، وجليل وحقير، منهم: شيخ الإسلام نور الدين المقدسي، والشيخ شهاب الدين بن عبد الحق الصغير، والشيخ الشمس البهنسي. فكم أوصل مُريداً إلى الغاية القصوى، وكم بلغ مُريداً ما أحب من طريق العمل بالتقوى.

وكان مشهوراً بالكشف عن غوامض الأسرار، ومذكوراً بالفحص والتبيين لكلام السادة الأبرار، خصوصاً عما يشكل من كلام الشيخين الجليلين: الشيخ محيي الدين ابن عربي والشيخ عمر ابن الفارض، نفعنا الله بهما. وله في حل كلام القوم رسائل جليلة، تنبىء أن عند مؤلفها أتم فضيلة، قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي: صار - وشيخنا الشعراوي - شيخي الديار المصرية، وكان بينهما ما يكون من الأقران، وكان الشعراوي يتلافى خاطره، فلا يساعده ويقصده للزيارة فتارة يجتمع به وتارة لا، فكان ذلك سبب ظهور التنافر بعد ما كان كامناً، حتى قال العارف الشعراوي في بعض مؤلفاته: برز شخص في عصرنا وصار يأخذ العهد على الناس، وأقبلوا عليه، وصار الباشا وجماعته يطمعونه، فذهبت إليه وسألته عن مسألة في الوضوء فما عرفها، فقلت له: لا تُكمل مشيخة الفقير على الفقير إلا إن عرف ما قاله علماؤهم! قال: علّمني، فعلمته بعض مسائل، ثم جئته ثانياً فأغلق الباب ثم ثالثاً، فقال بعض جماعته: قال الشيخ فلان طلب أن يجعلني فقيهاً وأنا صوفي. ففهمت من كلامه أنه اعتقد أني دعوته لأمر فيه نقص، وصاروا يهزؤون ويقولون: فلان طلب يعلمنا فقهاً مثل ما هو فقيه. فانقطعت عنه.

---

(١) الخلوتية: طريقة صوفيّة منتشرة في مصر وسورية.

وكان صاحب الترجمة يقول: إنما يريد الشعراوي بالمجيء إليّ أنه يسلبني، يظن أنه يقدر على ذلك.. هيهات، ثم لمّا مات الشعراوي.. انفرد صاحب الترجمة، وأقبل عليه الخاص والعام، وقُصِد للشفاعة عند الحكام. وكان إذا غضب على أحدٍ لإخلاله بالأدب لا يكاد...[1] حتى انه غضب على الشيخ عبد الوهاب بن شتوب فأخرجه. فشفع فيه شيخ الإسلام الشهاب الرملي وكتب بخطه عدة صحائف يسأله الرضى عنه، فلم يجبه مع ما بينهما من المحبة، غايته أنه أعاد له التاج الذي هو شعار الخلوتية.

وكان الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني ينكر عليه - في الابتداء - بالذكر بالجلالة، وقال: هو مبتدأ ولا بد من خبر، فعمل صاحب الترجمة في الجواب رسالةً؛ حاصلها: أن القوم ما زالوا على هذا المنوال، ووجدوا بركته وتأثيره، وأن الخبر محذوف تقديره، المعهود أو المطلوب أو الموجود أو نحو ذلك. قال الشيخ عبد الرؤوف: وفي الحقيقة هو اعتراض لا ينبغي جوابه إلا بالسكوت؛ لكونه أوهى من بيت العنكبوت، ولو أحب من هو دون الشيخ أن يجمع في ورده مجلداً ضخماً لأمكنه ذلك. وقد أجمع أهل عصره أنه ليس له في عصره نظير.

ومن طريقته السنية، وكراماته العلية، أنه: كان حاسماً نفسه عن أرباب الدنيا الدنيئة، لا يتردد إليهم، ولا يُعوِّل عليهم بالكلية، وكان يقول: لا نسأل في أمورنا إلا الله، ولا نُعوِّل على سواه. وكان مستغنياً بما علّمه الله من علم الحرف والأوفاق، والتصرف بها في جميع الآفاق، وغير ذلك من العلوم المصونة، والأسرار المكنونة. فهو نخبة الزمان، ونادرة الأوان.

وتلقى طريقته التي هي طريقة السادة الخلوتية عن الشيخ محمد دمرداش - عتيق السلطان قايتباي - وهو تلقى عن دادات الروشني، وهو عن السيد يحيى، وهو عن الشيخ صدر الدين، وهو عن الشيخ عز الدين، وهو عن أخي مرمر، وهو عن الشيخ عمر الخلوتي، وهو عن الشيخ إبراهيم الزاهد، وهو الشيخ جمال الدين، وهو عن شهاب الدين الغُزّي، وهو عن ركن الدين محمد النحاسي، وهو

---

(١) بياض بالأصل.

عن قطب الدين الأمهري، وهو عن أبي النجيب السهروردي، وهو عن القاضي عمر البكري، وهو عن محمد البكري، وهو عن الشيخ محمد، وهو عن ممشاد الدينوري، وهو عن أبي القاسم الجنيد، وهو عن سري السقطي، وهو عن معروف الكرخي، وهو عن داود الطائي، وهو عن حبيب العجمي، وهو عن الحسن البصري، وهو عن سيدنا علي كرم الله وجهه، وهو عن سيد الكونين ﷺ.

وهو تلقىٰ طريق السادة الشاذلية عن الشيخ عبد الكبير اليمني وجماعات، منهم: وقرأ البخاري علىٰ الشيخ شمس الدين الغُزي الحنفي، وله إجازة بذلك. وأخذ عن الشيخ أمين الرواحلي. وكان يقول: ليس في الوجود من علماء الحديث أقرب سلسلة منا، ولله الحمد. ولم يزل علىٰ هذه الأحوال، إلىٰ أن وافاه الانتقال، وانتقل في يوم مشهور في التاريخ المذكور، عن نحو تسعين سنة. رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به.

[جار الله ابن ظهيرة]

وفيها [٩٨٦]: لتسع بقين من رمضان، توفي القاضي جار الله بن أمين الدين بن ظهيرة، الحنفي، المكي. قرأ الفقه علىٰ الشيخ أحمد بن طولون، والشيخ محمد العجمي، والشيخ أحمد المقدسي. وأخذ عن العلامة أحمد بن عبد الغفار، والشيخ بهاء الدين. وتصدّر للتدريس والفتوىٰ، وكان لطيف الذات، حسن العشرة، عظيم المروءة، محب للفقراء والفضلاء، محسناً متكرماً. وكان مرجع الحنفية في الفتوىٰ. رحمه الله تعالىٰ.

[شهاب الدين القدسي]

وفيها [٩٨٦]: توفي الشيخ الإمام العالم الهمام، شهاب الدين القدسي، الحنبلي، الشافعي، بـ (مكة) المشرفة ويقال إنه من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه. وكان من العلماء العاملين، والمشايخ الزاهدين، مقبل علىٰ الله تعالىٰ بكليته، لا يلتفت إلىٰ الأكابر، وإذا جاءوا إليه لم يقم لأحد منهم. تفقه علىٰ الشيخ شمس الدين وأخذ عن الشيخ أحمد بن حجر، وسلك الطريق المثلىٰ، التي لا عوج فيها ولا أمْتًا. ولازم التقوىٰ في السر والنجوىٰ، مع كثرة العبادة والطاعة، ولزوم الجماعة، لا يخلو عن ذلك ساعة. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

سنة سبع وثمانين وتسعمائة

[أحمد مُرْزَق]

توفي السيد الشريف، أحمد بن محمد بن أحمد مُرْزَق. اشتهر جده أحمد بـ (مُرْزَق)[1] ـ بفتح الميم والزاي بينهما راء ساكنة آخره قاف، واشتهر أبوه بالمجاهد لأنه جاهد في سبيل الله بأرض الحبشة مع إمامها، وأبلىٰ بلاء حسناً حتىٰ قتل بها.

ونشأ ولده أحمد هذا بـ (الحشبة)، وقرأ «القرآن» بالفصاحة والبيان، وتمسك بالدين، ومشىٰ علىٰ شريعة جده سيد المرسلين، مواظباً علىٰ العبادات، وأنواع القربات، وقيام الأسحار، ولزوم الأذكار المشهورة الواردة بالليل والنهار.

وكان كريماً سخياً، ورعاً زاهداً تقياً، يحب الفقراء والمساكين، ويصاحب أهل الدين المتقين، وأخذ عن جماعة من العلماء الواردين إلىٰ (بر سعد الدين)[2]، وانتفع به جمع كثير من المسلمين، في أمور الدنيا والدين. وكان مقبول الشفاعة، وكلمته عند الملوك مطاعة. وكان ملجأ للواردين إلىٰ تلك الديار، وملاذاً للفقراء والتجار، قائماً بخدمة الجميع، ومن التجأ إليه صار في حصن منيع. ولم يزل كذلك إلىٰ أن انتقل هنالك، ودفن بـ (بر سعد الدين)، جعله الله في أعلىٰ عليين.

[عمر بن عبد الله الهندوان]

وفيها [٩٨٧]: لثلاث خلون من محرم، توفي السيد الشريف، عمر بن عبد الله بن عمر الهندوان بن أحمد بن حسن الورع[3]، شجاع الدين، وعَلَم

---

(١) هو أحمد مُرْزَق بن عبد الله زَطَب بن محمد المُنَفّر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قَسَم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ـ (شمس الظهيرة ١/ ٣٥٨، المعجم اللطيف ١٧١، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٤٣).

(٢) بر سعد الدين. منطقة من أرض الحبشة.

(٣) ترجم له المؤلف في كتابه «المشرع الروي» ترجمة واسعة، وقال أن سبب تلقيب جده =

الأولياء الصالحين. أحد فضلاء هٰذه الأمة، ومن يُرتجىٰ عند ذِكره الخيرات والرحمة. اشتغل بالطاعة من صغره، ولم يعرف له كبوة في كبره، وجبله الله تعالىٰ علىٰ مكارم الأخلاق، وحسن المعاشرة والارتفاق. واشتغل بنفسه، وانعزل عن أبناء جنسه، كثير الذِّكر، عظيم الفكر، غلب عليه علم الصوفية، وكثرة الأعمال الصالحة مع حُسن النية.

وذُكِر في «النور السافر» أنه أخبر عن شيء يقع في بعض الناس قبل وقوعه، فوقع كما قال. وسبب شهرة جده عمر بـ(الهندوان) أنه كان شديداً في دينه وبدنه، فشبه بالحديد الهندواني.

واستمر مواظباً علىٰ طاعة مولاه، إلىٰ أن حضرته الوفاة. رضي الله عنه وأرضاه، ودفن في مقبرة (تريم) بَوّأه الله جنات النعيم.

[شحاتة اليمني]

وفيها [٩٨٧]: توفي الشيخ شحاتة اليمني. أحد الفقهاء الشافعية، وكان في الجامع الأزهر يُفتي ويدرِّس، وكان من أهل الدين والتقوىٰ، كثير الخير والإحسان.

[محمد اللقّاني]

وفيها [٩٨٧]: خامس صفر، توفي الشيخ رضي الدين محمد اللقّاني الشافعي المصري. أخذ عن العلامة الشهاب أحمد الرملي، والعلامة ناصر الدين اللقاني، والعلامة ناصر الدين الطبلاوي، والشيخ المحقق شهاب الدين أحمد بن عُميرة، وسائر أهل ذلك الجيل من علماء مصر ومشايخها ومحدثيها، ثم اختار المجاورة بـ(مكة) المشرفة، فأقام علىٰ الدّرس والإفادة، والطواف والعبادة، وانتفع به كثيرون من الطلبة، وفضلوا بملازمته. وكان له نظم حسن، وإنشاء لطيف، وحسن أدب، ولطف محاورة، واستحضار ومفاكهة، ومحاضرة ومروءة، وصبر وقناعة.

= (عمر بن أحمد) بالهندوان... يرجع إلىٰ قوة دينه وبدنه تشبيهاً بالحديد الهندوان. انظر: (المشرع الروي ٢/٢٤٦، وشمس الظهيرة ١/٣٣٣، والمعجم اللطيف ١٩١، النور السافر ٣٢٤). وتدريج اسمه كالتالي: عمر بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن حسن الورع بن علي بن محمد مولىٰ الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم.

[تقي الدين ابن فهد]

وفيها [٩٨٧]: توفي الشيخ، تقي الدين ابن فهد. مفتي المسلمين، صدر المدرسين، صفوة العلماء الأكرمين. أخذ عن العلامة أحمد بن عبد الغفار النحو والأصول والحساب، وأخذ عن قريبه جار الله بن فهد. ورحل إلىٰ (الشام)، وأخذ عن علمائها، ولازم الشيخ شمس الدين بن سلطان مفتي تلك الديار وعالمها، وكتب عنه الفتيا؛ فإنه كان ضريراً، فأجاز له هو وغيره بالإفتاء والتدريس. وعاد إلىٰ (مكة)، ووُلّي بها نيابة القضاء عن القاضي هداية الله، وولاه خطابة من أيام الحج، ودرَّس في الحرم الشريف وأفاد، وكان مرجع الفقهاء، وانتفع الناس بعلمه وفتواه، وكتب منسكاً مختصراً في مذهب أبي حنيفة. وعُرف بالحفظ والفهم، مع لزوم الجرأة وعدم التردد والقناعة.

وفيها [٩٨٧]: في ذي القعدة، توفي الشيخ، نور الدين، علي بن حسن بن العارف بالله تعالىٰ عبد الله باكثير. الفاضل الأديب، الشافعي، البليغ اللبيب، المفوه المجيد، الأوحد الفريد، شاعر البطحاء. وُلد سنة اثنتي عشرة وتسعمائة بـ(مكة) المشرفة، واشتغل علىٰ والده وأعمامه علماء مكة ومدرسيها ومفتيها. وله ديوان شعر استبعد فيه رق الكلام المحرر، ونظم عقداً كلله بجوهر. وشعره محشو من النكت اللطيفة، والصناعات البديعة الظريفة، وله مداعبات لطيفة. وكان بينه وبين قطب الدين الحنفي محبة أكيدة ومراسلات ومفاكهات ومشاعرات ومطارحات.

[محمد البهنسي]

وفيها [٩٨٧]: توفي شمس الدين، محمد البهنسي[1]، الحنفي. مفتي الديار الشامية، أحد فضلاء الزمان، وعلماء العصر والأوان. انتفع به جمع كثير، وله كتابة علىٰ ملتقىٰ الأبحر[2]، أفاد فيها وأجاد، وسلك فيه السلوك المستجاد.

[رضي الدين المصري]

وفيها [٩٨٧]: توفي رضي الدين بن خضر المصري. أخذ عن الشيخ

(١) انظر: (معجم المؤلفين ٩/ ١٢٣ـ ومن مصادره: كشف الظنون، تأليف حاجي خليفة).

(٢) ملتقى الأبحر «في فروع الحنفية» تأليف إبراهيم الحلبي ـ انظر: معجم المطبوعات العربية ١/١٣.

أبي الحسن البكري وولده محمد، وكان له اعتقاد في المشايخ البكرية، وله خيرات كثيرة، ووجاهة عند الدولة. واعتنى بالمساكين والمحتاجين، ومات بمكة ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

وفيها [٩٨٧]: جهز سلطان الروم ـ مراد خان بن سليم خان ـ لقتال شله خدابند ـ سلطان العجم ـ عساكر كثيرة وجحافل مستطيرة، فساروا إليه إلى عقر داره، ومحل قراره، إلى أن نزلوا بأرض (فارس)، فوقع بينهم القتال في موضع يقال له صحراء (جلدر)، فقتل من الفريقين خلائق لا تحصر، وعُدّت القتلى من الرافضة فكانوا نحو أربعين ألفاً، ومن عسكر الروم أحد عشر أميراً، وكانت الدائرة على جنود الرافضة المفسدين، فولّوا مدبرين، وسارت عساكر بني عثمان إلى أرض شروان وحصونها بعدد وعدة وخزائن معدة.

سنة ثمان وثمانين وتسعمائة

[زين بن سراج الدين باجمّال]

في المحرم، توفي المعلم زين بن سراج الدين باجمّال. أحد عباد الله الصالحين، العباد الناسكين. أخذ عن الشيخين الشهرين: عن[1] المعلم محمد، وأخيه عبد الرحمٰن ابني أحمد باعبّاد، ورحل إلى (تريم) وأخذ عن جماعة بها، ولازم الشيخ عبد الله بافضل[2] حتى تخرج به، وألبسه خرقة الصوفية، وعاد إلى بلده، واشتغل بتعليم «القرآن» للولدان الصغار، وحفظه عليه خلق كثير، وحصل له ـ إن شاء الله تعالى ـ الثواب الغزير، وأثنى عليه جماعة من مشايخ عصره وفضلاء دهره. رحمه الله تعالى وإيانا.

[سالم بن أبي بكر الكاف]

وفيها [٩٨٨]: توفي السيد الشريف، سالم بن أبي بكر بن أحمد الكاف[3].

---

(١) في «أ»: بن.

(٢) ورد اسمه في خلاصة الخبر: الشيخ حسين بن عبد الله بافضل. ولعلّه الأصوب؛ وقد ترجم المؤلف للعلاّمة حسين بن عبد الله بافضل ضمن وفيات سنة ٩٧٩هـ.

(٣) ترجم له المؤلف في كتابه: المشرع الرّوي ج ٢ ص ١٠٣ وأورد فيها تدريج اسمه كالتالي: سالم بن أبي بكر الكاف بن أحمد بن محمد بن أحمد كريكره ابن أبي بكر الجعفري بن =

أحد السادة المُعظّمين، بني علوي الأفخمين، عالي الرتبة[1] والمقام، المخصوص بالفضل التام. وُلد ب (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وصحب العارف بالله تعالى أحمد بن علوي باجحدب، والإمام العظيم السيد محمد بن علوي قُسَم. وأخذ عن القاضي محمد بن حسن، وتمسك بالعروة الوثقى، والسبب الأقوى، من الدِّين والتقوى، وتسربل بسربال الورع والتقى، وتعلّق بأسباب الرقي فارتقى، وحسنت حالته، وارتفعت منزلته، وأثنى عليه علماء عصره، ومدحه فضلاء دهره.

ولبس الخرقة من جماعة من العارفين، وأذنوا له في الإلباس، وحكّموه وأذنوا له في التحكيم، وانتفع به جماعة من المريدين، وتفقه به غير واحد في الدِّين. وكان الغالب عليه الخلوة والانعزال، طلباً لإصلاح حاله وروماً للاعتدال، وملك نفسه وقصرها، ولو شاء أن يعد كلماته.. لحصرها.

ولم يزل سابقاً في هذا المضمار، إلى أن انتقل من هذه الدار، رحمه الله رحمة الأبرار.

[لطف الله المدرس]

وفيها [٩٨٨]: توفي الشيخ محمد لطف الله بن شمس الدين أحمد المدرس. أحد المشهورين، والأعيان المذكورين. أخذ عن والده وغيره، وتوفي بمكة المشرفة بعد مرض طويل. رحمه الله.

[عبد الله بامخرمة]

وفيها [٩٨٨]: توفي الشيخ المجذوب، عبد الله بامخرمة الحضرمي ب (مكة) المشرفة، كان من أولياء الله تعالى. كان كثير الذكر، يجهر به ويجهر بالقراءة في الصلوات الخمس خلف الإمام، ولا يخالط أحداً، ولا يقبل من أحد شيئاً، وقد يقبل من بعض معتقديه في بعض الأحوال، وكانت جنازته حافلة.

[علي بن ناصر الكيلاني]

وفيها [٩٨٨]: توفي الشيخ الفاضل، السيد، علي بن ناصر الكيلاني

= محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم.

(١) في الخلاصة: عالي المرتبة.

اللاحجي الزبدي. كان له فضل وتقرّب عند الملوك من غير طمع فيهم، بل يكتفي بالكتابة، وخطه حسن. وكان يكتب كل سنة نسخة من التفسير الكبير للفخر الرازي. وكان صحيح الكتابة تشتري منه كل نسخة بمائة دينار ذهباً، وتتزاحم الأكابر على شراء نسخة؛ ويقدمون له ثمنه ليظفروا به.

وتوجه من مكة إلى مطهر ـ إمام الزيدية ـ بن شرف الدين، وأقام عنده سنوات، وعاد إلى (مكة) على حالته الأولى، وكان يوصي أن يُدفن في الفخ عند قبور من قُتل هناك من الأشراف.

[محمد الهروي]

وفيها [٩٨٨]: في رمضان، توفي الشيخ الصالح مُلاّ محمد ساقي الهروي، جاور بمكة المشرفة نحو ثلاثين سنة، ملازماً للطاعات من طواف وعمرة، وحج وجماعة، وله خط حسن صحيح، وشعر وسط. وكان مُعتَقَداً صوفياً فقيراً، لا يتردد إلى أحد، قانعاً، له حسن مفاكهة وملاءمة. ومات بمكة، ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى.

سنة تسعين وتسعمائة[1]

[محمد النَّهْرَوَاني]

توفي الشيخ قطب الدين بن علاء الدين علي ـ وربما سُمّي أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي الكجراتي[2]، الحنفي مذهباً، النهروالي[3] أصلاً ومحتداً، المكي مولداً. إمام المنثور والمنظوم، الجامع لسائر العلوم. ولد بـ (مكة) المشرفة، سنة عشر وتسعمائة، واشتغل بكسب العلم وتحصيله، وتأثيل المجد وتأصيله، وأخذ عن

(١) لم تُذكر سنة ٩٨٩هـ.

(٢) انظر: (معجم المؤلفين ٩/١٧، الأعلام للزركلي ٦/٦، البدر الطالع ٢/٥٧، النور السافر ٣٤٢، شذرات الذهب ٨/ ٤٩٠، مقدمة تحقيق كتابه البرق اليماني في الفتح العثماني).

(٣) أورده البعض: النهرواني. والأصح ما أثبته المؤلف وصاحب النور السافر وغيرهما: (النهروالي) نسبةً إلى نهرواله من أعمال الهند. كما أن مؤلف «التاريخ والمؤرخون بمكة» أثبت لقبه الصحيح هذا: النهروالي.

والده، والشيخ محمد الحطاب وولده يحيى؛ والعلامة أحمد بن عبد الغفار، ورحل إلى (الشام) و(الروم) و(مصر)؛ وأخذ عن الشيخ عبد الرحيم بن العباس شارح «شواهد التلخيص»، وعن الشيخ إبراهيم الجلعي الحنفي شارح «المقدمة»، والعلامة مهيار بن يوسف البوهموشي. وكتبوا له إجازة نظماً ونثراً.

وذكره الشهاب في «الريحانة»[1]، فقال: قطب مركز دائرة تلك الأقطار، والصدر المستودع لمّا فيها من الأسرار. وهو فاضل جرى في بساتين فضله جداول الآداب، وتمسك الشعر منه بأعظم الأسباب، فوقف دون مداه ضده وحسوده، ومن قيّده الكلال لا تُفك قيوده، فذاك كمن جارى جواداً بمفرق قوائمه مشكولة بحران، فسماء مجده مطلعة لكواكب شعره، وزهرة عمره سقيت بماء سروره وبشره. تنقطع عند كرمه الآمال، وتعجز الأماني، ويقصر سلك الألفاظ عن نظم ما فيه من در المعاني، وتُقبّل أفواه الأقلام في مداده، ولهم سويداء كل لبيب في سواده. وتتفتح عيون لأنوار لشاهد ساطع أنواره، وتترنم حمائم الحرم بأسجاعه وأشعاره، ويعب نسيم مجد تشففه برقته عليلاً، ويجر على إثره بمضاهاته له ذيلاً بليلاً لتغليه بلبان فصاحة جدودي سليم، واقتناصه أوابد بها، فأعجب لمن حل له الصيد في الحرم، وقد شحذ مرهف طبعه بيد الكمال، وسن أسلّة لسانه. . فانجلى به فريد سحره الحلال، حتّى يفتك فتوى تلك الأقطار ظلال يراعته. وصالت مسائل المسائل في جياد براعته، فكان قطب تلك الدائرة، وعليه مدار فلك الفضل، وبه الأمثال سائرة؛ فمعول أمورها عليه، ومنصرف وجوه الإقبال إليه، حتّى أصبح عاطل حاله حالياً، ومرتفع حظه عن وهاد الخمول عالياً، ما يرد إلى (مكة) أحداً إلا فيّأه ظلال الكرم والسماح، وهز عطف أصله بنشوة الارتياح إلى تعدي الأمل. من قطب دائرة الأمل، فدارت عليه رحى المنون، وطحنت دقيق أفكاره السنون، فدعاه لجوار الجنان، وتلقّى جدثه بروح رحمة ورضوان، وطافت بمثواه وفود الغفران. وقد نعاه الفضل والكرم، وناحت لفراقه حمائم الحرم. شعر:

حمائم أبلت في الحنين لباسها ... فلم يبق منها غير طوق بجيدها

(١) «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» تأليف شهاب الدين الخفاجي المصري ـ انظر: (سركيس: معجم المطبوعات العربية ج ١ ص ٨٣١).

فمما تهادته الركبان من شوارده، وعلق في كعبة الفصاحة من نخبه وقصائده، قوله:

أقبلَ كالغصن حين يهتزُّ ... في حلل دون لُطفها الخزُّ
مهفهفُ القدِّ ذو محيّا ... بعارض الخدِّ قد تطرزُ
دار بخديه واو صدغ ... والصاد من لحظه تلوزُ
الخمرُ والجمرُ في لماه ... وخدّه ظاهر وملغزُ
يشكو له الخصر جور ردفٍ ... أعجزه[1] حمله وأعجزُ
طلبت منه شفاء سقمي ... فقال لحظي لذاك أعوزُ
قد غفر الله ذنب دهرٍ ... لمثل هذا المليح أبرزُ
جزّ فؤادي بسيف لحظٍ ... أواه لو دام ذلك الجزُّ
أفديه من أغيدٍ مليحٍ ... بالحُسْنِ في عصره تميزُ
كان نديمي فمذ رآني ... أسيره في الهوى تعززْ
حرمٌ من وصله مباحاً ... لمّا أحلَّ القلا وجوّزْ
يا قطبُ لا تسلْ عن هواه ... وأثبت وكن في الغرام[2] مركزْ

وله في الوزير سنان لمّا فتح اليمن:

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر ... على غزوة الإسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد إذا سمت ... له الهمم العليا إلى أشرف الذكر
جنود رمت من كوكبان حيامها ... وآخرها بالنيل من شاطىء مصر
تجر من الأبطال كل غضنفر ... بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عسكر سلطان الزمان مليكنا ... خليفة هذا العصر في البر والبحر
حمى حوزة الدِّين الحنيفي بالقنا ... وبيض المواضي والمثقفة السمر
وحين أتاه أن قد اختل جانب ... من اليمن الأقصى أصر على القهر
وساق لها جيشاً عظيماً عرمرماً ... يدك فجاج الأرض في السهل والوعر
لدى أسد شاكي السلاح عرينه ... طوال الرماح السمهرية والبتر

(١) في ب: أثقله حمله.
(٢) في ب: وكن في هواه.

وزير عظيم الشأن ثاقب عزمه ... يجهز في أن جيوشاً من الفكر
بشان عزيز القدر يوسف عصره ... ألم تره في مصر أحكامه تجري

وله:

أحسن من غفلة الرقيب ... ولحظة الوعد من حبيب
وقبلة كانت اختلاساً ... في وجنتي شادن ربيب
كتب أديب إلى محبٍ ... طالت به مدة المغيب
تترك من سطّرت إليه ... أهيم من عاشق طروب

وله رحمه الله تعالى:

بدا عرق في خده فسألته ... إذا ما تبدى قال لي وهو يمزح
ألا إن ماء الورد خدي إناؤه ... وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح

وهذا مثل أورده الميداني في أمثاله، ولم يرد فيه على قوله: كل إناء يرشح بما فيه، ويروى: ينضح بما فيه، أي يتحلب. انتهى. وقد سبقه لها محيي الدين بن تميم كما وقفت عليه في ديوانه وهو:

سقى الله روضاً قد تبدّى ... به رشا كالغصن يلهو ويمزح
وقد نضحت خدّاه من ماء ورده ... وكل إناء بالذي فيه ينضحُ

وعن الشيخ نصر الله بن محلي أنه رأى في المنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال له: يا أمير المؤمنين تفتحون (مكة) وتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقد تم على ولدك الحسين - رضي الله عنه - ما تم! فقال له: أما سمعت أبيات ابن الصفي - يعني به الحيص بيص -؟ فقلت: لا، فقال: أسمعها منه، فلمّا انتبهت ذهبت إليه، وذكرت له ما رأيت في منامي، فبكى وحلف أنه نظمها في هذه الليلة ولم يقف عليها سواه، وأنشدها له وهي:

ملكنا فكان العفو منا سجيّة ... فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضحُ

قال الشهاب: وهذا المثل لم أر من شرح مورده ومن ضربه، وهو يحتمل معنيين: أحدهما، وهو الظاهر المتبادر أن كل أحد يلوح على ظاهره ما في بطانه.

وإن أخفاه. كما قيل: من أستر سريرة رداه الله بردائها، والثاني: أن كل أحد يجازى من جنس عمله، وهو الذي قصده الحيص بيص. وقد قلت في بعض الفصول: كل عداوة تزول إلا عداوة الحسد، وكل زارع لمّا زرع حصد. وبيضة ابن داية النعاب وإن جثا عليه طاوس (عدن) لا يفرخ إلا الغراب، وإن كان عشه في سدرة المنتهى، وقد غذيتها من ثمار الجنة ومنتها. وفي صحيح الخبر: الناس مجزيون بأعمالهم.. إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وقد قيل: من قال خيراً فله ومن يقل شراً فشر، وقال قطري الخارجي متمثلاً: قيل للعقرب: أنت محبوسة في الشتاء ألا تخرجين لمشارق الشمس والغدوات كما يخرج الناس؟ فقالت: ما أحسن أيادي عندهم في الصيف حتى آنس بهم في الشتاء. ولله در أبي القاسم الدبوسي في قوله:

أقول بنصح يا ابن آدم لا تنم   على الخير ما دامت فإنك عادم

وإن الذي لم يصنع العرف في غنى   إذا ما علاه الفقر لا شك نادم

فقدّم صُنعاً عند يسرك واغتنم   فأنت عليه في يسرك قادم

انتهى. وكتب إليه الشيخ عبد النافع بن الشيخ محمد بن عراق ملغزاً بقوله:

يا أيها القطب الذي لم يزل   في دارة الأفق له منزله

ومن له التحقيق في كل ما   فقتله التدقيق أو أجمله

ما اسم لشيء وهو مني لكم   آخره في أوله البسملة

وكونه في القلب مستودعاً   جاء به الأول في الحمد له

هذا إذا ضمه ذو الهوى   مستفرغاً أدمعه المسبله

وإن أبى إلا انكساراً به   يصير شخصاً وهو ما أجمله

وإن يحاول فتحه قل له   حُمّت على ما تحمل مالا تحمله

وقل له أن يؤتمن كاتم   سراً به ضنيع ما حصّله

هات أجبني سيدي إنني   في حبكم أخلصت ذي المسأله

فانظر لها لا تطرحنها كما   عوّدت من شأنك أن تفصله

فأجابه قطب الدين بقوله:

يا أيها المولى الذي حبه   ما هدّه الدهر ولا زلزله

ويا إماماً عالماً فاضلاً   يقرّ أهل الفضل بالفضل له

ويا بليغاً دزّ ألفاظه   عقد من الجوهر قد فصّله

ذكّرتني ما طال عهدي به   من نظم شعرٍ خاطري أهمله

وكيف نظم الشعر من خاطرٍ   أخمده الهم الذي أشغله

سألتني لغزاً وفي طيه   متدرج حب الذي أرسله

فقلت للقلب ألا بح به   فحبّذا تفصيل ما أجمله

ولا تصحّف إن تصحيفه   وقد قال الله مالي وله

أوله أول أبواب خلدٍ   فلا أحرمك الخلاّق أن تدخله

وما له إن صح من آخرٍ   بل لازم حالته الأوّله

فابق ودم في الحب في عيشةٍ   راضيةٍ أعمالها مُتَقبّله

تُحمل بالغلظ أو الصدرانْ   انعقدت مسئلة مشكله

وكان بينه وبين القاضي حسين مودة أكيدة، وكان يتردد إليه.. فاتفق أنه وعده أن يزوره، وتأخر عنه لعارض، فكتب إليه القاضي حسين بقوله:

يا إماماً قد حل في ذروة الفضـ   ـل محلاً يزاحم العيوقا

وهُماماً قد امتطى غارب المجـ   ـد وفي العلم فاض بحراً عميقا

وجليلاً بلفظه ينثر الدُر   رَ وفتواهُ لم تزل تحقيقا

غبت عنا فلم نجد أمس خلا   وأتيــاً مصاحباً وصديقا

وعليك المدار إذ أنت قطب   خالص الود لا تزل صدوقا

ومواعيدك الكرام بصدقٍ   لم تكن خُلَّباً تسام بروقا

فاعطفوا بالوصال فضلاً فاني   لكم صرت ناظراً ومشوقا

فأجابه قطب الدين بقوله:

يا شريفاً على النجوم تسامى   فيرى تحت نعله العيوقا

ورفيعاً على ذرى المجد شاناً   ومقاماً لغيره لن يليقا

أنت شيخ الإسلام بدر المعالي   الحسين الكريم أصلاً عريقا

زادك الله رفعةً وجلالا   وحباك المهيمن التوفيقا

أنا في الوعد صادق لم أزوّق   مثل غيري مقالتي تزويقا

لـم يـغـب عـنـك خـادمٌ قـلـبـه عـنـدك أضحىٰ مُنيماً مرقوقا
فإن اشتقت كان شوق البعد علم الوُرْق مشوقه التشويقا
فلك الفضل زائراً ومزورا ولك الشكر شائقاً ومشوقا

ولقطب الدين مؤلفات كثيرة، ورسائل شهيرة[1]، منها: تاريخ مكة المُسمَّىٰ بالإعلام بإخبار بلد الله الحرام[2]، والبرق اليماني في الفتح العثماني[3]، والكنز الأسمىٰ في فن المعمىٰ؛ وله منسك مجلد ضخم، ورسائل كثيرة لا سيما في التاريخ، وله ديوان شعر، ووُلِّي تدريس المدرسة السلطانية السليمانية، فدرَّس بها وانتفع به كثيرون في عدة فنون، ووُلِّي إفتاء مكة المشرفة، وانتفع الناس به في الفتاوىٰ وغيرها. ولم يزل محترماً عند العلماء العظام، معظماً عند الخاص والعام، حتىٰ وافاه الحمام، وتوفي بالبلد الحرام، ودفن بالمعلاة. رحمه الله.

[علي بن عبد الرحمن السقاف]

وفيها [٩٩٠]: توفي السيد الشريف نور الدين، علي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن علي ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[4] معدن الفضل الذي تقاصده منه ما شاء، وبحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، المقدم في العلوم الشرعية، والمدارك النظرية. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، و«الإرشاد»، و«الجزرية»، و«الأربعين النووية»، و«العقيدة الغزالية». واعتنىٰ بعلم الفقه حفظاً وتنزيلاً للوقائع، وخبره بالمدارك، واستحضاراً للخلاف، وشمَّر عن ساعد الجد والاجتهاد، وكحَّل

(١) أشار إليها كلٌ من: (حمد الجاسر: مقدمة تحقيق البرق اليماني للقطب النهروالي ص ٥٥-٥٦؛ كحالة: معجم المؤلفين ١١/١٥٣، محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٥٨).

(٢) ذكره محقِّق كتابه «البرق اليماني» ص ٣٩، ولم يذكره صاحب كتاب «التاريخ والمؤرخون بمكة» رغم اختصاصه. إلاَّ أنه ذكر له كتاباً بعنوان «ابتهاج الإنسان والزمن، في الإحسان الواصل للحرمين من اليمن، بمولانا الوزير الباشا حسن». قال: رتَّبه على بابَيْن الأول في فضيلة المدينة المنوّرة والبلد الحرام، والثاني في ترجمة الوزير المذكور. التاريخ والمؤرخون بمكّة ص ٢٥٨.

(٣) طبع بتحقيق الأستاذ حَمَد الجاسر.

(٤) ترجمه المؤلف في كتابه «المَشرع الرَّوِي» ج ٢ ص ٢٢٠.

عين البصر والبصيرة بمِيْل السهاد، ومارس العلم مع العلماء الأخيار، آناء الليل والنهار، حتىٰ صار من أكابر العلماء أهل الكمالات، ومرجعاً للطلبة في حل المشكلات.

وصحب أكابر العارفين، وأخذ عنهم طريق القوم، منهم: العارف بالله تعالىٰ أحمد بن علوي، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والشيخ حسين بافضل، وأجيز بالتدريس والإفتاء، فدرَّس وأفتىٰ. وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة، وقصده الناس للأخذ عنه، مع البشر، ولين الجانب، والتواضع، والمحاضرة الفكهة، والتودد إلىٰ الناس، وسلامة الصدر.

وكان ـ مع ذلك ـ مواظباً علىٰ السنن الشرعية، والآداب النبوية، من صلاة وصيام، وتهجد وقيام، وتلاوة القرآن، وكثرة الإحسان. ومشايخه كثيرون، والذين انتفعوا به خلائق لا يحصون. وقد ذكرت ترجمته في «المشرع الرَّوي في مناقب بني علوي» بأبسط مما هنا. ولم يزل علىٰ أحسن الأحوال، حتىٰ آن الانتقال، وقدم علىٰ الكبير المتعال. ودفن بمقبرة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[حسين المالكي]

وفيها [٩٩٠]: توفي شيخ الإسلام، ناظر المسجد الحرام، السيد الشريف القاضي، حسين المالكي[1]، المكي. رئيس مكة علىٰ الإطلاق، بل رئيس العالم بالاستحقاق. صفوة السادة الكرام، ملك العلماء الأعلام، قاضي القضاة ببلد الله الحرام، الذي سار صيته مسير الشمس. ومقدم الحرم الذي تُصغي له الحواس الخمس. إمام العصر والزمان، ومن ألقت إليه الأعيان مقاليد السلم والأمان. وُلد بـ (مكة) المشرفة، ونشأ بها، وشملته عناية ربها. فحفظ «القرآن العظيم»، ومشىٰ علىٰ النهج القويم، وصحب الأولياء العارفين، وأخذ عن العلماء العاملين، وتربى في حجر السيادة، وحرَّك مهده ساعد السعادة.

ورزقه الله تعالىٰ من الفهم والحفظ أوفر حظ ونصيب، وزاد في العلوم علىٰ كل طالب أريب، ووُلِّي الوظائف الدينية كتدريس المدرسة السلطانية السليمانية،

(١) انظر: (النور السافر ٣٤٠؛ شذرات الذهب ٨/ ٤٩٠).

وعُيِّن لقضاء قضاة المالكية بـ (المدينة النبوية)، ثم صار شيخ الإسلام، ووُلّي نظر المسجد الحرام، وخطابة الموقف بـ (عرفة). وترجمه في «الريحانة»، فقال: سماء سحائب الكرم، وصائد قنص المعالي في حمىٰ الحرم. إذا نشرت صحف نداه، طوىٰ ذِكر حاتم طي، أو رُفعت رايات علاه، فليس عين السود فيّ، أو ذِكر الكرام، فهم له خدم؛ أو أينعت رياض محبرة، دارت أنهار جوده حولها خدم. ذو همة نظمت راحتها عقد الكرام، وبددت ما تجمّع من خطوب الأيام؛ بطبع ألذّ من محادثة الحبيب، وأعذب من مفاكهة الصديق الأريب. وغُرة أشهر من مثل، وعن الملوك فلا تسل.

شريف النسب، سري الحسب بماء الندىٰ عذباته الخضر أجدبت ساحته من البيض والصفر. شعر:

إن قال يا عنبر جاء الشذىٰ أو قال يا ياقوت جاء الذهب

فبرق نور النبوة من بارق أسرته، وتطلع بدور الهدىٰ من هالة أسرته. لم تزل السعود في خدمته قائمة، وعيون النوائب عن معاليه نائمة. راقياً من مطالع الكمال أوجهاً، بمحيّا يفيض سنا من بدور ألتم أوجها. إلىٰ أن تولّىٰ قضاء (طِيبة) الطيبة، وأمست خيام سعده علىٰ هام الفلك مطنبة، فبدا محاق بدره، وختمت بيد القضاء صحف عمره. ويقال إنه هبت عليه شعوب بعواصف السموم، وجرّعه ساقي أجله كأس السموم. وكان في شرخ شبيبته، وإقبال راية طليعته، في خمول، يرى الدهر الصبر كيف يكون، ويعز، والخطوب عليه تهون.

همم الفتىٰ في الأرض أغصان الغنىٰ أبداً رأيت كل حين تورق

وجلس للتدريس فدرّس في أنفس نفيس، وأفاد وأجاد، وانتفع به سائر العباد. وكان فصيح اللسان، جريء الجنان، ويحضر درسه جميع الأعيان. وشاع اسمه في جميع البلدان، وسارت بذكره الركبان، وكانت كلمته مقبولة عند الأشراف ملوك البلد الحرام، وعند السلاطين الأروام.

وكان مجلسه بستان الأدب والعلوم، ونزهة لكل مغموم ومهموم. يجتمع فيه كل أديب ومحدث وفقيه. وفي ليلة الثلاثين من شعبان، يطلع جبل أبي قبيس، لترائي الهلال ويطلع معه أكثر الأكابر من العلماء والخطباء والمدرسين. وينزلون

معه إلىٰ داره، ويمد لهم سماطاً عظيماً. ويعمل كل ليلة من ليالي رمضان سماطاً مكلفاً، يحضره الخاص والعام. ويُدرّس أيام رمضان في الحديث والغالب في كتاب «الشفاء»، يحضره جم غفير، وكان شيخ الإسلام عبد العزيز بن علي الزمزمي، يحضر درسه هذا. ويختم الكتاب آخر رمضان، ويحضره جميع الأعيان، ويقع البحث بين العلماء، ويقرر ما أعده للختم من فوائد ونكت. وبعد الختم يقرأ الهمزية البوصيرية، وفي آخر رمضان يفرق كسوة العيد ومصروفها علىٰ غالب الناس علىٰ حسب مراتبهم.

وفي ليلة الثلاثين يطلع (أبا قبيس) ويعمل كما مر، ويعمل ليلة العيد سماطاً مشتملاً علىٰ نفائس الأطعمة الحلوة والحامضة، وإذا علمَ بِنُوَب لأحدٍ قام به، ومد صاحبه بجميع ما يحتاجه. وإذا بلغه أن أحداً أخذ في خاطره عليه غمره بالعطاء الجزيل حتىٰ يقلب الذم مدحاً، ويبدل التزكية القدحا. وإذا وصل أحد من عند السلطان أو قَدِم أحد من الأعيان.. كان هو القائم بجميع أمورهم، بما يحتاجونه من نقد وكسوة وطعام، وعلف دواب.

ولمّا توجه لزيارة جده محمد ﷺ في رجب سنة (٩٧٦عبد الله) ست وسبعين وتسعمائة، كانت جماله أكثر من مائة جمل، وصحب معه جماعة من الأكابر والفقراء، وأعطىٰ كرا جميع القافلة من عنده. ويعمل كل يوم سماطاً عظيماً، لكل من يريد حضوره، لا يمنع منه أحداً في جميع سفره وإقامته، حتىٰ رجع إلىٰ (مكة). وأحسن إلىٰ أهل (المدينة) إحساناً كثيراً، وأحسن إلىٰ من صحبه، وأنعم عليهم بجميع ما يحتاجون إليه من كسوة جديدة وهدايا وغير ذلك، قال الشيخ قطب الدين الحنفي: وكنت معه في القافلة وأحسن إلىٰ الإحسان الوافر سفراً وحضراً، جزاه الله عنّا وعن جميع المسلمين.

ولمّا زوج ابنته علىٰ ابن خالتها القاضي علي بن القاضي إبراهيم بن تاج الدين المالكي.. عمل أشياء لم يعهد بمثلها؛ فكان يعمل كل يوم سماطاً مشتملاً علىٰ جميع أنواع الأطعمة النفيسة، من يوم قبض المقع إلىٰ أن انتهىٰ الحال في غاية الجمال. وفي ذلك العام كان الإمام شيخ الإسلام تاج العارفين الشيخ محمد بن أبي الحسن محمد البكري مجاوراً بـ (مكة) المشرفة، وكان هو القاعد وحضره

الشريف أبو نُمَيّ والأفندي، وخطب تاج العارفين خطبة بليغة في غاية الفصاحة، بترتيب عجيب وتأدية لطفية وصوت جهوري وأسجاع عظيمة بهرت السامعين، وأذهلت قلوب الحاضرين، وروىٰ ما ينوف علىٰ خمسين حديثاً في فضل النكاح، وفضل أهل البيت، وكان الصداق مائتين وخمسين مثقالاً، كلّمها وأشراف مكة، وجملة ما صُرف في الطيب ـ من مسك وعنبر وزعفران وعود عال ـ ألف دينار ذهباً، وما صُرف من السكر للشرب عشرة قناطير، وللحلوىٰ ثلاثون قنطاراً وضعفها عسلاً. والذي نُصب من الشمع خمسمائة. وأكبر الأسمطة سماط الفازد، وسماط العقد، وسماط الصاحبة؛ ففي كل واحد أربعون خروفاً مشوية، ومائة للطعام، وخمسمائة صحن حلوى، وألف وخمسمائة صحن للطعام. وهذه حضرها الشريف وأولاده الكبار والأفندي وجميع الأعيان، واستمرت التهنئة إلىٰ يوم السابع، ومد كل يوم سماطاً عظيماً، ثم صار جميع ذلك خبراً يروىٰ وأحدوثة تُحكىٰ وسمراً يتحدث به السمار وحديثاً يدور علىٰ ألسن السفار.

ومدح القاضي حسين جماعة كثيرون من الفضلاء، بل جمع من أكبر العلماء، منهم: شيخ الإسلام عبد العزيز الزمزمي، والشيخ عبد الرؤوف، والشيخ عبد القادر الفاكهي، والشيخ قطب الدين الحنفي. وهؤلاء مدحوه بقصائد طنانة مذكورة في كتبهم ودواوينهم، ومدحه جماعة من أهل (مصر) من أجلّهم: تاج العارفين وبعض أولاده، ومدحه الأديب إبراهيم ابن المبلط المصري بقصائد كثيرة، منها هذه القصيدة يهنئه بمشيخة الحرم الشريف وخطابة الموقف بـ (عرفة):

بروحي ظبي ناعس الطرف نائمه   مليح المُحيّا مترف الجسم ناعمه

بديع جمالٍ ليس في العصر واحد   يشاكله في حسنه ويلائمه

دع الغصن في البستان والرمح في الوغىٰ   فكلٍ إذا ماس ليس يقاومه

علا.. [1] جماله   فمن ذا يساويه ومن ذا يناوحه

وكيف يروم الوصل منه محبةٌ   ولثم الثريا دون ما هو رائمه

يقولون شبه بالمدامة ظلمه   وإن قلت هذا القول إني ظالمه

فلله من بستان خدّ وروده   ولله من الحاف صدغ حماحمه

(١) مقطوع بالأصل.

يُذكّرنيه البرق يلمع في الدُجىٰ   وما البرق إلا ثغره ومباسمه

وأشتاق إن لاحت بأفق بدوره   وأهتاج إن غنّت بروض حمائمه

واهتز هزّ الصبا غصن بانه   وأنعم إن هبّت سُحيراً نعائمه

إذا ما كتمت الحب فاضت مدامعي   فيظهر للعذال ما أنا كاتمه

وأُبدي اصطباراً للعدا وتجلُّدا   وفي القلب والأحشاء ما الله عالمه

رعىٰ الله ليلاً بات فيه معانقي   يلازمني ضمّاً له وألازمه

إلىٰ أن سطا الصبح المنير علىٰ الدجىٰ   وسلّ عليه من سنا الفجر صارمُه

ففارقته بالرغم مني لا الرضىٰ   كما فارق الطيف المواصل حالمه

وجاء يسليني الخلي من الهوىٰ   وما كليم القلب كمن هو سالمه

فقلت له بيني وبينك حاكم   به تزدهي أحكامه ومحاكمه

هو السيد البدر الحُسيني الذي علت   به رتباً ألقابه وتراجمه

ومن جَدّه خير الأنام الذي به   أُقيم من الدين القويم معالمه

له الشرف العالي المنيف علىٰ الورىٰ   وأخلاقه الغُر الحسان علائمه

علا قدره فوق السماكين هالة   محل عظيم ما به من يزاحمه

وحاز لا بالمجد منفرداً به   فليس له فيه شريك يقاسمه

له الله مولىٰ يقطع الليل ساهراً   لتدقيق معنىٰ أو لِوردٍ يلازمه

يقوم بنصر الحق حسب اجتهاده   فنعم قيام بالشريعة قائمه

إذا رقم الشرف الوضيع بخطه   تشرّف بالخط الذي هو راقمه

وتفخر أرباب العُلاَ بِمُضيِّها   وأقلامه أمضىٰ سيفاً وعزائمه

له رفع مقدار ونصب موائد   وخفض جناح... [1] جازمه

غدا الدهر مسروراً به متجملاً   وزانت به أعياده ومواسمه

عليك به في الحادثات إذا عرت   وخذ رأيه في أمرها فهو حازمه

وأودعه أسرار الملوك وثق به   فما هو إلا كاتب السر كاتمه

يُقسّم في العارفين أصناف ماله   كما قُسّمت في يوم فتحٍ غنائمه

ويُكْثِر أيام الولائم بذله   وليس يبالي ما تقول لوائمه

(١) مقطوع بالأصل.

يبالغ في إحسانه لِعُفَاتِهِ   قُيُمسي وعَافِيه في الجُود لائمة
كأن الفقير المستميح شريكه   يشاطره في ماله ويقاسمه
لئن كان للجود المعمم حاتم   فخاتمةُ هذا الجواد وحاتمه
تعم عطاياه إذا خصص الورىٰ   فسيّان ذو مالٍ لديه وعادمه
لهذا حكاه الغيث في حال سحه   سواء حصيد الزرع فيه وقائمه
ولكنه حيناً يسح وتارة   يشح، وهذا واصل السح دائمه
ويا رب عارٍ جائع البطن جاءه   فما آب إلا وهو كسيه وطاعمه
نَعم قَسْم الرزق الإله وإنما   علىٰ يده رب البريّة قاسمه
قضىٰ الله للقاضي الحسين بأنه   هو الناظر الشرعي لأمرٍ يخاصمه
علىٰ حرم الله العلي مقامه   به يتأدىٰ حقه ولوازمه
وإن له قضاه وصرفاً لِمَا له   وأحمد ممنوع من الصرف عادمه
أتاه من السلطان حكم معظمٌ   بتقريره حطت عليه علائمه
فنازع حتىٰ مات فيه منازع   وقام عليه وهو ليس يقاومه
ولم يدر أن البيت يحميه ربه   ومن لم يكن أهلاً له فهو ظالمه
وللبيت تشريفٌ وأولىٰ بالورىٰ   شريف وما للشيء إلا ملائمه
ومن خادمٍ للشرع عاد بخصمه   ومن نالهم بالسوء فالله قاصمه
له ولكل المسلمين به الهنا   فما هو إلا بابه المسعد قائمه
ووافاه مجد مقبل متجدد   مضاف إلىٰ مجد أصيل يُقادمه
يتيه به قطر الحجاز لأنه   مُدرُسه مُفتيه قاضيه حاكمُه
ويزهىٰ بملك السيد الحسيني الذي   إذا جاءه المظلوم رُدّت مظالمه
مَليكٌ بحقٍ وبالحق حاكم   لمن جاء مع خصم إليه يحاكمه
أقر له بالمُلك أهل زمانه   وسلّمه أعرابهُ وأعاجمه
كفاهُ من التشريف أن أصوله   شفيعُ البرايا والوصي وفاطمه
هو السيد كل واقف عند حده   وطُور الحِجىٰ الراسي علىٰ من يصادمه
يُساق معاديه إلىٰ الموت والردىٰ   فلم يدر إلا والقضاء مهاجمه
يعيد نهار الحرب ليلاً عجاجه   فلو لم يلح شمساً لأفطر صائمه
بنِي المصطفىٰ لا شك للدين جامعٌ   وإنكم أركانه ودعائمه

ولا شك للإسلام أُسدٌ ضراغم   فإنكم آساده وضراغمه
إذا ولد المولود منكم فإنما الـ   ـظبي والقنا احرازه وتمائمه
وإن فخرت عَليْا قريش بهاشم   فخرتم بمن يعلو به اليوم هاشمه
أطاعكم الدهر الجموح كأنما   بغير يديكم لبس تُثنىٰ شكائمه
بنيتم من العلياء بيتاً مشيداً   فلا الدهر موهيه ولا هو هادمه
تهون إذا جدتم كرائم ما لكم   وما كل ذي مالٍ تهون كرائمه
وللسيد القاضي حُسين مفاخرٌ   يحق لها بين الأنام تعاظمه
تنبه حظي حين فهت بمدحه   وكم في علمٍ خاملٍ للحظ نائمه
ولو جادت الأيام كيف يزيله   أسامره فِي نيله وأنادمه
ولكنها الأيام لا تبلُغ الفتىٰ   مناه ولا تعطيه ما هو رائمه
علىٰ أنني إن لم أكن خادماً له   بذاتي فعلّي بالمدائح خادمه
عسىٰ الله يدني ما تباعد إنه   سميع دعاء المستغيث وراحمه

ومدحه أيضاً بقصيدة مطلعها:

قباب (قُبا) أشرقت وخيامها   وبانات (نجدٍ) ضوّعت وخزامها
فحيّلا فالعيس قد طال شدها   ولم يبق إلا أن يحل حزامها
وطال سراها في الدياجي وسهدها   فلم تجتمع أجفانها ومنامها
وقد دميت منها الظهور لثقلها   ولو أنها خفت لخف سنامها
وأهلك منها اللحم والشحم سيرها   فأصبح فيها جلدها وعظامها
ولم تروَ إلا من سراب بقيعةٍ   ومن كلأ البيداء كان طعامها
رمينا بها البيداء لمّا بدت لنا   قِيساً ومن تلك القسيّ سهامها
فإن بعدت منها المرامي لطولها   فإلى قريباً لا بعيداً مرامها
هو السيد القاضي الحُسين الذي له   مفاخر في تلك المعالي انتظامها
إمامٌ عظيمٌ قدوةٌ لأئمةٍ   به في مهمات الأمور ائتمامها
فما لامرئٍ يوماً عليه تقدمٌ   وإن حضرت مكتوبة فإمامها
إذا ما تبدّىٰ بدره جُنح ليلة   تجلّىٰ دُجاها واستنار ظلامها
يُعطّر أرجاء المجالس ذكره   فما زهرات شق عنها كمامها
لِمَكّة إعجابٌ به وتطاول   فما حبّب الشهباء أو ما شامها

فلولا فتاواهُ بها وقضاؤه ... لَمَا كان يُدرىٰ حلها وحرامها
أقر له بالفضل منها خواصها ... ومِنْ باب أولىٰ أن تقر عوامها
ومُسْلِم من فوق الثرى مِنْ خليفةٍ ... له المجد حتّىٰ شيخها وغلامها
من السادة الغر الكرام الذين هم ... بقية سادات مضت وختامها

وهي طويلة. والمدائح فيه كثيرة، لا سيما بعد أن وُلّي المناصب وبعد زواج ابنته أم هاني على القاضي كما مر. وبعد أن طُلِّقت منه زُوِّجها على تاج الدين ابن نجم الدين بن القاضي تاج الدين المالكي، وأكثرت الأدباء القصائد في التهنئة والتواريخ اللطيفة، ومنها للشيخ شهاب الدين أحمد بن عوّاد في عقدها على تاج الدين:

يا ذخر آل محمدٍ بل فخرهم ... أبقاك مولانا الأعز الأكرم
بشراك عقد لا يحل مؤيدٌ ... ترقىٰ وتبقىٰ في السرور وتَسْلم
كالدر نظماً قد أتىٰ تاريخه ... عقد يبشر بالبنين ويُعْلِمْ

وذكر في «النور السافر»[1] من شعره، وقد أهدىٰ إليه القطب الحنفي سمكاً:

يا أيُّها القُطْبُ الذي ... بوجوده دار الفلكْ
لو لم تكن بحرُ الندىٰ ... ما جاءنا منك السمك

وأمّا أخلاقه الحسنة التي في خلقته مطبوعة نقلّ أن توجد في غيره مجموعة، وأما حلمه فلا يُذكر معه الأحنف، ولا المأمون عند من عُرف وأنصف. وكان كثير القيام في الدجىٰ، كثير الوقوف في مقام الخوف والرجاء، يحن على الغرباء والضعفاء، ويحب المساكين والفقراء، ويخدمهم بالحال والمال، ويقوم بما يحتاجونه في جميع الأحوال.

ولم يزل محافظاً على طاعة الله، مواظباً على ما يرضاه مولاه، إلىٰ أن دعاه داعي المنون فلبّاه، وانتقل من هذه الدار إلى دار القرار، إلىٰ جناتٍ تجري من تحتها الأنهار. رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح القرار، قال في «النور السافر»: ومن غريب الاتفاق أن تاريخ يوم موته كان تاريخاً له، لأنه مات في تاسع

(1) ص ٣٤٢ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

صفر. وجاء تاريخه «تسع في صفر»، وجاءت المراثي فيه. وكان موته بـ (الطائف)، وحُمل يومه إلىٰ (مكة)، ودفن بـ (المعلاة) تجاه قبر أم المؤمنين خديجة الكبرىٰ رضي الله عنها.

[زكريا الحنفي]

وفيها [٩٩٠]: في جمادى أولى، توفي السيد، زكريا الحنفي. كان صالحاً متعبداً، كثير العبادة والتودد إلىٰ الناس. صحب جماعة من الأولياء، وانتفع بصحبتهم، وانتقل بـ (مكة) المشرفة، ودفن بـ (المعلاة)، وأرخه صاحب المجد جمال الدين العصامي، فقال: مات السيد زكريا في جمادىٰ الأولىٰ، وقال: تاريخه ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وزدناك، أي زدنا على عدد ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ عدد الكاف.

[عبد الرحمن بن عبد الله المؤذن باجمّال]

وفيها [٩٩٠]: توفي الشيخ، عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن ابن محمد الأكسح المؤذن باجمّال، أحد عباد الله الصالحين، الأولياء العارفين. وُلد بـ (الغرفة) إحدى قرى (حضرموت)، ونشأ بها وتربّىٰ في حجر عمه الفقيه العارف بالله تعالىٰ: محمد بن عبد الرحمٰن، وربّاه بأنفاسه وأسراره، ولحظهُ برعايته، وغمره بأنواره، ولازمه حتّىٰ تخرج به في طريق القوم، وفتح الله على يديه فوق ما يروم. ولمّا توفّي عمه.. خلفه في أموره وأهل بيته وأوقافه.

وكان صاحب الترجمة من العلماء العاملين، والفقراء الصابرين، الصادقين الزاهدين، وكان كثير العبادة والطاعة، لا يخلو منها ساعة، معرضاً عن الدنيا، مؤثراً للأخرىٰ، يحب العزلة والخمول، ويكره الشهرة والظهور، مقبلاً على الله، لا يختار غير ما اختاره مولاه، لصدقه في مقام العبودية، وعدم التفاته للأغيار بالكلية. واستمر على عدم الاختيار، إلىٰ أن انتقل من هذه الدار، ودفن بـ (الغرفة) المشهورة جعل الله ذنوبه مغفورة.

سنة إحدى وتسعين وتسعمائة

[أحمد بن عمر التكروري]

ليلة الإثنين سابع عشرة شعبان، توفي الشهاب أحمد بن عمر أقيت بن عمر بن علي بن يحيى المالكي التكروري، ترجمه ابنه في «طبقات المالكية»، فقال ما محصلة: الفقيه العالم بن الفقيه العالم، كان ذكياً دراكاً متقناً أصولياً منطقياً، وكانت ولادته افتتاح المحرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة، وأخذ عن الشيخ محمد بن عمر وغيره، ولازم الاشتغال، ثم رحل إلى المشرق سنة ست وخمسين، فحج وزار واجتمع بجماعة من العلماء، وأخذ عنهم؛ كالشيخ ناصر الدين اللقاني، والسيد يوسف تلميذ الحافظ السيوطي، والجمال بن شيخ الإسلام زكريا، والأجهوري والباجوري، وبالحرمين أمين الدين الميموني والملالي، والشيخ ابن حجر، وعبد العزيز البشري، وعبد المعطي السخاوي، وعبد القادر الفاكهي، ولازم بها الشيخ محمد البكري وقيّد عنه فوائد جليلة، ثم عاد لبلده فدرّس قليلاً وشرح مخمسات في مدائح النبي ﷺ ومنظومة «المغيلي» في المنطق شرحاً حسناً، وعلّق على مواضع من خليل، وعلى شرحه للتتائي حاشية، وعلى صغرى السنوسي، والقرطبية، وعلى الخونجي في الأصول، ولم يكمل غالبها.

أسمع الصحيحين نيفاً وعشرين في رجب وتاليه، وأخذ عنه جماعة كالفقيهين محمد وأخيه أحمد ابني الفقيه محمود بغيع، قرأ عليه الأصول والبيان والمنطق، والفقيهين الآخرين: عبد الله وعبد الرحمن ابني الفقيه محمود وغيرهم. وكان عظيم الجاه، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس، نفّاعاً بجاهه لا ترد له شفاعة، يُغلظ على الملوك فمن دونهم، وينقادون له أعظم الانقياد، يزورونه في داره تعظيماً لقدره. وكان محباً لأهل الخير، متواضعاً، منصفاً للناس، جمّاعاً للكتب، سموحاً بإعارتها. ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي رحمه الله تعالى وإيانا.

[أبو بكر التبكيتي]

وفيها [٩٩١]: توفي الشيخ أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت ـ نزيل (طيبة) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ التبكيتي المولد، أحد العلماء العاملين

الورعين الزاهدين. وُلد عام اثنتين وثلاثين وتسعمائة، وصحب جماعة من العارفين، وأخذ عنهم التصوف والفقه، ثم رحل إلى الحرمين، وحج وزار وجاور، ثم رجع إلى بلده وأخذ أولاده وحج بهم، وسكن (طيبة) وتجرّد للعبادة. وكان تقياً براً أوّاباً كثير الصدقة، قلّ أن يمسك شيئاً مع قلة ذات يده، وكان كثير الخوف والمراقبة لله، رطب اللسان بذكر الله، كثير الانشراح مع الناس، زاهداً في الدنيا وزهرتها وجاهها، مع أن أهل بيته لهم الجاه العظيم في ديار تكرور.

وله تآليف لطيفة في التصوف وغيره، وانتفع به جماعة في الطريق، ولم يزل بـ (طيبة) إلى أن انقضت أيامه ووافاه حمامه، ودفن بالبقيع. رحمه الله تعالى وإيانا.

[إبراهيم باشعيب]

وفيها [٩٩١]: توفي الفقيه إبراهيم بن أحمد باشعيب، الأنصاري، الحضرمي. أحد العلماء المحققين، والفقهاء المبرزين، والأولياء المعتقدين. أخذ عن جماعة من العلماء المشهورين، وصحب جماعة من العارفين، منهم: الفقيه عبد الله بن محمد باسهل باقشير، ومَن في طبقته. ثم صحب العارف بالله تعالى معروف باجمّال، ولازمه، وتخرج به، ثم أمره بالحج والمجاورة بطيبة، فحج وزار وجاور بـ (طيبة)، ودرّس، وانتفع به جماعة كثيرون.

وكان زاهداً في الدنيا وما في أيدي الناس. ومِنْ ثَم كان محبوباً مقبولاً عند علماء (المدينة) وأعيانها وعامتها، مُعتَقَداً عندهم، مع إيثاره الخمول، والتقشف والقناعة، والفرار من الظهور والشهرة. ولم يزل محافظاً لأوقاته، حتى إلى أوان وفاته، ودفن بالبقيع، مجاوراً للبشير الشفيع. رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة

[الشيخ أبو بكر بن سالم]

في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة، توفي الإمام العالم أبو المكارم، الشيخ أبو بكر بن سالم[1] ابن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف. ترجمه تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن سراج باجمّال في خاتمه كتابه المسمى: «مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف» وسمّىٰ الخاتمة: «بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم». قال ما حاصله: لمّا أفَلَتْ شمس الشيخ معروف الظاهرة، وأنواره الباهرة.. أنجز الحق وعده أن لا تخلُوَ هذه الأمة ممن يدعوها إلىٰ الرشد، فأطلع شمس الهدىٰ، وأنقذ

(١) هو الجد الأعلىٰ لجميع بطون آل الشيخ أبو بكر بن سالم. ومنهم: آل جِنْدان، وآل الحامد، وآل المحضار، وآل عيدروس، آل بن ناصر، آل صالح، وآل شيخ، وآل حيدر، وآل الهدّار، وآل بن خفيظ، وآل بن شيخان، وآل بن ناصر، وآل صالح، وغيرهم. انظر عنه تفاصيل أوسع في: (المعجم اللطيف ١١٥، شمس الظهيرة ١/ ٢٧٣ـ ٢٧٦، رحلة الأشواق القوية ٤٥، المشرع الروي ٢/ ٢٦، النور السافر ٣٦٨، شذرات الذهب ٨/ ٤٩٧، أدوار التاريخ الحضرمي ٢٩٠، تاريخ الشعراء الحضرميين ٤/ ٧١ و٥/ ٨٤، لوامع النور ٢/ ٩٨). وقد ظهرت الكثير من المؤلفات التي تحدثت عن تاريخ حياته ومناقبه، نذكر منها:

ـ بلوغ الظفر والمغانم في مناقب أبي بكر بن سالم. تأليف محمد بن عبد الرحمن باجمّال المتوفى سنة ١٠١٩هـ.

ـ ذكرىٰ حبيب في مناقب مولىٰ الكثيب «الشيخ أبي بكر بن سالم». تأليف عبد الرحمن بن أحمد البيض المتوفىٰ سنة ١٠٠١هـ.

ـ بغية أهل المغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم. تأليف محمد بن الصديق بن عنقا المتوفىٰ سنة ٩٩٦هـ.

ـ الزهر الباسم في زين الجنات في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم. تأليف عبد الله بن أبي بكر باشعيب المتوفىٰ سنة ١١١٨هـ.

ـ بدور السعادة في مناقب الشيخ أبي بكر وأولاده وأحفاده وبلاده. تأليف علي بن سالم الأدهج المتوفى سنة ١٢٩٥هـ.

وغير ذلك مما أورده الأستاذ عبد الله الحبشي في ـ مواضع مختلفة من كتابه ـ «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن. كما أفرده حفيده عبد الله بن أحمد الهدّار في كتاب ضخم بعنوان «الجواهر في مناقب شيخ الأكابر» طبع في القاهرة سنة ١٣٩١هـ.

من العتائم ذيل الردىٰ، وأظهر خليفته علىٰ خليقته، وأمينهُ علىٰ بريته. الحائز للشرف الجليل بتمامه، الوارث للمجد الأثيل من جهتي أخواله وأعمامه. عظيم المواهب والمناقب، المخطوب لأعلىٰ المراتب والمناصب. شيخ الإسلام وعمدة الأنام، العَلَم الفرداني، والعالم الربّاني، سر الأسرار، وتاج عترة النبي المختار. قطب العارفين، الداعي إلىٰ الله علىٰ بصيرة، الكنز المحقَّق لهذه الأمة والذخيرة. مظهر شمس المعارف بعد غروبها، ومُهدي أسرار اللطائف بعد غروبها، بحر العلوم والمعارف، والحقائق والعوارف. الدال علىٰ السيرة المحمدية، الموصل للحضرة الصمدية، ذي الفراسات الصادقة، والكرامات الخارقة، والكشف الجلي، والمقام العلي. مَن شهد له أكابر العارفين بأنه صاحب المقام[1] المحمدي، الوارث لمقام جده الأحمدي، فخر الوجود، ومركز الشهود، وبركة كل موجود.

وُلد ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ يوم السبت لسبع بقين من جمادىٰ الآخرة سنة (٩١٩هـ) ـ تسع عشرة وتسعمائة، ونشأ في حجر والده العلية، وربته العناية الأزلية، وخدمته[2] الألطاف الإلٰهية، ولوائح السعادة بارقة علىٰ أسرة طلعته، وطوالع الولاية تشرق علىٰ أفق جبهته.

وشهره جماعة من المشايخ في عصره، في حال طفوليته وصغره. ولمّا شكا والده إلىٰ الشيخ شهاب الدين عدم مواظبته علىٰ تعلم «القرآن».. قال له: دعه حتىٰ يُقبِل هو من نفسه، فقرأه في مدة يسيرة..

ثم اشتغل بتحصيل علوم الدين علىٰ العلماء الكاملين، كإمام العارفين أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ عمر بن محمد باشيبان، والقاضي أحمد شريف، والفقيه عبد الله بن محمد بن سهل باقشير، قرأ عليه «المنهاج»، وعند ختمه حصلت إشارات عظيمة، وبشارات عميمة، وقرأ «الرسالة القشيرية» علىٰ الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة. وكان لا يُقرئها إلا لمن تفرّس فيه النجاح؛ لأنه أخذها عن مؤلفها كما سبق في ترجمته.

(١) في الخلاصة: صاحب القدم المحمدي.
(٢) في الخلاصة: وعزته الألطاف الإلٰهية.

ثم أقبل على السلوك، إلى ملك الملوك، وجدّ في الطاعات، وأكثر من الصلوات، ولزم الصيام، وواظب على القيام والناس نيام. واعتزل عند القبر المشهور بقبر هود، وغاب عن هٰذا الوجود. ثم قصد الإمام الموصوف، الشيخ معروف، فانتظم في سلكه المألوف، وسلك سلوكه المعروف، فتمتع في روضة بمقيل ظله الوريف، وتضوّع من عبير عَرفه اللطيف. ثم تَدَيّر (عِيْنَاتْ) ذات الأنوار، التي تفوق حدائق الأزهار، وصفحات الخدود المطرّز وردها بآس العذار؛ ليكون بين الناس معموراً، وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً.

ولمّا توفي شيخه الشيخ معروف باجمّال.. ظهر ظهور البدر ليلة الكمال، والشمس وقت الزوال، وانتشر له الصيت الرفيع، والجاه الوسيع؛ وظهر أمره في سائر الأقطار، وأغناهم بالعيان عن الأخبار. وجلس يدعو إلى الملك العلاّم، فأجابه الخاص والعام، وحصل له في القلوب القبول التام. وكان الشيخ معروف يقول: إنه قطب الوجود، وسيكون له شأن عظيم، وتشرق شمسه على أهل لا إله إلا الله، وقال لتلميذه الشيخ أحمد بن عمر بازياد ـ لمّا قصد زيارة قبر هود عليه السلام ـ: سلّم على أبي بكر بن سالم، وقل له: إن المقام لا يكون إلا له، فهو صاحب الوقت والخليفة.

فلمّا اجتمع به سلّم عليه، وتُبيّن ما وصّاه به شيخه.. فقال له الشيخ أبو بكر: إن الشيخ معروف، كان عندي، ولم يغب عني ساعة، وقال له: بلّغ ما وصاك به، فذكره..

ولمّا بلغ السيد الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بلفقيه صاحب (الشبيكة) وفاة الشيخ معروف.. قال: والله ما غربت شمس معروف إلا وقد طلعت شمس الشيخ أبي بكر بن سالم.

وطلب بعضهم من الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمٰن التحكيم، فقال له: عليك بالشيخ أبي بكر بن سالم، فقصده، فكاشفه بما جاء له وبما قال له الشيخ شهاب الدين.

وكان مشايخ عصره وأجلاء قطره يشيرون بأنه الوارث للمقام المحمدي.

وكره له إمام العارفين أحمد بن علوي ظهوره، ولمّا بلغه ذلك قصده من

عينات، وقال له: جاءني فلان وفلان، وذكر جماعة من آل باعلوي ـ ومعهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأمروني به، فإن رأيتم أن تمنعوا هٰذا عني.. فإنما هو بالكره مني، فسكت الشيخ أحمد ساعة طويلة، ثم كلّمه بكلام غريب لم يفهمه الحاضرون، ووصّاه بأشياء، وأمره بالعود إلى (عينات) والجلوس لنفع الناس.

وقصده الناس من كل البلدان، وأتته الفتوحات من كل مكان، واجتمع عنده خلائق من جميع الآفاق؛ كالحجاز والشام ومصر والعراق، وضاقت عن أوصافهم بطون الأوراق، يفدون عليه (الجفلا)، ويردون من أنهاره نهلاً وعللاً. فممن تخرّج به من الأولياء العارفين، والأئمة المشهورين: السيد أحمد بن محمد الحبشي صاحب (الشِّعب)، والسيد عبد الرحمٰن بن محمد الجفري صاحب (تريس)، والسيد محمد بن علوي صاحب (القرويات)، والسيد عبد الرحمٰن بن أحمد البيض صاحب (الشحر)، والسيد يوسف الفاسي المغربي صاحب (مريمة)، والشيخ حسن بن أحمد بن إبراهيم باشعيب صاحب (الواسطة)، والشيخ أحمد بن سهل صاحب (هينن)، والفقيه محمد بن سراج صاحب التصانيف. وأمّا من تخرّج به من أهل (تريم) و(قَسَم) و(عِيْنَات).. فيطول ذكرهم، ويعسر حصرهم.

وصنّف عدة مؤلفات في بابها مفيدات أكثرها في الرقائق، وعلوم الشريعة والحقائق، منها[1]: كتاب «فتح المواهب وبغية مطلب الطالب»، وكتاب «معراج الأرواح إلى المنهج الوضّاح»، وكتاب «معارج التوحيد»، وكتاب «مفتاح السرائر وكنز الذخائر». وله ديوان نَظْم أنشأه وقت السلوك، وهو بديع النَّسج والحَوْك، ومن أحسنه: «التائية الصغرى»، و«الكبرى»، و«اليائية»، بالفوقانية والتحتانية.

وكان له اعتناء تام بأمور المسلمين، وقيام عظيم بمصالحهم في الدين. واتفق أهل عصره وفضلاء مصره على أنه أحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم وفاقاً وإنفاقاً، فإنه لا يُبقي عندهم درهماً ولا ديناراً، بل يتصدق بها سراً وجهاداً، وليلاً ونهاراً، وأن يديه مبسوطتان على كل قاصٍ ودانٍ، مع كثرة الوافدين من البلدان. واعتنى بمدحه جماعة من أهل الأقاليم الشاسعة، بقصائد طنانة واسعة، منهم: الشيخ عبد القادر بن

(١) انظرها في: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٣٢١، وقد حدّد الأستاذ الحبشي أماكن تواجدها، وذكر المطبوع منها.

أحمد الفاكهي المكي الشافعي، كتب له رسالة طويلة من (مكة)، قال فيها: وبعد؛ فهذه رسالة محب معترف بذنبه:

إلىٰ من رقىٰ في أوج رفعة مجده   مقاماً علياً لا ينالُ لواصلِ
وقد صح قِدْماً قول شاعر مجده   وأين الثريا من يد المتطاول
وكيف وفجر الفخر أشرق نوره   بأفق سماء المجد من غير حائل
شريف غَدَا في السلم سالمَ وقته   وفي الحرب سهم في فؤاد المقاصل
له الباع في نفع المريدين دائماً   يصول بسيف الحال أعظم صائل

أعني بذلك: فخر الدين والعارفين، سلالة السادة الأقطاب الوارثين، سيد السادات الواصلين، الناهج منهاج العابدين والطالبين في بداياته، السالك مسالك الأخيار في مبادىء غاياته، بشهادة آياته، ومنظوم كلماته مع خوارق كلماته، سيدنا ومولانا أبا بكر بن سالم. أدام الله تعالىٰ عليه عرائس تُجلي شهوده، وأطال مدده ووجوده، ولا زالت عرائس الأسرار لديه مجلوة، وصحائف حقائقها عليه متلوة، ولا برحت بروق فضائله لمحبيه مُشيّقة لائحة، ونوافح مسك، شمائله بحسن الثناء عليه عبيقة فائحة، كما وقع لرب هذا المنظوم، في سلك هذا المرقوم، حيث قال:

أيا بارقاً من (شِعْب عيناتٍ) شاقني   إلىٰ واحد في الوقت شيمته الفخرُ
دعاه إلىٰ سر الحقيقة في الصبا   منادٍ يناديه لك الحكم والأمر
فَرِدْ منهل الأسرار واشرب بكأسها   مدامة سر الحق يبدو لك السر
سرىٰ سره في الناس شرقاً ومغرباً   ولا (شامُ) فيها مثله لا ولا (مصرُ)
مزاياه لا تُحصىٰ وإن هي عُدِّدت   وكيف يُعَدُّ الرّمل أو يُحصر القَطْر
فإن رُمتَ تحقيقاً لألفاظه فقف   علىٰ بابه تبدو كراماته الغُرُّ
ويسقيك من فيض العناية شربة   جهاراً كذا سرّاً إذا أُسدل السِّتر
علىٰ يد قطب الوقت ذاك ابن سالم   هو السند الموجود والملجأ الفخر

ومأمول الفقير من فضلكم الوهبي، ومددكم القربي، إدامة الوجهة إلىٰ قلب عبدكم الضعيف، وما له من تصنيف، حتىٰ تنجح في ذلك مطالبه، ويتحقق بلوغ مآربه. فإن الفقير طال ما يتطلب ذلك من أهل المواهب، سيما سادات

(حضرموت) ومشاهيرها. ولم يَشِمْ ناظر بصيرته لذلك بارقاً، ولعل قد كَمُلت لديكم المراد، ومن المأمول الدعاء في صفاء خلواتكم. انتهى ملخصاً.

وقال شيخ الإسلام، مفتي الحنفية في البلد الحرام، علي بن جار الله بن ظهيرة - في بعض مراسلاته -: يقبّل الأرض التي وقع أقدام من يطؤها علىٰ الجباه عتبتها العلية، محل لثم الأفواه التي منها مدد العالم، ونشر البركة علىٰ سائر بني آدم. من امداد العالَم من إمداده الرحماني، ونفحات الوجود مقتبسة من مشكاة نوره الصمداني، حامل لواء القطبية العظمىٰ. مَن تخفق علىٰ رأسه أعلام الولاية من كل جانب، وانطوت فيه سائر المقامات والمراتب وبأنفاسه الطيبة تزول الأوهام والشكوك، وبالصدق في محبته يوصل إلىٰ مراتب الملوك. من هزت الأرض أعطافها بوجوده، واعترفت كل فرقة أنها من بعض جنوده. صاحب الوقت الذي ما من ذرة من الموجودات إلا وهي تطالب حظها من مدده الساري في الأكوان، ولا حقيقة من الحقائق إلا وهي تناديه: يا فارس ميدان العرفان. السر الأعظم الأحدي، والطلسم الأفخم الأحمدي، مولانا الشيخ أبو بكر بن سالم. سلّمنا الله ببركاته، ونفع العالم بنفحاته، ويتمنىٰ المملوك وقفةً في موقف حج رحابها؛ رجاء الإنغماس في بحر الرحمة، والفوز بفيض بركاتها علىٰ سائر الأمة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلىٰ من يلوذ بجنابكم الرفيع، سلاماً ينوب عن مُهديه في تقبيل الأقدام، زادها شرفاً علىٰ شرف، وبنىٰ لها غرفاً فوق غُرف. انتهى.

وأنشأ الأديب الأريب علي بن محمد بن شهاب، المكي مقامة سمّاها: «تحفة المغانم وخلاصة المكارم في الشيخ أبي بكر بن سالم»، قال فيها:

وبعد: فإنه لمّا دهمني الزمان بصروفه، وفجأني بحوادثه وحتوفه، وقد كنت في نعمةٍ خضراء ما بها تُبيُّس، وحالة بيضاء لا يعتريها سواد التلبيس، ولم أدرِ ما البلاء وما اسمه، ولا التعب ولا رسمه. ثم إني ما سمعت بطبيب إلا قصدته، ولا بذي صناعة إلا أتيته. ثم قصدت أطباء القلوب، من كل سالك ومجذوب، فنادىٰ لسان حال كلٌ: لا الوقت وقتي، ولا الزمن زمني. فبينا أنا أفكر وأجول، وعن هذه العثرة لا أحول.. إذ هتف بي هاتف الفِكَر، ونادىٰ مناديه بقضاء الوطر: لكن

على يد من هو للوقت عين بلا استحالة، واعلم أن الله لا يخيب سائله لا محالة. فقلت له: مَن تعني؟ فصرِّح باسمه ولا تُكنّي، فقال: هل الشمس تخفى وقت الظهيرة؟ أو السمحة الغراء تتوارى على أهل البصيرة؟

إمام ترى الأمّاتِ عُقْداً بمثله   وليس له يوماً تَرِدُّ القوابلُ
ولا تسمح الأيام أصلاً بمثله   وهيهات أن تسمحْ نتاجاً حوائل

هو السيد السند الهمام، المؤيد بنور الشريعة والحقيقة والإلهام، ذو الشيمة المقدسة الأخلاق، حائز نور النبوة العظمى كالبدر في الإشراق، سلطان أهل حضرة القدس الأرفع وترجمانه، زبدة المقام المحمدي وعنوانه. فلمّا سكت.. قمت قيام قاصدي البيت، وصرت حياً بعد أن صرت كالميت، وسألته تعجيل العبارة، وحل غامض الإشارة. فقال: هو جيلي زمانه وجنيده، وسقّاف بيت الولاية وسعيده، وارث مقام الرسول بالإجماع، مالك أزِمّة هياكل الاختراع، من رقمت يد القدرة على صحيفة الأكوان، وجرت الأقلام العبرة على جباه الأعراض والأعيان بمداد العناية، أنه خاتم الولاية. فعرفته، وقلت: لعله السيد الأكبر، طراز النور الأخضر، الكبريت الأحمر، الكمة المطهرة الغَرّاء، وهو بالحج إليه من غيره أحرى. الذي ما شرب شارب إلا من صبابة كأسه، ولا ظهر أحد إلا بإظهاره له بعد اندراسه، فظفرت بالمطلب الذي كنت أحاوله، وغنمت الكنز الأعجب وطال ما كانت أناوله. وهو شمس الوجود، وعين الشهود، الشريف أبو بكر بن سالم قال: أمدحه بالمدح الفائق، والنظم الرائق، فقلت: إن نظمي قد دق بعدما جل، وكيف أمدح هذا الخضم وقد حلّ بي ما قد حلّ، فقال: امدحه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فقلت:

كفى شوقاً تخلّلي في حشائي   لقد معذبي عذب اللّماء

وهي طويلة تركتها لطولها. وشفعها بأخرى، قال فيها:

لحظ المليحة أمْ جسمي نبالُهُ   قلبي أصاب فهيّجت بلبالُهُ

ثم قال فيها:

قطب الوجود وعينه وحياته   مَن قد علته هيبةٌ وجلاله
يا طالب الحاجات دونك بابَه   فالْزمه تظفرْ بالذي تسعى له

ومنها:

ما راع أمر هائل إلا غدا   في كل حين دافعاً أحوالَهُ
كم من بلاء أوهنت أثقالُه   فأماط فيها بالرجا أثقالَه
كم ألْبَسَ المسلوب ثوباً معظماً   فغدا أميناً لم يخف ما هالَه

وعززهما بثالثة قال فيها:

أبِيْتُ وفي قلبي لظىً من كلامه   وأُصبِحُ مُضْنيً من أليم كِلامه

ومنها:

ولٰكنني إن دام هجر فإنني   مدحت إماماً للهدىٰ وختامه
أبا بكر الماحي بنور هداية   غياهب جهلٍ قد بدت من ظلامه
لقد جمّل الوجود وأهله   به فغدا أستاذَ كلِّ إمامه
وكن لازماً باباً عظيماً مجرِّباً   تنال المنى من سُحْبه وغَمامه
لقد حارت الأفكار في وُسْع جاهه   فأكرِمْ به في حسنه ونظامه

وهي طويلة، ثم قال: إن من تمام مدح الأبناء مدح الآباء، فأطلقت اللسان، ومدحت سيد ولد عدنان، فقلت:

سقاكِ من الحيا قطرُ السحابِ   أيا دارَ الأحبة والصحابِ

وهي طويلة. وله رسائل إلى الشيخ كثيرة عظيمة، تحتوي على فوائد جسيمة. وأنشأ العلامة أبو العباس أحمد النشيلي المكي مقامة افتحتها بقوله:

حدثني أبو الرجاء، عن البشر، عن الضحاك، عن عطاء، عن أبيه رباح، عن قرة، قال: كنت في بلادي قرير العين، مالكاً للعين، فأصبح كفي صِفْراً وداري قَفْراً. فخرجت هائماً على رأسي، لأشد الأحوال أقاسي، فرافقت في طريقي إنساناً ذا جمال باهر، وجميل متكاثر، فسألني عن غرامي، فقلت: دعني وهيامي، فألح عليّ، فأخبرته بحالي. فلمّا سمعه مني.. رثى لي، وقال: عليك بالإنسان الكامل، الجامع لأصناف الفضائل، ومرّ عني مسرعاً قبل أن يسميه، ولم أدر من يعنيه. فلاح لي خباء سمعت من أمامه الترحيب، وإذا بشيخ صبيح الوجه. فلمّا أن امتلأ منه البصر، وأملأ جميلُه النظر.. قلت: قسماً بالجمال الباهر، لأنت أولى ما تأمله القلوب، وتُجلى به الكروب، وتصح به الأجسام من الأسقام، وتُكفى به حوادث

الأيام. من في أعتاب داره أمان الخائفين، وواسطة عقد السادة العارفين. مَن لا يداني في علو مقامه، ولا يُقارَب في حالتي عفوه وانتقامه. مولانا فخر الدنيا والدين أبو بكر بن سالم، لا زالت الأنوار الصمدية مشرقة في وجوده، ومناهل الفيض الإلهي عليه مستمرة في وروده:

أنخ ركاب الرجا في ساحة الكرمِ   والْصق فؤادك بالأعتاب وَالْتَزِمِ
وناد قطب الورىٰ المقصودَ عادته   أعني أبا بكرٍ فَرْدَ الجود والكرم

إلىٰ آخر القصيدة وهي طويلة. ولبعض فضلاء أهل المغرب قصيدة مطلعها:

من جنة الخلد أم من سفح (عِيْنَاتٍ)   لاحت لعينَيَّ أنوار العنايات
لله من نفحات لم تزل أبداً   يجلو سراها الصدا من وجه مِرآتي
في طيها مِنَحٌ زُفَّتْ إليَّ ضُحَىٰ   مشيرة لي بأنواع البشارات
هي المحبة لا شيءٌ يشاكلها   يالله لا فارقَتْ لَذَّاتُها ذاتي
أضحت حقائقها بالنُّجح تشهد لي   من فيض غوث الورىٰ بحر الكرامات
قطب الوجود أبي بكر بن سالم مَن   أعدَدْتُه عُدَّتي عند المُلِمَّات
يا نجلَ طه ويا سرَّ الوجود ويا   حامي الحدود ويا تاج الولايات
أتاك عبدك شمس الدين مفتقراً   يشكو إليك حكومات الضرورات
فاشمله يا قدوتي دنيا وآخرةً   بنظرة منك يا حبر الحقيقات
فإن جاهك عند الله مشْتَبِع   مجرَّب لجميع الانفعالات

وهي طويلة. وله في الشيخ قصيدة أخرىٰ طويلة مطلعها:

شجتنيَ شجواً صادِحات الحمائم   وقد لعبتْ في الروض أيدي النسائم

وقال الأديب الفاضل عمر بن إبراهيم العناني ـ في أثناء رسالة إلىٰ صاحب الترجمة:

يرنِّحني بالشوق ذِكر العالم   ويبدين وجدي ما به من كرائم

ومنها:

فقلت لهم حسبي اعتياضيَ عنكمُ   أبا بكر المشهور أعني ابنَ سالم
به رحم الله العباد وأخصبتْ   به الأرض طُرّاً يا لها من مكارم
وقد ملأ الله القلوب محبة   به فالْزَمْنَهُ باجتهادٍ وزاجمِ

ومما قاله المحب الصادق الكامل ابن الملوك الأماثل محمد بن علي بن عمر بن جعفر:

إن جئت (عِيْنَاتٍ) فحيِّ ثراها   واستنشق العرفان من رباها
وألصِق جبينك بالتراب مقبِّلاً   شكراً لمن أولاك لثمَ ثراها
بلداً أقام بها الكمال وحبّذا   بلداً بها الغوث العظيم يَطاها
واستقبل الشيخ المُعظَّم رافعاً   لبيك يامن للإلٰه دعاها
ناديت يا مجلىٰ الكمال فليتهم   يدرون إذ ناديت مَن ناداها
يا ليت شِعري أين ضاع حِجاهُمُ   والناطق المعبود في الأفواها
لٰكنه الله المهيمن هكذا   يقضي علىٰ الحالين في مجلاها
واو الهوية بل أنتَ، بل ياسرُّها   ياسين سر الله حين بَراها
يا كهيعص ومَن لَهُ   سورُ القرآن صريحة بيناها

وهي طويلة جداً.

وأما كرامات صاحب الترجمة، فتبهر الألباب والعقول. وقد شاهدها وشاهدَتْها أكابر العلماء والفحول، وكافة الصلحاء والعدول، ولا ينكرها إلا جَهول. وهي كثيرة، فلنقتصر علىٰ ما نقله العارفون، والثقات المعتبرون. ولم يوجد من يُحسن الظن به إلا وشاهد منه كرامات خارقة، وظهرت عليه أنواره الشارقة، وفاضت عليه بحاره الزاخرة، وبراهينه الباهرة.

فمنها: أنه دعا لجماعة بالعافية من أمراض أصابتهم، فحصل لهم الشفاء في الوقت الذي عينه.

ودعا لجمع كثير حصل عليهم الجدب في بلادهم بالغيث، فحصل لهم في اليوم الذي وعدهم به.

ومنها: أنه كاشف جماعة بما في قلوبهم قبل أن يخبروه، وبعضهم حصل له شيء وهو في بلده بعيداً عن الشيخ، فكتب له بذلك، وأخبره بما خطر له، وما خطر لأحد شيءٌ بحضرته إلا كاشفه به.

وتفصيل مَن وقع له ذلك يحتاج إلىٰ تطويل لا يليق بهٰذا الكتاب، قال السيد شيخ بن هارون بن علي باهارون: لمّا رأيت كثرة الخدم من نساء وشباب في

المطبخ.. قلت في نفسي: لا بد أن يحصل من هؤلاء فساد، فلمّا دخلت على الشيخ.. قال لي: يا شيخ.. إنا ننظر إلى قلوب أصحابنا ونحفظها، فلا يقع مما خطر ببالك.

ووقع لتلميذه محمد بن عبد الرحمٰن بن سراج أنه مرض حتى أيسوا من حياته، وإذا بكتاب من الشيخ يقول فيه: علمنا بما حصل عليكم من الحُمّىٰ، لا بأس، طهور إن شاء الله تعالىٰ، وعندكم خوف من الموت، ولنا مراد في حياتكم، وللمسلمين صلاح ظاهر وباطن بوجودكم، فلا يقع في خاطركم شيء أصلاً، وقد تشفعنا لكم بطول العمر. فعوفي وطال عمره، وكذلك وقع لغيره.

ودخل عليه رجل من أهل (الشام) ليطلب منه الدعاء أن تكون زوجته في طوعه ولا تخالفه، فكاشفه الشيخ، وقال له: ما يقع من أهلك إلا ما ترضاه، وإن شئت أحضرناها لك من (الشام) إلىٰ هنا، ولٰكن نعطيها هٰذا الفنجان تشربه، وكان بيده فنجان قهوة. فلمّا سافر إلىٰ بلده.. وجد أهله علىٰ ما يرضىٰ من المحبة والطاعة، وقالوا: جاءنا رجل صفته، كذا وبيده فنجان قهوة، وذُكرت صفة الشيخ، وأنه ناولها الفنجان، فشربته، وذلك في وقت كذا في يوم كذا ـ وذُكرت الساعة واليوم اللذين كان هو الشيخ.

وشهد جماعة من العارفين أنهم رأوا الشيخ في الحرمين وبيت المقدس.

وحصل لجماعة شدة في البحر، وأشرفوا على الهلاك، فاستغاثوا بالشيخ، وشاهده وجماعة يسد خرق المركب، وحصلت السلامة، فأعطوا الذي نذروه للشيخ لواحد من أصحابه، فلمّا دخل عليه.. أخبره بما وقع لهم وبما جاء به قبل أن يخبره.

وقد ذكر الشيخ محمد بن سراج في الكتاب المذكور له كرامات كثيرة، وأحوال منيرة، وذكرت كثيراً منها في «المشرع الرّوي في مناقب بني علوي».

ولم يزل ـ رضي الله عنه ـ إماماً لكل إمام، ومستعلياً علىٰ كل همّام، حتىٰ وافاه الحمام، وانتقل إلىٰ رحمة الله في هذا العام، وتعب لفقده الخاص والعام، ودفن بـ (عِيْنات الجديدة)، وبني علىٰ قبره قبة عالية عظيمة، والأنوار فيها لائحة جسيمة و(عِيْنات) ـ بكسر العين المهملة، وسكون الياء التحتانية، فنون، فألف،

فتاء فوقانية ـ قرية من أشهر قرىٰ (حضرموت) علىٰ نحو بريد من مدينة (تريم)[١] المحروسة.

[أبو نُمَيّ]

وفيها [٩٩٢]: توفي شريف مكة مولانا، أبو نُمَيٍّ، محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسني[٢]. كانت ولادته تاسع ذي الحجة سنة إحدى عشرة وتسعمائة، ونشأ في كنف والده، وكان مباركاً فإنه حين وُلد دانت لوالده أخوته وغيرهم، وظفر بأعدائه، وما وجّهه لأمر إلا رجع بغاية المطلوب، وما توجّه لحرب أحدٍ، إلا ظفر. ومرّ أن والده أرسله إلىٰ قانصوه.. فأنعم عليه بجميع مطلوبه، ثم أرسله إلىٰ السلطان سليم فقوبل بالإكرام، وأشركه مع والده في الولاية، واستمر مشاركاً إلىٰ أن توفي والده، واستقل بالولاية، ثم أشرك ولده حسناً معه في قضية، ثم خلعها علىٰ ابنه حسن، ومع ذلك كان تحت أمره في جليل الأمر وخطيرة، يخضع له بلين الكلام، ويقدم له الحاشا[٣] مقام إذا قام، قال المؤرخون: وكان من سُعداء الدارين، أما في الدنيا فواضح لذي عينين، فإن والده تعب بخروج أخوته عليه حتىٰ والد صاحب الترجمة، فاستراح كما مر ولا توجه لحرب إلا ظفر، وعماد الوية النصر تخفق عليه. وأما في الآخرة فيدل لذلك عدله في رعيته، وكثرة صدقته، وملازمته للطاعة، ومواظبته علىٰ الجمعة والجماعة.

---

(١) تبعد عينات عن مدينة تريم شرقاً بمسافة ثمانية كيلومترات، وموقعها عند مُلتقىٰ كل الطُرق المؤدّية إلى قبر النبي هود. قيل إن السلاطين (آل كثير) هم أول من أختطّها وذلك في أجواء عام ٦٢٩هـ إلاّ أنها كثيراً ما تعرّضت للخراب نتيجة الحروب الواقعة بين آل كثير وقبائل يافع. ثم عادت إليها الحياة في القرن العاشر الهجري وكان أول مَن بنىٰ بها هو صاحب الترجمة ـ الشيخ العلاّمة أبو بكر بن سالم.

وفي عيْنات الكثير من المساجد والقباب والأضرحة، بالإضافة إلىٰ عدد من المنازل المتميزة بمعمارها الفني الرائع، وتنتشر حولها الكثير من أشجار النخيل التي تعتمد علىٰ سيول الأمطار. (انظر كتابي: معجم البلدان والقبائل اليمنية).

(٢) انظر: (الأعلام للزركلي ٦/ ٥٢).

(٣) هكذا.

ومن صدقاته بناء رباط للفقراء ورباط للنساء، ووقف عليهم ما يكفيهم من النفقة وإكرام الغرباء والضعفاء والفقهاء والعلماء واعتقاد الصلحاء بحيث كان يزورهم في مواضعهم. وكان له نظم حسن بديع، وله أولاد نجباء وهم أحمد وحسن وثقبة وبركات وراجح ومنصور وسرور وناصر وبشير[1].

وكان موته بالقرب من وادي الآبار من جهة اليمن، وحُمل إلى (مكة) وصُلي عليه بعد العصر في المسجد الحرام، وتقدم في الصلاة.. قاضي (مكة) يومئذ ميرزا مخدوم الشيرازي الحسني، ودفن بـ (المعلاة)، وبُني عليه قبة. وعمره نحو ثمانين سنة، ومدة ولايته ـ شركة واستقلالاً ـ ثلاث وسبعون سنة. رحمه الله تعالى وإيانا.

وأول من وُلّي (مكة) من آبائه قتادة بن إدريس[2] بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي ـ كرم الله وجهه ـ وابن البتول فاطمة بنت الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. وُلّي مكة سنة (٥٩٧هـ) سبع وتسعين وخمسمائة[3]، وقُتل سنة (٦١٧هـ) سبع عشرة وستمائة، وتولّى ولده حسن ثم أخرجه منها الملك المسعود[4] صاحب اليمن سنة عشرين، ثم وُلّي (مكة) حسن بن علي بن قتادة سنة تسع وعشرين، ونازعه راجح بن قتادة[5]، ووقع قتال بين صاحب مصر وصاحب اليمن، وقُتل حسن بن علي سنة (٦٥١هـ) إحدى وخمسين وستمائة، واستولى على (مكة) جمّاز بن حسن بن قتادة، ثم استولى عليها راجح بن قتادة، ثم وُلّيها محمد بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة، وأُخرج وأُعيد إلى أن مات سنة (٦٧١هـ) إحدى وسبعمائة، واستولى على (مكة) ابناه حميضة

(١) انظر عن الحسن بن محمد أبي نُمَي: (الزركلي: الأعلام ٢/ ٢١٨).
(٢) انظر: (الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٩ وفيه مصادر ترجمته).
(٣) في الأعلام: سنة ٥٩٨هـ.
(٤) الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكرانظر: أيوب ـ انظر: (العراقي: المقتطف من تاريخ اليمن ص ١٣٠).
(٥) انظر: الأعلام ٣/ ١٠).

ورميثة، ثم قَبض عليهما أمير الحج المصري، وجهّزهما إلى (مصر) ووُلّي أخويهما أبا الغيث وعطيفة، ثم استبد بالامرة أبو الغيث سنة (٧٠٣هـ) ثلاث وسبعمائة، ثم عُزل سنة أربع بحميضة ورميثة، ثم وُلّي سنة ثلاث عشرة، ثم هزمه حميضة، وقُتل أبو الغيث سنة خمس عشرة، ثم وُلّي رميثة ثم قبض، ووُلّي عطيفة أخوهم، ثم طلب السلطان عطيفة ورميثة، ومات عطيفة بـ (مصر) سنة ثلاث وأربعين، وانفرد رميثة بولاية (مكة) سنة ثمان وثلاثين. وفي سنة أربع وأربعين اشترى عجلان وثقبة البلاد من أبيهما رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه ضعف وعجز، ثم قبض السلطان ثقبة ورد الأمر لرميثة، ثم وُلّي السلطان عجلان سنة ست وأربعين، وفيها مات رميثة، ثم وُلّي ثقبة (مكة) وهرب عجلان، ثم ولاه أمير الحج، ثم اشتركا في الولاية، ثم وُلّي محمد بن عطيفة وسند بن رميثة.

ثم حصلت فتنة بـ (مكة) فقصد محمد بن عطيفة (مصر)، فمات بها سنة (٧٦٣هـ) ثلاث وستين وسبعمائة، ثم وُلّي عجلان، واستمر إلى أن مات سنة ثمان وثمانين[1]، ووُلّي المملكة ولده محمد، ثم قُتل عند تقبيله لخف جمل المحمل، ثم وُلّي عنان بن مغامس بن رميثة[2]، ثم عزل ووُلّي علي بن عجلان[3]، ثم قُتل سنة (٧٩٧هـ) سبع وتسعين، ووُلّي حسن بن عجلان[4]، وتوفي سنة (٨٢٩هـ) تسع وعشرين وثمانمائة بالقاهرة، ووُلّي ولده بركات ثم عُزل، ووُلّي علي بن حسن ثم قُبض، ووُلّي أخوهما أبو القاسم فعُزل وَرُدَّ بركات ثم طلب من السلطان أن يولي ولده محمداً لأنه كبر وضعف، ومات سنة (٨٥٧هـ) سبع وخمسين وثمانمائة[5]، واستمر محمداً إلى أن مات سنة (٩٠٣هـ) ثلاث وتسعمائة كما سبق

(١) في الأعلام (٤/ ٢١٦): وفاته سنة ٧٧٧هـ، وإنما توفي في السنة المذكورة (٧٨٨هـ) ابنه: الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (الأعلام ٥/ ٩٠).
(٢) انظر: (الأعلام ٥/ ٩٠).
(٣) ترجمه الزركلي في الأعلام: ج ٤ ص ٣١٢.
(٤) انظر: الأعلام ٢/ ١٩٨.
(٥) في الأعلام (٢/ ٤٩): أن وفاته سنة ٨٥٩هـ.

في أول الكتاب[1]، قال في «الريحانة»[2]: هو بيت أُسست عِمَده على الخلافة، وقُطرت من شِعب شجرته مياه اللطافة، وغُرست بين أثلاث المجد أعواده. فاستراحت عنده الآمال، وتعبت حساده قصر معانٍ يرد الطرف كليلاً، ونسيم الشمال عليلاً. أعلى الممالك مَاجَلّى بني على الأمل فهو سُوَر الخطوب، وخليقة أخلاق الصبا والجنوب. يُقصَد بتحف المدائح، فيشترونها بنقد المنائح. فعندهم محط الركبان من الأطراف، وربح المحامد متجر الإسراف، فإذا كان الدهر قاتم الآفاق مُسْوَدّ النواحي، فوجوههم نجوم ووضاح غررهم صباحي فكمل، أمِنوا الزمن بعد الحران، فأصبح سهل القياد رخو العنان، تتحلّى بذكرهم الأفواه، ويفوح نشر الطيب خالطته الأفواه. وغررهم في جباه الليالي والأيام، يعجز عن وصفها أفواه الدوي وألسنة الأقلام، في سماء معال ماء مجرّتها موروده، يبيت في حافاته شقائق الشقيق متوردة الخدود، فاكتحلت بالسحر مقلة دياجيها بجواهر النجوم، لبّات لياليها إلى أن أُديت أمانة الملك إلى أبي نمي بن بركات. فهطلت منه على رياض الحرمين سحائب البركات. وله شعر بليغ نفحاته ذكية، وفصاحته علوية كقوله في المقام اليوسفي ب (مصر) والأداهم حجال والقيود كما قيل شعر:

. . . .[3]	خلاخيل الرجال وقد لمع برقٌ سجال
فكاد يطير شوقاً	يحيي حجبه النوى وإلا عجال
ما لمع البرق من تلقا ديارهم	الأولى مدمعٌ بالسفح هطّال
تالله لولا قيودٌ في قوائمنا	من الجميل وفي الأعناق أغلال
لكان لي في بلاد الله متسع	وفي الملوك لغانات وآمال
لولا حرمة البيت والجار القديم	ومن أتاكم وكهول أخي أفضال
إليكم الصبا قطب	فكيف رحل عنكم وهي آحال

وهو كقولي:

تالله ما فارقت لي وطنياً به	براداً جررت من الشبيبة زاهي

(١) له ترجمة مختصرة في كتاب الزركلي: الأعلام ١/ ٥١. وفيها إشارة إلى مصادر ترجمته.
(٢) «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» تأليف الشاب الخفاجي.
(٣) كذا بالأصل.

إلا لأني استحي من رده	خلقاً أوقعه بعد زواجي

انتهى. وقد أفردت لولاة مكة تاريخاً مستقلاً جمعت فيه ما وقفت عليه من ذلك[1].

سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة

[محمد البَكْري]

توفي شيخ الإسلام محمد بن أبي الحسن محمد بن محمد بن جلال الدين عبد الرحمٰن البكري، الصديقي، سبط آل الحسن[2]، ملك العلماء والعارفين والأئمة الراسخين، وإمام الوارثين الواصلين وسلطان العارفين قطب الدوائر وإمام حضرة الظاهر والباطن. قال الخفاجي في «الريحانة»: خلف أباه من بعده، ونشر في الخافقين لواء حمده، وله فروع بسقت من دوحة المجد، ونمت في ربابين تهامة ونجد من كل من لبس رداء النجابة في صباه، ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه، ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده، فعلى جبينه نور نسبٍ يُخبر أن خلف الدخان لهب، وتحت الرغوة الفصيح من اللبن الصريح، غادة ولُبّة سابغة المرط، بعيدة مهوى القرط، يُصغي له الدهر إذا نهى وأمر.

وقد جرت بينهم تسكب العبرات، فلم يزل كل منهم ينقص أخاه، ويغض منه ويقول لسان حاله: أخوك البكري لا تأمنه كما قال الصنوبري:

أحمد الله قد ألاحت بروق	منك بالود لا تزال مليحه
حسنٌ قول وسوء فعل كما	سُمّن المُسَمّي في وقت ذبح ذبيحه

ومنه أخذ ابن الوردي قوله:

قد بلينا بأميرٍ	ظلم الناس وسبّح

(١) لم نجد لهذا الكتاب أي إشارة في كتاب «التاريخ والمؤرخون بمكة». كما أنه لم يرد في قائمة مؤلفات الشلّي التي ذكرها الجبشي وغيره ممّن ترجموا له.
(٢) انظر: (النور السافر ٣٦٩، شذرات الذهب ٨/ ٥٠٢، الأعلام للزركلي ٧/ ٦٠، جامع كرامات الأولياء ليافعي ١/ ١٨٧، معجم المؤلفين ١١/ ٢٨١. وفيه أن تاريخ وفاته سنة ٩٩٤هـ).

فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح

انتهى. وُلد رضي الله عنه بمصر المحروسة، ونشأ بساحاتها المأنوسة، وربا حجر السيادة، وأرضعهُ ثدي العلم والسعادة. واشتغل بطلب العلوم، وباشر الورع إلى أن ترعرع فيها وبرع، وأخذ عن والده الشيخ الإمام أبي الحسن، والشهاب عُميرة البرلسي، وزكريا شيخ الإسلام، وعن إمام العصر والأوان: إبراهيم بن أبي شريف الشهير بالبرهان. وفاق الفروع والأصول، ووصل إلى ما لا يمكن غيره إليه وصول، وصار شيخ التفسير والحديث والفقه على الإطلاق، ومرجع أهل العلوم لا سيما أهل (الحجاز) و(مصر) و(الشام) و(العراق).

وأذن له مشايخه في الافتاء والتدريس، فدرّس في كل علم فقهي وخصوصاً مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس، ورُزق التوسع في العبارة، ما لم تستطعه الأوائل، وفي فنون البلاغة ما أنسى كل مُماثل. وكان أحد أعلام الحفاظ، وإمام عام العربية الواقفين بعكاظ. ورُزق من القبول والحظ التام عند الخاص والعام، ما لا تضبطه الأقلام.

وكان فصيح اللسان، ذكي الجنان، فريد العصر والأوان، يُلقي دروساً في التفسير محررةً موشحةً بمناقشات كبار المفسرين كالزمخشري والفخر المشهور، ويأتي في ذلك ما تقرّ به العيون، وتنشرح له الصدور. وإذا درّس في «صحيح البخاري»، أتى في تقريره بما يدهش الناظر ويحير الخاطر. وكان عظيم الحلم، واسع الصدر، حسن الخُلق جداً، لا يقابل من يؤذيه، ولا ينتقم ممن يعاديه. وما ذاك إلا بمدد رباني، وفيض مهداني.

وكان مجلسه مصوناً من اللغط واللغو والغيبة والنميمة، وكل خصلة ذميمة، بل كله فوائد علمية، إمّا تفسير آيات أو أحاديث نبويات أو شرح أبيات. وكان الباشا وقاضي العسكر ـ فمن دونهما من الأمراء والكبراء ـ يأتون إليه، ويمتثلون بين يديه، ويمتثلون أمره، ويعتقدونه، ويألفونه ويحبونه.

وصنّف عدة مصنفات، وهي وإن كانت مختصرات ـ اشتملت على ما لم تشتمل عليه المبسوطات. منها: شرح على غاية الاختصار ماشية على شرح المنهج، ورسالة تلقب: نزهة النظر في حُكم الرجوع من السفر ـ جامعة لآداب

الشيخ... والعبادات والعادات، ورسالة تُسمّى: موارد المريد للسبيل الحميد، ورسالة تسمى: ثم الرحمانية، ومؤلف يُسمّى: الفتح المبين بجواب بعض السائلين. وله حكم مجموعةٌ عظيمة. وله رسالة في آداب السالك، ورسالة لقبها: تائية المنة في تأييد السنة، وله منظومة في العقائد سمّاها: السر المكتوم والدر المنظوم، كُتب على هامشها: لا أحل لأحد أن يأخذ بظواهر بعض أبياتها، فإنما هي إشارات تدريها الخاصة، ومن وَصَل عرف، ومن صفا كشف.

وله نظم فائق كله حقائق، يُشعِر بعلو شأنه، ويُعلِم بسعة علمه وجراءة جنانه، وفصاحة لسانه. ومن قوله:

حدثنا الصبح عن العسعس ... من السوارى في دُجىٰ الحندس
عن معهد العز وبيت العُلىٰ ... عن مظهر التقديس في المقدس
إن حسن الحق عزيز ولا ... يدرك إلا بفَنَا الأنفُس
ولكن الفضل إذا عم مَن ... يهواهم يظفر بالأنفَس
فالبس من الحب لباس الهوىٰ ... فَافخر به ناهيك من ملبس
وادخل الحان واطرب بما ... قال حوارى حضرة الكُنُس
من كل خُوْدٍ[1] كاعبٍ ناعم ... لطيفة تأخذ بالأنفس
قد يرفق حان الهوىٰ كاسه ... والورد منثور على السندس
يرى من اللحظ سهاماً لها ... حواجب سود رقاق قُسي
فلا ترى في البسط مثل فتىٰ ... دارت عليه سائراً وكؤسي
زاد مني الساقي جهاراً وملا ... غيب ذاتي عنه في المجلس
قرّبني عانقني فتمنى ... أرشفني من ثغره الألعس[2]
فالحمد لله دناها جرى ... وعاد بالمأرب لي مؤنسي
وسار بعد النأي عندي بما ... اختار من أقواله مؤنسي
وقلت للنفس بَلغتِ المُنىٰ ... ولاح بدر التم في الحندس
وفزت بالمركز من أصله ... فما تشاه في شكله هندس

(١) الخُود: المرأة الشابة.
(٢) الثغر الألعس: فيه سواد مُستحسن.

وإن تـجـلّـى حـيـث لا صـورة   فـسـبـح الـطـلـعـة أو قـدّس

وقوله رضي الله تعالى عنه:

حـدّث عـن الـوتـر أيـهـا الـوتـر   مـن فـاتـه الـخـيـر سـره الـخـبـر

وقـل كـمـا شئت إن لـي أذنـا   يُتلى عليك بلحنها السور

مـصـغـيـة لـلـحـبـيـب يُـسـمـعـهـا   آيات حق لـم تـسـمـع الـبـشـر

يـا وتـراً حـركـتـه غـانـيـة   لا وأبـي لـيـس ذاك يـا وتـر

قد أبدع الوتر فيك حكمته   فمنه لا منك يطرب الفطر

وقوله:

يا نفحة الورد والنسرين والياسمـ   ـن أنا المريض فهلا كنت الفاسي

أنـا الـمـقـيـم عـلـى الـعـهـد ولا   أنساك لكن أراك اليوم لي ناسي

هنا وأنتِ مني قلبي ومنيتهُ   وأنت ذكرى إذا حدّثت جلاّسي

وله:

يا فتية بحمى الجرعاء قد نزلوا   وقلدونا من الأشواق أطواقا

هل تذكرون لياليـنا التي سلفت   وتحفظون لنا عهداً وميثاقا

وهل علمتم بما ألقاهُ من ألم   ولوعة أحرقت أحشلي إحراقا

وإنـنـي لـم أزل أرعـى ودادكـم   تكدّر الوقت بالأبعاد أوراق

لا أكذب الله شوقي ليس . . . .

وله أيضاً:

زارنـي مـن هـويـتـه يـتـبـخـتـر   وشفا، وحسبك وعود ومنبر

ينثني كالغصن بل هو أزهى   يتجلّى كالبدر بل هو أزهر

ما سمعنا من قبله أن بدراً   في مروط إليها يتخطر

فـلـهـذا لـمّـا رأيـنـاه قـلـنـا   يا بديع الجمال الله أكبر

ما ترى في متيم مستهام   دمعةُ من عيونه يتحدّر

لا يذوق الكرى رسل أنجم الليل   وربي بحال الصبّ أخبر

ورأى قومه فما أبصروه   فتنادوا ما باله ليس يظهر

اقـضـى وانـقـضـى وولّـى وإلاّ   بضناه عن العيون تستّر

فتعطّف على كثيب عميد   في حشاه حجر الجفا يتسعّر

ثـم قـالـت مـهـلا سـعـيـه   لك يا زاعم الهوى يتسعّر

أنت شمس وأين منك لحاقي   هـو شـيء والله لا يـتـصـور

وديوانه مشهور متداول، وذكر في «النور السافر» جملة منه. ومدحه كثيرون من أدباء زمانه، وأثنى عليه علماء عصره وأوانه. ولشيخ الإسلام عبد العزيز الزمزمي فيه مدائح عظيمة.

وله ـ رضي الله عنه ـ كرمات كثيرة، منها: أن خادمه أتاه يطلب منه ما يصرفه في نفقة ما يعولهم ـ وكانوا كثيرين ـ فلم يجد عنده شيئاً، وقال له: يرسله الله تعالى، فعاد إليه فأجابه بما أجابه أولا، فكرر الطلب عليه، فنهض الشيخ إلى الطواف ـ وكان جالساً تحت داره عند باب إبراهيم ـ وطاف وهو يقول:

شـوّح الـنـبـت فـاسـقـه   قـطـرةٌ مـن سـحـائـبـك

واغـثـنـا   قـامـنـا   فـي تـرجـى مـواهـبـك

وإذا رجل هندي يُقبِّل يده ودفع له صُرّة دنانير مختومة، وقال: هذه أرسلها لك ملك الهند معي، فأخذها وأعطاها الخادم وحمد الله ودعا لهم بخير ومن كراماته انه لمّا زار النبي ﷺ أنشد لنفسه أبياتاً في الحضرة الشريفة، فسمع المصراع الأخير منها من الحجرة الشريفة، والأبيات هي قوله:

ولـمّـا أتـيـنـا قـبـر أشـرف مُـرْسَـلِ   ولاح لـنـا سـر الـعـنـايـة يـنـجـلـي

وغـيـب سـر الـروح فـي مـلـكـوتـه   فـصـار عـن الأكـوان فـي أي مـعـزل

وصار من الجمع المحيط لرتبة   تعالت بسر الذات عن وصف منزل

عرفت علي ما أريد فقال لي   لسان تجلّي الحق مني عقول

مجيباً بما أمّلته من عطائه   سمعنا وأعطيناك فوق المؤمّل

قال لي بعض السادة في ترجمته: وكان يُنفق الأموال يميناً وشمالاً، ولم يخش من ذي العرش إقلالا؛ وناداه كل فاضل: هكذا هكذا وإلا فلا لا، يصفح عن الذنب والجاني، ويعطف على القاصي والداني. وكان له خُلق عظيم، وخَلق ألطف من النسيم، ومنطق أشهى من العافية للجسم السقيم، وكلام أشهى من رشف الرضاب، ولفظ أحلى من رضا الحبائب الحضاب، وجبين وضّاح، ويمين منها

الجود يُستماح. وبالجملة فقد اتفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، ونشوءاً على حفظ مودته ومحبته.

ولم يزل شيخاً الإسلام والمسلمين، وداعياً إلى رب العالمين، إلى أن صار مصير الأولين والآخرين، وصيّره الله إلى جنات أُعدّت له ولأمثاله المتقين، أعلى الله درجته في أعلى عليين، مع النبيين والصديقين. ودُفن بالقرافة الشهيرة في تربتهم المنيرة.

سنة أربع وتسعين وتسعمائة

[عبد الرحمن بن محمد السقاف]

توفي السيد الشريف ذو القدر العالي المنيف، وجيه الدين، عبد الرحمٰن بن محمد بن علي الشهير بـ (إمام السقاف)؛ لأنه كان بمسجد جده السقاف إماماً. وكان من عباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، كامل قدوة، ليس بمقصور ولا منقوص، وإمام تصطفُّ الناس خلفه كأنهم بنيان مرصوص، رفض الدنيا وراه ظهره، وعامل الله في سره وجهره، حريص على عمارة دينة ولو خرب الوجود بأسره.

وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، ولازم تلاوته آناء الليل والنهار، في الإقامات والأسفار، وصحب جماعة من العلماء الكبار، والعارفين الأخيار. ولبس الخرقة من كثيرين، وتفقه في الدين، واجتهد في عبادة رب العالمين، ولازم القُربة والطاعة، وواظب على الجمعة والجماعة. وكان كثير القيام، قليل المنام، كثير الصمت عند الكلام، سليم الصدر، حسن الذِّكر، ذو ورع شديد، ورأي سديد. وانتفع به كثيرون من الرجال، مع ميله إلى الخمول والانعزال. ولم يزل لسانه رطباً بذكر الله تعالى إلى أن دنت منه الوفاة، ودفن بمقبرة (تريم) المسماة (زنبل). رحمه الله عزو جل.

[رحمة الله السِّندي]

وفيها [٩٩٤]: توفي الشيخ رحمة الله بن القاضي عبد الله بن إبراهيم الحنفي السندي[1]، نزيل (طيبة) المنورة، وأحد الصالحين والعلماء العاملين. وكانت

(١) انظر: (الأعلام ٣/١٩ وفيه: تاريخ وفاته في سنة ٩٩٣هـ، وشذرات الذهب ٨/٣٨٦ =

ولادته بـ (السند) في حدود (٩٣٠هـ) ثلاثين وتسعمائة، واشتغل على جماعة من علماء بلده، ثم قَدِم (مكة) المشرفة سنة (٩٥٣هـ) ثلاث وخمسين مفلوجاً، وحج وزار وجاور بالمدينة، وأخذ عنه جماعة. وكان يصعب عليه الكلام بسبب الفالج المذكور، بل قد يتعذر عليه، وإذا أراد إملاء شيء أملاه حروفاً مقطعة فتُكتب عنه.

وألّف عدة كتب منها كتاب «مجامع المناسك ونفع الناسك»[1]. وكان ملازماً الاشتغال والعبادة، كثير التفكر والذكر لا يفتر عن ذلك ساعة، ولا تخلو لحظة من عمره عن طاعة. قال في «النور السافر»[2]: وطبق بعض الفضلاء تاريخ موته بحساب الجُمل فجاء رحمه «قد نال مراده» وزاد في العدد اثنان. لأن ذلك مُسامح فيه إذا كان مناسباً. وجاور في آخر عمره بـ (مكة المشرفة) واستمر بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله، ودفن بالمعلاة.

[القبض على «آل المطهر» واحتلال بلادهم]

وفيها [٩٩٤]: قبض حسن باشا ـ وزيراليمن ـ على أولاد الإمام مطهر[3] وهم «لطف الله» و«غوث الدين» و«حفظ الله»، وعلى «علي بن يحيى بن مطهر» و«محمد بن الهادي بن مطهر» وعلى الإمام «الحسن بن علي المؤيدي»، وأرسلهم إلى السلطان، ثم قام المتوكل عبد الله بن[4] علي بن الحسن بن عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد، وتبعه خلق كثير.

= في وفيات سنة ٩٩٧٨؟ وتابعه صاحب هدية العارفين، ثم نقل عنهما: معجم المؤلفين ٤/ ١٥٤. كما أن صاحب النور السافر ـ ص ٣٩٢ـ أورده ضمن وفيات سنة ٩٩٣).

(١) أشار صاحب «الأعلام» أنه مطبوع. وذكر له مؤلفات أخرى ـ في ذات الموضوع ـ بعنوان «جَمْع المناسك تسهيلاً للناسك»، و«لباب المناسك» و«حباب المسالك» قال: هو مطبوع أيضاً.

(٢) ص ٣٩٢ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) انظر: (زباره: خلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون ـ ج ٣ ص ٢٤٣).

(٤) هو المعروف بلقب: أبو علامة. انظر: المصدر السابق ـ ج ٣ ص ٢٤٥.

سنة خمس وتسعين وتسعمائة

[أحمد العبّادي]

ليلة الثلاثاء خامس محرم الحرام، توفي خاتمة المحققين وعمدة العارفين، شهاب الدين، أحمد بن قاسم العبادي[1]، المصري، الأزهري، الشافعي. شيخ مشايخ الإسلام، وعَلَم العلماء الأعلام، جامع أشتات العلوم، المنقول منها والمعقول والمنطوق والمفهوم، المُقدَّم على أقرانه الأئمة الفحول، في الفروع والأصول، الواصل إلىٰ ما لا يمكن إليه الوصول. السابق الذي لا يشق له غبار، ولا يجاريه أحد في مضمار، صاحب الفَهْم الذي فتح به ما انغلق علىٰ غيره من الأبواب، والحِفْظ الذي يسحر القلوب والألباب، والذكاء الذي خاض به في لجج البحر العباب.

وُلِد ـ رضي الله عنه ـ بمصر المحروسة، واطلع الله تعالىٰ بها بدوره وشموسه. تربّىٰ في حجر العلماءالسادة، ولاحظته عين العناية والسعادة، وحفظ كتاب الله العزيز، وتحصن به من الأغيار في حصنٍ حريز؛ وحفظ من الكتب المشهورة مطولات ومختصرة، واشتغل بالتحصيل من صباه، ونشأ في طاعة الله، وأخذ عن العلماء أهل المعارف والرتب، وجثا بين أيديهم علىٰ الرُّكَب، وتمسّك بالسبب الأقوىٰ، وقام من الاجتهاد بما لا يطيقه أحد ولا يقوىٰ؛ وبرع في المنقول والمعقول، لا سيما علوم الفروع والأصول. وكان في علم العربية ثابت الأركان، وكذا علم المعاني والبيان. وأمّا من أخذ عنهم من علماء ذلك الزمان، أهل العلوم والعرفان، فيطول ذِكرهم، ويعسر حصرهم، منهم: الأستاذ أبو الحسن البكري؛ وشيخ الإسلام أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري، وشهاب الدين الشيخ أحمد عميرة البرلسي، والشيخ ناصر الدين محمد ابن حسن اللقاني المالكي، والشيخ أحمد بن حجر، والمحقق السيد عيسى الصفوي. واستمر يدأب في

(١) أورده صاحب شذرات الذهب ـ ج ٨ ص ٥٠٥ ضمن وفيات السنة السابقة (٩٩٤هـ) وكذلك فعل: معجم المؤلفين ج ٢ ص ٤٨، وغيرهما. أمّا «الأعلام» ـ ج ١ ص ١٩٨ـ فقيه: إن وفاته سنة ٩٩٢هـ.

تحصيل الفضائل والعلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، حتىٰ صار واحد عصره بالإجماع، وفريد دهره الذي تُصغي لما يقوله الأسماع.

واشتهر صيته، فملأ ذِكره البقاع؛ فرحلت الطلبة إليه، وتمثّلت بين يديه، واقرأ مشكلات الكتب كالكشاف والبيضاوي والعضد والمقاصد والطوالع وشروحها، والرضي والمطوّل والمختصر وحواشي ذلك، وشروح جَمْع الجوامع، وشروح المختصر، وانفرد بتحقيق جميع ذلك في مصره بل سائر الأمصار، وتفرّد بتقرير ذلك مع كمال الاستحضار، وربما لا يحتاج في بعض ذلك إلىٰ المطالعة ولا ملاحظة تأليف ولا مراجعة. وصنّف الكتب التي قُطعت لطلبها المراحل، وسارت بها السفن والرواحل؛ فمن محاسن تصانيفه: شرحه لشرح «جمع الجوامع» المُسمّىٰ بـ (الآيات البيّنات»[1] الذي أظهر به باهر الكرامات وخوارق العادات، وجمع فيه المسائل المتفرقات، والأبحاث الفائقة والتحقيقات، والإشكالات الرائقة المستجادات. وله شرحان علىٰ شرح «الورقات» لجلال الدين المحلي، وشرح علىٰ «مختصر أبي شجاع» ذَكَر فيه أبحاثاً سنية، وتحقيقات بديعة. والحواشي الذي أتى فيها بالغرائب السنية، وأظهر فيها الكنوز المخفية، منها: حواشي «تحفة المحتاج» المشتملة علىٰ أبحاث لم يسبق إليها، ونُكت يتعين الوقوف عليها. وحاشية «شرح المنهاج» التي أتى فيها بما لم يوجد في كتاب، من العجب العجاب. وحاشية «شرح الغرر» لشيخ الإسلام. وله حاشية علىٰ «الإمداد» لم تُجرَّد؛ وله شرح علىٰ «القَطْر» لابن هشام، وشرح علىٰ «ألفية ابن مالك». وظهرت كتبه ظهور الشمس وسط النهار وانتشرت في سائر الأقطار، ووقع علىٰ حسنها وقبولها الإتفاق، وشهد له بذلك أهل الوفاق والإفتراق.

وأخذ عنه جماعة كثيرون في كثير من الفنون، فمن أجلّهم: الشيخ منصور الطبلاوي، والشيخ أحمد المحقق الغنيمي، والشيخ نور الدين الزيادي، والشيخ عبد الرؤوف المناوي. وكان يتحرز من الكتابة علىٰ الفتيا مع كثرة سؤال الناس له من أهل (مصر) و(الشام) و(الحجاز). وإذا كتَب كتب علىٰ تحرٍّ وتحرير واحتراز،

(١) أشار الزركلي في كتابه «الأعلام» إلىٰ أنه مطبوع في مجلدين.

وأتى من درر بحر صدره بالنفائس، ويتجنب الحضور في عقود المجالس. وكان ـ رضي الله عنه ـ قوي الحافظة، جيد الكتابة، رائق العبارة. فصيحاً قادراً على التعبير عن مراده بعبارات متنوعة.

وأخذ عن الصوفية سلوك الطريقة، وخاض في بحار علومهم العميقة. وكان إماماً في القراءات وضبطها، وفي حفظ الشواهد ونقطها. وكان لا يحابي أحداً، بحيث يُحكىٰ أنه أقام غير واحدٍ جلس للتدريس مع عدم أهليته لذلك، وأن بعض أهل البيوت التمس منه أن يجيزه بالتدريس.. فامتنع، وأرشده إلى الجِدّ في الطلب لينال تلك المرتبة.

وكان عملاً بعلمه، حافظاً للسانه وقلمه، قانعاً من الدنيا بالكفاف، متسربلاً بسربال الورع والعفاف. وكان يتردد إلى المسجد الحرام، وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. وحسبك قول بعض أهل الكمال من فحول الرجال؛ ذاكراً بعض فضله: هو أعرف بكل فن من أهله.

ولم يزل محافظاً لأزمانه وأوقاته، مقبلاً على طاعة ربه وعباداته، إلى أن حان وقت وفاته، وانتقل بالحرم وصُلّي عليه في الملتزم، ودفن بالمعلاة. رحم الله مثواه، وبل بوابل الرحمة ثراه.

[أبو الفتح الصوفي]

وفيها [٩٩٥]: توفي الشيخ الإسلام أبو الفتح، محمد بن محمد بن عبد السلام، نزيل الشام، المالكي مذهباً، التونسي مولداً، الصوفي مشرباً. قال السيد علي بن أحمد بن معصوم في كتابه «سلافة العصر في محاسن أهل العصر» في ترجمة المذكور: أحد الفضلاء الأعيان، وأوحد أئمة البيان. له في الأدب قدح يجول، وتواضع غرر وحجول سدّد صعاد قرائحه، وأشرع وكرع من الفضل في أغزر مشرع قال، ووقفت له على بيتين حمى منهما صوب البلاغة وبجوده، لولا ما يُتّهم منهما من القول بوحدة الوجود، والله أعلم بحقيقة اعتقاده، وهو المُطّلع على خفايا صدور عُهاده. وهما:

بانعكاس الشعاع في المرآة	وانعطاف الصدىٰ على الأصوات
أيقن الناس أنه ليس في الكو	ن سوىٰ مقتضىٰ شؤون الذوات

وقال شهاب الدين أحمد الخفاجي في كتابه «ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا»: نادرة الفلك، وهدية الزمان، ونكتة عطارد المدونة في صحف الأمكّان، وبرهان مَن قال مِن الحكماء بتعدّد نوع الإنسان. وليس الغريب مَن تنءت دياره، بل مَن فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره، وهو غريب في فضله ومجده. وإن ملك من الآداب مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده. ولمّا أشرقت بالمشرق شموس علمه وآدابه، وزها نورها إذ جرىٰ في عوده ماء شبابه، أسفر وجه صباحه وجلاله.. الظفر غرة نجاحه، فحلّ عقد عزيمته بالشام، كما حل الربيع نقابه عن منظر بَسّام:

والريح تجذب أطراف الغصون كما	أفضىٰ الشقيق إلىٰ تنبه وسُنَان

فألقىٰ بها عصا تسيارة، ونفض عن برد همته غبار أسفاره، وبنىٰ أمره على السكون، وماضىٰ أحواله على الفتح، وقد شدت ورق فصاحته بها بأطرب ترنم، وصدحَ فمضىٰ زمن. ونُور الأدب لا يُجتنىٰ، إلاّ مِن رياض كلامه، وسورة الفتح بمجاريها لا تُتلىٰ بغير ألسنة أقلامه، وأثمد مراودها كحل البصائر، وتحف آثاره يتلقىٰ ركبانها كل بادٍ وحاضر، حتّىٰ في نادي القضاء تربّع واحتبىٰ فأصبح طراز مذهب مالك مُذْهَبا.

وصار فيهم غريب الدار منفرد	كبيت حسّان في ديوان سحنون

فأنار ليله الحالك، وتصرّف فيه تصرف مالك، بأخلاقٍ يقصر منها لشمول الشمائل، وفضائل جمة المآثر سَحْبان عندها باقِل إلا أنه مع تملك جواهر العلوم، وتقليد جيّد كماله بعقود المنثور والمنظوم، عاداه دهره، وصافاه فقره، فظل يمتري صبابة عيش لو أنها نُوّمَ ما شَعَرت بها الأحداق، ويتحمّل مِن أثقالها ما يوهن ويوهي القوىٰ والأعناق. ولم يزل كذلك حتّىٰ غار ماء حياته، وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته، وانفتحت له أبواب الجنان، فسقاه الله رحيق غفرانه بين رَوْحٍ وريحان، ونَزّه عيون رحابه، وأمّلهُ في رياض الجنان. فمن نظمه الذي حشىٰ الأذهان سحراً، وملأ أفواه الرواة دُرّاً، قوله:

بأبي المعسول المراشف ألمي	مائس القد ناعس الأجفان
سرق الجيد واللحاظ مِن الـ	ظبي ولين القوام من الغصن
عطفته الصبا إليّ ومالي	بالصبا بعد ما يراه يدان

فتحاشيت لثمه خِفة الأثم — وأطلقت معلقي ولساني
آه لولا التُّقى ومعتراها — الشيب لطاوعت في الثرى شيطاني

وله من قصيدة:

حاز الجمال بأسره فحبه — في اسره لم يرضَ حال وثاقه
قسما بصبح جبينه لو زارني — جنح الدجى وسعى إلى مشتاقه
لفرشت خدي في الطريق مُقبِّلا — بفم الجفون مواطىء استطراقه
وصفحت عن زلآت دهري كلها — وعناده فيما مضى وشقاقه

قوله: بفم الجفون إلى آخره، كقوله أيضاً في أرجوزته المشهورة:

يكاد من عذوبة الألفاظ — تشربها مسامع الحفاظ

وهذا نوع من البديع غريب، بيّناه في «حديقة السحر». وله نظائر كثيرة، وهو على نهج قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾[1] كما أشار إليه في الكشاف، وقد أوضحه الغَزّي بقوله في بعض قصائده:

إن لم أمت بالسيف قال العذل — ما قيمة السيف الذي لا يَقتُل
وتغير المُعتاد بحسن بعضه — للورد خدٌ بالأنوف يُقبَّل

ومنه ما أنشده لنا صديقنا الطالوي لنفسه:

أرود بمحظي ورد خديه والذي — جنى حظير وردٍ لخدودٍ فما أخط
وأرشف بالألحاظ خمرة ريقه — لا في اسوق البيت لاذقت اسفنطا

ولصاحب الترجمة من قصيدة مَدح بها العلامة علياً الحسائي، وعاتبه على قطع مرتّب له:

إن قطع السيد عن عبده — ما كان قد رتّب من رفده
فالعبد لم يقطع دعاة له — رتّبهُ كالجزء من وِرده
ولا [illegible] نشرهُ — كالمسك والعنبر في ندّه
أو كرياض راضها وابلٌ — فابتسم اليانع من زَرده
وانتظمت من نثر أزهارها — جواهر الانداء في عقده

(١) سورة النحل، الآية ٦٢.

وهو غنيٌ عن ثناء امرىء — ظل كليل الذهن من فقده
إذ مهد الحق له رتبة — عظيمة مذ كان في مهده
ونال ما شاء من المجد لا — بسعي إنسان ولا كده
فهو عليّ لا بمدح الورى، — له ولكن بثناء سعده
وإنما أوجب مدحي له — تتابع النعماء من عنده
وما حباه الحق سبحانه — من العُلا الناشىء عن جده
والعلم والتحقيق والفهم والـ — توفيق والتدقيق عن قصده
والشكر للمنعم فرض به — يا من ذو الإيمان من طرده
وفيه لا شك مزيد لمن — لازمه والكل من عنده
هذا وان العبد يبغي الرضا — في قربه الأقرب أو بعده
وما له في غيره رغبة — والعبد محمول على قصده
وليس ذا حزن لِمَا فات من — [illegible] إلى رشده
سيّان فقرٌ وغِنى عنده — إنّما هو المعهود من نهده
وما تصدّى لصدى حالة — قبيحة تفضي إلى عنده
سوى لزوم البيت مستوحشاً — من الورى حتى ذوي ودّه
مشتغلاً بالعلم مستغرقاً — أوقاته فيه وفي سرده
قد لزم العزلة لكنه — لصحبه باقٍ على عهده
أقسم لا يبرح من بيته — حتى يوارى في ثرى لحده
إن مات لم يترك له درهما — يحوزهُ الوارث من بعده
ولا أثاثاً لا ولا ملبسا — يصلح للمبيع سوى برده
وفَرْعة جراده من تحتها — التلاعة تُرعد من بَرده
وخيف .... دمعةً — م عنقه يحبسها على خده
ولم يكن يترك شيئاً إذا — فَارقه بأسى على فقده
غير بقايا كتب رثة — أكثرها قد مات في جلده
يباع في تجهيزه بعضها — والبعض وقفاً لا على ولده
هذا لعمري عرض حالي على — مَن اجمع الناس على حمده
لا برحت أعتابه قبلة — يؤمها العارفون من وفده

ما هطلت أنملة بالندى   من راحة كالبحر في مده

قال تلميذه أبو المعالي درويش الطالوي في كتابه «سانحات دُمى القصر في مطارحات بني العصر»[1]: والقاطع لذلك كتخداه الواصل بعد أيام ففاجأه طارق الحمام فتشحط في داره قتيلاً، ولا يظلم ربك فتيلا، فكانت للشيخ كرامة باهرة ورواية ظاهرة. قال في «الريحانة»: في قوله مستغرق إلى آخره.. فوائد، منها: إن الاستغراق أصل معناه طلب الغرق، ثم استعمله الناس في أخذ الشيء وتحصيله، ومنه قول العامة: استغرق في الضحك إذا أطاله، وهو غلط وصوابه في الضحك: أستغرب لا اغترب كقول البحتري:

وضحكن فاغترب الاقاحي من ند   غض وسلسال الرضاب برود

قال الآمدي في كتاب «الموازنة»: قوله أغترب يريد الضحك، والمستعمل: استغرب في الضحك.. إذا اشتد فيه، وأغرب ـ أيضاً ـ أخذ من غروب الأسنان وهي أطرافها، وغرب كل شيء حده.. إذ المعنى امتلأ ضحكاً. انتهى. والسرد أصله: نسج الدرع وتتابع الكلام وتعداد الأشياء، والعامة استعارته لتتابع نعاس الجالس وليس بعربي، وهو الذي أراده هنا كقوله:

أداود من ترس ثنائي سقاهة   مطرزة من صفرة الوجه والخد

وما زال درع الكيد للصحب ناسجاً   ولو ناعساً أمسى يقدر في السرد

وقوله: مات في جلده استعمال معروف عامي وجه استعمال ركيك، والبليغ قول العرب للمفلوج: سجن في جلده وحسن هذا وصف الكتاب به كما قال ابن نباتة المصري:

لله مجموع له رونق   كرونق الحيات في عقدها

كل تصانيف الورى عنده   تموت المحجلة في جلدها

عوداً على بدء. ومن شعره أيضاً:

مرحباً بالحمام ساعة يطرا   ولو ابتز من مدى العمر شطرا

(1) مخطوط بالمكتبة الظاهرية. انظر: (الأعلام للزركلي ٣٣٨/٢، معجم المؤلفين تأليف كحالة ١٤٤/٤).

جدّ الإرتحال من دار سوء   نحن فيها في قبضة الأسر أسرى

وإذا ما ارتحلت يا صاح عنها   لا سقى الله بُعدى الأرض قطرا

وهذا كقول الأمير أبي فراس الحمداني من قصيدة أولها:

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر   أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

يعللني بالموت والموت عنده   إذا مت عطشاناً فلا نزل القطرُ

ونحوه قول الشهاب الخفاجي في مطلع قصيدة له:

إن لم تبره لي الصبا علة   فلا شفى الله لها عِلة

وكتب صاحب الترجمة إلى الشيخ معروف وهو قاضٍ بـ (صفد) وقد أهدى له حلة من ثيابه:

مخدومنا قاضي قضاة مرفق   صفد أحق الناس بالتفضيل

العالم الحبر الذي معروفه   تُزري زيادته ببحر النيل

اعني الهمام الجهبذ الذي   ما زال معروفاً بكل جميل

اهدى لنحوي من مُخيّط ثيابه   جُملا فأغناني عن التفصيل

والتفصيل على لسان العامة: بمعنى قطع الثياب على حسب ما يراد، ففيه تورية كقول ابن نباتة:

كم جلة وصلت لي من نداك وكم   تفصيلة ألبستني أجمل الحلل

حتى لقد غدت المداح حائرة   بين التفاصيل من نعماك والجمل

وله أيضاً:

كم نكس الرأس أهل الكيميا خجلا   وقطّروا أدمعاً من بعد ما سهروا

إن طالعوا كتب المدرس بينهم   صاروا ملوكاً وإن هم جربوا افتقروا

تعلّقوا بحبال الشمس من طمع   وكم فتىً منهمُ قد عزه القمرُ

وله في أحدب كان أترجة الظرفاء وكرة اللهو بميدان الندماء، وكان أبو الفتح يكرهه ولم يعمل فيه بقول الباخرزي:

وصانع الدهر فكم دولة   صافت من السلحة أترجه

قال فيه:

إذا غفر الله ذنب امرىء   فلا غفرت زلة الأحدب

شديد النكاية على ضعفه   قياساً على أبرة العقرب

ومن ظرفاء الحلبيان: القاضي الفاضل وفيه يقول ابن صماتي عبد الرحيم:

لله بل المحسن اترجة   تذكر الناس بعهد النعيم
كأنما قد جمعت نفسها   من هيئة الفاضل عبد الرحيم

وعلى غلطه وإن لم يكن من بابه قول ابن جلنك لمّا امتدح القاضي الزملكاني فأجازه...[1] فكتب على حائط بستانه.

لله بستان حللنا دوحه   في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانير رأت   قاضي القضاة فنفشت أذنابها

قال الشهاب الخفاجي: وهذا نمط عجيب، وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنّف كراسة في لطائف هذه المقطوعة ووجوه بلاغتها، ولم أرها، وهو جدير بذلك. ووجه حسنها أنه قصد به تشبيه زهر البان وأدمج فيه هجو القاضي؛ لأن السنانير إنما تنفش أذنابها إذا فزعت من الكلاب، فكأنه قال: إنها ظنته كلباً ونحوه ما مر في القاضي الفاضل والإيماء لحديثه، وهذا النوع تشبيه المدح بما يشبه الذم، وعكسه. ففي صريحه تشبيه لطيف كنى به عن هجو قبيح؛ وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر فإنه صريح كما حققه السيد في فن البيان، بل لأمورٍ قصدها. وليس هذا محل تفصيلها فإذا أردتها فانظر كتابنا «حديقة السحر»[2]. وله أيضاً في تاسومة وَعَدَه بعض أكابر دمشق بأرسالها فتأخر أرسلها لغفلة:

رب تاسومة بها قد وعدنا   فإذا قربها من النجم أبعد
رب يسّر حصولها لمحبٍ   علّهُ بالكمال يرقى ويصعد
عملا في الورى بقول حكيم   ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وهذا مثل مشهور بمعنى قول عليّ ـ كرم الله وجهه ـ صاحب من أقبل جدّه تسعد، وقال الشهاب الخفاجي في مثال نعاله ﷺ:

---

(١) كلمة غامضة.

(٢) هنا إشارة من المؤلف إلى واحدٍ من كتبه الكثيرة. ولكن هذا الكتاب غير معلوم مكانه. فلم يتحدّث عنه مترجموه. انظر: (الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٤٩١ و٥٤١، كحّالة: معجم المؤلفين ٩/١٠٥، الزركلي: الأعلام ٦/٥٩).

لمثال النعل الكريم لطَه   شرف قدره من النجم أبعد
وسعيد من كان قبّل هذا   أو عليه قد مرّغ الوجه والخد
وسمعنا الامثال قالت قديماً   ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وما أحق هذا أن سد له قول أبي العتاهية رحمه الله تعالى:

نعل بعثت بها ليلبسها   قدم تسعى بها إلى المجد
أو كان يصلح ان أشركها   خدي جعلت شراكها خدي

ولابن هانئ الأندلسي في قبقاب وهو مُحْدث ولفظه لم يسمع من العرب.

كنت غصناً بين الرياض يطيبا   مائس العطف من غناء الحمام
صرت أحكي أعداك في الذل اذ صر   ت برغمي أُداس بالاقدام

وله يذكر معاهد نيطت بها تمائمه وغدت على أغصان شبابه حمائمه، يندب إخوانه وينعي أوطاره وأوطانه، وذلك سنة إحدى وخمسين وتسعمائة:

سلو البارق النجدي عن سحب أجفاني   وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسلوا غير الصبا عن صبابتي   وشدة أشواقي إليكم وأشجاني
فما لي سواها من رسول إليكم   سريع السرى في سيره ليس بالواني
فيا طال بالاسحار ما قد تكفكفت   بألف من مخزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كربٍ عن كئيب متيم   يحن لأهل ويصبو لأوطان
فلله ما أذكى نسمة الصبا   صباحاً إذا صرت على الزند والبان
وصارت مسير الشمس وهناً فأصبحت   من الشرق نحو الغرب تجري بحسبان
وقد وقفت بالشام وقفة حامل   نوافج مسك من ظباء خراسان
لترتاض في تلك الديار هنيهة   وتزداد من أزهارها طيب أردان
وما غربت حتى تضاعف نشرها   بواسطتي روح هناك وريحان
فكم نحوكم حملتها من رسالة   مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله إلاّ تفضّلت   بتبليغ أحبابي السلام وجيراني
تحية مشتاق إلى ذلك الحمى   وسكانه والبارحين بأظعان
سقى الله هاتيك الديار وأهلها   سحائب تُحكي صوب مدمعي القاني
وحيّا ربوع الحي من خير بلدة   تخيّرها قُدْماً أفاضل يونان

هي الحضرة العليا مدينة تونس ... أنيسة إنسان رآها بأنسان

وهي طويلة. وله في مجلس شريف عليه ظل وريف:

مجلسٌ طاب مقيلا ... مذ حوىٰ ظلاً ظليلا
وسبيلاً بحماه ... تلقَ ماءً سلسبيلا
ونسيماً صحّ لمّا ... مرّ بالروض عليلا

وله في حبشية.

لي مِن الحَبَش ظبيةٌ تتهادىٰ ... بين أترابها كغصنٍ رشيق
هي ريحانةٌ إذا ما شئت ... وشقيقٌ وبالها من شقيق

وقد ذكر تلميذه أبو المعالي الطّالوي في «سانحات دُمىٰ القصر في مطارحات بني العصر» كثيراً من مطارحاته وما جرياته، ثم قال: وكفىٰ بهذا القدر من إيراد درر فرائده وغرر فوائده، ومَن أحب الاطلاع علىٰ لطائف أخباره وظرائف أسماره.. فعلية برسالتنا الموسومة بـ (هدايا الكرام بأخبار محمد أبي الفتح بن عبد السلام».

وتوفي بدمشق الشام، سقىٰ الله مثواه صوب الغمام، عام خمس وتسعين وتسعمائة، ودفن بباب الفراديس ظاهر دمشق. ورثاه أديب دمشق محمد مامي الرومي بقوله:

مذ عالم الدنيا قضىٰ نحبه ... منتقلاً نحو جوار الإله
فانغلق الفضل له بابه ... مؤرخاً مات أبو الفتح[1]

[أحمد المنجور]

وفيها [٩٥٥]: في ليلة الاثنين أول ذي القعدة، توفي الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله الفاسي، عُرف بـ (المنجور)[2] المغربي، المالكي. وُلد سنة ست وعشرين وتسعمائة بمدينة (فاس). حفظ عدة متون في كثير من الفنون، وقرأ الفقه والأصول والعربية والمنطق والحساب والمعاني والبيان والتواريخ والعروض، وسمع الحديث

(١) كذا في الأصل.
(٢) انظر: (معجم المؤلفين ٢/١٠).

من كثيرين. قال تلميذه الشريف عبد الواحد الفلالي: كان نهاية في التحقيق، ما يثقل له الحظ الأوفر في كل فنون العلم إلىٰ مزيد تحقيق وتدقيق فيما يتعاطاه، واعتنىٰ بالمطالعة والإقراء، لا يمل من ذلك ولا يضجر. منصفاً في البحث، جنوحاً للصواب إذا تعيّن، صدوقاً في النقل، ثبتاً قوي الإدراك، ثاقب الذهن، صافي الفهم. معه حدة ربما ضعت من مراجعته.

له مؤلفات مفيدة، منها: مراقي المجد في آيات السعد، وشرحان علىٰ قصيدة أحمد ابن زكري[1] مطوّل ومختصر، وشرح لطيف، ازخر الرقاق في الفقه، وحاشية علىٰ شرح الكبرىٰ في العقائد[2]. انتهى. وذكر غيره من مصنفاته: شرح القواعد الصغرىٰ الرقاق، وفهرست شيوخه.

وأخذ عنه جماعة من المغاربة، وانتهت إليه رئاسة العلم في (فاس)، ولم يخلف بعده مثله. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[عبد الله بن أحمد السقاف]

وفيها [٩٥٥]: توفي السيد الشريف، عفيف الدين، عبد الله بن أحمد بن حسين ابن علي بن حسين بن الشيخ عبد الرحمن السقاف[3]. اشتهر والده بـ (الكُسُر)، وجده بـ (الهشر). كان من عباد الله الصالحين الزاهدين الورعين. وُلد بـ (تريم) وصحب جماعة من أكابر العارفين، وكان مواظباً علىٰ الجماعة، ملازماً لأنواع القربات والطاعة. كثير الصيام والقيام بالأسحار، كثير التلاوة والذكر، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم الغرباء والمنقطعين، كثير الزيارة لقبور الصالحين. وانتقل بـ (تريم) ودفن بـ (زنبل). رحمه الله عز وجل.

(١) في علم الكلام.
(٢) شرح الكبرىٰ؛ للسنوسي.
(٣) انظر: (شمس الظهيرة ١/٢١٦).

سنة ست وتسعين وتسعمائة

[محمد بن الفقيه علي السقاف]

توفي السيد الشريف، الفقيه، محمد ابن الفقيه علي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن علي ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[1]. أحد العلماء الأعلام، الحاملين راية الإسلام. ولد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، و«العقيدة الغزالية»، و«الآجرومية»[2]، و«الأربعين النووية»، و«القطر»، و«الإرشاد». واشتغل بتحصيل العلوم والمعارف، ولاحظته العناية بخفيّ اللطائف. وأخذ عن والده، وأمده بمدده، ولازمه حتى تخرّج به. وأخذ عن الإمام أحمد بن علوي باجحدب علوم الصوفية والعلوم اللّدُنّيّة وأخذ الفقه ـ أيضاً ـ عن القاضي محمد بن حسن، وصحب الشيخ حسين بن عبد الله بافضل.

ولبس الخرقة الشريفة من جماعة كثيرين، وانتفع بهم في الدين وجدّ في الاشتغال، وأخلص الأعمال لله عز وجل، وسار بسيرة جده سيد المرسلين، وسلفه الصالحين. وأُجيز بالتدريس والإفتاء، فدرّس وأفتى، وانتفع به الطالبون، في كثير من الفنون. وكان عمدة فيما يفعل ويقول، قدوة في المنقول والمعقول، لا يخاف في الله لومة لائم، ويعلن بالحق على الغشوم الظالم. وكان يحب العلم وأهله، ويقوم لكل بما هو أهله وكان عند الناس معظماً، وعند الأكابر محترماً. ولم يزل على الحالة المرضية، إلى أن وافته المنية، ودفن بمقبرة (تريم) المسماة (زنبل). رحمه الله عز وجل.

[عبد الرحمن وطب المعلم]

وفيها [٩٩٦]: توفي الشيخ الشريف، وجيه الدين، المعلم. عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عمر بن عبد الله وطب[3]. أحد الأئمة الورعين، العلماء العارفين، المشهور علمه وجلالته، وعفته وسياسته. وُلد بمدينة (قَسَم)، ونشأ بها، ولاحظته عناية ربها. وحفظ «القرآن المجيد»، وتلاه بالتجويد، وصحب أباه، واشتغل عليه من صباه، وانتفع به في الدّين، وأخذ عن غيره من العلماء العاملين. واعتنى بعلم التصوف علماً وعملاً، ودأب عليه شاباً وكهلاً. ودخل (تريم) وأخذ عن إمامها السيد أحمد بن علوي ومن في طبقته، كالشيخ معروف باجمّال، والشيخ حسين بن عبد الله بافضل. ولبس الخرقة الشريفة من جماعة كثيرين.

وانتفع به كثير من طلبة الآخرة، في العلوم الفاخرة. وكان متقشفاً متعففاً، ورعاً زاهداً، يؤثر الخمول على الظهور، ويتحرى في أمور الدنيا أسهل الأمور، ويحب موافقة الجمهور. ولم يزل على أحسن الأحوال، إلى وقت الانتقال. وتوفي بمدينة (قَسَم) ودفن بمقبرتها المسماة: (المَصَفّ). رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

[أحمد المساوىٰ]

وفيها [٩٩٦]: توفي السيد الشريف، أحمد المساوي بن محمد بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف[1]. أحد المشايخ الأشراف، المشهورين بوادي (الأحقاف). وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وصحب الأكابر، وتحلّى بمحاسن المفاخر. ولزم عبادة مولاه، ولازمها من صباه، وكان كثير الصلوات، في جميع الأوقات. ولا سيما في الأسحار، والأوقات المذكورة في الأخبار. كثير التلاوة والذكر، في السهر والجهر. كثير الزيارة للصالحين، الاحياء والميتين. وكان العارف بالله تعالى عبد الله بن شيخ العيدروس يعظمه ويثني عليه، ويحترمه ويصفه بقوة الإيمان، ونور الجنان. ولم يزل بهذه الصفات، إلى وقت الممات. ودفن بمقبر (زنبل). رحمه الله عز وجل.

وفيها [٩٩٦]: توفي السيد الشريف، عمر بن فقيه بن عبد الرحمٰن ابن

---

(١) انظر: (المَشرع الرَّوِي ١٩٥١، شمس الظهيرة ١/ ٢٠٠).

(٢) وردت في الأصل: الجروية.

(٣) هو من سلالة: عبد الله وطب بن محمد المعلم بن عبد الله بن محمد بن الشيخ عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قَسَم بن علوي بن محمد ابن علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى. قال صاحب =

= «المعجم اللطيف»: ولم أجد مصدراً لسبب تلقيب جدهم بـ (وطب) ويحتمل أن يكون اسم لمكان. ووَطْب الرجل الغليظ ووعاء اللبن. (المعجم اللطيف ١٧٢).

(١) عُرف بلقب المساوىٰ، وقد سرىٰ في أفراد سلالته فيقال لكل منهم المساوىٰ بأل المعرفة وبدونها أيضاً. وأبوه يُلقّب بلقب: مُقلف ـ انظر: (المعجم اللطيف ١٧٠).

الشيخ علي[1]. أحد السادة المشهورين بالصلاح، الفائزين ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ بالفلاح. وُلد بـ(تريم الغنّا)، وترنم له طائر السعادة وغنىٰ، وصحب أباه، واشتغل عليه من صباه، ولازم طاعة الله. ورضي بمولاه صاحباً، وترك الناس جانباً. وكان زاهداً في الدنيا ولذّتها، مُعرضاً عنها وعن زينتها. وصحب جماعة من الصالحين، وانتفعوا بصحبته في الدين. وكان مواظباً علىٰ الجماعات، في جميع الصلوات، ويحضر في أول الأوقات. واستمر كذلك إلىٰ أن انقضت أيامه، ووافاه حمامه. ودفن بتربة (تريم) المسماة (بشار)، رحمه الله تعالىٰ رحمة الأبرار.

[عبد الرحمن بن سراج الدين باجمّال]

وفيها [٩٩٦]: توفي الشيخ، عبد الرحمٰن بن سراج الدين عمر باجمّال. ترجمه ولده الفقيه محمد في كتاب «الدر الفاخر»[2] فقال ما ملخصه: ملخصه كان من الأولياء الكاملين، والعلماء العاملين في علوم الشريعة وأسرارها البديعة. إماماً لأهل الطريقة، وبحراً في علوم الحقيقة، متصفاً بالمقامات السنية، والآداب السنية، متحلياً بالأحوال المرضية، متخلياً عن أسباب الذنب بالكلية. اتفق أهل عصره علىٰ تعظيمه وإجلاله، وكمال أحواله في أقواله وأفعاله. وكان من أكابر مشايخ الإسلام، المُهتدىٰ بهم في الظلام، مرجوعاً إليه لكشف المعضلات، وتنقيح مشكلات.

كان مولده سنة خمس عشرة وتسعمائة، ونشأ في حجر والده، وعلته لوائح السعادة، وأنوار السيادة. اشتغل في بدايته بطلب العلم علىٰ الشيخ أحمد بن عبد الرحمٰن باجمّال، ثم علىٰ خاله الفقيه عبد الرحمٰن بن عبد الله باجمّال، ثم علىٰ الفقيه بن عقيل باربيعة، ثم ارتحل إلىٰ (قيدُون)، فقرأ علىٰ الفقيه علي بايزيد، حتىٰ صار أوحد علماء عصره، ومقدم مشايخ قطره. وكان مشايخه يثنون عليه، لِمَا رأوا فيه من الصفات الحميدة، والأحوال الشديدة، والفضائل العديدة.

وأخذ علوم الطريقة والحقيقة عن العارف بالله تعالىٰ معروف باجمّال، ولازمه حتىٰ تخرّج به في ذلك، وألبسه الخرقة الشريفة. ثم أخذ عن إمام العارفين الشيخ

(1) يقال لذريته وذرية أخيه محمد: آل فقيه. وهم من سلالة الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف.
(2) «الدر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر» ـ خ.

أبي بكر بن سالم، وألبسه الخرقة أيضاً، وكان كل منهما يحبه ويثني عليه. وأجازه غير واحد من مشايخه، وصورة إجازة الشيخ علي بن علي بايزيد:

الحمد لله الذي وفق من أراد حفظ دينه، المصطفين من عباده، وندب للذّب عن ملته، الخواص من أهل وداده، وأُصلي وأسلِّم علىٰ نبيه محمد المختار، وآله وصحبه الأطهار، أما بعد، فقد قرأ عليّ وسمع لديّ السيد الجليل العالم العامل الصالح الفاضل ذو الرأي الصائب والفهم الثاقب، وجيه الدين عبد الرحمٰن بن سراج الدين باجمّال، نفع الله تعالىٰ به، وبسلفه الصالح، أكثر كتاب «الارشاد» للإمام شرف الدين إسماعيل المُقري، قراءة قراءة بحث وتحقيق، بمراجعة الكتب المفيدة، وتدقيق. كالجوجري و«الأسعاد» وشرحي «البهجة»، و«الروض» لزكريا، و«ايضاح» الناشري، وغير ذلك، ونكتي، والتمس مني الإجازة فيما قرأه، وفيما يجوز لي روايته. فأجبته إلىٰ ذلك، وإن لم أكن أهلاً لمّا هنالك، وأجزت له أن يروي عني جميع «الإرشاد» قراءةً لِمَا قرأه، وإجازة باقية نحو روايتي له عن مشايخ عدة، منهم: شيخنا وإمامنا وعلامة عصرنا: أبو عمرو عثمان بن الشيخ محمد العمودي، وبه انتفعت في علم الفقه نحو روايته عن مشايخ عدة، منهم: الفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل نحو روايته عن عمر بن محمد الفتي عن المصنف، وأجزت له أن يروي عني فقه الشافعي رضي الله عنه، من طرائق العراقيين وطريق المراوزة نحو روايتي للطريقين معاً عن شيخي عثمان المذكور بروايته لهما عن قاضي القضاة يحيى المناوي بروايته لهما عن أبي زرعة العراقي بروايته لهما عن الأسنوي بروايته لهما عن تقي الدين السبكي، بروايته لهما عن ابن الرفعة، بروايته لهما عن الشيخ ظهير الدين جعفر الترمنتي، بروايته لهما عن بهاء الدين الحميري، بروايته لهما عن أبي إسحاق الشيرازي، بروايته لهما عن الماسرجسي، وبرواية الفهري لطريق الخراسانيين عن الإمام أبي الفتح الطوسي بروايته عن محمد بن يحيى النيسابوري، بروايته لهما عن حجة الإسلام الغزالي، بروايته لهما عن إمام الحرمين، بروايته لهما عن والده محمد الجويني، بروايته لهما عن أبي بكر المروزي، وروىٰ كل عن الشيخ أبي الحسن الماسرجسي والشيخ أبي زيد القاشاني عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المروزي فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبروايته للفقه عن أبي العباس بن شريح عن الإمام الشافعي عن

مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل الأمين، عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين الفعال لمّا يشاء ويريد، وكذا أجزت له جميع ما يجوز لي روايته من مقروء ومسموع ومجاز ومجموع في التفسير والحديث ومنطوق ومفهوم ومنثور ومنظوم، وغير ذلك مما للرواية فيه مدخل، وللنقل عليه معوّل، فليروِ عَنّي الاتقان والاجازة، فهو بحمد الله أهل للإفادة، وفق الله الجميع لمرضاته؛ والمسؤول أن يمدني بصالح أدعيته في أبرك أنديته[1].

وأرسل له الشيخ أحمد بن حجر إجازة قال فيها: لم أزل أسمع بعبد من عباد الله الصالحين المجمع على صلاحه أهل إقليمه من العلماء والعارفين، وهو الشيخ الكبير والعلم الشهير عبد الرحمٰن بن سراج الدين باجمال من (الغرفة) بحضرموت، وأحمد الله على وجود مثله، فإنه غوث للبلاد والعباد؛ إلىٰ أن سألني الإجازة في هٰذه السّنة التي هي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، فعددت ذلك نعمةً من عين الحق عليّ إذ ألهم هذا العبد الصالح أن أكون على باله ليلحظني بعين إقباله، فامتثلت إشارته، وأجبت طلبته، وأجزته بجميع كتب الحديث والتفسير والفقه، وجميع العلوم العقلية والنقلية، وأجزته بطريق القوم، السالمين من المحذور واللوم، أهل الله وخاصته، ومحط نظره من خليقته أدام الله علينا خوارق محبتهم، التي بصدقها ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ ينظمنا في سلكهم، ويحشرنا في زمرتهم، وُلِيْ بطريقهم إجازات، وطُرق عديدات أخذتها عن مشايخنا في التصوف، تبلغ أكثر من عشرين طريقاً بأسانيدها المقررة المعروفة. وكان قصدي أكتبها في هذه الإجازة، لكن ضاق وقت الرحيل عنها بالكلية، فاكتفيت بالإشارة إليها، وشرطت على الشيخ عبد الرحمٰن المذكور ـ نفع الله به ـ أن لا ينساني من إمداده وإسعافه وإدامة دعائه في دوام حياته، بل وبعد وفاته ومماته، فإن أهل الله لا يموتون، وإنما ينتقلون، ونحن إنما هٰذه علينا ببركاتهم من الصغر، فإني لم أتربَّ إلا في حجورهم، ولم أنشأ إلا تحت نظرهم، فكل ما حصل لي ـ إن كان شيء ـ

---

(1) من بداية الترجمة إلى هنا، أستبعدها صاحب «خلاصة الخبر» وقال: أول الترجمة غير موجود في المخطوط.

فمن بركاتهم وإمدادهم ولحظاتهم، وكذا أسأل الشيخ عبد الرحمٰن في مثل ذلك؛ فإنه من أكابر رجال هٰذه المسالك. انتهى.

وجلس للتدريس في مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس؛ وانتفع به جماعة كثيرون، وتخرجوا به، وانتهت إليه رئاسة الفتوىٰ والاقراء في بلده، ولم يكن في جهته من يوازيه؛ ولا يطمع أن يدانيه. وله رسائل نافعة مشتملة على فوائد وفرائد، ووقع في سنة (٩٩٦ هـ) ست وتسعين، أن السلطان جاءته ورقة من نائبه بـ (تريم) أن رؤية هلال شوال ثبتت عند قاضي (تريم)، فنادىٰ بالفطر والعيد في سائر البلدان، فقال صاحب الترجمة: الفطر بمجرد ورقة لا يجوز، وأنا صائم غداً حتىٰ يظهر الأمر، وتبعه أهل بلده؛ فأمر السلطان بعقوبة من صام، فكتبه له صاحب الترجمة، وبيّن له أنه لا يجوز الفطر بمجرد الورقة؛ وأن العامة معذورون، فلا تجوز عقوبتهم.

ولم يزل على الحال المرضية العظيمة، إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله الواسعة الجسيمة، ودفن في (الغرفة)، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

[غياث الطاشكندي]

وفيها [٩٩٦]: توفي السيد الجليل، أحمد بن عبد السميع الصديقي، الفاروقي، الشهير بمولانا غياث الدين أحمد صادق الطاشكندي. الإمام الذي أزهرت روضة رئاسته، واشتهرت أخبار تربيته وسياسته؛ وانتهت إليه مشيخة النقشبندية، وتفجرت عيون مورده في المعارف الإلٰهية. أخذ الطريق عن خواجا إسحاق عن لطف الله الجوشي الفرغاني عن أحمد الكاشاني عن محمد القاضي السمرقندي عن عبيد الله الساسي المشهور بخواجا احيوازا عن يعقوب الحرجي عن شيخ السلسلة بهاء الدين البخاري المعروف بنقشبند. أخذ ببلده عن جماعة، ثم رحل إلىٰ بخاري، ولقي بها الأكابر، ودان في تحصيل العلوم ثم سافر إلىٰ (القسطنطينية) فعظم عند أهلها وصار وجيهاً عند الملوك الأكابر، مُعظّماً بين أرباب السيوف والمحابر، وانتفع به جماعة كثيرون.

ولم يزل نفعاً للأنام، إلىٰ أن أتاه الحمام، وهو ابن أربع وخمسين سنة، ودفن بجانب قبة أبي أيوب الأنصاري. رحمه الله تعالىٰ وإيانا.

[أحمد بن موسى الهلالي]

وفيها [٩٩٦]: توفي، أحمد بن موسى الهلالي الكاتب المصري، كان آية في صناعة الكتابة، له خبرة بالحساب لا سيما ما يتعلق بأمر الكتاب، يأتي في ذلك بالعجب العجاب. ورثاه بعضهم بهذين البيتين:

مات ابن موسى وهو بحر كامل ... بشراكم جمع الملائك مشترك

يأتيكم التابوت فيه سكينة ... من ربكم وبقية مما ترك

وكانت وفاته بمكة المشرفة، وصُلي عليه عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة، رحمه الله.

[سيول عظيمة في مكة]

وفيها [٩٩٦]: سالت أودية مكة المشرفة بسيل عظيم، ودخل المسجد ووصل إلى باب البيت العتيق، وتعطّل المسجد عن الجماعة والطواف يومين، واجتهد الشريف في تنظيفه، وأمر العامة بالعمل فيه حتى نُظّف في أقرب زمن، ولم يبلغنا أن أحداً مات به.

سنة سبع وتسعين وتسعمائة

[عمر بن محمد حَمْدون]

ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، توفي السيد الشريف شجاع الدين، عمر بن محمد بن علوي بن محمد المعلم بن علي جحدب[1]. عُرف والده بـ (حمدون)، وجده الأعلى علي بـ (جحدب). الجامع للعلم والعمل والحائز لفضيلتي[2] الإغضاء والحلم، ناشر ألوية ولاية الأكرمين[3]، مع سيرة جده سيد المرسلين. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وأخذ عن عمه إمام

(١) ابن عبد الرحمن ابن محمد ابن الشيخ عبد الله باعلوي ـ كمال تسلسل اسمه كما أورده المؤلف في كتابه الآخر «المَشرع الرَوي» ج ٢، ص ٢٥٣ حيث أورد فيه ترجمة أخرى للسيد شجاع الدين، وفيه اتكرار لنفس ما جاء به هنا.

(٢) في ب: للفضيلتين.

(٣) في أ: ناشراً لولاية آبائه الأكرمين.

العارفين أحمد بن علوي باجحدب، وصاحبه الشيخ أحمد بن حسين العيدروس، وتفقه على القاضي محمد بن حسن. وسمع من كثيرين، ولبس الخرقة الشريفة من أكثر مشايخه المشهورين، وأثنى عليه جمع من أكابر عصره، وعلماء دهره، لا سيّما شيخه الشيخ أحمد العيدروس، فإنه أثنى عليه الثناء الجميل، وقال: إنه ليس له نظير ولا مثيل، وكذلك عمه السيد أحمد أثنى عليه، وأشار بالسر المصون إليه.

وكان ـ رضي الله عنه ـ عارفاً بزمانه، حافظاً لأعضائه لا سيما لسانه، مقدماً على أقرانه، مقبلاً على شأنه، مخلصاً لله في سره وإعلانه. وكان كثير الصيام، قليل المنام، والغالب عليه العزلة عن الأغيار، وكثرة الأفكار، في أفعال الله الواحد القهار. وكان كثير الصبر قليل الغضب. ولم يزل يزداد في محاسن الصفات إلى وقت الممات، ودفن بمقبرة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[عمر المِحْضَار]

وفيها [٩٩٧]: توفي الشيخ، عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم[1]. البحر الزّخار، والغيث المكثار. صاحب المنصب الأكمل الشريف، والمجد الباذخ المنيف، الذي عظم في النفوس شأنه وقدره، وجَلَّ أن يُضاهيُ جلاله وفخره، الجامع بين طرفي الرئاسة والحسب، واسطة عقد المناصب والرتب. وُلد بـ (عينات)، ولاحظته السعادة والعنايات. وتربّى في حجر والده، وحظي من خالده وتالده. وأخذ عنه طريق القوم، وأحسن في بحارهم العميقة العوم، ونال من الله ما يروم.

[حسين بن عمر شهاب الدين]

وفيها [٩٩٧]: توفي السيد الشريف حسين بن عمر بن شهاب الدين[2]. أحد الأولياء الصالحين، والسادة المعتقدين، أخذ عن والده وأعمامه، وتفقه في الدِّين حتى حصّل طرفاً صالحاً، ولزم طريقة الصوفية، وأخلص لله في السر والعلانية،

(١) انظر: (شمس الظهيرة ١/٢٧٩، المعجم اللطيف ١٦) قال العلامة محمد الشاطري: عُرف بلقب المحضار، من باب المبالغة أي كثير الحضور وسريع الحضور إذا استدعي في مهمة أو ملمّة.

(٢) انظر: (شمس الظهيرة ١/١٣٧).

وأعرض عن الدنيا بالكلية، وتجرد لعبادة الله، ولزم طاعته وتقواه.

وظهرت له كرامات، وبراهين ومكاشفات. وكان متواضعاً زاهداً ورعاً مقبولاً عند الأنام، الخاص والعام. واستمر على أحسن الخصال، إلى أوان الانتقال، ودفن بمقبرة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[عمر بن محمد حسن باعمر]

وفيها [٩٩٧]: توفي السيد الشريف، عمر بن محمد بن حسن باعمر بن أحمد قاية[1]. سلالة السلف الصالح وخلاصة المجد الناجع، الشهير بكثرة الخيرات والصدقات، وعموم المبرات والصِّلاة، وسّع الله تعالى عليه في دنياه، ووفقه لِمَا يحبه ويرضاه.

وتنقّل في البلدان، وصحب الأكابر أولي العلوم والعرفان، وعَمَّ نفعه في سائر الأقطار، واشتهر في سائر الأمصار. وكان حسن السيرة، نيّر القلب والسريرة، كثير الطاعة، مواظباً على الجمعة والجماعة. ولم يزل يزداد من الخيرات، وكثرة الصدقات، إلى وقت الممات، وانتقل بـ (ندر عدن)، رحمه الله تعالى وإيانا.

سنة ثمان وتسعين وتسعمائة

[الطاهر بن حسين الأهدل]

في يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع أول، توفي السيد الجليل، الطاهر بن حسين بن عبد الرحمٰن الأهدل[2]. الإمام الأفضل والعالم الأكمل، إمام العلماء في زمانه، وأعجوبة دهره وأوانه الجامع بين الرواية والدراية، والبالغ في الورع إلى أقصى غاية، المُجمَع على إمامته، والمُتفق على غزارة مادته. وكانت ولادته سنة (٩١٤ هـ) أربع عشرة وتسعمائة، بقرب (المراوعة)، ونشأ وحفظ «القرآن» بها، وأخذ عن إمام جامعها الشيخ صالح فخر الدين أبي بكر المعلم الفقه والنحو

---

(١) انظر عنه: (شمس الظهيرة ١/ ٣٧٢، وفيه أسباب لقب جده «قايه») وعن لقب آل باعمر؛ انظر: المعجم اللطيف ١٣٨.

(٢) انظر: (مصادر الفكر الإسلامي ٥٩، معجم المؤلفين ٤/ ٣٤، النور السافر ٣٩٨، شذرات الذهب ٨/ ٥١٢).

والحساب وغيرها، وتخرج به في ذلك. ثم ارتحل إلى مدينة (زبيد)، ولازم الإمام الحافظ عبد الرحمٰن بن علي الدَّيبع الشيباني، وانتفع به انتفاعاً رقّى به إلى درجة الكمال، وبلغ مبلغ الرجال، وساد على الأمثال. وسمع من كثيرين وصحب جماعة من الأولياء العارفين. ومشايخه في العلوم لا يحصرهم منثور، ولا منظوم، منهم: العلامة أبو العباس الطنبداوي، وشيخ الإسلام عبد الله بن زياد، والشيخ الإمام عبد المحسن بن السيد الأهدل، وشيخ الطريقة وإمام الحقيقة عبد الرحمٰن بن إبراهيم العلوي، ومحقق عصره برهان الدين إبراهيم بن أبي القاسم مطر، والفقيه شرف الدين أبو القاسم بن الطاهر ابن جمعان. وأجازه كل من المذكورين، وارتحل إلى (مكة المشرفة) وجاور بها، وأخذ عن جماعة من علمائها، منهم: الشيخ الأستاذ أبو الحسن البكري، والشيخ أبو السعادات المالكي، والشيخ أحمد بن حجر.

وعاد إلى (زبيد) المحروسة، ودرَّس في العلوم النفيسة، وارتفعت منزلته، وانتشرت رئاسته، وقصدته الطلبة من سائر البلدان، وأخذوا عنه العلوم والعرفان. وانفرد ـ بعد شيخه الدَّيبع ـ برأسه، يُدَرِّس علم الحديث، واتحد بسؤدد هذا العلم مع سن حديث، وأخذ عنه جم غفير، وتخرج به جمع كثير، منهم: العلامة محيي الدين عبد القادر بن أبي الفتح البزار الشافعي، والشيخ الأستاذ الصديق بن محمد الحنفي، والفقيه مفتي الحنفية محمد بن أحمد الصابوني، ومفتي الأنام برهان الدين بن إبراهيم بن جمعان، والمُقرئ محمد بن الولي عبد الرحمٰن بن أحمد بن موسى الصماعي، والأستاذ عبد الله بن المسرع، والفقيه أحمد بن محمد باجابر الحضرمي. وممن انتفع وتخرج به حفيده الحسين بن أبي بكر بن صاحب الترجمة، وحصّل بخطه كتباً عديدة، وصنّف عدة مصنفات مفيدة، منها: مختصر شرح دعاء أبي حربة لجده حسين، وأجاد فيه كل الإجادة، وحذف ما فيه من الزيادة، ولمّا وقف عليه شيخه العلامة برهان الدين بن أبي القاسم ابن مطير أنشد:

أحسنت في طيِّ ماطَالت مسافته ... طيَّ السِّجلِ فلم تنقصهُ بل زادا

جزاك ذو العرش خيرات شملنَ أباً ... وأصلهم ثم أولاداً وأحفادا

وكتب عليه الشيخ عمر بن عبد الوهاب الناشري:

تأملت مصباح المطالب مرةً	فهان محيط الكشف في نقطة القُربِ
مداركَ عرفانٍ همَّت بمعارف	علىٰ عارفيها مثل منهل السُّحبِ
فشكراً لمن أتاك ذوقاً وحكْمةً	وفصل خطابٍ يفصل الأمر في الخطبِ

وله مؤلف سمّاه: بغية الطالب بمعرفة أولاد علي بن أبي طالب. وهو مفيد جداً.

ولم يزل تلك المحاسن صفته إلىٰ أن انقضت مدته، ووافته منيته، وانتقل بمدينة (زبيد) إلىٰ رحمة الله الحميد، وصُلي عليه بمسجد الأشاعرة بعد صلاة العصر، ودُفن بمقبرة أهله هُنا (باب سهام)، قريباً من مشهد الإمام أحمد الصياد.

رحمهم الله تعالىٰ ونفعنا بهم، ورثاه الأديب حسين الزاهر بقصيدة مطلعها:

ما للنفوس تتيه في غلوائها	لم يثنها التقريع عن أهوائها

وهي طويلة.

[عبد الله بن محمد حَمدون]

وفيها [٩٩٨]: توفي السيد الشريف، عبد الله بن محمد حمدون ابن علوي بن محمد المعلم ابن علي جحدب. أخي المذكور في السنة قبلها[1]. أحد الأولياء العلماء، والزهاد الفضلاء. وُلد ونشأ بـ (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وصحب جماعة من أكابر العارفين، وسار سيرة السلف الأولين، وصحب عمه إمام العارفين أحمد بن علوي، وغلب عليه حب الطاعات، وترك العادات المباحات، وحضور الاجتماعات، والجد في جميع الأمور، وموافقة الجمهور، والسير بسير الزمان، والتخلق بخلق الأقران، والحرص علىٰ ما جاءت به السنة والقرآن.

وكان مجاب الدعاء في الأغلب، وما دعا علىٰ أحد إلا عُطِب أو نُكِب. ولم يزل ذاكراً لله بلسانه وجنانه، إلىٰ أن آن أوانه، ووافته الوفاة، وانتقل إلىٰ رحمة الله. تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته.

[شيخ بن عبد الرحمن مولىٰ عيديد]

وفيها [٩٩٨]: توفي السيد الشريف، شيخ بن عبد الرحمن بن علي بن محمد مولىٰ عيديد. أحد عباد الله الصالحين العُبّاد، الساعين في مصالح العباد.

---

(١) هو عمر بن محمد بن علوي.

وُلد بـ (تريم)، وصحب جماعة من الأولياء، وحلّ عليه نظرهم، فكان له بمحاسن الصفات تَخلُّق، وبكرامات الصالحين تَحقُّق، والظاهر أنه صحب إمام العارفين: أحمد بن علوي، والشيخ حسين بافضل. وله كرامات وخوارق عادات، وكان معتَقَداً محبوباً، مقبولاً متواضعاً، قانعاً زاهداً. وانتفع به كثير من أصحابه، لا سيما في الشفاعات. ولم يزل علىٰ محاسن الصفات، إلىٰ وقت الممات. ودفن بـ (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[سيل مُهيل في حضرموت]

وفيها [٩٩٨]: وقع بحضرموت سيل مهيل أخذ البيوت والنخيل، وأهلك الأموال وشيّب الأطفال، وكان سيلانه في نوء الثريا، والعَوام تُسميّه (طوفان الثريا) لأنهم يُسمُّون كل سيل هائل: طوفاناً، وسمّوا السيل الواقع سنة (٩٧٠ هـ) سبعين - السابق ذكره - (طوفان الإكليل) لكونه وقع في نوبة، وأرخه الأديب أحمد ابن فلاح الحضرمي بقوله:

إن ترد طوفانه أحسب	عمّ طوفان الثريا

سنة تسع وتسعين وتسعمائة

[عبد الرحمن باحسن]

توفي السيد الشريف، عبد الرحمٰن ابن أحمد بن عبد الله بن السيد الجليل محمد الشهير بـ (جَمل الليل). اشتهر كسلفه بـ (باحسن)[1] الإمام الكبير، العلم الشهير، السيف الصارم، علىٰ كل ظالم، محيي ما اندرس من المعالم. وُلد بقرية (روغه)[2] المشهورة، وبالبركة والخير مذكورة، ونشأ في حجر السيادة، ولاحظته عيون السعادة، وصحب أباه، ولازم طاعة الله. وصحب السيد الجليل عمر بن

---

(١) يُقال لهم «آل باحسن جمل الليل» تمييزاً عن آخرين يحملون ذات اللقب نفسه.
انظر: (محمد الشاطري: المعجم اللطيف ٨٣، الشلّي: المشرع الروي ١٣/٢، شهاب: شمس الظهيرة ٤٨٩/٢، المشهور: لوامع النور ٣٩/٢، السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين ٥٣/٢ و٦٠/٥).

(٢) وردت في الأصل بالعين «روعه». ومعلوم أنها بالغين (رَوغه) قرية صغيرة من قُرى تريم بوادي حضرموت. (معجم البلدان والقبائل اليمنية، إدام القوت ٥٤٩).

عبد الله الهندوان، والسيد عبد الله باهرون، وكان يحنّ على الفقير والضعيف، ويكرم كل وافد لا سيما الضيف. وكان سليم الصدر، حسن الذكر، رضيّ الأخلاق، ووقع على تقدُّمه الإتفاق.

وكان على سيرة أبيه وَجدِّه، وقد تعتريه في بعض الأحيان جِدّة يسيرة عند تشاجر الأقران، وقد ورد في الحديث: «الحِدة تعتري خيار أمتي». رواه الطبراني. ولم يزل على أحسن سيرة، إلى أن صار مصيره، ودفن بمقبرة روغه الشهيرة. رحمه الله تعالى وإيانا.

[عمر بن عبد الرحمن شهاب الدين]

وفيها [٩٩٩]: توفي السيد الشريف شجاع الدين، عمر بن عبد الرحمٰن بن شهاب الدين[1]. أحد الأولياء، وأوحد الأصفياء. وُلد بـ (تريم) وحفظ «القرآن العظيم»، وصحب أباه، ونشأ في حجره وربّاه، واشتغل في صغره بالعلم، ولم يكن له كثير فهم، على أنه عاجله الانتقال قبل الاكتهال، ولم يبلغ مبلغ الرجال. ومات في حياة أبيه؛ وتعب كثيراً عليه. وكان أديباً نبيهاً، مقبولاً وجيهاً، لم تُعرف له صبوة، ولا كبا قط كبوة، ومات في مدينة (تريم)، أسكنه الله جنات النعيم.

[عبد الله بن أحمد الشيبه]

وفيها [٩٩٩]: توفي الشريف، عبد الله بن أحمد بن عمر الشيبة[2]، اشتهر بـ (عَبّادون أحد الذين هم بحقوق الله وحقوق العباد قائمون، سيد له نسب في قُريش أعرق، وحَسَب في بني علوي مثل الشمس أشرق. وُلد بمدينة (تريم) وحفظ «القرآن العظيم»، وشهدت حركاته بالنجابة والعفاف، ونطقت إشاراته بمحاسن الأوصاف؛ فأهَّلَه الله لاقتفاء آثار الدين، ومنحه التمسك بحبله المتين، والاقتداء بسنة سيد المرسلين.

---

(١) عن أسرته انظر: (المعجم اللطيف ١١١، المشرع الروي ٢/٣٠ و٦٣ و١٢٧، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٤١ و٢/١ و١٤٥ و٢١٥ و٤/٤٦، شمس الظهيرة ١/١٣٣ و١٤٥ و١٥٦ و١٧٩، ٢/٨٠، لوامع النور ١٧٣ و٣٠٩).

(٢) من نسل علوي الشيبه بن عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي. ولُقّب الشيبه لطول عمره وبروز شيخوخته ـ (المعجم اللطيف ١١٥).

وصحب جماعة من العارفين، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين، ورحل إلى الحرمين، فأدى النُّسكين، وزار جده سيد المرسلين، وحصل له من فضل الله أكثر مما طلبه وتمناه.

وكان كثير التلاوة والذكر على الدوام، حافظاً للسانه عن مباح الكلام، وله خُلُق ألطف من نسيم الأسحار، وكلام أطيب من تغريد الطيور على صفحات الأنهار، ومنطق حَسَن فصيح، ولفظ شهي مليح، وكان إذا تشاجر الأقران، وقام بينهم الشنآن. . قام بينهم باصطناع الإحسان، وبذل جهده غاية الإمكان، جعله بالخير معرفاً، وعلى منافع العباد موقوفاً، وعلى تحصيل المثوبة بكليته معرفاً، وبانجاح المطالب مشغوفاً.

ولم يزل على هذه الخصال، التي تُضرب بها الأمثال، إلى أن وافاه الانتقال، وقدِم على الكبير المتعال، ودفن بمقبرة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[حسين باعبّود]

وفيها [٩٩٩]: توفي السيد الشريف: حسين بن أحمد ابن أبي بكر خربشاني ابن عبد الرحمٰن باعبود[1]. ذو الكرم المستفيض والجود، حسنت في الأنام سيرته، وطابت في طاعة الله سريرته، وصفت مودته، جعل الله سجيته الطيبة الأعراق، مجبولة على مكارم الأخلاق، والأفعال السارة، والأعمال البارة، ومصاحبة أهل العلم والصلاح، ومصاحبة الطريق الحميدة في كل غدو ورواح.

أخذ عن جماعة من علماء زمانه، وصحب أولياء عصره وأوانه؛ كإمام العارفين أحمد بن علوي، والشيخ أحمد بن حسين بن حسين العيدروس، والشيخ حسين بن عبد الله بافضل. ولازم طريق السلامة والنجاة، وما ينفعه في آخرته ودنياه، وواظب على طاعة الله، وخشي الله واتقاه، واستمر كذلك إلى أن وافته الوفاة، وانتقل إلى رحمة مولاه، رحم الله مثواه، وبل بوابل الرحمة ثراه.

---

(١) خربشاني؛ نسبةً إلى خربشاد. موضع قريب من مكة كان يأوي إليه جدهم. ومن إخوتهم آل شيخان باعبّود بمكة. (المعجم اللطيف ١٣٣)، وذكر: «أن عبّود بميزان فعّول من صيغ المبالغة وهو في الأصل وصف لكثير العبادة». وهم من آل علي بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم ـ (شمس الظهيرة ٢/٦٠١).

[أحمد طويل]

وفيها [٩٩٩]: توفي السيد الشريف: أحمد طويل بن علوي بن حسن بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف. المشهور بالطويل، الشيخ الجليلين، ذو الفضل الجزيل. أحد الأولياء الذين بذكرهم تنشرح الصدور، وبدعائهم ترجىٰ الرحمة للأحياء وأهل القبور. وُلد بمدينة (تريم)، وجرىٰ علىٰ النهج المستقيم، وأنعم الله تعالىٰ عليه بحفظ كتابه الكريم، وإنعامه الجسيم. وصحب أكابر أهل عصره، وعلماء أوانه وقطره، منهم: إمام العارفين أحمد بن علوي، والفقيه محمد بن حسن، ومَن في طبقتهم.

وكان مواظباً علىٰ السيرة النبوية، والسنن المحمدية، من ملازمة الجمعة والجماعة، والتلاوة والذكر والطاعة، وصحبه جماعة كثيرون، وانتفع به جمع لا يحصون. وكان سليم الصدر، طيب الذِّكر، ورعاً زاهداً، قانعاً ناسكاً، يحب الفقراء والمساكين. واستمر كذلك إلىٰ أن آن الأوان، وقَدِم علىٰ الرحمٰن، ودفن بمقبرة (زنبل)، رحمه الله عز وجل.

[عمر بن محمد بامصباح]

وفيها [٩٩٩]: توفي الشيخ، عمر بن محمد بامصباح. أحد المشهورين بالصلاح، القائمين بالإصلاح، الفائزين بالنجاح. وُلد بمدينة (تريم)، وحفظ «القرآن العظيم»، وصحب صالحي أهل زمانه، ولازم خدمة عارفي عصره وأوانه، منهم: إمام العارفين أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ حسين بن عبد الله بافضل. ومنحه الله السعادة والإقبال، ووفقه الله تعالىٰ[1] لإصلاح الأحوال، وحصل له في ذلك أوسع مجال.

وإذا وقع ظلم علىٰ أهل البلاد أو أحد من العبادة قام في دفع ذلك بالعناية والاحتفاء[2] والمساعدة بالحال والمال. وما تعلّقت همته بشيء إلا أدركته عنايته، واستدركت غايته[3]، ومَن جعل الله الخير علىٰ يديه.. فهو أحب عباد إليه، وإذا

(١) «تعالىٰ» زيادة في ب.
(٢) في ب: والاحتفال.
(٣) في ب: ووصل غايته.

حصل لأحد منهم أي شأن كزواج أو ختان.. بذل[1] في مساعدته غاية جهده، واشتمل عليه بعنايته ورفده، وإذا قصده أحد بسوء أو نكال.. باء بأعظم وبال، في أسرع الأحوال.

ولم يزل قانعاً بالأمر المقسوم، قائماً بخدمة القوم، إلىٰ أن وافاه القضاء المحتوم، وقدِم علىٰ الحي القيوم. بوّأه الله غُرف جنانه، ومنحه جزيل غفرانه.

سنة ألف من الهجرة النبوية

[عبد الرحمن باهارون]

علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام. توفي السيد الكبير، الوليّ الشهير: عبد الرحمٰن بن أحمد باهارون[2]. صاحب السر المكتون، كان من أكابر أهل زمانه، وفارس أقرانه، وحفظ «القرآن المجيد»، وقرأه بالتجويد والبيان، واستنزل رضىٰ الرحمٰن.

وصحب العلماء الكبار، وخاض معهم في لجج البحار، وشمّر عن ساق الاجتهاد، في طاعة رب العباد، حتىٰ حصل المراد. ومع كثرة القيام والصيام، لا يعتريه ملال ولا سآم، بل يواظب طول الليالي والأيام، ومدة الشهور والأعوام.

وكان من شيمته جبر القلوب، وإنالة المطلوب، وانتفع به خلق كثير، سار بهم أحسن سَيْر.

ولم يزل علىٰ ذلك عاكفاً، وعلىٰ المنهج القديم[3] من ذلك واقفاً، إلىٰ أن ناداه منادي الوفاة، فأجابه ولبّاه، وانتقل إلىٰ رحمة الله.

(١) في ب: بَلَغ في مساعدته.
(٢) ذكره محقق كتاب شمس الظهيرة (٢/ ٥١٢) قال ـ هو: عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل ـ بن حسن بن محمد بن حسن بن علي بن ـ الفقيه المقدم ـ محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله ابن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي أبو طالب.
(٣) «القويم»، زيادة في ب.

[عبد الله باهارون]

وفيها [١٠٠٠]: توفي السيد الشريف: عبد الله ابن علي بن هارون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل[١]، الشهير بـ (الصويلح) ـ تصغير صالح ـ لأنه كان يحب تصغير نفسه. صاحب الفهم والنباهة، والقدر الرفيع والوجاهة. وُلد ونشأ بـ (تريم)، وانهلت عليه سحائب النعيم، فحفظ «القرآن العظيم»، وصحب أكابر الصوفية؛ كإمام العارفين أحمد بن علوي، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والفقيه علي بن عبد الرحمٰن، ومَنْ في طبقتهم. وسمع من كثيرين، ولزم العمل الصالح وسعى في المصالح، وحفظ جوارحه في الحركات والسكنات، وواظب على الجماعات، مع وقار عليه سيما الجلال، وحُسْن خُلق أعذب من الماء الزلال. يقطع الليل بقراءة القرآن سرًّا وجهرا، وكلمّا ختم ختمة شرع في أخرىٰ، ولازم التقوى في السر والنجوىٰ، وصحبه كثيرون، والغالب عليه التواضع الشديد بحيث لا يرى لنفسه قدراً، ومن آذاه أو تكلم عليه.. أقام له عذراً. وكان لا يتدرع إلا ثوب العفاف، ولا يتضلّع إلا بقدر الكفاف، إلىٰ أن قربت الوفاة، وأوىٰ إلىٰ مأواه، وانتقل إلىٰ رحمة الله، وانتقل بمدينة (تريم)، بوّأه الله جنات النعيم.

[عبد الرحمن بن علي باغوث]

وفيها [١٠٠٠]: توفي الشيخ الإمام، وجيه الدين، عبد الرحمٰن بن علي بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم بن يحيى بن مسعود ابن أبي حرمي باغوث[٢]. نزيل طيبة المنورة، الإمام المقدم على التحقيق، والسابق إلى الغايات، الذي جُلّي له عن الطريق، السالك سبيل الأقدمين على سنن قويم ويقين، وشهد له جماعة من الصالحين بأنه أكمل المتأخرين. وُلد بمدينة (تريم) الغنّاء، ونشأ بسوحها الأسنىٰ، وحفظ القرآن المجيد، وقرأ في علم التجويد، وحفظ كثيراً من المتون، في عدة فنون؛ منها: «عقيدة الغزالي» «وأربعون النووي»

(١) وبقية تدريج النسب كما سبق آنفاً.
(٢) انظر: (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٥٤٢)، أشار إليه نقلاً عن بهجة الزمن.

و«القطر» و«الجزرية» و«الملحة» و«الآجرومية»[١].

واشتغل في بلاده، وغنى بطارقة عن تلادة، ونظر في الفروع والأصول، ووصل في ذلك بعض الوصول، وعُني بعلم الحديث في القديم والحديث، وقرأ الفرائض والحساب والفلك، واجتهد في طلب ذلك، إلىٰ أن برع وملك.

ثم جاب في رحلته البلاد؛ للأخذ من العلماء الأمجاد، فرحل إلىٰ (اليمن)، وأخذ بمدينة (زبيد) و(بندر عدن)، ثم رحل إلىٰ الحرمين، ولازم[٢] خاتمة المحققين: أحمد بن حجر في دروسه، الفقهية والآلية، وعكف علىٰ ذلك عكوف توبة علىٰ ليلىٰ الأخيلية، حتىٰ رَأَس علىٰ كل رئيس، واعترف له بالنفاسة كل رئيس، وكذلك أخذ عن شيخ الإسلام عبد العزيز بن علي الزمزمي، والأستاذ الكبير أبي الحسن البكري، وابنه محمد تاج العارفين.

وأخذ طريق الصوفية عن هؤلاء المذكورين، ومنهم: إمام العارفين: أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، والشيخ حسين ابن الفقيه عبد الله بافضل. ومن مشايخه: الشيخ عبد الرحمٰن بن زياد، والحافظ عبد الرحمٰن الدَّيبع.

ثم تديّر (طيبة) المستطابة، ونزل بسوح أفضل الأنبياء ﷺ وأفضل الصحابة، وأجازه غير واحد من مشايخه المذكورين، فدرّس في علوم الدِّين، وانتفع به جماعة من الطالبين.

وصنّف كتباً عديدة، في بابها مفيدة، منها: «شرح الأربعين النووية»، ورسالة في علم الميقات بلا آلة، ورسالة في العمل بالربع المجيب، وهي أحسن الرسائل المؤلفة في ذلك. وله جداول مشهورة، ورسائل في فنون شتىٰ.

وبلغ في الورع والديانة إلىٰ أقصىٰ الغاية، ومن أسباب التقوىٰ ما لا يقدر علىٰ حمله أحد من أقرانه ولا يقوىٰ، ولزم الاشتغال بالعبادة إلىٰ أن قرب الرحيل، وانتقل من هذه الدار إلىٰ دار القرار، ودفن بالبقيع، بجوار الحبيب الشفيع.

(١) وردت: الجرومية.
(٢) في ب: ولزم.

رحمة الله عليه، ورحمنا إذا صرنا إلىٰ ما صار إليه.

[أحمد الشنواني]

وفيها [١٠٠٠]: توفي الشيخ أحمد الشنواني المجذوب، المستغرق غالباً.
كان - أولاً - من المجاورين في الجامع الأزهر، وحفظ «القرآن»، واشتغل بالعلوم الشرعية، ثم حصل له جذب قوي فتجرّد عن ذلك كله، وصار هائماً مستغرقاً، ثم قعد علىٰ باب مسطبة تجاه «الدرب» الذي يتوصل منه إلىٰ باب «سر الجوهرية» المجاورة للجامع الأزهر، لا يبرح ليلاً ولا نهاراً، ولا صيفاً ولا شتاء. وكان يقرأ «القرآن» في بعض الأحيان، ولا يتكلم كلاماً منتظماً إلا قليلاً مع من يختار، وكان الأكابر تأتي إليه لالتماس بركته، فلا يفرق بينهم وبين غيرهم، بل يستمر الواحد منهم واقفاً علىٰ قدميه فلا يكلمه كلمة واحدة غالباً. وممن قصد زيارته شيخ الإسلام الشمس الرملي ركب وتوجه إليه فبمجرد وقوع بصره عليه نام. وتفطّن فما كأنه إلا ميت، فرجع ولم يخاطبه، وكذلك وقع له مع الشيخ البكري مراراً.

وكان له مكاشفات كفلق الصبح لا تختفي قط، قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي: وحصل لي منه في حياته واقعة كانت سبباً لحصول خير كثير، وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر.

[ختام الكتاب]

انتهى ما كتبه مؤلفه الإمام السيد محمد الشلّي باعلوي، نفع الله به في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد سيد المرسلين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

هذا ما وجد بآخر النسخة المنقولة هذه منها، وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب في يوم الخميس المبارك، حادي[١] عشرين شهر شعبان المعظم الذي هو من شهور سنة ١١٨٠ من الهجرة النبوية، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، علىٰ يد كاتبه بيده الفانية الفقير إلىٰ رحمة ربه العلي الكبير أحمد بن عيسى الخليفي، نسبة، الشافعي مذهباً، غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه، وكذا والديه والمسلمين أجمعين. آمين، وصلّى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين آمين.

أقسمت بالله علىٰ كل من ... أبصر خطي حيث ما أبصره
أن يدعو الرحمٰن لي مخلصاً ... بعفوه الشامل والمغفره

* * *

قد صار نسخ هذا الكتاب الجليل بقلم الفقير محمود حمدي من النسخة المحفوظة بمكتبة حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري المختوم عليها بختم السيد محمد أبو الأنوار السادات تاريخه سنة ١١٩٣، وذلك علىٰ نفقة دار الكتب المصرية، وكان الفراغ من نسخه موافقاً ليلة الإثنين المبارك،

(١) كذا بالأصل.

سابع عشر شهر محرم الحرام افتتاح سنة (١٣٤٣ هـ) ـ ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة ـ من خُلق على وصف سيدنا محمد النبي الأميّ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين آمين.

* * *

فهرس المحتويات